بسم الله الرحمن الرحيم

بين حاكم وعالم

جهاد الكلمة

مقامات العلماء والصالحين عند الأمراء والوزراء والسلاطين

﴿أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مَهَابَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ، أَلَا إِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ﴾

نصر الدين/ ناصر الله منصور

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

الطبعة الثانية

فهرس

معاوية بن أبي سفيان ورجل شجاع 001
معاوية بن أبي سفيان وأبي مسلم الخولاني (١) 002
معاوية بن أبي سفيان وأبي مسلم الخولاني (٢) 003
معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن عمر بن الخطاب 004
معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن عباس 005
معاوية بن أبي سفيان والأحنف بن قيس 006
معاوية بن أبي سفيان وأبو بكرة الثقفي 007
معاوية بن أبي سفيان وسعد بن أبي وقاص 008
معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن عمرو بن العاص 009
معاوية بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق 010
زياد بن أبيه، عامل معاوية بن أبي سفيان والحكم الغفاري 011
زياد بن أبيه، عامل معاوية بن أبي سفيان وحجر بن عدي 012
مروان بن الحكم ، عامل معاوية بن أبي سفيان وسعد بن أبي وقاص 013
عبد الملك بن مروان والحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب 014
عبد الملك بن مروان/ هشام بن إسماعيل وسعيد بن المسيب (١) 015
عبد الملك بن مروان/ هشام بن إسماعيل وسعيد بن المسيب (٢) 016
عبد الملك بن مروان وعطاء بن أبي رباح 017
عبد الملك بن مروان والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة 018
عبد الملك بن مروان وجابر بن عبد الله 019
جابر الأسود الزهري(عامل **عبد الله بن الزبير**)وسعيد بن المسيب 020
الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز 021
الوليد بن عبد الملك وعطاء بن أبي رباح 022
الوليد بن عبد الملك ومحمد بن شهاب الزهري 023
الحجاج بن يوسف الثقفي وعبد الله بن عمر بن الخطاب 024
الحجاج بن يوسف الثقفي وسهل بن سعد 025
الحجاج بن يوسف الثقفي وأنس بن مالك 026
الحجاج بن يوسف الثقفي وسعيد بن جبير 027
الحجاج بن يوسف الثقفي وأسماء بنت أبي بكر الصديق 028
الحجاج بن يوسف الثقفي بن يوسف وحطيط الزيات 029
الحجاج بن يوسف الثقفي والحسن البصري (١) 030
الحجاج بن يوسف الثقفي والحسن البصري (٢) 031
الحجاج بن يوسف الثقفي وعامر الشعبي 032
الحجاج بن يوسف الثقفي وعبد الرحمن بن عائذ 033
الحجاج بن يوسف الثقفي ورجل 034
الحجاج بن يوسف الثقفي وابن الفجاءة 035
الحجاج بن يوسف الثقفي والراعي 036
الحجاج ورجل من أهل اليمن 037
الحجاج ويحيى بن يعمر النحوي 038
سليمان بن عبد الملك وطاووس اليماني 039
ابن سليمان بن عبد الملك وطاووس اليماني 040
سليمان بن عبد الملك ورجل 041
سليمان بن عبد الملك وأبي حازم 042
سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز (١) 043
سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز (٢) 044
سليمان بن عبد الملك والأعرابي 045
سليمان بن عبد الملك وصفوان بن سُليم الزهري 046
بلال بن أبي بردة، أمير البصرة ومحمد بن واسع العابد (١) 047
بلال بن أبي بردة ومالك بن دينار 048
المهلب بن أبي صفرة ومالك بن دينار 049
عمر بن عبد العزيز وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب 050
عمر بن عبد العزيز وغلام هاشمي 051
عمر بن عبد العزيز والحسن البصريّ 052
عمر بن عبد العزيز ونصيحة العلماء (محمد بن كعب القرظي، وأبو قلابة، وأبا حازم) 053
عمر بن عبد العزيز ونصيحة يزيد الرقاشي 054

عمر بن عبد العزيز ورجل 055
عمر بن عبد العزيز وزياد العبدي 056
عمر بن عبد العزيز ومحمد بن كعب 057
عمر بن عبد العزيز والحسن بن محمد بن الحسين 058
عمر بن عبد العزيز وعبد الملك بن عمر بن عبد العزيز 059
يزيد بن عبد الملك ومكحول بن أبي مسلم الهذل 060
عمر بن هبيرة الفزاري (عامل يزيد بن عبد الملك) والحسن البصري 061
عمر بن هبيرة الفزاري (عامل يزيد بن عبد الملك) ومحمد بن سيرين 062
هشام بن عبد الملك الأموي القرشي وعطاء بن أبي رباح 063
هشام بن عبد الملك وطاووس اليماني (١) 064
هشام بن عبد الملك وطاووس اليماني (٢) 065
هشام بن عبد الملك وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب 066
هشام بن عبد الملك وأبي حازم 067
هشام بن عبد الملك ورجل من أشراف الناس 068
هشام بن عبد الملك وأعرابي 069
هشام بن عبد الملك والأعمش 070
هشام بن عبد الملك وابن شهاب الزهري وسليمان بن يسار 071
سليمان بن هشام بن عبد الملك وأبي حازم 072
ابن نجيح، عامل اليمن وطاووس اليماني 073
يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري (عامل يزيد بن عبد الملك) والإمام أبو حنيفة النعمان 074
عبد الله بن علي السفاح والإمام الأوزاعي 075
عبد الله بن علي السفاح وربيعة الرأي 076
أبو جعفر المنصور والإمام جعفر الصادق (١) 077
أبو جعفر المنصور والإمام جعفر الصادق (٢) 078
أبو جعفر المنصور وابن طاووس 079
أبو جعفر المنصور وعمر بن عبيد 080
أبو جعفر المنصور والإمام الأوزاعي (١) 081
أبو جعفر المنصور والإمام الأوزاعي (٢) 082
أبو جعفر المنصور والإمام أبو حنيفة النعمان (١) 083
أبو جعفر المنصور والإمام أبو حنيفة النعمان (٢) 084
أبو جعفر المنصور وابن أبي ذئب 085
أبو جعفر المنصور وسفيان الثوري 086
أبو جعفر المنصور وسوار بن عبد الله العنبري 087
أبو جعفر المنصور وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم 088
أبو جعفر المنصور وسفيان بن حسين 089
أبو جعفر المنصور وعثمان بن الحكم الجذامي والليث بن سعد 090
جعفر بن سليمان والإمام مالك 091
جعفر بن سليمان والفقيه الصالح 092
جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله و أسلم 093
محمد بن سليمان، أمير العراق (عامل أبو جعفر عبد الله المنصور) وحمّاد بن سلمة 094
أبو عبد الله المهدي وسفيان الثوري (١) 095
أبو عبد الله المهدي وسفيان الثوري (٢) 096
أبو عبد الله المهدي وسفيان الثوري (٣) 097
أبو عبد الله المهدي وشريك بن عبد الله النخعي 098
أبو عبد الله المهدي وابن أبي ذئب (١) 099
أبو عبد الله المهدي وابن أبي ذئب (٢) 100
أبو عبد الله المهدي وصالح بن بشر المري 101
أبو عبد الله المهدي والإمام مالك 102
أبو عبد الله المهدي والواقدي 103
هارون الرشيد والإمام مالك 104
هارون الرشيد والفضيل بن عياض و ابن السماك 105
هارون الرشيد والفضيل بن عياض (١) 106
هارون الرشيد والفضيل بن عياض (٢) 107
هارون الرشيد وابن السماك (١) 108
هارون الرشيد وابن السماك (٢) 109

هارون الرشيد و جعفر بن محمد 110
هارون الرشيد وعبيد الله العمري 111
هارون الرشيد وشقيق البلخي 112
هارون الرشيد وأبو البختري 113
هارون الرشيد وبهلول 114
هارون الرشيد وأبي يوسف القاضي 115
هارون الرشيد وشعيب بن حرب 116
هارون الرشيد، وعبد الله بن إدريس وحفص بن غياث ووكيع ابن الجراح 117
هارون الرشيد وحفص بن غياث 118
هارون الرشيد وعافية بن يزيد الأودي الكوفي 119
هارون الرشيد وعمر بن حبيب العدوي 120
هارون الرشيد ومحمد بن إدريس الشافعي 121
هارون الرشيد وشيبان الراعي 122
هارون الرشيد والليث بن سعد 123
هارون الرشيد والشيخ 124
المنصور بن أبي عامر و الفقهاء، محمد بن إبراهيم بن حيويه 125
أبو العباس عبد الله المأمون ويحيى بن يحيى النيسابوري 126
أبو العباس عبد الله المأمون و يزيد بن هارون 127
إسحاق بن إبراهيم (عامل المأمون) والإمام عفان بن مسلم 128
أبو العباس عبد الله المأمون والإمام أحمد بن حنبل 129
أبو إسحاق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد والإمام أحمد بن حنبل 130
أبو إسحاق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد والشيخ 131
هارون الثاني الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد وأحمد بن نصر الخزاعي المروزي 132
الواثق بالله وشيخ من أهل أذنة 133
أبو الفضل جعفر المتوكل على الله والإمام أحمد بن حنبل 134
أمير خراسان، خالد بن أحمد الذهلي والإمام البخاري 135
أبو العباس أحمد المعتضد بالله وإبراهيم بن إسحاق الحربي 136
أبو العباس أحمد المعتضد بالله والقاضي أبو خازم 137
أبو العباس أحمد المعتضد بالله وابن البغوي 138
الملك الأفضل والطرطوشي 139
المقتفي لأمر الله والشيخ عبد القادر الكيلاني 140
عبد الرحمن الناصر والمنذر بن سعيد 141
الأمير الحكم بن هشام والفرج بن كنانة 142
الأمير عبد الرحمن بن معاوية ونصر بن طريف 143
السلطان جلال الدولة ابن بويه وعلي بن حبيب 144
السلطان جلال الدولة وأبو الوفاء ابن عقيل 145
المستضيء و أبو الفرج ابن الجوزي 146
الناصر لدين الله وعبد المغيث بن زهير 147
أمراء العبيديين، المعز لدين الله والإمام ابن النابلسي 148
أمراء العبيديين، الحاكم بأمر الله والإمام محمد بن الحبلي 149
أمراء مصر الفاطميين ، العاضد لدين الله وابن الحطيئة 150
ملوك الأيوبيين، الملك العادل أبو بكر والشيخ عبد الله اليونيني 151
الملك الصالح إسماعيل والعز بن عبد السلام 152
أمراء مماليك، الملك الكامل وابن عين الدولة 153
أمراء المماليك مماليك الصالح أيوب والعز بن عبد السلام (١) 154
أمراء المماليك مماليك الصالح أيوب والعز بن عبد السلام (٢) 155
معين الدين، وزير الملك الصّالح نجم الدين والعز بن عبد السلام 156
الأمير قطز والعز بن عبد السلام 157
محمود غازان ملك التتار وشيخ الإسلام ابن تيمية 158
الدروز الإسماعيلية وشيخ الإسلام ابن تيمية 159
الظاهر ركن الدين بيبرس والإمام محي الدين النووي (١) 160
الظاهر ركن الدين بيبرس والإمام محي الدين النووي (٢) 161
ملك المغول، جهانكير وأحمد السرهندي 162
إبراهيم باشا بن محمد علي (والي مصر، الدولة العثمانية) وسعيد الحلبي 163
الماسونيّة/ كمال أتاتورك وسعيد النورسي، بديع الزمان 164

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

الحمد لله الذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم، بالحق بين يدي الساعة مفرقاً بين الهدى والضلال، وبين التوحيد والشرك، وبين الجاهلية والإسلام. والصلاة والسلام على النبي الهادي الذي أدى الأمانة، وبلغ الرسالة حق التبليغ، وجاهد بنفسه وماله حتى ترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. أما بعد.

عن تميم الداري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ﴾ وهذه الروايات نصيحة للشباب العربي، أخص منهم جند الطغاة! أعوان الظلمة (المرتزقة) أو ما اصطلح على تسميته زورا وبهتانا برجال الأمن! في ما يسمى اليوم مصر والجزائر والمغرب وبقية الديدان وأشباه الدويلات والوكالات. تنبيه لهم بضرورة الابتعاد عن نصرة تلك الأنظمة! المجرمة التي زرعها و/ أو هيأ لها الغرب الاستدماري في أرض المسلمين، سواء كانت مافيوية عسكرية، مجرمة كافرة، بل ومختلة عقليا (ميغالومانيا) تتصارع وتتوارث، وتعتبر البلاد والعباد غنيمة انقلاب!، أو ملكية مطلقة سولت لها بطانتها ونفسها المريضة فعدت البلاد والعباد من أملاكها وعبيدها؛ وهذا ثابت بالبرهان، ظاهر للعيان، لا يخفى على إنسان ولا جان، فكلا النظامين! اليوم أثبت أنه شر مطلق مطلق، أفسد البلاد والعباد وأهلك الحرث والنسل وأورث الأمة (المنهكة والجريحة منذ بضعة قرون) جسدا مريض، مصاب بمتلازمة الجهل والفقر. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

طاعة ولي الأمر مقيدة بالمعروف!

يقول اللهُ عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء] اتفق المفسرين على أن طاعة الله مطلقة وطاعة رسوله مطلقة، ولكن طاعة ولي الأمر مقيدة بالمعروف، ولذا لم تكرر الآية لفظ (وأطيعوا) عند ذكر أولي الأمر. عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي﴾ (أميري) هو كل من يتولى على المسلمين ويعمل فيهم بما شرعه النبي صلى الله عليه وسلم. عن يحيى بن حصين عن جدته أم الحصين قال:﴿سَمِعْتُهَا تَقُولُ حَجَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ فَالْتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلًا كَثِيرًا ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ:إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ حَسِبْتُهَا قَالَتْ أَسْوَدُ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا﴾ (إن أمر) أي جعل أميرا (عبد مجدع) أي مقطوع الأنف والأذن (يقودكم) أي يأمركم (بكتاب الله) أي بحكمه المشتمل على حكم الرسول. (فاسمعوا له وأطيعوا) فيه حث على المداراة والموافقة مع الولاة على التحرز عما يثير الفتنة ويؤدي إلى اختلاف الكلمة، ما لم يخالف أمر الله. وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ﴾ (اسمعوا) أي كلام الحاكم (وأطيعوا) أي انقادوا في أمره ونهيه ما لم يخالف أمر الله ونبيه (وإن استعمل عليكم عبد حبشي) أي وإن استعمله الإمام الأعظم على القوم لا أن العبد الحبشي هو الإمام الأعظم فإن الأئمة من قريش وقيل: المراد به الإمام الأعظم على سبيل الفرض والتقدير وهو مبالغة في الأمر بطاعته والنهي عن شقاقه ومخالفته، (كأن رأسه زبيبة) أي كالزبيبة في صغره وسواده، قال الطيبي: صفة أخرى للعبد شبه رأسه بالزبيبة إما لصغره وإما لأن شعر رأسه مقطط كالزبيبة تحقيرا لشأنه.

وعن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ، فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ﴾ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء] أي لا تطيعوا أمر المسرفين على أنفسهم في تماديهم في معصية الله، واجترائهم على سخطه، ويعني برؤساء وكبراء القوم. عن علي قال: ﴿بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَمَّا جَمَعْتُمْ حَطَبًا، وَأَوْقَدْتُمْ نَارًا، ثُمَّ دَخَلْتُمْ فِيهَا فَجَمَعُوا حَطَبًا، فَأَوْقَدُوا نَارًا، فَلَمَّا هَمُّوا بِالدُّخُولِ، فَقَامَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا تَبِعْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرَارًا مِنَ النَّارِ أَفَنَدْخُلُهَا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ خَمَدَتِ النَّارُ، وَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ﴾ (عزمت عليكم) آمركم وأؤكد أمري لكم وأجد فيه (ما خرجوا) لأن الدخول فيها معصية فإذا استحلوها كفروا واستحقوا الخلود فيها (الطاعة) للأمر واجبة (المعروف) هو ما لا يتناقى مع الشرع. يقول الإمام بن القيم في زاد المعاد إذا كان حكم من يحرق نفسه في طاعة الأمير أنه سيدخل النار فكيف بمن يحرق الناس طاعة للأمير؟.

الخروج على الحاكم الظالم

قد بين الله تعالى لنا ماذا نعمل عند وجود الخلاف فقال: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء] وقال: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى] فإذا تنازع الناس في المسألة وجب عليهم ردها إلى الكتاب والسنة، وإذا رددنا ما نحن فيه من مسألة إلى الكتاب والسنة وجدنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ﴾ فهذا نص صريح في أنه لا يجوز الخروج إلا إذا كفروا كفراً صريحاً. (فيه برهان) أي دليل وبيان من حديث أو قرآن، والمعنى أنه حينئذ تجوز المنازعة بل يجب عدم المطاوعة، والمراد بالكفر هنا المعاصي، والمعنى لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم، وقوموا بالحق حيثما كنتم. والمسلم الصالح يأتسي دائما بمثل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، عن قيس بن أبي حازم قال: قال أبو بكر الصديق: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَتْلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَإِنَّكُمْ تَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [المائدة] وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ – وفي لفظ: إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ – أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ قال القاضي عياض: فلو طرأ عليه (أي الخليفة) كفر أو تغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل. وهكذا فليس هناك أي تناقض بين آراء العلماء حول مسألة الخروج على النظام الحاكم في حالة كفره وإعراضه عن شرع الله، فالكل مجمع على ذلك، وقوله ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي ردوه إلى النصوص التي تنطبق عليه ضمنا. فإن لم توجد النصوص التي تنطبق على هذا النحو، فردوه إلى المبادئ الكلية العامة في منهج الله وشريعته. وهذه ليست عائمة، ولا فوضى، ولا هي من المجهلات التي تتيه فيها العقول كما يحاول بعض المخادعين أن يقول. وهناك في هذا الدين مبادئ أساسية واضحة كل الوضوح، تغطي كل جوانب الحياة الأساسية، وتضع لها سياجا خرقه لا يخفى على الضمير المسلم المضبوط بميزان هذا الدين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء] فالذي يحكم بغير ما أنزل الله، وهو يرى أن حكمه بغير ما أنزل الله أصلح للناس، وأنفع للناس، وأوفى للناس، وأنه مساو لما أنزل الله، وأنه مخير بين أن يحكم بما أنزل الله، أو يحكم بغيره، أو أن الحكم بغير ما أنزل الله جائز، فهذا يعتبر طاغوتًا وهو كافر بالله عز وجل. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة] فمن من لم يحكم بما أنزل الله تعالى وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد اجتمعن فيه هذه الأوصاف الثلاثة: الظُّلم والْكفر والْفُسُوقُ. وهي لا شك من صفات حكام العرب اليوم! وحتى وإن استحال الخروج على طغاة العرب فلا عذر للمسلمين اليوم، فالخروج ليس بالضرورة أن يكون بالسيف، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:﴿يُهْلِكُ أُمَّتِي هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: لَوْ أَنَّ النَّاسَ اعْتَزَلُوهُمْ﴾ وهي إشارة إلى الثورة السلمية أوالعصيان المدني. سأل رجل الحسن وهو يسمع وأناس من أهل الشام فقال: يا أبا سعيد ما تقول في الفتن مثل يزيد بن المهلب وابن الأشعث؟ فقال: لا تكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، فقال رجل من أهل الشام: ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد؟، فغضب ثم قال بيده فخطر بها، ثم قال: ولا مع أمير المؤمنين، فكان يرى أنه يجب على المسلم الاعتزال وعدم المشاركة في سفك دماء المسلمين، فلا يقاتل في صفوف الخارجين على السلطة ولا مع جيش الخليفة إذا كان ظالما.قيل: إن ابن القاسم (تلميذ الإمام مالك) سأل مالكا عن البغاة يجوز قتلهم؟ فقال: إن خرجوا على مثل عمر بن عبد العزيز. قال: فإن لم يكن مثله؟. فقال: دعهم ينتقم الله من ظالم بظالم ثم ينتقم من كليهما.

لولا الخروج على الظلمة عبر التاريخ لاندثر الإسلام

- خروج العباسيين على الدولة الأموية (بعد أن بدأت الاضطرابات تهدد حدود الدولة الإسلامية كلها خصوصا في الأيام الأخيرة من حكم آخر ملوك بني أمية مروان بن محمد)
- خروج السلاجقة الأتراك على الدولة العباسية (بانتصارهم على الإمبراطورية البيزنطية في معركة ملاذكرد تغيّرت صورة الحياة في هذه المنطقة؛ فاصطبغت بالصبغة الإسلامية ودخل سكانها في الإسلام)
- خروج صلاح الدين الأيوبي (تحت حكم نور الدين زنكي) على الدولة العبيدية الفاطمية! (التي غيّرت دين الأمة وقتلت الصالحين) مما مهد الطريق بعد ذلك (للدولة الأيوبية الوليدة) لاستعادة الأراضي المقدسة من الصليبيين الأوروبيين.
- خروج العز بن عبد السلام على الصالح إسماعيل (الخائن) ونصرته لصالح نجم الدين أيوب، الذي هزم جيش الخائن والصليبيين.
- خروج الدولة العثمانية (الصغرى)! على دولة المماليك وسيطرتها على البحر الأحمر، الذي منع الغزاة البرتغال والإسبان من هدم الكعبة وأخذ قبر النبي وهدم المسجد الأقصى.

مراجع: هل يعتبر القراءنة بمصر من سبقهم؟/ صحيح البخاري/ شرح تفسير ابن كثير/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ تفسير الطبري/ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي/ صحيح ابن حبان

أصناف العلماء

غلاة العلماء	علماء ربانيين	علماء السلطان
(متطرفون، خوارج العصر، أشباه العلماء، كلاب الاستخبارات..)	(مؤمنون، مجاهدون، مصلحون..)	(عملاء، منافقون،مبتدعة، (متصوفة)، فسقة، أشباه العلماء، موظفون..)

الربانيين

﴿سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ﴾

يقول اللهُ عز وجل: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران] ربانيين وهو جمع رباني، واختلف النحاة في هذه النسبة، فقال قوم: هو منسوب إلى الرب من حيث هو العالم ما علمه، العامل بطاعته، المعلم للناس ما أمر به، وزيدت الألف والنون مبالغة كما قالوا، لحياني وشعراني في النسبة إلى اللحية والشعر، وقال قوم الرباني منسوب إلى الربان وهو معلم الناس، وعالمهم السائس لأمرهم، مأخوذ من رب يرب إذا أصلح وربى، وزيدت فيه هذه النون كما زيدت في غضبان وعطشان، ثم نسب إليه رباني، واختلف العلماء في صفة من يستحق أن يقال له رباني، فقال أبو رزين: الرباني: الحكيم العالم، وقال مجاهد: الرباني الفقيه، وقال قتادة وغيره: الرباني العالم الحليم، وقال ابن عباس: هو الحكيم الفقيه، وقال الضحاك: هو الفقيه العالم، وقال ابن زيد: الرباني والي الأمر، يرب الناس أي يصلحهم، فالربانيون الولاة والأحبار والعلماء، وقال مجاهد: الرباني فوق الحبر لأن الحبر هو العالم والرباني هو الذي جمع إلى العلم والفقه البصر بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية وما يصلحهم في دينهم ودنياهم، وفي البخاري: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره. ومن ثم، نقول الرباني هو العالم العامل المعلم المتمسك بدين الله وطاعته، البصير في سياسة الناس. والربانيين أعلام الهدى وسرج الظلمة، بهم يتحصن الإسلام ويفرق بين الحلال والحرام وتنفذ الأحكام، وبهم تقام الفرائض وتثبت الحقوق وتحقن الدماء..والربانيون هم الذين لا يخشون في الله لومة لائم وهم مع الحق ولو اغضبوا السلطان أو اغضبوا الدهماء من الناس. يقول شيخ الإسلام، العز بن عبد السلام ﴿مَنْ آثَرَ اللهَ عَلَى نَفْسِه آثَرَهُ اللهُ﴾ والمخاطرة بالنفوس مشروعة في إعزاز الدين. عن جابر بن سمرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا، يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ﴾ وعن ثوبان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ﴾ وليس في حديث قتيبة: ﴿وَهُمْ كَذَلِكَ﴾ قال البخاري هم أهل العلم وقال أحمد بن حنبل إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم، قال القاضي عياض إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذاهب أهل الحديث، قال الإمام النووي يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين فمنهم شجعان مقاتلون ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض (من خذلهم) يعني من خالفهم (حتى يأتي أمر الله) المراد به هو الريح التي تأتي فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة.

علماء السلطان

﴿أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةُ الْمُضِلِّينَ﴾

المضلين	المخادعين	العملاء
يلوون أعناق النصوص لتناسب مصالح حكامهم	كلام ملائكة!.. وأفعال شياطين!	توظفهم أجهزة الطغاة ضد فصيل معين أو لمصلحتها

﴿إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ وَيَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ فَلَا تَغْتَرُّوا بِهِ حَتَّى تَعْرِضُوا أَمْرَهُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ﴾ [الشافعي]

عن الحسن رضي الله عنه قال:﴿إِنَّ تَصْدِيقَ الْقَوْلِ الْعَمَلَ فَمِنْ صِدْقٍ عَمَلُهُ قَوْلَهُ فَذَاكَ وَمَنْ لَا فَقَدْ هَلَكَ﴾ أو كما قال الحسن

﴿إِنَّ خَيْرَ الْأُمَرَاءِ مَنْ أَحَبَّ الْعُلَمَاءَ، وَإِنَّ شَرَّ الْعُلَمَاءِ مَنْ أَحَبَّ الْأُمَرَاءَ﴾ [أبو حازم]

إن نبينا محمدا نبيَّ الرحمة صلى الله عليه وسلم لم يترك من الشر شيئا إلا وحذرنا منه، ولم يدع من الخير شيئا إلا وحثنا عليه، وقد خاف على أمته من صفات وأخلاق وأعمال، تكون بعده؛ فبينها ووضحها، وخاف عليها من رجال أشرار؛ فذكرهم بأسمائهم، أو وصفهم بأوصافهم، تحذيرا للأمة من شرهم، وتفاديا لمكرهم وكيدهم، فمن الصفات والأخلاق التي خافها النبي صلى الله عليه وسلم على أمته: علماء السلطان مصطلح يطلق على الأشخاص الذين لديهم قدر من العلم الشرعي ولكن يستعملونه بشكل أو بآخر لخدمة مصالح أمير أو قائد أو زعيم، حتى وإن كان هذا لا يتماشى مع أخلاقيات ذلك العلم أو مع النصوص الشرعية ويقومون بلوي أعناق النصوص لتناسب مصالح حكامهم ومن فوق. من أسماء هذه الفئة الضالة المضلة: شيوخ السلاطين، فقهاء السلاطين، علماء الدولة، علماء فسقة، وفد الشيطان، كهنة الدين، خونة الرسل، ديدان القراء، لصوص الدين، سحرة فرعون، شيوخ العسكر، مشايخ الطواغيت، علماء الاستبداد ، علماء السوء، علماء الدنيا، دعاة الضلالة، شيوخ العار، شيوخ الزوايا (تقريباً جميعهم)، المرجئة الحديثة، المداخلة، الجامية، عبيد السلطان، أحذية الطغاة، السفلة، قطاع الطرق، المقامرين، الخسيس (كما قال النووي)، شر الخلق، وميت الأحياء. قال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة.قال إسماعيل بن أبي أويس: سمعت خالي مالك بن أنس يقول:﴿قَالَ لِي رَبِيعَةُ الرَّأْيِ –وَكَانَ أُسْتَاذَ مَالِكٍ– يَا مَالِكُ مَنْ السَّفِلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَنْ أَكَلَ بِدِينِهِ، فَقَالَ لِي: وَمَنْ أَسْفَلُ السَّفِلَةِ؟ قُلْتُ:مَنْ أَصْلَحَ دُنْيَا غَيْرِهِ بِفَسَادِ دِينِهِ، فَقَالَ: زِدْ، وصَدَّرَنِي﴾ أي ضرب على صدري، يعني استحساناً. وقال نصر بن حاجب: قلت للأعمش: من السفلة؟ قال: الذين يطلبون الدنيا بعمل. قيل للأعمش:﴿وَلَقَدْ أَحْيَيْتَ الْعِلْمَ لِكَثْرَةِ مَنْ يَأْخُذُهُ عَنْكَ فَقَالَ لَا تَعْجِلُوا لَعَلَّكَ يَمُوتُونَ قَبْلَ الإِدْرَاكِ وَلَعَلَّكَ يَلْزَمُونَ أَبْوَابَ السَّلَاطِينِ فَهَمَ شَرَّ الْخَلْقِ وَالثُّلُثُ الْبَاقِي لَا يُفْلِحُ مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلِ﴾ ولذلك قال ابن المسيب:﴿إِذَا رَأَيْتُمْ الْعَالِمَ يَغْشَى الأُمَرَاءَ فَاحْتَرِزُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ لِصٌّ﴾ وحديث أنس:﴿الْعُلَمَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ عَلَى عِبَادِ اللهِ مَا لَمْ يُخَالِطُوا السُّلْطَانَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ خَانُوا الرُّسُلَ فَاحْذَرُوهُمْ وَاعْتَزِلُوهُمْ﴾. ﴿إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي، كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ﴾ ولهذا كان أخوف ما خافه النبي صلى الله عليه وسلم على أمّته (كلّ منافق عليم اللسان) أي: كثير علم اللسان، جاهل القلب والعمل، اتخذ العلم حرفة يتأكل بها، ولأحمد من حديث أبي ذر: ﴿غَيْرَ الدَّجَّالِ أَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي مِنَ الدَّجَّالِ الأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ﴾ فعلماء السلطان هم الذين يلبسون على الآمة من أجل دراهم السلاطين والملوك على حساب الشعوب وهذا ما دعى الفيلسوف الغربي! لأن يقول:الدين أفيون الشعوب. وكان عبد الله بن عمر يقول:﴿لَا تُجَمِّلُوا ظُهُورِنَا جَسُورًا إِلَى جَهَنَّمَ﴾ وكان الإمام ابن الجوزي يقول: ﴿إِنِّي لِأَظَلُّ طُولَ اللَّيْلِ أَتَقَلَّبُ فِي فِرَاشِي أَبْحَثُ عَنْ كَلِمَةِ أَرْضِي بِهَا السُّلْطَانَ وَلَا أَغْضَبُ بِهَا اللهُ فَلَا أَجِدُ﴾ وكان يحيى بن منده كثيراً ما ينشد لبعضهم: عَجِبْتُ لِمُبْتَاعِ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى ... وَلِلْمُشْتَرِي دِينًا بِالدَنْيِ أَعْجَبُ ... وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَيْنِ مِنْ بَاعِ دِينِهِ ... بَدَنْيًا سِوَاهُ فَهُوَ مِنْ دين أُخَيِّبُ.

مراجع: المحرر الوجيز لابن عطية/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ صحيح مسلم / البداية والنهاية / أخبار القضاة / شعب الإيمان/ مسند أحمد/ وفيات الأعيان / تفسير المنار

أيها القارىء الواعي لا يفوتني أن أنبهك أن تسلك سبيل الأدب مع الأئمة الماضين، وأن لا تنظر إلى كلامهم بعضهم في بعض فإن قدرت على التأويل القائم على حسن الظن فدونك وإلا فغض الطرف، واضرب صفحا عما شجر بينهم، فإنك إذا اشتغلت بذلك خشيت عليك الهلاك فالقوم أئمة أعلام، ولأقوالهم محامل وليس لي ولك إلا الترضي عنهم، والسكوت عما جرى بينهم كما يفعل فيما جرى بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. والله الموفق.

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) ورجل شجاع [001]

روى أبي قبيل[1] أن معاوية بن أبي سفيان[2] صعد المنبر يوم الجمعة فقال: إنها المال مالنا والفيء* فيئنا فمن شئنا أعطيناه ومن شئنا منعناه، فلم يجبه أحد فلما كان في الجمعة الثانية قال مثل ذلك فلم يجبه أحد، فلما كان في الجمعة الثالثة قال مثل مقالته، فقام إليه رجل ممن حضر فقال: كلا إنها المال مالنا والفيء فيئنا فمن حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله بأسيافنا، فنزل معاوية فأرسل إلى الرجل فأدخله. فقال القوم: هلك الرجل. ثم دخل الناس فوجدوا الرجل معه على السرير فقال معاوية للناس: إن هذا أحياني أحياه الله، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿سَتَكُونُ أَئِمَّةٌ مِنْ بَعْدِي يَقُولُونَ فَلَا يُرَدُّ عَلَيْهِمْ فَوَهُمْ يَتَقَاحَمُونَ فِي النَّارِ كَمَا تَقَاحَمُ الْقِرَدَةُ -وفي لفظ-: يَكُونُ أُمَرَاءُ يَقُولُونَ وَلَا يُرَدُّ عَلَيْهِمْ، يَتَهَافَتُونَ فِي النَّارِ، يَتْبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا﴾ وإني تكلمت أول جمعة فلم يرد علي أحد فخشيت أن أكون منهم ثم تكلمت في الجمعة الثانية فلم يرد أحد فقلت: في نفسي إني من القوم. ثم تكلمت في الجمعة الثالثة فقام هذا الرجل فرد علي فأحياني أحياه الله.

عن أبي قلابة قال: أرسل معاوية إلى أمير الطائف عنبسة بن أبي سفيان [3] أن يأخذ الوهط*،فبلغ ذلك عبد الله بن عمرو[4] فلبس سلاحه هو ومواليه وغلمانه وقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ مَظْلُومًا فَهُوَ شَهِيدٌ﴾ فكتب الأمير إلى معاوية أن قد تيسر للقتال وقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ﴾ فكتب معاوية: أن خل بينه وبين ماله.

* قال ابن الهمام: والفيء مال مأخوذ من الكفار بغير قتال؛ كالخراج، والجزية، وأما المأخوذ بقتال فيسمى غنيمة. والغنيمة تقسم أخماسا: أربعة أخماس منها تكون للغانمين، وخمس يكون للمصارف التي ذكرها الله عز وجل في آية الأنفال. (الوهط) حائط بالطائف/ بستان عظيم بالطائف.

---

(4) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل. أسلم قبل أبيه واستاذن النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه ما يسمع منه فاذن له فكان عبد الله يسمي صحيفته الصادقة. وكان عالما متعبدا. توفي بالشام سنة 65 هـ وهو ابن 72 سنة.وقد زعم قوم أنه مات بمكة ويقال بالطائف ويقال بمصر.

(3) عنبسة بن أبي سفيان، واسمه صخر، بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أبو الوليد، ويقال: أبو عثمان، ويقال: أبو عامر المدني، أخو يزيد بن أبي سفيان، ومعاوية بن أبي سفيان وأم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم.

(1) حيي بن هانئ بن ناضر بن يمنع، أبو قبيل المعافري ثم من بني سريع المصري. أدرك مقتل عثمان، وهو باليمن، وقدم مصر زمن معاوية، وغزا رودس (رودس)، وهي من بلاد المغرب مع جنادة بن أبي أمية، والمغرب مع حسان بن النعمان. توفي بالمرلس سنة 128 هـ

(2) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

❁

أيها الإخوة المؤمنون، لا شك أن الخلافة الراشدة انقلبت إلى طبيعة المُلك بالبدعتين اللتين ابتدعهما معاوية بن أبي سفيان في جعل الأَمر تابعا لقوة العصبية، وجعل الخلافة تراثا ينتقل من المالك إلى ولده أو غيره من عصبته.. ومعاوية هو القائل: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن أحق به ومن أبيه. ولا شك أن في الصحابة من كان أحق من آل معاوية (وأولاد الحكم طريد رسول الله)، لكنهم رضوان الله عليهم خافوا الفتنة والانشقاق، وكان أغلبهم مع البيعة للامام علي أولاً ثم الاقتصاص من قتلة عثمان فيما بعد، توحيدا لصفوف المسلمين. ثم إن فكرة التوريث في حد ذاتها انحرف عن الدين القويم والمنهج المستقيم الذي كانت عليه سيرة الصديق والفاروق رضي الله عنهما، لأن البيعة لا تكون إلا على منهاج النبوة ؛ كتاب الله وسنة نبيه. وقد كان من شروط الصلح بين الحسن ومعاوية أن لا يعهد لأحد من بعده، وأن يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين. عن أبي العالية. قال: كنا مع أبي ذر بالشام فقال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿أَوَّلُ مَنْ يُغَيِّرُ سُنَّتِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ﴾ ولعل المراد بالحديث تغيير نظام اختيار الخليفة، وجعله وراثة. عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿إِنَّا وَاللَّهِ لَا نُوَلِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ﴾

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبِيَّةٍ أَوْ يَدْعُو لِعَصَبِيَّةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ﴾ (لعصبة) عصبة الرجل أقاربه من جهة الأب سموا بذلك لأنهم يعصبونه ويعتصب بهم أي يحيطون به ويشتد بهم والمعنى يغضب ويقاتل ويدعو غيره كذلك لا لنصرة الدين والحق بل لمحض التعصب لقومه ولهواه كما يقاتل أهل الجاهلية فإنهم إنما كانوا يقاتلون لمحض العصبية. قيل لما جاء كتاب معاوية إلى مروان (والي المدينة) بالبيعة ليزيد بن معاوية قال له عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق: يا مروان إنما هي هرقلية كل ما مات هرقل كان هرقل مكانه، ما لأبي بكر لم يستخلفني، وما لعمر لم يستخلف عبد الله!. يقول عمر بن الخطاب:﴿مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَوَلَّى رَجُلًا لِمَوَدَّةٍ أَوْ قَرَابَةٍ بَيْنَهُمَا، فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُسْلِمِينَ﴾ وعمر هو القائل: ألا وإنه بلغني أن فلانا قال لو قد مات عمر بايعت فلانا فمن بايع امرأ من غير مشورة من المسلمين فإنه لا بيعة له ولا للذي بايعه فلا يغترن أحد فيقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة ألا وإنها كانت فلتة إلا أن الله وقى شرها وليس منكم اليوم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر ألا وإنه كان من خيرنا يوم توفى الله رسوله صلى الله عليه وسلم.

قال الحسن بن أبي الحسن: لما ثقل أبو بكر واستبان له من نفسه، جمع الناس إليه فقال: إنه قد نزل بي ما ترون، وإني لأظنني إلا المأتي (ميتا لما بى)، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدي، ورد عليكم أمركم، فأمروا عليكم من أحببتم، فإنكم إن أمرتم عليكم في حياة مني كان أجدر أن لا تختلفوا بعدي، فقاموا في ذلك وحلوا عليه، ولم يستقم لهم فقالوا: أرأى لنا يا خليفة رسول الله، قال: فلعلكم تختلفون؟، قالوا: لا، قال: فعليكم عهد الله على الرضى، قالوا: نعم، قال: فأمهلوني أنظر لله ولدينه ولعباده، فأرسل أبو بكر إلى عثمان بن عفان قال: أثر علي برجل، والله إنك عندي لها لأهل وموضع، قال:عمر، فقال:اكتب، وكتب حتى انتهى إلى الاسم فغشي عليه ثم أفاق، فقال: اكتب عمر. وعن الواقدي عن أشياخه: أن أبا بكر لما اشتد به المرض دعا عبد الرحمن بن عوف، فقال:أخبرني عن عمر بن الخطاب، فقال: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني، فقال أبو بكر: وإن، فقال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه، ثم دعا عثمان فقال: أخبرني عن عمر، فقال: أنت أخبرنا به، قال: على ذلك يا أبا عبد الله، فقال عثمان: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله. فقال أبو بكر: يرحمك الله، والله لو تركته ما عدوتك. وشاور معهما سعيد بن زيد، وأسيد بن الحضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم وسمعه بعضهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فدخلوا على أبي بكر، فقال له قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلاف عمر علينا وقد ترى غلظته؟، فقال أبو بكر: أجلسوني، أبالله تخوفوني! خاب من تزود من أمركم بظلم أقول: اللهم استخلفت عليهم خير أهلك، أبلغ عني ما قلت من ورائك، ثم اضطجع. عن أم المؤمنين عائشة قالت: كتب أبي وصيته سطرين:﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ، عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الدُّنْيَا، حِينَ يُؤْمِنُ الْكَافِرُ، وَيَتَّقِي الْفَاجِرُ، وَيَصْدُقُ الْكَاذِبُ: إِنِّي اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَإِنْ يَعْدِلْ فَذَاكَ ظَنِّي بِهِ، وَرَجَائِي فِيهِ، وَإِنْ يَجُرْ وَيُبَدِّلْ فَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء]

روى أن عمر استشار الناس في تدوين الدواوين، فقال علي بن أبي طالب: تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من المال ولا تمسك منه شيئا. وقال عثمان بن عفان: أرى مالا كثيرا يسع الناس، وإن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ حشيت أن ينتشر الأمر. فقال خالد بن الوليد: قد كنت بالشام فرأيت ملوكها دونوا ديوانا وجندوا جنودا فدون ديوانا وجند جنودا. فأخذ بقوله. ودعا عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم، وكانوا من نبهاء قريش وأعلمهم بأنسابهم فقال: اكتبوا الناس على منازلهم. فبدءوا ببني هاشم فكتبوهم ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ثم عمر وقومه، وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة، ثم دفعوه إلى عمر، فلما نظر فيه قال: لا، وددت أنه كان هكذا، ولكن ابدءوا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأقرب ثم الأقرب، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله تعالى، فشكره العباس على ذلك وقال: وصلتك رحم. فروى زيد بن أسلم عن أبيه: أن بني عدي جاءوا إلى عمر فقالوا: إنك خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفة أبي بكر، وأبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم الذين كتبوا؟ فقال: بخ بخ يا بني عدي، أردتم الأكل على ظهري وأن أهب حسناتي لكم، لا والله حتى تأتيكم الدعوة وإن انطبق عليكم الدفتر، يعني لو أن تكتبوا آخر الناس- إن لي لصاحبين سلكا طريقا، فإن خالفتهما خولف بي، والله ما أدركنا الفضل في الدنيا، ولا نرجو الثواب في الآخرة على عملنا إلا بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو شرفنا، وقومه أشرف العرب، ثم الأقرب بالأقرب، ووالله لئن جاءت الأعاجم بعمل وجئنا بغير عمل، لهم أولى برسول الله صلى الله عليه وسلم منا يوم القيامة، فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه.

عن ابن عمر، قال: ﴿حَضَرْتُ أَبِي حِينَ أُصِيبَ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ، وَقَالُوا: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، فَقَالَ: رَاغِبٌ وَرَاهِبٌ، قَالُوا: اسْتَخْلِفْ، فَقَالَ: أَتَحَمَّلُ أَمْرَكُمْ حَيًّا وَمَيِّتًا، لَوَدِدْتُ أَنَّ حَظِّي مِنْهَا الْكَفَافُ، لَا عَلَيَّ وَلَا لِي، فَإِنْ أَسْتَخْلِفْ فَقَدِ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي - يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ - وَإِنْ أَتْرُكْكُمْ فَقَدْ تَرَكَكُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حِينَ ذَكَرَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُ مُسْتَخْلِفٍ﴾ وقد جعلها شورى في ستة من الصحابة، يختاروا رجلا منهم.

عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ سَكَتَ﴾ قال حبيب: فلما قام عمر بن عبد العزيز كتبت إليه بهذا الحديث أذكره إياه، وقلت: أرجو أن تكون أمير المؤمنين بعد الملك العاض والجبرية، فسر به وأعجبه، يعني عمر بن عبد العزيز. وللحديث شاهد عن سفينة مولى أم سلمة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ ثم قال سفينة: امسك عليك خلافة أبي بكر، ثم قال: وخلافة عمر وخلافة عثمان، ثم قال لي: امسك خلافة علي قال: فوجدناها ثلاثين سنة. وعن ابن شوذب قال: كان معاوية يقول أنا أول الملوك وآخر خليفة، قلت: والسنة أن يقال لمعاوية ملك، ولا يقال له خليفة لحديث سفينة.

أما عن معنى الحديث: فالخلافة على منهاج النبوة هي خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، كما هو ظاهر الروايات. أما الملك العضوض، فالمراد به التعسف والظلم. قال ابن الأثير في النهاية: (ثم يكون ملك عضوض) أي يصيب الرعية فيه عسْفٌ وظُلْم، كأنهم يُعَضُّون فيه عَضًّا. والعَضُوض: من أبْنية المُبالغة. وفي رواية ﴿ثُمَّ يَكُونُ مُلْك عَضُوضٌ﴾ وهو جمع عِضٍّ بالكسر، وهو الحَيَّةُ الذَّرِسُ. ومن الأول حديث أبي بكر﴿وسَتَرَون بَعْدِي مُلْكا عَضُوضاً﴾ وأما الملك الجبري، فالمراد به الملك بالقهر والجبر. قال ابن الأثير في النهاية: ثم يكون مُلك وجَبَرُوت، أي عُتُوّ وقَهْر. أما عن تحقق ما في الحديث، فقد تقدم أن من السلف من جعله قد تحقق في جميع مراحله، وأن الخلافة الأخرى التي على منهاج النبوة، هي خلافة عمر بن عبد العزيز. لكن الألباني قال في السلسلة الصحيحة: ومن البعيد عندي جعل الحديث على عمر بن عبد العزيز؛ لأن خلافته كانت قريبة العهد بالخلافة الراشدة، ولم يكن بعد ملكان ملك عاض وملك جبري والله أعلم.

واليوم قد تجاوزنا بمراحل الملكان العضوض والجبري ونحن الآن في حالة غريبة من الانحطاط والاستدمار بالوكالة يقودها عسكر عميل خسيس الطبع وعائلات هجينة مخابر الغرب، أشبه ما تكون بملوك الطوائف. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشَرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَغْلُولًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ فَكَّهُ بِرُّهُ، أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ أَوَّلُهَا مَلَامَةٌ وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ وَآخِرُهَا خِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وأبي مسلم الخولاني (١) [٥٥٢]

تذكر كتب التاريخ موقف أبي مسلم الخولاني[1]، رحمه الله، من الخليفة معاوية[2] عندما حبس العطاء شهرين أو ثلاثة عن بعض المسلمين. فقام إليه أبو مسلم وقال: يا معاوية، إنه ليس من كدك ولا كد أبيك ولا من كد أمك. فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال للحاضرين: مكانكم، وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل. فقال: إن أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني، وإني سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم يقول:﴿الْغَضَبُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالشَّيْطَانُ مِنَ النَّارِ وَالْمَاءُ يُطْفِئُ النَّارَ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَغْتَسِلْ﴾ وإني دخلت فاغتسلت، وصدق أبو مسلم أنه ليس من كدي ولا من كد أبي، هلموا إلى عطائكم.

عن شرحبيل بن مسلم[3] قال: أن الأسود العنسي[4] تنبأ باليمن، فبعث إلى أبي مسلم، فأتاه بنار عظيمة، ثم ألقى أبا مسلم فيها، فلم تضره، فقيل للأسود: إن تنف هذا عنك أفسد عليك من اتبعك، فأمره بالرحيل، فقدم المدينة وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأناخ راحلته ودخل المسجد يصلي، فبصر به عمر، فقام إليه فقال: ممن الرجل؟ قال: من اليمن، فقال: ما فعل الذي حرقه الكذاب بالنار؟ قال: ذاك عبد الله بن ثوب، قال: فنشدتك بالله أنت هو؟ قال: اللهم نعم، فاعتنقه عمر وبكى، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين الصديق وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد من صنع به كما صنع بإبراهيم الخليل.

عن شرحبيل بن مسلم الخولاني أنه كان إذا دخل الروم لا يزال في المقدمة، حتى يؤذن للناس، فإذا أذن لهم كان في الساقة، وكانت الولاة يتيمنون به، فيؤمرونه على المقدمات. قال عطية بن قيس[5]: دخل أناس من أهل دمشق على أبي مسلم وهو غاز في أرض الروم، وقد احتفر جورة في فسطاطه*، وجعل فيها نطعا، وأفرغ فيه الماء، وهو يتصلق فيه*، قالوا: ما حملك على الصيام وأنت مسافر؟ قال: لو حضر قتال لأفطرت ولتهيأت له وتقويت، إن الخيل لا تجري الغايات* وهي بدن، إنما تجري وهي ضمر، ألا وإن أمامنا باقية جائية*، لها نعمل.

* (الفسطاط) البيت من الشعر (تصلق) تقلب وتلوى على جنبيه (الغايات) النهايات. (جورة) حفرة . جاء في كتاب تاريخ الاسلام: (ألا وإن أيامنا باقية جائية، لها نعمل). وفي كتاب الحلية: (بين أيدينا أياما لها نعمل)

---

(1) أبو مسلم الخولاني الداراني الزاهد، سيد التابعين بالشام. و اسمه: عبد الله بن ثوب، وقد أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم المدينة في خلافة أبي بكر. قال سعيد بن عبد العزيز: توفي أبو مسلم بأرض الروم، وكان قد شتى مع بسر بن أبي أرطأة، فأدركه أجله، فأتاه بسر في مرضه، فقال له أبو مسلم: اعقد لي على من مات في هذه الغزاة من المسلمين، فإني أرجو أن آتي بهم يوم القيامة على لوائهم. قال المفضل بن غسان: توفي علقمة وأبو مسلم الخولاني سنة 62 هـ.

(3) شرحبيل بن مسلم الخولاني الشامي. روى عن عتبة بن عبد، والمقدام بن معدي كرب، وأبي أمامة الباهلي، وجماعة. وروى عنه: ثور بن يزيد، وحريز بن عثمان، وإسماعيل بن عياش. [الوفاة: 121 = 130 هـ]

(5) عطية بن قيس الكلابي مولى لابي بكر بن كلاب، أبويحيى. الإمام، القانت، مقرئ دمشق مع ابن عامر، أبو يحيى الكلبي، الدمشقي، المذبوح. ولد سنة 7 هـ وتوفي سنة 110 هـ. وقيل سنة 121 هـ وهو بن مائة سنة وأربع سنين.

(2) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام، وهم أربعة عشر ملكا ومدة حكمهم نيف وتسعون سنة ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر وقيل بسبع وقيل بثلاث عشرة وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

(4) عبهلة بن كعب بن غوث العنسي المذحجي المعروف بالأسود وبذي الخمار وهو مدعي للنبوة، قتله فيروز أبو الضحاك الديلمي سنة 11 هـ

روى أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له:﴿يَا مُحَمَّدُ املأ بِي هَذِهِ تَمراً وَسَوِيْقاً فإنك لَسْت تُعْطِي مِنْ مَالِكَ وَلاَ مِن مَالِ أَبِيكَ. فَقَالَ لهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَعِدْ عَلَيَّ مَا قُلْتَ، فَأَعَادَ كَلاَمِه. فَقَالَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَدَقْتَ امْلَئُوا لهُ تَمراً وَسَوِيْقاً لَسْتُ أُعْطِي مِنْ مَالِي، إِنَّمَا هُوَ من مَالِ الله عَزَّ وَجَلَّ﴾ (السويق) الدقيق. وعن سعيد بن المسيب، قال: قسم عمر عليه السلام يوما مالا، فجعلوا يثنون عليه، فقال: ما أحمقكم، لو كان هذا لي ما أعطيتكم منه درهما واحدا. وعن أبي عثمان، قال:﴿كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ وَنَحْنُ بِأَذْرَبِيجَانَ: يَا عُتْبَةُ بْنَ فَرْقَدٍ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَدِّكَ، وَلَا مِنْ كَدِّ أَبِيكَ، وَلَا مِنْ كَدِّ أُمِّكَ، فَأَشْبِعِ الْمُسْلِمِينَ فِي رِحَالِهِمْ مِمَّا تَشْبَعُ مِنْهُ فِي رَحْلِكَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ، وَزِيَّ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَلُبُوسَ الْحَرِيرِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ لُبُوسِ الْحَرِيرِ، قَالَ: إِلَّا هَكَذَا، وَرَفَعَ لَنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِصْبَعَيْهِ الْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةَ وَضَمَّهُمَا، قَالَ زُهَيْرٌ: قَالَ عَاصِمٌ: هَذَا فِي الْكِتَابِ، قَالَ: وَرَفَعَ زُهَيْرٌ إِصْبَعَيْهِ﴾ وعن خولة بنت ثامر الأنصارية، أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (إن رجالا) أي من العمال وغيرهم (يتخوضون) يشرعون ويدخلون ويتصرفون (في مال الله) أي ما في بيت المال (بغير حق) أي بغير إذن من الإمام، فيأخذون منه أكثر من أجرة عملهم (فلهم النار يوم القيامة) وعن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ، فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا، فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ﴾(من استعملناه) أي جعلناه عاملا (على عمل) أي من أعمال الولاية والإمارة (فرزقناه) أي فأعطيناه (رزقا) أي مقدارا معينا (فما أخذ بعد ذلك) جزاء الشرط، (فهو غلول) أي خيانة في الغنيمة وفي مال الفيء. وعن أبي حميد الساعدي قال:﴿اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنْ الْأَزْدِ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ يُدْعَى ابْنَ الْأُتْبِيَّةِ فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ قَالَ هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا ثُمَّ خَطَبَنَا فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللهُ فَيَأْتِي فَيَقُولُ هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ إِنْ كَانَ صَادِقًا وَاللهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ اللهَ تَعَالَى يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَأَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ أَوْ شَاةً تَيْعَرُ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ بَصُرَ عَيْنِي وَسَمِعَ أُذُنِي﴾ وعن معاذ، قال:﴿بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ، فَلَمَّا سِرْتُ، أَرْسَلَ فِي أَثَرِي، فَرُدِدْتُ. فَقَالَ: أَتَدْرِي لِمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ؟ لَا تُصِيبَنَّ شَيْئًا بِغَيْرِ إِذْنِي، فَإِنَّهُ غُلُولٌ. وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [آل عمران] لِهَذَا دَعَوْتُكَ فَامْضِ لِعَمَلِكَ﴾ (لا تصيبن) أي لا تأخذن (شيئا بغير إذني فإنه) أي ذلك الأخذ (غلول) أي خيانة. قال الطيبي: أراد بما غل الحديث:عن أبي هريرة ، قال:﴿قَامَ فِينَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَذَكَرَ الْغُلُولَ، فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثُمَّ قَالَ: لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاحٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ﴾(لا ألفين) أي لا أجدن أحدكم على هذه الصفة ومعناه لا تعملوا عملا أجدكم بسببه على هذه الصفة (رغاء) الرغاء صوت البعير (حمحمة) هي صوت الفرس دون الصهيل (ثغاء) هو صوت الشاة (صياح) هو صوت الإنسان (رقاع) جمع رقعة والمراد بها هنا الثياب (تخفق) تضطرب (صامت) الصامت من المال الذهب والفضة، والمعنى إن كل شيء يغله الغال يجيء يوم القيامة حاملا له ليفتضح به على رؤوس الأشهاد سواء كان هذا المغلول حيوانا أو إنسانا أو ثيابا أو ذهبا وفضة وهذا تفسير وبيان لقوله تعالى:﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران] وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ شَفَعَ لِأَحَدٍ شَفَاعَةً، فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً عَلَيْهَا، فَقَبِلَهَا؛ فَقَدْ أَتَى بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ الرِّبَا﴾ (فقد أتى) أي القابل (بابا) أي نوعا. وعن المستورد بن شداد، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ كَانَ لَنَا عَامِلًا فَلْيَكْتَسِبْ زَوْجَةً، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ خَادِمٌ فَلْيَكْتَسِبْ خَادِمًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَسْكَنٌ فَلْيَكْتَسِبْ مَسْكَنًا –وفي رواية–: مَنِ اتَّخَذَ غَيْرَ ذَلِكَ فَهُوَ غَالٌّ﴾ قال المظهر: أي يحل له أن يأخذ مما في تصرفه في مال بيت المال قدر مهر زوجة ونفقتها وكسوتها، وكذلك ما لابد منه من غير إسراف وتنعم، فإن أخذ أكثر ما يحتاج إليه ضرورة فهو حرام عليه. قال الطيبي: وإنما وضع الاكتساب موضع العمالة والأجرة حسما لطمعه. قال ابن عباس: ﴿مَا ظَهَرَ الْغُلُولُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا أُلْقِيَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبُ وَلَا فَشَا الزِّنَا فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا كَثُرَ فِيهِمُ الْمَوْتُ وَلَا نَقَصَ قَوْمٌ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا قُطِعَ عَنْهُمُ الرِّزْقُ وَلَا حَكَمَ قَوْمٌ بِغَيْرِ الْحَقِّ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الدَّمُ وَلَا خَتَرَ قَوْمٌ بِالْعَهْدِ إِلَّا سُلِّطَ عَلَيْهِمُ الْعَدُوُّ﴾وعن عدي بن عميرة الكندي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عُمِّلَ مِنْكُمْ لَنَا عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمَنَا مِنْهُ مِخْيَطًا فَمَا فَوْقَهُ فَهُوَ غَالٌّ، يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اقْبَلْ عَنِّي عَمَلَكَ. قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ سَمِعْتُكَ تَقُولُ: كَذَا وَكَذَا قَالَ: وَأَنَا أَقُولُ ذَلِكَ، مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ؛ فَلْيَأْتِ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَهُ، وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهَى﴾ (من عمل) أي جعل عاملا (منكم لنا على عمل فكتمنا منه) أي دس عنا من حاصل عمله (مخيطا) أي إبرة (فما فوقه) أي في القلة، أو الكثرة إلى الصغر، أو الكبر(غال) أي خائن (يأتي به) أي بالمخيط فما فوقه، أو بما غل به (يوم القيامة) أي على عنقه تفضيحا وتشهيرا له بين العباد على رؤوس الأشهاد (فقام رجل من الأنصار) خوفا على نفسه من الهلاك والبوار (اقبل عني عملك) أي أقلني منه (قال: وما ذاك؟) إشارة إلى ما في الذهن: ما حملك على هذا القول؟ (قال: سمعتك تقول كذا وكذا) أي في الوعيد على العمل وهو لا يخلو عن الزلل (قال: وأنا أقول ذلك) يعني أنا أقول ذلك ولا أرجع عنه، فمن استطاع أن يعمل فليعمل، ومن لم يستطع فليترك. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ذكر غنائم هوازن وقال:﴿ثُمَّ دَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَعِيرٍ فَأَخَذَ وَبَرَةً مِنْ سَنَامِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَيْسَ لِي مِنْ هَذَا الْفَيْءِ شَيْءٌ وَلَا هَذَا وَرَفَعَ أُصْبُعَيْهِ: إِلَّا الْخُمُسُ وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ، فَأَدُّوا الْخَيْطَ وَالْمِخْيَطَ، فَقَامَ رَجُلٌ فِي يَدِهِ كُبَّةٌ مِنْ شَعَرٍ فَقَالَ: أَخَذْتُ هَذِهِ لِأُصْلِحَ بِهَا بُرْدَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكَ فَقَالَ: أَمَّا إِذْ بَلَغَتْ مَا أَرَى فَلَا أَرَبَ لِي فِيهَا، وَنَبَذَهَا﴾.

مراجع: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ سراج الملوك/ مسند أحمد/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ صحيح مسلم/ سنن أبي داود/ أخبار الشيوخ وأخلاقهم/ سير أعلام النبلاء

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وأبو مسلم الخولاني (٢) [٥٥٣]

عن أبي عبد الله الحرسي [1]، وكان من حرس عمر بن عبد العزيز [2] قال: دخل أبو مسلم الخولاني [3] على معاوية بن أبي سفيان [4]،فقال: السلام عليك أيها الأجير. فقال الناس: مه، الأمير يا أبا مسلم. ثم قال: السلام عليك أيها الأجير. فقال الناس: الأمير. فقال معاوية: دعوا أبا مسلم فهو أعلم بما يقول. فقال أبو مسلم: إنما مثلك مثل رجل استأجر أجيرا فولاه ماشيته وجعل له الأجر على أن يحسن الرعية، ويوفر جزازها وألبانها، فإن هو أحسن رعيتها ووفر جزازها حتى تلحق الصغيرة وتسمن العجفاء أعطاه أجره وزاده زيادة، وإن هو لم يحسن رعيتها وأضاعها حتى تهلك العجفاء وتعجف السمينة ولم يوفر جزازها وألبانها غضب عليه فعاقبه ولم يعطه الأجر. فقال معاوية: ما شاء الله كان.

قال هشام بن الغاز، حدثني يونس بن الهرم، أن أبا مسلم الخولاني قام إلى معاوية وهو على المنبر، فقال: يا معاوية، إنما أنت قبر من القبور، إن جئت بشيء كان لك شيء، وإلا فلا شيء لك، يا معاوية، لا تحسب أن الخلافة جمع المال وتفرقته، إنما الخلافة القول بالحق، والعمل بالمعدلة، وأخذ الناس في ذات الله، يا معاوية، إنا لا نبالي بكدر الأنهار إذا صفا لنا رأس عيننا، إياك أن تميل على قبيلة، فيذهب حيفك بعدلك، ثم جلس. فقال له معاوية: يرحمك الله يا أبا مسلم.

وعن أبي إدريس الخولاني، قال: دخل معاوية على أبي مسلم الخولاني يعوده، فلم يعرفه فقال: يا أبا مسلم، أما تعرفني؟ أتجهلني؟ سل يا أبا مسلم أمير المؤمنين؟ قال: فقال له: اعلم أنك لو وليت أمر الأمة فعدلت، إلا على قبيلة هي أذلها وأحقرها، مال حيفك بعدلك، فاستقم كما أمرت.

عن أبي قلابة [5]،عن أبي مسلم الخولاني، قال: مثل الإمام كمثل عين عظيمة صافية طيبة الماء يجري منها إلى نهر عظيم فيخوض الناس النهر فيكدرونه ويعود عليهم صفو العين فإن كان الكدر من قبل العين فسد النهر قال: ومثل الإمام ومثل الناس كمثل فسطاط لا يستقل إلا بعمود لا يقوم العمود إلا بالأطناب أو قال بالأوتاد فكلما نزع وتدا زاد العمود وهنا لا يصلح الناس إلا بالإمام ولا يصلح الإمام إلا بالناس.

حدث أبو حسن، أن عمرو بن مرة [6]، قال لمعاوية: يا معاوية إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَا مِنْ إِمَامٍ أَوْ وَالٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْخَلَّةِ، وَالْمَسْكَنَةِ، إِلَّا أَغْلَقَ اللهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ، دُونَ حَاجَتِهِ، وَخَلَّتِهِ، وَمَسْكَنَتِهِ﴾ قال، فجعل معاوية رجلا على حوائج الناس. (ما من إمام يغلق بابه) أي يحتجب ويمتنع من الخروج عند احتياجهم إليه، والخلة: الحاجة والفقر. فالحاجة والخلة والمسكنة ألفاظ متقاربة وإنما ذكرها للتأكيد والمبالغة (إلا أغلق الله أبواب السماء) أي أبعده ومنعه عما يبتغيه من الأمور الدينية أو الدنيوية فلا يجد سبيلا إلى حاجة من حاجاته الضرورية.

قال معاوية يوما: أيها الناس، إن الله فضل قريشا بثلاث: فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء] فنحن عشيرته؛ وقال:﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف] فنحن قومه؛ وقال: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش] ونحن قريش! فأجابه رجل من الأنصار [7] فقال: على رسلك يا معاوية، فإن الله يقول: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ [الأنعام] وأنتم قومه؛ وقال: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف] وأنتم قومه، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان] وأنتم قومه؛ ثلاثة بثلاثة، ولو زدتنا لزدناك! فأفحمه.

---

(3) أبو مسلم الخولاني الداراني الزاهد، سيد التابعين بالشام. و اسمه: عبد الله بن ثوب، وقد أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم المدينة في خلافة أبي بكر.قال سعيد بن عبد العزيز: توفي أبو مسلم بأرض الروم، وكان قد شتى مع بسر بن أبي أرطأة، فأدركه أجله، فأتاه بسر في مرضه، فقال له أبو مسلم: اعقد لي على من مات في هذه الغزاة من المسلمين، فإني أرجو أن آتي بهم يوم القيامة على لوائهم. قال المفضل بن غسان: توفي علقمة وأبو مسلم الخولاني سنة 62 هـ.

(6) عمرو بن مرة الجهني، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . كنيته أبو طلحة، وقيل: أبو مريم، وهو عمرو بن مرة بن عبس بن مالك بن المحرث بن مازن بن سعد بن مالك بن رفاعة ابن نصر بن غطفان بن قيس بن جهينة، وقيل غير ذلك في نسبه، وقيل: الأزدي، وقيل: إن أبا مريم الأزدي آخر. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم. روى عنه حجر بن مالك بن أبي مريم الكندي، وسبرة ابن معبد، وقيل: الربيع بن سبرة بن معبد الجهني، وعبد الرحمن ابن الغاز بن ربيعة الجرشي، وعيسى بن طلحة بن عبيد الله، ومضرس بن عثمان الجهني والد عثمان بن مضرس، وعمر بن مضرس، وياسر بن سويد الرهاوي، وأبو الحسن الجزري . مات في خلافة معاوية وقيل مات بالشام في خلافة عبد الملك.

(2) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

(5) أبو قلابة الجرمي اسمه عبد الله بن زيد من عباد التابعين وزهادهم ممن هرب من البصرة مخافة ان يولى القضاء فدخل الشام يأوى الرباطات ويكون في الثغور ومعه بنى له إلى ان اعتل علة صعبة فذهبت يداه ورجلاه وبصره فما كان يزيد على اللهم اوزعني ان احمدك حمدا اكافى به شكر نعمتك التي انعمت على وفضلتني على كثير ممن خلقته تفضيلا ومات سنة 104 هـ و قيل بعدها. روى عن عائشة، وابن عمر، ومالك بن الحويرث، وعمرو بن سلمة، وسمرة بن جندب، والنعمان بن بشير، وثابت بن الضحاك، وأنس بن مالك الأنصاري، وأنس بن مالك الكعبي، وخلق. وعنه قتادة، وأيوب، ويحيى بن أبي كثير، وخالد الحذاء، وحميد الطويل، وآخرون.

(4) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي ، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام، وهم أربعة عشر ملكا ومدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

(1) محمد بن موسى بن نفيع الحرشي البصري، أبو عبد الله. روى عنه الترمذي، والنسائي، وأحمد بن عمرو البزار، والحسين بن إسحاق التستري، والقاسم المطرز، وعمر بن محمد بن بجير، وابن صاعد، وطائفة. روى عن حماد بن زيد، وجعفر بن سليمان، ومحمد بن ثابت العبدي، وسهيل بن أبي حزم، وفضيل بن سليمان، وطائفة. توفي سنة 248هـ.

(7) الأنصار هم أهل المدينة من الأوس والخزرج الذين نصروا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

عن عبد الله بن مسعود، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ﴾ وعن هشام، عن الحسن قال:﴿أَتَيْنَا مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ نَعُودُهُ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا عُبَيْدُ اللهِ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ وعنه قال:﴿مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ﴾ (لو علمت أن لي حياة ما حدثتك) وفي رواية أخرى(لولا أني في الموت لم أحدثك به)، يحتمل أنه كان يخافه على نفسه قبل هذا الحال ورأى وجوب تبليغ العلم عنده قبل موته لئلا يكون مضيعا له وقد أمرنا كلنا بالتبليغ (يسترعيه رعية) يستحفظه عليها (لم يحطها) لم يتعهد أمرها ويحفظها (لم يجد رائحة الجنة) لم يشم رائحتها وهو كناية عن عدم دخولها إن استحل ذلك أو تأخر دخوله إن اعتقد حرمة فعله (غاش لهم) لم يقم فيهم بالعدل ولم يأخذهم بشرع الله عز وجل وأمره ونهيه (حرم. .) أنفذ عليه الوعيد ولم يرض عنه المظلومين. قال ابن بطال هذا وعيد شديد على أئمة الجور فمن ضيع من استرعاه الله أو خانهم أو ظلمهم فقد توجه إليه الطلب بمظالم العباد يوم القيامة فكيف يقدر على التحلل من ظلم أمة عظيمة. وعن جابر بن عبد الله قال: بلغني حديث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتعت بعيرا فشددت عليه رحلي ثم سرت إليه شهرا حتى قدمت الشام فإذا هو عبد الله بن أنيس الأنصاري فأتيت منزله فأرسلت إليه أن جابرا على الباب فرجع إلي الرسول فقال: جابر بن عبد الله؟ فقلت: نعم فرجع إليه فخرج فاعتنقته واعتنقني قال: قلت: ما حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المظالم لم أسمعه قال:﴿سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:يَحْشُرُ اللهُ الْعِبَادَ- أَوْ قَالَ النَّاسَ، شَكَّ هَمَّامٌ [1]، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّامِ- عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا. قُلْنَا: مَا بُهْمٌ؟ قَالَ: لَيْسَ معهم شي فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ وَمَنْ بَعُدَ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلِمَةٍ وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلِمَةٍ حَتَّى اللَّطْمَةِ. قَالَ قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّمَا نَأْتِي اللهَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا؟. قَالَ: بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ وعن أبي أمامة قال:﴿يُجِيءُ الظَّالِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ بَيْنَ الظِّلَّاءِ وَالْوُعْرَةِ، لَقِيَهُ الْمَظْلُومُ، وَعَرَّفَهُ، وَعَرَّفَ مَا ظَلَمَهُ بِهِ، فَيَا يَرَحُ الَّذِينَ ظُلِمُوا بِالَّذِينَ ظَلَمُوا حَتَّى يَنْتَزِعُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا حَسَنَاتٍ رُدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ مِثْلُ مَا ظَلَمُوا حَتَّى يُورَدُوا فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَا يَسْتَرْعِي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَبْدًا رَعِيَّةً، فَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ، إِلَّا سَأَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَقَامَ فِيهِمْ أَمْرَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمْ أَضَاعَهُ؟ حَتَّى يَسْأَلَهُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ خَاصَّةً﴾.

(همام) هو همام بن يحيى، أحد رجال سند هذا الحديث

مراجع: صحيح مسلم/ أخبار الشيوخ وأخلاقهم/ صحيح البخاري/ مسند أحمد/ هل يعتبر القراءة بمصرع من سبقهم؟/ كنز العمال/ العقد الفريد/ تفسير القرطبي/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وعبد الله بن عمر بن الخطاب [004]

لما استقر الأمر لمعاوية دسّ عمرو بن العاص[1] وهو يريد أن يعلم ما في نفس ابن عمر[2] من أمر الخلافة، فقال عمرو: يا أبا عبد الرحمن! ما يمنعك أن تخرج تبايعك الناس وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أمير المؤمنين، وأنت أحق الناس بهذا الأمر؟ فقال ابن عمر: قد اجتمع الناس كلهم على ما تقول؟ قال: نعم إلا نفر يسير. قال: لو لم يبق إلا ثلاثة أعلاج بهجر لم يكن لي فيها حاجة فعلم أن لا مطمع له في الخلافة، فقال عمرو: هل لك أن تبايع لمن قد كاد الناس أن يجتمعوا عليه، ويكتب لك من الأرضين ومن الأموال ما لا تحتاج أنت ولا ولدك إلى ما بعده؟، فغضب ابن عمر، وقال: أُفٍّ لك. اخرج من عندي. ويحك! إن ديني ليس بدياركم ولا درهمكم وإني أرجو أن أخرج من الدنيا ويدي بيضاء نقية.

قال نافع: دخل ابن عمر الكعبة فسمعته وهو ساجد يقول: قد تعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك.

قال خالد بن سمير:[3] قيل لابن عمر: لو أقمت للناس أمرهم فإن الناس قد رضوا بك كلهم. فقال لهم: أرأيتم إن خالف رجل رجل بالمشرق؟ قالوا: إن خالف رجل قتل. وما قتل رجل في صلاح الأمة؟ فقال: والله ما أحب لو أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخذت بقائمة رمح وأخذت بزجه فقتل رجل من المسلمين ولي الدنيا وما فيها. قال أيوب عن أبي العالية البراء: كنت أمشي خلف ابن عمر وهو لا يشعر وهو يقول: واضعين سيوفهم على عواتقهم يقتل بعضهم بعضا يقولون يا عبد الله بن عمر أعط بيدك. قال أبو عوانة عن مغيرة عن قطن: أتى رجل ابن عمر فقال: ما أحد شر لأمة محمد منك. قال: لم؟ فو الله ما سفكت دماءهم ولا فرقت جماعتهم ولا شققت عصاهم. قال: إنك لو شئت ما اختلف فيك اثنان.قال: ما أحب أنها أتتني ورجل يقول لا وآخر يقول بلى.

روى البخاري[4] في صحيحه: عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلا جاءه، فقال: يا أبا عبد الرحمن ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات] إلى آخر الآية، فما يمنعك أن لا تقاتل كما ذكر الله في كتابه؟ فقال: يا ابن أخي، أعير بهذه الآية ولا أقاتل أحب إلي من أعير بهذه الآية التي يقول الله تعالى:﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ [النساء] إلى آخرها. قال: فإن الله يقول:﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال] قال ابن عمر: قد فعلنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان الإسلام قليلا، فكان الرجل يفتن في دينه: إما يقتلوه، وإما يوثقوه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة. فلما رأى أنه لا يوافقه فيما يريد قال: فما قولك في علي وعثمان؟ قال ابن عمر: ما قولي في علي وعثمان؟ أما عثمان فكان الله قد عفا عنه، فكرهتم أن يعفو عنه. وأما علي فابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه – وأشار بيده – وهذه ابنته، أو بنته حيث ترون. وفي رواية: قال: هذا بيته حيث ترون.

قال سلام بن مسكين: سمعت الحسن يحدث قال: لما قتل عثمان بن عفان قالوا لعبد الله بن عمر: إنك سيد الناس وابن سيد الناس فاخرج نبايع لك الناس. قال: إني والله لئن استطعت لا يهراق في سببي محجمة من دم. فقالوا: لتخرجن أو لنقتلنك على فراشك. فقال لهم مثل قوله الأول. قال الحسن: فأطمعوه وخوفوه فما استقبلوا منه شيئا حتى لحق بالله.

أتى رجلان في فتنة ابن الزبير إلى ابن عمر فقالا: إن الناس قد صنعوا ما ترى وأنت ابن عمر بن الخطاب وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما يمنعك أن تخرج؟ قال: يمنعني الله أن حرم علي دم المسلم، قالوا: أو لم يقل الله:﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال] قال: قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة، ويكون الدين لغير الله.

عن محمد بن عجلان قال سمعت القعقاع بن حكيم[5] يحدث عن عبدالله بن عمر أن عبد العزيز بن مروان[6] كتب إليه أن ارفع إلي حاجتك فكتب إليه عبدالله بن عمر يقول إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿ابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ. وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى﴾ وإني لا أحسب اليد العليا إلا المعطية ولا السفلى إلا السائلة وإني غير سائلك شيئا ولا رادا رزقا ساقه الله إلي منك والسلام. وعن جعفر بن محمد، عن نافع، قال: كان المختار يبعث بالمال إلى ابن عمر فيقبله ويقول: لا أسأل أحدا شيئا، ولا أرد ما رزقني الله.

---

(2) عبد الله بن عمر بن الخطاب، القرشي العدوي؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه، وكان من أهل الورع والعلم، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه وكل ما تأخذ به نفسه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وهو ابن 84 سنة، وكان قد أوصى أن يدفن في الليل ، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين.

(4) محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف. الجعفي بالولاء، البخاري الحافظ الإمام في علم الحديث، صاحب الجامع الصحيح والتاريخ. كنيته أبو عبد الله، كانت ولادته يوم الجمعة بعد الصلاة، لثلاث عشرة، وقيل 12 ليلة خلت من شوال سنة 194 هـ. وتوفي ليلة السبت بعد صلاة العشاء، وكانت ليلة عيد الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر، سنة 256 هـ بخرتنك (قرية من قرى سمرقند)، وكان شيخا نحيف الجسم، لا بالطويل ولا بالقصير. وقد اختلف في اسم جده، فقيل إنه يزذبه. وقيل هو: يزدزبه، والله أعلم، وقال غيره: هذا الجد مجوسيا مات على دينه، وأول من أسلم منهم المغيرة، ووجدته في موضع آخر عوض يزذبه الأحنف ولعل يزذبه كان أحنف الرجل، والله أعلم.

(5) القعقاع بن حكيم، المدني، الكناني. من متقني أهل المدينة وصالحيهم، روى عن جابر بن عبد الله، وذكوان أبي صالح السمان وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن وعلة المصري، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأبي هريرة، وقيل لم يلقه، وأبي يونس مولى عائشة، ورميثة بنت حكيم، وسلمى أم رافع، وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم. روى عنه أبان بن صالح، وجعفر بن عبد الله بن الحكم الأنصاري، وزيد بن أسلم، وسعيد المقبري، وسمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن، وسهيل بن أبي صالح، وعمرو بن دينار،ومحمد بن عجلان. قال القعقاع بن حكيم قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو أتاني ما أحببت تأخر شيء عن شيء.

(1) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، فخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر. وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم.

(3) خالد بن سمير السدوسي بصري يروي عن بن عمر وأنس بن مالك روى عنه الأسود بن شيبان

(6) عبد العزيز بن مروان ابن الحكم، أبو الأصبغ المدني ولي العهد بعد أخوه عبد الملك. استقل بملك مصر 20 سنة وزيادة. ولد سنة 27 هـ ومات سنة 85 هـ.أو 86 هـ والأول أصح، وعاش أخوه عبد الملك بعده فلما جاءه نعيه عقد بولاية العهد لابنيه: الوليد ثم سليمان.

❁

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين حفصة بنت عمر:﴿إِنَّ أَخَاكِ عَبْدُ اللهِ رَجُلٌ صَالِحٌ، لَوْ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ؛ فَمَا ترك بَعْدَهَا ابْنُ عُمَرَ قِيَامَ اللَّيْلِ﴾ وعن محمد بن زيد أن أباه أخبره أن عبد الله بن عمر كان له مهراس فيه ماء فيصلي ما قدر له ثم يصير إلى الفراش فيغفي اغفاء الطير ثم يثب فيتوضأ ثم يصلي يفعل ذلك الليلة أربع مرار أو خمس مرار. وعن نافع عن ابن عمر أنه كان يحيي الليل صلاة ثم يقول يا نافع اسحرنا؟ فاقول لا فيعاود الصلاة ثم يقول يا نافع اسحرنا؟ فأقول نعم فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح وعنه عن ابن عمر أنه كان يحيي ما بين الظهر والعصر. وعن جابر بن عبد الله قال ما ادركنا أحدا أو قال ما رأينا أحدا إلا قد مالت به الدنيا أو مال بها إلا عبد الله بن عمر. وعن نافع قال كان ابن عمر إذا قرأ:﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ﴾ [الحديد] بكى حتى يغلبه البكاء. وعن عبد الله بن سبرة قال كان ابن عمر إذا اصبح قال: اللهم اجعلني من اعظم عبادك نصيبا في كل خير تقسمه الغداة ونور تهدي به ورحمة تنشرها ورزق تبسطه وضر تكشفه وبلاء ترفعه وفتنة تصرفها. قال ميمون بن مهران: ما رأيت أورع من ابن عمر، ولا أعلم من ابن عباس. قال سعيد بن المسيب: لو شهدت لأحد أنه من أهل الجنة، لشهدت لعبد الله بن عمر. وعنه قال كان أشبه ولد عمر بعمر عبد الله وأشبه ولد عبد الله بعبد الله سالم. وعن أم المؤمنين عائشة قالت ما رأيت أحدا الزم للامر الأول من عبد الله بن عمر. وعنها قالت ما رأيت أحدا أشبه باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين دفنوا في النهار من عبد الله بن عمر.

وعن قتادة قال سئل ابن عمر عن لا اله إلا الله هل يضر معها عمل كما ينفع مع تركها عمل؟ قال ابن عمر: عش ولا تغير. وعن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحب في الله وابغض في الله وعاد في الله فانك لن تنال ولاية الله إلا بذلك ولا يجد رجل طعم الايمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك وصارت مؤاخاة الناس في أمر الدنيا وإن ذلك لايجزي عند الله شيئا. قال: وقال لي ابن عمر إذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك لسقمك ومن حياتك لموتك فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا. وقال:﴿أَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي أَوْ بِبَعْضِ جَسَدِي فَقَالَ لِي: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا غَرِيبًا أَوْ عَابِرَ سَبِيلٍ وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ﴾ وعن أبي الزناد قال اجتمع في الحجر مصعب وعروة وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر فقالوا تمنوا. فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فاتمنى الخلافة. وقال عروة: أما أنا فاتمنى أن يؤخذ عني العلم. وقال مصعب: أما أنا فاتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين. قال عبد الله بن عمر: أما أنا فاتمنى المغفرة. قال فنالوا ما تمنوا ولعل ابن عمر غفر له. وعن نافع أن رجلا سأل ابن عمر عن مسالة فطأطأ رأسه ولم يجبه حتى ظن الناس أنه لم يسمع مسألته فقال له يرحمك الله أما سمعت مسألتي قال بلى ولكنكم كأنكم ترون أن الله تعالى ليس بسائلنا عما تسألونا عنه اتركنا رحمك الله حتى نتفهم في مسألتك فان كان لها جواب عندنا والا اعلمناك أنه لا علم لنا به. وعن عبد الله بن أبي عثمان قال كان عبد الله بن عمر اعتق جاريته التي يقال لها رميثة فقيل اني سمعت الله عز وجل قال في كتابه:﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران] واني والله إن كنت لاحبك في الدنيا اذهبي فانت حرة لوجه الله. قال سويد بن قيس: بعثني عبد العزيز بن مروان بألف دينار إلى ابن عمر، فجئته بها ففرقها. وعن نافع قال كان ابن عمر إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قربه لربه عز وجل. قال نافع كان رقيقه قد عرفوا ذلك منه فربما شمر أحدهم فلزم المسجد فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال الحسنة اعتقه فيقول له أصحابه يا أبا عبد الرحمن والله ما بهم إلا أن يخدعوك فيقول ابن عمر فمن خدعنا بالله انخدعنا له. وعنه قال اتي ابن عمر ببضعة وعشرين الفا فما قام من مجلسه حتى اعطاها وزاد عليها. قال ولم يزل يعطي حتى انفد ما كان عنده فجاءه بعض من كان يعطيه فاستقرض من بعض من كان اعطاه فاعطاه اياه. وعن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه قال جاء سائل إلى ابن عمر فقال لابنه اعطه دينارا فلما انصرف قال له ابنه تقبل الله منك يا ابتاه فقال لو علمت أن الله يقبل مني سجدة واحدة وصدقة درهم لم يكن غائب أحب إلي من الموت اتدري ممن يتقبل إنما يتقبل الله من المتقين.

مراجع: صفة الصفوة/ وفيات الأعيان/ الطبقات الكبرى/ تاريخ مدينة دمشق/ سير أعلام النبلاء/ حياة الصحابة/ فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه/ مختصر تفسير ابن كثير

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وعبد الله بن عباس [005]

ذكر أنه اجتمع من بني هاشم[1] جماعة عند معاوية يوما فأقبل عليهم فقال: يا بني هاشم والله إن خيري لممنوح وإن بابي لكم لمفتوح فلا يقطع خيري عنكم علة ولا يوصد بأبي دونكم مسألة، وإني نظرت في أمري وأمركم فرأيت أمرا مختلفا: إنكم ترون أنكم أحق بها في يدي مني، وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقوقكم قلتم: أعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا، فصرت كالمسلوب، والمسلوب لا حمد له، هذا مع إنصاف قائلكم وإسعاف سائلكم. قال:فأقبل ابن عباس[2] فقال: أما والله ما منحتنا شيئا حتى سألناه ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه، ولئن قطعت عنا خيرك فالله أوسع خيرا منك، ولئن أغلقت دوننا بابك لنكفن أنفسنا عنك، وأما هذا المال فليس لك منه إلا ما لرجل واحد من المسلمين، ولنا في كتاب الله حقان: حق في الغنيمة وحق في الفيء فالغنيمة ما غلبنا عليه والفيء ما احتسبناه ولولا حقنا في هذا المال لم يأتك منا زائر يحمله خف ولا حافر كفاك أم أزيدك قال: كفاني فإنك لا تهر ولا تنبح. وفي رواية قال: حسبك يا ابن عباس فإنك تكوي ولا تعوي.

➔ (2) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين. توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وله 13 سنة، وكان صلى الله عليه وسلم دعا له فقال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل. وكان حبر الامة ويسمى البحر لغزارة علمه، وكان عمر وعثمان رضي الله عنهما يدعوانه فيشير عليهما مع أهل بدر، وكان يفتي في عهدهما إلى أن مات. أخذ الفقه عن ابن عباس جماعة منهم عطاء بن أبي رباح وطاووس ومجاهد وسعيد بن جبير وعبيد الله بن عبد الله بن مسعود وأبو الشعثاء جابر بن زيد وابن أبي مليكة وعكرمة وميمون بن مهران وعمرو بن دينار وغيره. مات ابن عباس بالطائف في فتنة ابن الزبير. سنة 78 هـ وهو ابن 72 سنة وقد كف بصره، فصلى عليه ابن الحنفية.

➔ (1) الهاشميون أو بنو هاشم إحدى أفخاذ قريش، نسبة إلى هاشم بن عبد مناف (عمرو بن عبد مناف) الجد الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وبنو هاشم هم الذين لا تحل لهم الصدقة، والمراد بهم: آل العباس، وآل الحارث بن عبد المطلب، وآل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، فهؤلاء هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قصر بعض العلماء المنع على بني هاشم، وألحق بهم بعضهم بني المطلب، والمطلب بن عبد مناف هو أخو هاشم بن عبد مناف، ويستدلون على ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من الخمس من سهم ذوي القربى.

اتفق الفقهاء على أن مالك المال العام هم المسلمون، مسلمو الدولة الإسلامية، وأنه لا يختص به أحد دون أحد، وأن ولي الأمر ليس بمالك للمال العام، وأنه فيه بمنزلة أحد الرعية، سوى ما له من حق الأخذ منه قدر كفايته ومن يعول، وحق التصرف فيه بالمصلحة.قال ابن قدامة: مال بيت المال مملوك للمسلمين، وقال أبو عبيد: ومال بيت المال ليس مال الخليفة بل فيء الله، وقال الشوكاني: بيت المال هو بيت مال المسلمين، وهم المستحقون له. قال ابن رجب: الخراج والجزية تصرف في المصالح العامة وقال الكشناوي: المأخوذ بغير إيجاف.. كالخمس والخراج.. يأخذ الإمام كفايته بالمعروف ويصرف الباقي بالاجتهاد في مصالح المسلمين فإذا كان مصرفه مصالحهم، كان ملكهم، إذ المال يصرف عادة في مصالح المالك لا مصالح غيره. ويجب لولي الأمر من المال العام كفايته، وكفاية من يعول، وما زاد على ذلك فحرام عليه استئثاره به دون المسلمين، فإن فعل كان غلولاً؛ عن المستورد بن شداد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ كَانَ لَنَا عَامِلاً فَلْيَكْتَسِبْ زَوْجَةً، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ خَادِمٌ فَلْيَكْتَسِبْ خَادِمًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَسْكَنٌ فَلْيَكْتَسِبْ مَسْكَنًا﴾ قال أبو بكر: أخبرت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنِ اتَّخَذَ غَيْرَ ذَلِكَ فَهُوَ غَالٌّ، أَوْ سَارِقٌ﴾ فلو كان ولي الأمر يملك المال العام لما حرم أن يأخذ منه ما زاد على كفايته. وولي الأمر لا يملك ما أهدي إليه في حال كونه ولي أمر المسلمين، بل يكون فيئاً؛ لأنه إنما أهدي إليه من أجل مكانه من المسلمين، لا من أجل شخصه، فلم يكن أولى بالهدية منهم، واحتجوا بحديث أبي حميد الساعدي في قصة ابن اللتبية حيث أنكر النبي صلى الله عليه وسلم عليه أخذ ما أهدي إليه بسبب ولايته، وعدَّه غلولاً.عن أبي حميد الساعدي، قال:﴿اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنَ الْأَسْدِ، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ - قَالَ عَمْرٌو: وَابْنُ أَبِي عُمَرَ - عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا لِي، أُهْدِيَ لِي، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ، حَتَّى يَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةٌ تَيْعِرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتَيْ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ، هَلْ بَلَّغْتُ؟. مَرَّتَيْنِ﴾ فإذا لم يملك ولي الأمر ما خصه به المهدي فأولى ألا يملك غيره من المال العام. وفرق الفقهاء بين جناية ولي الأمر المتعدية وغير المتعدية، فجعلوا ضمان المتعدية على العاقلة، وغير المتعدية على بيت المال. فلو كان المال العام ملك ولي الأمر لكان ضمان الجناية على بيت المال في الحالين. وميَّز الفقهاء بين المال العام وبين مال ولي الأمر الخاص به، فأجازوا له التصرف في ماله بما شاء، فله أن يعطي ويمنع، كما يشاء، وأجازوا له التصرف في ماله بغير الأصلح، كما يجوز لغيره، بخلاف المال العام، فلم يبيحوا له التصرف فيه وفق مشيئته، بل أوجبوا عليه فعل الأصلح، فدل ذلك على عدم ملكه المال العام؛ لأنه لو كان كذلك لكان حكمه حكم ماله الخاص. وحكم الفقهاء برد تصرف ولي الأمر في المال العام إذا خالف فيه الحق، فوضعه في مصارف غير مشروعة، قال الشافعي – بعد ذكره ما يجب على ولي الأمر فعله في أرض العنوة–: وكل ما وصفت أنه يجب قسمه فإن تركه الإمام ولم يقسمه، فوقفه المسلمون، أو تركه لأهله، رُدَّ حكم الإمام فيه؛ لأنه مخالف للكتاب والسنة معاً. فلو كان المال العام ملكه لنفذ تصرفه هذا، ولما رد.

واتفق الفقهاء على أن وظيفة ولي الأمر في المال العام وظيفة النائب، وهي فرع وظيفته العامة على شؤون المسلمين، قال ابن العربي: الأمير.. نائب عن الجميع في جلب المنافع، ودفع المضار وقال ابن تيمية: وليس لولاة الأمور أن يقسموها بحسب أهوائهم، كما يقسم المالك ملكه، فإنها هم أمناء ونواب.. ليسوا ملاكاً، وقال ابن رجب: والإمام هو النائب لهم، والمجتهد في تعيين مصالحهم، وقال الدسوقي: الإمام.. إنما هو نائب عن المسلمين، وربما عبر بعض أهل العلم عن تلك الوظيفة بتعبير مقارب، وهو أنه وكيل عن المسلمين، أو وصي، وهذه الألفاظ الثلاثة وإن قدر أن بينها اختلافاً في الأحكام، غير أنها تشترك في الدلالة على أمر هو المقصود هنا وهو أن ولي الأمر حين يتصرف في المال العام فإنه لا يتصرف فيه بالأصالة، وإنما بالنيابة، أو الوكالة. الأدلة على أن مالك المال العام المسلمون، وأن وظيفة ولي الأمر فيه وظيفة النائب لا المالك. الدليل الأول: قال الله تعالى:﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (7) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر] بين عز وجل في هذه الآيات مصارف الفيء وهو من موارد المال العام فاستوعب المسلمين جميعاً، وعلل صرفه إلى هؤلاء بقوله: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ومن هذا البيان والتعليل نستفيد أمرين: أن الفيء ليس بملك فرد، ولا يجوز لفرد ولا طائفة الاختصاص بتملكه أو الانتفاع بشيء منه دون المسلمين، سواء أكان هذا الفرد ولي الأمر أم غيره. وأن مالك الفيء المسلمون جميعاً؛ لأن مصرفه إليهم جميعاً. ويدل لهذا أن عمر لما قرأ هذه الآيات قال: استوعبت هذه الآية الناس، فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق– أو قال حظ – إلا بعض من تملكون من أرقائكم، وإن عشت إن شاء الله ليؤتين كل مسلم حقه – أو قال حظه – حتى يأتي الراعي بِسَرْوِ حِمْيَر، ولم يعرق فيه جبينه. الدليل الثاني: عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَا أُعْطِيكُمْ، وَلَا أَمْنَعُكُمْ، أَنَا قَاسِمٌ، أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْتُ﴾ وفي لفظ:﴿إِنْ أَنَا إِلَّا خَازِنٌ﴾ دل الحديث على عدم ملك النبي صلى الله عليه وسلم المال العام بنفيه ملك إعطاء أحد، أو منعه، وأن وظيفته فيه الحفظ والقسم؛ إذ لو كان ملكه للملك حق الإعطاء والمنع كسائر المالكين. قال ابن تيمية – بعد إيراده هذا الحديث–: فهذا رسول رب العالمين قد أخبر أنه ليس المنع والعطاء بإرادته واختياره، كما يفعل المالك الذي أبيح له التصرف في ماله.. فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم – على عظم منزلته – لا يملك المال العام، كان من بعده من ولاة الأمور أولى بذلك؛ لأن غاية منزلتهم أن يكونوا خلفاءه. الدليل الثالث: عن خولة الأنصارية قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وفي رواية:﴿إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ مَنْ أَصَابَهُ بِحَقِّهِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ وَرُبَّ مُتَخَوَّضٍ فِيمَا شَاءَتْ نَفْسُهُ مِنْ مَالِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَيْسَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ المراد بالمال هنا المال العام؛ لأنه يسمى مال الله وتوضح ذلك رواية الترمذي من مال الله ورسوله؛ إذ هذه الإضافة خاصة بالمال العام الذي لا يملكه فرد بعينه، والمراد بالتخوض: أخذه وتملكه والتصرف فيه تصرف المالكين، ففي الحديث الوعيد الشديد للمتخوضين في المال العام، وأولى من يتوجه له هذا الوعيد ولي الأمر؛ إذ الغالب أنه لا يقدر على التخوض في المال العام إلا هو، أو من له به صلة، فلو كان المال ماله لما توجه إليه الوعيد، ولجاز له التصرف فيه، كما يتصرف المالك في ملكه، فلما كان ممنوعاً من ذلك دل على أنه لا يملكه. الدليل الرابع: دلت سيرة الخلفاء الراشدين في المال العام على أنهم لم يكونوا يرون لهم فيه حقاً دون المسلمين، فضلاً عن أن يروه ملكهم، ومما جاء في هذا: عن أم المؤمنين عائشة:﴿لَمَّا اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: لَقَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنَّ حِرْفَتِي لَمْ تَكُنْ تَعْجِزُ عَنْ مَئُونَةِ أَهْلِي، وَشُغِلْتُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَسَيَأْكُلُ آلُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ، وَيَحْتَرِفُ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ﴾ أفاد اعتذار أبي بكر عن الأخذ من المال الذي وليه للمسلمين بانشغاله بأمرهم، واحترافه لهم فيه أمرين: الأول: أنه ليس بيالهه؛ إذ لو كان ماله لما احتاج أن يعتذر عن الأخذ منه. والثاني: أنه مال المسلمين؛ لأنه علل الأخذ منه بانشغاله بأمرهم، وإلا لم تظهر مناسبة بين العلة والمعلول، فكأنه قال: إنما أخذت من مالهم عوض عملي لهم. عن يرفأ قال: قال لي عمر: ﴿إِنِّي أَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ اللهِ بِمَنْزِلَةِ وَالِي الْيَتِيمِ، إِنِ احْتَجْتُ أَخَذْتُ مِنْهُ، فَإِذَا أَيْسَرْتُ رَدَدْتُهُ، وَإِنِ اسْتَغْنَيْتُ اسْتَعْفَفْتُ﴾ وفي رواية: ﴿وَإِنَّمَا أَنَا وَمَالُكُمْ كَوَلِيِّ الْيَتِيمِ﴾ في هذا دلالتان، الأولى: في قوله مالك فأضافه إليهم، فدل على ملكهم له، والمراد بالمال هنا المال العام، الذي وليه لهم، لا الخاص بهم؛ لأنه لا ولاية له عليهم فيه. والثانية: في قوله بمنزلة ولي اليتيم نص على وظيفة الإمام في مال المسلمين العام، التي تشبه وظيفة ولي اليتيم في مال اليتيم، وولي اليتيم نائب عن اليتيم، فكذلك ولي الأمر نائب عن المسلمين.عن عبيد بن عمير أن عمر قال:﴿وَاللهِ لَأَزِيدَنَّ النَّاسَ مَا زَادَ الْمَالُ، لَأَعُدَّنَّ لَهُمْ عَدًّا، فَإِنْ أَعْيَانِي كَثَرْتُهُ لَأَحْثُوَنَّ لَهُمْ حَثْوًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، هُوَ مَالُهُمْ يَأْخُذُونَهُ﴾ فسماه مالهم، لا ماله.عن ناشر بن سُمَيّ قال: سمعت عمر يقول يوم الجابية: ﴿إِنَّ اللهَ جَعَلَنِي خَازِنًا لِهَذَا الْمَالِ وَقَاسِمًا له﴾ فنص على أن وظيفته فيه حفظه وقسمه بين أهله على وفق شرع الله لا وظيفة المالك الذي يصرفه كيف شاء.

مراجع: وفيات الأعيان/ فضائل الصحابة/ صفة الصفوة/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ البداية والنهاية/ صحيح البخاري/ السياسة الشرعية/ صحيح مسلم/ سلطة ولي الأمر في المال العام (خالد بن محمد الماجد)/ شرح سنن أبي داود

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) والأحنف بن قيس [006]

لما استقر الأمر لمعاوية دخل عليه يوما الأحنف بن قيس[1] فقال له معاوية: والله يا أحنف ما أذكر يوم صفين إلا كانت حزازة في قلبي إلى يوم القيامة، فقال له الأحنف: والله يا معاوية إن القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا، وإن السيوف التي قاتلناك بها لفي أغمادها، وإن تدن من الحرب فترا ندن منها شبرا، وإن تمش إليها نهرول إليها، ثم قام وخرج. وكانت أخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامه فقالت: يا أمير المؤمنين، من هذا الذي يتهدد ويتوعد قال: هذا الذي إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف من بني تميم لا يدرون فيم غضب. وفي رواية، عدد معاوية بن أبي سفيان على الأحنف ذنوبا، فقال: يا أمير المؤمنين، لم ترد الأمور على أعقابها؟ أما والله إن القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا، والسيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا؛ ولئن مددت فترا من غدر لنمدن باعا من ختر؛ ولئن شئت لنستصفين كدر قلوبنا بصفو حلمك. قال: فإني أفعل!.

روي أن معاوية أيضا لما نصب ولده يزيد[2] لولاية العهد أقعده في قبة حمراء، فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون إلى يزيد، حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع إلى معاوية فقال: يا أمير المؤمنين، اعلم أنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعتها، والأحنف بن قيس جالس، فقال له معاوية: ما بالك لا تقول يا أبا بحر فقال: أخاف الله إن كذبت وأخافكم إن صدقت، فقال له معاوية: جزاك الله عن الطاعة خيرا، وأمر له بألوف؛ فلما خرج لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له: يا أبا بحر، غني لأعلم أن الشركة المتعهدة من خلق الله سبحانه وتعالى نطمع في استخراجها إلا بما سمعت، فقال له الأحنف: أمسك عليك فإن ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله تعالى وجيها.

حدث أبي الجناب الكندي عن أبيه، أن معاوية بن أبي سفيان بينا هو جالس وعنده وجوه الناس، إذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا، فكان آخر كلامه أن لعن عليا؛ فأطرق الناس وتكلم الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا القائل ما قال آنفا لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين لعنهم، فاتق الله ودع عنك عليا، فقد لقي ربه، وأفرد في قبره، وخلا بعمله؛ وكان والله- ما علمنا- المبرز بسبقه*، الطاهر خلقه، الميمون نقيبته، العظيم مصيبته فقال له معاوية: يا أحنف، لقد أغضيت العين على القذى*، وقلت ما ترى! وايم الله لتصعدن المنبر فتلعنه طوعا أو كرها، فقال له الأحنف يا أمير المؤمنين، إن تعفني فهو خير لك، وإن تجبرني على ذلك فوالله لا تجري فيه شفتاي أبدا! قال: قم فاصعد المنبر. قال الأحنف: أما والله مع ذلك لأنصفنك في القول والفعل. قال: وما أنت قائل يا أحنف إن أنصفتني؟ قال: أصعد المنبر فأحمد الله بما هو أهله، وأصل على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم أقول: أيها الناس، إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن عليا، وإن عليا ومعاوية اختلفا فاقتتلا، وادعى كل واحد منهما أنه بغي عليه وعلى فئته؛ فإذا دعوت فأمنوا رحمكم الله. ثم أقول: اللهم العن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه؛ والعن الفئة الباغية؛ اللهم العنهم لعنا كبيرا! أمنوا رحمكم الله. يا معاوية، لا أزيد على هذا ولا أنقص منه حرفا ولو كان فيه ذهاب نفسي؛ فقال معاوية: إذا نعفيك يا أبا بحر.

* وفي رواية قال: (وكان والله البرز سيفه، الطاهر ثوبه، الميمون نقيبته...). (القذى) ما يقع في العين وما ترمي به وجمعه أقذاء وقذي. (أغضيت العين على القذى) أغمضت جفونه على القذى: تحمل الظلم- يعفي على القذى: يسكت على الذل والضيم دون أن يشكو.

---

(1) أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة ابن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي، المعروف بالأحنف، وقيل اسمه صخر، وكان سيد قومه، موصوفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. والحارث المذكور لقبه مقاعس.كان من سادات التابعين؛ أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتيمرة، روى عن عمر وعثمان وعلي، وروى عنه الحسن البصري وأهل البصرة، وشهد مع علي رضي الله عنه وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان. وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة 67 هـ، وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ وقيل 77 هـ عن 70 سنة، والأول أشهر، ودفن بالثوية عند قبر زياد.

(2) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي.الملك الأموي الثاني. ولد سنة 26 هـ وتوفي سنة 64 هـ وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

عن زر، قال: قال علي رضي الله عنه: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إلي:﴿أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ﴾ (برأ النسمة) أي خلق الإنسان وقيل النفس. وعن عمرو بن شاس، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿قَدْ آذَيْتَنِي. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ أُوذِيَكَ، قَالَ: مَنْ آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي﴾ وعن أبي سعيد الخدري، قال: كنا نعرف المنافقين ببغضهم عليًّا. وعن الحسن بن علي، أنه خطب الناس بعد وفاة علي رضي الله عنه فقال: لقد فارقكم رجل أمس، ما سبقه الأولون بعلم، ولا أدركه الآخرون. وعن زيد بن يثيع قالا: نشد علي الناس في الرحبة من سمع رسول الله صلى الله عيه وسلم يوم غدير خم فقام ستة فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم:﴿ أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ قَالُوا بَلَى قَالَ: أَوَلَسْتُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ قَالُوا: بَلَى قَالَ: اللَّهُمَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ﴾ يقول ابن كثير: وأما ما يفتريه كثير من جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء، من أنه أوصى إلى علي بالخلافة، فكذب وبهت وافتراء عظيم يلزم به خطأ كبير، من تخوين الصحابة ومما لأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته وإيصالها إلى من أوصى إليه، وصرفهم إياها إلى غيره، لا لمعنى ولا لسبب، وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الإسلام هو الحق، يعلم بطلان هذا الافتراء، لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء، وهم خير قرون هذه الأمة، التي هي أشرف الأمم بنص القرآن، وإجماع السلف والخلف، في الدنيا والآخرة، ولله الحمد.

عن هشام بن عروة عن أبيه قال:﴿قَالَتْ لِي عَائِشَةُ: يَا ابْنَ أُخْتِي أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَبُّوهُمْ﴾ قال القاضي الظاهر أنها قالت هذا عندما سمعت أهل مصر يقولون في عثمان ما قالوا وأهل الشام في علي ما قالوا والحرورية في الجميع ما قالوا وأما الأمر بالاستغفار فهو قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر] سئل عمر بن عبد العزيز عن القتال الذي حصل بين الصحابة فقال تلك دماء طهر الله يدي منها أفلا أطهر بها لساني مثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه سلم مثل العيون ودواء العيون ترك مسها. قال الإمام أحمد بعد أن قيل له: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية قال: ما أقول فيهم إلا الحسنى، قال إبراهيم بن آرز الفقيه: حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية؟ فأعرض عنه فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم فأقبل عليه فقال اقرأ:﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة] ونقل أحمد بن الحسن الترمذي وقد سأله ما يقول فيما كان من أمر طلحة والزبير وعلي وعائشة فقال من أنا حتى أقول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بينهم شيء الله أعلم به. وسئل الحسن البصري عن قتالهم فقال: قتال شهده أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا. قال المحاسبي: فنحن نقول كما قال الحسن ونعلم أن القوم كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا، ونتبع ما اجتمعوا عليه، ونقف عند ما اختلفوا فيه ولا نبتدع رأيا منا، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عز وجل، إذ كانوا غير متهمين في الدين.

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ﴾ قال رجل كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز، فذكر الحجاج فشتمته ووقعت فيه، فقال عمر:﴿إِنَّ الرَّجُلَ لَيَظْلِمُ بِالْمَظْلَمَةِ فَلَا يَزَالُ الْمَظْلُومَ يُشَمِّتُ الظَّالِمُ وَيَسُبُّهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ حَقَّهُ فَيَكُونُ لِلظَّالِمِ الْفَضْلَ عَلَيْهِ﴾ أي الدعوة لا تكون بشتم الظالم. وسمع ابن سيرين رجلا يسب الحجاج فأقبل عليه فقال:﴿مَهْ أَيُّهَا الرَّجُلُ فَإِنَّكَ لَوْ قَدْ وَافَيْتَ الْآخِرَةَ كَانَ أَصْغَرُ ذَنْبٍ عَمِلْتَهُ قَطُّ أَعْظَمَ عَلَيْكَ مِنْ أَعْظَمِ ذَنْبٍ عَمِلَهُ الْحَجَّاجُ وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى حَكَمٌ عَدْلٌ إِنْ أَخَذَ مِنَ الْحَجَّاجِ لِمَنْ ظَلَمَهُ فَسَوْفَ يَأْخُذُ لِلْحَجَّاجِ مِمَّنْ ظَلَمَهُ فَلَا تَشْغَلَنَّ نَفْسَكَ بِسَبِّ أَحَدٍ﴾ وعن رجل من آل عمر قال:﴿قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: ادْعُ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ. قَالَ: اللَّهُمَّ أَعِزَّ دِينَكَ، وَأَظْهِرْ أَوْلِيَاءَكَ، وَاخْزِ أَعْدَاءَكَ فِي عَافِيَةِ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز فجعل يشكو إليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر إنك إن تلقى الله ومظلمتك كما هي خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها، وقال يزيد بن ميسرة إن ظللت تدعو على من ظلمك فإن الله تعالى يقول إن آخر يدعو عليك بأنك ظلمته فإن شئت استجبنا لك وأجبنا عليك وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة فيسعكما عفوي.

قال ابن قتيبة في كتاب المعارف ما صورته: ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم بني تميم يدعوهم إلى الإسلام كان الأحنف فيهم، ولم يجيبوا إلى اتباعه، فقال لهم الأحنف: إنه ليدعوكم إلى مكارم الأخلاق وينهاكم عن ملائمها، فأسلموا وأسلم الأحنف ولم يفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان زمن عمر رضي الله عنه وفد عليه. ومن كلام الأحنف: في ثلاث خصال ما أقولهن إلا ليعتبر: ما دخلت بين اثنين قط حتى يدخلاني بينهما، ولا أتيت باب أحد من هؤلاء ما لم أدع إليه، يعني الملوك، ولا حللت حبوتي إلى ما يقوم الناس إليه. ومن كلامه: ألا أدلكم على المحمد بلا مرزئة الخلق السجيح والكف على التسبيح، ألا أخبركم بأدوإ الداء الخلق الدنيء واللسان البذيء. ومن كلامه: ما خان شريف ولا كذب عاقل ولا اغتاب مؤمن. وقال ما ادخرت الآباء للأبناء ولا أبقت الموتى للأحياء أفضل من اصطناع معروف عند ذوي الأحساب والآداب. وقال: كثرة الضحك تذهب الهيبة، وكثرة المزاح تذهب المروءة، ومن لزم شيئا عرف به. وسمع الأحنف رجلا يقول: ما أبالي أمدحت أم ذممت، فقال له: لقد استرحت من حيث تعب الكرام. ومن كلامه: جنبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام، فإني أبغض الرجل يكون وصافا لفرجه وبطنه، وإن من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيه.

قال هشام بن عقبة أخو ذي الرمة الشاعر المشهور: شهدت الأحنف بن قيس وقد جاء إلى قوم يتكلمون في دم، احكموا، فقالوا: نحكم بديتين. قال: ذلك لكم، فلما سكتوا قال: أنا أعطيكم ما سألتم غير أني قائل لكم شيئا، إن الله عز وجل قضى بدية واحدة، وإن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بدية واحدة، وأنتم اليوم طالبون، وأخشى أن تكونوا غدا مطلوبين، فلا يرضى الناس منكم إلا بمثل ما سننتم لأنفسكم، فقالوا: فردها إلى دية واحدة؛ فحمد الله وأثنى عليه وركب.

وسئل عن الحلم ما هو فقال: هو الذل مع الصبر. وكان يقول إذا عجب الناس من حلمه: إني لأجد ما تجدون، ولكني صبور. وكان يقول: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال. ويقول: ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقري، لأنه قتل ابن أخ له بعض بنيه فأتي بالقاتل مكتوفيا يقاد إليه، فقال: ذعرتم الفتى، ثم أقبل على الفتى فقال: يا بني، بئس ما صنعت: نقصت عددك وأوهنت عضدك وأشمت عودك وأسأت بقومك؛ خلو سبيله، واحملوا إلى أم المقتول دينه فإنها غريبة. ثم انصرف القاتل وما حل قيس حبوته ولا تغير وجهه. وكان الأحنف بن قيس يقول: عجبت لمن جرى في مجرى البول كيف يتكبر؛ وكان يقول: اكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم العار والنار. وقال رجل للأحنف: أخبرني الثقة عنك بسوء، قال: الثقة لا ينم. وقال الأحنف: شكوت إلى عمي مصيبة نزلت بي فأسكتني ثلاثا ثم قال لي: يا أبا بحر، لا تشك الذي نزل بك إلى مخلوق فإنما هو صديق تسوءه أو عدو تسره.

مراجع: سراج الملوك / وفيات الأعيان/ إحياء علوم الدين/ حياة التابعين/ البداية والنهاية/ لسان العرب/ معجم اللغة العربية المعاصرة/ العقد الفريد

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وأبو بكرة الثقفي [007]

حكي أن أبا بكرة [1] دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي عليك لا تزداد من الدنيا إلا بعدا ومن الآخرة إلا قربا وعلى أثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علما لا تجوزه فما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك ما يلحق بك الطالب وإنا وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن إليه صائرون باق إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

في عام 41 هـ وثب حمران بن ابان [2] على البصرة، فأخذها وتغلب عليها، فبعث معاوية إليه جيشا ليقتلوه ومن معه، فجاء أبو بكرة الثقفي إلى معاوية، فسأله في الصفح عنهم والعفو، فعفا عنهم وأطلقهم وولى على البصرة بسر بن أبي أرطأة.. وقد قال معاوية لأبي بكرة: هل من عهد تعهده إلينا؟ قال: نعم، أعهد إليك يا أمير المؤمنين أن تنظر لنفسك ورعيتك وتعمل صالحا، فإنك قد تقلدت عظيما، خلافة الله في خلقه، فاتق الله، فإن لك غاية لا تعدوها، ومن ورائك طالب حثيث، وأوشك أن تبلغ المدى، فيلحق الطالب، فتصير إلى من يسألك عما كنت فيه، وهو أعلم به منك، وإنما هي محاسبة وتوقيف، فلا توثرن على رضا الله شيئا.

عن الحسن البصري [3] قال مر بي أنس بن مالك [4] وقد بعثه زياد [5] إلى أبي بكرة (وهو أخو زياد لأمه) يعاتبه فانطلقت معه فدخلنا على الشيخ وهو مريض فأبلغه عنه فقال إنه يقول ألم أستعمل عبيد الله على فارس ألم استعمل روادا على دار الرزق ألم أستعمل عبد الرحمن على الديوان وبيت المال فقال أبو بكرة هل زاد على أن أدخلهم النار. فقال أنس إني لا أعلمه إلا مجتهدا. فقال الشيخ أقعدوني إني لا اعلمه إلا مجتهدا وأهل حروراء [6] قد اجتهدوا فأصابوا أم اخطأو. قال أنس فرجعنا مخصومين. وعن أبي عثمان النهدي [7] ،قال: كنت خليلا لأبي بكرة، فقال لي: أيرى الناس أني إنما عتبت على هؤلاء للدنيا، وقد استعملوا ابني عبيد الله على فارس، واستعملوا روادا على دار الرزق، واستعملوا عبد الرحمن على بيت المال؛ أفليس في هؤلاء دنيا؟ إني إنما عتبت عليهم لأنهم كفروا.

---

(1) أبو بكرة الثقفي الطائفي نفيع بن الحارث، مولى النبي صلى الله عليه وسلم . اسمه: نفيع بن الحارث. وقيل: نفيع بن مسروح. تدلى في حصار الطائف ببكرة، وفر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم على يده، وأعلمه أنه عبد، فأعتقه. روى جملة أحاديث. حدث عنه بنوه الأربعة؛ عبيد الله؛ وعبد الرحمن؛ وعبد العزيز؛ ومسلم، وأبو عثمان النهدي، والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وعقبة بن صهبان، وربعي بن حراش، والأحنف بن قيس، وغيرهم. سكن البصرة، وكان من فقهاء الصحابة، ومات أبو بكرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان، بالبصرة. سنة 51 هـ. وقيل: سنة 52 هـ. قال الحسن البصري، لم ينزل البصرة أفضل من أبي بكرة، وعمران بن حصين.

(4) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم رضي الله عنه. أمه: أم سليم بنت ملحان ذهبت به أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فكان يخدمه وكان له يومئذ 9 سنين ويقال 8 ويقال 10 .عن حميد عن أنس قال أخذت أم سليم بيدي مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاتت بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت هذا ابني وهو غلام كاتب. قال فخدمته 9. قال أهل السير مات أنس بالبصرة سنة 92 هـ وقيل 93 هـ وقيل 91 هـ وهو ابن تسع وتسعين.وقد قيل أنه مات ابن مائة وثلاث سنين وقيل تسع سنين وغسله محمد بن سيرين وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة رضي الله عنهم أجمعين.

(3) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن سمرة وأبي بكرة والنعمان بن بشير وجندب بن عبد الله وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وعمرو بن ثعلب وعبد الله بن عمرو ومعقل بن يسار وأبي هريرة والأسود بن سريع وأنس بن مالك وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

(5) زياد بن أبيه: وهو زيد بن عبيد الثقفي، وهو زياد ابن سمية، وهي أمه، وهو زياد بن أبي سفيان الذي استلحقه معاوية بأنه أخوه. كانت سمية مولاة للحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب. يكنى أبا المغيرة. توفي زياد بن أبيه سنة 53 هـ

(7) أبي عثمان النهدي، هو أبو عثمان عبد الرحمن بن مل بن عمرو بن عدي بن وهب إلى بني نهد بن زيد، التابعي، توفي في البصرة، سنة 95 هـ

(6) الحرورية طائفة من الخوارج ينسبون إلى قرية على بعد ميلين من الكوفة تسمى حروراء اجتمع فيها الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر المحكمين، فسموا حرورية نسبة إلى هذا الموضع.

(2) حمران بن ابان مولى عثمان بن عفان القرشى الاموى المدنى، سمع عثمان، سمع منه عروة بن الزبير وعطاء بن يزيد وأبو سلمة وجامع بن شداد ومعاذ بن عبد الرحمن والحسن والوليد أبو بشر ومعبد الجهنى ونافع، ومن روى عنه فلم يذكر سماعا مسلم بن كيسان وابن المنكدر وزيد بن اسلم وبكير والمطلب بن حنطب وابن ابى المخارق وعبد الملك بن عبيد وعثمان بن موهب.

عن شبالك عن عامر، عن رجل: ﴿أَنَّ ثَقِيفًا سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَبَا بَكْرَةَ عَبْدًا، فَقَالَ:لَا، هُوَ طَلِيقُ اللهِ، وَطَلِيقُ رَسُولِهِ﴾ وعن الأحنف، قال: بايعت عليا رضي الله عنه فرآني أبو بكرة وأنا متقلد السيف، فقال: ما هذا يا ابن أخي؟ قلت: بايعت عليا. قال: لا تفعل، إنهم يقتتلون على الدنيا؛ وإنما أخذوها بغير مشورة. وحدث عبد العزيز بن أبي بكرة: أن أباه تزوج امرأة، فجاءت، فحال إخوتها بينه وبين الصلاة عليها، فقال: أنا أحق بالصلاة عليها. قالوا: صدق صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.ثم إنه دخل القبر، فدفعوه بعنف، فغشي عليه، فحمل إلى أهله، فصرخ عليه عشرون من ابن وبنت –وأنا أصغرهم– فأفاق، فقال: لا تصرخوا، فوالله ما من نفس تخرج أحب إلي من نفسي، ففزع القوم، وقالوا: لم يا أبانا؟! قال: إني أخشى أن أدرك زمانا لا أستطيع أن آمر بمعروف، ولا أنهى عن منكر، وما خير يومئذ.عن عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن الغطفاني، قال: لما اشتكى أبو بكرة، عرض عليه بنوه أن يأتوه بطبيب، فأبى، فلما نزل به الموت، قال: أين طبيبكم؟ ليردها إن كان صادقا!.

قال علي بن أبي طالب: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل. وعن ابن مسعود،﴿أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَامَ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَسَدِهِ فَقَالَ لَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَبْسُطَ لَكَ وَنَفْعَلَ فَقَالَ: مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ وَمَا أَنَا وَالدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا﴾ (وقد أثر) أي أثر الحصير (في جسده) (ما لي وللدنيا؟ وما أنا والدنيا) ما نافية أي ليس لي ألفة ومحبة مع الدنيا ولا للدنيا ألفة ومحبة معي حتى أرغب إليها، وأنبسط عليها، وأجمع ما فيها ولذتها أو استفهامية أي ألفة ومحبة لي مع الدنيا أو أي شيء لي مع الميل إلى الدنيا أو ميلها إلي، فإني طالب الآخرة وهي ضرتها المضادة لها. هذا وقال الطيبي رحمه الله، قوله: ونعمل متعلقة محذوف، فيقدر من جنس الكلام السابق، وهو وجود التنعم والتلذذ بالأغراض الدنيوية أعم من أن يكون بساطا، ومن ثم طابقه قوله: ما لي وللدنيا أي ليس حالي مع الدنيا. (إلا كراكب) أي إلا كحال راكب (استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها) وهو من التشبيه التمثيلي، وهو التشبيه بسرعة الرحيل وقلة المكث، ومن ثم خص الراكب واللام في للدنيا مقحمة للتأكيد إن كان الواو بمعنى مع وإن كان للعطف، فالتقدير ما لي مع الدنيا وما الدنيا معي.

وعن سهل بن سعد، قال:﴿جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، قَالَ: ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ﴾ وعن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ، أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهِ، أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى﴾ وعن أبي سفيان، عن أشياخه، أن سعد بن أبي وقاص، دخل على سلمان يعوده فبكى سلمان، فقال له سعد: ما يبكيك تلقى أصحابك وترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحوض، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض؟ فقال: ما أبكي جزعا من الموت، ولا حرصا على الدنيا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا فقال:﴿لِيَكُنْ بُلْغَةُ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّاكِبِ﴾ وهذه الأساود حولي، وإنما حوله مطهرة –أو إنجانة– ونحوها، فقال له سعد: اعهد إلينا عهدا نأخذ به بعدك، فقال له: اذكر ربك عند همك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند يدك إذا قسمت. وعن ابن مسعود، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لأصحابه:﴿اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالُوا: إِنَّا نَسْتَحِي يَا نَبِيَّ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنْ مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ، وَمَا حَوَى، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ﴾.

مراجع: سنن الترمذي/ وفيات الأعيان/ سير أعلام النبلاء/ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار/ كنز العمال/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وسعد بن أبي وقاص [008]

عن عبد الله بن أبي نجيح[1] عن أبيه قال: لما حج معاوية وأخذ بيد سعد بن أبي وقاص[2] فقال يا أبا إسحاق إنا قوم قد أجفانا هذا الغزو عن الحج حتى كدنا أن ننسى بعض سننه فطف نطف بطوافك، قال: فما فرغ أدخله دار الندوة فأجلسه معه على سريره ثم ذكر علي[3] فوقع فيه فقال: أدخلتني دارك وأجلستني على سريرك ثم وقعت في علي تشتمه؟ والله لأن يكون في إحدى خلاله الثلاث أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، ولأن يكون لي ما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غز تبوكا، ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟ أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ولأن يكون لي ما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ولأن أكون صهره على ابنته ولي منها من الولد أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، لا أدخل عليك دارا بعد هذا اليوم، ثم نفض رداءه ثم خرج.

عن رواية عامر بن سعد بن أبي وقاص[4] عن أبيه قال له: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال ما يمنعك أن تسب أبا تراب؟ فقال أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول – وخلفه في بعض مغازيه – فقال له علي يا رسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟ وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فتطاولت لها قال ادعوا لي عليا فأتي به أرمد فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه. ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ [آل عمران] دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا ثم قال اللهم هؤلاء أهلي.

عن عبد الله بن بديل[5] قال: دخل سعد على معاوية فقال له: مالك لم تقاتل معنا؟ فقال: إني مرت بي ريح مظلمة فقلت: أخ أخ. فأنخت راحلتي حتى انجلت عني ثم عرفت الطريق فسرت، فقال معاوية: ليس في كتاب الله: أخ أخ. ولكن قال الله تعالى:﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات] فوالله ما كنت مع الباغية على العادلة، ولا مع العادلة على الباغية. فقال سعد: ما كنت لأقاتل رجلا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي. فقال معاوية: من سمع هذا معك؟ فقال: فلان وفلان وأم سلمة. فقال معاوية: أما إني لو سمعته منه صلى الله عليه وسلم لما قاتلت عليا.

عن ابن سيرين قال: لما قيل لسعد بن أبي وقاص: ألا تقاتل، إنك من أهل الشورى، وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك؟ قال: لا أقاتل حتى يأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان يعرف المؤمن من الكافر، فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد.

عن أبي الأشعث الصنعاني[6] قال: بعثني يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن أبي أوفى[7] ومعي ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت فقلت: ما تأمرون به الناس؟ فقال: أوصاني أبو القاسم صلى الله عليه وسلم:﴿إِنْ أَنَا أَدْرَكْتُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ أَنْ أَعْهَدَ إِلَى أُحُدٍ وَأَكْبَرَ سَيْفِي وَأَقْعُدَ فِي بَيْتِي، فَإِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي قَالَ: افْعُدْ فِي مَخْدَعِكَ، فَإِنْ دَخَلَ عَلَيْكَ فَاجْثُ عَلَى رُكْبَتَيْكَ وَتَقُولُ: بُؤْ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ، فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ فقد كسرت سيفي، فإذا دخل علي بيتي دخلت مخدعي، فإذا دخل علي مخدعي جثوت على ركبتي فقلت ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول.

وفي اجتماع الحكمين وهما أبو موسى الأشعري[8]،وعمرو بن العاص، بدومة الجندل بأذرح –بين الشام والكوفة– وشهد ذلك معهم جماعة من رءوس الناس. زعم بعض الناس أن سعد بن أبي وقاص شهدهم أيضا، وأنكر حضوره آخرون. وقد ذكر ابن جرير أن عامر بن سعد بن أبي وقاص خرج إلى أبيه وهو بماء لبني سليم معتزل بالبادية، فقال: يا أبه، قد بلغك ما كان من الناس بصفين، وقد حكم الناس أبا موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، وقد شهدهم نفر من قريش، فاشهدهم فإنك صاحب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأحد أصحاب الشورى، ولم تدخل في شيء كرهته هذه الأمة، فاحضر إنك أحق الناس بالخلافة. فقال: لا أفعل، إني سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول:﴿إِنَّهُ سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، خَيْرُ النَّاسِ فِيهَا الْخَفِيُّ التَّقِيُّ﴾ والله لا أشهد شيئا من هذا الأمر أبدا.

---

(2) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق القرشي الزهري المديني، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة ومات بالمدينة سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وهو ابن 74 وقيل مات سنة 58 هـ. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن خولة بنت حكيم السلمية، وروى عنه أبو عثمان النهدي وعامر بن سعد ومحمد بن سعد وجابر بن سمرة ومصعب بن سعد وغنيم بن قيس وأبو عبد الله دينار القراظ وسعيد بن المسيب ومالك بن أوس وابنه إبراهيم بن سعد وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وشريح بن هانىء أبو عثمان النهدي وبسر بن سعيد وقيس بن أبي حازم.

(7) عبد الله بن أبي أوفى علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي، الفقيه، المعمر، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، أبو معاوية. وقيل: أبو محمد. وقيل: أبو إبراهيم الأسلمي، الكوفي. من أهل بيعة الرضوان، وخاتمة من مات بالكوفة من الصحابة. وكان أبوه صحابيا أيضا. وله: عدة أحاديث. روى عنه إبراهيم بن مسلم الهجري، وإبراهيم بن عبد الرحمن السكسكي، وإسماعيل بن أبي خالد، وعطاء بن السائب، وسليمان الأعمش، وأبو إسحاق الشيباني، وطلحة بن مصرف، وعمرو بن مرة، وأبو يعفور وقدان، ومجزأة بن زاهر، وغيرهم. وقد كف بصره من الكبر. عن ابن أبي خالد، قال: رأيت بذراع عبد الله بن أبي أوفى ضربة، فقلت: ما هذه الضربة؟ قال: ضربتها يوم حنين. توفي عبد الله: سنة 86 هـ. وقيل: بل توفي سنة 88 هـ وقد قارب مائة سنة.

(4) عامر بن سعد بن أبي وقاص الزهري، إمام ثقة، سمع أباه وأسامة بن زيد وعائشة وأبا هريرة وجابر بن سمرة. روى عنه ابنه؛ داود بن عامر وابنا إخوته وعمرو بن دينار والزهري وموسى بن عقبة، وآخرون. مات في خلافة الوليد بن عبد الملك، سنة 96 هـ وقيل سنة 104 هـ

(1) عبد الله بن أبي نجيح يسار. الإمام، المفسر، تكنيته أبو يسار الثقفي، المكي. واسم أبيه: يسار، مولى الأخنس بن شريق الصحابي. حدث عن: مجاهد، وطاووس، وعطاء، ونحوهم. حدث عنه: شعبة، والثوري، وعبد الوارث، وسفيان بن عيينة، وابن علية، وآخرون. قال ابن عيينة: هو مفتي أهل مكة بعد عمرو بن دينار. ظهر له من المرفوع نحو مائة حديث. توفي سنة 131 هـ

(5) عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي من جلة التابعين ومشايخ مكة قتل يوم صفين سنة 37 هـ في أصحاب علي بن أبي طالب.أبوه الصحابي بديل بن ورقاء، قيل أسلم قبل فتح مكة، وقيل أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة.

(6) أبو الأشعث شراحيل بن شرحبيل بن كليب بن أزدشير من الأبناء، الصنعاني، نزل آخيرا دمشق ومات بها زمن معاوية بن أبي سفيان وعده الحاكم في تابعي اليمن من نقله الآثار.

(3) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

(8) أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب. من بني الأشعر. التميمي، استعمله النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذا على زبيد، وعدن. وولي البصرة لعمر، وعثمان، وولي الكوفة، وبها مات سنة 42 هـ أو 44 هـ.

روى أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ﴾ قال القرطبي: قال علماؤنا: ليس هذا الحديث حديث أبي بكرة في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى:﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات] فأمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية، ولو أمسك المسلمون على قتال أهل البغي لتعطلت فريضة من فرائض الله. وهذا يدل على أن قوله:﴿الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ﴾ ليس في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم إنما قاتلوا على التأويل. قال الطبري: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه، ولزوم المنازل وكسر السيوف، لما أقيم حد ولا أبطل باطل، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلا إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين، وسبي نسائهم، وسفك دمائهم، بأن يتحزبوا عليهم، ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها، وأمرنا بكف الأيدي والهرب منها. قال النووي: وأما كون القاتل والمقتول فمحمولة على من لا تأويل له، ويكون قتالهما عصبية ونحوها ثم كونه في النار معناه مستحق لها، وقد يجازى بذلك وقد يعفو الله تعالى عنه، هذا مذهب أهل الحق، وعلى هذا يتأول كل ما جاء من نظائره واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم ليست بداخلة في هذا الوعيد ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغ فوجب عليه قتاله؛ ليرجع إلى أمر الله وكان بعضهم مصيبا وبعضهم مخطئا معذورا في الخطأ لاجتهاده، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه وكان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب، هذا هو مذهب أهل السنة وكانت القضايا مشتبهة حتى إن جماعة من الصحابة تحيروا، فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب ثم تأخروا عن مساعدتهم.

عن ابنة أهبان، أن علي بن أبي طالب أتى أهبان[1]، فقال: ما يمنعك من اتباعي، فقال: أوصاني خليلي وابن عمك، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:﴿سَتَكُونُ فِتَنٌ وَفُرْقَةٌ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَاكْسِرْ سَيْفَكَ، وَاتَّخِذْ سَيْفًا مِنْ خَشَبٍ﴾، فقد وقعت الفتنة والفرقة، وكسرت سيفي، واتخذت سيفا من خشب، وأمر أهله حين ثقل أن يكفنوه، ولا يلبسوه قميصا، قال: فألبسناه قميصا، فأصبحنا والقميص على المشجب. وعن خالد بن عرفطة[2] قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا خَالِدُ، إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَحْدَاثٌ وَفِتَنٌ وَاخْتِلَافٌ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ عَبْدَ اللَّهِ الْمَقْتُولَ لَا الْقَاتِلَ فَافْعَلْ﴾.

---

(1) وهبان بن صيفي الغفاري الكناني، ويقال: أهبان، نزل البصرة وله بها دار، سمع النبي صلى الله عليه وسلم.

(2) خالد بن عرفطة العذري له صحبة ورواية توفي في حدود 60 هـ لما سلم الأمر الحسن بن علي إلى معاوية خرج عليه عبد الله بن أبي الحوساء وقيل ابن أبي الحمساء بالميم بالنخيلة فبعث إليه الحسن خالد بن عرفطة في جمع من أهل الكوفة فقتل ابن أبي الحوساء سنة 41 هـ

راجع: رجال صحيح مسلم/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ صحيح مسلم/ صحيح البخاري/ البداية والنهاية/ تاريخ الخلفاء الراشدين سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه/ الوافي بالوفيات/ سير أعلام النبلاء/ السلوك في طبقات العلماء والملوك/ العقد الفريد

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وعبد الله بن عمرو بن العاص [009]

حدث حنظلة بن خويلد [1] – وكان ناس عند علي ومعاوية – قال: بينا هو عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في قتل عمار[2]،فقال لهما عبد الله بن عمرو:[3]ليطب كل واحد منكما نفسا لصاحبه بقتل عمار، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: تقتله الفئة الباغية. فقال معاوية لعمرو:[4] ألا تنهى عنا مجنونك هذا؟ ثم أقبل معاوية على عبد الله فقال له: فما بالك معنا؟ فقال له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني بطاعة والدي ما كان حيا وأنا معكم ولست أقاتل. عن سهل بن سعد الساعدي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لعبد الله بن عمرو بن العاص:﴿كَيْفَ بِكَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ، قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا فَصَارُوا كَذَا – وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ؟ قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: اعْمَلْ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَإِيَّاكَ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللهِ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَوَامَّهُمْ﴾.

جاء في عقائد الشيخ الإمام أبو إسحاق الفيروزابادى [5] أن عمرو بن العاص كان وزير معاوية فلما قتل عمار بن ياسر أمسك عن القتال وتابعه على ذلك خلق كثير فقال له معاوية لم لا تقاتل قال قتلنا هذا الرجل وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتله الفئة الباغية فدل على أنا نحن بغاة قال له معاوية: اسكت فو الله لا تزال تدحض في بولك أنحن قتلناه إنما قتله علي وأصحابه جاءوا به حتى ألقوه بيننا –وفي رواية– قال قتله من أرسله إلينا يقاتلنا وإنما دافعنا عن أنفسنا فبلغ ذلك عليا فقال إن كنت قتلته أنا فالنبي صلى الله عليه وسلم قتل حمزة حين أرسله إلى قتال الكفار. فتأويل معاوية بعيد جدا، إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتل للذين يقتلون في سبيل الله، حيث قدمهم إلى سيوف الأعداء.

عن أبي قبيل، قال: لما توفي معاوية واستخلف يزيد كره عبد الله بن عمرو أن يبايع ليزيد ومسلمة [6]بالإسكندرية، فبعث إليه مسلمة كريب بن أبرهة، وعابس بن سعيد، فدخلا عليه ومعهما سليم بن عتر وهو يومئذ قاض وقاص، فوعظوا ابن عمرو في بيعة يزيد، فقال عبد الله: والله لأنا أعلم بأمر يزيد منكم، وإني لأول الناس. أخبر به معاوية، أنه يستخلف ولكن أردت أن يلي هو بيعتي، وقال لكريب: أتدري ما مثلك: إنما مثلك مثل قصر عظيم في صحراء غشيه ناس قد أصابهم الحر، فدخلوا يستظلون فيه، فإذا هو ملآن من مجالس الناس، وإن صوتك في العرب كريب بن أبرهة وليس عندك شيء، وأما أنت يا عابس بن سعيد فبعث آخرتك بدنياك، وأما أنت يا سليم بن عتر قاصا، فكان معك ملكان يفتيانك ويذكرانك، ثم صرت قاضيا، فمعك شيطانان يزيغانك عن الحق ويفتنانك.

---

(3) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل. أسلم قبل أبيه واستاذن النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه ما يسمع منه فاذن له فكان عبد الله يسمي صحيفته الصادقة. قال قد حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل وكان عالما متعبدا. توفي عبد الله بن عمرو بالشام سنة 65 هـ وهو ابن 72 سنة. قلت وقد زعم قوم أنه مات بمكة ويقال بالطائف ويقال بمصر.

(4) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، فخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر وواليها لعمر. وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم.

(1) حنظلة بن خويلد العنزي. روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قصة عمار تقتله الفئة الباغية. روى عنه الأسود بن مسعود العنزي.

(6) مسلمة بن مخلد الأنصاري الخزرجي، نائب مصر لمعاوية له صحبة ولا صحبة لأبيه. قال مجاهد: كنت أرى أبي أحفظ الناس للقرآن، حتى صليت خلف مسلمة بن مخلد الصبح، فقرأ سورة البقرة، فما أخطأ فيها واوا ولا ألفا. قال الليث: عزل عقبة بن عامر عن مصر في سنة 47 هـ فوليها مسلمة حتى مات زمن يزيد وقد توفي سنة 62 هـ

(2) عمار بن ياسر بن عامر الكناني القحطاني أبو: اليقظان صحابي من الولاة الشجعان ومن السابقين الى الإسلام، ولد بمكة سنة 56 ق.هـ هاجر إلى المدينة وشهد بدراً واحدا وغيرهما، ولاه عمر الكوفة ثم عزله. وشهد الجمل وصفين وقتل فيها سنة 37 هـ

(5) إبراهيم بن علي بن يوسف الشيخ أبو إسحاق الشيرازي الفيروزابادي شيخ الشافعية في زمانه لقبه جمال الدين. مولده بفيروزاباد سنة 393 هـ تفقه بشيراز على أبي عبد الله البيضاوي وعلى أبي أحمد عبد الوهاب بن رامين وقدم البصرة فأخذ عن الجزري، ودخل بغداذ سنة 415 هـ فلازم القاضي أبا الطيب وصحبه وبرع في الفقه حتى ناب عن ابن الطيب ورتبه معيدا في حلقته، وصار أنظر أهل زمانه وكان يضرب به المثل في الفصاحة. مات سنة 476 هـ ببغداذ ودفن بباب أبرز.

عن عبد الله بن عمرو، قال: زوجني أبي امرأة من قريش، فلما دخلت علي جعلت لا أنحاش لها مما بي من القوة على العبادة من الصوم والصلاة، فجاء عمرو بن العاص إلى كنته حتى دخل عليها، فقال لها: كيف وجدت بعلك؟ قالت: خير الرجال – أو كخير البعولة – من رجل لم يفتش لنا كنفا، ولم يقرب لنا فراشا فأقبل علي فعذمني وعضني بلسانه فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب فعضلتها وفعلت، ثم انطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكاني: فأرسل إلي النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته فقال لي:﴿أَتَصُومُ النَّهَارَ؟. قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَفَتَقُومُ اللَّيْلَ؟. قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَمَسُّ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي، ثُمَّ قَالَ: اقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ، قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُنِي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشَرَةِ أَيَّامٍ، قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُنِي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ، ثُمَّ قَالَ:صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، قُلْتُ: إِنِّي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ، فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُنِي حَتَّى قَالَ:صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الصِّيَامِ، وَهُوَ صِيَامُ أَخِي دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ قال حصين في حديثه: ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ لِكُلِّ عَابِدٍ شِرَّةً *، وَإِنَّ لِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةً، فَإِمَّا إِلَى سُنَّةٍ وَإِمَّا إِلَى بِدْعَةٍ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّةٍ فَقَدِ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ﴾ قال مجاهد: وكان عبد الله بن عمرو حين ضعف وكبر يصوم الأيام كذلك يصل بعضها إلى بعض ليتقوى بذلك، ثم يفطر بعد ذلك الأيام، قال: وكان يقرأ من أحزابه كذلك يزيد أحيانا وينقص أحيانا، غير أنه يوفي به العدة إما في سبع وإما في ثلاث، ثم كان يقول بعد ذلك: لأن أكون قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي مما عدل به، أو عدل، لكني فارقته على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره. وعن عبد الله بن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو وقال لو تعلمون حق العلم لسجدتم حتى تنقصف ظهوركم ولصرختم حتى تنقطع اصواتكم فابكوا فان لم تجدوا البكاء فتباكوا. وعن عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لان ادمع دمعة من خشية الله عز وجل أحب إلي من أن تصدق بالف دينار.

* أي نشاط ورغبة

مراجع: صفة الصفوة/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن أبي الدنيا/ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار/ الوافي بالوفيات

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق [010]

عن أبي كثير مولى لآل الزبير قال: جاء كتاب من معاوية إلى مروان [1] بن الحكم [2] وهو على المدينة في سيد المسلمين وشيخ أمير المؤمنين يزيد بن أمير المؤمنين وإنا قد بايعنا له قال فمسح مروان إحدى يديه على الأخرى. فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق [3] يا مروان إنما هي هرقلية كل ما مات هرقل كان هرقل مكانه ما لأبي بكر لم يستخلفني وما لعمر لم يستخلف عبد الله فقال له مروان أنت الذي أنزل الله فيه:﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾ [الأحقاف] إلى آخر الآية. قال: فقام عبد الرحمن حتى دخل على أم المؤمنين عائشة [4] فأخبرها فضربت بستر على الباب فقالت: يا ابن الزرقاء أعلينا تأول القرآن لولا أني أرى الناس كأنهم أيد يرتعشون لقلت قولا يخرج من أقطارها. فقال مروان ما يومنا منك بواحد.

عن سعيد بن المسيب [5] قال:حدثني عبد الرحمن بن أبي بكر ذكر عنه حكاية أنه لما جاءت بيعة يزيد بن معاوية إلى المدينة، قال عبد الرحمن لمروان: جعلتموها والله هرقلية وكسروية. - يعني جعلتم ملك الملك لمن بعده من ولده-. فقال له مروان: اسكت فإنك أنت الذي أنزل الله فيك ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾فقالت عائشة: ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن، إلا أنه أنزل عذري، ويروى أنها بعثت إلى مروان تعتبه وتؤنبه وتخبره بخبر فيه ذم له ولأبيه لا يصح عنها

قال عبد الله بن البهي: [6] كنت في المسجد ومروان يخطب فقال عبد الرحمن بن أبي بكر والله ما استخلف أحدا من أهله فقال مروان أنت الذي نزلت فيك﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾ فقال عبد الرحمن كذبت ولكن رسول الله لعن أباك.

حدث إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهري [7] عن أبيه عن جده قال: بعث معاوية الى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بمائة ألف درهم بعد إذ أبى البيعة ليزيد بن معاوية فردها عبد الرحمن وأبى أن يأخذها وقال أبيع ديني بدنياي وخرج الى مكة فمات بها، قبل أن تتم البيعة ليزيد، وكان موته فجأة من نومة نامها، بمكان اسمه حبشي على نحو عشرة أميال من مكة، وحمل إلى مكة فدفن بها، ولما اتصل خبر موته بأخته عائشة ظعنت إلى مكة حاجة، فوقفت على قبره، فبكت عليه وتمثلت: وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل: لن يتصدعا ... فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا. أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت، ولو حضرتك ما بكيتك.وكان موته سنة 53 هـ.

قال معاوية لجارية بن قدامة: [8] ما كان أهونك على أهلك إذ سموك جارية. قال: ما كان أهونك على أهلك إذ سموك معاوية، وهي الأنثى من الكلاب. قال: لا أم لك! قال: أمي ولدتني للسيوف التي لقينالك بها في أيدينا. قال: إنك لتهددني! قال: إنك لم تفتتحنا قسرا ولم تملكنا عنوة، ولكنك أعطيتنا عهدا وميثاقا وأعطيناك سمعا وطاعة، فإن وفيت لنا وفينا لك، وإن فزعت إلى غير ذلك، فإنا تركنا وراءنا رجالا شدادا وألسنة حدادا. قال له معاوية: لا كثر الله في الناس أمثالك. قال جارية: قل معروفا وراعنا؛ فإن شر الدعاء المحتطب.

قال الفضل بن سويد: [9] وفد الأحنف بن قيس [10] وجارية بن قدامة، والحتات بن يزيد المجاشعي(عم الفرزدق) [11] على معاوية، فقال لجارية: يا جارية أنت الساعي مع علي بن أبي طالب، والموقد النار في شعلك، تجوس قرى عربية تسفك دماءهم؟ قال جارية: يا معاوية دع عنك عليا، فما أبغضنا عليا مذ أحببناه، ولا غششناه مذ نصحناه. قال: ويحك يا جارية، ما كان أهونك على أهلك، إذ سموك جارية! قال: أنت يا معاوية كنت أهون على أهلك إذ سموك معاوية.قال: لا أم لك. قال: أم ما ولدتني. إن قوائم السيوف التي لقيناك بها بصفين في أيدينا. قال: إنك لتهددني. قال: أنك لم تملكنا قسرة، ولم تفتحنا عنوة، ولكن أعطيتنا عهودا ومواثيق، فإن وفيت لنا، وفينا لك، وان نزعت إلى غير ذلك، فقد تركنا وراءنا رجالا مدادا، وأذرعا شدادا، وأسنة حدادا، فإن بسطت إلينا فترا من غدر، دلفنا إليك بباع من ختر. قال معاوية: لا كثر الله في الناس أمثالك. قال: قل معروفا يا أمير المؤمنين، فقد بلونا قريشا، فوجدناك أوراها زندا، وأكثرها رفدا، فارعنا رويدا، فإن شر الرعاء الحطمة.

➔ (3) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق شقيق أم المؤمنين عائشة. حضر بدرا مع المشركين؛ ثم إنه أسلم، وهاجر قبيل الفتح. وأما جده أبو قحافة فتأخر إسلامه إلى يوم الفتح. وكان هذا أسن أولاد الصديق، وكان من الرماة المذكورين، والشجعان. قتل يوم اليمامة سبعة من كبارهم. له أحاديث، نحو الثمانية. اتفق الشيخان على ثلاثة منها. روى عنه ابناه؛ عبد الله وحفصة، وابن أخيه؛ القاسم بن محمد، وأبو عثمان النهدي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعمرو بن أوس الثقفي، وابن أبي مليكة، وآخرون. وهو الذي أمره النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أن يعمر أخته عائشة من التنعيم. توفي في سنة 53 هـ. وقيل 55 هـ وقيل 56 هـ والأول أكثر.

➔ (1) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم معه في خلافة عثمان، واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثانية ثم عزله. ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية.. قيل نظر إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوما فقال له: ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك. ولد سنة 2 هـ وتوفي سنة 65 هـ.

➔ (2) الحكم بن أبي العاص الأموي عم عثمان، ووالد مروان، كان النبي صلى الله عليه وسلم قد طرده إلى الطائف، وبقي طريدا إلى زمن عثمان، فرده إلى المدينة، واعتذر بأنه قد كان شفع فيه إلى النبي فوعده برده، وهو مؤتمن على ما قال، وهو أحد الأسباب التي نقموا بها على عثمان.

➔ (4) أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق التيمية القُرشية. زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وإحدى أمهات المؤمنين.كانت من أعلم النساء بالدين والقرآن والتفسير والحديث والفقه. ولدت رضي الله عنها سنة 19 ق.هـ وتوفيت سنة 58 هـ

➔ (6) البهي، عبد الله بن يسار مولى الزبير بن العوام ويكنى أبا محمد. من تابعي أهل المدينة من الموالي. ممن روى عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس. وقد كان نزل الكوفة وروى عنه الكوفيون.وكان ثقة معروفا قليل الحديث.

➔ (7) إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف مدني، يكنى أبا إسحاق.قال الشيخ: وإبراهيم بن محمد هذا ليس بكثير الحديث، وعامة ما يرويه مناكير..وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

➔ (5) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم، الإمام أبو محمد القرشي المخزومي المدني، الملقب بعالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه، ولد في خلافة عمر لأربع مضين منها، وقيل: لسنتين مضتا منها. ورأى عمر، وسمع عثمان، وعليا، وزيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة، وأبا موسى الأشعري، وأبا هريرة، وجبير بن مطعم، وعبد الله بن زيد المازني، وأم سلمة، وطائفة من الصحابة. روى عنه الزهري، وقتادة، وعمرو بن دينار، ويحيى بن سعيد، وبكير بن الأشج، وشريك بن أبي نمر، وداود بن أبي هند، وآخرون. قيل توفي سعيد في سنة 94 هـ، وقيل سنة 93 هـ وقيل توفي سنة إحدى أو 92 هـ.قال أبو عبد الله الحاكم : فأما أئمة الحديث فأكثرهم على أنه توفي سنة 105 هـ.

➔ (8) جارية بن قدامة التميمي السعدي. وقال بعضهم جارية بن قدامة ابن مالك بن زهير ويقال جارية بن مالك بن زهير بن حصن. وهو ابن عم الأحنف بن قيس وكان صاحب علي بن أبي طالب في حروبه روى عن الأحنف بن قس قال ابن عبد البر ومن قال إنه عم الأحنف فلعله عمه لأمه وإلا فلا يجتمعان إلا في سعد بن زيد مناة وتوفي في حدود 50 هـ وله صحبة.

➔ (10) الأحنف، أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة ابن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي، المعروف بالأحنف، وقيل اسمه صخر، وكان سيد قومه (زعيم قائد)، موصوفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. والحارث المذكور لقبه مقاعس.كان من سادات التابعين؛ أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتيمرة، روى عن عمر وعثمان وعلي، وروى عنه الحسن البصري وأهل البصرة، وشهد مع علي رضي الله عنه وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان. وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة 67 هـ وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ وقيل 77 هـ عن 70 سنة، والأول أشهر، ودفن بالثوية عند قبر زياد (وهو اسم موضع بظاهر الكوفة فيه قبور جماعة من الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم، وفيه ماء).

➔ (11) الحتات بن يزيد بن علقمة بن حوي بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي الدارمي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم، فأسلموا. وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه، وبين معاوية.

➔ (9) الفضل بن سويد. روى عن سعيد بن جبير، وأبي سفيان طلحة بن نافع، وأبي المليح الهذلي. روى عنه محمد بن حمران . ولم يرو عنه غيره.ويعد في البصريين.

الحكم بن أبي العاص، روى في لعنه ونفيه أحاديث كثيرة، لا حاجة إلى ذكرها، إلا أن الأمر المقطوع به أن النبي صلى الله عليه وسلم مع حلمه وإغضائه على ما يكره، ما فعل به ذلك إلا لأمر عظيم، ولم يزل منفيا حياة النبي صلى الله عليه وسلم فلما ولي أبو بكر الخلافة قيل له في الحكم ليرده إلى المدينة، فقال: ما كنت لأحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك عمر، فلما ولي عثمان الخلافة رده، وقال: كنت قد شفعت فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدني برده.

عن قيس بن حبتر قال: قالت ابنة مروان لجدها الحكم: ما رأيت قوما كانوا أضعف في أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم يا بني أمية، فقال لها: لا أحدث إلا ما رأت عيناي، قال: قلنا والله ما تزال قريش تعل على هذا الصابئ في مسجدنا فتواعدنا نأخذه فجئنا حتى إذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا أنه بقي بتهامة أحد فوقعنا مغشيا علينا فوالله ما أفقنا حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ورجع إلى أهله، فواعدنا ليلة أخرى فجئنا حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه، فوالله ما نفعنا ذلك حتى رزقنا الله الإسلام.

عن ابن عباس، قال:﴿قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطِيبًا بِمَوْعِظَةٍ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا: كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ [الأنبياء] أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى، يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَلَا وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ، كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [المائدة] قَالَ: فَيُقَالُ لِي: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ - وفي حديث وكيع ومعاذ - فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ﴾

وعن أبي هريرة قال:﴿اللَّهُمَّ أَنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ رَأْسِ السِّتِّينَ وَإِمَارَةِ الصِّبْيَانِ﴾ (رأس الستين) أي سنة ستين هجرية، ففي سنة ستين هجرية صار يزيد بن معاوية هو الأمير، فهذه هي إمارة الصبيان. واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات سنة 58 هـ وفي رواية: سنة 59 هـ. وهذا من العلم الذي كتمه أبو هريرة، لا يهم العامة ولا ينبني عليه عمل يذكر، إنما هو في الفتن والملاحم وفي دلائل النبوة. وعن خليفة بن سعد، قال: رأيت عثمان في بعض طرق المدينة وهو يقول:﴿مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ يُسَلَّطَ عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ فَيَدْعُوا عَلَيْهِمْ خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ قَالَ: وَرَحِمَتْهُ حَمْلُهُ فَأَخَذَ بِعَضُدَيْهِ فَقَالَ: لَا أَمُوتُ حَتَّى تُدْرِكَنِي إِمَارَةُ الصِّبْيَانِ﴾.

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ السنن الكبرى للنسائي/ أسد الغابة/ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ مسند أحمد/ المعجم الأوسط/ أسد الغابة/ صحيح مسلم/ صحيح البخاري/ مصنف ابن أبي شيبة/ قصة موسى والخضر / الطبقات الكبرى

◆ زياد بن أبيه (عامل أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، أول ملوك الدولة الأموية) والحكم الغفاري [011]

غزا الحكم بن عمرو[1] نائب زياد[2] على خراسان جبل الأشل، عن أمر زياد، فقتل منهم خلقا كثيرا، وغنم أموالا جمة، فكتب إليه زياد: إن أمير المؤمنين قد جاء كتابه أن يصطفي له كل صفراء وبيضاء -يعني الذهب والفضة- يجمع كله من هذه الغنيمة لبيت المال. فكتب الحكم بن عمرو إليه: إن كتاب الله مقدم على كتاب أمير المؤمنين، وإنه والله لو كانت السماوات والأرض رتقا على عبد فاتقى الله، لجعل له مخرجا. ثم نادى في الناس أن اغدوا على قسم غنيمتكم. فقسمها بينهم، وخالف زيادا فيما كتب إليه عن معاوية، وعزل الخمس كما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ثم قال الحكم: اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك. فمات بمرو من خراسان، وقيل: استخلف لما حضرته الوفاة أنس بن أبي أناس. وقيل: أن معاوية لما فعل الحكم في قسمة الفيء ما فعل وجه إليه من قيده وحبسه، فمات في قيوده ودفن فيها، وقال: إني مخاصم. فالله أعلم. يقول ابن منبه: ما من عبد يعلم الله نيته الصدق إلا لو كادته السموات والأرض لجعل الله له من بينهما مخرجا.

عن الحسن، أن زيادا استعمل الحكم بن عمرو الغفاري على جيش فلقيه عمران بن حصين[3] في دار الإمارة فيما بين الناس، فقال له: أتدري فيم جئتك؟ أما تذكر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه الذي قال له أميره: قم فقع في النار، فقام الرجل ليقع فيها فأدركه فأمسكه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿لَوْ وَقَعَ فِيهَا لَدَخَلَ النَّارَ، لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ﴾ قال الحكم: بلى، قال عمران: إنما أردت أن أذكرك هذا الحديث. -وفي رواية-: قال له عمران: الله أكبر ورفع يديه.

عن أبي حاجب، قال: كنت عند الحكم بن عمرو الغفاري إذ جاءه رسول علي رضي الله عنه، فقال: إن أمير المؤمنين، يقول لك: إنك أحق من أعاننا على هذا الأمر، فقال: إني سمعت خليلي ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا كان الأمر هكذا أو مثل هذا أن اتخذ سيفا من خشب. قال عنه الذهبي: كان ممن اعتزل الفتنة ولم يقاتل مع علي، وعن حميد بن هلال قال: لما هاجت الفتن، قال عمران بن حصين لحجير بن الربيع العدوي:[4]اذهب إلى قومك فانهم عن الفتنة. قال: إني لمغمور فيهم وما أطاع، فأبلغهم عني وانههم عنها. قال: وسمعت عمران يقسم بالله: لأن أكون عبدا حبشيا أسود في أعنز حصبات، في رأس جبل أرعاهن حتى يدركني أجلي أحب إلي أن أرمي أحد الصفين بسهم أخطأت أم أصبت.

---

(1) الحكم بن عمرو بن مجدع رضي الله عنه. صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبض ثم تحول إلى البصرة فولاه زياد بن سفيان خراسان فخرج إليها. توفي سنة 50هـ. والحكم بن عمرو الغفاري هو أخو رافع بن عمرو، غلب عليهما هذا النسب إلى غفار، وأهل العلم بالنسب يمنعون ذلك، ويقولون: إنهما من ولد نعيلة بن مليل أخي غفار بن مليل. ويقولون: هو الحكم بن عمرو بن مجدع بن حذيم بن الحارث بن نعيلة بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة. روى عنه الحسن، وابن سيرين، وعبد الله بن الصامت، وأبو الشعثاء، ودلجة بن قيس، وأبو حاجب، وغيرهم. واستعمله زياد بن أبيه على خراسان، من غير قصد منه لولايته، إنما أرسل زياد يستدعي الحكم، فمضى الرسول غلطا منه، وأحضر الحكم بن عمرو، فلما رآه زياد، قال: هذا رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واستعمله عليها.

(3) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن عبد نهم بن حذيفة بن جهمة بن غاضرة بن حبشية بن كعب بن عمرو الخزاعي، هكذا نسبه ابن الكلبي ومن تبعه. وعند أبي عمر: عبد نهم بن سالم بن غاضرة. ويكنى أبا نجيد، بنون وجيم مصغرا. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث، وكان إسلامه عام خيبر، وغزا عدة غزوات، وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح، قاله ابن البرقي. وقال الطبراني: أسلم قديما هو وأبوه وأخته، وكان ينزل بيلاد قومه، ثم تحول إلى البصرة إلى أن مات بها. روى عنه ابنه نجيد، وأبو الأسود الدؤلي، وأبو رجاء العطاردي، وربعي بن حراش، ومطرف، وأبو العلاء ابنا عبد الله بن الشخير، وزهدم الجرمي، وصفوان بن محرز، وزرارة بن أبي أوفى، وآخرون. وأخرج الطبراني بسند صحيح، عن سعيد بن أبي هلال، عن أبي الأسود الدؤلي، قال: قدمت البصرة، وبها عمران بن حصين، وكان عمر بعثه ليفقه أهلها. وقال خليفة: استقضى عبد الله بن عامر عمران بن حصين على البصرة، فأقام أياما ثم استعفاه. وقال ابن سعد: استقضاه زياد ثم استعفاه فأعفاه. وكان قد اعتزل الفتنة فلم يقاتل فيها. مات سنة 52 هـ وقيل سنة 53 هـ.

(4) حجير بن الربيع العدوي البصري، أخو حريث بن الربيع، ويقال: أخو سليمان بن الربيع. وقال البخاري: يقال: حجير وحريث وسليمان بن الربيع إخوة، وقال غيره: يقال: إنه أبو السوار العدوي. روى عن عمر بن الخطاب، وعن عمران بن حصين، روى عنه إسحاق بن سويد، وأوفى بن دلهم، وحميد بن هلال، وأبو نعامة عمرو بن عيسى العدويون. قيل توفي سنة 101 هـ.

(2) زياد بن أبيه: زيد بن عبيد الثقفي، زياد ابن سمية، وهي أمه، وهو زياد بن أبي سفيان الذي استلحقه معاوية بأنه أخوه. كانت سمية مولاة للحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب. يكنى أبا المغيرة. توفي زياد بن أبيه سنة 53 هـ

عن الحسن، قال: قال الحكم بن عمرو الغفاري: يا طاعون خذني إليك، فقال له رجل من القوم: لم تقول هذا؟ وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:﴿لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ﴾؟ قال: قد سمعت ما سمعتم، ولكني أبادر ستا: بيع الحكم، وكثرة الشرط، وإمارة الصبيان، وسفك الدماء، وقطيعة الرحم، ونشوا يكونون في آخر الزمان يتخذون القرآن مزامير. عن أبي هريرة، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنٌ، فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيءٌ لَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ﴾ قال رسته : سألت ابن مهدي عن الرجل يتمنى الموت لخافة الفتنة على دينه، قال: ما أرى بذلك بأسا، لكن لا يتمناه من ضر به أو فاقة. يعني: أن الإنسان لو خاف على دينه فله أن يتمنى الموت، ولكن لو أصابه فقر أو مرض لا يتمنى الموت؛ لأنه قد يكون كالمستجير من الرمضاء بالنار، فلا يدري كيف يكون حاله في القبر وفي الآخرة، فأهل الدين لا يتمنون الموت إلا إذا أصابهم ضرر في الدين، كأن يخافوا على أنفسهم من الفتنة، كما في حديث: ﴿وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ﴾ ولكن أهل الدنيا قد يتمنون الموت لضر أصابهم في الدنيا، وقد جاء في الحديث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا الْمَوْتِ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي﴾، وقد تمنى الموت أبو بكر وعمر ومن دونهما. وعن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر أحاديث منها: وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلَّا خَيْرًا﴾ وعن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي زَمَانٌ يَتَمَنَّوْنَ فِيهِ الدَّجَّالَ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مِمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: مِمَّا يَلْقُونَ مِنَ الْعَنَاءِ وَالْعَنَاءِ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة، قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ. فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، فَقَالَ: لَيْسَ كَذَلِكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ، أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَسَخَطِهِ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ﴾ قال مسلم بن أبي بكرة سمعت أبا بكرة يحدث، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّمَا سَتَكُونُ فِتَنٌ: أَلَا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا. أَلَا، فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ. قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ؟ قَالَ: يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لِيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ، اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟. قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ: يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ وعن بسر بن سعيد ﴿أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ عِنْدَ فِتْنَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي وَالْمَاشِي، خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي. قَالَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي، فَبَسَطَ يَدَهُ إِلَيَّ لِيَقْتُلَنِي؟ قَالَ: كُنْ كَابْنِ آدَمَ﴾ عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبِيَّةٍ أَوْ يَدْعُو لِعَصَبِيَّةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَسْيِفُ بِسَيْفِهِ يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ﴾ (لعصبة) عصبة الرجل أقاربه من جهة الأب سموا بذلك لأنهم يعصبونه ويعتصب بهم أي يحيطون به ويشتد بهم والمعنى يغضب ويقاتل ويدعو غيره كذلك لا لنصرة الدين والحق بل لمحض التعصب لقومه ولهواه كما يقاتل أهل الجاهلية فإنهم إنما كانوا يقاتلون لمحض العصبية.

مراجع: المستدرك على الصحيحين للحاكم/ أسد الغابة/ صفة الصفوة/ مسند أحمد/ صحيح مسلم/ المعجم الأوسط/ مشاهير علماء الأمصار/ الإصابة في تمييز الصحابة

◆ زياد بن أبيه، (عامل أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، أول ملوك الدولة الأموية) وحجر بن عدي [012]

كان المغيرة بن شعبة [1] على الكوفة إذا ذكر عليا في خطبته يتنقصه بعد مدح عثمان [2] وشيعته، فيغضب حجر بن عدي [3]، ويظهر الإنكار عليه، وكان المغيرة فيه حلم وأناة، فكان يصفح عنه ويعظه فيما بينه وبينه، ويحذره غب هذا الصنيع، فإن معارضة السلطان شديد وبالها، فلم يرجع حجر عن ذلك. فلما كان في آخر أيام المغيرة قام حجر يوما، فأنكر عليه في الخطبة وصاح به، وذمه بتأخيره العطاء عن الناس، وقام معه فتام من الناس لقيامه، يصدقونه ويشنعون على المغيرة، ودخل المغيرة بعد الصلاة قصر الإمارة، ودخل معه جمهور الناس من الأمراء وغيرهم، فأشاروا على المغيرة بأن يرد حجرا عما يتعاطاه من الجرأة على السلطان وشق العصا والقيام على الأمير وذمروه وحثوه على التنكيل به، فصفح عنه وحلم.

ذكر يونس بن عبيد أن معاوية كتب إلى المغيرة يستمده بمال يبعثه من بيت المال، فبعث عيرا تحمل مالا فاعترض لها حجر، فأمسك بزمام أولها، وقال: لا والله حتى يوفي كل ذي حق حقه. فقال شباب ثقيف للمغيرة: ألا نأتيك برأسه؟ فقال: ما كنت لأفعل ذلك بحجر. فتركه، فلما بلغ معاوية ذلك عزل المغيرة وولى زيادا [4]. والصحيح أنه لم يعزل المغيرة حتى مات، فلما توفي المغيرة بن شعبة، وجمعت الكوفة مع البصرة لزياد.

قال ابن سيرين لم يكن لزياد هم لما قدم الكوفة إلا حجرا واصحابه فتكلم يوما زياد وهو على المنبر فقال أن من حق أمير المؤمنين من حق أمير المؤمنين مرارا فقال كذبت ليس ذلك فسكت زياد ونظر إليه ثم عاد في كلامه فقال أن من حق أمير المؤمنين أن من حق أمير المؤمنين مرارا نحوا من كلامه فأخذ حجر كفا من حصا فحصبه وقال كذبت كذبت كذبت عليك لعنة الله قال فانحدر زياد من المنبر وصلى ثم دخل الدار وانصرف حجر فبعث إليه زياد الخيل والرجال أجب قال حجر أني والله ما أنا بالذي يخاف ولا آتيه اخاف على نفسي قال ابن سيرين لو مال لمال أهل الكوفة معه ولكن كان رجلا ورعا وابى زياد أن يقلع عنه الخيل والرجال حتى اصطلحا أن يقيده بسلسلة ويرسله في ثلاثين من اصحابه إلى معاوية فلما خرج اتبعه زياد بردا بالكتب بالركض إلى معاوية أن كان لك في سلطانك حاجة أو في الكوفة حاجة فاكفني حجرا وجعل يرفع الكتب إلى معاوية حتى الهفه عليه فقدم فدخل عليه فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين قال معاوية أو أمير المؤمنين أنا قال نعم ثلاثا فأمر بحجر وبخمسة عشر رجلا من اصحابه قد كتب زياد فيهم وسماهم واخرج حجرا واصحابه الخمسة عشر وقد أمر بضرب أعناقهم فقال حجر للذي أمر بقتله دعني فلأصلي ركعتين قال صله فصلى ركعتين خفيفتين فلما سلم اقبل على الناس فقال لولا أن تقولوا جزع من القتل لاحببت أن تكون ركعتان انفس مما كانتا وايم الله لئن لم تكن صلاتي فيما مضى تنفعني فما هاتان بنافعتي شيئا ثم اخذ برده فتحرم به ثم قال لمن يليه من قومه ومن يتحرن به لا تخلوا قيودي ولا تغسلوا عني الدم فإني اجتمع أنا ومعاوية غدا على المحجة. روى ابن جرير أن معاوية لما حضره الموت جعل يغرغر بروحه وهو يقول: إن يومي بك يا حجر بن عدي لطويل. قالها ثلاثا. فالله أعلم.

حدث الحسن، أن عائذ بن عمرو [5]، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على عبيد الله بن زياد [6]، فقال: أي بني، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ﴾ فقال له: اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: وهل كانت لهم نخالة؟ إنما كانت النخالة بعدهم، وفي غيرهم. والنخالة: يعني لست من فضلائهم وعلمائهم وأهل المراتب منهم بل من سقطهم، (وهل كانت لهم نخالة؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم) هذا من جزل الكلام وفصيحه وصدقه الذي ينقاد له كل مسلم فإن الصحابة رضي الله عنهم كلهم هم صفوة الناس وسادات الأمة وأفضل ممن بعدهم وفيمن بعدهم كانت النخالة.

---

(3) حجر بن عدي بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كندي الكوفي. ويقال له: حجر الخير. ويقال له: حجر بن الأدبر. لأن آباه عديا طعن موليا فسمي الأدبر، ويكنى حجر بأبي عبد الرحمن، وهو من كندة من رؤساء أهل الكوفة. قال ابن عساكر: وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسمع عليا وعمارا وشراحيل بن مرة. ويقال: شرحبيل بن مرة. وروى عنه أبو ليلى مولاه، وعبد الرحمن بن عابس، وأبو البختري الطائي. وغزا الشام في الجيش الذين افتتحوا عذراء وشهد صفين مع علي أميرا، وقتل بعذراء من قرى دمشق سنة 51 هـ.

(5) عائذ بن عمرو بن هلال المزني، أبو هبيرة البصري، أخو رافع بن عمرو المزني، له صحبة، شهد بيعة الرضوان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن: أبي بكر الصديق. روى عنه الحسن البصري، وابنه حشرج بن عائذ بن عمرو المزني، وسوادة بن عاصم، وعبد الله بن خليفة، ويقال: خليفة بن عبد الله العنبري، ويقال: الغبري، وعبد العزيز بن أبي سعيد، ويقال: ابن سعد المزني، ومعاوية بن قرة المزني، وأبو جمرة الضبيعي، وأبو سبرة الهذلي، وأبو شمر الضبعي، وأبو عمران الجوني: البصريون.ومات عائذ في ولاية عبيد الله بن زياد، ويكنى أبا هبيرة.حدث ثابت البناني، أن عائذ بن عمرو أوصى أن يصلي عليه أبوبرزة الأسلمي، فركب عبيد الله بن زياد ليصلي عليه، فلما بلغ قصر هشام، قيل له: إنه قد أوصى أن يصلي عليه أبوبرزة، فركب دابته راجعا.

(1) المغيرة بن شعبة الثقفي صحابي، أسلم عام الخندق، روى له عن الرسول صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة، وكان المغيرة موصوفا بالدهاء والحلم، شهد الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولاه عمر بن الخطاب البصرة ثم الكوفة، وشهد اليمامة، وفتح الشام والقادسية، توفى بالكوفة سنة 50 أو 51 هـ.

(6) عبيد الله بن زياد بن أبيه كان والي العراق ليزيد بن معاوية. قتله إبراهيم بن مالك الأشتر سنة 67 هـ وكان شمر بن ذي الجوشن هو قائد الميسرة في جيش عبيد الله بن زياد. وهو القاتل الفعلي للحسين بن علي رضي الله عنه.

(4) زياد بن أبيه، زيد بن عبيد الثقفي، زياد ابن سمية، وهي أمه، وهو زياد بن أبي سفيان الذي استلحقه معاوية بأنه أخوه. كانت سمية مولاة للحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب. يكنى أبا المغيرة. توفي زياد بن أبيه سنة 53 هـ

(2) أبو عبد الله عثمان بن عفان الأموي القرشي، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،ومن السابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي صلى الله عليه وسلم، رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ. وقتل سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه واختلف في قاتله فقيل الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائما يومئذ. ودفن بالبقيع.

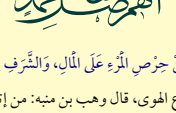

روى كعب بن مالك عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال:﴿مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ، وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ﴾ قال الترمذى حديث حسن صحيح فأخبر أن حرص المرء على المال والرياسة فسد دينه مثل أو أكثر من فساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم. وأصل محبة المال والشرف حب الدنيا، وأصل حب الدنيا إتباع الهوى، قال وهب بن منبه: من إتباع الهوى الرغبة في الدنيا، ومن الرغبة فيها حب المال والشرف، ومن حب المال والشرف استحلال المحارم. وقال الحسن: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة، وقال وهيب بن الورد: إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل. ففي درجات الآخرة الباقية يشرع التنافس وطلب العلو في منازلها والحرص على ذلك بالسعي في أسبابه، وأن لا يقنع الإنسان منها بالدون مع قدرته على العلو، وأما العلو الفاني، المنقطع الذي يعقب صاحبه غدا حسرة وندامة وذلة وهوانا وصغارا فهو الذي ينشر الزهد فيه والإعراض عنه، وهذا الفقه العظيم والفهم العميق تتعلمه من سيرة الحسن بن علي رضي الله عنهما، فقد ترك الملك والسلطان رغبة فيما عند الله وحقنا لدماء المسلمين، فقد تركها وهو في قوة ومنعة فقد قال: كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله. وقال: ولكن خشيت أن يجيء يوم القيامة سبعون ألفا أو ثمانون ألفا، أو أكثر أو أقل، كلهم تنضح أوداجهم دما، كلهم يستعدي الله فيم هريق دمه، لقد بايع الحسن بن علي بعد وفاة علي تسعون ألفا، فزهد في الخلافة، فلم يردها وسلمها لمعاوية وقال: لا يهرق علي يدي محجمة دم. وقال: ما أحببت أن ألي من أمة محمد مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم، قد علمت ما ينفعني مما يضرني، فالحقوا بطيتكم.

عن زياد بن علاقة، قال: سمعت جرير بن عبد الله، يقول يوم مات المغيرة بن شعبة، قام فحمد الله وأثنى عليه، وقال: عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له، والوقار، والسكينة، حتى يأتيكم أمير، فإنما يأتيكم الآن. ثم قال: استعفوا لأميركم، فإنه كان يحب العفو، ثم قال:﴿أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: أُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلاَمِ فَشَرَطَ عَلَيَّ: وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا﴾ ورب هذا المسجد إني لناصح لكم، ثم استغفر ونزل.

الصحابة هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفقاء دعوته الذين أثنى الله عزّ وجلّ عليهم في مواضع كثيرة من القرآن، قال الله تعالى:﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة] وقال الله تعالى:﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح] من سبهم بعد هذه الآيات فهو مكذب بالقرآن. والواجب نحوهم محبتهم والترضي عنهم والدفاع عنهم، ورد من تعرض لأعراضهم، ولا شك أن حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، وقد أجمع العلماء على عدالتهم، أما التعرض لهم وسبهم وازدراؤهم قال ابن تيمية: إن كان مستحلاً لسب الصحابة رضي الله تعالى عنهم فهو كافر. وقد حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك بقوله: ﴿مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا، وَلا عَدْلا﴾ وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ﴾ وعن أبان بن عثمان قال: سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول﴿مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ﴾ وعن عطاء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله﴾ وعن علي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ شَتَمَ الْأَنْبِيَاءَ قُتِلَ، وَمَنْ شَتَمَ أَصْحَابِي جُلِدَ﴾ قال الله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (57) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب] فرّق الله عزّ وجلّ في الآية بين أذى الله ورسوله، وبين أذى المؤمنين والمؤمنات، فجعل على هذا أنه قد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً، وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة وأعد له العذاب المهين، ومعلوم أن أذى المؤمنين قد يكون من كبائر الإثم وفيه الجلد، وليس فوق ذلك إلا الكفر والقتل. وقيل جلس معاوية يبايع الناس على البراءة من علي؛ فقال له رجل من بني تميم: يا أمير المؤمنين، نطيع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم. فالتفت معاوية إلى زياد فقال: هذا رجل فاستوص به.

مراجع: الطبقات الكبرى/ سير أعلام النبلاء/ البداية والنهاية/ تاريخ بغداد/ مسند أحمد/ تاريخ عصر الخلفاء الراشدين/ مصنف ابن أبي شيبة/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال

◆ مروان بن الحكم (عامل أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، أول ملوك الدولة الأموية) وسعد بن أبي وقاص [013]

عن سعيد بن المسيب قال: كان ابن البرصاء الليثي [1] من جلساء مروان بن الحكم [2] ومحدثيه، وكان يسمر معه، فذكروا عند مروان الفيء فقال: مال الله، وقد بين الله قسمه، ووضعه عمر بن الخطاب مواضعه. فقال مروان: المال مال أمير المؤمنين معاوية يقسمه فيمن شاء، ويمنعه ممن شاء، وما أمضى فيه من شيء فهو مصيب فيه. فخرج ابن البرصاء فلقي سعد بن أبي وقاص، فأخبره بقول مروان، قال سعد بن المسيب: فلقيني سعد بن أبي وقاص [3] وأنا أريد المسجد فضرب عضدي، ثم قال: الحقني تربت يداك. فخرجت معه لا أدري أين يريد، حتى دخلنا على مروان بن الحكم داره، فلم أهب شيئا هيبتي له، وجلست لئلا يعلم مروان أني كنت مع سعد، فقال له سعد لما دخل عليه قبل أن يسلم: يا مري (1) آنت الذي يزعم أن المال مال معاوية؟ فقال مروان: ما قلت، ومن أخبرك؟ قال: أنت الذي يزعم أن المال مال معاوية؟ قال مروان: وقلت ذاك فمه (2)؟ قال: فردد ذلك عليه. قال: فقلت ذاك فمه؟ قال: فرددها عليه الثالثة. قال: فقلت ذلك فمه؟ فرفع يديه إلى الله يدعو، وزال رداؤه عنه، وكان أشعر بعيد ما بين المنكبين، فوثب إليه مروان فأمسك يديه، وقال: اكفف عني يدك أيها الشيخ، إنك حملتنا على أمر فركبناه، فليس الأمر كذلك. فقال سعد: أما والله لو لم تنزع، ما زلت أدعو عليك حتى يستجاب لي أو تنفرد هذه السالفة (3). فلما خرج سعد ثبت في مجلسي عند مروان، فقال مروان: من ترونه قال لهذا (4) الشيخ؟ قالوا: ابن البرصاء الليثي، فأرسل إليه فأتي به، فقال: ما حملك على أن قلت لهذا الشيخ ما قلت؟ قال الليثي: ذاك حق ما كنت أظنك تجترئ على الله وتفرق (5) من سعد! فقال له مروان: أو كلما سمعت تكلمت به؟ أما والله لتعلمن، ثم أمر أن يجرد من ثيابه ليضرب فجرد وبرز بين يديه، قال: فينا نحن على ذلك دخل حاجبه. فقال: هذا أبو خالد حكيم بن حزام [4] فقال: ائذن له. ثم قال: ردوا عليه ثيابه، أخرجوه عنا لا يهيج علينا هذا الشيخ كما فعل الآخر قبله.

قال مروان لحويطب بن عبد العزى [5] ،وكان كبيرا مسنا. أيها الشيخ، تأخر إسلامك حتى سبقك الأحداث. فقال: الله المستعان، والله لقد هممت بالإسلام غير مرة، وكل ذلك يعوقني عنه أبوك [6] وينهاني، ويقول: يضع من قدرك أن تترك دين آبائك لدين محدث، وتصير تابعا فسكت مروان.

قيل لما انصرف مروان بن الحكم من مصر إلى الشام استعمل عبد العزيز [7] ابنه على مصر، وقال له حين ودعه: أرسل حكيما ولا توصه. أي بني، انظر إلى عمالك، فإن كان لهم عندك حق غدوة فلا تؤخرهم إلى عشية، وإن كان لهم عشية فلا تؤخرهم إلى غدوة، وأعطهم حقوقهم عند محلها تستوجب بذلك الطاعة منهم. وإياك أن يظهر لرعيتك منك كذب، فإنهم إن ظهر لهم منك كذب لم يصدقوك في الحق. واستشر جلساءك وأهل العلم؛ فإن لم يستبن لك فاكتب إلي بأتك رأيي فيه إن شاء الله تعالى. وإن كان بك غضب على أحد من رعيتك فلا تؤاخذه به عند سورة الغضب، واحبس عنه عقوبتك حتى يسكن غضبك ثم يكون منك ما يكون وأنت ساكن الغضب منطفىء الجمرة، فإن أول من جعل السجن كان حليما ذا أناة. ثم انظر إلى ذوي الحسب والدين والمروءة فليكونوا أصحابك وجلساءك؛ ثم ارفع منازلهم منك على غيرهم، على غير استرسال ولا انقباض، أقول هذا وأستخلف الله عليك.

قال ابن أبي مليكة: شهدت عبد العزيز عند الموت يقول: يا ليتني لم أكن شيئا، يا ليتني كهذا الماء الجاري. وقيل: قال: هاتوا كفني، أف لك، ما أقصر طويلك وأقل كثيرك. وعن حماد بن موسى، قال: لما احتضر عبد العزيز، أتاه البشير يبشره بماله الواصل في العام، فقال: مالك؟ قال: هذه ثلاث مائة مدي من ذهب. قال: مالي وله لوددت، أنه كان بعرا حائلا بنجد. قلت: هذا قول كل ملك كثير الأموال، فهلا يبادر ببذله.

(1) تصغير مروان. (2) أي: فإذا أنت فاعل أو نحو ذلك. (3) السالفة: صفحة العنق. يريد: أو حتى أموت، لان انفرادها يعني الموت المحتم. (4) في الجمهرة: قال هذا لهذا. (5) فرق: خاف وفزع.

➔ (3) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق القرشي الزهري المديني شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة ومات بالمدينة قال عمرو بن علي مات سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقد أسلم وهو ابن 19 ومات وهو ابن 74 وقال أبو نعيم مات في سنة 58 هـ. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن خولة بنت حكيم السلمية في الدعاء، وروى عنه أبو عثمان النهدي في الإيمان وعامر بن سعد ومحمد بن سعد وجابر بن سمرة ومصعب بن سعد وغنيم بن قيس وأبو عبد الله دينار القراظ وسعيد بن المسيب ومالك بن أوس وابنه إبراهيم بن سعد وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وشريح بن هانىء أبو عثمان النهدي وبسر بن سعيد وقيس بن أبي حازم.

➔ (1) الحارث بن مالك بن قيس الليثي الحجازي، المعروف بابن البرصاء وهي أمه، وقيل: جدته أم أبيه، وهي ريطة بنت ربيعة بن رياح بن ذي البردين، من بني هلال بن عامر، له صحبة. قال أبو القاسم الطبراني: وهو الحارث بن مالك بن قيس ابن عويذ بن عبد الله بن جابر بن عبد مناف بن شجع بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة.روى عن: النبي صلى الله عليه وسلم. روى عنه: عامر الشعبي، وعبيد بن جريج. روى له الترمذي حديثا واحدا.

➔ (2) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، الأموي القرشي، أبو عبد الملك. بايع نفسه بالخلافة من غير عهد ولا مشورة، بعد خلع معاوية بن يزيد. وقيل: بعد خلع خالد بن يزيد.ولقب: المؤتمن بالله.والحكم والده هو طريد النبي صلى الله عليه وسلم نفاه إلى الطائف؛ فأقام بالطائف حتى تخلف عثمان أذن له بالعود إلى المدينة. قال ابن سعد: كانوا يتقمون على عثمان تقريب مروان وتصرفه في الأمور. بعد أن شارك في وقعة الجمل أقام بالمدينة حتى استخلف معاوية. مات سنة 65 هـ بدمشق، وقيل: مات مطعونا. وكان مروان كاتبا لعثمان بن عفان. وهو من أعظم الأسباب في زوال دولة عثمان وكانت خلافته نحو تسعة أشهر. وقيل أكثر من ذلك.وتخلف من بعده ابنه عبد الملك.

➔ (7) عبد العزيز بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص أمير مصر، أبو الأصبغ المدني ولي العهد بعد أخوه عبد الملك عقد له بذلك أبوه واستقل بملك مصر عشرين سنة وزيادة. وهو والد الخليفة عمر بن عبد العزيز. يروي عن أبيه، وأبي هريرة وعقبة بن عامر وابن الزبير. روى عنه ابنه؛ عمر بن عبد العزيز، والزهري، وكثير بن مرة، وعلي بن رباح، وابن أبي ملكية، ويحيى بن ذاخر. ولد سنة 27 هـ ومات سنة 85 هـ. وقيل سنة 86 هـ والأول أصح، وقد كان مات قبله ابنه أصبغ بستة عشر يوما، فحزن عليه ومرض ومات بحلوان؛ مدينة صغيرة أنشأها على بريد فوق مصر وعاش أخوه عبد الملك بعده فلما جاءه نعيه عقد بولاية العهد لابنيه: الوليد ثم سليمان.

➔ (5) حويطب بن عبد العزى من بني عامر بن لؤي بن غالب القرشي، من مسلمة الفتح، سنه سن حكيم بن حزام، عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام ستين سنة، وكانت كنيته أبا محمد، ويقال: أبو الأصبغ. مات بالمدينة سنة 54 هـ في آخر خلافة معاوية.

➔ (6) الحكم بن أبي العاص الأموي عم عثمان، ووالد مروان، كان النبي صلى الله عليه وسلم قد طرده إلى الطائف، وبقي طريدا إلى زمن عثمان، فرده إلى المدينة، واعتذر بأنه قد كان شفع فيه إلى النبي فوعده برده، وهو مؤتمن على ما قال، وهو أحد الأسباب التي تقموا بها على عثمان.

➔ (4) أبو خالد حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزي بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب الاسدي، عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام ستين سنة،ومات قبيل سنة 60 هـ وهو ابن 120 سنة، وقيل مات سنة 54 هـ،وولد قبل الفيل بثلاث عشرة سنة

حدث عبد الله بن شداد، قال سمعت عليا رضي الله عنه، يقول:﴿مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفَدِّي رَجُلًا بَعْدَ سَعْدٍ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي﴾ وعن عامر بن سعد، عن أبيه، قال:﴿لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَأَنَا ثُلُثُ الإِسْلاَمِ﴾ (ثلث الإسلام) ثالث من أسلم أولا من الرجال الأحرار وعن سعد بن أبي وقاص، قال:﴿رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَمَعَهُ رَجُلاَنِ يُقَاتِلاَنِ عَنْهُ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، كَأَشَدِّ القِتَالِ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلاَ بَعْدُ﴾ (رجلان) يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام كما هو عند مسلم. قال سعيد بن المسيب، سمعت سعد بن أبي وقاص، يقول: ﴿نَثَلَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي﴾ (نثل. . كنانته) استخرج لي ما فيها من سهام لأرمي بها المشركين.

عن المقدام وغيره أن سعدا قال:﴿يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُجِيبَ دَعْوَتِي فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ اللهِ دَعْوَةَ عَبْدٍ حَتَّى يُطَيِّبَ مَطْعَمَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَطِيبَ مَطْعَمِي فَدَعَا لَهُ﴾ قالوا: فكان سعيد يتورع من السنبلة يجدها في زرعه فيردها من حيث أخذت. وعن قيس بن أبي حازم عن سعد قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿اللَّهُمَّ سَدِّدْ رَمْيَتَهُ وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ﴾ وقد كان كذلك مجاب الدعوة لا يكاد يدعو بدعاء إلا استجيب له، فمن أشهر ذلك ما روي في الصحيحين من طريق عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سلمة: أن أهل الكوفة شكوا سعدا إلى عمر في كل شئ حتى قالوا: لا يحسن يصلي، فقال سعد: أما إني لا آلو أن أصلي بهم صلاة رسول الله، أطيل الأوليين وأحذف الأخريتين، فقال: الظن بك يا أبا إسحاق، وكان قد بعث من يسأل عنه بمحال الكوفة، فجعلوا لا يسألون أهل مسجد إلا أثنوا خيرا، حتى مروا بمسجد لبني عبس فقام رجل منهم يقال له أبو سعدة أسامة بن قتادة فقال: إن سعدا كان لا يسير في السرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في الرعية القضية، فبلغ سعدا فقال: اللهم إن كان عبدك هذا قام مقام رياء وسمعة فأطل عمره وأدم فقره، وأعم بصره وعرضه للفتن، قال: فأنا رأيته بعد ذلك شيخا كبيرا قد سقطت حاجباه على عينيه يقف في الطريق فيغمز الجواري فيقال له، فيقول: شيخ مفتون أصابته دعوة سعد. وفي رواية غريبة أنه أدرك فتنة المختار بن أبي عبيد فقتل فيها. وعن قيس، قال: سمعت سعدا رضي الله عنه، يقول: ﴿إِنِّي لَأَوَّلُ العَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا يَضَعُ البَعِيرُ أَوِ الشَّاةُ، مَا لَهُ خِلْطٌ ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي عَلَى الإِسْلاَمِ، لَقَدْ خِبْتُ إِذًا وَضَلَّ عَمَلِي، وَكَانُوا وَشَوْا بِهِ إِلَى عُمَرَ، قَالُوا: لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي﴾ (تعزرني) تؤذيني إذ تعلمني الصلاة وتعيرني بأني لا أحسنها (لقد خبت) إن كنت محتاجا لتعليمهم. (ضل عملي) فيما مضى لنقصه على زعمهم.

قال سفيان بن عيينة: لما كان يوم القادسية كان سعد على الناس وقد أصابته جراح فلم يشهد يوم الفتح، فقال رجل من بجيلة: ألم تر أن الله أظهر دينه ... وسعد بباب القادسية معصم ... فأبنا وقد أيمت نساء كثيرة ... ونسوة سعد ليس فيهن أيم.

فقال سعد: اللهم اكفنا يده ولسانه. فجاءه سهم غرب فأصابه فخرس ويبست يداه جميعا. ثم خرج سعد فأرى الناس ما به من القروح في ظهره ليعتذر إليهم. وقال هشيم عن أبي بلج عن مصعب بن سعد أن رجلا نال من علي فنهاه سعد فلم ينته، فقال سعد: أدعو عليك، فلما ينته، فدعا الله عليه حتى جاء بعير ناد فتخبطه. وجاء من وجه آخر عن عامر بن سعد أن سعدا رأى جماعة عكوفا على رجل فأدخل رأسه من بين اثنين فإذا هو يسب عليا وطلحة والزبير، فنهاه عن ذلك فلم ينته، فقال: أدعو عليك، فقال الرجل: تتهددني كأنك نبي؟ فانصرف سعد فدخل دار آل فلان فتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع يديه فقال: اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سب أقواما قد سبق لهم منك سابقة الحسنى، وأنه قد أسخطك سبه إياهم، فاجعله اليوم آية وعبرة. قال: فخرجت بختية* نادة من دار آل فلان لا يردها شئ حتى دخلت بين أضعاف الناس، فافترق الناس فأخذته بين قوائمها، فلم يزل تتخبطه حتى مات. قال: فلقد رأيت الناس يشتدون وراء سعد يقولون: استجاب الله دعاءك يا أبا إسحاق.

* الإبل الخراسانية

مراجع: رجال صحيح مسلم/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ صحيح البخاري/ البداية والنهاية/ الانساب للسمعاني

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الوليد (خامس ملوك الدولة الأموية) والحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب [014]

كان الحسن بن الحسن[1] وصي أبيه، وولي صدقة * علي بن أبي طالب في عصره، قال: وكان حجاج بن يوسف[2] قال له يوما، وهو يسايره في موكبه بالمدينة، وحجاج يومئذ أمير المدينة: أدخل عمك عمر بن علي[3] معك في صدقة علي، فإنه عمك وبقية أهلك، قال: لا أغير شرط علي، ولا أدخل فيها من لم يدخل. قال: إذا أدخله معك، فنكص عنه الحسن بن علي حين غفل الحجاج، ثم كان وجهه إلى عبد الملك[4] حتى قدم عليه، فوقف ببابه يطلب الإذن، فمر به يحيى بن الحكم[5]، فلما رآه يحيى عدل إليه فسلم عليه، وسأله عن مقدمه وخبره وتحفى به، ثم قال له: إني سأتبعك عند أمير المؤمنين، يعني عبد الملك - فدخل الحسن على عبد الملك، فرحب وأحسن مساءلته، وكان الحسن بن الحسن قد أسرع إليه الشيب فقال له عبد الملك: لقد أسرع إليك الشيب، ويحيى بن الحكم في المجلس - فقال له يحيى: وما يمنعه، شيبته أماني أهل العراق، كل عام يقدم عليه منهم ركب يمنونه الخلافة، فأقبل عليه الحسن، فقال: بئس والله الرفد رفدت، وليس كما قلت، ولكنا أهل بيت يسرع إلينا الشيب، وعبد الملك يسمع، فأقبل عليه عبد الملك، فقال له: هلم ما قدمت له، فأخبره بقول الحجاج، فقال: ليس ذلك له، اكتبوا إليه كتابا لا يجاوزه، ووصله وكتب له، فلما خرج من عنده، لقيه يحيى بن الحكم، فعاتبه الحسن بن الحسن على سوء محضره، وقال: ما هذا الذي وعدتني، فقال له يحيى: أيها عنك، والله لا يزال يهابك، ولولا هيبته إياك ما قضى لك حاجة، وما ألوتك رفدا.

حدث أبو مصعب، أن عبد الملك بن مروان كتب إلى عامله بالمدينة هشام بن إسماعيل:[6] إنه بلغني أن الحسن بن الحسن يكاتب أهل العراق، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث إليه ليؤت به، قال: فجئ به إليه، وشغله شيء، قال: فقام إليه علي بن حسين[7]، فقال: يا ابن عم، قل كلمات الفرج: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين. قال: فجلا للآخر وجهه، فنظر إليه، فقال: أرى وجها قد قشب بكذبة، خلوا سبيله، ولنراجع فيه أمير المؤمنين.وعن عبد الملك بن عمير قال: كتب الوليد بن عبد الملك إلى عثمان بن حيان المري: انظر الحسن بن الحسن فاجلده مئة ضربة، وقفه للناس يوما، ولا أراني إلا قاتله، قال: فبعث إليه، فجئ به، والخصوم بين يديه، قال: فقام إليه علي ابن حسين، فقال: يا أخي تكلم بكلمات الفرج، يفرج الله عنك: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين. قال: فقالها، قال: فانفرجت فرجة من الخصوم فرآه، فقال: أرى وجه رجل قد قرفت عليه كذبة، خلوا سبيله، أنا كاتب إلى أمير المؤمنين بعذره، فإن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. والرواية الأولى أشبه بالصواب، والله أعلم.

قال ابن شهاب الزهري: شهدت علي بن الحسين يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينة إلى الشام فأثقله حديدا، ووكل به حفاظا في عدة وجمع، فاستأذنتهم في التسليم عليه والتوديع له، فدخلت عليه، وهو في قبة، والأقياد في رجليه والغل في يديه، فبكيت وقلت: وددت أني مكانك وأنت سالم، فقال: يا زهري أوتظن هذا مما ترى على وفي عنقي يكرثني؟ أما لو شئت ما كان، فإنه وإن بلغ فيك وفي أمثالك ليذكرني عذاب الله. ثم أخرج يديه من الغل، ورجليه من القيد، ثم قال: يا زهري، لا جزت معهم على ذا منزلتين من المدينة. قال: فما لبثنا إلا أربع ليال حتى قدم الموكلون به يظنون أنه بالمدينة، فما وجدوه، فكنت فيمن سألهم عنه، فقال لي بعضهم: إنا نراه متبوعا، إنه لنازل، ونحن حوله لا ننام نرصده، إذ أصبحنا، فما وجدنا بين محمليه إلا حديده. قال الزهري: فقدمت بين ذلك على عبد الملك بن مروان فسألني عن علي بن الحسين فأخبرته، فقال لي: إنه قد جاءني في يوم فقدوه الأعوان، فدخل علي فقال: ما أنا وأنت؟ فقلت: أقم عندي، فقال: لا أحب، ثم خرج، فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، ليس علي بن الحسين حيث تظن، إنه مشغول بنفسه، فقال: حبذا شغل مثله، فنعم ما شغل به. وكان الزهري إذا ذكر علي بن الحسين يبكي، ويقول: زين العابدين.

* صدقة النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهي ما خلفه من الفيء الذي كان له فكانت بيد أبي بكر ثم بيد عمر ثم سلمها إلى العباس وعلي ثم غلبه علي عليها وكانت بيده ثم بيد حسن بن علي ثم بيد علي بن حسين وحسن بن حسن كلاهما كانا يتداولانها ثم بيد زيد بن الحسن.

---

(1) الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد،وهو أخو إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله لأمه، روى عن أبيه الحسن بن علي بن أبي طالب، وابن عمه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وبنت عمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، وكانت زوجته. توفي سنة 97 هـ

(6) هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة خو عبد الملك بن مروان (كانت بنت هشام بن إسماعيل زوجة عبد الملك، وأم ابنه هشام) وأميره على المدينة، وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب لما امتنع من البيعة للوليد، توفي في حدود 90 هـ.

(7) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. ولد في المدينة المنورة سنة 38 هـ وتوفي فيها سنة 72 هـ وقيل: سنة 95 هـ، ودفن بالبقيع.

(4) أبو الوليد، عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، القرشي، ولقب بالموفق لأمر الله. مولده سنة 26 هـ. ولاه معاوية على المدينة وعمره 16 عاما. وكان قبل خلافته عابدا زاهدا فقيها، ومن علماء المدينة، شارك في فتوحات أفريقيا عام 41، 45 هـ..في سنة 65 هـ تولى الأمر بعد وفاة والده مروان بن الحكم، (وكان الخليفة ابن الزبير) فانتزع العراق من ابن الزبير، ثم أخضع الحجاز كلها بعد أن قتل ابن الزبير، فبايعته باقي الأمصار، وغدا الملك (الخليفة) منذ سنة 73 هـ، فاستقر له الوضع تماما.ويعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية، فقد تولى والعالم الإسلامي متفككا واستطاع بحكمته وسياسته أن يرد البلاد كلها إلى الطاعة ويقضي على كل تمرد وعصيان. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم، توفي في شوال سنة 86 هـ.

(2) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك. وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله.

(3) يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو مروان الأموي، أخو مروان بن الحكم رابع ملوك بني أمية. كان يحيى بن الحكم عاملاً على المدينة لعبد الملك بن مروان.

(5) عمر بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب يعد في أهل المدينة. وفد على الوليد بن عبد الملك يسأله أن يوليه صدقة أبيه علي. ولد سنة 28 هـ وتوفي سنة 72 هـ..وقيل قتل مع مصعب بن الزبير. ولا يصح بل ذاك أخوه عبيد الله ابن علي. وقيل قتل أيام ثورة المختار الثقفي. والله أعلم

عن عبد الله بن صالح العجلي: حدثنا فضيل، يعني ابن مرزوق[1]، عن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، قال: سمعته يقول لرجل من الرافضة: والله لئن أمكننا الله منكم لنقطعن أيديكم وأرجلكم، ثم لا نقبل منكم توبة، فقال له رجل: لم لا تقبل منه توبة؟ قال: نحن أعلم بهؤلاء منكم، إن هؤلاء إن شاؤوا صدقوكم وإن شاؤوا كذبوكم، وزعموا أن ذلك يستقيم لهم في التقية، ويلك إن التقية إنما هي باب رخصة للمسلم، إذا اضطر إليها، وخاف من ذي سلطان، أعطاه غير ما في نفسه، يدرأ عن ذمة الله عزوجل، وليس بباب فضل، إنما الفضل في القيام بأمر الله، وقول الحق، وايم الله ما بلغ من أمر التقية، أن يجعل بها لعبد من عباد الله، أن يضل عباد الله. وقال فضيل بن مرزوق: قال الحسن بن الحسن: دخل علي المغيرة بن سعيد، يعني الذي أحرق في الزندقة، فذكر من قرابتي وشبهي برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنت أشبه وأنا شاب برسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لعن أبا بكر وعمر، فقلت: يا عدو الله، أعندي؟! ثم خنقته، والله، حتى دلع لسانه. قال جرير: سألت يحيى بن سعيد، فقلت: أرأيت من أدركت من الأئمة؟ ما كان قولهم في أبي بكر، وعمر، وعلي؟ فقال: سبحان الله! ما رأيت أحدا يشك في تفضيل أبي بكر وعمر على علي، إنما كان الاختلاف في علي وعثمان.

وقال له رجل من الرافضة: ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاه ؟ فقال: بلى، ولو أراد الخلافة لخطب الناس فقال: أيها الناس اعلموا أن هذا ولي أمركم من بعدي، وهو القائم عليكم، فاسمعوا له وأطيعوا، والله لئن كان الله ورسوله اختار عليا لهذا الأمر ثم تركه علي لكان أول من ترك أمر الله ورسوله، وقال لهم أيضا: والله لئن ولينا من الأمر شيئا لنقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، ثم لا نقبل لكم توبة، ويلكم غررتمونا من أنفسنا، ويلكم لو كانت القرابة تنفع بلا عمل لنفعت أباه وأمه، لو كان ما تقولون فينا حقا لكان آباؤنا إذ لم يعلمونا بذلك قد ظلمونا وكتمونا عنا أفضل الأمور، والله إني لأخشى أن يضاعف العذاب للعاصي منا ضعفين، كما إني لأرجو للمحسن منا أن يكون له الأجر مرتين، ويلكم أحبونا إن أطعنا الله على طاعته، وأبغضونا إن عصينا الله على معصيته.

قدم على علي بن الحسين نفر من أهل العراق، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان، فلما فرغوا من كلامهم، قال لهم: ألا تخبروني من أنتم أنتم المهاجرون الأولون﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ قالوا لا. قال فأنتم﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ قالوا لا. فقال أما أنتم الذين قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر] اخرجوا عني فعل الله بكم وصنع يقول ابن تيمية: إن أول ما عرف لفظ الرافضة في الإسلام عند خروج زيد بن علي في أوائل المئة الثانية، فسئل عن أبي بكر وعمر فتولاهما فرفضه قوم فسموا رافضة. وقال: ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما رفضه قوم فقال لهم: رفضتموني فسموا رافضة لرفضهم إياه، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيديا لانتسابهم. ومنذ ذلك التاريخ تميزت الرافضة عن باقي فرق الشيعة، فأصبحت فرقة مستقلة باسمها ومعتقدها.

ويقول: الرافضة هم أجهل الطوائف وأكذبها وأبعدها عن معرفة المنقول والمعقول وهم يجعلون التقية من أصول دينهم ويكذبون على أهل البيت كذبا لا يحصيه إلا الله حتى يرووا عن جعفر الصادق أنه قال التقية ديني ودين آبائي. والتقية هي شعار النفاق؛ فإن حقيقتها عندهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم وهذا حقيقة النفاق.

قال أبو الحسن المدائني: دخل هارون الرشيد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث إلى مالك بن أنس فقيه المدينة، فأتاه وهو واقف بين قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنبر؛ فلما قام بين يديه وسلم عليه بالخلافة، قال: يا مالك، صف لي مكان أبي بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحياة الدنيا. فقال: مكانهما منه يا أمير المؤمنين كمكان قبريهما من قبره. فقال: شفيتني يا مالك. وعن محمد أبي سلمة، أن عليا سئل عن أبي بكر وعمر، فقال: على الخبير سقطت. كانا والله إمامين صالحين مصلحين، خرجا من الدنيا خميصين*. وقال علي بن أبي طالب: سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثنى أبو بكر وثلث عمر؛ ثم خبطتنا فتنة عمياء [يعفو الله فيها] عمن يشاء.

* خميصين مثني خميص يقال رجل خمصان وخميص إذا كان ضامر البطن يريد أنهما كانا عفيفين خرجا من الدنيا ضامرين فقدكانا عفيفي النفس عن أكل أموال الأمة.

فضيل بن مرزوق الأغر الرقاشي. ويقال: الرؤاسي، أبو عبد الرحمن الكوفي مولى بني عنزة. روى عن أبي إسحاق السبيعي وعطية العوفي والأعمش وغيرهم، قال عنه ابن حجر: صدوق يهم، ورمي بالتشيع، مات في حدود سنة 160 هـ

مراجع: تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ البداية والنهاية/ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار/ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار/ العقد الفريد/ تاريخ مدينة دمشق

◆ هشام بن إسماعيل المخزومي (عامل عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، خامس ملوك بني أمية) وسعيد بن المسيب (١) [015]

روى يحيى بن سعيد فقال: كتب هشام بن إسماعيل (والي المدينة) إلى عبد الملك بن مروان، أبو الوليد، أن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان، إلا سعيد بن المسيب[1] فكتب عبد الملك إلى واليه، أن أعرضه على السيف، فإن مضى على رأيه فاجلده خمسين جلدة، وطف به في أسواق المدينة. فلما قدم الكتاب على الوالي دخل سليمان بن يسار[2]، وعروة بن الزبير[3]، وسالم بن عبد الله[4]، على سعيد بن المسيب. وقالوا: جئناك في أمر؛ قد قدم كتاب عبد الملك أنك إن لم تبايع ضربت عنقك، ونحن نعرض عليك خصالا ثلاثة، فاعطنا إحداهن، فإن الوالي قد قبل منك أن يقرأ عليك الكتاب، فلا تقل لا ولا نعم. قال سعيد: يقول الناس بايع سعيد بن المسيب، ما أنا بفاعل. قالوا: تجلس في بيتك، ولا تخرج إلى الصلاة أياما. فانه يقبل منك إذا طلبك من مجلسك فلا يجدك. قال سعيد: فأنا أسمع الأذان فوق أذني، حي على الصلاة، ما أنا بفاعل. قالوا: فانتقل من مجلسك إلى غيره، فإنه يرسل إلى مجلسك، فإن لم يجدك أمسك عنك. قال سعيد: أخوف من مخلوق الله!؟، ما أنا متقدم شبراً ولا متأخر. فخرجوا، وخرج إلى صلاة الظهر، فجلس في مجلسه الذي كان فيه، فلما صلى الوالي بعث إليه. فأوتي به. فقال: إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا إن لم تبايع ضربنا عنقك. قال سعيد: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيعتين، بيعة للوليد ومثلها لسليمان في وقت واحد. فلما رأى الوالي أنه لم يجب، أخرجه إلى السدة، فمدت عنقه، وسلت السيوف، فلما رآه قد مضى ثابتا على موقفه، أمر به فجرد فإذا عليه ثياب من شعر، فضربه خمسين سوطا، ثم طاف به أسواق المدينة، فلما ردوه والناس منصرفون من صلاة العصر. قال سعيد: إن هذه الوجوه ما نظرت إليها منذ أربعين سنة!. إذ كان يصلي في الصف الأول، لا تفوته تكبيرة الإحرام، ومنعوا الناس أن يجالسوه، فكان من ورعه رحمه الله، إذا جاء إليه أحد، يقول له قم من عندي، كراهية أن يضرب بسببه.

عندما ضرب هاشم بن إسماعيل والي المدينة لعبد الملك بن مروان الإمام سعيد بن المسيب لامتناعه عن إعطاء البيعة لولي عهده الوليد وسليمان ضرباً مبرحاً، خمسين سوطاً وطاف به حتى بلغ رأسه الثنية. فلما كروا به قال أين تكرون بي؟ قالوا: إلى السجن. قال: والله لولا أني ظننت أنه الصلب ما لبست هذا التبان أبداً. وعنه رحمه الله أنه قال: أما والله لو علمت انهم لا يزيدونني على الضرب ما لبست لهم تباناً من شعر، إنما تخوفت أن يقتلوني، ولولا أنني ظننت أنه الصلب ما لبست هذا التبان أبدا، قلت تبان أستر من غيره. وفي رواية، دخل أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث [5] فجعل يكلم سعيداً ويقول إنك خرقت به. فقال: يا أبا بكر اتق الله وآثره على سواه. قال: فجعل أبو بكر يردد عليه: إنك خرقت به ولم ترفق. فجعل سعيد يقول: إنك والله أعمى القلب. قال: فخرج أبو بكر من عنده، وارسل إليه هشام بن إسماعيل فقال: هل لان سعيد بن المسيب منذ ضربناه؟ فقال أبو بكر: ما كان أشد لساناً منه منذ فعلت به ما فعلت، فاكفف عن الرجل. ثم أخلى سبيله.

يقول عبد الله بن يزيد الهذلي:[6] دخلت على سعيد بن المسيب السجن فإذا هو قد ذبحت له شاة فجعل الإهاب علة ظهره، وجعلوا له بعد ذلك قضيباً رطباً وكان كلما نظر إلى عضديه قال اللهم انصرني من هشام.

* (أخوف من مخلوق الله!؟) في رواية قال: أفرقا من مخلوق.

---

(1) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم، الإمام أبو محمد القرشي المخزومي المدني، الملقب بعالم أهل المدينة، وبسيد التابعين في زمانه، ولد في خلافة عمر لأربع مضين منها، وقيل: لسنتين مضتا منها. ورأى عمر، وسمع : عثمان، وعليا، وزيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة، وأبا موسى الأشعري، وأبا هريرة، وجبير بن مطعم، وعبد الله بن زيد المازني، وأم سلمة، وطائفة من الصحابة. روى عنه: الزهري، وقتادة، وعمرو بن دينار، ويحيى بن سعيد، وبكير بن الأشج، وشريك بن أبي نمر، وداود بن أبي هند، وآخرون. قيل توفي سعيد في سنة 94 هـ، وقيل سنة 93 هـ وقيل توفي سنة إحدى أو 92 هـ.قال أبو عبد الله الحاكم : فأما أئمة الحديث فأكثرهم على أنه توفي سنة 105 هـ.

(4) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أمه أم ولد، يكنى أبا عمر. وكان أشبه أولاد أبيه به.وأحد فقهائها السبعة. أسند سالم عن أبيه وأبي أيوب وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة. توفي سنة 106 هـ. وقيل سنة 108 هـ.

(6) عبد الله بن يزيد بن فنطس، الهذلي، مدينيي.سمع السائب بن يزيد، وسعيد بن المسيب، ورأى أنسا، وعمر بن عبد العزيز. روى عنه الثوري، وحاتم بن إسماعيل. كان يتهم بالزندقة، [الوفاة: 141 – 150 هـ]

(2) أبو أيوب سليمان بن يسار مولى أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، أحد فقهاء المدينة السبعة من التابعين. ولد سنة34 هـ وتوفي سنة 107 هـ

(3) أبو عبد الله عُروة بن الزُبير بن العوام الأسدي.أحد فقهاء المدينة السبعة من التابعين. ولد سنة 23 هـ وتوفي سنة 94 هـ

(5) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام تابعي، وأحد فقهاء المدينة السبعة من التابعين، ولد سنة 23 هـ وتوفي سنة 94 هـ

تلك من إساءات الحكام في تطبيق الإسلام، إن البيعة لا تؤخذ من الأمة بالقوة أو الإكراه، ولا بضرب السياط على الظهور، ولا باعتقال وحبس المعرضين عنها، وإنما تؤخذ عن رضا الأمة وموافقتها، لأن البيعة هي الطريقة الشرعية في نصب الحاكم وهي طريقة التعبير عن رضا الأمة عن الحاكم المنتخب فإذا قرر هذا شرعاً ومثله قد قرر أن الحاكم هو نائب عن الأمة في تنفيذ الإسلام ووكيل عنها في الحكم، فكيف يباح استعمال القوة بأشكالها في سبيل إقرار هذه البيعة لتحقيق شرعية النيابة والوكالة. (اللهم أنصري من هاشم) تلك دعوة مظلوم على ظالم. ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب. فاستجاب الله تعالى هذه الدعوة، وأزال سلطان هشام ومن ولاه. فليحذر الظالمون من دعوة المظلومين، بذلك نطق الصادق الصدوق صلى الله عليه وسلم. أيها الإخوة، باقية خالدة ألقاها عالمنا الجليل سعيد بن المسيب، ومضى إلى ربه قائما بالحق، نسأل الله أن يحسن عاقبته. نعم، أخوف من مخلوق الله!؟ ما أنا متقدم شبراً ولا متأخر. فيا أيها الثابتون على الحق مزيدا من الثبات، ولم الفرق ! أخوف من مخلوق !؟ ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب] كلا وحاشا وقد أخذ عليكم العهد ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران] فمضوا على طريق الحق، وليكن شعارنا، وزادنا ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة] أعلمت أخي القارئ أن كل (جرم) سيد التابعين ابن المسيب في نظر عبد الملك بن مروان أنه لم يبايع ولي عهده، ولأنه امتنع عنها لوجود نص شرعي يحفظه، فهو حجة عليه يوم القيامة. وتلك إساءة عبد الملك ومظلمة سجلها عليه التاريخ وأنكرتها عليه الأمة وغضب عليه رب العالمين، ومن ينجو من عقاب هذه المظالم، وسيقال له يوم القيامة: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات] نعم سيسأل كل حاكم عما اجترحه من سيئات ومظالم في حق امته، ولو كان (عموما) مطبقاً للإسلام، منفذاً لأحكام القرآن حامياً للثغور، مدافعاً عن بيضة المسلمين كعبد الملك. وكيف تكون المسؤولية والمحاسبة حين لا يكون الحاكم كذلك.؟ لا شك أن المسؤولية اليوم أعظم والمحاسبة يجب أن تكون اشد، إذ حكام الأمس الذين ذكرتهم في هذا الكتاب كالملائكة بالنسبة لحاكم اليوم!. عن قتادة، عن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ اللهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ أَحَفَظَ أَمْ ضَيَّعَ؟﴾.

قال علي بن محمد المدائني : أراد عبد الملك بيعة الوليد قبل أمر ابن الأشعث، لأن الحجاج بعث في ذلك عمران بن عصام، فلما أبى أخوه عبد العزيز بن مروان أعرض عبد الملك عما أراد حتى مات عبد العزيز، ولما أراد أن يخلع أخاه عبد العزيز ويبايع لابنه الوليد كتب إلى أخيه: إن رأيت أن تصير هذا الأمر لابن أخيك! فأبى، فكتب إليه: فاجعلها له من بعدك، فإنه أعز الخلق على أمير المؤمنين فكتب إليه عبد العزيز: إني أرى في أبي بكر بن عبد العزيز ما ترى في الوليد، فقال عبد الملك: اللهم إن عبد العزيز قطعني فاقطعه فكتب إليه عبد الملك: احمل خراج مصر فكتب إليه عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، إني وإياك قد بلغنا سنا لم يبلغها أحد من أهل بيتك إلا كان بقاؤه قليلا، وإني لا ادري ولا تدري أينا يأتيه الموت أولا! فإن رأيت إلا تغث علي بقية عمري فافعل. فرق له عبد الملك وقال: لعمري لا أغث عليه بقية عمره، قال لابنيه: إن يرد الله أن يعطيكموها لا يقدر أحد من العباد على رد ذلك. وقال لابنيه: الوليد وسليمان: هل قارفتما حراما قط؟ قالا: لا والله، قال: الله أكبر، نلتماها ورب الكعبة! قال: فلما أبى عبد العزيز أن يجيب عبد الملك إلى ما أراد، قال عبد الملك: اللهم قد قطعني فاقطعه، فلما مات عبد العزيز قال أهل الشام: رد على أمير المؤمنين أمره، فدعا عليه، فاستجيب له.

قال: وكتب الحجاج إلى عبد الملك يشير عليه أن يستكتب محمد بن يزيد الأنصاري[1]، وكتب إليه: إن أردت رجلا مأمونا فاضلا عاقلا وديعا مسلما كتوما تتخذه لنفسك، وتضع عنده سرك، وما لا تحب أن يظهر، فاتخذ محمد بن يزيد فكتب إليه عبد الملك: احمله إلي فحمله، فاتخذه عبد الملك كاتبا قال محمد: فلم يكن يأتيه كتاب إلا دفعه إلي، ولا يستر شيئا إلا أخبرني به وكتمه الناس، ولا يكتب إلى عامل من عماله إلا أعلمنيه، فإني لجالس يوما نصف النهار إذا ببريد قد قدم من مصر، فقال: الإذن على أمير المؤمنين قلت: ليست هذه ساعة اذن، فأعلمني ما قد قدمت له، قال: لا قلت: فإن كان معك كتاب فادفعه إلي قال: لا، قال: فأبلغ بعض من حضرني أمير المؤمنين، فخرج فقال: ما هذا؟ قلت: رسول قدم من مصر، قال: فخذ الكتاب، قلت: زعم أنه ليس معه كتاب، قال: فسله عما قدم له، قلت: قد سألته فلم يخبرني، قال أدخله، فأدخلته، فقال: أجرك الله يا أمير المؤمنين في عبد العزيز! فاسترجع وبكى ووجم ساعة ثم قال: يرحم الله عبد العزيز ! مضى والله عبد العزيز لشأنه، وتركنا وما نحن فيه، ثم بكى النساء وأهل الدار، ثم دعاني من غد، فقال: إن عبد العزيز رحمه الله قد مضى لسبيله، ولا بد للناس من علم وقائم يقوم بالأمر من بعدي، فمن ترى؟ قلت: يا أمير المؤمنين، سيد الناس وأرضاهم وأفضلهم الوليد بن عبد الملك، قال: صدقت وفقك الله! فمن ترى أن يكون بعده؟ قلت: يا أمير المؤمنين، أين تعدلها عن سليمان فتى العرب! قال: وفقت، أما إنا لو تركنا الوليد وإياها لجعلها لبنيه، اكتب عهدا للوليد وسليمان من بعده، فكتبت بيعة الوليد ثم سليمان من بعده فغضب علي الوليد فلم يولني شيئا حين أشرت بسليمان من بعده. قال علي، عن ابن جعدبة: كتب عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل المخزومي أن يدعو الناس لبيعة الوليد وسليمان، فبايعوا غير سعيد بن المسيب، فإنه أبى، فضربه هشام ضربا مبرحا وألبسه المسوح، وسرحه إلى ذباب– ثنية بالمدينة كانوا يقتلون عندها ويصلبون فظن أنهم يريدون قتله، فلما انتهوا به إلى ذلك الموضع ردوه، فقال: لو ظننت أنهم لا يصلبوني ما لبست سراويل مسوح، ولكن قلت: يصلبونني فيسترني وبلغ عبد الملك الخبر، فقال: قبح الله هشاما! إنما كان ينبغي أن يدعوه إلى البيعة، فإن أبى يضرب عنقه، أو يكف عنه.

محمد بن يزيد الأنصاري مولاهم البصري. قدم دمشق واستكتبه عبد الملك بن مروان كان في صحابة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز وولي أفريقيا.

عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الوليد (خامس ملوك الدولة الأموية) وسعيد بن المسيب (٢) [016]

قال ميمون بن مهران:[1] قدم عبد الملك بن مروان المدينة، فامتنعت منه القائلة، واستيقظ، فقال لحاجبه: انظر هل في المسجد أحد من حُداثنا من أهل المدينة ؟. فخرج فإذا سعيد بن المسيب[2] في حلقة له، فقام حيث ينظر إليه، ثم غمزه وأشار إليه بأصبعه، ثم ولَّى، فلم يتحرَّك سعيد ولم يتبعه، فقال: أراه فَطِنَ، فجاء فَدَنا منه، ثم غمزه وأشار إليه، وقال: ألم ترني أشير إليك ؟ قال: وما حاجتُك ؟ قال: استيقظَ أمير المؤمنين، فقال: انظر في المسجد أحدًا من حُداثي، فأْجِبْ أميرَ المؤمنين. قال: فأرسلك إليَّ؟ قال: لا، ولكن قال: اذهب فانظر بعضَ حُدَّاثنا من أهل المدينة، فلم أرَ أحدًا أهيأ منك. فقال سعيد: اذهبْ فأعلمه أنِّي لست من حُداثه. فخرج الحاجب وهو يقول: ما أرى هذا الشيخ إلاَّ مَجنونًا، فأتى عبد الملك، فقال له: ما وجدت في المسجد إلاَّ شيخًا أشرت إليه فلم يقُم، فقلت له: إنَّ أمير المؤمنين قال: انظر هل ترى في المسجد أحدًا من حداثي، فقال: إنِّي لست من حداث أمير المؤمنين، وقال لي: أعلمه. فقال عبد الملك: ذاك سعيد بن المسيب، فدَعْه.

عن المطلب بن السائب[3]،قال : كنت جالسا مع سعيد بن المسيب بالسوق، فمر بريد لبني مروان، فقال له سعيد: من رسل بني مروان أنت؟. قال: نعم، قال: فكيف تركتهم يجيعون الناس ويشبعون الكلاب؟ قال: فاشرأب الرسول، فقمت إليه، فلم أزل أرجيه حتى انطلق، ثم قلت لسعيد: يغفر الله لك، تشيط بدمك بالكلمة هكذا تلقيها، قال: اسكت يا أحيمق، فوالله لا يسلمني الله ما أخذت بحقوقه. قال عمران بن عبد الله: أرى نفس سعيد ابن المسيب كانت أهون عليه في الله من نفس ذباب.

عن أبو بكر بن أبي الدنيا: قيل لسعيد بن المسيب: إن عبد الملك بن مروان قال: قد صرت لا أفرح بالحسنة أعملها، ولا أحزن على السيئة أرتكبها، فقال سعيد: الآن تكامل موت قلبه، وفي الأثر:﴿مَنْ سَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ، وَسَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر وغيره: قيل لعبد الملك بن مروان: هذا أبو قلابة[4] قدم. قال: ما أقدمه؟ قال: متعودنا من الحجاج، أراده على القضاء. فكتب له إلى الحجاج بالوصاة، فقال أبو قلابة: لن أخرج من الشام. قال خاقان بن عبد الله: أريد أبو قلابة على قضاء البصرة، فهرب إلى اليمامة، فأريد على قضائها، فهرب إلى الشام، فأريد على قضائها، وقيل: ليس هاهنا غيرك. قال: فانزلوا الأمر على ما قلتم، فإنما مثلي مثل سابح وقع في البحر، فسبح يومه، فانطلق، ثم سبح اليوم الثاني، فمضى أيضا، فلما كان اليوم الثالث فترت يداه. وكان يقال: أعلم الناس بالقضاء أشدهم له كراهة.

---

(2) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم، الإمام أبو محمد القرشي المخزومي المدني، الملقب بعالم أهل المدينة، وبسيد التابعين في زمانه، ولد في خلافة عمر لأربع مضين منها، وقيل: لسنتين مضتا منها. ورأى عمر، وسمع عثمان، وعليا، وزيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة، وأبا موسى الأشعري، وأبا هريرة، وجبير بن مطعم، وعبد الله بن زيد المازني، وأم سلمة، وطائفة من الصحابة. روى عنه الزهري، وقتادة، وعمرو بن دينار، ويحيى بن سعيد، وبكير بن الأشج، وشريك بن أبي نمر، وداود بن أبي هند، وآخرون. قيل توفي سعيد في سنة 94 هـ، وقيل سنة 93 هـ وقيل توفي سنة إحدى أو 92 هـ.قال أبو عبد الله الحاكم : فأما أئمة الحديث فأكثرهم على أنه توفي سنة 105 هـ.

(4) أبو قلابة الجرمي اسمه عبد الله بن زيد من عباد التابعين وزهادهم ممن هرب من البصرة مخافة ان يول القضاء فدخل الشام يأوى الرباطات ويكون في الثغور ومعه بنى له إلى ان اعتل علة صعبة فذهبت يداه ورجلاه وبصره فما كان يزيد على اللهم اوزعني ان احمدك حمدا اكافى به شكر نعمتك التي انعمت على وفضلتني على كثير ممن خلقته تفضيلا ومات سنة 104 هـ وقيل بعدها. روى عن عائشة، وابن عمر، ومالك بن الحويرث، وعمرو بن سلمة، وسمرة بن جندب، والنعمان بن بشير، وثابت بن الضحاك، وأنس بن مالك الأنصاري، وأنس بن مالك الكعبي، وخلق. وعنه قتادة، وأيوب، ويحيى بن أبي كثير، وخالد الحذاء، وحميد الطويل، وآخرون.

(3) المطلب بن السائب بن أبي وداعة بن صبيرة بن سعيد بن سهم السهمي يروي عن حفصة وأبيه وله صحبة روى عنه ابنه إبراهيم. وهو ختن سعيد بن المسيب على ابنته زوجه إياها على مهر درهمين. وقد خطب عبد الملك ابنة سعيد لولده الوليد، فأبى سعيد، وزوّجها المطلب.

(1) ميمون بن مهران مول بني أسد كان مملوكا لامرأة بالكوفة فأعتقته وبها نشأ وكنيته أبو أيوب سكن الجزيرة بعد وقعة الجماجم يروي عن بن عمر روى عنه الأعمش وابنه عمرو بن ميمون كان مولده سنة 40 هـ وهي سنة المجاعة ومات بالرقة سنة 118 هـ وقيل سنة 117 هـ

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا رَأَيْتَ الْعَالِمَ مُخَالِطُ السُّلْطَانَ مُخَالَطَةً كَثِيرَةً فَاعْلَمْ أَنَّهُ لِصٌّ﴾ وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿صِنْفَانِ مِنْ النَّاسِ إِذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ، وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَ النَّاسُ، قِيلَ: مَنْ هُمْ؟ قَالَ: الْمُلُوكُ، وَالْعُلَمَاءُ﴾ وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْعُلَمَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ عَلَى عِبَادِ اللهِ مَا لَمْ يُخَالِطُوا السُّلْطَانَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ خَانُوا الرُّسُلَ فَاحْذَرُوهُمْ وَاعْتَزِلُوهُمْ﴾ وقال حذيفة بن اليمان: من اقترب لساعة أن تكون أمراء فجرة وقراء كذبة وأمناء خونة، وعلماء فسقة وعرفاء ظلمة. وعن علي، مرفوعا: ﴿مَنِ ازْدَادَ عِلْمًا وَلَمْ يَزْدَدْ فِي الدُّنْيَا زُهْدًا لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا﴾ وعن عبيد بن عمير، مرسلا: ﴿مَا ازْدَادَ رَجُلٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا، وَلَا كَثُرَ أَتْبَاعُهُ إِلَّا كَثُرَتْ شَيَاطِينُهُ، وَلَا كَثُرَ مَالُهُ إِلَّا اشْتَدَّ حِسَابُهُ﴾ وفي رواية أبي داود: ﴿مَنْ لَزِمَ السُّلْطَانَ افْتُتِنَ، وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ دُنُوًّا إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا﴾.

قال مهنا:[1] ﴿سَأَلْت الْأَمَامَ أَحْمَدَ عَنْ إبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَرَوِيِّ، فَقَالَ: رَجُلٌ وَسِخٌ ، فَقُلْت مَا قَوْلُك إنَّهُ وَسِخٌ قَالَ: مَنْ يَتَبَعُ الْوِلَاةَ وَالْقُضَاةَ فَهُوَ وَسِخٌ﴾ وكان هذا رأي جماعة من السلف، وكلامه في ذلك مشهور منهم: سُويد بن غفلة وطاووس والنخعي وأبو حازم الأعرج والثوري والفضيل بن عياض وابن المبارك وداود الطائي وعبد الله بن إدريس وبشر بن الحارث الحافي.. قال حذيفة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا تَسْأَلُونِي؟ فَإِنَّ النَّاسَ كَانُوا يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، أَفَلَا تُسْأَلُونَ عَنْ مَيِّتِ الْأَحْيَاءِ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَا النَّاسَ مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى الْهُدَى، وَمِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ، فَاسْتَجَابَ لَهُ مَنِ اسْتَجَابَ، فَحَيَى بِالْحَقِّ مَنْ كَانَ مَيِّتًا، وَمَاتَ بِالْبَاطِلِ مَنْ كَانَ حَيًّا، ثُمَّ ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ فَكَانَتِ الْخِلَافَةُ عَلَى مَنَاهِجِ النُّبُوَّةِ، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا عَضُوضًا، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُنْكِرُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَالْحَقُّ اسْتَكْمَلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ كَافًّا يَدَهُ وَشُعْبَةً مِنَ الْحَقِّ تَرَكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُ بِقَلْبِهِ كَافًّا يَدَهُ وَلِسَانَهُ وَشُعْبَتَيْنِ مِنَ الْحَقِّ تَرَكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُنْكِرُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ﴾ قال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة.

وعن عبد الرحمن ابن أبي نعم قال:﴿كُنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّ زَوْجِي أَوْصَى بِمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَهُوَ كَمَا قَالَ فِي سَبِيلِ اللهِ. فَقُلْتُ لَهُ: مَا زِدْتَهَا فِيمَا سَأَلَتْ عَنْهُ إِلَّا غَمًّا. قَالَ: فَمَا تَأْمُرُنِي يا ابن أبي نعم، آمر ها أَنْ تَدْفَعَهُ إِلَى هَؤُلَاءِ الْخُيُوشِ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ فَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَقْطَعُونَ السَّبِيلَ! قَالَ: قُلْتُ فَمَا تَأْمُرُهَا. قَالَ: آمُرُهَا أَنْ تَدْفَعَهُ إِلَى قَوْمٍ صَالِحِينَ، إِلَى حُجَّاجِ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ، أُولَئِكَ وَفْدُ الرَّحْمَنِ، أُولَئِكَ وَفْدُ الرَّحْمَنِ، لَيْسُوا كَوَفْدِ الشَّيْطَانِ، ثَلَاثًا يَقُولُهَا. قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَمَا وَفْدُ الشَّيْطَانِ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَدْخُلُونَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأُمَرَاءِ فَيُنَمُّونَ إِلَيْهِمُ الْحَدِيثَ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْمُسْلِمِينَ بِالْكَذِبِ، فَيُجَازُونَ الْجَوَائِزَ وَيُعْطَوْنَ عَلَيْهِ الْعَطَايَا﴾ وعن جابر بن عبد الله، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة:﴿أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ، قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ ؟، قَالَ: أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسَيَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي. يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَالصَّلَاةُ قُرْبَانٌ - أَوْ قَالَ: بُرْهَانٌ - يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ النَّارُ أَوْلَى بِهِ. يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، النَّاسُ غَادِيَانِ: فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا﴾ وقوله: (أعيذك بالله..) أي من عملهم أو من الدخول عليهم أو اللحوق بهم (فليس مني ولست منه) قيل هو كناية عن قطع الوصلة بين ذلك الرجل وبينه صلى الله عليه وسلم أي ليس بتابع لي وبعيد عني وكان سفيان الثوري يكره تأويله ويحمله على ظاهره ليكون أبلغ في الزجر (من دخل عليهم) أي من العلماء وغيرهم (وأعانهم على ظلمهم) أي بالإفتاء ونحوه، (فليسوا مني ولست منهم) أي بيني وبينهم براءة ونقض ذمة. والسفهاء الجهال علما وعملا، وقال الطيبي: السفهاء الخفاف الأحلام، وفي النهاية السفه في الأصل؛ الخفة والطيش، وسفه فلان رأيه إذا كان مضطربا لا استقامة له، والسفيه الجاهل. وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿يَكُونُ أُمَرَاءُ تَغْشَاهُمْ غَوَاشٍ - أَوْ حَوَاشٍ - مِنَ النَّاسِ يَظْلِمُونَ وَيَكْذِبُونَ، فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَيُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَيُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ﴾وعن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿سَتَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ مِنْ بَعْدِي يَأْمُرُونَكُمْ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ وَيَعْمَلُونَ بِمَا تُنْكِرُونَ فَلَيْسَ أُولَئِكَ عَلَيْكُمْ بِأَئِمَّةٍ﴾ (سيكون عليكم أمراء من بعدي) أي من بعد وفاتي (يأمرونكم بما لا تعرفون) من كتاب الله وسنة رسوله (ويعملون بما تنكرون فليس أولئك عليكم بأئمة) أي فلا يجب عليكم طاعتهم في معصية إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

(مهنا) أبو عبد الله مهنا بن يحيى الشامي السلمي، من كبار أصحاب أحمد، لزمه وروى عنه مسائل كثيرة.

مراجع: كنز العمال/ تفسير المنار/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ سراج الملوك/ مسند أحمد/ تحفة الأحوذي / تفسير القرطبي/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ الآداب الشرعية/ فيض القدير

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي (خامس ملوك الدولة الأموية) وعطاء بن أبي رباح [017]

قال الأصمعي: دخل عطاء بن أبي رباح[1] على عبد الملك بن مروان ، وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن، وذلك بمكة في وقت حجه في خلفته، فلما بصر به عبد الملك قام إليه فسلم عليه وأجلسه معه، وقعد بين يديه وقال: يا أبا محمد حاجتك؟ قال عطاء: يا أمير المؤمنين، اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمورا المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم، ولا تغلق بابك دونهم. فقال له: أجل أفعل. ثم نهض الإمام وقام، فقبض عليه عبد الملك وقال: يا أبا محمد إنما سألتنا حوائج غيرك وقد قضيناها، فما حاجتك أنت؟... قال عطاء: ما لي إلى مخلوق حاجة. ثم خرج. فقال عبد الملك: هذا وأبيك الشرف، هذا وأبيك السؤدد.

---

(1) أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم = وقيل سالم – بن صفوان مولى بني فهر أو جمح المكي، وقيل إنه مولى أبي ميسرة الفهري، من مولدي الجند وهي بلدة مشهورة باليمن خرج منها جماعة من العلماء؛ كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها، سمع جابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وخلقا كثيرا من الصحابة، وروى عنه عمرو بن دينار والزهري وقتادة وملك بن دينار والأعمش والأوزاعي وخلق كثير، وإليه وإلى مجاهد انتهت فتوى مكة في زمانها. قال قتادة: أعلم الناس بالمناسك عطاء. وقال إبراهيم بن عمر ابن كيسان: أذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج صائحا يصيح: لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح. قال سليمان بن رفيع: دخلت المسجد الحرام والناس مجتمعون على رجل فاطلعت فإذا عطاء بن أبي رباح جالس. توفي رضي الله عنه سنة 115 هـ وقيل 114 هـ وعمره 82، وقال ابن أبي ليل: حج عطاء 70 حجة وعاش 100 سنة، والله أعلم. قيل لاهل مكة: كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم؟ قالوا: كان مثل العافية التي لا يعرف فضلها حتى تفقد. قال الأصمعي: كان عطاء بن أبي رباح يقول في دعائه: اللهم ارحم في الدنيا غربتي، وعند الموت صرعتي، وفي القبور وحدتي، ومقامي غدا بين يديك.

أيها الإخوة المؤمنون، هكذا الأئمة القدوة، وهذا همهم وحاجتهم، وهذه جرأتهم في الحق، ونصيحتهم للملوك المسلمين، اتقي الله في حرم الله وحرم رسوله، واتقي الله في أولاد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. أيها الملك، إنك وحدك المسؤول، اتقي الله فيمن هم على بابك .. وأمام هذا السيل الهادر بالحق لم يكن لأولئك الملوك المسلمين إلا الجواب الحسن، السمع والطاعة لأولياء الأمور الحقيقين ورثة الأنبياء، لم يملك إلا قول نعم أفعل، قضينا طلباتك، ثم المحاولة الدؤوبة للملوك أن يكون لطالب الحق حاجة خاصة يشتره بها، فيشتري دينه بدنياه، ولكن هيهات هيهات، لتلك القمم السامقة، إنه السؤدد والرفعة، ما لي إلى مخلوق حاجة. وهذه شهادة الملك نفسه، هذا وأبيك الشرف، والسؤدد. فحسبنا الله ونعم الوكيل ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُواْ الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾ [المائدة]

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح / البداية والنهاية/ إحياء علوم الدين

عبد الملك بن مروان الأموي القرشي (خامس ملوك الدولة الأموية) والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة [018]

قال عبد الملك بن مروان للحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة:[1] ما كان يقول الكذاب في كذا وكذا؟ يعني ابن الزبير؛ فقال: ما كان كذابا. فقال له يحيى بن الحكم:[2] من أمك يا حار؟ قال: هي التي تعلم.قال له عبد الملك: اسكت فهي أنجب من أمك. وحدث حاتم بن أبي صغيرة، عن أبي قزعة، أن عبد الملك، بينما هو يطوف بالبيت إذ قال: قاتل الله ابن الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين، يقول: سمعتها وهي تقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَنَقَبْتُ الْبَيْتَ﴾ قال أبي: قال الأنصاري: لنقضت البيت حتى أزيد فيه من الحجر فإن قومك قصروا عن البناء. فقال الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة: لا تقل هذا يا أمير المؤمنين فأنا سمعت أم المؤمنين تحدث هذا فقال: لو كنت سمعت هذا قبل أن أهدمه لتركته على بناء ابن الزبير. وعن عكرمة بن خالد عن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة قال: طفت مع عبد الملك بن مروان بالبيت فلما كان الشوط السابع دنا من البيت يتعوذ فجذبته فقال: ما لك يا حار؟ قلت: يا أمير المؤمنين أتدري أول من فعل هذا عجوز من عجائز قومك. قال: فمضى عبد الملك ولم يتعوذ.

عن أبي معاوية [3] عن الأعمش[4] قال: رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى[5] ضربه الحجاج وأوقفه على باب المسجد، فجعلوا يقولون له: العن الكاذبين: علي ابن أبي طالب، وعبد الله بن الزبير، والمختار بن أبي عبيد[6]. فقال: لعن الله الكاذبين ثم قال: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن الزبير، والمختار بن أبي عبيد- بالرفع- فعرفت حين سكت ثم ابتدأ فرفع، أنه ليس يريدهم. قالوا: وكان الحجاج بعث إلى عبد الرحمن بن أبي ليلى فقال: بلغني أنك تشتم أمير المؤمنين عثمان، فقال: إنه ليمنعني من ذلك ثلاث آيات في كتاب الله، قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ إلى قوله:﴿الصَّادِقُونَ﴾ وقوله:﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ إلى قوله:﴿رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر] وأنا منهم. فأعجب الحجاج قوله. ثم إن ابن أبي ليلى أدخل على الحجاج بعد ذلك فقال: يا أهل الشام إن أردتم رجلا يشتم أمير المؤمنين عثمان فدونكم هذا. فقال عبد الرحمن مثل قوله الأول، فقال الحجاج: صدق.

كان عبد الملك بن مروان قد غضب غضبة له، فكتب إلى هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن الوليد بن المغيرة، وهو عامله على المدينة، وكانت بنت هشام بن إسماعيل زوجة عبد الملك، وأم ابنه هشام، فكتب إليه أن أقم آل علي يشتمون علي بن أبي طالب، وآل عبد الله بن الزبير يشتمون عبد الله بن الزبير. فقدم كتابه على هشام فأبى آل علي وآل عبد الله بن الزبير، وكتبوا وصاياهم، فركبت أخت لهشام إليه، وكانت جزلة عاقلة فقالت: يا هشام، أتراك الذي تهلك عشيرته على يده! راجع أمير المؤمنين، قال: ما أنا بفاعل. قالت: فإن كان لا بد من أمر، فمر آل علي يشتمون آل الزبير، ومر آل الزبير يشتمون آل علي. قال: هذه أفعلها. فاستبشر الناس بذلك، وكانت أهون عليهم، فكان أول من أقيم إلى جانب المرمر الحسن بن الحسن[7]،وكان رجلا رقيق البشرة، عليه يومئذ قميص كتان رقيقه، فقال له هشام: تكلم بسب آل الزبير. فقال: إن لآل الزبير رحما أبلها ببلالها، وأربى بربابها، يا قوم، مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار! فقال هشام لحرسي عنده: اضرب. فضربه سوطا واحدا من فوق قميصه، فخلص إلى جلده، فشرخه حتى سال دمه تحت قدمه في المرمر. فقام أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي[8] فقال: أنا دونه أكفيك أيها الأمير، فقال في آل الزبير وشتمهم، ولم يحضر علي بن الحسين[9]، كان مريضا أو تمارض، ولم يحضر عامر بن عبد الله بن الزبير[10]،فهم هشام أن يرسل إليه، فقيل له: إنه لا يفعل أفتقتله! فأمسك عنه، وحضر من آل الزبير من كفاه، وكان عامر يقول: إن الله لم يرفع شيئا فاستطاع الناس خفضه، انظروا إلى ما صنع بنو أمية يخفضون عليا ويغرون بشتمه، وما يزيده الله بذلك إلا رفعة.

---

(1) الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، ولي إمرة البصرة لابن الزبير، لقب بالقباع لأنه وضع مكيالا سماه القباع أي الضخم. توفي في حدود 90 هـ.حدث عن عمر، و عائشة، وأم سلمة، ومعاوية. وحدث عنه الزهري، وعبد الله بن عمير، والوليد بن عطاء، وابن سابط.

(2) يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو مروان الأموي، أخو مروان بن الحكم رابع ملوك بني أمية. كان يحيى بن الحكم عاملاً على المدينة لعبد الملك بن مروان.

(5) أبو عيسى عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار، وقيل داود، بن بلال بن أحيحة ابن الجلاح الأنصاري ، وفي اسم أبيه خلاف غير هذا، كان من أكابر تابعي الكوفة، سمع علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وأبا أيوب الأنصاري وغيرهم، ويروى أنه سمع من عمر، وأبوه أبو ليلى له رواية عن النبي، صلى الله عليه وسلم ، وشهد وقعة الجمل وكانت راية علي بن أبي طالب، معه.ولد لست سنين بقين من خلافة عمر، وقتل بدجيل، وقيل غرق في نهر البصرة، وقيل فقد بدير الجماجم سنة 83 هـ في وقعة ابن الأشعث، وقيل سنة 81 هـ وقيل سنة 82 هـ

(3) محمد بن خازم التميمي السعدي مولاهم أبو معاوية الضرير الكوفي. ولد سنة 113 هـ. يقال عمي وهو بن ثمان سنين أو أربع. روى عن خلق كثير. مات سنة خمس 195 هـ.

(4) أبو محمد سليمان بن مهران مولى بني كاهل من ولد أسد، المعروف بالأعمش الكوفي الإمام المشهور؛ كان ثقة عالماً فاضلاً، وكان ابوه من دنباوند (ناحية من رستاق الري في الجبال)، وقدم الكوفة وامرأته حامل بالأعمش فولدته بها؛ قال السمعاني: وهو لا يعرف بهذه النسبة، بل يعرف بالكوفي، وكان يقارن بالزهري في الحجاز، ورأى أنس ابن مالك وكلمه، ولكنه لم يزرق السماع عليه، وما يرويه عن أنس فهو إرسال أخذه عن أصحاب أنس. سمع داود بن سويد وأبا وائل وإبراهيم التميمي وسعيد بن جبير ومجاهداً والنخعي، وروى عن عبد الله بن أبي أوفى حديثاً واحداً، ولقي كبار التابعين، وروى عنه سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وحفص بن غياث وخلق كثير من جلة العلماء. قيل ولد بالكوفة في عاشوراء سنة 61 هـ وتوفي في ربيع الأول سنة 148هـ بالكوفة. وقيل سنة147 هـ، وقيل سنة 149 هـ.
عن أبي بكر بن عياش قال: دخلت على الأعمش في مرضه الذي توفي فيه، فقلت: أدعو لك الطبيب؟ قال: ما أصنع به؟ لو كانت نفسي معي لطرحتها في الحش، إذا أنا مت فلا تؤذنن بي أحدا، واذهب بي واطرحني في لحدي. قال ابن المديني: للأعمش نحو ألف وثلاثمائة حديث. قال وكيع بن الجراح: كان الأعمش قريبا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى. وقال عمر بن علي: كان الأعمش يسمى المصحف من صدقه.

(10) عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام، القانت العابد؛ أبوه الخليفة والصحابي عبد الله بن الزبير، وجده الصحابي الزبير بن العوام. مات سنة 124 هـ وقيل 121 هـ.وفي آخر ولاية هشام. وكان عبد الله بن الزبير يقول له، لما يرى من تخشعه: يا بني، إني قد رأيت أبا بكر وعمر، فلم يكونا هكذا. قال الزبير، حدثني عمي مصعب قال: سمع عامر ابن عبد الله المؤذن، وهو يجود بنفسه، ومنزله قريب من المسجد، فقال: خذوا بيدي. فقيل له: أنك عليل! قال: أسمع داعي الله فلا أجيبه؟ فأخذوا بيده، فدخل في صلاة المغرب، فركع مع الإمام ركعة ثم مات.

(9) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.ولد في المدينة المنورة سنة 38 هـ وتوفي فيها سنة 72 هـ وقيل: سنة 95 هـ، ودفن بالبقيع.

(7) الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد،وهو أخو إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله لأمه، روى عن أبيه الحسن بن علي بن أبي طالب، وابن عمه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وبنت عمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، وكانت زوجته. توفي سنة 97 هـ

(8) أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية المتوفي سنة 98 هـ أو 99 هـ وهو ابن محمد بن الحنفية، وحفيد علي بن أبي طالب.

(6) المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب، ولد سنة 1 هـ حاكم الكوفة وكان متلونا كذابا يدعو مرة إلى محمد بن الحنفية، ومرة لابن الزبير، حتى ادعى آخرا أن جبريل يأتيه بالوحي من السماء، فلما تحقق ابن الزبير سوء حاله، بعث أخاه المصعب لحربه، فقدم المصعب البصرة وتأهب منها، واجتمع إليه جيش الكوفة، فسار بهم جميعا وعلى مقدمته عباد بن الحصين، وعلى ميمنته المهلب بن أبي صفرة، وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، فجهز المختار لحربهم أحمر بن شميط، وكيسان فهزمهم مصعب، وقتل أحمر، وكيسان، وقتل من جيش مصعب محمد بن الأشعث الكندي ابن أخت أبي بكر الصديق، وعبيد الله بن علي بن أبي طالب، وقتل من جند المختار عمر الأكبر بن علي بن أبي طالب، ثم سار جيش مصعب فدخلوا الكوفة، وحصروا المختار بقصر الإمارة أياما إلى أن قتله الله في رمضان سنة67 هـ وصفت العراق لمصعب.

عن الوليد بن عطاء عن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، عن أم المؤمنين عائشة قالت: ﴿قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ قَوْمَكِ اسْتَقْصَرُوا مِنْ بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ، وَلَوْلَا حَدَاثَةُ عَهْدِهِمْ بِالشِّرْكِ أَعَدْتُ فِيهِ مَا تَرَكُوا مِنْهُ فَإِنْ بَدَا لِقَوْمِكِ مِنْ بَعْدِي أَنْ يَنْبُوهُ فَهَلُمِّي أُرِيكِ مَا تَرَكُوا مِنْهُ. فَأَرَاهَا قَرِيبًا مِنْ سَبْعِ أَذْرُعٍ فِي الْحِجْرِ. قَالَتْ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِهِ: وَلَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ مَوْضُوعَيْنِ فِي الْأَرْضِ شَرْقِيًّا وَغَرْبِيًّا أَتْدْرِينَ لِمَ كَانَ قَوْمُكِ رَفَعُوا بَابَهَا؟ فَقُلْتُ: لا أَدْرِي، فَقَالَ: تَعَزُّزًا أَلا يَدْخُلَهَا إِلا مَنْ أَرَادُوا، وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا كَرِهُوا أَنْ يَدْخُلَ تَرَكُوهُ حَتَّى إِذَا كَادَ يَدْخُلُ دَفَعُوهُ حَتَّى يَسْقُطَ﴾ ولهذا لما تمكن ابن الزبير بناها على ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت في غاية البهاء والحسن والسناء كاملة على قواعد الخليل. لها بابان ملتصقان بالأرض شرقيا وغربيا. يدخل الناس من هذا ويخرجون من الآخر. فلما قتل الحجاج بن الزبير كتب إلى عبد الملك بن مروان – وهو الخليفة يومئذ – فيما صنعه ابن الزبير واعتقدوا أنه فعل ذلك من تلقاء نفسه. فأمر بإعادتها إلى ما كانت عليه فعمدوا إلى الحائط الشامي فحصوه وأخرجوا منه الحجر ورصوا حجارته في أرض الكعبة. فارتفع باباها وسدوا الغربي واستمر الشرقي على ما كان عليه فلما كان في زمن المهدي – أو ابنه المنصور – استشار مالكا في إعادتها على ما كان صنعه ابن الزبير. فقال مالك رحمه الله: إني أكره أن يتخذها الملوك ملعبة. فتركها على ما هي عليه. فهي إلى الآن كذلك. قال عبد الله بن عمر: ما أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر، إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم. (يليان الحجر) أي يقربان منه والحجر قال في النهاية هو اسم الحائط المستدير إلى جانب الكعبة الغربي.

عن عكرمة بن خالد المخزومي، قال: هدم ابن الزبير البيت حتى سواه بالأرض، وحفر أساسه وأدخل الحجر فيه، وكان الناس يطوفون من وراء الستر ويصلون إلى موضعه، وجعل الركن في تابوت في سرقة من حرير، فأما ما كان من حلي البيت وما وجد فيه من ثياب أو طيب، فإنه جعله عند الحجبة في خزانة الكعبة حتى أعاد بناءها، قال عكرمة: فرأيت الحجر الأسود، فإذا هو ذراع أو يزيد.

عن الواقدي عن شرحبيل بن أبي عون عن أبيه، قال: لما هدم عبد الله بن الزبير البيت، ندم كل من كان أشار عليه وأعظموا ذلك. وعن سليمان بن داود بن الحصين عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس أنه أبى على ابن الزبير هدمها، وقال: أخاف أن يأتي بعدك من يهدمها، ثم يأتي بعد ذلك آخر، فإذا هي تهدم أبدًا وتبنى، فسكت عبد الله بن الزبير، ولم يقرب ابن عباس مكة حتى فرغ منها.

مراجع: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ البداية والنهاية/ صحيح مسلم/ مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة/ تاريخ الرسل والملوك/ أخبار مكة للأزرقي/ مختصر تاريخ دمشق/ أنساب الأشراف

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي (خامس ملوك الدولة الأموية) وجابر بن عبد الله [019]

ذكر ابن سعد[1] في طبقاته، أن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله[2] دخل على عبد الملك وقربه فقال جابر: يا أمير المؤمنين إن المدينة حيث ترى، وهي طيبة سماها النبي عليه الصلاة والسلام، فأهلها محصورون، فإن رأى أمير المؤمنين أن يصل أرحامهم ويعرف حقهم فعل، قال: فكره ذلك عبد الملك وعرض عنه، وجعل جابر يلح عليه حتى أومأ قبيصة [3] إلى ابنه ـ وهو قائده وكان جابر قد ذهب بصره ـ أن أسكته، قال: فجعل ابنه يسكته، قال جابر: ويحك؟ ما تصنع بي؟ قال: اسكت فسكت جابر، فلما خرج أخذ قبيصة بيده فقال: يا أبا عبد الله إن هؤلاء القوم صاروا ملوكا. فقال جابر: أبلى الله بلاء حسنا فإنه لا عذر لك وصاحبك يسمع منك. قال يسمع ولا يسمع وما وافقه سمع، وقد أمر لك أمير المؤمنين بخمسة ألف درهم، فاستعن بها على زمانك.. انتهى. فمن هذا الموقف يتضح كيف أدرك قبيصة عدم رضا الخليفة عن فتح هذا الموضوع معه من قبل جابر، وكيف أنهى الموضوع حتى لا يتطور إلى ما لا تحمد عقباه للطرفين، فأشار على ابن جابر بإيقاف والده عن الكلام ثم يطيب خاطر جابر بأخذه بيده، والاعتذار إليه بألا يستغرب هذا التصرف من عبد الملك، فلا يتعامل معه على أنه عبد الملك العالم وإنما على أنه عبد الملك الذي صار ملكا ينظر إلى الأمور من نافذة الملك ومصالحه، ثم هو يعتذر لنفسه عندما وجه جابر اللوم له بأنه ليس له عذر في عدم المطالبة بحقوق أهل المدينة ما دام له هذه المكانة عند عبد الملك، لأن الأمر ليس كما يتصور جابر وغيره بأنه قادر على تحقيق كل ما يريده من عبد الملك بل الواقع أنه يسمع ولا يسمع، وفي هذا دليل على مراعاة قبيصة للأحوال والأشخاص.

حدث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: أقام الحج سنة 75 هـ عبد الملك بن مروان ثم صدر فمر على المدينة فخطب الناس على المنبر ثم أقام خطيبا له آخر وهو جالس على المنبر فتكلم الخطيب فكان مما تكلم به يومئذ أن وقع بأهل المدينة وذكر من خلافهم الطاعة وسوء رأيهم في عبد الملك وأهل بيته وما فعل أهل الحرة ثم قال ما وجدت لكم يا أهل المدينة مثلا إلا القرية التي ذكر الله في القرآن فإن الله قال:﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل] فبرك ابن عبد الله فقال للخطيب: كذبت لسنا كذلك؛ اقرإ الآية التي بعدها ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ وإنا آمنا بالله ورسله فلما قال ذلك ابن عبد وثب الحرس عليه فالتفوا به حتى ظننا أنهم قاتلوه فأرسل إليهم عبد الملك فردهم عنه فلما فرغ الخطيب ودخل عبد الملك الدار أدخل عليه ابن عبد الله. قال: فما أجاز أحدا أكثر من جائزته ولا كسا أحدا أكثر من كسوته.

جاء في كتاب العقد الفريد أن عبد الله بن جعفر[4] قدم على عبد الله بن مروان (عبد الملك)، فقال له يحيى بن الحكم:[5] ما فعلت خيبتة؟ فقال: سبحان الله! يسميها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وتسميها خيبتة؟ لقد اختلفتما في الدنيا وستختلفان في الآخرة! قال يحيى: لأن أموت بالشام أحب إلي من أن أموت بها! قال: اخترت جوار النصارى على جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم! قال يحيى: ما تقول في علي وعثمان؟ قال: أقول ما قاله من هو خير مني فيمن هو شر منهما: إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم.

قال أبو مسهر الدمشقي: وضع سماط عبد الملك يوما بين يديه، فقال لحاجبه: ائذن لخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد[6]. فقال: مات يا أمير المؤمنين. قال: فأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد[7] قال: مات. قال: فلخالد بن يزيد بن معاوية [8]. قال: مات. قال: فلفلان وفلان لأقوام قد ماتوا – وهو يعلم ذلك – فبكى، وأمر برفع السماط، وأنشأ يقول: ذهبت لذاتي وانقضت أيامهم ... وغيرت بعدهم ولست بخالد.

قال الأصمعي عن أبيه قال: خطب عبد الملك يوما خطبة بليغة، ثم قطعها وبكى بكاء شديدا، ثم قال:﴿يَا رَبِّ إِنَّ ذُنُوبِي عَظِيمَةٌ، وَإِنَّ قَلِيلَ عَفْوِكَ أَعْظَمُ مِنْهَا، اللَّهُمَّ فَامْحُ بِقَلِيلِ عَفْوِكَ عَظِيمَ ذُنُوبِي﴾ قال: فبلغ ذلك الحسن[9] فبكى، وقال: لو كان كلام يكتب بالذهب لكتب هذا الكلام.وكان أبي مسلم الخولاني[10] إذا وقف على خربة قال: يا خربة أين أهلك؟ ذهبوا وبقيت أعمالهم وانقطعت الشهوات وبقيت الخطيئة، ابن آدم ترك الخطيئة أهون من طلب التوبة.

---

(2) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن عمرو بن سواد بن سلمة ويقال ابن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي الأنصاري المديني شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم كنيته أبو عبد الله وقيل شهد العقبة مع أبيه، مات سنة 78 هـ أو 79 هـ بعد أن عمي وكان له يوم مات أربع وتسعون سنة وصلى عليه أبان بن عثمان وهو والي المدينة. قال عمرو بن علي آخر من مات بالمدينة جابر بن عبد الله في سنة 79 هـ. سمع النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن أبي هريرة وأم كلثوم وأبي سعيد الخدري وابي بردة بن نيار وعمر بن الخطاب وأبي حميد الساعدي وأم مالك وأم شريك. روى عنه أبو سفيان وأبو صالح وأبو الزبير وعمر بن دينار ويزيد الفقير وأبو جعفر محمد بن علي وعطاء بن أبي رباح وأبو سلمة بن عبد الرحمن ومحمد بن عمرو بن الحسن ووهب بن كيسان ومحمد بن المنكدر وسالم بن أبي الجعد وسعيد بن ميناء وعبيد الله بن مقسم وأبو هريرة ومحمد بن عباد بن جعفر ومجاهد والحسن بن محمد وعروة بن عياض والنعمان بن أبي عياش وأبو المتوكل الناجي وسليمان بن يسار وابنه عبد الرحمن بن جابر والقعقاع بن حكيم وأبو عبد الرحمن الحبلي وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الرحمن صاحب السقاية وعبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت.

(4) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم. السيد، العالم، أبو جعفر القرشي، الهاشمي، الحبشي المولد، المدني الدار، الجواد ابن الجواد ذي الجناحين. له صحبة، ورواية، عداده في صغار الصحابة. استشهد أبوه يوم مؤتة، فكفله النبي صلى الله عليه وسلم ونشأ في حجره. وروى أيضا عن عمه؛ علي، وعن أمه؛ أسماء بنت عميس. حدث عنه أولاده؛ إسماعيل، وإسحاق، ومعاوية، وأبو جعفر الباقر، وسعد بن إبراهيم، والقاسم بن محمد، وابن أبي مليكة، والشعبي، وعروة، وعباس بن سهل بن سعد، وعبد الله بن محمد بن عقيل، وآخرون. وهو آخر من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه من بني هاشم. وله وفادة على معاوية، وعلى عبد الملك.وكان كبير الشأن، كريما، جوادا، يصلح للإمامة. ولد سنة 1 هـ ومات في سنة 80 هـ أو سنة 84 هـ أو 85 هـ. ويقال: سنة 90 هـ.

(3) نشأ قبيصة بن ذؤيب في المدينة وكان في عداد علمائها ولكنه انتقل إلى الشام بجانب عبد الملك وأصبح من خاصته واختاره عبد الملك لعلاقته القديمة به في المدينة.

(5) يحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم رابع ملوك بني أمية.

(9) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أوبه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن سمرة وأبي بكرة والنعمان بن بشير وجندب بن عبد الله وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وعمرو بن ثعلب وعبد الله بن عمرو ومعقل بن يسار وأبي هريرة والأسود بن سريع وأنس بن مالك وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

(10) أبو مسلم الخولاني الداراني الزاهد، سيد التابعين بالشام. و اسمه: عبد الله بن ثوب، وقد أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم المدينة في خلافة أبي بكر. قال سعيد بن عبد العزيز: توفي أبو مسلم بأرض الروم، وكان قد شتى مع بسر بن أبي أرطأة، فأدركه أجله، فأتاه بسر في مرضه، فقال له أبو مسلم: اعقد لي على من مات في هذه الغزاة من المسلمين، فإني أرجو أن آتي بهم يوم القيامة على لوائهم. قال المفضل بن غسان: توفي علقمة وأبو مسلم الخولاني سنة 62 هـ.

(1) أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد. المتوفى سنة 230هـ من أشهر مؤلفاته: كتاب الطبقات الكبرى.

(7) أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص،والي خراسان لعبد الملك بن مروان.

(8) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية الأموي القرشي، هو أول من اهتم من العرب بعلم الكيمياء وترجم الكتب. ولد 51 هـ وتوفي سنة 90 هـ وهو أخو معاوية بن يزيد ثالث ملوك بني أمية.

(6) خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو أمية القرشي الأموي المكي، ويكنى أبا سعيد، كان جوادا، كان مع مصعب بن الزبير بالعراق ثم لحق بعبد الملك وشهد معه قتل مصعب وولاه البصرة سنة 72 هـ ثم عزله سنة 75 هـ وضم البصرة إلى أخيه بشر بن مروان وكان خالد معه وأحضره معه وفاته بدمشق واستوثق منه بالبيعة للوليد.(أما المدعو: خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد فقد قتل سنة 126 هـ)

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ الْمَدِينَةُ شِرَارَهَا، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ﴾ عن سفيان بن أبي زهير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿تُفْتَحُ الشَّامُ، فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَسُوقُونَ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تُفْتَحُ الْيَمَنُ فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَسُوقُونَ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تُفْتَحُ الْعِرَاقُ، فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَسُوقُونَ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (يسوقون) يتحملون بأهليهم وقيل يدعون إلى بلاد الخصب. وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى تَصِيرَ لِلُكَعِ بْنِ لُكَعٍ﴾ أي اللئيم ابن اللئيم. وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الْأَرْضِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا﴾ (الصم البكم) المراد بهم الجهلة السفلة الرعاع كما قال الله تعالى:﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة] أي لما لم ينتفعوا بجوارحهم هذه فكأنهم عدموها. وعن أبي هريرة، قال: ﴿مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَظْهَرَ الشُّحُّ وَالْفُحْشُ، وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنَ الْأَمِينُ، وَتَظْهَرَ تِيجَانٌ تَلْبَسُهَا نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، وَيَعْلُو التُّحُوتُ الْوُعُولَ﴾ (التحوت) فسول الرجال وأهل البيوت الغامضة، يرفعون فوق صالحيهم، (الوعول) أهل البيوت الصالحة.

قال ابن كثير: كان سبب وقعة الحرة أن وفدا من أهل المدينة قدموا على يزيد بن معاوية بدمشق، فأكرمهم وأحسن جائزتهم، وأطلق لأميرهم، وهو عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر، قريبا من مائة ألف، فلما رجعوا ذكروا لأهليهم عن يزيد ما كان يقع منه من القبائح في شربه الخمر، وما يتبع ذلك من الفواحش التي من أكبرها ترك الصلاة عن وقتها بسبب السكر، فاجتمعوا على خلعه، فخلعوه عند المنبر النبوي، فلما بلغه ذلك بعث إليهم سرية يقدمها رجل يقال له: مسلم بن عقبة. وإنما يسميه السلف مسرف بن عقبة، فلما ورد المدينة استباحها ثلاثة أيام، فقتل في غبون هذه الأيام بشرا كثيرا حتى كاد لا يفلت أحد من أهلها، وزعم بعض علماء السلف أنه اقتض في غبون ذلك ألف بكر. فالله أعلم.

راجع: سير أعلام النبلاء/ رجال صحيح مسلم/ الطبقات الكبرى/ البداية والنهاية/ العقد الفريد

◆ جابر بن الأسود بن عوف (عامل عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي) وسعيد بن المسيب[020]

لم تنتهي محنة الإمام سعيد بن المسيب[1] مع هشام بن إسماعيل والي عبد الملك بن مروان الأموي حتى جاءته محنة أخرى، فصبر عليها كما صبر على أختها من قبل. روت كتب التاريخ أن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي[2] استعمل جابر الأسود الزهري[3] على المدينة المنورة فدعا الناس إلى البيعة لابن الزبير فقال سعيد بن المسيب لا حتى يجتمع الناس، فضرب ستين سوطا، فبلغ بذلك ابن الزبير فكتب إلى جابر يلومه ويقول ما لنا ولسعيد دعه. وكان جابر هذا قد تزوج الخامسة قبل أن تنقضي عدة الرابعة، فلما ضرب سعيد بن المسيب صاح به سعيد والسياط تأخذه: والله ما ربعت على كتاب الله، يقول الله:﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النسا] وانك تزوجت الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة، وما هي إلا ليال فاصنع ما بدا لك فسوف يأتيك ما تكره. وقد صدق سعيد، فما مكث جابر إلا يسيراً حتى قتل ابن الزبير، وكانت نهاية جابر السوداء المظلمة، وتلك عاقبة الظالمين. وهكذا عاش سعيد ممتحناً في دينه وهكذا شأن المتقين الأبرار، رحم الله سعيداً فقد جاد بنفسه في سبيل الحق وإقامة العدل فلم تزعزع إيمانه المحن بل زادته إيماناً بأن للدين صولة وللإسلام قوة ولا غرو في ذلك لأنه من العلماء الرجال.

عن عمران بن عبد الله، قال: دعي سعيد بن المسيب للبيعة للوليد، وسليمان بعد عبد الملك بن مروان قال: فقال: لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار. قال: فقيل: ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر قال: والله لا يقتدي بي أحد من الناس، قال: فجلده مائة وألبسه المسوح.

عن معاوية بن قرة[4] قال: كنت نازلا على عمرو بن النعمان بن مقرن[5]،فلما حضر رمضان أتاه رجل بكيس دراهم، فقال: إن الأمير مصعب بن الزبير[6] يقرئك السلام ويقول: لم ندع قارئا إلا وقد وصل إليه منا معروف فاستعن بهذا، فقال: قل له: والله ما قرأنا القرآن نريد به الدنيا، ورده عليه. كذا في الإصابة.

قال معاوية لابن الزبير: تنازعني هذا الأمر كأنك أحق به مني! قال: لم لا أكون أحق به منك يا معاوية، وقد اتبع أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإيمان واتبع الناس أباك على الكفر؟ قال له معاوية: غلطت يا ابن الزبير بعث الله ابن عمي نبيا فدعا أباك فأجابه؛ فما أنت إلا تابع لي، ضالا كنت أو مهديا.

---

(1) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم، الإمام أبو محمد القرشي المخزومي المدني، الملقب بعالم أهل المدينة، وبسيد التابعين في زمانه، ولد في خلافة عمر لأربع مضين منها، وقيل: لسنتين مضتا منها. ورأى عمر، وسمع عثمان، وعليا، وزيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة، وأبا موسى الأشعري، وأبا هريرة، وجبير بن مطعم، وعبد الله بن زيد المازني، وأم سلمة، وطائفة من الصحابة. روى عنه الزهري، وقتادة، وعمرو بن دينار، ويحيى بن سعيد، وبكير بن الأشج، وشريك بن أبي نمر، وداود بن أبي هند، وآخرون. قيل توفي سعيد في سنة 94 هـ، وقيل سنة 93 هـ وقيل توفي سنة إحدى أو 92 هـ.قال أبو عبد الله الحاكم : فأما أئمة الحديث فأكثرهم على أنه توفي سنة 105 هـ. رحمه الله سيد التابعين رحمة واسعة وجزاه الله تعالى عن هذه الأمة خيرا.

(5) عمرو بن النعمان بن مقرن المزني من سادات التابعين وقراء أهل البصرة مات قبل مصعب بن الزبير.

(4) معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المزني البصري، يكنى أبا إياس ، أسند معاوية عن أبيه، وعن أنس بن مالك: ومعقل بن يسار، وابن عباس. ولد سنة 36 هـ ومات سنة 113 هـ، وهو ابن 76 سنة.

(3) جابر بن الأسود بن عوف، وهو ابن أخي عبد الرحمن بن عوف أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة.

(6) مصعب بن الزبير أخو الخليفة عبد الله بن الزبير قتل في معركة دير الجاثليق.

(2) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، له صحبة ورواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبيه وأبي بكر وعمر وعثمان. وهو بن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبيربعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ.

عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا﴾ وعن بشر بن حرب، أن ابن عمر، أتى أبا سعيد الخدري، فقال: يا أبا سعيد، ألم أخبر أنك بايعت أميرين من قبل أن يجتمع الناس على أمير واحد؟ قال: نعم، بايعت ابن الزبير، فجاء أهل الشام، فساقوني إلى حبيش بن دلجة (وكان على جيش مروان بن الحكم بالمدينة لحرب ابن الزبير) فبايعته، فقال ابن عمر: إياها كنت أخاف، إياها كنت أخاف – ومد بها حماد صوته – قال أبو سعيد: يا أبا عبد الرحمن، أولم تسمع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَنَامَ نَوْمًا، وَلَا يُصْبِحَ صَبَاحًا، وَلَا يُمْسِيَ مَسَاءً إِلَّا وَعَلَيْهِ أَمِيرٌ ؟﴾ قال: نعم، ولكني أكره أن أبايع أميرين من قبل أن يجتمع الناس على أمير واحد.

عن عرفجة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ﴿مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ﴾ عن عرفجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّهُ سَيَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ﴾ وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ﴾ وعن عبادة بن الصامت قال:﴿بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ هذا يدل على أن الإمام المبايع يبقى على بيعته، وأنه لا يجوز الخروج عليه، ولو خرج عليه أحد فإنه يقاتل ويقتل حتى تبقى الجماعة على تماسكها ووحدتها، دون أن يكون فيها تفرق وفوضى. وأما قوله: (ألا ننازع الأمر أهله)، فقد اختلف الناس في ذلك! فقال القائلون منهم: أهله؛ أهل العدل والإحسان والفضل والدين، مع القوة على القيام بذلك، فهؤلاء لا ينازعون لأنهم أهله، وأما أهل الجور والفسق والظلم فليسوا بأهل له. واحتجوا بقول الله عز وجل لإبراهيم: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة] ذهب إلى هذا طائفةٌ من السلف الصالح، واتَّبعهم بذلك خلقٌ من الفضلاء والقُراء، والعلماء من أهل المدينة والعراق، وبهذا خرج ابن الزبير والحسين على يزيد، وخرج خيارُ أهل العراق وعلمائهم على الحجَّاج، ولهذا أخرج أهلُ المدينة بني أمية عنهم، وقاموا عليهم فكانت الحرّة. قلتُ: فكيف لعاقلٍ رشيد؟! يفهَمُ الإسلامَ لفظًا ومعنًى، روحًا وحقيقة! أن يُنزلَ الظالمين الغاصبين منزلةَ العادلين الشرعيين! ويُقيم الفجارَ مقامَ الأبرار..؟! عن جنادة بن أبي أمية، قال:﴿دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَقُلْنَا: حَدِّثْنَا أَصْلَحَكَ اللهُ، بِحَدِيثٍ يَنْفَعُ اللهُ بِهِ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: دَعَانَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ: إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ﴾ (بايعنا) المراد بالمبايعة المعاهدة (إلا أن تروا كفرا بواحا) أي جهارا (عندكم من الله فيه برهان) أي حجة تعلمونها من دين الله تعالى. عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ، أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ﴾ (من أمير عامة) أي من غدر صاحب الولاية العامة لأن غدره يتعدى ضرره إلى خلق كثير. عن عمرو بن الحمق قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول:﴿مَنْ آمَنَ رَجُلًا عَلَى نَفْسِهِ فَقَتَلَهُ، أُعْطِيَ لِوَاءَ الْغَدْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

قال عبد الله بن عمر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً﴾ (من خلع يدا من طاعة) أي أي طاعة كانت قليلة أو كثيرة، (لقي الله تعالى يوم القيامة ولا حجة له) أي آثما ولا عذر له (ومن مات وليس في عنقه بيعة) أي لإمام (مات ميتة جاهلية) وهو معنى ما اشتهر على الألسنة، وذكره السعد في شرح العقائد من حديث (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية). سأل الإمام أحمد بن حنبل عن هذا الحديث (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)، فقال أتدري من ذاك ذلك الذي يقول المسلمون كلهم هذا هو الإمام وفي رواية أخرى، قال أحمد تدري ما الإمام الإمام الذي يجمع المسلمين عليه كلهم يقول هذا إمام فهذا معنه. وعن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ يَمْنَعُ مِنْهُ ابْنَ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَاهُ، إِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفَى لَهُ وَإِلَّا لَمْ يَفِ لَهُ، وَرَجُلٌ يُبَايِعُ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَحَلَفَ بِاللهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا كَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ، فَأَخَذَهَا، وَلَمْ يُعْطَ بِهَا﴾ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ قَالَ: فُوا بَيْعَةَ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ﴾ قال الحافظ ابن حجر: قوله: (تسوسهم الأنبياء) أي أنهم كانوا إذا ظهر فيهم فساد بعث الله لهم نبيا لهم يقيم أمرهم ويزيل ما غيروا من أحكام التوراة، وفيه إشارة إلى أنه لا بد للرعية من قائم بأمورها يحملها على الطريق الحسنة وينصف المظلوم من الظالم.قوله: (وإنه لا نبي بعدي) أي فيفعل ما كان أولئك يفعلون. قوله: (وسيكون خلفاء) أي بعدي. قوله: (فوا) فعل أمر بالوفاء. والمعنى أنه إذا بويع الخليفة بعد خليفة فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها وبيعة الثاني باطلة.

مراجع: مسند أحمد/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ صحيح مسلم/ شرح سنن أبي داود/ الطبقات الكبرى/الاستذكار/ موقع طريق الإسلام/ تاريخ بغداد/ فتح الباري

◆ الوليد الأول بن عبد الملك الأول الأموي القرشي، أبو العباس (سادس ملوك الدولة الأموية) وعمر بن عبد العزيز [021]

ذكر ابن عبد الحكم[1] أن عمر بن عبد العزيز[2] دخل على الوليد بن عبد الملك[3]،فقال: يا أمير المؤمنين إن عندي نصيحة، فإذا خلا لك عقلك، واجتمع فهمك فسلني عنها، قال: ما يمنعك منها الآن؟ قال: أنت أعلم، إذا اجتمع لك ما أقول فإنك أحق أن تفهم، فمكث أياما ثم قال: يا غلام من بالباب؟ فقيل له ناس وفيهم عمر بن عبد العزيز، فقال: أدخله، فدخل عليه فقال: نصيحتك يا أبا حفص فقال عمر: إنه ليس بعد الشرك إثم أعظم عند الله من الدم، وأن عمالك يقتلون، ويكتبون إن ذنب فلان المقتول كذا وكذا، وأنت المسئول عنه والمأخوذ به، فاكتب إليهم ألا يقتل أحد منهم أحدا حتى يكتب بذنبه ثم يشهد عليه، ثم تأمر بأمرك على أمر قد وضح لك. فقال: بارك الله فيك يا أبا حفص ومنع فقدك. علي بكتاب، فكتب إلى أمراء الأمصار كلهم فلم يحرج من ذلك إلا الحجاج فإنه أمضه، وشق عليه وأقلقه. وظن أنه لم يكتب إلى أحد غيره، فبحث عن ذلك، فقال: من أين ذهبنا؟ أو من أشار على أمير المؤمنين بهذا؟ فأخبر أن عمر بن عبد العزيز هو الذي فعل ذلك فقال: هيهات إن كان عمر فلا نقض لأمره. ثم أن الحجاج أرسل إلى إعرابي حروري[4] (من الخوارج) جاف من بكر بن وائل*، ثم قال له الحجاج ما تقول في معاوية؟ فنال منه. قال: ما تقول في يزيد؟ فسبه. قال: فما تقول في عبد الملك؟ فظلمه. قال: فما تقول في الوليد؟ فقال: أجورهم حين ولاك وهو يعلم عداءك وظلمك. فسكت الحجاج وافترصها (انتهزها) منه، ثم بعث به إلى الوليد وكتب إليه: أنا أحوط لديني، وأرعى لما استرعيتني واحفظ له من أن أقتل أحدا لم يستوجب ذلك، وقد بعثت إليك ببعض من كنت أقتل على هذا الرأي فشأنك وإياه. فدخل الحروري على الوليد وعنده أشراف أهل الشام وعمر فيهم فقال له الوليد: ما تقول في؟ قال ظالم جبار. قال: ما تقول في عبد الملك؟ قال: جبار عات. قال فما تقول في معاوية؟ قال: ظالم. قال الوليد لابن الريان[5]أضرب عنقه فضرب عنقه، ثم قام فدخل منزله وخرج الناس من عنده فقال:يا غلام أردد علي عمر، فرده عليه فقال: يا أبا حفص ما تقول بهذا؟ أصبنا أم أخطأنا؟ فقال عمر: ما أصبت بقتله، ولغير ذلك كان أرشد وأصوب، كنت تسجنه حتى يراجع الله عز وجل أو تدركه منيته، فقال الوليد شتمني وشتم عبد الملك وهو حروري أفتستحل ذلك؟ قال لعمري ما استحله، لو كنت سجته إن بدا لك أو تعفو عنه، فقام الوليد مغضبا، فقال ابن الريان لعمر: يغفر الله لك يا أبا حفص، لقد رددت أمير المؤمنين حتى ظننت أنه سيأمرني بضرب عنقك، وهكذا احتار الحجاج على الوليد ليصرفه على الأخذ برأي عمر في الحد من سرف الحجاج وأمثاله في القتل.

قال القاضي أبو الفرج المعافى : حدث العتبي[6] قال: كانت امرأة من الخوارج يقال لها فراشة، وكانت ذات نية* في رأي الخوارج تجهز أصحاب البصائر ولم يظفر بها، وكان الحجاج يدعو الله أن يمكنه منها أو من بعض من جهزته فراشه، فمكث ما شاء الله ثم جيء برجل فقيل له: هذا ممن جهزته فراشة، فخر ساجدا ثم رفع رأسه فقال: يا عدو الله، قال: أنت أولى بها يا حجاج، قال: أين فراشة قال: مرت تطير منذ ثلاث، قال: أين تطير قال: ما بين السماء والأرض، قال: أعن تلك سألتك عليك لعنة [الله] قال: عن تلك أخبرتك عليك غضب [الله]، قال: سألتك عن المرأة التي جهزتك وأصحابك، قال: وما تصنع بها قال: أضرب عنقها، قال: ويلك يا حجاج ما أجهلك، أدلك وأنت عدو الله على من هو ولي الله لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين، قال: فما رأيك في أمير المؤمنين عبد الملك قال: على ذلك الفاسق لعنة الله ولعنة اللاعنين، قال: ولم، لا أم لك قال: إنه أخطأ خطيئة طبقت ما بين السماء والأرض، قال: وما هي قال: استعماله إياك على رقاب المسلمين، فقال لجلسائه: ما رأيكم فيه قالوا: نرى أن تقتله قتلة لم يقتل مثلها أحد، قال: ويحك يا حجاج، جلساء أخيك أحسن مجالسة من جلسائك، قال: وأي أخوي تريد قال: فرعون حين شاور في موسى فقالوا: أرجئه وأخاه، وأشار هؤلاء عليه بقتلي، قال: فهل جمعت القرآن قال: ما كان مفرقا فأجمعه، قال: أقرأته ظاهرا قال: معاذ الله بل قرأته وأنا أنظر إليه، قال: فكيف تراك تلقى الله إن قتلتك قال: ألقاه بعملي وتلقاه بدمي، قال: إذن أعجلك إلى النار، قال: لو علمت أن ذلك إليك أحسنت عبادتك واتقيت عذابك ولم أبغ خلافك ومناقضتك، قال: إني قاتلك، قال: إذن أخاصمك لأن الحكم يومئذ إلى غيرك، قال: نقمعك عن الكلام السيء؛ يا حرسي اضرب عنقه، واوما إلى السياف ألا تقتله، فجعل يأتيه من بين يديه ومن خلفه ويروعه بالسيف، فلما طال ذلك رشح جبينه، قال: جزعت من الموت يا عدو الله قال: لا يا فاسق ولكن أبطأت علي بما فيه راحة؛ قال: يا حرسي، أوجب جرحه، فلما أحسن بالسيف قال: لا إله إلا الله، والله لقد أتمها ورأسه في الأرض.قال الهيثم بن عدي: أتي الحجاج بحرورية، فقال لأصحابه: ما تقولون في هذه؟ قالوا: اقتلها أصلح الله الأمير، ونكل بها غيرها، فتبسمت الحرورية فقال لها: لم تبسمت؟ فقالت: لقد كان وزراء أخيك فرعون خيراً من وزرائك يا حجاج، استشارهم في قتل موسى، وقالوا:﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الشعراء/ الاعراف] وهؤلاء يأمرونك بتعجيل قتلي، فضحك الحجاج وأطلقها. قال الأصمعي عن علي بن مسلم الباهلي قال: أتي الحجاج بامرأة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه ولا ترد عليه كلاما، فقال لها بعض الشرط: يكلمك الأمير وأنت معرضة عنه؟ فقالت: إني لا ستحي من الله إن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه، فأمر بها فقتلت. وقال الحجاج لامرأة من الخوارج: والله لأعدنكم عدا ولأحصدنكم حصدا! قالت له: الله يزرع وأنت تحصد، فأين قدرة المخلوق من الخالق.

* (النية) في نوادر الأعراب فلان نوي القوم وناويهم ومنتويهم أي صاحب أمرهم ورأيهم.(بكر بن وائل) قبيلة كبيرة كانت تمتد فروعها وبطونها في شرق الجزيرة من وادي الفرات إلى اليمامة. وهي بطن من ربيعة.

---

(2) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

(4) الحرورية طائفة من الخوارج ينسبون إلى قرية على بعد ميلين من الكوفة تسمى حروراء أين اجتمع الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر المحكمين، فسموا حرورية نسبة إلى هذا الموضع.

(1) عبد الله بن الحكم بن أيمن بن ليث بن رافع أبومحمد، فقيه مصري كان من أصحاب مالك، انتهت اليه الرياسة بمصر بعد أشهب، ولد في الإسكندرية وتوفى بالقاهرة سنة 214 هـ

(6) أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي المعروف بالعتبي، كان أديبا فاضلا شاعرا مجيدا، وكان يروي الأخبار وأيام العرب.توفي العتبي سنة 228 هـ.

(3) الوليد الأول بن عبد الملك الأول ابن مروان بن الحكم، الأموي القرشي، أبو العباس. بويع بالملك بعهد من أبيه عبد الملك له بعد موته، ولقب بالمنتقم بالله. وفي أيامه فتحت جزيرة الأندلس وبلاد الترك كلها وأكثر بلاد الهند وكان الوليد لحانا. وكانت وفاة الوليد سنة 96 هـ. وتخلف بعده أخوه سليمان بن عبد الملك بعهد من أبيه.وكان الوليد اجتهد في خلع سليمان هذا من ولاية العهد وتولية ولده العزيز؛ فامتنع سليمان من ذلك حتى مات الوليد.

(5) خالد بن الريان المحاربي مولاهم ولي الحرس لعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك.وكان سيافا يقوم على رؤوس الخلفاء فلما استخلف عمر عزله وقال: إني أذكر بأوه وهيبته اللهم إني أضعه لك فلا ترفعه أبدا فما لبث إلا جمعة حتى ضربه الفالج فقتله

قد أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بمشاورة من هو دونه في الرأي، فقال:﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ [آل عمران] وسئل بعض الحكماء: أي الأمور أشد تأييدا للفتى وأبها أشد إضرارا به؟ فقال: أشدها تأييدا له ثلاثة أشياء: مشاورة العلماء، وتجربة الأمور، وحسن التثبت. وأشدها إضرارا به ثلاثة أشياء: الاستبداد، والتهاون، والعجلة. وأوصى ابن هبيرة ولده فقال: لا تكن أول مشير، وإياك والهوى والرأي الفطير*. ولا تشيرن على مستبد ولا على وغد ولا على مسكون ولا على لجوج، وخف الله في موافقة هوى المستشير، فإن التماس موافقته لؤم، والاستماع منه خيانة. وكان المهلب يقول: إن من البلية أن يكون الرأي بيد من يملكه دون من يبصره. قيل لرجل من عبس: ما أكثر صوابكم؟ قال: نحن ألف رجل وفينا حازم واحد، فنحن نشاوره، فكأننا ألف حازم. والاستخارة هي طلب الخيرة من الله تعالى في أمر من الأمور المشروعة المباحة، أو المندوبة إذا تعارضت. وصلاة الاستخارة سنة، وهي ركعتان، ودعاء الاستخارة يكون قبل السلام أو بعده، والدعاء قبل السلام أفضل، ويجوز للمستخير أداء هذه العبادة أكثر من مرة في أوقات مختلفة. والاستخارة والاستشارة تكون لمن هم في أمر غير محرم ولا مكروه، وهما مستحبتان، فما ندم من استخار الخالق واستشار المخلوق.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ شَطْرَ كَلِمَةٍ لَقِيَ اللَّهَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ أَعَانَ عَلَى دَمِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ كُتِبَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾ قيل تفسيره هو أن يقول آق يريد أقتل كما قال عليه السلام:﴿كَفَى بِالسَّيْفِ شَا﴾ يريد أن يقول شاهدا فلم يتم الكلمة حتى قال: إذا يتتابع فيه السكران والغيران. وعن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةُ، وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ﴾ وعن ابن عباس:﴿أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ أَرَأَيْتَ رَجُلًا قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا مَا جَزَاؤُهُ؟، قَالَ:جَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ. الْآيَةَ قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا، ثُمَّ اهْتَدَى. فَقَالَ: وَأَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ نَكِلَتْكَ أُمُّكَ، إِنَّهُ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آخِذًا بِرَأْسِهِ تَشْخَبُ أَوْدَاجُهُ حَتَّى يَقِفَ بِهِ عِنْدَ الْعَرْشِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟﴾ وروى عن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَزَوَالُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ، ولَوْ أَنَّ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَدْخَلَهُمُ اللهُ تَعَالَى النَّارَ﴾ وعن ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام قال:﴿لَوْ أَنَّ الثَّقَلَيْنِ اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ لَأَكَبَّهُمُ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى الْقَاتِلِ وَالْآمِرِ بِهِ﴾ قال الله تعالى:﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء] يرى ابن عباس وفريق من السلف أن قاتل المؤمن عمدا لا تقبل له توبة وهو خالد في النار أبدا، وهؤلاء يرون أن التائب من الشرك وقد كان قاتلا زانيا تقبل توبته ولا تقبل توبة المؤمن الذي ارتكب القتل وحده، إذ الأول لم يؤمن بالشريعة التي تحرم هذه الأمور فله شبه عذر إذا هو كان متبعا هواه بالكفر وما يتبعه ولم يكن ظهر له صدق النبوة فلما ظهر له الدليل على أن ما كان عليه كفر وضلال وتاب وأناب وعمل صالحا كان جديرا بالعفو. وأما المؤمن الموقن بصحة النبوة وحرمة القتل فلا عذر له، إذ هو يعلم أن المؤمن أخ له ونصير، فكيف يعمد بعد هذا إلى الاستهانة بأمر الله وحكمه وتوهين أمر دينه بهدم أركان قوته، ومن ثم يهن المسلمون ويضعفون ويكون بأسهم بينهم شديدا.ويرى فريق آخر أن الخلود يعني المكث الطويل لا الدوام، لظاهر النصوص القاطعة على أن عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم. ويرى فريق ثالث أن حكم الآية إنما هو للقاتل المستحل، وحكمه مما لا شك فيه، وعكرمة وابن جريج فسرا متعمدا بمستحلا في الآية. أي ومن يقتل مؤمنا متعمدا لقتله مستحلا له فجزاؤه جهنم خالدا فيها أبدا

* كل شيء أعجلته عن إدراكه فهو فطير يقال إياي والرأي الفطير ومنه قولهم شر الرأي الفطير

مراجع: عمر بن عبد العزيز ومعالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة/ العقد الفريد/ لسان العرب/ وفيات الأعيان/ الموسوعة الفقهية/ موسوعة الأعلام/ شعب الإيمان/ تفسير المراغي

◆ الوليد الأول بن عبد الملك الأول الأموي القرشي، أبو العباس (سادس ملوك الدولة الأموية) وعطاء بن أبي رباح [022]

روي أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوماً: قف على الباب فإذا مر بك رجل فأدخله علي ليحدثني. فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبي رباح[1] وهو لا يعرفه فقال له: يا شيخ أدخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك؛ فدخل عطاء على الوليد على حاجبه. فقال له. ويلك أمرتك أن تدخل إلى رجلاً يحدثني ويسامرني فأدخلت إلي رجلاً لم يرضى أن يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي. فقال له حاجبه: ما مر بي أحد غيره. ثم قال لعطاء: اجلس. ثم أقبل عليه يحدثه. فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له: ﴿بَلَغَنَا أَنَّ فِي جَهَنَّمَ وَادِيًا يُقَالُ لَهُ هَبْ أَعَدَّهُ اللهُ لِكُلِّ إِمَامٍ جَائِرٍ فِي حُكْمِهِ﴾ فصعق الوليد من قوله، وكان جالساً بين يدي عتبة باب المجلس فوقع على قفاه إلى جوف المجلس مغشياً عليه. فقال عمر[2] لعطاء: قتلت أمير المؤمنين. فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمرة شديدة وقال له: يا عمر إن الأمر جد فجد. ثم قام عطاء وانصرف. فبلغنا عن عمر رحمه الله أنه قال: مكثت سنة أجد ألم غمزته في ذراعي. وكان ابن أبي شميلة يوصف بالعقل والأدب؛ فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك: تكلم. قال: بم أتكلم وقد علمت أن كل كلام تكلم به المتكلم عليه وبال إلا ما كان لله ؟. فبكي عبد الملك ثم قال: يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إن الناس في القيامة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه. فبكى عبد الملك ثم قال: لا جرم لأجعلن هذه الكلمات مثالاً نصب عيني ما عشت.

يروى أن بعض الزهَّاد حضر بين يدي خليفة فقال له: عظني. فقال: يا أمير المؤمنين، إني سافرت إلى الصين وكان ملك الصين قد أصابه الصمم وذهب سمعه، فسمعته يقول يومًا وهو يبكي: والله ما أبكي لزوال سمعي وإنما أبكي لمظلوم يقف ببابي يستغيث فلا أسمع استغاثته، وأمر مناديًا ينادي ألا كلُّ مَن كانت له ظلامة فليلبس ثوبًا أحمر، فكان يركب الفيل فكل مَن رأى عليه ثوبًا أحمر دعاه واستمع شكواه، وأنصفه من خصمائه، فانظر يا أمير المؤمنين إلى شفقة ذلك الكافر على عباد الله وأنت مؤمن من أهل بيت النبوة، انظر كيف تريد أن تكون شفقتك على رعيتك.

---

(1) أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم = وقيل سالم – بن صفوان مول بني فهر أو جمح المكي، وقيل إنه مول أبي ميسرة الفهري، من مولدي الجند وهي بلدة مشهورة باليمن خرج منها جماعة من العلماء؛ كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها، سمع جابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وخلقا كثيرا من الصحابة، وروى عنه عمرو بن دينار والزهري وقتادة وملك بن دينار والأعمش والأوزاعي وخلق كثير، وإليه وإلى مجاهد انتهت فتوى مكة في زمانها. قال قتادة: أعلم الناس بالمناسك عطاء. وقال إبراهيم بن عمر ابن كيسان: أذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج صائحا يصيح: لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح». قال سليمان بن رفيع: دخلت المسجد الحرام والناس مجتمعون على رجل فاطلعت فإذا عطاء بن أبي رباح جالس. توفي رضي الله عنه سنة 115 هـ وقيل 114 هـ، وعمره 88، وقال ابن أبي ليلى: حج عطاء 70 حجة وعاش مائة سنة، والله أعلم. قيل لاهل مكة: كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم؟ قالوا: كان مثل العافية التي لا يعرف فضلها حتى تفقد. قال الأصمعي: كان عطاء بن أبي رباح يقول في دعائه: اللهم ارحم في الدنيا غربتي، وعند الموت صرعتي، وفي القبور وحدتي، ومقامي غدا بين يديك.

(2) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

قال محمد بن واسع الأزدي: ﴿دَخَلْتُ عَلَى بِلالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى، فَقُلْتُ: يَا بِلالُ، إِنَّ أَبَاكَ، حَدَّثَنِي عَنْ جَدِّكَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: فِي جَهَنَّمَ وَادٍ، وفِي الْوَادِي بِئْرٌ يُقَالُ لَهُ: هَبْ هَبْ، حَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُسْكِنَهَا كُلَّ جَبَّارٍ، فَاتَّقِ اللهَ، لا تَسْكُنْهَا﴾ قال ابن الأثير: الهبهب السريع وهبهب السراب إذا ترقرق (كل جبار) أي متمرد على الله عات متكبر قال القاضي: سمي بذلك إما للمعانه من شدة اضطراب النار فيه والهابه من هبهب الشراب إذا لمع أو لسرعة اتقاد ناره بالعصاة واشتعالها فيهم من الهبهب الذي هو السرعة أو لشدة أججج النار فيه من الهباب وهو الصياح. قال الغزالي: أودية جهنم عدد أودية الدنيا وشهواتها وقد تضمن هذا الحديث ما يقصم الظهر جزعا ويبكي القلوب ألما والعيون دما من ظلمة الفؤاد من ظلم العباد وقسوة القلب والفؤاد (تنبيه) سميت جهنم لأنها كريهة المظهر والجهام السحاب الذي هرق ماؤه والغيث رحمة فلما أنزل الله الغيث من السحاب أطلق عليه اسم الجهام لزوال الرحمة الذي هو الغيث فكذا الرحمة أزالها الله من جهنم فكانت كريهة المنظر والمخبر. (بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري) كان أميرا على البصرة وقاضيا.

عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَفْضَلُ الْجِهَادِ مَنْ قَالَ كَلِمَةَ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ – وفي رواية–: أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ، أَوْ أَمِيرٍ جَائِرٍ﴾ (أفضل الجهاد من قال) أي جهاد من قال، أو أفضل أهل الجهاد من قال: (كلمة حق) أي قول حق ولو كان كلمة واحدة، وضده ضده (عند سلطان جائر) أي صاحب جور وظلم. قال المظهر: وإنما كان أفضل؛ لأن ظلم السلطان يسري في جميع من تحت سياسته، وهو جم غفير، فإذا نهاه عن الظلم فقد أوصل النفع إلى خلق كثير، بخلاف قتل كافر. يقول الفضيل: لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام، لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد. ومثل ذلك قول أحمد بن حنبل: لو كانت لي دعوة مستجابة لدعوت بها إلى السلطان، لأن في صلاحه صلاح البلاد والعباد، وفي فساده فسادهما. وقد قيل: السلطان من الرعية كالروح من الجسد، فإن استقام مزاجها استقام مزاج جميع أعضائه وحواسه، وإن فسدت فسد مزاج الأعضاء بفسادها، وتعطلت أحوال الجسد. وقيل: ليس فوق رتبة السلطان العادل رتبة إلا نبي مرسل أو ملك مقرب. يقول أبو بكر الطرطوشي: وكما أنه ليس فوق رتبة السلطان العادل رتبة كذلك ليس فوق رتبة السلطان الشرير رتبة لشره لأن شره يعم وكما أن بالسلطان العادل تصلح البلاد والعباد كذلك بالسلطان الجائر تفسد البلاد والعباد وتقترف المعاصي والآثام. قيل حمل مرة إلى عمر مال عظيم من الخمس، فقال:﴿إِنَّ قَوْمًا أَدُّوا الْأَمَانَةَ فِي هَذَا لِأُمَنَاءَ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ: إِنَّكَ أَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَأَدُّوا إِلَيْكَ الْأَمَانَةَ، وَلَوْ رَتَعْتَ لَرَتَعُوا﴾ قال الشيخ أبو حامد في الإحياء: الأمر بالمعروف مع السلطان التعريف والوعظ، وأما المنع بالقهر؛ فليس ذلك لآحاد الرعية؛ لأن ذلك يحرك الفتنة، ويهيج الشر، ويكون ما يتولد منه من المحذور أكثر، وأما التخشن في القول كقولكم: يا ظالم يا من لا يخاف الله، وما يجري مجراه؛ فذلك إن كان يتعدى شره إلى غيره لم يجز، وإن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز، بل مندوب إليه، فلقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار والتصريح بالإنكار من غير مبالاة بهلاك المهجة لعلمهم بأن ذلك جهاد وشهادة. عن أسلم بن عبد الملك، أنه سمع ابن سعيد بن أبي الحسن، يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿أَنْتُمُ الْيَوْمَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَسَتُحَوَّلُونَ عَنْ ذَلِكَ فَلَا تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَا تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَا تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَلَمْ تَظْهَرْ فِيكُمُ السَّكْرَتَانِ: سَكْرَةُ الْجَهْلِ وَسَكْرَةُ الْعَيْشِ، وَسَتُحَوَّلُونَ عَنْ ذَلِكَ، الْقَائِمُونَ يَوْمَئِذٍ بِالْكِتَابِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً كَالسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، لَهُمْ أَجْرُ خَمْسِينَ ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟، قَالَ: لَا بَلْ مِنْكُمْ﴾ يقول عبد الرحمن العمري: إن من غفلتك عن نفسك إعراضك عن الله، بأن ترى ما يسخطه فتجاوزه ولا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر خوفا ممن لا يملك لك ضرا ولا نفعا. وقال: من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مخافة المخلوقين نزعت منه هيبة الطاعة فلو أمر بعض ولده أو بعض مواليه لا ستخف به.

الجهل والفقر والظلم

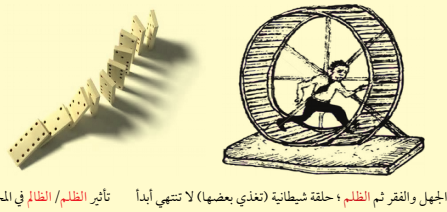

متلازمة الجهل والفقر ثم الظلم ؛ حلقة شيطانية (تغذي بعضها) لا تنتهي أبداً تأثير الظلم/ الظالم في المجتمع/ الناس

عندما تدخل الأمة في دوامة الجهل والفقر يستشري الظلم بين العباد (فيحق على الجميع عقاب الله) ولآن الغاب قانون السلطة الظالمة، كتأثير الدومينو سيحاول الأقوى أخذ حقوق الأضعف وهكذا تستمر هذه الدوامة الجهنمية إلى ما لا نهاية وهذا ما يفسر وجود هذا العدد الرهيب من المتسولة واللصوص والمرتزقة (ممن يسمون زوراً وبهتاً برجال الأمن) في بنية المجتمعات العربية. يقول مؤسس علم الاجتماع، ابن خلدون:﴿الظُّلْمُ مُؤْذِنٌ بِخَرَابِ الْعُمْرَانِ﴾ (العمران البشري) ويقول: ﴿إِعْلَمْ أَنَّ الْعُدْوَانَ عَلَى النَّاسِ فِي أَمْوَالِهِم ذَاهِبٌ بِآمَالِهِمْ فِي تَحْصِيلِهَا وَاكْتِسَابِهَا لِمَا يَرَوْنَهُ حِينَئِذٍ مِنْ أَنَّ غَايَتَهَا وَمَصِيرَهَا انْتِهَابُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ. وَإِذَا ذَهَبَتْ آمَالُهُمْ فِي اكْتِسَابِهَا وَتَحْصِيلِهَا انْقَبَضَتْ أَيْدِيهِمْ عَنْ السَّعْيِ فِي ذَلِكَ وَعَلَى قَدْرِ الِاعْتِدَاءِ وَنِسْبَتِهِ يَكُونُ انْقِبَاضُ الرَّعَايَا عَنْ السَّعْيِ فِي الِاكْتِسَابِ فَإِذَا كَانَ الِاعْتِدَاءُ كَثِيرًا عَامًا فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ المَعَاشِ كَانَ القُعُودُ عَنْ الكَسْبِ كَذَلِكَ لِذَهَابِهِ بِالآمَالِ جُمْلَةً بِدُخُولِهِ مِنْ جَمِيعِ أَبْوَبِهَا وَإِنْ كَانَ الِاعْتِدَاءُ يَسِيرًا كَانَ الِانْقِبَاضُ عَنْ الكَسْبِ عَلَى نِسْبَتِهِ﴾.

مراجع: البداية والنهاية/ إحياء علوم الدين/ صحيح مسلم/ مقدمة ابن خلدون/ تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام

◆ الوليد الأول بن عبد الملك الأول الأموي القرشي، أبو العباس (سادس ملوك الدولة الأموية) ومحمد بن شهاب الزهري [023]

دخل محمد بن شهاب الزهري[1] على الوليد بن عبد الملك، فقال: يا ابنَ شهاب، ما حديث يحدثنا به أهل الشام ؟ قال: وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال: حدثونا أنَّ الله تبارك وتعالى إذا استرعى عبدًا رعية كتب له الحسنات، ولم يكتب عليه السيئات. قال: كَذبوا يا أمير المؤمنين، أنَبِيٌّ خليفة أقرب إلى الله، أم خليفة ليس بنَبِي؟ قال: بل نبي خليفة. قال: فأنا أحدثك يا أمير المؤمنين بها لا تشكُّ فيه، قال الله تعالى لنبيه داود: ﴿يَا داود إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص] يا أمير المؤمنين، فهذا وعيد الله لنبي خليفة، فما ظنك بخليفة غير نبي؟!. فقال الوليد: إنَّ الناس ليغروننا عن ديننا.

حدث إسحاق بن يحيى عن عطاء بن يسار[2] قال: قلت للوليد بن عبد الملك: قال عمر بن الخطاب: وددت أني خرجت من هذا الأمر كفافا لا علي ولا لي. فقال: كذبت. فقلت: أو كذبت! فما أفلت منه إلا بجريعة الذقن*.

* (أفلت فلان بجريعة الذقن) وهو آخر ما يخرج من النفس .يقال أفلت فلان بجريعة الذقن يضرب مثلا للرجل يشرف على هلكة ثم يفلت كأنه جرع الموت جرعا ثم أفلت منه.

---

(1) محمد بن شهاب الزهري وهو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله ابن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي هكذا نسبه مصعب الزبيري وغيره ليس في ذلك اختلاف قال مصعب وأمه من بني الدئل بن عبد مناة بن كنانة قال أبو عمر كنيته أبو بكر وكان من علماء التابعين وفقهائهم مقدم في الحفظ والإتقان والرواية والاتساع إمام جليل من أئمة الدين أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم منهم أنس بن مالك وسهل بن سعد وعبد الرحمن بن أزهر الزهري وسنين أبو جميلة السلمي ومنهم عبد الله بن عمر. قال أبي داود: أسند الزهري أكثر من ألف حديث عن الثقات، وحديث الزهري كله ألفا حديث وممتا حديث، والنصف منها مسند وقدر مئتين عن الثقات، وأما ما اختلفوا عليه فلا يكون خمسين حديثا، والاختلاف عندنا ما تفرد قوم على شيء، وقوم على شيء. وعن سليمان بن حبيب المحاربي قال قال لي عمر بن عبد العزيز ما أتاك به الزهري بسنده فاشدد به يديك. وعن الأوزاعي قال ما داهن ابن شهاب ملكا من الملوك قط إذ دخل عليه ولا أدركت خلافة هشام أحدا من التابعين أفقه منه. وعن عمرو بن دينار قال ما رأيت أنص للحديث من ابن شهاب ولا رأيت أجود منه ما كانت الدنانير والدراهم عنده إلا بمنزلة البعر. وعن مالك قال: قيل لابن شهاب لو جلست إلى سارية تفتي الناس قال إنما يجلس هذا المجلس من زهد في الدنيا.

ولد رحمه الله سنة 51 هـ وقيل سنة 58 هـ في آخر خلافة معاوية وهي السنة التي توفيت فيها عائشة أم المؤمنين وأبو هريرة. ومات رضي الله عنه سنة 124 هـ في شهر رمضان ليلة سبع عشرة منه وهو ابن ست وستين سنة وذلك قبل موت هشام بعام. وقيل إنه مات وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ودفن على قارعة الطريق ليدعى له وكانت وفاته بضيعة له بناحية شغب وبدا مرض هنالك وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق فدفن بموضع يقال له إدامى وهي خلف شغب وبدا وهي أول عمل فلسطين وآخر عمل الحجاز.

(2) عطاء بن يسار أبو محمد المدني الفقيه، مولى ميمونة أم المؤمنين، وهو أخو سليمان، وعبد الله، وعبد الملك. وكان قاصا واعظا ثقة جليل القدر. حدث عن أبي أيوب، وزيد، وعائشة، وأبي هريرة، وأسامة بن زيد، وعدة. قال أبو داود: سمع من ابن مسعود. روى عنه زيد بن أسلم، وصفوان بن سليم، وعمرو بن دينار، وهلال بن علي، وشريك بن أبي نمر. توفي سنة 103 هـ وقيل قبل 100 هـ. روى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، أن أبا حازم قال: ما رأيت رجلا كان ألزم لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من عطاء بن يسار.قال عبد الرحمن بن زيد: قال أبي: كان عطاء يحدثنا حتى يبكينا أنا وأبو حازم، ثم يحدثنا حتى يضحكنا، ويقول: مرة هكذا، ومرة هكذا.

عن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ عَمَلًا، فَأَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا صَالِحًا إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ﴾ وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ تَعَالَى﴾ (بطانتان) أي وزيران ومشيران، مشبهان بالبطانة لملازمته بحيث لا ينفكان عن صحبته.وقد كان الإمام مالك بن أنس مرة عند الحاكم، وقام أحد الحاضرين يثني على الحاكم. فقال مالك: إياك أن يغرك هؤلاء بثنائهم عليك، فإن مَن أثنى عليك وقال فيك من الخير ما ليس فيك أوشك أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك، فاتقِ الله في التزكية منك لنفسك ولا ترضى بها من أحدٍ يقولها لك في وجهك فإنك أنت أعرف بنفسك منهم؛ فإنه بلغني أن رجلاً مُدِح عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال:﴿وَيْحَكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ أَخِيكَ، وَاللهِ لَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ أَبَدًا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَثْنَى أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ، فَلْيَقُلْ: وَاللهِ إِنَّ فُلَانًا، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا﴾ وقال صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ﴾ (ويلك) الويل بمعنى الهلاك أي هلكت هلاكا وأهلكت إهلاكا، وفي نسخة.ويحك وهو للشفقة والمرحمة بخلاف الأول، فإنه للزجر في الموعظة. عن مسلم قال: قال مالك بن دينار: منذ عرفت الناس لم أفرح بمدحهم. ولم أكره مذمتهم. قيل: ولم ذاك؟ قال: لأن حامدهم مفرط وذامهم مفرط. فلهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى إن بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شيء فقال أنت يا أمير المؤمنين خير مني وأعلم فغضب وقال إني لم آمرك بأن تزكيني وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله فغضب وقال إني لأحسبك عراقيا. وقال بعضهم لما مدح اللهم إن عبدك تقرب إلي بمقتك فأشهدك على مقته. وإنما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله تعالى يبغض إليهم مدح الخلق لأن الممدوح هو المقرب عند الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله الملقى في النار مع الأشرار فهذا الممدوح إن كان عند الله من أهل النار فما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله تعالى وثنائه عليه إذ ليس أمره بيد الخلق. ومهما علم أن الأرزاق والآجال بيد الله تعالى قل التفاته إلى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه والله الموفق للصواب برحمته. يروى أن خراساني قال للإمام أحمد: الحمد لله الذي رأيتك، فقال له: اقعد، أي شيء ذا؟ من أنا؟ وعن رجل قال: رأيت أثر الغم في وجه أبي عبد الله، وقد أثنى عليه شخص، وقيل له: جزاك الله عن الإسلام خيرا. فقال: بل جزى الله الإسلام عني خيرا، من أنا وما أنا! وعن عبد الكريم قال: قيل لعمر بن عبد العزيز: جزاك الله عن الإسلام خيرا، قال: لا، بل جزى الله الإسلام عني خيرا. وقال رجل لابن عمر يا خير الناس وابن خير الناس فقال ابن عمر ما أنا بخير الناس ولا ابن خير الناس ولكني عبد من عباد الله عز وجل أرجو الله عز وجل وأخافه والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه. وعن أبي الوازع قال قلت لابن عمر لا يزال الناس بخير ما ابقاك الله لهم. قال فغضب ثم قال اني لاحسبك عراقيا وما يدريك ما يغلق عليه ابن امك بابه. قال إياس بن أبي تميمة: شهدت الحسن في جنازة أبي رجاء على بغلة، والفرزدق إلى جنبه على بعير، فقال له الفرزدق: قد استشرفنا الناس، يقولون: خير الناس، وشر الناس. قال: يا أبا فراس، كم من أشعث أغبر ذي طمرين خير مني، وكم من شيخ مشرك أنت خير منه، ما أعددت للموت؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله. قال: إن معها شروطا، فإياك وقذف المحصنة. قال: هل من توبة؟ قال: نعم. وقال له بعض الناس: ألا تخاف من الله في قذف المحصنات، فقال: والله لله أحب إلي من عيني اللتين أبصر بهما، فكيف يعذبني؟ وعن محمد بن عمرو بن عطاء: ﴿أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ، سَأَلَتْهُ: مَا سَمَّيْتَ ابْنَتَكَ؟ قَالَ: سَمَّيْتُهَا مُرَّةَ، فَقَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ هَذَا الِاسْمِ، سُمِّيتُ بَرَّةَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ، اللهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ. فَقَالَ: مَا نُسَمِّيهَا؟ قَالَ: سَمُّوهَا زَيْنَبَ﴾.

مراجع: كنز العمال/ صحيح البخاري/ صحيح مسلم/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ إحياء علوم الدين/ العقد الفريد/ لسان العرب/ سير أعلام النبلاء

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس وسادس ملوك الدولة الأموية) وعبد الله بن عمر بن الخطاب [024]

بقي الحجاج بن يوسف الثقفي[1] واليا على مكة بعد مقتل ابن الزبير وكان عبد الله بن عمر[2] يترك المدينة ويأتي مكة حاجا أو معتمرا ويرى أو يسمع من أفعال الحجاج وأقواله المخالفة للشرع فيأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر ويرد عليه بكل جرأة وشجاعة وبعدما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير وتمت له السيطرة على مكة خطب الناس وكان مما قال: إن ابن الزبير حرف كتاب الله فقام ابن عمر وقال: كذبت كذبت كذبت ما يستطيع ذلك ولا أنت معه. فقال له الحجاج: اسكت فإنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك، يوشك شيخ أن يؤخذ فتضرب عنقه فيجر قد انتفخت خصيتاه يطوف به صبيان أهل البقيع.

خطب الحجاج الناس يوم الجمعة فأطال حتى كاد يذهب وقت الصلاة فقام ابن عمر: فقال: أيها الناس قوموا إلى صلاتكم فقام الناس فنزل الحجاج فصلى فلما انصرف قال لابن عمر ما حملك على ذلك؟ فقال: إنا نجئ للصلاة فصل الصلاة لوقتها ثم يقبق بعد ذلك ما شئت من بقيقة. كما أنكر ابن عمر على الحجاج تهاونه في إشاعة حمل السلاح في مكة وتركه لرجال جيشه يضايقون به المسلمين ويعرضون حياتهم بذلك للخطر ففي الصحيح عن سعيد بن جبير قال: كنت مع ابن عمر حين أصابه سنان الرمح في أخمص قدمه فلزقت قدمه بالركاب فنزلت فنزعتها وذلك بمنى فبلغ الحجاج فجعل يعوده فقال الحجاج: لو نعلم من أصابك! فقال ابن عمر: أنت أصبتني قال: وكيف؟ قال: حملت السلاح في يوم لم يكن يحمل فيه وأدخلت السلاح الحرم ولم يكن السلاح يدخل الحرم. وحدث إسحاق بن سعيد عن أبيه قال: دخل الحجاج على ابن عمر وأنا عنده فقال: كيف هو؟ فقال: صالح. فقال: ما أصابك؟ قال: أصابني من أمر بحمل السلاح في يوم لا يحل فيه حمله؛ يعني الحجاج ولما خرج الحجاج قال ابن عمر: ما آسى على شيء من هذه الدنيا إلا على ثلاث وذكر منها: ألا أكون قاتلت هذه الفئة الباغية التي حلت بنا. يقول الذهبي في تعليقه: يعني بالفئة الباغية الحجاج وأنا أزيد: ومن أرسله.

وفي رواية كان الحجاج قد أمر رجلا سم زجه*وزجه في الطريق، ووضع الزج على ظهر قدمه، وذلك أن الحجاج خطب يوما وأخر الصلاة، فقال ابن عمر: إن الشمس لا تنتظرك، فقال له الحجاج: لقد هممت أن أضرب الذي فيه عيناك، قال: إن تفعل فإنك سفيه [مسلط]. وقيل: إنه أخفى قوله ذلك على الحجاج ولم يسمعه، وإنما كان يتقدمه في المواقف بعرفة وغيرها إلى المواضع التي كان النبي صلى الله عليه وسلم وقف فيها، وكان ذلك يعز على الحجاج، فأمر الحجاج رجلا معه حربة يقال إنها كانت مسمومة، فلما دفع الناس من عرفة لصق به ذلك الرجل، فأمر الحربة على قدمه، وهي في غرز راحلته، فمرض منها أياما، فدخل عليه الحجاج يعوده، فقال: من سمك يا أبا عبد الرحمن فقال: وما تصنع به قال: قتلني الله إن لم أقتله، قال: ما أراك فاعلا، أنت أمرت من نخسني بالحربة، فقال: لا تفعل يا أبا عبد الرحمن، وخرج عنه. وروي أنه قال للحجاج -إذ قال له: من سمك - قال: أنت أمرت بإدخال السلاح في الحرم. فلبث أياما ثم مات، وصلى عليه الحجاج.

وعن المطعم بن مقدام الصنعاني قال كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الله بن عمر بلغني أنك طلبت الخلافة وأن الخلافة لا تصلح لعبي ولا بخيل ولا غيور. فكتب إليه ابن عمر أما ما ذكرت من أمر الخلافة أني طلبتها فما طلبتها وما هي من بالي وأما ما ذكرت من العي والبخل والغيرة فان من جمع كتاب الله عز وجل فليس بعبي ومن ادى زكاة ما له فليس ببخيل واما ما ذكرت فيه من الغيرة فان احق ما غرت فيه ولدي ان يشركني فيه غيري.

وعن نافع قال: قدم معاوية المدينة، فحلف على المنبر ليقتلن ابن عمر، فلما دنا من مكة تلقاه الناس، فقال له عبد الله بن صفوان: [3] إيها، جئتنا لتقتل ابن عمر. قال: ومن يقول هذا، ومن يقول هذا. زاد ابن عون، عن نافع قال: والله لا أقتله.

* ا (الزج) الحديدة التي تركب في أسفل الرمح والسنان يركب عاليته والزج تركز به الرمح في الأرض والسنان يطعن به.

➔ (2) عبد الله بن عمر بن الخطاب، القرشي العدوي؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه، وكان من أهل الورع والعلم، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه وكل ما تأخذ به نفسه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وهو ابن 84 سنة، وكان قد أوصى أن يدفن في الليل ، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين.

➔ (3) عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف القرشي من عباد أهل مكة وصالحيهم وافاضل التابعين ومتقنيهم. يقال: ولد أيام النبوة.وروى عن أبيه، وعمر، وأبي الدرداء، وحفصة. وروى عنه حفيده؛ أمية بن صفوان، وابن أبي مليكة، وعمرو بن دينار، والزهري، وسالم بن أبي الجعد.قتل وهو متعلق بأستار الكعبة مع بن الزبير سنة 73 هـ.

➔ (1) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله. قال الأصمعي: ولي الحجاج العراق عشرين سنة، صار إليها في سنة 75 هـ، وكانت ولايته أيام عبد الملك إحدى عشرة سنة، وفي أيام الوليد تسع سنين، وبنى واسط في سنتين، وفرغ منها في السنة التي مات فيها عبد الملك سنة ست وثمانين، ومات الوليد بعد الحجاج بتسعة أشهر.

عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:﴿لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْمِلَ السِّلَاحَ بِمَكَّةَ﴾ هذا النهي إذا لم تكن حاجة فإن كانت جاز هذا مذهب الجماهير، قال القاضي عياض هذا محمول عند أهل العلم على حمل السلاح لغير ضرورة ولا حاجة فإن كانت جاز قال القاضي وهذا مذهب مالك والشافعي وعطاء قال وكرهه الحسن البصري تمسكا بظاهر هذا الحديث وحجة الجمهور دخول النبي صلى الله عليه وسلم عام عمرة القضاء بما شرطه من السلاح في القراب ودخوله صلى الله عليه وسلم عام الفتح متأهبا للقتال قال وشذ عكرمة عن الجماعة فقال اذا احتاج إليه حمله وعليه الفدية ولعله أراد إذا كان محرما وليس المغفر والدرع ونحوهما فلا يكون مخالفا للجماعة والله أعلم.

عن أبي سلمة عن أبي هريرة، قال:﴿لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ، قَتَلَتْ هُذَيْلُ رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ بِقَتِيلٍ كَانَ لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَامَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا حَبَسَ الْفِيلَ عَنْ مَكَّةَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَإِنَّهَا سَاعَتِي هَذِهِ، ثُمَّ هِيَ حَرَامٌ لَا يُعْضَدُ شَجَرُهَا، وَلَا يُخْتَلَى شَوْكُهَا، وَلَا يُلْتَقَطُ سَاقِطُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ، وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ، فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ، إِمَّا أَنْ يَفْدِيَ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو شَاهٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اكْتُبُوا لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ. ثُمَّ قَامَ الْعَبَّاسُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا الْإِذْخِرَ؛ فَإِنَّا نَجْعَلُهُ فِي قُبُورِنَا وَفِي بُيُوتِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِلَّا الْإِذْخِرَ﴾ وعن أبي شريح يعني الكعبي، أنه قال لعمرو بن سعيد: وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولا قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح سمعته أذناي، ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي، حين تكلم به حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:﴿إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا وَلَا يَعْضُدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ تَرَخَّصَ أَحَدٌ لِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ فِيهَا فَقُولُوا لَهُ: إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ﴾.

خطب الحجاج في يوم جمعة فأطال الخطبة؛ فقام إليه رجل فقال: إن الوقت لا ينتظرك، والرب لا يعذرك! فأمر به إلى الحبس! فأتاه آل الرجل وقالوا: إنه مجنون! فقال: إن أقر على نفسه بما ذكرتم خليت سبيله. فقال الرجل: لا والله لا أزعم أنه ابتلاني وقد عافاني. جاء في استحباب التعجيل بصلاة الجمعة إذا دخل وقتها: عن إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه، قال:﴿كُنَّا نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجُمُعَةَ ثُمَّ نَنْصَرِفُ، وَلَيْسَ لِلْحِيطَانِ ظِلٌّ نَسْتَظِلُّ فِيهِ﴾ (ظل. .) أي يصلح لأن يستظل فيه وهو دليل التعجيل بصلاة الجمعة أول الوقت. وعن أنس بن مالك:﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي الْجُمُعَةَ حِينَ تَمِيلُ الشَّمْسُ﴾ (ميل) إلى جهة الغرب وتزول عن وسط السماء وهو وقت صلاة الظهر.

كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري يعلمه بأوقات الصلاة، ويحذر من تأخير الصلاة عن وقتها والتشاغل عنها: صل الظهر إذا زالت الشمس إلى أن يكون ظل كل شيء مثله، والعصر والشمس بيضاء نقية، قبل أن تدخلها صفرة، وفي رواية: قدر ما يسير الراكب فرسخين أو ثلاثة، والمغرب حين تغرب الشمس، ويدخل الليل، والعشاء إذا غاب الشفق إلى ثلث الليل، فمن نام فلا نامت عينه، فمن نام فلا نامت عينه، وصل الصبح والنجوم بادية مشتبكة، واقرأ فيه سورتين طويلتين من المفصل. وكتب رضي الله عنه: لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها، وكان عمر يضرب عليها الرجال. وعن عبيد الله بن عدي بن الخيار، قال: قال عمر: لا تبغضوا الله إلى عباده، يكون أحدكم إماما فيطول عليهم ما هم فيه، ويكون أحدكم قاصا، ويطول عليهم ما هم فيه. وحدث أبو هلال، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثوا الناس، ما أقبلوا عليكم بوجوههم، فإذا التفتوا، فاعلموا أن لهم حاجات.

ومما جاء عن عمر في بيان فضل أداء الصلاة في وقتها، وشهودها في جماعة المسلمين أنه رضي الله عنه فقد سليمان بن أبي حثمة في صلاة الصبح فغدا إلى السوق، ومسكن سليمان بين المسجد والسوق، فمر على الشفاء أم سليمان، فقال: لم أر سليمان في الصبح؟ فقالت: إنه بات يصلي، فغلبته عيناه، فقال عمر: لأن أشهد صلاة الصبح أحب إلي من أن أقوم ليلة. وروي أن عمر فقد رجلا في صلاة الصبح، فأرسل إليه، فجاء فقال: أين كنت؟ فقال: كنت مريضا، ولولا أن رسولك أتاني لما خرجت، فقال عمر: فإن كنت خارجا إلى أحد فاخرج للصلاة. وروي أن عمر خرج إلى الصلاة، فاستقبل الناس، فأمر المؤذن فأقام وقال: لا ننتظر لصلاتنا أحدا، فلما قضى صلاته أقبل على الناس، ثم قال: ما بال أقوام يتخلف بتخلفهم آخرون، والله لقد هممت أن أرسل إليهم، فيجاء في أعناقهم، ثم يقال: اشهدوا الصلاة.

مراجع: صفة الصفوة/ وفيات الأعيان/ الطبقات الكبرى/ تاريخ مدينة دمشق/ سير أعلام النبلاء/ حياة الصحابة/ خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير/ صحيح ابن حبان/ صحيح مسلم/ صحيح مسلم شرح النووي/ مشاهير علماء الأمصار/ دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر وسياسته الإدارية/ لسان العرب

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس وسادس ملوك الدولة الأموية) وسهل بن سعد [025]

عاش سهل[1] وطال عمره، حتى أدرك الحجاج بن يوسف، وامتحن معه. ذكر الواقدي، وغيره: أرسل الحجاج سنة أربع وسبعين إلى سهل بن سعد رضي الله عنه، وقال له: ما منعك من نصر أمير المؤمنين عثمان؟ قال: قد فعلته، قال: كذبت، ثم أمر به فختم في عنقه (بالرصاص: عتيق الحجّاج)، وختم أيضا في عنق أنس بن مالك[2]،حتى ورد عليه كتاب عبد الملك بن مروان فيه، وختم في يد جابر بن عبد الله[3]،وكان يريد إذلالهم بذلك، وأن يجتنبهم الناس، ولا يسمعوا منهم.

روى أبي حازم عن سهل بن سعد قال استعمل على المدينة رجل من آل مروان قال فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليا قال فأبى سهل فقال له أما إذ أبيت فقل لعن الله أبا تراب فقال سهل ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب وإن كان ليفرح إذا دعي بها فقال له أنبأ عن قصته لم سمي أبا تراب، قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت فاطمة فلم يجد عليا في البيت، فقال لها: أين ابن عمك، فقالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج، ولم يقل عندي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنسان انظر أين هو فجاء، فقال يا رسول الله هو في المسجد راقد، فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه، ويقول: قم أبا تراب قم أبا تراب. وفي رواية أن رجلا جاءه، فقال: هذا فلان -أمير من أمراء المدينة- يدعوك لتسب عليا على المنبر، قال: أفعل ماذا؟ قال: تقول له: أبو تراب، فضحك سهل فقال: والله، ما سماه إياه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان لعلي اسم أحب إليه منه.

أما سبب قتل كميل بن زياد النخعي[4]فإن فتنة ابن الأشعث لما هاجت في أخذ مطر بن ناجية الرياحي اليربوعي[5] الكوفة لبس كميل ثيابه وكان أقعد فجاء صحيحا ليس به إقعاد حتى صعد المنبر مع مطر بن ناجية فسب ولعن وحرض وكان خطيبا شريفا وحرض على أهل الشام ثم قال قد عرفت الغدر إن شر شيئين في قريش وثقيف الحكمين الحكم بن أبي العاص[6] والحكم بن أبي عقيل[7] فبلغت خطبته قال فلما ظفر الحجاج أتي بكميل فقال أدنوه مني فأدني منه. فقال: يا عبد النخع أمتقعد الجماعة صحيح في الفتنة لطمت عين أمير المؤمنين عثمان بن عفان فعفى عنك معاوية وأوصل إليك عطاؤك ثم عفا عنك يزيد ثم عفى عنك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ثم قعدت فعفوت عنك فلما جاء أعرابي من بني تميم نهضت إلى منبر المسلمين ليس بك إقعاد فزعمت أن شر شيئين في قريش وثقيف الحكمين الحكم بن أبي العاص والحكم بن أبي عقيل ثم نظر إلى يزيد بن هبيرة المحاربي[8] وهو على أهل دمشق الذين كانوا بالعراق فقال: هذا أحد قتلة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رحمه الله فاضرب عنقه فقدمه يزيد بن هبيرة فضرب عنقه. وكان شيخ كبير.

حدث إسماعيل بن مجالد بن سعيد الهمداني قال حدثني أبي عن المجالد قال أرسل الحجاج بن يوسف إلى أبي صالح ماهان[9] المسبح فلما أتاه قال بلغني عنك صلاح وخير وإني أريد أن أوليك القضاء قال له أنا قال نعم وأنا لا أحسن أعد عشرة قال: يا مرائي علي تتباله قال والفرات قد مد فعدى من بين يديه وهو شيخ كبير يجنح حتى وقف على جرف الفرات. فقال: اللهم إن كنت مرائيا كما زعم الحجاج فغرقني. قال فرمى بنفسه فقام على متن الماء فلم تغب قدماه قال فوالله ما نهنه ذلك أن أخذه فصلبه على بابه فقال لي عمار الدهني[10] حيث أنظر إليه وهو مصلوب. فقال لي: يا عمار لا تنظر إلي في الناظرة ألحق بأهلك لا تلزمك الحجة فتنزل بك اللعنة. قال ابن مجالد: هو مصلوب ولا يترك النصيحة. وفي رواية حدث أبو بكر بن عياش عن عمار الدهني قال: مررت على ماهان حين صلب والناس ينظرون إليه، قال: فقال لي: يا عمار وأنت أيضا ممن ينظر ولا تغير !. وعن محمد بن فضيل عن رجل قال : رأيت أبا صالح ماهان حين صلبه الحجاج على الخشبة فجعل يسبح و يعقد قال : فبلغ التسبيح في يده ثلاثا وثلاثين يعقدها قال : فجاء رجل فطعنه فقتله قال : فلقد رأيت في يده العقد بعد كذا. وعن جرير عن أبي اسحاق يعني الشيباني[11] قال دنوت من ماهان أبي صالح لما أراد ابن أبي مسلم[12] أن يقطعه ويصلبه فقال تنح يا ابن أخي لا تسأل عن هذا المقام.

---

(1) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الساعدي الأنصاري المدني، وكان اسمه حزن فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلا، و كنيته أبو العباس وقيل: أبو يحيى. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن أبي بن كعب، وعاصم بن عدى، وغيرهم. وعنه ابنه عياش، والزهري، وآخرون. سكن المدينة وكان آخر من مات بها من أصحابه رضوان الله عليه سنة 91 هـ وقيل 88 هـ. وذكر أنه كان له يوم توفي النبي صلى الله عليه وسلم 15 سنة.

(3) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن عمرو بن سواد بن سلمة ويقال ابن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي الأنصاري المدني شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم كنيته أبو عبد الله وقيل شهد العقبة مع أبيه، مات سنة 78 هـ أو 79 هـ بعد أن عمي وكان له يوم مات أربع وتسعون سنة وصلى عليه أبان بن عثمان وهو والي المدينة. قال عمرو بن علي آخر من مات بالمدينة جابر بن عبد الله في سنة 79 هـ. سمع النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن أبي هريرة وأم كلثوم وأبي سعيد الخدري وابي بردة بن نيار وعمر بن الخطاب وأبي حميد الساعدي وأم مالك وأم شريك. روى عنه أبو سفيان وأبو صالح وأبو الزبير وعمر بن دينار ويزيد الفقير وأبو جعفر محمد بن علي وعطاء بن أبي رباح وأبو سلمة بن عبد الرحمن ومحمد بن عمرو بن الحسن ووهب بن كيسان ومحمد بن المنكدر وسالم بن أبي الجعد وسعيد بن ميناء وعبيد الله بن مقسم وأبو هريرة ومحمد بن عباد بن جعفر ومجاهد والحسن بن محمد وعروة بن عياض والنعمان بن أبي عياش وأبو المتوكل الناجي وسليمان بن يسار وابنه عبد الرحمن بن جابر والقعقاع بن حكيم وأبو عبد الرحمن الحبلي وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الرحمن صاحب السقاية وعبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت.

(2) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم رضي الله عنه. أمه: أم سليم بنت ملحان ذهبت به أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فكان يخدمه وكان له يومئذ 9 سنين ويقال 8 ويقال 10 .عن حميد عن أنس قال أخذت أم سليم بيدي مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاتت بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت هذا ابني وهو غلام كاتب. قال فخدمته 9. قال أهل السير مات أنس بالبصرة سنة 92 هـ وقيل 93 هـ وقيل 91 هـ وهو ابن تسع وتسعين.وقد قيل أنه مات ابن مائة وثلاث سنين وقيل تسع سنين وغسله محمد بن سيرين وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة رضي الله عنهم أجمعين.

(4) كميل بن زياد النخعي الصهباني الكوفي. حدث عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي هريرة. وكان شريفا مطاعا ثقة عابدا على تشيعه قليل الحديث.قتله الحجاج في حدود التسعين للهجرة.

(8) يزيد بن هبيرة بن أقيش بن جذيمة بن كلثة بن خفاف بن معاوية بن مر بن بكر، كان شريفا وقد ولي ولايات، وهو أبو داود الذي يقول له عبد الله بن الحجاج الثعلبي – من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان. كان يزيد بن هبيرة المحاربي أول أمير ولي اليمامة لعبد الملك بن مروان.(أما عمر بن هبيرة الفزاري فهو أمير عراق العرب وعراق العجم وابنه يزيد بن عمر بن هبيرة المعروف بيزيد بن هبيرة وتولى أيضا عدة إمارات).

(6) الحكم بن أبي العاص الأموي عم عثمان، ووالد مروان، كان النبي صلى الله عليه وسلم قد طرده إلى الطائف، وبقي طريدا إلى زمن عثمان، فرده إلى المدينة، واعتذر بأنه قد كان شفع فيه إلى النبي فوعده برده، وهو مؤتمن على ما قال، وهو أحد الأسباب التي نقموا بها على عثمان.

(10) عمار بن معاوية: ويقال: ابن أبي معاوية، ويقال: ابن صالح، ويقال: ابن حيان الدهني البجلي، أبو معاوية الكوفي، مولى الحكيم بن نفيل، وولد معاوية بن عمار، ودهن هو ابن معاوية بن أسلم بن أحمس بن الغرث بن أنمار، وفى عبد القيس دهن بن عذره. مات سنة 133 هـ.

(5) مضر بن ناجية الكوفي ؟... مطر بن ناجية بن ذروة بن حطان بن قيس بن أوس بن حيري،(من بني تميم؛ هو من بني رياح بن يربوع) الذي غلب على الكوفة أيام ابن الأشعث، توفي سنة 82 هـ.؟

(12) أبو العلاء يزيد بن مسلم دينار الثقفي، مولاهم، كان مولى الحجاج بن يوسف الثقفي وكاتبه.

(11) أبو إسحاق الشيباني: هو سليمان بن أبي سليمان، الكوفي، ثقة، من الخامسة، توفي سنة 140 هـ وقيل سنة 129 هـ

(7) الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي ، جد الحجاج بن يوسف الأمير وآل بيته.قتله خالد بن هوذة. قال الريان بن مسلم: بعث عمر بن عبد العزيز بآل أبي عقيل أهل الحجاج إلى صاحب اليمن وكتب إليه: أما بعد، فإني بعثت بآل أبي عقيل، وهم شر بيت في العرب، ففرقهم في عملك على قدر هوانهم على الله تعالى وعلينا، وعليك السلام. وإنما نفاهم، رحمه الله.

(9) أبو صالح ماهان الحنفي ، و اسمه: عبدالرحمن بن قيس، أخو طليق، صلبه الحجاج سنة 83 هـ

ذكر أبو القاسم الطبراني[1] في الكبير: عن أبي حازم أن سهلا كان في مجلس قومه وهو يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضهم مقبل على بعض يتحدثون فغضب وقال: والله لأخرجن من بين أظهرهم ثم لا أرجع إليهم أبدا، قال أبو حازم: فقلت له: إلى أين تذهب؟ قال: أجاهد في سبيل الله تعالى. قلت: ما بك جهاد وما تستمسك على الفرس، وما تستطيع أن تضرب بالسيف، وما تستطيع أن تطعن بالرمح! قال: يا أبا حازم أذهب فأكون في الصف فيأتين سهم عابر أو حجر فيرزقني الله الشهادة. قال: فذهب لعمري فما رجع إلا مطعونا. عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا فِيهَا، وَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا فِيهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا فِيهَا﴾ وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :﴿مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا، أُعْطِيَهَا، وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ﴾.

الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، نسبة إلى طبرية، محدث سلفي حنبلي، من شيوخه النسائي وأبو القاسم البغوي والفريابي، من مؤلفاته: السنة والمعجم الكبير والمعجم الأوسط و المعجم الصغير.ولد سنة 260 هـ بعكا وتوفي سنة360 هـ
مراجع: إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ مسند أحمد/ صحيح مسلم/ الوفيات والأحداث/ الوافي بالوفيات/ المحن/ تقريب التهذيب/ شعب الإيمان/ معاني الأخيار/ مختصر تاريخ دمشق

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس وسادس ملوك الدولة الأموية) وأنس بن مالك [026]

حدث علي بن زيد[1]، قال: كنت بالقصر، والحجاج يعرض الناس ليالي ابن الأشعث[2]، فجاء أنس بن مالك[3]، فقال: يا خبيث جوال في الفتن، مرة مع علي، ومرة مع ابن الزبير، ومرة مع ابن الأشعث، أما والذي نفسي بيده لأستأصلنك كما تستأصل الصمغة، ولأجردنك كما يجرد الضب. قال: يقول: أنس: من يعني الأمير؟ قال: إياك أعني، أصم الله سمعك، فاسترجع أنس، وشغل الحجاج، وخرج أنس، فتبعناه إلى الرحبة، فقال: لولا أني ذكرت ولدي وخشيته عليهم بعدي لكلمته بكلام لا يستحييني بعده أبدا. حدث أزهر بن عبد الله، قال: كنت في الخيل الذين بيتوا أنس بن مالك، وكان فيمن يؤلب على الحجاج، وكان مع عبد الرحمن بن الأشعث، فأتوا به الحجاج، فوسم في يده: عتيق الحجاج.

قال الأعمش: كتب أنس إلى عبد الملك: قد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين، وإن الحجاج يعرض بي حوكة البصرة، فقال: يا غلام، أكتب إليه: ويلك قد خشيت أن لا يصلح على يدي أحد، فإذا جاءك كتابي هذا، فقم إلى أنس حتى تعتذر إليه، قال الرسول: فلما جئته قرأ الكتاب، ثم قال: أمير المؤمنين كتب بما هنا؟ قلت: إي والله، وما كان في وجهه أشد من هذا، قال: سمع وطاعة، فأراد أن ينهض إليه، فقلت: إن شئت أعلمته، فأتيت أنسا، فقلت: ألا ترى قد خافك، وأراد أن يقوم إليك، فقم إليه، فأقبل يمشي حتى دنا منه، فقال: يا أبا حمزة غضبت؟ قال: أغضب؟ تعرضني بحوكة البصرة؟ قال: إنما مثلي ومثلك كقول الذي قال: إياك أعني واسمعي يا جارة، أردت أن لا يكون لأحد علي منطق.

قيل: لما قدم الحجاج العراق أرسل إلى أنس فقال يا أبا حمزة إنك قد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت من عمله وسيرته ومنهاجه فهذا خاتمي فليكن في يدك فأرى برأيك ولا أعمل شيئا إلا بأمرك فقال له أنس أنا شيخ كبير قد ضعفت ورققت وليس في اليوم ذاك. فقال قد عملت لفلان وفلان فما بالي أنا فانظر إن كان في بنيك ممن تثق بدينه وأمانته وعقله. قال ما في بني من أثق لك به وكثر الكلام بينهما. وقال يوما من جملة كلام لقد عبت فما تركت شيئا ولولا خدمتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكتاب أمير المؤمنين لكان لي ولك شأن من الشأن. فقال أنس هيهات إني لما خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم علمني كلمات لا يضرني معهن عتو جبار. فقال له الحجاج يا عماه لو علمتنيهن. فقال لست لذلك بأهل. فدس إليه الحجاج ابنه محمدا ومعه مائتي ألف درهم ومات الحجاج قبل أن يظفر بالكلمات وهي بسم الله على نفسي وديني بسم الله على أهلي ومالي بسم الله على كل شيء أعطاني بسم الله خير الأسماء بسم الله رب الأرض والسماء بسم الله الذي لا يضر مع اسمه داء بسم الله افتتحت وعلى الله توكلت الله ربي لا أشرك به أحدا اللهم أنت جاري من كل شيء قل هو الله أحد السورة من خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتي.

---

(3) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم رضي الله عنه. أمه: أم سليم بنت ملحان ذهبت به أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فكان يخدمه وكان له يومئذ 9 سنين ويقال 8 ويقال 10 .عن حميد عن أنس قال أخذت أم سليم بيدي مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاتت بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت هذا ابني وهو غلام كاتب. قال فخدمته 9. قال أهل السير مات أنس بالبصرة سنة 92 هـ وقيل 93 هـ وقيل 91 هـ وهو ابن تسع وتسعين.وقد قيل أنه مات ابن مائة وثلاث سنين وقيل تسع سنين وغسله محمد بن سيرين وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة رضي الله عنهم أجمعين.

(1) علي بن زيد بن جدعان التيمي القريشي الأعمى البصري ويقال المكي نزل البصرة يكنى أبا الحسن، روى عن أنس في الجهاد، روى عنه حماد بن سلمة مقرنا بثابت

(2) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي أمير سجستان، من أهل الكوفة، ظفر به الحجاج وقتله وطيف برأسه بعد هزيمته في دير الجماجم سنة 83 هـ

معركة دير الجماجم كانت بين الحجاج بن يوسف الثقفي وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكان الحجاج قد سير عبد الرحمن بن الأشعث بجيش لغزو رتبيل بسجستان، فدخلها عبد الرحمن، واتفق مع قادة جيشه على إخراج الحجاج من أرض العراق، بعد أن ملك سجستان وكرمان والبصرة وفارس، ثم خرج يريد الكوفة لأن أهلها يبغضون الحجاج، وبها عشائره وموالية؛ فقصده الحجاج بن يوسف فنزل ابن الأشعث دير الجماجم، وهو دير بظاهر الكوفة، على طريق البر إلى البصرة ونزل الحجاج بإزائه بدير قرة، ووقعت الحرب بينهما، واشتد القتال، ولما بلغ ذلك رءوس القبائل عرضوا على عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين أن يخلع الحجاج من العراق؛ ليحقن دماء المسلمين، فبعث عبد الملك إلى العراق محمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك؛ ليعرضوا على أهل العراق عزل الحجاج مقابل حقن الدماء، فرفض أهل العراق وأبو إلا القتال. وأخذ الفريقان يقتتلان حتى انتهت المعركة بهزيمة عبد الرحمن بن الأشعث سنة 83 هـ بعد مائة يوم من الحرب.

عن سيار بن ربيعة قال سمعت أنس بن مالك يقول ذهبت بي امي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله خويدمك ادع الله له فقال:﴿اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَأَطِلْ عُمُرَهُ وَاغْفِرْ ذَنْبَهُ﴾ قال أنس فلقد دفنت من صلبي مائة غير اثنين أو قال مائة واثنين وان ثمرتي لتحمل في السنة مرتين ولقد بقيت حتى سئمت الحياة وانا أرجو الرابعة. وعن ثمانة بن عبد الله بن أنس قال كان أنس يصلي فيطيل القيام حتى تقطر قدماه دما وكان مجاب الدعوة يدعو فينزل الغيث. وكان كرم أنس يحمل في كل سنة مرتين. وعن ثابت أن أبا هريرة قال ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن أم سليم يعين أنس بن مالك. وعن معتمر بن سليمان قال سمعت أنس بن مالك يقول ما بقي أحد صلى القبلتين كليهما غيري. وعنه قال كان أنس بن مالك إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته فدعا لهم. وعن ثمامة بن عبد الله بن أنس قال كان لأنس ثوبان على المشجب كل يوم فإذا صلى المغرب لبسهما فلم نقدر عليه ما بين المغرب والعشاء قائما يصلي.

عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي. الأمير، متولي سجستان، بعثه الحجاج على سجستان، فثار هناك، وأقبل في جمع كبير، وقام معه علماء وصلحاء لله تعالى لما انتهك الحجاج من إماتة وقت الصلاة، وجوره وجبروته. فقاتله الحجاج، وجرى بينهما عدة مصافات، وينتصر ابن الأشعث. ودام الحرب أشهرا، وقتل خلق من الفريقين، وفي آخر الأمر انهزم جمع ابن الأشعث، وفر هو إلى الملك رتبيل (ملك سجستان) ملتجئا إليه. فقال له علقمة بن عمرو: أخاف عليك، وكأني بكتاب الحجاج قد جاء إلى رتبيل يرغبه ويرهبه، فإذا هو قد بعث بك أو قتلك، ولكن ها هنا خمس مائة مقاتل قد تبايعنا على أن ندخل مدينة نتحصن بها، ونقاتل حتى نعطى أمانا، أو نموت كراما. فأبى عليه، وأقام الخمس مائة حتى قدم عمارة بن تميم، فقاتلوه، حتى أمنهم، ووفى لهم. ثم تتابعت كتب الحجاج إلى رتبيل يطلب ابن الأشعث، فبعث به إليه على أن ترك له الحمل سبعة أعوام. وقيل: إن ابن الأشعث أصابه السل، فمات، فقطع رأسه، ونفذ إلى الحجاج. وقيل: إن الحجاج كتب إلى رتبيل: إني قد بعثت إليك عمارة في ثلاثين ألفا يطلبون ابن الأشعث. فأبى أن يسلمه، وكان مع ابن الأشعث عبيد بن أبي سبيع، فأرسله إلى رتبيل، فخف عن رتبيل، واختص به. قال لابن الأشعث أخوه القاسم: لا آمن غدر رتبيل، فاقتله -يعني: عبيدا- فهم به. ففهم ذلك، وخاف، فوشي به إلى رتبيل، وخوفه من غائلة الحجاج، وهرب سرا إلى عمارة، فاستعجل في ابن الأشعث ألف ألف درهم. فكتب بذلك عمارة إلى الحجاج، فكتب: أن أعط عبيدة ورتبيل ما طلبا. فاشترط أمورا، فأعطيها، وأرسل إلى ابن الأشعث وإلى ثلاثين من أهل بيته، وقد هيأ لهم القيود والأغلال، فقيدهم، وبعث بهم إلى عمارة، وسار بهم. فلما قرب ابن الأشعث من العراق، ألقى نفسه من قصر خراب أنزلوه فوقه، فهلك. فقيل: ألقى نفسه والحر معه الذي هو مقيد معه، والقيد في رجلي الاثنين، فهلكا، وذلك في سنة 84 هـ. وكان الملك رتبيل قد غزاه المسلمون مرارا ، فغزا ابن الأشعث رتبيل وفتح الكثير من أراضيه، لكنه أوقف القتال ولم يُكمل الفتوحات بعد ذلك، إنّما حرَّض جيشه على الحجاج.

مراجع: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ صفة الصفوة/ الوافي بالوفيات/ سير أعلام النبلاء

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس وسادس ملوك الدولة الأموية) وسعيد بن جبير [027]

كان الحجاج بن يوسف، فاسق بني ثقيف، واليا لعبد الملك يأخذ بالشبهات ويتحرى المناوئين في جميع البلاد الإسلامية لحكم أميره وسيده. فيصب المحن عليهم دون هوادة ولا خوف من الله المقتدر الجبار، وكان خالد بن عبد الله القسري[1] واليا على مكة المكرمة وقد علم بوجود ابن جبير[2] في ولايته فألقى القبض عليه واعتقله ثم أراد أن يتخلص منه فأرسله مخفورا مع إسماعيل بن واسط البجلي[3] إلى الحجاج بن يوسف.

روت كتب التاريخ أن الإمام سعيد بن جبير رحمه الله أدخل على الحجاج فقال له الحجاج : ما اسمك؟ قال سعيد: سعيد بن جبير. فقال الحجاج: بل أنت شقي بن كسير. قال سعيد: بل أمي كانت أعلم باسمي منك. قال الحجاج: شقيتَ أنت، وشقيتْ أمك. قال سعيد: الغيب يعلمه غيرك. قال الحجاج: لأبدلنَّك بالدنيا نارًا تلظى. قال سعيد: لو علمتُ أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهًا. قال الحجاج: فما قولك في محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال سعيد: نبي الرحمة، وإمام الهدى. قال الحجاج: فما قولك في علي بن أبي طالب، أهو في الجنة أم في النار ؟ قال سعيد: لو دخلتها؛ فرأيت أهلها لعرفت. قال الحجاج: فما قولك في الخلفاء؟ قال سعيد: لست عليهم بوكيل. قال الحجاج: فأيهم أحب إليك ؟ قال سعيد: أرضاهم لخالقي. قال الحجاج: فأيهم أرضى للخالق ؟. قال سعيد: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم. قال الحجاج: أبيتَ أن تصدقني! قال سعيد: إني لم أحب أن أكذبك. قال الحجاج: فما بالك لم تضحك ؟. قال سعيد: وكيف يضحك مخلوق خلق من طين والطين تأكله النار !! قال الحجاج: فما بالنا نضحك ؟ قال سعيد:لم تستوي القلوب.. قال الحجاج: ويلك يا سعيد !. قال سعيد: لا ويل لمن زحزح عن النار وأدخل الجنة. قال الحجاج: اختر يا سعيد أي قتلة أقتلك؟ قال سعيد: بل أختر لنفسك، فوالله لا تقتلني بقتلة إلا قتلك الله بمثلها في الآخرة. قال الحجاج: أتريد أن أعفو عنك؟ قال سعيد: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عُذر. قال الحجاج: اذهبوا به فاقتلوه. فلما خرجوا ليقتلوه، بكي ابنه لما رآه في هذا الموقف، فنظر إليه سعيد وقال له: ما يبكيك؟ ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة؟ وبكي أيضًا صديق له، فقال له سعيد: ما يبكيك؟ فقال الرجل: لما أصابك. قال: فلا تبك، كان في علم الله أن يكون هذا، ثم تلا:﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد] ثم ضحك سعيد، فتعجب الناس وأخبروا الحجاج، فأمر برده. قال الحجاج: ما أضحكك؟ قال سعيد: عجبت من جرأتك على الله وحلمه عنك. وفي رواية: قال: أضحك من غيراتك علي وحلم الله عنك. فأمر بالنطع فبسط ثم قال الحجاج: اقتلوه. قال سعيد: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام] فقال الحجاج: وجهوه لغير القبلة. قال سعيد: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة] قال الحجاج: كبوه على وجهه.قال سعيد: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه] فقال الحجاج: اذبحوه. قال سعيد: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، أستحفظك بها حتى ألقاك يوم القيامة فأنا خصمك عند الله، خذها مني يا حجاج حتى تلقاني بها يوم القيامة، ثم دعا سعيد ربه فقال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي. ثم ذبح الإمام ولسانه رطب بذكر الله. وبهذا انتهت محنة سعيد بن جبير، رحمه الله وتقبله في الشهداء والصالحين. بعد مقتل ابن جبير اغتم الحجاج غما كبيرا وكان يقول: ما لي ولسعيد بن جبير كلما أردت النوم أخذ برجلي. ولم يلبث الطاغية بعده إلا قليلا حتى هلك، وبر الله قسم الإمام الشهيد.

عن داود بن أبي هند، قال: لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير، قال: ما أراني إلا مقتولا، وسأخبركم: إني كنت أنا وصاحبان لي دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء، ثم سألنا الله الشهادة، فكلا صاحبي رزقها، وأنا أنتظرها. قال: فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء.قلت: ولما علم من فضل الشهادة، ثبت للقتل، ولم يكترث، ولا عامل عدوه بالتقية المباحة له، في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل] وقد كان الحجاج إذا أتى بالرجل -يعني: ممن قام عليه- قال له: أكفرت بخروجك علي، فإن قال: نعم، خلى سبيله.عن عبد الواحد بن أيمن، قال قلت لسعيد بن جبير ما تقول للحجاج؟ قال:لا أشهد على نفسي بالكفر. رحمه الله وتقبله في الشهداء والصالحين.

قال ابن الأثير الجزري: لما ولي خالد بن عبد الله القسري مكة، قيل لسعيد: إنه رجل سوء، فلو سرت عن مكة. قال: والله لقد فررت حتى استحييت من الله، وسيجيئني ما كتب الله لي. فلما قدم خالد مكة كتب إليه الوليد بحمل أهل العراق إلى الحجاج، فأخذ سعيد بن جبير ومجاهدا وطلق بن حبيب، فأرسلهم إليه، فمات طلق[4] بالطريق، وحبس مجاهد حتى مات الحجاج. وكان سيرهم مع حرسين، فانطلق أحدهما لحاجة وبقي الآخر، فقال لسعيد، وقد استيقظ من نومه ليلا: يا سعيد، إني أبرأ إلى الله من دمك، إني رأيت في منامي، فقيل لي: ويلك! تبرأ من دم سعيد بن جبير! فاذهب حيث شئت فإني لا أطلبك. فأبى سعيد، فرأى ذلك الحرس مثل تلك الرؤيا ثلاثا، ويأذن لسعيد في الذهاب وهو لا يفعل. وكان الأعمش يقول: لما جيء بسعيد بن جبير، وطلق بن حبيب، وأصحابهما دخلت عليهم السجن، فقلت: جاء بكم شرطي أو جليويز من مكة إلى القتل، أفلا كتفتموه وألقيتموه في البرية؟! فقال سعيد: فمن كان يسقيه الماء إذا عطش.

---

(2) سعيد بن جبير الأسدي الوالبي مولاهم أبو محمد، ويقال أبو عبد الله، الكوفي المكي، كان من أئمة الإسلام في التفسير والفقه وأنواع العلوم، وكثرة العمل الصالح، وقد رأى خلقا من الصحابة، وروى عن جماعة منهم، وروى عنه خلق من التابعين، قيل: كان مقتله في سنة 95 هـ، وذكر ابن جرير مقتله في هذه السنة –94 هـ– فالله أعلم. يوجد مرقد سعيد بن جبير بواسط في العراق.قال سفيان الثوري عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال: لقد مات سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه.روي عنه أنه ختم القرآن مرتين ونصفا في الصلاة في ليلة في الكعبة. وقد ذكر أبو نعيم كلاما كثيرا في مقتل سعيد بن جبير، أحسنه هذا والله أعلم. وقد ذكرنا صفة مقتله إياه، وقد رويت آثار غريبة في صفة مقتله، أكثرها لا يصح، وقد عوقب الحجاج بعده وعوجل بالعقوبة، فلم يلبث بعده إلا قليلا ثم أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، فقيل إنه مكث بعده 15 يوما، وقيل 40 يوما، وقيل 6 أشهر والله أعلم. واختلفوا في عمر سعيد بن جبير رحمه الله حين قتل، فقيل 49 سنة، وقيل 57 فالله أعلم. من كلام سعيد بن جبير: إن أفضل الخشية أن تخشى الله خشية تحول بينك وبين معصيته، وتحملك على طاعته، فتلك هي الخشية النافعة. والذكر طاعة الله، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر له، وإن كثر منه التسبيح وتلاوة القرآن. قيل له: من أعبد الناس؟ قال: رجل اقترف من الذنوب، فكلما ذكر ذنبه احتقر عمله.

(4) طلق بن حبيب العنزي، تابعي جليل، بصري صدوق عابد رمي بالإرجاء، من الثالثة، مات قبل 100 هـ.(اختُلف في مكان وسبب وفاته) روى عن أنس وجابر وابن الزبير وابن عباس، وعبد الله بن عمر وغيرهم، وعنه حميد الطويل والأعمش وطاووس.

(3) إسماعيل بن أوسط البجلي أمير الكوفة. يرسل عن الصحابة، ولا يصح له صحبة لصحابي وتلك كلها أخبار مدلسة لا أعتمد على شيء منها. وهو الذي قدم سعيد بن جبير للقتل. وثقه ابن معين. روى عنه المسعودي. توفي سنة 117 هـ.

(1) أبو يزيد وأبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري. كان أمير مكة المكرمة للوليد بن عبد الملك، ثم أمير العراقين هشام بن عبد الملك، ثم عزل وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي ابن عم الحجاج.وقتل بالخيرة سنة 126هـ.

أيها الإخوة المؤمنين، وهكذا دأب الطغاة المتجبرين في كل زمان ومكان، وإن قصصهم لعبرة، قال الحسن البصري لم جاءه خبر الإمام: اللهم ايت على فاسق ثقيف، والله لو أن من بين المشرق والمغرب اشتركوا في قتله لكبهم الله على وجوههم في النار. فاللهم ايت على كفار وفساق وطغاة بلاد المسلمين فأنت أعلم بما ساموا به عبادك الصالحين.عن أبي موسى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ﴾ ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ، إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود] (ليملي) ليمهل (لم يفلته) لم يخلصه ولم يتركه حتى يستوفي عقابه (وكذلك) أي كما ذكر من إهلاك الأمم وأخذهم بالعذاب (أخذ ربك) إهلاكه وعذابه (أخذ القرى) أخذ أهلها.وعن خالد الحذاء، قال: سمعت أبا عثمان النهدي، يحدث، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿تُرْفَعُ لِلرَّجُلِ صَحِيفَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَرَى أَنَّهُ نَاجٍ، فَمَا تَزَالُ مَظَالِمُ بَنِي آدَمَ تَتْبَعُهُ حَتَّى مَا تَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ، وَيُزَادُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه سلم قال:﴿أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ﴾ معناه أن هذا حقيقة المفلس أما من ليس له مال ومن قل ماله فالناس يسمونه مفلسا وليس هو حقيقة المفلس لأن هذا الأمر يزول وينقطع بموته وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته وإنما حقيقة المفلس الهالك الهلاك التام والمعدوم الإعدام المقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقي في النار فيمت إفلاسه.

قال وهب: قرأت في التوراة: أيها دار بنيت بقوة الضعفاء جعلت عاقبتها إلى الخراب، وأيها مال جمع من غير حله أسرع الفقر إلى أهله. وعن كعب الأحبار أنه قال: من لا يبالي من أي الأبواب أتاه رزقه لم يبال الله من أي أبواب جهنم يدخله -يعني من حلال أو حرام. وقال ابن مسعود: لما كشف الله تعالى العذاب عن قوم يونس عليه السلام ترادوا المظالم، حتى كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه ويرده إلى صاحبه. وقال أبو ثور بن يزيد: الحجر في البنيان من غير حله عريون على خرابه. وقال غيره: لو أن الجنة وهي دار البقاء أسست على حجر من الظلم لأوشكت أن تخرب.

قال يونس النحوي: أنا أذكر عرس العراق، فقيل له: وما عرس العراق؟ قال: موت الحجاج سنة خمس وتسعين.وعن ابن طاووس عن أبيه: أنه أخبر بموت الحجاج مرارا فلما تحقق وفاته قال:﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام] وروى غير واحد أن الحسن لما بشر بموت الحجاج سجد شكرا لله تعالى، وكان مختفيا فظهر، وقال اللهم أمته فأذهب عنا سنته. وعن ابن شوذب، قال: لما مات الحجاج وولي سليمان فأقطع الناس الموات* فجعل الناس يأخذون فقال ابن الحسن لأبيه: لو أخذنا كما يأخذ الناس فقال: اسكت ما يسرني لو أن لي ما بين الجسرين بزنبيل تراب. وقال يزيد الرقاشي: إني لأرجو للحجاج، فقال الحسن: إني لأرجو أن يخلف الله رجاءك. وقيل لإبراهيم النخعي ما ترى في لعن الحجاج؟ فقال ألم تسمع إلى قول الله تعالى:﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود]وأشهد أن الحجاج كان منهم. قال حماد بن أبي سليمان: لما أخبرت إبراهيم النخعي بموت الحجاج، بكى من الفرح. وسئل القاضي شريح عن الحجاج: اكان مؤمنا قال: نعم، بالطاغوت، كافرا بالله تعالى. وعن جعونة قال: استعمل عمر عاملا، فبلغه أنه عمل للحجاج فعزله، فأتاه يعتذر إليه، فقال: لم أعمل له إلا قليلا، فقال: حسبك من صحبة شر يوم أو بعض يوم. وعن ابن عباس رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشِرِّ النَّاسِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: مَنْ أَبْغَضَ النَّاسَ وَأَبْغَضَهُ النَّاسُ ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: الَّذِي لَا يُقِيلُ عَثْرَةً وَلَا يَقْبَلُ مَعْذِرَةً وَلَا يَغْفِرُ ذَنْبًا ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: مَنْ لَا يُؤْمَنُ شَرُّه وَلَا يُرْجَى خَيْرُهُ﴾ وعن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي، عن أبيه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول في خطبته:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوشِكُونَ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ – أَوْ قَالَ: خِيَارَكُمْ مِنْ شِرَارِكُمْ – فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ: بِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ، أَنْتُمْ شُهُودُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مَهَابَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ، أَلَا إِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ﴾ وعن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ﴾ (لا يرحم) من قبل الخالق جل وعلا.* الموات الأرض التي لا مالك لها من الآدميين ولا ينتفع بها أحد.

مراجع: صحيح البخاري/ كنز العمال/ صحيح مسلم/ سير أعلام النبلاء/ تذكرة الحفاظ/ البداية والنهاية/ الكامل في التاريخ/ صفة الصفوة/ لسان العرب/ وفيات الأعيان

- أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس وسادس ملوك الدولة الأموية) وأسماء بنت أبي بكر الصديق [028]

عن عوف الأعرابي، عن أبي الصديق الناجي: أن الحجاج بن يوسف دخل عل أسماء[1] بنت أبي بكر الصديق، بعد ما قتل ابنها عبد الله بن الزبير[2] فقال: إن ابنك ألحد في هذا البيت، وإن الله أذاقه من عذاب أليم، وفعل به وفعل، فقالت له كذبت، كان بارا بالوالدين، صواما قواما، والله لقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابَانِ، الْآخِرُ مِنْهُمَا شَرٌّ مِنَ الْأَوَّلِ، وَهُوَ مُبِيرٌ﴾ أخبر الأسود بن شيبان، عن أبي نوفل، رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة، قال: فجعلت قريش تمر عليه، والناس حتى مر عليه عبد الله بن عمر[3]، فوقف عليه فقال: السلام عليك، أبا خبيب السلام عليك أبا خبيب السلام عليك أبا خبيب أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله إن كنت، ما علمت، صواما، قواما، وصولا للرحم، أما والله لأمة أنت أشرها لأمة خير، ثم نفذ عبد الله بن عمر، فبلغ الحجاج موقف عبد الله وقوله، فأرسل إليه، فأنزل عن جذعه، فألقي في قبور اليهود، ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبي بكر، فأبت أن تأتيه، فأعاد عليها الرسول: لتأتينني أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونك*، قال: فأبت وقالت: والله لا آتيك حتى تبعث إلي من يسحبني بقروني، قال: فقال: أروني سبتي* فأخذ نعليه، ثم انطلق يتوذف*، حتى دخل عليها، فقال: كيف رأيتني صنعت بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك، بلغني أنك تقول له: يا ابن ذات النطاقين أنا، والله ذات النطاقين، أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطعام أبي بكر من الدواب، وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه، أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا،﴿أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا﴾ فأما الكذاب* فرأيناه، وأما المبير* فلا إخالك إلا إياه، قال: فقام عنها ولم يراجعها.

حدث منصور بن عبد الرحمن، عن أمه قالت: قيل لابن عمر: إن أسماء في ناحية المسجد، وذلك حين قتل ابن الزبير وهو مصلوب، فمال إليها، فقال: إن هذه الجثث ليست بشيء، وإنما الأرواح عند الله، فاتقي الله، وعليك بالصبر، فقالت: وما يمنعني وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل. وقال ابن أبي مليكة: دخلت على أسماء، فقالت: بلغني أن هذا صلب ابن الزبير، اللهم لا تمتني حتى أوتى به فأحنطه وأكفنه، فأتيت به بعد ذلك قبل موتها، فجعلت تحنطه بيدها وتكفنه بعد ما ذهب بصرها. قال ابن سعد: ماتت أسماء بعد وفاة ابنها بليال.

عن وجعفر بن أبي كثير، عن أبيه، قال: لما وضع رأس مصعب بن الزبير[4] بين يدي عبد الملك بن مروان، قال: لقد أردى الفوارس يوم عبس غلاما غير مناع المتاع ... ولا فرح بخير إن أتاه ولا هلع من الحدثان لاع ... ولا وقافة والخيل تعدو ولا خال كأنبوب اليراع. فقال الذي جاءه برأسه: والله يا أمير المؤمنين، لو رأيته والرمح في يده تارة، والسيف تارة، يضرب بهذا، ويطعن بهذا، لرأيت رجلا يملأ القلب والعين شجاعة وإقداما، ولكنه لما تفرقت رجاله، وكثر من قصده، وبقي وحده، ما زال ينشد: وإني على المكروه عند حضوره أكذب نفسي والجفون له تغضي ... وما ذاك من ذل ولكن حفيظة أذب بها عند المكارم عن عرضي ... وإني لأهل الشر بالشر مرصد وإني لذي سلم أذل من الأرض. فقال عبد الملك: كان والله كما وصف نفسه وصدق، ولقد كان من أحب الناس إلي، وأشدهم لي إلفا ومودة، ولكن الملك عقيم.

* (القرن) الضفيرة .(سبتي) السبت هي النعل التي لا شعر عليها . (يتوذف) يسرع أو يتبختر . (الكذاب) هو المختار بن أبي عبيد الثقفي كان شديد الكذب. (المبير) أي المهلك أو المبيد وهو الحجاج.

- (1) أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة، الملقبةبذات النطاقين صحابية جليلة، أخت السيدة عائشة، رضى الله عنها لأبيها، وزوج الصحابي الجليل الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأم عبد الله بن الزبير الذى قتله الحجاج بن يوسف. ولدت أسماء بمكة قبل الهجرة سنة 27 ق.هـ وأسلمت بعد سبعة عشر مسلما، وقد شاركت، رضى الله عنها، فى أحداث الهجرة، فكانت تحمل الزاد والماء والأخبار إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأبيها الصديق رضى الله عنه، أثناء وجودهما فى غار ثور ولقبت خلالها بذات النطاقين؛ لأنها اضطرت إلى شق نطاقها نصفين لتضع فى أحدهما الطعام وتستر بالآخر رأسها. وكانت رضى الله عنها مثالا فى الجود والكرم، كثيرة البذل والعطاء، وكانت تقول لبناتها: أنفقن وتصدقن ولا تنتظرن الفضل، فإنكن إن انتظرتن الفضل لم تفضلن شيئا. روت أسماء الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم؛ حيث روى عنها علماء الحديث ثمانية وخمسين حديثا. وتوفيت رضى الله عنها بمكة فى جمادى الأولى سنة 73 هـ بعد مقتل ابنها عبد الله بن الزبير بثلاثة أشهر.
- (3) عبد الله بن عمر بن الخطاب، القرشي العدوي؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه وهو صغير، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه، مات بمكة سنة 73 هـ
- (4) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى القرشى، أبو عبد الله، أحد الولاة الأبطال فى صدر الإسلام، ولاه أخوه الخليفة عبد الله بن الزبير .إمرة العراقين ثم أرمينية أضاف إليه الكوفة، قتل فى معركة دير الجثاليق سنة 71 هـ وله 39 سنة ونقلت رأسه إلى عبد الملك وبمقتله نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام.
- (2) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، له صحبة ورواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبيه وأبي بكر وعمر وعثمان. وهو بن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه.بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبيربعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال: قدمت قتيلة بنت عبد العزى على بنتها أسماء بنت أبي بكر، وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية، بهدايا؛ زبيب وسمن وقرظ، فأبت أن تقبل هديتها، وأرسلت إلى عائشة: سلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: لتدخلها وتقبل هديتها. ونزلت:﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة] عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: ﴿أَنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابَانِ، الْآخِرُ مِنْهُمَا شَرٌّ مِنَ الْأَوَّلِ، وَهُوَ مُبِيرٌ﴾.

- الكذاب الأول : المختار بن أبي عبيد الثقفي (حاكم الكوفة) كان متلونا كذابا يدعو مرة إلى محمد بن الحنفية، ومرة لابن الزبير، حتى ادعى آخرا أن جبريل يأتيه بالوحي من السماء، فلما تحقق ابن الزبير سوء حاله، بعث أخاه المصعب لحربه، فقدم المصعب البصرة وتأهب منها، واجتمع إليه جيش الكوفة، فسار بهم جميعا وعلى مقدمته عباد بن الحصين، وعلى ميمنته المهلب بن أبي صفرة، وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، فجهز المختار لحربهم أحمر بن شميط، وكيسان فهزمهم مصعب، وقتل أحمر، وكيسان، وقتل من جيش مصعب محمد بن الأشعث الكندي ابن أخت أبي بكر الصديق، وعبيد الله بن علي بن أبي طالب، وقتل من جند المختار عمر الأكبر بن علي بن أبي طالب، ثم سار جيش مصعب فدخلوا الكوفة، وحصروا المختار بقصر الإمارة أياما إلى أن قتله الله في الرابع عشر من رمضان سنة 67 هـ وصفت العراق لمصعب.

قال رفاعة القباني: دخلت على المختار فألقى لي وسادة وقال: لولا أن أخي جبريل قام عن هذه لألقيتها لك، قال: فأردت أن أضرب عنقه قال فذكرت حديثا حدثنيه أخي عمر بن الحمق، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَمَّنَ مُؤْمِنًا عَلَى دَمِهِ فَقَتَلَهُ فَأَنَا مِنَ الْقَاتِلِ بَرِيءٌ﴾ وقال رفاعة بن شداد: كنت أقوم على رأس المختار فلما عرفت كذبه هممت أن أسل سيفي فأضرب عنقه، فذكرت حديثا حدثناه عمر بن الحمق. قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ أَمَّنَ رَجُلًا عَلَى نَفْسِهِ فَقَتَلَهُ أُعْطِيَ لِوَاءَ غَدْرٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ –وفي لفظ–: مَنْ أَمَّنَ رَجُلًا عَلَى دم فقتله فأنا بري مِنَ الْقَاتِلِ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا﴾ وفي السند اختلاف. وقد قيل لابن عمر: إن المختار يزعم أن الوحي يأتيه، فقال صدق، قال الله تعالى:﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ [الأنعام] روى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: قدمت على المختار فأكرمني وأنزلني عنده، وكان يتعاهد ميتيي بالليل، قال فقال لي: اخرج فحدث الناس، قال: فخرجت فجاء رجل فقال: ما تقول في الوحي؟ فقلت الوحي وحيان، قال الله تعالى: ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف] وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام] قال فهموا أن يأخذوني فقلت: ما لكم وذاك! إني مفتيكم وضيفكم. فتركوني، وإنما أراد عكرمة أن يعرض بالمختار وكذبه في ادعائه أن الوحي ينزل عليه. وروى الطبراني من طريق أنيسة بنت زيد بن الأرقم أن أباها دخل على المختار بن أبي عبيد فقال له: يا أبا عمر لو شفت رأى جبريل وميكائيل، فقال له زيد: خسرت وتعست، أنت أهون على الله من ذلك، كذاب مفتر على الله ورسوله، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يَكُونُ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ﴾ فكان الكذاب هذا، ادعى أن الوحي يأتيه، وأنه يعلم الغيب، وكان المبير الحجاج قبحها الله.

- الكذاب الثاني (المبير): الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد، سمع ابن عباس وروى عن أنس وسمرة بن جندب، وعبد الملك بن مروان، وأبي بردة بن أبي موسى وروى عنه أنس بن مالك وثابت البناني، وحميد الطويل، ومالك بن دينار، وقتيبة بن مسلم . كان الحجاج وأبوه يعلمان الغلمان بالطائف ثم قدم دمشق، فكان عند روح بن زنباع وزير عبد الملك فشكا عبد الملك إلى روح أن الجيش لا ينزلون لنزله، ولا يرحلون لرحيله، فقال روح: عندي رجل توليه ذلك فولى عبد الملك الحجاج أمر الجيش، فكان لا يتأخر أحد في النزول والرحيل، حتى اجتاز إلى فسطاط روح بن زنباع وهم يأكلون، فضربهم وطوف بهم، وأحرق الفسطاط، فشكا روح ذلك إلى عبد الملك فقال للحجاج: لم صنعت هذا فقال: لم افعله إنما فعلته أنت، فإن يدي يدك وسوطي سوطك، وما ضرك إذا أعطيت روحا فسطاطين بدل فسطاطه وبدل الغلام غلامين، ولا تكسرني في الذي وليتني؟ ففعل ذلك وتقدم الحجاج عنده. توفي الحجاج في العشر الأخير من رمضان سنة 95 هـ يقول الذهبي فيه: كان ظلوما، جبارا خبيثا سفاكا للدماء وكان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء، وفصاحة وبلاغة، وتعظيم للقرآن إلى أن قال:فلا نسبهُ ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عري الإيمان وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله وله توحيد في الجملة، ونظراء من ظلمة الجبابرة والأمراء.

وقال ابن كثير فيه: وكانت فيه شهامة عظيمة وفي سيفه رهق، وكان يغضب غضب الملوك، وكان ـ فيما يزعم ـ يتشبه بزياد بن أبيه، وكان زياد يتشبه بعمر بن الخطاب فيما يزعم أيضا ولا سواء ولا قريب، وقال: وبالجملة فقد كان الحجاج نقمة على أهل العراق بما سلف من الذنوب والخروج على الأئمة وخذلانهم لهم وعصيانهم ومخالفتهم، والافتيات عليهم، وقال: وكان جبارا عنيدا مقداما على سفك الدماء بأدنى شبهة...وقيل فيه كلام كثير.

مراجع: شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ صحيح مسلم/ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار/ موسوعة الأعلام

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس وسادس ملوك الدولة الأموية) وحطيط الزيات الكوفي [029]

روي أن الحجاج الظالم أمر بإحضار حطيطاً الزيات[1] إليه، فلم دخل عليه، قال له أنت حطيط؟ فقال: نعم. ثم قال: سل عما بدا لك، فإني عاهدت الله عند مقام إبراهيم عليه السلام على ثلاثة خصال: إن سئلت لأصدقن، وإن ابتليت لأصبرن، وإن عوفيت لأشكرن. فقال الحجاج: فما تقول في؟ قال حطيط: أقول فيك أنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة. قال الحجاج: فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟ قال حطيط: أقول إنه أعظم جرماً منك، وإنما أنت خطيئة من خطياه. فأمر الحجاج أن يضعوا عليه العذاب، فانتهى به العذاب إلى أن شقق له القصب، ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال، ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه، فما سمعوه يقول شيئاً. فقيل للحجاج إنه في آخر رمق. فقال الحجاج: أخرجوه فارموا به في السوق. قال جعفر[2] (راوي القصة)، فأتيته أنا وصاحب له، فقلنا له: يا حطيط ألك لحاجة ؟ قال: شربة ماء. فأتوه بشربة ثم استشهد رحمه الله، -وفي رواية-: عرض عليه الماء عند الموت فأبى وقال لا أشرب إلا من ماء الحياة إن شاء الله عز وجل . عن جعفر بن أبي المغيرة قال: كان حطيط صواما قواما يختم في كل يوم وليلة ختمه ويخرج من البصرة ماشيا حافيا إلى مكة في كل سنة.

في رواية قال إسحاق بن إسماعيل حدثنا إبراهيم بن عيينة عن طعمة الجعفري عن عمر بن قيس قال: لما أتى الحجاج بحطيط الزيات قال له أحروري[3] أنت؟ قال: ما أنا بحروري ولكني عاهدت الله أن أجاهدك بيدي وبلساني وبقلبي. فأما يدي فقد فتها. وأما لساني فهذا تسمع ما يقول. وأما قلبي فالله أعلم بما فيه. قال فوثب حوشب[4] صاحب شرطه فساره بشيء. قال: يقول له حطيط: لا تسمع منه فإنه غاش لك. قال: فقال له الحجاج: ما تقول في أبي بكر وعمر رحمهما الله؟ فقال: أقول فيهما خيرا. قال: ما تقول في عثمان رحمه الله؟ قال: ما ولدت إذ ذاك. فقال له الحجاج: يا ابن اللخناء ولدت في زمن أبي بكر وعمر ولم تولد في زمن عثمان؟! فقال له حطيط: يا ابن اللخناء لا تعجل إني وجدت الناس اجتمعوا على أبي بكر وعمر فقلت بقولهم واختلفوا في عثمان فوسعني السكوت. فوثب معد[5] صاحب عذاب الحجاج فقال: إن رأى الأمير أن يدفعه إلي فوالله لأسمعنك صياحه! قال: خذه إليك. قال فحمله فمكث يعذبه ليلته جعاء ولا يكلمه حطيط فلما كان عند الصبح دعا بدهق* واعتمد على ساقه فكسرها واكتبى عليها. قال فقال له حطيط: يا أفسد الناس وألأمهم تكتبي على ساقي بعد أن كسرتها والله لا كلمتك! فلما أصبح دخل على الحجاج فقال له الحجاج: ما فعل أسيرك؟ قال: إن رأى الأمير أن يأخذه فقد أفسد علي أهل سجني يستحيون أن لا يصبروا! قال: علي به. فأتي به فوضع بين يديه. قال وإلى جنب الحجاج شيخ من مشيخة أهل الشام. قال فقال حطيط للحجاج: كيف رأيت؟ قال إسحاق يعني قول معد له والله لأسمعنك صياحه. قال فقال له الحجاج: أتقرأ من القرآن شيئا؟ قال: نعم. قال: فاقرأ. قال له حطيط: لا بل اقرأ أنت. قال فقال له الحجاج: اقرأ. قال حطيط: لا بل اقرأ أنت. كل ذلك يرد عليه. قال فقرأ الحجاج: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ حتى بلغ إلى قوله ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان] قال فقال له حطيط: قف! قال فوقف الحجاج. فقال له حطيط: هو ذا أنت تعذبهم. قال فقال: علي بالعذاب. قال فأتي بمسال أو سلاء فأمر بها فغرزت في أنامله! فقال الشيخ الذي إلى جنب الحجاج: تالله ما رأيت كاليوم رجلا أصبر منه! قال فقال له حطيط: إن الله يفرغ الصبر على المؤمنين إفراغا. قال فقال الحجاج: لمعد ويحك أرحني منه. قال فحمله من بين يديه. قال بعض أعوان الحجاج: فرحته فدنوت منه فقلت هل لك من حاجة؟ قال لا إلا أن لساني قد يبس فما أستطيع أن أذكر الله!

في رواية حدث أبو بكر بن عياش[6] عن أبيه: أن الحجاج قال أله حميم؟ قالوا أم وأخ. قال فوضع على أمه الدهق فقال حطيط: يا أمه اصبري. فقتلها. وحدث أبو بكر بن عياش عن أبيه عن أبي ثابت مولى المغيرة بن عبد الله الثقفي[7] قال: أتي بالحجاج بحطيط عند المغرب فضرب بطنه مئة وظهره مئة ثم أدرجه في عباءة وألقاه في الدار، فقلت: أعطشان أنت يا حطيط؟ فقال: إي والله لعطشان. قلت: أسقيك ماء؟ قال: لا أخاف أن يراك أحد فتلقى في سبيي!.

حدث يعقوب القمي عن جعفر يعني ابن أبي المغيرة قال: خرج سعيد بن مسجوح[8] وحطيط الزيات إلى مكة فلما انتهيا إلى ذات عرق* قال سعيد بن مسجوح لحطيط: يا حطيط إني أظن هؤلاء قد وضعوا لنا المراصد فهل لك أن نميل إلى البصرة؟ فقال له حطيط: أما أنا فأمضي. فمضى سعيد إلى البصرة ورجع حطيط فأخذته المراصد فقال: هيه؟ قال: عاهدت ربي على ثلاث عند الكعبة لئن سئلت لأصدقن ولئن ابتليت لأصبرن ولئن عوفيت لأشكرن. قال: حدثني عني. قال: أحدثك أنك من أعداء الله في الأرض تجهز البعوث وتقتل النفوس على الظنة فذكر مساوئه. قال: حدثني عن الخليفة. قال: أحدثك أنه أعظم جرما منك وإنما أنت شررة منه ثم ذكر من مساوئه ما شاء أن يذكر. قال: قطعوا عليه العذاب. فقطعوا عليه العذاب حتى كان في آخر ذلك، قال: شققوا له القصب. فجعلو يلزمونها ظهره ثم يمترخون لحمه حتى تركوه بآخر رمق. فقالوا للحجاج: إن هذا بآخر رمق. قال: اطرحوه. فطرحوه في الرحبة. قال جعفر: فانتهيت إليه فإذا ناس أظنهم كانوا إخوانا له أو معرفة فقال له بعضهم: يا حطيط ألك حاجة أو تشتهي شيئا؟ قال: شربة. فأتي بشربة لا أدري أسويق حب الرمان كانت أم ماء فشربها ثم طفئ.

*(الدهق) الدهق شدة الضغط والدهق أيضا متابعة الشد. والدهق خشبتان يغمز بها الساق. والدهق بالتحريك ضرب من العذاب. (ذات عرق) ميقات من جاء عن طريق أهل العراق، ويبعد. وهو من مواقيت الحج.

---

(1) حطيط الزيات الكوفي، مولى لبني ضبة، وكان زياتا وكان شابا أبيض. وكان عابدا زاهدا يصدع بالحق، أدرك جماعة من التابعين روى عنه جعفر بن أبي المغيرة والكوفيون، قتله الحجاج سنة 84 هـ لتشيعه وليله لابن الأشعث. وكان عمره ثماني عشرة سنة.

(2) جعفر بن أبي المغيرة القمي الخزاعي.خرج ابن حبان البستي حديثه في صحيحه، وكذلك الحاكم، وأبو علي الطوسي. وفي كتاب الصريفيني: قال ابن منده: ليس بقوي في سعيد بن جبير. وذكر ابن حبان في جملة الثقات، وكذلك ابن شاهين، وقال: قال أحمد: هو ثقة، وهو جعفر المصور. وقال أبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصبهان: اسم أبي المغيرة دينار.

(6) أبو بكر بن عياش، ابن سالم الأسدي الكوفي، الإمام، أحد الأعلام، مولى، واصل الأحدب، وكان حناطا بالنون، اختلف في اسمه على عشرة أقوال أصحها قولان كنيته وما رواه أبو هشام الرفاعي وحسين بن عبد الأول أنها سألاه عن اسمه فقال شعبة وقال النسائي وغيره اسمه محمد وقيل مطرف وقيل رؤبة وسالم وعتيق وعطاء وحماد. ولدت سنة 95 هـ وتوفي سنة 193 هـ

(4) حوشب بن يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيباني،(من بنو مرة بن ذهل بن شيبان) كان على شرطة الكوفة، عاملا للحجاج، وقد كان أبوه على شرط مصعب بن الزبير بالكوفة.

(5) معد بن عوف بن هلال بن شأس بن ربيعة بن محلم بن سويط، صاحب عذاب الحجاج

(8) سعيد بن مسجوح، سعيد بن مشجوج، سعيد بن سحوج، أو و ابن مسجوع، وهكذا جاء مختلفًا في المخطوطة ؟؟؟؟

(7) المغيرة بن عبد الله الثقفي، كان واليا على الكوفة من قبل الحجاج.

(3) الحرورية : طائفة من الخوارج نسبوا إلى حروراء

أيها الإخوة المؤمنين، من مثل هذه القصص التي يجب أن نحيي ذكرها نستخلص من العبر ما يتزود به الثابتون على طريق الدعوة، طريق الصالحين المصلحين.أولا، إن ما يعانيه الدعاة إلى الله اليوم في بلادنا وفي كثير من بلاد الإسلام ليس جديد، فقد عان الأنبياء وأتباعهم على مر التاريخ أكثر من ذلك إلى أن جاء نبيونا محمد عليه الصلاة والسلام، وعان هو وأتباعه وأصحابه رضي الله عنهم ما بلغنا من العذاب والنكال حتى أدوا الأمانة، فكان من فضلهم أن بلغنا دين الله بثبات الثابتين من الأئمة والدعاة إلى الله على مر التاريخ الإسلامي، هكذا جيل من العاملين الصابرين يسلمه إلى جيل يتلوه حتى جاء دورنا، نسأل الله الصدق والثبات. الثانية، أن من أهم ما يجب أن يتحل به القدوة الذي يتأسى الناس بثباته ويمضون على طريقه ما ذكر حطيط رحمه الله، الصدق في الشهادة وفي البلاغ، فدين الله أمنة ثم الصبر على البلاء وفي هذا إشارة لطيفة لأن الصدق غالبا ما يورث الابتلاء فلزم أن يعقب بالصبر، كما قال الله تعالى على لسان لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان] قال المفسرون أوصاه بالصبر لأن إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيكون وراءه ابتلاء ومحن فلزم الصبر. والأمر الثالث هو شكر الله في العافية، شكره على ما صرف من البلاء وله الشكر على كل حال. إخوة الإيمان أصدقوا الله واصبروا على البلاء فإن النصر مع الصبر و﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح] والعاقبة للمتقين.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ إحياء علوم الدين/ الثقات لابن حبان/ الصبر والثواب عليه/ أنساب الأشراف/ كتاب معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار/ لسان العرب

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس وسادس ملوك الدولة الأموية) والحسن البصري (١) [030]

لما ولي الحجاج بن يوسف الثقفي العراق وطغى في ولايته وتجبّر، كان الحسن البصري[1] أحد الرجال القلائل الذين تصدوا لطغيانه وجهروا بين الناس بسوء أفعاله وصدعوا بكلمة الحق في وجهه، من ذلك أن الحجاج بنى لنفسه بناء في واسط، فلما فرغ منه نادى في الناس أن يخرجوا للفرجة عليه والدعاء له بالبركة. فلم يشأ الحسن أن يفوّت على نفسه فرصة اجتماع الناس هذه، فخرج اليهم ليعظهم ويذكّرهم ويزهدهم بعرض الدنيا ويرغبهم بما عند الله عز وجل ولما بلغ المكان ونظر إلى جموع الناس وهي تطوف بالقصر المنيف مأخوذة بروعة بنائه مدهوشة بسعة أرجائه مشدودة إلى براعة زخارفه وقف فيهم خطيبا وكان في جملة ما قاله: لقد نظرنا فيما ابتنى أخبث الأخبثين فوجدنا أن فرعون شيد أعظم مما شيّد وبنى أعلى مما بنى ثم أهلك الله فرعون وأتى على ما بنى وشيّد. ليت الحجاج يعلم أن أهل السماء قد مقتوه وأن أهل الأرض قد غرّوه .. ومضى يتدفق على هذا المنوال حتى أشفق عليه أحد السامعين من نقمة الحجاج فقال له: حسبك يا أبا سعيد.. حسبك. فقال له الحسن: لقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران] وفي اليوم التالي دخل الحجاج إلى مجلسه وهو يتميز من الغيظ وقال لجلاسه: تبا لكم وسحقا يقوم عبد من عبيد أهل البصرة ويقول فينا ما يشاء أن يقول ثم لا يجد فيكم من يردّه أو ينكر عليه والله لأسقينّكم من دمه يا معشر الجبناء. ثم أمر بالسيف والنطع فأحضرا ودعا بالجلاد فمثل واقفا بين يديه ثم وجه إلى الحسن البصري بعض شرطة وأمرهم أن يأتوا به. وما هو إلا قليل حتى حضر الحسن فشخصت إليه الأبصار ووجفت عليه القلوب فلما رأى الحسن السيف والنطع والجلاد حرّك شفتيه ثم أقبل على الحجاج وعليه جلال المؤمن وعزة المسلم ووقار الداعية إلى الله. فلما رآه الحجاج على حاله هذا هابه أشد الهيبة وقال له: هاهنا يا أبا سعيد.. هاهنا.. ثم ما زال يوسع له ويقول: هاهنا.. والناس ينظرون إليه في دهشة واستغراب حتى أجلسه على فراشه. ولما أخذ الحسن مجلسه التفت إليه الحجاج وجعل يسأله عن بعض أمور الدين والحسن يجيبه كل مسألة بجنان ثابت وبيان ساحر وعلم واسع. فقال له الحجاج: أنت سيّد العلماء يا أبا سعيد. ثم دعا بغالية وطيّب له بها لحيته وودّعه. ولما خرج الحسن من عنده تبعه حاجب الحجاج وقال له: يا أبا سعيد لقد دعاك الحجاج بغير ما فعل بك واني رأيتك عندما أقبلت ورأيت السيف والنطع فحرّكت شفتيك فماذا قلت؟.فقال الحسن: لقد قلت: يا ولي نعمتي وملاذي عند كربتي اجعل نقمته بردا وسلاما عليّ كما جعلت النار بردا وسلاما على إبراهيم.

قيل: لما توفيت النوار بنت أعين بن ضبيعة المجاشعي[2] زوجة الفرزدق[3]،حضر جنازتها وجوه أهل البصرة، وحضر الحسن، فسايره الفرزدق؛ وقال له: أتدري ما يقول الناس يا أبا سعيد؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون: حضر هذا القبر خير الناس، وشر الناس، قال الحسن: ومن يريدون بذلك؟ قال: يزعمون أنك -رحمك الله- خير الناس، وأني شر الناس، فقال الحسن: لست بخيرهم، ولست بشرهم، ولكن ما أعددت لمثل هذا اليوم؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة، وفي رواية: منذ سبعين سنة، فلما دفنت النوار قال الفرزدق: أخاف وراء القبر إن لم تعافني... أشد من القبر التهابا وأضيقا... إذا قادني يوم القيامة قائد ... عنيف وسواق يسوق الفرزدقا ... لقد خاب من أولاد آدم من مشى... إلى النار مغلول القلادة أزوقا. فبكى الحسن حتى انتحب، وقال: إن من الشعر لحكمة، ثم قال: يرحمك الله أبا فراس! اعمل لمثل اليوم إن كنت ذا نظر صحيح؛ فإنك تقدم على جواد عدل، وكأن قد، ثم افترقا، ومات الفرزدق، فرئي في النوم وهو يقول: رحمت بيومي مع الحسن. قال أبي عمرو بن العلاء:[4] حضرت الفرزدق وهو يجود بنفسه، فما رأيت أحسن ثقة بالله منه، قال: وذلك في أول سنة عشر ومائة، فلم أنشب أن قدم جرير[5] من اليمامة، فاجتمع إليه الناس، فما أنشدهم ولا وجدوه كما عهدوه، فقلت له في ذلك، فقال: أطفأ والله الفرزدق جمرتي، وأسال عبرتي، وقرب منيتي، ثم رد إلى اليمامة، فنعي لنا في رمضان من السنة بعد الفرزدق بشهر. قلت: وكتاب مناقضات جرير والفرزدق مشهور، وفيه كثير من شعرهما.

كان الحسن يقول: أيها الناس! إياكم والتسويف؛ فإني سمعت بعض الصالحين يقول: نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب، ثم لا نتوب حتى نموت. ومثل ذلك قول أبي حازم:[6] انك لتجد الرجل يعمل بالمعاصي فإذا قيل له: أتحب أن تموت؟ قال: يقول: وكيف؟ وعندي ما عندي. فيقال له: أفلا تترك ما تعمل من المعاصي؟ فيقول: ما أريد تركه وما احب أن أموت حتى اتركه.

---

(1) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أوبه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، روي أن أم سلمة أخرجته إلى عمر فدعا له فقال: اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس. وسئل أنس بن مالك عن مسألة فقال: سلوا مولانا الحسن فإنه سمع وسمعنا فحفظ ونسينا. وروى بلال بن أبي بردة قال: سمعت أبي يقول: والله لقد أدركت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما رأيت أحدا أشبه بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من هذا الشيخ -يعني الحسن -. سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن سمرة وأبي بكرة والنعمان بن بشير وجندب بن عبد الله وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وعمرو بن ثعلب وعبد الله بن عمرو ومعقل بن يسار وأبي هريرة والأسود بن سريع وأنس بن مالك وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين كالأحنف بن قيس وحطان الرقاشي وقرأ عليه القرآن وصار كاتبا في إمرة معاوية للربيع بن زياد متولي خراسان ومناقبه كثيرة ومحاسنه غزيرة. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة عشية الخميس مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة.

(3) همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية ابن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم أبو فراس بن أبي خطل التميمي البصري الشاعر، المعروف بالفرزدق، صاحب جرير. وفد على معاوية يطلب ميراث عمه الحتات، ووفد على الوليد بن عبد الملك، وعلى هشام بن عبد الملك. أرسل عن علي، ويروي عن أبي هريرة، والحسين، وابن عمر، وأبي سعيد، وطائفة. وعنه الكميت، ومروان الأصفر، وخالد الحذاء، وأشعث الحمراني، والصعق بن ثابت، وابنه لبطة، وحفيده أعين بن لبطة.ولد الفرزدق سنة 38 هـ و توفي في البصرة سنة 110 هـ.

(6) أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج مولى لقوم من بني ليث بن بكر. اسند أبو حازم عن ابن عمر وسهل بن سعد وانس بن مالك وقيل انه رأى أبا هريرة، وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب وأبي سلمة وعروة وغيرهم. توفي بعد سنة 140 هـ في خلافة المنصور.

(5) أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفي، واسمه حذيفة، والخطفي لقبه، ابن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم بن مر التميمي الشاعر المشهور؛ كان من فحول شعراء الإسلام، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن، وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل. ولد باليمامة سنة 33 هـ وتوفي سنة 110 هـ.

(4) أبو عمرو بن العلاء، المازني المقرىء النحوي البصري الإمام مقرىء أهل البصرة اسمه زبان على الأصح وقيل العريان وقيل يحيى وقيل محبوب وقيل جنيد وقيل عيينة وقيل عثمان وقيل عياد وهو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان وقيل ابن العلاء بن عمار بن عبدالله بن الحصين بن الحارث بن جلهم بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم التميمي ثم المازني وقال الأصمعي وعمر بن شبة اسمه كنيته. وعن الأصمعي رواية أخرى قال اسمه زبان وله إخوة سفيان ومعاذ وأبو حفص عمر. ولد أبو عمرو بمكة سنة 68 هـ وقيل سنة 70 هـ ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة سنة 154 هـ و إليه انتهت الإمامة في القراءة بالبصرة.قال الأصمعي سمعت أبا عمرو يقول كنت رأسا والحسن البصري حي.

(2) كانت زوجة الفرزدق ابنة عمه، وهي النوار – بفتح النون – ابنة أعين بن ضبيعة بن عقال المجاشعي، وجدها ضبيعة الذي عقر الجمل الذي كانت عليه عائشة أم المؤمنين يوم وقعة الجمل، رضي الله عنها... (بقية القصة في كتاب: وفيات الأعيان وكتب أخرى)

روي أن ملكاً من الملوك بنى قصراً وقال: انظروا من عاب منه شيئاً فأصلحوه وأعطوه درهمين، فأتاه رجل فقال: إن في هذا القصر عيبين. قال: وما هما؟ قال: يموت الملك ويخرب القصر! قال: صدقت! ثم أقبل على نفسه وترك الدنيا. ونظر رجل من العباد إلى باب ملك من الملوك وقد شيده وأتقنه وزوقه، فقال: باب جديد وموت عتيد ونزع شديد وسفر بعيد!. عن بني الأسود، قال: بنى رجل دارا بالمدينة، فلما فرغ منها مر أبو هريرة عليها وهو واقف على باب داره، فقال: قف يا أبا هريرة، ما أكتب على باب داري؟ قال، وأعرابي قائم، قال أبو هريرة: اكتب على بابها: ابن للخراب، ولد للثكل، واجمع للوارث. فقال الأعرابي: بئس ما قلت يا شيخ، فقال صاحب الدار: ويحك هذا أبو هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعن أبي سعيد، عن أبي هريرة، قال: إذا زوقتم مساجدكم، وحليتم مصاحفكم، فالدمار عليكم.

عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِذَا رَأَيْتَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ. ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام] قال الله تعالى:﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف] قال أبو حازم:﴿إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ يُتَابِعُ بِنِعَمِهِ عَلَيْكَ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَاحْذَرْهُ﴾ عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا﴾.

في فتح قبرص، لما جيء بالأسرى جعل أبو الدرداء الأنصاري يبكي، فقال له جبير بن نفير:أتبكي وهذا يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟. فقال: ويحك، إن هذه كانت أمة قاهرة لهم ملك، فلما ضيعوا أمر الله صيرهم إلى ما ترى، سلط الله عليهم السبي، وإذا سلط على قوم السبي فليس لله فيهم حاجة. ما أهون العباد على الله تعالى إذا تركوا أمره؟!. وعن عمرو بن عوف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿فَوَاللهِ لَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ﴾ وعن عقبة بن عامر:﴿صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِ سِنِينَ، كَالْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْحَوْضُ وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأَنَا فِي مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا - وزاد بعضهم- فَتَقْتَتِلُوا، فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ﴾ وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَوَيَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يُنَزَّلُ عَلَيْهِ، قَالَ فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّحَضَاءَ وَقَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ؟ وَكَأَنَّهُ حَمِدَهُ فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ، وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ، إِلَّا آكِلَةَ الْخَضِرِ أَكَلَتْ حَتَّى امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا، اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ. وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ، وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ فَنِعْمَ الْمَعُونَةُ هُوَ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ شَهِيدًا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

مراجع: مسند أحمد/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ سراج الملوك/ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس وسادس ملوك الدولة الأموية) والحسن البصري (٢) [031]

يروى عن ابن عائشة [1] أن الحجاج دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه، ودخل الحسن البصري[2] رحمه الله آخر من دخل، فقال الحجاج مرحباً بأبي سعيد إلي إلي، ثم دعا بكرسٍ فوضع إلى جنب سريره فقعد عليه؛ فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فنال منه ونلنا منه مقاربة له وفرقاً من شره؛ والحسن ساكت عاضٍ على إبهامه؛ فقال: يا أبا سعيد ما لي أراك ساكتاً ؟ قال: ما عسيت أن أقول؟ قال: أخبرني برأيك في أبي تراب، قال: سمعت الله جل ذكره يقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة] فعلي ممن هدى الله من أهل الإيمان، فأقول: ابن عم النبي عليه السلام وختنه على ابنته وأحب الناس إليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها. وأقول: إن كانت لعلي هناة فالله حسبه والله ما أجد فيه قولاً أعدل من هذا. فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضباً فدخل بيتاً خلفه وخرجنا. قال عامر الشعبي: فأخذت بيد الحسن فقلت: يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره. فقال: إليك عني يا عامر، يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة. أتيت شيطاناً من شياطين الإنس تكلمه بهواء وتقاربه في رأيه ويحك يا عامر هلا اتقيت إن سئلت فصدقت، أو سكت فسلمت؟ قال عامر: يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها. قال الحسن: فذاك أعظم من الحجة عليك وأشد في التبعة. قال: وبعث الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه. قال: أنت الذي تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم؟ قال: نعم. قال ما حملك على هذا؟ قال: ما أخذ الله على العلماء من المواثيق ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران] قال يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك أن يبلغني عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك.

---

(2) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أوبه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن سمرة وأبي بكرة والنعمان بن بشير وجندب بن عبد الله وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وعمرو بن ثعلب وعبد الله بن عمرو ومعقل بن يسار وأبي هريرة والأسود بن سريع وأنس بن مالك وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

(1) عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر، أبو عبد الرحمن التيمي، يعرف بابن عائشة لأنه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله التيمي، مات في رمضان سنة 228 هـ.

عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ﴾ عن أبي عبد الله الجدلي، قال:﴿دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَقَالَتْ لِي: أَيَسُبُّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: مَعَاذَ اللهِ، أَوْ سُبْحَانَ اللهِ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ سَبَّ عَلِيًّا، فَقَدْ سَبَّنِي﴾ عن عمرو بن حبشي، قال:﴿خَطَبَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بَعْدَ قَتْلِ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ: لَقَدْ فَارَقَكُمْ رَجُلٌ بِالْأَمْسِ مَا سَبَقَهُ الْأَوَّلُونَ بِعِلْمٍ، وَلَا أَدْرَكَهُ الْآخِرُونَ، إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيَبْعَثُهُ وَيُعْطِيهِ الرَّايَةَ، فَلَا يَنْصَرِفُ حَتَّى يُفْتَحَ لَهُ، وَمَا تَرَكَ مِنْ صَفْرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ، إِلا سَبْعَ مِائَةِ دِرْهَمٍ مِنْ عَطَائِهِ كَانَ يَرْصُدُهَا لِخَادِمٍ لِأَهْلِهِ﴾ عن رياح بن الحرث: ﴿أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَكْبَرِ، وَعِنْدَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ يَسَارِهِ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ يُدْعَى سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ، فَحَيَّاهُ الْمُغِيرَةُ وَأَجْلَسَهُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ عَلَى السَّرِيرِ. فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَاسْتَقْبَلَ الْمُغِيرَةَ، فَسَبَّ وَسَبَّ، فَقَالَ: مَنْ يَسُبُّ هَذَا يَا مُغِيرَةُ؟ قَالَ: يَسُبُّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: يَا مُغِيرَ بْنَ شُعْبَ، يَا مُغِيرَ بْنَ شُعْبَ ثَلَاثًا، أَلَا أَسْمَعُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَبُّونَ عِنْدَكَ؟ لَا تُنْكِرُ وَلَا تُغَيِّرُ، فَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِهَا سَمِعَتِ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أَرْوِي عَنْهُ إِذَا لَقِيتُهُ، أَنَّهُ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَتَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ، لَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَهُ لَسَمَّيْتُهُ، قَالَ: فَضَجَّ أَهْلُ الْمَسْجِدِ يُنَاشِدُونَهُ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنِ التَّاسِعُ؟ قَالَ: نَاشَدْتُمُونِي بِاللهِ، وَاللهِ عَظِيمٍ أَنَا تَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْعَاشِرُ، ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ يَمِينًا، قَالَ: وَاللهِ لَشُهُودٌ شَهِدَهُ رَجُلٌ يُغَبِّرُ فِيهِ وَجْهَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ. وَلَوْ عُمِّرَ عُمُرَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ﴾.

عن أبو أمية الشعباني، قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني[1]،فقلت:﴿يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ كَيْفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؟: عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [المائدة] فَقَالَ: أَمَا وَاللهِ لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا خَبِيرًا سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ أَمْرَ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَوَامِّ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا، الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ مِنْهُمْ، قَالَ: أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ. وَزَادَ فِي غَيْرِهِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ قَالَ:أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ﴾ وهذا عند ظهور الفتن، ليس معنى قوله: عليك بخاصة نفسك، أن تترك الناس، وإنما مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، وهذا هو مفهوم الكلام؛ لأن البعض يفهم الحديث أن يغلق الباب على نفسه، ويتأى بها عند مخالطة الناس، وليس هذا هو المقصود بحال. عن قيس بن أبي حازم قال: قال أبو بكر الصديق: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَتْلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَإِنَّكُمْ تَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [المائدة] وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ –وفي لفظ–: إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ – أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ وعن جرير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ فِي قَوْمٍ يَعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا عَلَيْهِمْ وَلَا يُغَيِّرُونَ، إِلَّا أَصَابَهُمُ اللهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ قَبْلَ أَنْ يَمُوتُوا﴾ وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، اتَّقِ اللهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، ثُمَّ قَالَ: لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. إلى قوله: فَاسِقُونَ [المائدة] ثُمَّ قَالَ: كَلَّا وَاللهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا – وفي رواية زاد – أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ﴾ وفي هذا دلالة باهرة على أن الاكتفاء بالصلاح الذاتي والاعتصام من مشاركة المفسدين إفسادهم، لا يقي المرء من الهلاك إلا إذا جمع إليه تغيير المنكر الواقع ممن حوله، بكل ما يمكن تغييره به فله النّجاءُ. فليس هو مجرد الأمر والنهي، ثم تنتهي المسألة، إنما هو الإصرار، والمقاطعة، والكف بالقوة عن الشر والفساد والمعصية والاعتداء. وعن أم المؤمنين عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلَا يُسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ (قبل أن تدعوا) أي قبل أن تدعوا الناس إلى الهدى بالأمر بمعروف والنهي عن منكر فلا يقبل أحد منهم ذلك. وعن أنس بن مالك قال:﴿قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَا نَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ حَتَّى نَعْمَلَ بِهِ، وَلَا نَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى نَجْتَنِبَهُ كُلَّهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَإِنْ لَمْ تَعْمَلُوا بِهِ كُلِّهِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَإِنْ لَمْ تَجْتَنِبُوهُ كُلَّهُ﴾.

قال الخلال أخبرني عمر بن صالح قال:﴿قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللهِ يَا أَبَا حَفْصٍ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الْمُؤْمِنُ يَنْهَمُ مِثْلَ الْجِيفَةِ، وَيَكُونُ الْمُنَافِقُ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، فَقُلْتُ وَكَيْفَ يُشَارُ إِلَى الْمُنَافِقِ بِالْأَصَابِعِ؟ قَالَ صَيَّرُوا أَمْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فُضُولًا قَالَ الْمُؤْمِنُ إِذَا رَأَى أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ لَمْ يَصْبِرْ حَتَّى يَأْمُرَ وَيَنْهَى. يَعْنِي قَالُوا هَذَا فُضُولٌ، قَالَ وَالْمُنَافِقُ كُلُّ شَيْءٍ يَرَاهُ قَالَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ فَيُقَالُ نِعْمَ الرَّجُلُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفُضُولِ عَمَلٌ﴾ وعن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿كَمَا تَكُونُونَ كَذَلِكَ يُؤَمَّرُ عَلَيْكُمْ –وفي رواية– كَمَا تَكُونُوا يُوَلَّ عَلَيْكُمْ﴾ (كما تكونون) أي مثل ما تكونون في الصلاح وضده (يؤمر عليكم) أي يجعل أميرا وحاكما وفي معناه قوله: أعمالكم عمالكم. فالمستبدون يتولاهم مستبد، والأحرار يتولاهم الأحرار، وهذا صريح معنى: كما تكونوا يولى عليكم. وما أليق بالأسير في أرض أن يتحول عنها إلى حيث يملك حريته، فإن الكلب الطليق خير حياة من الأسد المربوط.قال عبد الملك بن مروان: ما أنصفتمونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرتهما، نسأل الله أن يعين كل على كل.

---

(1) أبو ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشب، صحابي مات سنة 75 هـ أيام الملك الاموي عبد الملك بن مروان. والخشني نسبة إلى خشين قبيلة من قضاعة.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ سنن أبي داود/ سنن ابن ماجه/ فقه تغيير المنكر [د.محمود توفيق محمد سعد]/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ صحيح مسلم/ البداية والنهاية/ مسند أحمد/ إحياء علوم الدين/ تاريخ مدينة دمشق

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس وسادس ملوك الدولة الأموية) وعامر الشعبي[032]

كان عامر الشعبي[1] من خاصَّة ابن الأشعث[2] مُرافقًا له في جميع حروبه، فلمَّا انهزم ابن الأشعث أمام الحجاج وأُسِر أصحابُه، أمر الحجاج بقتل كل أسير يُؤتى به، فلما كثروا عليه، صار يقتل من يقول: إنَّه مؤمن، أمَّا من اعترف بالكفر والنِّفاق على نفسه، فإنه يعفو عنه، وأسر عامر الشعبي فيمن أسر، وأُتي به إلى الحجاج في ثورة غضبه، وهو يقتل الأسرى الأول فالأول إلاَّ من باء على نفسه بالكفر والنِّفاق، فلما سار عامر الشَّعبي إلى الدخول عليه، لقيه رجل من صَحَابة الحجاج يقال له يزيد بن أبي مسلم، وكان مولاه وحاجبه. فقال له: يا شعبي، لفقي بالعلم الذي بين دفتيك، وليس هذا بيوم شفاعة، إذا دخلت على الأمير، فبُؤ له بالكفر والنفاق عسى أن تنجو. فلما دخل الشعبي على الحجاج، صادفه واضعًا رأسه لم يشعر، فلمَّا رفع رأسه رآه، قال له: أنت أيضًا يا شعبي فيمن أعان وألَّب. قال: أصلحَ الله الأمير، إنِّي أمرت بأشياء أقولها أرضيك بها، وأسخط الرب، ولست أفعل، ولكني أقول، أصلح الله الأمير، وأصدُقك القول، فإن كان شيء ينفع لديك، فهو الصدق، إن شاء الله: أحزن بنا المنزل، وأجدب الجناب، واكتحلنا السهر، واستجلسنا الخوف، وضاق بنا البلد العريض، فوقعنا في خِزْيَة لم نكن فيها بَرَرة أتقياء، ولا فجرة أقوياء. فقال له الحجاج: كذلك. قال: نعم، أصلح الله الأمير، وأمتع به. قال: فنظر الحجاج إلى أهل الشام، فقال: صدق والله يا أهل الشام، ما كانوا بررة أتقياء، فيتورَّعوا عن قتالنا، ولا فجرة أقوياء فيقووا علينا، ثم قال: انطلقْ يا شعبي، فقد عفونا عنك، فأنت أحقُّ بالعفو ممن يأتينا، وقد تلطخ بالدِّماء، ثم يقول: كان وكان.

وفي رواية قال جابر بن نوح الحماني: حدثني مجالد، عن الشعبي قال: لما قدم الحجاج العراق سألني عن أشياء من العلم فوجدني بها عارفا، فجعلني عريفا على الشعبيين ومنكبا على جميع همدان، وفرض لي، فلم أزل عنده بأشرف منزلة، حتى كان ابن الأشعث، فأتاني قراء أهل الكوفة، فقالوا: يا أبا عمرو إنك زعيم القراء، فلم يزالوا حتى خرجت معهم، فقمت بين الصفين أذكر الحجاج وأعيبه بأشياء، فبلغني أن الحجاج قال: ألا تعجبون من هذا الشعبي الخبيث، أما لئن أمكنني الله منه لأجعلن الدنيا عليه أضيق من مسك حمل، قال: فما لبثنا أن هزمنا، فجئت إلى بيتي وأغلقت علي، فمكثت تسعة أشهر، فندب الناس لخراسان، فقال قتيبة بن مسلم: أنا لها، فولاه خراسان، ونادى مناديه: من لحق بقتيبة فهو آمن، فاشترى مولى لي حمارا وزودني، فخرجت، فكنت في العسكر، فلم أزل معه حتى أتينا فرغانة، فجلس ذات يوم وقد برق، فنظرت إليه فقلت: أيها الأمير، عندي علم، قال: ومن أنت؟ قلت: أعيذك، لا تسأل عن ذلك، فعرف أني ممن يختفي، فدعا بكتاب وقال: اكتب نسخة، قلت: لست تحتاج إلى ذلك، فجعلت أملي عليه، وهو ينظر، حتى فرغ من كتاب الفتح، قال: فحملني على بغلة، وبعث إلي بسرق من حرير، وكنت عنده في أحسن منزلة، فإني ليلة أتعشى معه، إذا أنا برسول الحجاج بكتاب فيه: إذا نظرت في كتابي هذا، فإن صاحب كتابك الشعبي، فإن فاتك قطعت يدك على رجلك وعزلتك، قال: فالتفت إلي وقال: ما عرفتك قبل الساعة، فاذهب حيث شئت من الأرض، فوالله لأحلفن له بكل ممكن يمين، فقلت: أيها الأمير، إن مثلي لا يخفى، قال: فأنت أعلم، وبعثني إليه وقال: إذا وصلتم إلى خضراء واسط فقيدوه، ثم أدخلوه على الحجاج، فلما دنوت من واسط استقبلني يزيد بن أبي مسلم، فقال: يا أبا عمرو، إني لأضن بك على القتل، إذا دخلت فقل: كذا وكذا، فلما أدخلت قال: لا مرحبا ولا أهلا، فعلت بك وفعلت، ثم خرجت علي! وأنا ساكت، فقال: تكلم، قلت: أصلح الله الأمير، كل ما قلته حق، ولكنا قد اكتحلنا بعدك السهر وتجلسنا الخوف، ولم نكن مع ذلك بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء، وهذا أوان حقنت لي دمي، واستقبلت بي التوبة، قال: قد فعلت ذلك. وقال الأصمعي: لما أدخل الشعبي على الحجاج قال: هيه يا شعبي، فقال: أحزن بنا المنزل واكتحلنا السهر، واستجلسنا الخوف، فلم نكن فيما فعلنا ببررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء، قال: لله درك.

➔ (1) عامر بن شراحيل الشعبي، شعب همدان، أبو عمرو. علامة أهل الكوفة في زمانه، ولد في وسط خلافة عمر. وروى عن علي يسيرا، وعن المغيرة بن شعبة، وعمران بن حصين، وعائشة، وأبي هريرة، وجرير البجلي، وعدي بن حاتم، وابن عباس، ومسروق، وخلق كثير، وقرأ القرآن على علقمة، وأبي عبد الرحمن السلمي. قال أحمد بن عبد الله العجلي: مرسل الشعبي صحيح، لا يكاد يرسل إلا صحيحا. وقال عاصم الأحول: كان الشعبي أكثر حديثا من الحسن، وأكبر منه بسنتين، ولد لأربع بقين من خلافة عمر. وقال خليفة: ولد سنة 21 هـ وقيل غير ذلك. عن منصور بن عبد الرحمن الغداني، عن الشعبي قال: أدركت خمس مائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أكثر. قال أبو أسامة: كان عمر في زمانه، وكان بعده ابن عباس، وكان بعده الشعبي، وكان بعده الثوري في زمانه. وعن ابن سيرين، قال: قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة، والصحابة يومئذ كثير. قال إسماعيل بن مجالد: توفي الشعبي سنة 104 هـ وله اثنتان وثمانون سنة. وقال الواقدي: سنة 105 هـ.وقال الفلاس: مات في أول سنة 106 هـ وقيل غير ذلك.

➔ (2) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي أمير سجستان، من أهل الكوفة، ظفر به الحجاج وقتله وطيف برأسه بعد هزيمته في دير الجماجم سنة 83 هـ

قال عبد الملك بن مروان لجلسائه: دلوني على رجل أستعمله. فقال له روح بن زنباع:[1] أدلك يا أمير المؤمنين على رجل إن دعوتموه أجابكم، وإن تركتموه لم يأتكم، ليس بالملحف طلبا، ولا بالممعن هربا: عامر الشعبي؛ فولاه قضاء البصرة.

قال ابن عائشة: وجه عبد الملك بن مروان بالشعبي إلى ملك الروم، فلما رجع قال عبد الملك: تدري يا شعبي ما كتب به ملك الروم؟ قلت: وما كتب؟ قال: كتب: العجب لأهل دينك، كيف لم يستخلفوا رسولك؟ قلت: يا أمير المؤمنين؛ لأنه رآني ولم ير أمير المؤمنين، رواها الأصمعي، وفيها: يا شعبي إنما أراد أن يغريني بقتلك، فبلغ ذلك ملك الروم، فقال: والله ما أردت إلا ذلك. وقال جهم بن واقد: رأيت الشعبي يقضي في أيام عمر بن عبد العزيز. وروى الثوري، عمن سمع الشعبي يقول: ليتني أنفلت من علمي كفافا لا علي ولا لي. قال محمد بن جحادة: سئل الشعبي عن شيء لم يكن عنده فيه شيء، فقيل له: قل فيه برأيك، فقال: وما تصنع برأيي، بل على رأيي. روى سفيان، عن عبد الله بن أبي السفر، عن الشعبي قال: ما أنا بعالم، وما أترك عالما. وعن عطاء بن السائب، عن الشعبي قال: ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها. وعن أبو يوسف القاضي: حدثنا مجالد، عن الشعبي قال: نعم الشيء الغوغاء يسدون السبل، ويطفئون الحريق، ويشغبون على ولاة السوء.

➔ روح بن زنباع، أبو زرعة الجذامي الفلسطيني، ويقال: أبو زنباع، حدث عن أبيه، وتميم الداري، وعبادة بن الصامت، وكعب الأحبار، وغيرهم. وعنه ابنه روح بن روح، وشرحبيل بن مسلم، ويحيى الشيباني، وعبادة بن نسي، وجماعة. وكان ذا اختصاص بعبد الملك، لا يكاد يغيب عنه، وهو كالوزير له. ولأبيه زنباع بن روح بن سلامة صحبة، وكان لروح دار بدمشق في طرف البزوريين، أمره يزيد على جند فلسطين، وشهد يوم راهط مع مروان. وقال مسلم: له صحبة. ولم يتابع مسلما أحد. وروى ضمرة، عن عبد الحميد بن عبد الله قال: كان روح بن زنباع إذا خرج من الحمام أعتق رقبة. قال ابن زبر: مات سنة 84 هـ.

مراجع: سراج الملوك/ سير أعلام النبلاء/ صحيح البخاري/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ السنن الكبرى للبيهقي/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ العقد الفريد

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس وسادس ملوك الدولة الأموية) وعبد الرحمن بن عائذ [033]

روي الوليد بن عبد الله بن مروان الأزدي، قال: سمعت جنادة بن مروان يقول: سمعت أبي يذكر، قال: لما أتي الحجاج بعبد الرحمن بن عائذ [1] أسيرا يوم الجماجم، وكان به عارفا، فقال له الحجاج: عبد الرحمن بن عائذ، كيف أصبحت؟ قال: كما لا يريد الله، ولا يريد الشيطان، ولا أريد. قال له: ما تقول ويحك؟ قال: نعم، يريد الله أن أكون عابدا زاهدا. وما أنا بذاك، ويريد الشيطان أن أكون فاسقا مارقا، والله ما أنا بذاك، وأريد أن أكون محلى سربي، آمنا في أهلي، والله ما أنا بذاك. فقال له الحجاج: مولد شامي، وأدب عراقي، وجيراننا إذ كنا في الطائف، خلوا عنه.

لما أسرف الحجاج في قتل أسارى دير الجماجم وإعطاء الأموال، بلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه: أما بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك في الدماء وتبذير الأموال ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين لأحد من الناس، وقد حكم عليك في الدماء في الخطإ بالدية وفي العمد بالقود وفي الأموال بردها إلى موضعها ثم العمل فيها برأيه، وإنما أمير المؤمنين أمين الله وسيان عنده منع حق وإعطاء باطل، فإن كنت أردت الناس لك فما أغناهم عنك وغن كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم، وسيأتيك من أمير المؤمنين لين وشدة، فلا يؤنسنك إلا الطاعة ولا يوحشنك إلا المعصية، وظن بأمير المؤمنين كل شيء إلا احتمالك على الخطأ، وإذا أعطاك الله الظفر بقوم فلا تقتلن جانحا ولا أسيرا. فأجابه: أما بعد، فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الدماء وتبذيري للأموال، ولعمري ما بلغت في عقوبة أهل المعصية ما هم أهله وما قضيت في أهل الطاعة ما استحقوه، فإن كان قتلي أولئك العصاة سرفا وإعطائي أولئك المطيعين تبذيرا فليسوغني أمير المؤمنين ما سلف وليحد لي حدا أنتهي إليه إن شاء الله تعالى، ولا قوة إلا بالله، ووالله ما سلبت نعمة إلا بكفرها ولا تمت إلا بشكرها، ولا أصبت القوم خطأ فأديهم ولا ظلمتهم فأقاد بهم، ولا أعطيت إلا لك ولا قتلت إلا فيك، وأما ما أتاني من أمريك فأبينهما عزة أعظمها محنة، وقد عبأت للعزة الجلاد وللمحنة الصبر. فلما قرأ عبد الملك كتابه قال: خاف أبو محمد صولتي ولن أعود إلى ما يكره.

قال هشام بن حسان: أحصوا ما قتل الحجاج صبرا، فبلغ مئة ألف وعشرين ألفا. قال الهيثم بن عدي: مات الحجاج بن يوسف وفي سجنه ثمانون ألف محبوس، منهم ثلاثون ألف امرأة.

حدث مبشر بن بشر أن رجلا هرب من الحجاج، فمر بساباط* فيه كلب بين جبين يقطر عليه ماؤهما. فقال: يا ليتني كنت مثل هذا الكلب، فما لبث أن مر بالكلب في عنقه حبل، فسأل عنه فقالوا: جاء كتاب الحجاج يأمر بقتل الكلاب.

* (الساباط) سقيفة بين دارين ، بين حائطين تحتها طريق نافذ. و(ساباط) بها وراء النهر ، وساباط كسرى بالمدائن .

---

(1) عبد الرحمن بن عائذ الأزدي الثمالي الحمصي، ويقال الكندي، ويقال اليحصبي، أبو عبد الله. من كبار علماء التابعين، وله مراسيل. وبعضهم يظن أن له صحبة، ولا يصح ذلك. وكان ثقة. روى عن عمر، ومعاذ، وأبي ذر، وعلي، وعمرو بن عبسة، وعوف بن مالك الأشجعي، والعرباض، وغيرهم. روى عنه محفوظ بن علقمة، وراشد بن سعد، وإسماعيل بن أبي خالد، وسليم بن عامر، ويحيى بن جابر، وثور بن يزيد، وصفوان بن عمرو. وتوفي في حدود 100 هـ وروى له أصحاب السنن الأربعة. قيل: لما مات خلف كتبا وصحفا من علمه، وخرج مع ابن الأشعث فأسر يوم الجماجم وأدخل على الحجاج فعفا عنه. قال ثور بن يزيد: كان أهل حمص يأخذون كتب ابن عائذ، فما وجدوا فيها من الأحكام، عملوا بها على باب المسجد قناعة بها ورضا بحديثه.وقال أرطأة بن المنذر: اقتسم رجال من الجند كتب ابن عائذ بينهم بالميزان .

قال ابن كثير:[1] روي عن الحجاج ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر كما قدمنا. فإن كان قد تاب منها وأقلع عنها، وإلا فهو باق في عهدتها، ولكن قد يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه، فإن الشيعة كانوا يبغضونه جدا لوجوه، وربما حرفوا عليه بعض الكلم. وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعات وشناعات. وقد روينا عنه أنه كان يتدين بترك المسكر، وكان يكثر تلاوة القرآن، ويتجنب المحارم، ولم يشتهر عنه شئ من التلطخ بالفروج، وإن كان متسرعا في سفك الدماء فالله تعالى أعلم بالصواب وحقائق الأمور وساترها، وخفيات الصدور وضمائرها: قلت: الحجاج أعظم ما نقم عليه وصح من أفعاله سفك الدماء، وكفى به عقوبة عند الله عزوجل، وقد كان حريصا على الجهاد وفتح البلاد، وكان فيه سماحة بإعطاء المال لأهل القرآن، فكان يعطي على القرآن كثيرا، ولما مات لم يترك فيما قيل إلا ثلثمائة درهم. والله أعلم.

ذكروا أن الحجاج مرض ففرح أهل العراق؛ وقالوا: مات الحجاج! فلما بلغه تحامل حتى صعد المنبر فقال: يا أهل الشقاق والنفاق نفخ إبليس في مناخركم فقلتم: مات الحجاج، ومات الحجاج فمه؟ والله ما أحب أن لا أموت! وما أرجو الخير كله إلا بعد الموت، وما رأيت الله عز وجل رضي الخلود لأحد من خلقه، إلا لأهونهم عليه: إبليس؛ ولقد رأيت العبد الصالح سأل ربه فقال: رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب. ففعل؛ ثم اضمحل كأن لم يكن.

عن عمر بن عبد العزيز قال: ما حسدت الحجاج عدو الله على شيء حسدي إياه على حبه القرآن وإعطائه أهله عليه، وقوله حين حضرته الوفاة: اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل. عن الأصمعي قال: لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول: يا رب قد حلف الأعداء واجتهدوا ... بأنني رجل من ساكني النار أيحلفون عن عمياء ويمهم ... ما علمهم بعظيم العفو غفار. قال فأخبر بذلك الحسن فقال: بالله إن نجا ليدخلن بها. وحلف رجل بالطلاق أن الحجاج في النار، ثم أتى زوجته، فمنعته نفسها فأتى ابن شبرمة [2] يستفتيه؛ فقال: يا بن أخي امض فكن مع أهلك، فإن الحجاج إن لم يكن من أهل النار، فلا يضرك أن تزني.

عن أبي عبيدة بن الجراح، قال أحدهما: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ خِلَافَةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ مُلْكًا عَضُوضًا. وَقَالَ أَحَدُهُمَا: عَاضٌّ وَفِيهِ رَحْمَةٌ، ثُمَّ جَبَرُوتٌ صَلْعَاءُ لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهَا مُتَعَلَّقٌ، تُضْرَبُ فِيهَا الرِّقَابُ، وَتُقْطَعُ فِيهَا الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ، وَتُؤْخَذُ فِيهَا الْأَمْوَالُ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا شَقِيٌّ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنِ الشَّقِيُّ؟ قَالَ: مَنْ لَمْ يَعْمَلْ للهِ بِطَاعَةٍ، وَلَمْ يَتْرُكْ لَهُ بِمَعْصِيَةٍ﴾ (من لم يعمل لله) أي لأجل رضاه أو لأمره (بطاعة) أي بواجبة (ولم يترك له) أي لله (بمعصية) وهو شامل للكافر والفاجر، فقوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى(15) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [الليل] محمول على الصلي على وجه الخلود. وقال الطيبي: الباء زائدة فيهما، وبناء المرة فيهما مع التنكير للتقليل، وزيادة الباء للتأكيد يدل على ترجيح جانب الرحمة، وأن الله لا يضيع أجر من عمل له طاعة ما، أو ترك لأجله ولخوفه معصية ما نحو قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات] وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ – وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ – الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِهِمْ مَا وَلُوا﴾ (المقسطين) أي العادلين، ضد القاسطين؛ أي الجائرين، قال الله تعالى:﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة] وقال الله تعالى:﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن] (عن يمين الرحمن) قال التوربشتي: المراد منه كرامتهم على الله، وقرب محلهم وعلو منزلتهم، وذلك أن من شأن من عظم قدره في الناس؛ أن يبوأ عن يمين الملك، ثم إنه نزه ربه سبحانه عما سبق إلى فهم من لم يقدر الله حق قدره، من مقابلة اليمين باليسار، وكشف عن حقيقة المراد بقوله (وكلتا يديه يمين) قال الخطابي: ليس فيما يضاف إلى الله تعالى من صفة اليدين شمال؛ لأن الشمال على النقص والضعف، وقوله: وكلتا يديه يمين؛ هي صفة جاء بها التوقيف، فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها، وننتهي إلى حيث انتهى بنا الكتاب والأخبار الصحيحة؛ وهو مذهب أهل السنة والجماعة، وقال القاضي: وكلتا يديه؛ دفع لتوهم من يتوهم أن له يمينا من جنس أيماننا التي يقابلها يسار، وأن من سبق إلى التقرب إليه حتى فاز بالوصول إلى مرتبة من مراتب الزلفى من الله؛ عاق غيره عن أن يفوز بمثله كالسابق إلى محل من مجلس السلطان، بل جهاته وجوانبه التي يتقرب إليها العباد سواء (ولوا) أي كانت لهم عليه ولاية.

---

(1) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ولد في سوريا سنة 701 هـ وتوفي بدمشق سنة 774هـ. من مؤلفاته: تفسير ابن كثير، جامع السنن والمسانيد لابن كثير، البداية والنهاية (موسوعة تاريخية ضخمة).

(2) عبد الله بن شبرمة بن طفيل بن حسان الضبي. الإمام، العلامة، فقيه العراق، أبو شبرمة، قاضي الكوفة. وهو عم عمارة بن القعقاع، ولكن عمارة أسن منه. توفي: سنة 144 هـ.

قال أحمد العجلي: كان عيسى بن موسى لا يقطع أمرا دون ابن شبرمة. قال: فبعث أبو جعفر المنصور إلى عيسى بعمه عبد الله بن علي ليحبسه، ثم كتب إليه أن اقتله، فإنه..... وإنه..... فاستشار ابن شبرمة، فقال له: لم يرد المنصور غيرك؟! وكان عيسى ولي العهد، فقال: ما ترى؟ قال: احبسه، واكتب إليه أنك قتلته. ففعل، فجاء أخوه عبد الله إلى عيسى، فقال: إن أمير المؤمنين كتب إلي أن اقتله، فقد قتلته. فرجعوا إلى أبي جعفر، فقال: كذب، لأقيدنه به. فارتفعوا إلى القاضي، فلما حققوا على عيسى، أخرجه إليهم. فقال أبو جعفر: قتلني الله إن لم أقتل الأعرابي – يريد: ابن شبرمة – فإن عيسى لا يعرف هذا. قال: فما زال ابن شبرمة مختفيا حتى مات بخراسان، سيره إليها عيسى بن موسى.

مراجع: البداية والنهاية/ سير أعلام النبلاء/ الوافي بالوفيات/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ الفتن لنعيم بن حماد/ العقد الفريد/ تاج العروس

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس وسادس ملوك الدولة الأموية) ورجل [034]

قيل إن الحجاج خطب يوما فقال: أيها الناس الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله. فقام إليه رجل فقال له: ويحك يا حجاج ما أصفق وجهك وأقل حياءك، تفعل ما تفعل وتقول مثل هذا الكلام؟ خبث وضل سعيك، فقال للحرس خذوه، فلما فرغ من خطبته قال له: ما الذي جرأك علي؟ فقال: ويحك يا حجاج، أنت تجترئ على الله ولا أجترئ أنا عليك، ومن أنت حتى لا أجترئ عليك وأنت تجترئ على الله رب العالمين، فقال: خلوا سبيله، فأطلق.

قيل قدم الحجاج على عبد الملك بن مروان ومعه معاوية بن قرة[1]،فسأل عبد الملك معاوية عن الحجاج فقال: إن صدقناكم قتلتمونا، وإن كذبناكم خشينا الله، فنظر إلى الحجاج فقال له عبد الملك: لا تعرض له، فنفاه إلى السند فكان له بها مواقف.

قال العتبي: دخل جامع المحاربي[2] على الحجاج -وكان جامع شيخا صالحا خطيبا لبيبا جريئا على السلطان وهو الذي قال للحجاج إذ بنى مدينة واسط بنيتها في غير بلدك، وتورثها غير ولدك- فجعل الحجاج يشكو سوء طاعة أهل العراق وقبح مذهبهم. فقال له جامع: أما إنه لو أحبوك لأطاعوك، على أنهم ما شنتوك لنسبك، ولا لبلدك، ولا لذات نفسك؛ فدع عنك ما يبعدهم منك إلى ما يقربهم إليك، والتمس العافية ممن دونك، تعطها ممن فوقك، وليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعدك. قال الحجاج: ما أرى أن أرد بني اللكيعة* إلى طاعتي إلا بالسيف. قال: أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار. قال الحجاج: الخيار يومئذ لله. قال: أجل، ولكنك لا تدري لمن يجعله الله. فغضب وقال: يا هناه، إنك من محارب. فقال جامع: وللحرب سمينا وكنا محاربا ... إذا ما القنا أمسى من الطعن أحمرا.فقال الحجاج: والله لقد هممت بأن أخلع لسانك فأضرب به وجهك. قال جامع: إن صدقناك أغضبناك، وإن غششناك أغضبنا الله فغضب الأمير أهون علينا من غضب الله. قال: أجل، وسكن. وشغل الحجاج ببعض الأمر، فانسل جامع، فمر بين الصفوف من أهل الشام حتى جاوزها إلى صفوف العراق، فأبصر كبكبة فيها جماعة من بكر العراق، وقيس العراق. وتميم العراق، وأزد العراق؛ فلما رأوه اشرأبوا إليه وقالوا له: ما عندك دفع الله عنك؟ قال: ويحكم! عموه بالخلع كما يعمكم بالعداوة، ودعوا التعادي ما عاداكم؛ فإذا ظفرتم تراجعتم وتعاديتم. أيها التميمي، هو أعدي لك من الأزدي، أيها القيسي هو أعدى لك من التغلبي. وهل ظفر بمن ناوأه منكم إلا بمن بقي معه منكم. وهرب جامع من فوره ذلك إلى الشام، واستجار بزفر بن الحارث[3] فأجاره.

*(اللكيعة) : الامة اللئيمة

---

(1) معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المزني البصري، يكنى أبا إياس، أسند معاوية عن أبيه، وعن أنس بن مالك: ومعقل بن يسار، وابن عباس. ولد سنة 36 هـ ومات سنة 113 هـ، وهو ابن 76 سنة.

(2) جامع بن شداد المحاربي الكوفي أبو صخرة الفقيه. روى عن حمران بن أبان وأبي بردة وصفوان بن محرز. وثقه أبو حاتم وغيره. توفي سنة 118 هـ .روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة. قالوا: ولما بنى الحجاج واسطا قال لجامع المحاربي: كيف ترى؟ قال: بنيتها في غير بلدك تدعها لغير ولدك. ويقال إن الذي قال له ذلك ابن القرية. (في كتاب التذكرة الحمدونية:جامع بن أمية المحاربي؟)

(3) زفر بن الحارث الكلابي الشامي والد مزاحم بن زفر يروي عن عائشة ومعاوية روى عنه ثابت بن الحجاج.كان رسول معاوية إلى عائشة بوقعة صفين. نزل البصرة ثم خرج عنها بعد وقعة الجمل فشهد وقعة المرج مع الضحاك بن قيس وذكر أنه مات في أيام عبد الملك بن مروان

حدث معاوية بن قرة قال: كنا عند الحسن فتذاكرنا أي العمل أفضل؟ فكلهم اتفقوا على قيام الليل فقلت أنا: ترك المحارم فانتبه لها الحسن فقال: تم الأمر، تم الأمر. وعن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿حَلَالٌ بَيِّنٌ، وَحَرَامٌ بَيِّنٌ، وَشُبُهَاتٌ بَيْنَ ذَلِكَ، مَنْ تَرَكَ الشُّبُهَاتِ، فَهُوَ لِلْحَرَامِ أَتْرَكُ، وَمَحَارِمُ اللَّهِ حِمًى، فَمَنْ أَرْتَعَ حَوْلَ الْحِمَى، كَانَ قَمِنًا أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة قالت:﴿مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَادِمًا لَهُ قَطُّ، وَلَا امْرَأَةً لَهُ قَطُّ، وَلَا ضَرَبَ بِيَدِهِ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ فَانْتَقَمَهُ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ مَحَارِمُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَنْتَقِمُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا خُيِّرَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا أَيْسَرُ مِنَ الْآخَرِ، إِلَّا أَخَذَ بِالْأَيْسَرِ مِنْهُمَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَأْثَمًا، فَإِنْ كَانَ مَأْثَمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ﴾ عن عقبة بن عامر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: الحَمْوُ المَوْتُ﴾ عن النعمان بن بشير، قال: سمعته يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: وأهوى النعمان بإصبعيه إلى أذنيه:﴿إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ﴾ كان الحسن يقول: يا ابن آدم عف عن محارم الله تكن عابدا، وارض بما قسم لك تكن غنيا، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلا، إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيرا وينون مشيدا ويأملون بعيدا، أصبح جمعهم بورا وعملهم غرورا ومساكنهم قبورا، يا ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك مذ سقطت من بطن أمك، فجد بما في يدك لما بين يديك فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع، وكان يتلو هذه الآية بعدها: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة]. كذا في الفصول المهملة.

عن معاوية بن قرة قال: أدركت سبعين رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لو خرجوا فيكم اليوم ما عرفوا شيئا مما أنتم عليه إلا الأذان. عن الحجاج بن الأسود أن معاوية بن قرة قال: من يدلني على بكاء بالليل بسام بالنهار. وعن عبد الله بن ميمون البصري قال: سمعت معاوية بن قرة يقول: إن الله عز وجل يرزق العبد رزق شهر في يوم واحد فإن أصلحه أصلح الله على يديه وعاش هو وعياله بقية شهرهم بخير، وإن هو أفسده أفسد الله تعالى على يديه وعاش هو وعياله بقية شهرهم بشر. وعن خليد بن دعلج قال: سمعت معاوية بن قرة يقول: إن القوم ليحجون ويعتمرون ويجاهدون ويصلون ويصومون، وما يعطون يوم القيامة إلا على قدر عقولهم.

قال الأعمش: اختلفوا في الحجاج فقالوا: بمن ترضون؟ فقال بعضهم: بمجاهد. فأتوه فسألوه، فقال: تسألوني عن الشيخ الكافر؟!. قال الأجلح: اختلفت أنا وعمر بن قيس الماصر في الحجاج فقلت أنا: الحجاج كافر، وقال عمر: الحجاج مؤمن ضال. قال: فأتينا الشعبي فقلت: يا أبا عمرو، إني قلت: إن الحجاج كافر، وقال عمر: الحجاج مؤمن ضال. قال: فقال الشعبي: يا عمرو، شمرت ثيابك، وحللت إزارك، وقلت: إن الحجاج مؤمن ضال، فقال: فكيف يجتمع في رجل إيمان وضلال؟! الحجاج مؤمن بالجبت والطاغوت، كافر بالله العظيم. قال الأوزاعي: سمعت القاسم بن مخيمرة يقول: كان الحجاج ينقض عرى الإسلام. قال عاصم بن أبي النجود: ما بقيت لله تعالى حرمة، إلا وقد انتهكها الحجاج. قال العيزار بن جرول: خرجت مع راذان إلى الجبال يوم العيد نصلي، وستور الحجاج ترفعها الرياح فقال: هذا والله المفلس. فقلت له: تقول مثل هذا وله مثل هذا؟! فقال: هذا المفلس من دينه. وقال طاوس: عجبت لإخواننا من أهل العراق، يسمون الحجاج مؤمنا. قال منصور: سألنا إبراهيم النخعي عن الحجاج فقال: ألم يقل الله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود] قال سلام بن أبي مطيع: لأنا أرجى للحجاج بن يوسف مني لعمرو بن عبيد، إن الحجاج بن يوسف إنما قتل الناس على الدنيا، وإن عمرو بن عبيد أحدث بدعة، فقتل الناس بعضهم بعضا. قال الزبرقان: كنت عند أبي وائل فجعلت أسب الحجاج وأذكر مساوئه، فقال: لا تسبه وما يدريك لعله قال: اللهم اغفر لي فغفر له. قال عوف: ذكر الحجاج عند محمد بن سيرين قال: مسكين أبو محمد، إن يعذبه الله عز وجل فبذنبه، وإن يغفر له فهنيئا، وإن يلق الله عز وجل بقلب سليم فقد أصاب الذنوب من هو خير منه. قال: فقلت لمحمد بن سيرين: وما القلب السليم؟ قال: أن تعلم أن الله عز وجل حق، وأن الساعة حق قائمة، وأن الله يبعث من في القبور.قال السري بن يحيى: مر الحجاج في يوم جمعة، فسمع استغاثة فقال: ما هذا؟ فقيل له: أهل السجون، يقولون: قتلنا الحر. قال: قولوا لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون] قال: فما عاش بعد ذلك، إلا أقل من جمعة حتى مات. قال ابن طاوس: دخل رجل على أبي فقال: مات الحجاج بن يوسف. فقال له أبي: اربعوا على أنفسكم، حبس رجل عليه لسانه، وعلم ما يقول. فقال له الرجل: يا أبا عبد الرحمن، برح الخفاء، هذه نساء وافد بن سلمة قد نشرن أشعارهن، وحرقن ثيابهن، ينحن عليه. قال: أفعلوا؟ قال: نعم. قال:﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام]

قال قتادة: قيل لسعيد بن جبير: خرجت على الحجاج. قال: إني والله ما خرجت عليه حتى كفر. قال عمر بن عبد العزيز: لو تخابثت الأمم وجئنا بالحجاج لغلبناهم، وما كان يصلح لدنيا ولا آخرة. لقد ولي العراق وهو أوفر ما يكون من العمارة، فأخس به حتى صيره إلى أربعين ألف ألف، ولقد أدي إلي في عامي هذا ثمانون ألف ألف، وإن بقيت إلى قابل رجوت أن يؤدي إلي ما أدي إلى عمر بن الخطاب، مئة ألف ألف، وعشرة آلاف ألف. قال مخذم: جبى عمر بن الخطاب العراق مئة ألف ألف، وتسعة وكذا وكذا ألف ألف، وجباها عمر بن عبد العزيز مئة ألف وأربعة عشر ألف ألف، وجباها الحجاج ثمانية عشر ألف ألف. قال يحيى بن يحيى الغساني: قال لي عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بأبي محمد لفتناهم، فقال له رجل من آل أبي معيط: لا تقل ذلك، فوالله إن وطأ لكم هذا الأمر الذي أصبحتم فيه غرة فقال عمر: أتحب أن يدخلك الله مدخلك الحجاج؟ قال: إي والله، إني لأحب أن يدخلني الله مدخله ولا يدخلني مدخلك. فقال عمر: آمنوا، اللهم أدخله مدخل الحجاج. كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة: بلغني أنك تستن بسنن الحجاج، فلا تستن بسنته، فإنه كان يصلي الصلاة لغير وقتها، ويأخذ الزكاة من غير حقها، وكان لما سوى ذلك أضيع.قال مالك بن دينار: كنا إذا صلينا خلف الحجاج فإنا نلتفت ما بقي علينا من الشمس؟ فيقول: إلام تلتفتون أعمى الله أبصاركم! أنا لا أسجد لشمس ولا لقمر ولا لحجر ولا لوثن.

مراجع: مسند أحمد/ البداية والنهاية/ صحيح البخاري/ صحيح مسلم/ العقد الفريد/ الثقات لابن حبان/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ الوافي بالوفيات/ أنساب الأشراف/ مختصر تاريخ دمشق/ المحن

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس وسادس ملوك الدولة الأموية) وابن الفجاءة [035]

روي أن الحجاج أخذ أخو قطري بن الفجاءة [1] فقال: لأقتلنك، فقال: لم ذلك قال: لخروج أخيك، قال: فإن معي كتاب أمير المؤمنين أن لا تأخذني بذنب أخي، قال: هاته، قال: فمعي ما هو أوكد منه، قال: ما هو قال: كتاب الله عز وجل، حيث يقول:﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام]، فعجب منه وخلى سبيله. وقطري كتب الحجاج إليه كتابا يتهدده ، فأجابه قطري : أما بعد، فالحمد لله الذي لو شاء لجمع شخصينا ؛ فعلمت أن مثاقفة الرجال أقوم من تسطير المقال ، والسلام .

جاء رجل [2] إلى الحجاج فقال: إن أخي خرج مع ابن الأشعث [3] فضرب على اسمي في الديوان ومنعت العطاء وقد هدمت داري، فقال الحجاج، أما سمعت قول الشاعر: حنانيك من تجني عليك وقد ... تعدى الصحاح مبارك الجرب ... ولرب مأخوذ بذنب قريبه ... ونجا المقارف صاحب الذنب؟. فقال الرجل: أيها الأمير! إني سمعت الله يقول غير هذا، وقول الله أصدق من هذا، قال: وما قال؟ قال:﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (78) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾ [يوسف] قال: يا غلام [4] أعد اسمه في الديوان وابن داره، وأعطه عطاءه، ومر مناديا ينادي: صدق الله وكذب الشاعر.

أتي الحجاج بأسرى من الخوارج، فأمر بضرب أعناقهم، فقدم فيهم شاب، فقال له: والله يا حجاج لئن كنا أسأنا في الذنب، فما أحسنت في العقوبة، قال: أف لهذه الجيف، أما كان فيهم من يقول مثل هذا، وأمسك عن القتل.

وأتي الحجاج بأسرى، فأمر بقتلهم، فقال له رجل منهم: لا جزاك الله يا حجاج عن السنة خيراً، فإن الله يقول:﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد] فهذا قول الله تعالى في كتابه، وقول شاعركم فيما وصف به قومه من مكارم الأخلاق: وما نقتل الأسرى ولكن نفكهم ... إذا أثقل الأعناق حمل القلائد. فقال الحجاج: ويحكم أعجزتم أن تخبروني ما أخبرني هذا المنافق، وأمسك عمن بقي.

---

(1) أخوه جرموز بن الفجاءة ، كان على السنة، وكان يقاتل أخاه..؟..وأما قطري بن الفجاءة، فكنيته أبو نعامة، واسمه جعونة ابن مازن بن يزيد الكناني المازني التميمي، رأس الأزارقة (الخوارج) خرج زمن ابن الزبير وهزم الجيوش واستفحل بلاؤه. جهز إليه الحجاج جيشا بعد جيش، فكسرهم، وغلب على بلاد فارس، وله وقائع مشهودة، وشجاعة ولم يسمع بمثلها، وشعر فصيح. بقي قطري يحارب نيف 10 سنة، ويسلم عليه بالخلافة. استوفى المبرد في (كامله) أخباره إلى أن سار لحربه سفيان بن الأبرد الكلبي، فانتصر عليه، وقتله. وقيل: عثر به الفرس، فانكسرت فخذه بطبرستان، فظفروا به، وحمل رأسه سنة 79 هـ إلى الحجاج.

(3) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي أمير سجستان، من أهل الكوفة، ظفر به الحجاج وقتله وطيف برأسه بعد هزيمته في دير الجماجم سنة 83 هـ

(4) في رواية، الغلام هو: أبو العلاء يزيد بن مسلم دينار الثقفي، مولاهم، كان مولى الحجاج بن يوسف الثقفي وكاتبه.

(2) سليك بن سلكة ؟.. جاء في كتاب جهرة خطب العرب والعقد الفريد: دخل على الحجاج سليك بن سلكة..؟ .(أما سليك الفزاري له إدراك وشهد وقعة جلولاء. والسليك بن سلكة التميمي فهو أحد صعاليك العرب المشهورين مات في الجاهلية).

أورد أبو داود حديث أبي سعيد الخدري في الخوارج أنه قال:﴿تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَقْتُلُهُمْ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ﴾ والمقصود من ذلك الخوارج الذين خرجوا بعدما حصل التحكيم وانحازوا في مكان يقال له: حروراء، وحصل منهم ما حصل، وقاتلهم علي رضي الله عنه وأرضاه، قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: (تقتلهم أولى الطائفتين بالحق)، وهذا يدلنا على أن عليا رضي الله عنه أولى من غيره. وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنهم المذكورون في قوله تعالى:﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف]

عن أبي سعيد الخدري قال:﴿بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! اعْدِلْ. قَالَ: وَيْلَكَ فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ. فَقَالَ عُمَرُ: ائْذَنْ لِي أَنْ أَضْرِبَ عُنُقَهُ. قَالَ: دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ، إِلَى رُصَافِهِ إِلَى نَضِيِّهِ وَهُوَ قِدْحُهُ، إِلَى قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى خَيْرِ فِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ﴾ قال أبو سعيد: أشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس، فأتي به، نظرت إليه على نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي نعته. وفي رواية:﴿أَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، نَاتِئُ الْجَبْهَةِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اتَّقِ اللهَ. فَقَالَ: فَمَنْ يُطِعِ اللهَ إِذَا عَصَيْتُهُ! فَيَأْمَنُنِي اللهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي. فَسَأَلَ رَجُلٌ قَتْلَهُ، فَمَنَعَهُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَيَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ﴾.

عن عبد الرحمن بن أبي نعم، قال: سمعت أبا سعيد الخدري، يقول: ﴿بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْيَمَنِ، بِذَهَبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ، وَالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، وَزَيْدِ الْخَيْلِ، وَالرَّابِعُ إِمَّا عَلْقَمَةُ بْنُ عُلَاثَةَ، وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَلَا تَأْمَنُونِي؟ وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاشِزُ الْجَبْهَةِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الْإِزَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اتَّقِ اللهَ، فَقَالَ: وَيْلَكَ أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ. قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: لَا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي. قَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ، وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ. قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٍّ، فَقَالَ: إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، رَطْبًا لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ. قَالَ: أَظُنُّهُ قَالَ: لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ﴾ وعن أبي سلمة، وعطاء بن يسار، أنهما أتيا أبا سعيد الخدري، فسألاه عن الحرورية، هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها قال: لا أدري من الحرورية، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول:﴿يَخْرُجُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ – وَلَمْ يَقُلْ: مِنْهَا – قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، فَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ – أَوْ حَنَاجِرَهُمْ – يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَيَنْظُرُ الرَّامِي إِلَى سَهْمِهِ إِلَى نَصْلِهِ إِلَى رِصَافِهِ، فَيَتَمَارَى فِي الْفُوقَةِ، هَلْ عَلِقَ بِهَا مِنَ الدَّمِ شَيْءٌ﴾ وعن أبي سعيد:﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ قَوْمًا يَكُونُونَ فِي أُمَّتِهِ، يَخْرُجُونَ فِي فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ، سِيمَاهُمُ التَّحَالُقُ قَالَ: هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ – أَوْ مِنْ أَشَرِّ الْخَلْقِ – يَقْتُلُهُمْ أَدْنَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ. قَالَ: فَضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ مَثَلًا، أَوْ قَالَ قَوْلًا الرَّجُلُ يَرْمِي الرَّمِيَّةَ – أَوْ قَالَ الْغَرَضَ – فَيَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلَا يَرَى بَصِيرَةً، وَيَنْظُرُ فِي النِّضِيِّ فَلَا يَرَى بَصِيرَةً، وَيَنْظُرُ فِي الْفُوقِ فَلَا يَرَى بَصِيرَةً. قَالَ: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَأَنْتُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ، يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ﴾.

قال ابن سعد: بويع علي بالخلافة الغد من قتل عثمان بالمدينة فبايعه جميع من كان بها من الصحابة رضي الله عنهم وقال: إن طلحة والزبير بايعا كارهين غير طائعين، ثم خرجا إلى مكة وعائشة رضي الله عنها بها، فأخذاها وخرجا بها إلى البصرة يطلبون بدم عثمان، وبلغ ذلك عليا فخرج إلى العراق، فلقي بالبصرة طلحة والزبير وعائشة ومن معهم، وهي وقعة الجمل، وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وقتل بها طلحة والزبير وغيرهما وبلغت القتلى ثلاثة عشر ألفا، وأقام علي بالبصرة خمس عشرة ليلة، ثم انصرف إلى الكوفة، ثم خرج عليه معاوية بن أبي سفيان ومن معه بالشام، فبلغ عليا فسار إليه، فالتقوا بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين، ودام القتال بها أياما، فرفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها، مكيدة من عمرو بن العاص، فكره الناس الحرب، وتداعوا إلى الصلح، وحكموا الحكمين، فحكم علي أبا موسى الأشعري، وحكم معاوية عمرو بن العاص، وكتبوا بينهم كتابا على أن يوافوا رأس الحول بأذرح، فينظروا في أمر الأمة فافترق الناس، ورجع معاوية إلى الشام، وعلي إلى الكوفة، فخرجت عليه الخوارج من أصحابه ومن كان معه وقالوا: لا حكم إلا لله، وعسكروا بحروراء، فبعث إليهم ابن عباس، فخاصمهم وحجهم، فرجع منهم قوم كثير، وثبت قوم، وساروا إلى النهروان، فعرضوا للسبيل، فسار إليهم علي فقتلهم بالنهروان، وقتل منهم ذا الثدية، ذلك سنة ثمان وثلاثين، اجتمع الناس بأذرح في شعبان من هذه السنة، وحضرها سعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة فقدم عمرو أبا موسى الأشعري مكيدة منه، فتكلم فخلع عليا، وتكلم عمرو فأقر معاوية، وبايع له، فتفرق الناس على هذا، وصار علي في خلاف مع أصحابه حتى صار بعض علي أصبعه ويقول: أعصي ويطاع معاوية؟

وانتدب ثلاثة نفر من الخوارج: عبد الرحمن بن ملجم المرادي، والبرك بن عبد الله التميمي، وعمرو بن بكير التميمي، فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة: علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، ويريحوا العباد منهم، فقال ابن ملجم: أنا لكم بعلي، وقال البرك: أنا لكم بمعاوية، وقال عمرو بن بكير: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، وتعاهدوا على أن ذلك يكون في ليلة واحدة ليلة حادي عشر أو ليلة سابع عشر رمضان، ثم توجه كل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه، فقدم ابن ملجم الكوفة، فلقي أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريدون إلى ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين، فاستيقظ علي سحرا، فقال لابنه الحسن، رأيت الليلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأود واللدد؟ فقال لي: ادع الله عليهم، فقلت: اللهم أبدلني بهم خيرا لي منهم، وأبدلهم بي شرا لهم مني، ودخل ابن الذباح المؤذن على علي، فقال: الصلاة، فخرج علي من الباب ينادي: أيها الناس الصلاة الصلاة، فاعترضه ابن ملجم، فضربه بالسيف، فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه، فشد عليه الناس من كل جانب، فأمسك وأوثق، وأقام علي الجمعة والسبت، وتوفي ليلة الأحد وغسله الحسن والحسين، وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن، ودفن بدار الإمارة بالكوفة ليلا، ثم قطعت أطراف ابن ملجم، وجعل في قوصرة وأحرقوه بالنار. وهذا كله كلام ابن سعد، وقد أحسن في تلخيصه هذه الوقائع، ولم يوسع فيها الكلام كما صنع غيره؛ لأن هذا هو اللائق بهذا المقام، قال صلى الله عليه وسلم: إذا ذكر أصحابي فأمسكوا. وقال: بحسب أصحابي القتل.وفي المستدرك عن السدي، قال: كان عبد الرحمن بن ملجم المرادي عشق امرأة من الخوارج يقال لها: قطام، فنكحها وأصدقها ثلاثة آلاف درهم،وقتل علي.

مراجع: سراج الملوك/ الجامع الصحيح للسنن والمسانيد/ صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ البداية والنهاية/ تاريخ الخلفاء للسيوطي/ سير أعلام النبلاء/ زهر الآداب وثمر الألباب/ البرصان والعرجان

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس وسادس ملوك الدولة الأموية) والراعي[036]

قال بن أبي العروبة: [1] حج الحجاج فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة ودعى بالغداء، وقال لحاجبه: انظر من يتغدى معي واسأله عن بعض الأمر. فنظر نحو الجبل فإذا هو براع بين شملتين نائم فضربه برجله وقال له: ائت الأمير ! فأتاه. فقال له الحجاج: اغسل يديك وتغد معي. فقال: دعاني من هو خير منك فأجبته. فقال: من هو؟ قال: الله تعالى دعاني إلى الصيام فصمت. قال: في هذا الحر الشديد؟ قال: نعم صمت ليوم هو أشد حراً منه! قال: فافطر وصم غداً. قال: إن ضمنت لي البقاء إلى غد. قال: ليس ذلك إلي. قال: فكيف تسألني عاجلاً بآجل لا تقدر عليه؟ قال: لأنه طعام طيب. قال: لم تطيبه أنت ولا الطباخ ولكن طيبته العافية!

روي أن روح بن زنباع [2] ،صاحب الشرطة أيام الملك الأموي عبد الملك بن مروان، كان في طريق مكة في يوم شديد الحر مع أصحابه، فنزلوا وضربت لهم الخيام والظلال، وقدم إليهم الطعام والشراب المبرد. فبينما هم كذلك وإذا هم براع، فدعاه إلى الطعام. فأبى وقال: إني صائم! فقال له روح: في مثل هذا اليوم الحار؟ قال: أفأدع أيامي تذهب باطلاً؟ فقال له روح: لقد ضننت بأيامك يا راعي إذ جاد بها روح بن زنباع.

قال الشيباني: خرج الحجاج متصيدا بالمدينة، فوقف على أعرابي يرعى إبلا له، فقال له: يا أعرابي، كيف رأيت سيرة أميركم الحجاج؟ قال له الأعرابي: غشوم ظلوم! لا حياه الله! فقال: فلم لا شكوتموه إلى أمير المؤمنين عبد الملك؟ قال: فأظلم وأغشم! فبينا هو كذلك إذ أحاطت به الخيل، فأومأ الحجاج إلى الأعرابي، فأخذ وحمل؛ فلما صار معه قال: من هذا؟ قالوا له: الحجاج! فحرك دابته حتى صار بالقرب منه، ثم ناداه: يا حجاج! قال: ما تشاء يا أعرابي؟ قال: السر الذي بيني وبينك أحب أن يكون مكتوما! قال: فضحك الحجاج وأمر بتخلية سبيله. وحكى أبو الحسن بن هلال الصابي أن الحجاج انفرد يوما من عسكره فمر ببستاني يسقي ضيعته. فقال كيف حالكم مع الحجاج؟ فقال: لعنه الله المبيد البر الحقود عجل الله الانتقام منه. فقال له: أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا الحجاج. فرأى أن دمه قد طاح فرفع عصا كانت معه فقال: أتعرفني؟ قال لا. قال: أنا أبو ثور المجنون وهذا يوم صرعي وأزبد وأرغى وهاج وأراد أن يضرب رأسه بالعصى فضحك منه وانصرف.

وكان الحجاج كثيرا ما يسأل القراء، فدخل عليه يوما رجل فقال له: ما قبل قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ فقال: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر]، قال: فما سأل أحدا بعدها.

---

(1) سعيد بن أبي عروبة مهران، مولى بني عدي، عالم البصرة، أبو النضر العدوي الحافظ. ولد في حياة أنس بن مالك، وروى عن الحسن، وابن سيرين قليلا، وعن قتادة فأكثر، والنضر بن أنس، وعبد الله الداناج، وأبي رجاء العطاردي، ومطر الوراق، وأبي نضرة العبدي، وطائفة سواهم. وعنه: سفيان، وشعبة، ويزيد بن زريع، وبشر بن المفضل، وابن علية، وخالد بن الحارث، والنضر بن شميل، ويحيى القطان، وغندر، وسعيد بن عامر الضبعي، والأنصاري، وأبو عاصم، وروح بن عبادة، وعبد الوهاب بن عطاء، وخلق كثير. توفي سنة 156 هـ أو 157 هـ.

(2) روح بن زنباع، أبو زرعة الجذامي الفلسطيني، ويقال: أبو زنباع، حدث عن أبيه، وتميم الداري، وعبادة بن الصامت، وكعب الأحبار، وغيرهم. وعنه ابنه روح بن روح، وشرحبيل بن مسلم، ويحيى الشيباني، وعبادة بن نسي، وجماعة. وكان ذا اختصاص بعبد الملك، لا يكاد يغيب عنه، وهو كالوزير له. ولأبيه زنباع بن روح بن سلامة صحبة، وكان لروح دار بدمشق في طرف البزوريين، أمره يزيد على جند فلسطين، وشهد يوم راهط مع مروان. وقال مسلم: له صحبة. ولم يتابع مسلما أحد. وروى ضمرة، عن عبد الحميد بن عبد الله قال: كان روح بن زنباع إذا خرج من الحمام أعتق رقبة. قال ابن زبر: مات سنة 84 هـ.

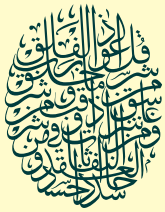

عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ، يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ﴾ وعن ابن عباس، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الصِّحَّةَ وَالْفَرَاغَ، نِعْمَتَانِ مِنْ نِعَمِ اللهِ، مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ قيل لسفيان : إنما أنت أيام معدودة فإذا ذهب يوم ذهب بعضك ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم فاعمل. وعن عمرو بن ميمون، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه:﴿اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ﴾ وعن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ؟﴾ وعن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَأَيْنَ وَضَعَهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ، مَا عَمِلَ فِيهِ؟﴾.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ الْجَسَدِ الصَّوْمُ ﴾ وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَا يَصُومُ عَبْدٌ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ النَّارَ عَنْ وَجْهِهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا﴾ وعن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ وحدث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا عَبْدَ اللهِ أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ؛ صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، لَا صَامَ مَنْ صَامَ الدَّهْرَ، صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ صُمْ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ، صَوْمَ دَاوُدَ صِيَامُ يَوْمٍ وَإِفْطَارُ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً، وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ﴾ وعن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ﴾ وعن أبي هريرة قال: ﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَصُومُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ تَصُومُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَقَالَ: إِنَّ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ يَغْفِرُ اللهُ فِيهِمَا لِكُلِّ مُسْلِمٍ إِلَّا ذَا هَاجِرَيْنِ، يَقُولُ: دَعْهُمَا حَتَّى يَصْطَلِحَا﴾ وعن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَصُمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ﴾ وعن ابن عباس قال: ﴿كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُفْطِرُ أَيَّامَ الْبِيضِ فِي حَضَرٍ وَلَا سَفَرٍ﴾ أي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، لأنها المقمرات من أوائلها إلى أواخرها. وعن ابن عباس: ﴿أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَامًا يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟ فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ أَنْجَى اللهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا، فَنَحْنُ نَصُومُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ، فَصَامَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ﴾ وعن حفصة قالت:﴿أَرْبَعٌ لَمْ يَكُنْ يَدَعُهُنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صِيَامُ عَاشُورَاءَ وَالْعَشْرِ، وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَانِ قَبْلَ الْفَجْرِ﴾ وعن أم هانيء قالت: ﴿لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ فَتْحِ مَكَّةَ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَجَلَسَتْ عَلَى يَسَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمُّ هَانِيءٍ عَنْ يَمِينِهِ، فَجَاءَتِ الْوَلِيدَةُ بِإِنَاءٍ فِيهِ شَرَابٌ فَنَاوَلَتْهُ فَشَرِبَ مِنْهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ أُمَّ هَانِيءٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ أَفْطَرْتُ وَكُنْتُ صَائِمَةً، فَقَالَ لَهَا: أَكُنْتِ تَقْضِينَ شَيْئًا؟ قَالَتْ: لَا. قَالَ: فَلَا يَضُرُّكِ إِنْ كَانَ تَطَوُّعًا –وفي رواية–: فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَمَا إِنِّي كُنْتُ صَائِمَةً، فَقَالَ:الصَّائِمُ الْمُتَطَوِّعُ أَمِيرُ نَفْسِهِ، إِنْ شَاءَ صَامَ وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ﴾ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَخْتَصُّوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلَا تَخُصُّوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الْأَيَّامِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ﴾ عن أبي لبابة البدري بن عبد المنذر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿سَيِّدُ الْأَيَّامِ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَأَعْظَمُهَا عِنْدَهُ، وَأَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يَوْمِ الْفِطْرِ، وَيَوْمِ الْأَضْحَى، وَفِيهِ خَمْسُ خِلَالٍ: خَلَقَ اللهُ فِيهِ آدَمَ، وَأَهْبَطَ اللهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ، وَفِيهِ تَوَفَّى اللهُ آدَمَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ الْعَبْدُ فِيهَا شَيْئًا، إِلَّا آتَاهُ اللهُ إِيَّاهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا سَمَاءٍ، وَلَا أَرْضٍ، وَلَا رِيَاحٍ، وَلَا جِبَالٍ، وَلَا بَحْرٍ، إِلَّا هُنَّ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَصُومُ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا أَنْ يَصُومَ قَبْلَهُ أَوْ يَصُومَ بَعْدَهُ﴾ وعن أبي أيوب قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ﴾ وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا صَوْمَ فِي يَوْمَيْنِ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى﴾ عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَصَلَاةٍ فَلَا يَصُومَنَّهَا أَحَدٌ﴾ وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَلْيُطْعَمْ عَنْهُ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينٌ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صَوْمٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ﴾.

مراجع: سنن أبي داود/ مسند أحمد/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ كنز العمال/ البداية والنهاية/ وفيات الأعيان/ حدائق الأزاهر/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ العقد الفريد/ وفيات الأعيان

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس وسادس ملوك الدولة الأموية) ورجل من أهل اليمن[037]

قال بشر بن السري: بينما الحجاج جالساً في الحجر إذ دخل رجل من أهل اليمن فجعل يطوف فوكل به بعض من معه قال: إذا خرج من طوافه فائتني به، فلما فرغ أتاه به فقال:ممن أنت؟ فقال: من أهل اليمن.قال: كيف تركت محمد بن يوسف [1]؟ قال: لقد تركته أبيض بضاً سميناً طويلاً عريضاً! قال: ويلك، ليس عن هذا أسألك! قال: فعمه؟ قال: عن سيرته وطعمته. قال: فأجور السيرة وأخبث الطعم، وأعدى العداة على الله وأحكامه. قال: فغضب الحجاج وقال: ويلك أوما علمت أنه أخي؟ قال: بلى. قال: إذن أفتك بك. قال: أما علمت أن الله ربي والله لهو أمنع لي منك أكثر منك لأخيك. قال: أجل أرسله يا غلام. وأخو الحجاج هو محمد بن يوسف الثقفي، كان أمير اليمن. قيل: إنه كان ظلوما غشوما. وقد نقل عن عمر بن عبد العزيز قوله أثناء خلافة الوليد بن عبد الملك: الوليد بالشام والحجاج بالعراق، ومحمد بن يوسف باليمن، وعثمان بن حيان [2]بالحجاز، وقرة بن شريك [3]بمصر، امتلأت والله الأرض جورا. عن ابن شوذب قال: كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد [4] (وكان لعابا متنعما) : إن أظلم مني وأخون من ولى عبد ثقيف خمس الخمس، يحكم في دمائهم وأموالهم - يعني يزيد بن أبي مسلم - وأظلم مني وأجور من ولى عثمان بن حيان الحجاز ينطق بأشعار على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأظلم مني وأخون من ولى قرة بن شريك مصر، أعرابي جلف جاف، أظهر فيها المعازف.

قال المروذي سمعت الوليد بن شجاع قال: حدثني بعض أشياخنا، قال: قال طاووس: [5] بينا أنا في الحجر دخل علي الحجاج، ومر رجل عليه هيئة السفر فدعاه، فقال: من أين قدمت؟ قال: من اليمن، قال: كيف تركت محمد بن يوسف؟ قال: كما يسرك عظيما سمينا، قال: لست عن ذا أسألك، كيف سيرته؟ قال: تركته ظلوما غشوما، قال: أما علمت أنه أخي، قال: أفترى أخاك منك أعز مني بالله، قال: فسلم منه. قال طاووس: فما شهدت مشهدا كان أعجب إلي منه.

➔ (5) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري، لأسرة من الموالي، وقيل اسمه ذكوان، وطاووس لقبه، وقد فسرّ يحيى بن معين سبب تسميته تلك قائلاً: إنما لقب به لأنه كان طاووس القراء. أحد الأئمة الأعلام، قال ابن حبان: كان من عباد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، أدرك خمسين صحابيا وكان كاملا في الفقه والتفسير. روى عن أبي هريرة، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وجابر، وابن مسعود، وابن عباس، وعائشة، وطائفة وروى عنه ابنه عبد الله (ابن طاووس)، ومجاهد، والزهري، وعمرو بن دينار، وسليمان التيمي، وخلق.
واكثر روايته عن ابن عباس. قال سفيان قلت لعبيد الله بن ابي يزيد مع من كنت تدخل على ابن عباس قال مع عطاء والعامة وكان طاووس يدخل مع الخاصة. وكان مجاب الدعوة حج أربعين حجة وتوفي حاجا بمكة قبل التروية بيوم سنة 106 هـ وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة وصل عليه الخليفة هشام ابن عبد الملك وكان قد حج في تلك السنة.

➔ (2) عثمان بن حيان بن معبد بن شداد بن نعمان بن رياح بن أسعد بن ربيعة.مولى أم الدرداء أو عتبة بن أبي سفيان. ويلقب بأبي المغراء الدمشقي، حدث عن: أم الدرداء. وعنه: هشام بن سعد، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر. ولاه الوليد بن عبد الملك على المدينة، بعد أن عزل عمر بن عبد العزيز عنها، وذلك برأي من الحجاج..وكان ظلوما عسافا جائرا. [الوفاة: 101 ـ 110 هـ]

➔ (4) عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم. كان لعابا متنعما، وكان يقال له فحل بني مروان؛ لأنه كان يركب معه ستون ابنا لصلبه.وولي الأردن في خلافة أبيه.. [الوفاة:101 - 110 هـ]

➔ (3) قرة بن شريك، القيسي القنسريني، ولاه الوليد بن عبد الملك مصر وكان سيء السيرة. هلاك في حياة الوليد سنة 96 هـ

➔ (1) محمد بن يوسف الثقفي أخو الحجاج. كان أمير اليمن، قيل إنه كان ظلوما غشوما. مات باليمن في رجب سنة 91 هـ.

عن ابن عباس:﴿أَنَّ رَجُلَيْنِ صَلَّيَا صَلَاةَ الظُّهْرِ أَوِ الْعَصْرِ، وَكَانَا صَائِمَيْنِ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ قَالَ: أَعِيدَا وُضُوءَكُمَا وَصَلَاتَكُمَا، وَامْضِيَا فِي صَوْمِكُمَا، وَاقْضِيَاهُ يَوْمًا آخَرَ. فَالَا: لِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: اغْتَبْتُمْ فُلَانًا﴾ وعن أبي سعيد، وجابر، قالا: ﴿قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْغِيبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ الْغِيبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا؟ قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَزْنِي فَيَتُوبُ، فَيَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِ -وفي رواية-: فَيَتُوبُ فَيَغْفِرُ اللهُ لَهُ، وَإِنَّ صَاحِبَ الْغِيبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفِرَهَا لَهُ صَاحِبُهُ﴾ وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّ مِنْ كَفَّارَةِ الْغِيبَةِ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمَنِ اغْتَبْتَهُ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُ﴾وعن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ. قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ -وفي رواية-: إِذَا قُلْتَ لِأَخِيكَ مَا فِيهِ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِذَا قُلْتَ مَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ﴾ (بهته) يقال بهته قلت فيه البهتان وهو الباطل والغيبة ذكر الإنسان في غيبته بما يكره وأصل البهت أن يقال له الباطل في وجهه وهما حرامان. قال النووي اعلم أن الغيبة من أقبح القبائح، وأكثرها انتشارا بين الناس حتى لا يسلم منها إلا القليل من الناس، وذكرك فيه بما يكرهه عام، سواء كان في بدنه أو دينه أو دنياه أو نفسه أو خلقه أو ماله أو ولده أو والده أو زوجه أو خادمه أو ثوبه أو مشيه وحركته وبشاشته وعبوسته وطلاقته، أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرته بلفظك أو كتابك، أو رمزت أو أشرت إليه بعينك أو يدك أو رأسك ونحو ذلك، وضابطه أن كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو غيبة محرمة، ومن ذلك المحاكاة بأن يمشي متعارجا أو مطأطئا، أو على غير ذلك من الهيئات مريدا حكاية هيئة من ينقصه بذلك. (فقد اغتبته) أي لا معنى للغيبة إلا هذا، وهو أن تكون المنقصة فيه (وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته) أي قلت عليه البهتان وهو كذب عظيم يبهت فيه من يقال في حقه.

والغيبة تباح لغرض شرعي وذلك لستة أسباب :

1. أحدها التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه فيقول ظلمني فلان أو فعل بي كذا.
2. الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك.
3. الثالث الاستفتاء بأن يقول للمفتي ظلمني فلان أو أبي أو أخي أو زوجي بكذا فهل له ذلك وما طريقي في الخلاص منه ودفع ظلمه عني ونحو ذلك فهذا جائز للحاجة والأجود أن يقول في رجل أو زوج أو والد وولد كان من أمره كذا ومع ذلك فالتعيين جائز لحديث هند وقولها إن أبا سفيان رجل شحيح.
4. الرابع تحذير المسلمين من الشر وذلك من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين وذلك جائز بالإجماع بل واجب صونا للشريعة ومنها الإخبار بعيبه عند المشاورة في مواصلته ومنها إذا رأيت من يشتري شيئا معيبا أو عبدا سارقا أو زانيا أو نحو ذلك تذكره للمشتري إذا لم يعلمه نصيحة لا بقصد الإيذاء والإفساد ومنها إذا رأيت متفقها يتردد إلى فاسق أو مبتدع يأخذ عنه علما وخفت عليه ضرره فعليك نصيحته ببيان حاله قاصدا النصيحة ومنها أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها لعدم أهليته أو لفسقه فيذكره لمن له عليه ولاية ليستدل به على حاله فلا يغتر به ويلزم الاستقامة.
5. الخامس أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالخمر ومصادرة الناس وجباية المكوس وتولي الأمور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر به ولا يجوز بغيره إلا بسبب آخر.
6. السادس التعريف فإذا كان معروفا بلقب كالأعمش والأعرج والأزرق والقصير والأعمى والأقطع ونحوها جاز تعريفه به ويحرم ذكره به تنقصا ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى والله أعلم.

عن أبي ذر، قال:﴿قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْصِنِي. قَالَ: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ، فَإِنَّهُ أَزْيَنُ لِأَمْرِكَ كُلِّهِ قُلْتُ: زِدْنِي. قَالَ: عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ ذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ، وَنُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ. قُلْتُ: زِدْنِي. قَالَ: عَلَيْكَ بِطُولِ الصَّمْتِ، فَإِنَّهُ مَطْرَدَةٌ لِلشَّيْطَانِ وَعَوْنٌ لَكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ. قُلْتُ: زِدْنِي. قَالَ إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ، فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَذْهَبُ بِنُورِ الْوَجْهِ. قُلْتُ: زِدْنِي. قَالَ: قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا. قُلْتُ: زِدْنِي. قَالَ: لَا تَخَفْ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ. قُلْتُ: زِدْنِي. قَالَ: لِيَحْجُزْكَ عَنِ النَّاسِ مَا تَعْلَمُ مِنْ نَفْسِكَ﴾ (ليحجزك) أي ليمنعك (عن الناس) أي عيوبهم (ما تعلم من نفسك) أي من عيوبها، كما ورد عن أنس أخرجه الديلمي: ﴿طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ﴾ وعن مجمع بن يحيى يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿تَجَرَّوُا الصِّدْقَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ فَإِنَّ فِيهِ النَّجَاةَ، وَاجْتَنِبُوا الْكَذِبَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ النَّجَاةَ فَإِنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ﴾ قال الجاحظ: الصدق والوفاء توأمان والصبر والحلم توأمان فهن تمام كل دين وصلاح كل دنيا وأضدادهن سبب كل فرقة وأصل كل فساد، قال الماوردي وقد يظن بعض الناس أن في الكذب اجتلاب النفع واستدفاع الضر فيرى أن الكذب أسلم وأغنم فرخص لنفسه فيه اغترارا بالخدع واستشفاقا للطمع وربما كان الكذب أبعد لما يؤمن وأقرب لما يخاف لأن القبيح لا يكون حسنا والشر لا يكون خيرا وهل يجنى من الشوك العنب ومن الكرم الحنظل. عن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ﴾ (يطبع المؤمن) بصيغة المفعول أي يخلق ويجبل (على الخلال) أي الخصال زنة ومعنى (كلها) أي جميع الأخلاق الذميمة؛ لأن الكلام فيها أو الأعم منها (إلا الخيانة والكذب) بنصبهما أي غيرهما، فإن المؤمن يخلق ويجبل على الصدقة والأمانة، كما هو مقتضى التصديق والإيمان، ولذا قال الله تعالى بصيغة الحصر: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل] أي الكاملون في الكذب أو المجبولون عليه. وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ﴾ على ما رواه أحمد والبيهقي عن أنس، فما يصدر عن المؤمن من الكذب والخيانة، فهو من الأمور العارضة لطبيعته لا من أصل خلقته وجبلته، ويمكن أن يراد به المبالغة في نفي المؤمن عنها. قال في النهاية قوله: يطبع عليها أي يخلق، والطباع ما ركب في الإنسان من جميع الأخلاق التي لا يكاد يزايلها من الخير والشر. قال الطيبي: وإنما كانت الخيانة والكذب منافيين بحاله، فإن الإيمان أفعال من الأمن، وحقيقته أمنه التكذيب والمخالفة؛ ولأنه حامل أمانة الله تعالى، فينبغي أن يكون أمينا لا خائنا. وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه سلم: ﴿عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا -وفي رواية قال-: إِنَّ الصِّدْقَ بِرٌّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ. وَإِنَّ الْكَذِبَ فُجُورٌ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ﴾.

مراجع: سراج الملوك / مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح / صحيح مسلم/ شرح النووي على مسلم/ أخبار الشيوخ وأخلاقهم/ تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس وسادس ملوك الدولة الأموية) ويحيى بن يعمر النحوي [038]

حكى عاصم بن أبي النجود المقرئ أن الحجاج بن يوسف الثقفي بلغه أن يحيى بن يعمر[1] يقول: إن الحسن والحسين رضي الله عنهما من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يحيى يومئذ بخراسان، فكتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم[2] والي خراسان أن ابعث إلي يحيى بن يعمر، فبعث إليه، فقام بين يديه، فقال: أنت الذي تزعم أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لألقين الأكثر منك شعراً أو لتخرجن من ذلك، قال: فهو أماني إن خرجت قال: نعم، فإن الله جل ثناؤه يقول: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنعام] قال: وما بين عيسى وإبراهيم أكثر مما بين الحسن والحسين ومحمد صلوات الله عليه وسلامه، فقال له الحجاج: ما أراك إلا قد خرجت، والله لقد قرأتها وما علمت بها قط. وهذا من الاستنباطات البديعة الغريبة العجيبة، فلله دره، ما أحسن ما استخرج وأدق ما استنبط! قال عاصم: ثم إن الحجاج قال له: أين ولدت فقال: بالبصرة، قال: أين نشأت، قال: بخراسان، قال: فهذه العربية أنى هي لك. قال: رزق، قال: فخبرني عني هل ألحن؟. فسكت، فقال: أفسمت عليك، فقال: أما إذ سألتني أيها الأمير فإنك ترفع ما يوضع وتضع ما يرفع، فقال: ذلك والله اللحن السيئ؛ قال: ثم كتب إلى قتيبة: إذا جاءك كتابي هذا فاجعل يحيى بن يعمر على قضائك والسلام.

روى ابن سلام عن يونس بن حبيب قال: قال الحجاج ليحيى بن يعمر أتسمعني ألحن؟ قال: في حرف واحد، قال: في أي؟ قال: في القرآن، قال: ذلك أشنع، ثم قال: ما هو؟ قال تقول:﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ... إلى قوله: إِلَيْكُمْ﴾ [التوبة] فتقرؤها بالرفع، قال ابن سلام: كأنه لما طال الكلام نسي ما ابتدأ به، فقال الحجاج: لا جرم لا تسمع لي لحناً، قال يونس: فألحقه بخراسان وعليها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، والله أعلم أي ذلك كان.

قال ابن الجوزي في كتاب شذور العقود: في سنة 84 هـ نفى الحجاج يحيى ابن يعمر لأنه قال له: هل ألحن. فقال: تلحن لحناً خفياً، فقال: أجلتك ثلاثاً، فإن وجدتك بعد بأرض العراق قتلتك، فخرج.

حكى عثمان بن محصن قال: خطب أمير البصرة فقال: اتقوا الله فإنه من يتق الله فلا هورات عليه، فلم يدروا ما قال الأمير، فسألوا يحيى بن يعمر فقال: الهورات الضياع، يقول: من اتقى الله فليس عليه ضياع، قال القزاز في كتاب الجامع الهورات المهالك، واحدها هورة، قال الراوي: فحدثت بهذا الحديث الأصمعي فقال: هذا شيء لم أسمع به قط حتى كان الساعة منك، ثم قال: إن كلام العرب لواسع، لم أسمع بذا قط. وحكى الأصمعي قال: حدثنا أبي قال: كتب يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وهو بخراسان إلى الحجاج بن يوسف كتاباً يقول فيه: إنا لقينا العدو فاضطررناهم إلى عرعرة الجبل، ونحن بالحضيض، فقال الحجاج: ما لابن المهلب ولهذا الكلام فقيل له: إن ابن يعمر عنده، فقال: فذاك إذا. وكان يحيى بن يعمر يعمل الشعر وهو القائل: أبى الأقوام إلا بغض قومي ... قديماً أبغض الناس السمينا. وقال خالد الحذاء: كان لابن سيرين منقوط نقطه يحيى بن يعمر، وكان ينطق بالعربية المحضة واللغة الفصحى طبيعة فيه غير متكلف؛ وأخباره ونوادره كثيرة.قال الذهبي: روى يحيى بن يحيى الغساني أن روح بن زنباع دخل على عبد الملك بن مروان – وكان وزيره –؛ فوجده مهموما؛ فقال: ما بال أمير المؤمنين؟ ! قال: فكرت فيمن أولي الخلافة بعدي – وكان الوليد حاضرا –؛ فقال روح: أين أنت عن ريحانة قريش وسيدها الوليد. قال : الوليد لا يتكلم بكلام العرب؛ فسمع ذلك الوليد؛ فقام من وقته وجمع أصحاب النحو، وطين عليه الباب ستة أشهر، ثم خرج أجهل مما دخل.قيل: كان أبواه يرفهانه؛ فنشأ بلا أدب. وكان إذا مشى يتبختر في مشيته. عن أبي الزناد قال: سمعت الوليد وهو على منبر النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يا أهل المدينة – بالضم – وكان الوليد جبارا متعاظما، إلا أنه كان فيه محاسن، منها: الكرم، والنهي عن محارم الله تعالى.

---

(1) أبو سليمان، وقيل أبو سعيد، يحيى بن يعمر العدواني الوشقي النحوي البصري؛ كان تابعياً، لقي عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، ولقي غيرهما، وروى عنه قتادة بن دعامة السدوسي وإسحاق بن سويد العدوي. وهو أحد قراء البصرة، وعنه أخذ عبد الله بن أبي إسحاق القراءة، وانتقل إلى خراسان، وتولى القضاء بمرو، وكان عالماً بالقرآن الكريم والنحو ولغات العرب وأخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي، يقال إن أبا الأسود لما وضع باب الفاعل والمفعول به زاد فيه رجل من بني ليث أبواباً ثم نظر فإذا كلام العرب ما لا يدخل فيه فأقصر عنه، فيمكن أن يكون هو يحيى بن يعمر المذكور إذ كان عداده في بني ليث لأنه حليف لهم. ويقال أنه من نقط المصاحف. وكان شيعياً من الشيعة الأولى القائلين بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لذي فضل من غيرهم. توفي سنة 129 هـ.

(2) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة، أبو حفص الباهلي. ولد سنة 49 هـ أو 99 هـ. أمير خراسان كلها بعد إمرة الري، وهو الذي افتتح خوارزم وبخارى وسمرقند، وقد كانوا كفروا ونقضوا، ثم افتتح فرغانة والترك. وولي خراسان عشر سنين. وقد سمع، من: عمران بن حصين، وأبي سعيد الخدري. ولما مات الوليد بن عبد الملك نزع الطاعة، فلم يوافقه على ذلك أكثر الناس. وكان قتيبة قد عزل وكيع بن حسان بن قيس الغداني عن رياسة تميم، فحقد عليه، وسعى في تأليب الجند، ثم وثب على قتيبة في أحد عشر من أهله، فقتلوه وقتل أخوه أبو صالح، وكان أبوه مسلم بن عمرو من أصحاب مصعب بن الزبير ولي العراق من قبل أخيه أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، وقاتل معه في حربه ضد عبد الملك بن مروان سنة 72 هـ.

عن أبي هريرة، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا﴾ يعني حسنا وحسينا. وعن زيد بن أرقم، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال لفاطمة وحسن وحسين:﴿أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ، وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ﴾ وعن ابن أبي نعم، قال: كنت جالسا عند ابن عمر فأتاه رجل من أهل العراق (وسأله عن المحرم؟)، فقال ابن عمر: ها انظروا هذا يسألني عن دم البعوض وهم قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿هُمَا رَيْحَانَتِي مِنَ الدُّنْيَا﴾ وعن الحسن، سمع أبا بكرة قال، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ، على المنبر والحسن إلى جنبه، ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة، ويقول:﴿ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وعن أنس بن مالك، أتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين عليه السلام، فجعل في طست، فجعل ينكت، وقال في حسنه شيئا، فقال أنس:﴿كَانَ أَشْبَهَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ مَخْضُوبًا بِالوَسْمَةِ﴾ (ينكت) يضرب بقضيب على الأرض وينبش التراب به وقيل يجعل القضيب في عيني الرأس وأنفه فقال له زيد بن أرقم ارفع قضيبك فقد رأيت فم رسول الله صلى الله عليه وسلم في موضعه. (وقال في حسنه شيئا) روي أنه قال ما رأيت مثل هذا حسنا (أشبههم) أي أشبه أهل بيته به (وكان) الحسين رضي الله عنه (مخضوبا) مصبوغا (بالوسمة) نبت يميل إلى سواد يصبغ به. وعن أبي سعيد، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ﴾ وعن عاصم، عن زر، قال: كان الحسن والحسين يثبان على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلي، فجعل الناس ينحونهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿دَعُوهُمَا بِأَبِي هُمَا وَأُمِّي، مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ هَذَيْنِ﴾ وعن ابن عباس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين يقول:﴿أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ. وَيَقُولُ: هَكَذَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يُعَوِّذُ ابْنَيْهِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ وعن سالم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنِّي سَمَّيْتُ ابْنَيَّ هَذَيْنِ بِاسْمِ ابْنَيْ هَارُونَ شَبَرٌ وَشُبَيْرٌ﴾ وعن زهير بن الأقمر، قال: بينما الحسن بن علي يخطب إذ قام رجل من الأزد آدم طوال فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعه في حقويه يقول:﴿مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّهُ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ﴾ وعن يعلى العامري، أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : إلى طعام دعوا له، فإذا حسين يلعب مع الغلمان في الطريق فاستقبل أمام القوم، ثم بسط يده وطفق الصبي يفر هاهنا مرة وهاهنا، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضاحكه حتى أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل إحدى يديه تحت ذقنه، والأخرى تحت قفاه، ثم أقنع رأسه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع فاه على فيه فقبله فقال:﴿حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ﴾ وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال لحسن: ﴿اللهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحْبِبْ مَنْ يُحِبُّهُ﴾ وعن مغيرة، عن الشعبي قال:﴿لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يُلَاعِنَ أَهْلَ نَجْرَانَ أَخَذَ بِيَدِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَكَانَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي خَلْفَهُ﴾وعن أم المؤمنين عائشة: خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل، من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب] وعن أبي هريرة، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالتمر عند صرام النخل، فيجيء هذا بتمره، وهذا من تمره حتى يصير عنده كوما من تمر، فجعل الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بذلك التمر، فأخذ أحدهما تمرة، فجعلها في فيه، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخرجها من فيه، فقال: ﴿أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ﴾ وعن ابن عمر، قال: قال أبو بكر:﴿ارْقُبُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ﴾.

عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَسْتُ أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي جُوعًا يَقْتُلُهُمْ وَلَا عَدُوًّا يجتاحهم وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي أَئِمَّةً مُضِلِّينَ إِنْ أَطَاعُوهُمْ فَتَنُوهُمْ وَإِنْ عَصَوْهُمْ قَتَلُوهُمْ﴾ وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ لِدِينِهِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ﴾ وعن عبد الله بن عمرو، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ﴾ (أهون) أي أحقر وأسهل. وعن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَاصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ، وَأَوْدَاجُهُ تَشْخُبُ دَمًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ! قَتَلَنِي، حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنَ الْعَرْشِ﴾ قال: فذكروا لابن عباس التوبة فتلا هذه الآية ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء] قال: ما نسخت منذ أنزلت وأنى له بالتوبة. وعن أبي سعيد، عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَتَكَلَّمُ يَقُولُ: وُكِّلْتُ الْيَوْمَ بِثَلَاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ، وَبِمَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِمَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ، فَيَنْطَوِي عَلَيْهِمْ فَيَقْذِفُهُمْ فِي غَمَرَاتِ جَهَنَّمَ﴾ وعن أبي الدرداء، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا أَوْ مَنْ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ وعن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ﴾ وعن عمرو بن العاص، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا فَمَا فَوْقَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا سَأَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ قَتْلِهِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا حَقُّهَا؟ قَالَ: أَنْ يَذْبَحَهَا فَيَأْكُلَهَا، وَلَا يَقْطَعَ رَأْسَهَا فَيَرْمِيَ بِهَا﴾ وعن أبي سعيد وأبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكَبَّهُمُ اللهُ فِي النَّارِ﴾ وعن سعيد بن المسيب: ﴿أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَتَلَ نَفَرًا خَمْسَةً أَوْ سَبْعَةً بِرَجُلٍ قَتَلُوهُ قَتْلَ غِيلَةٍ، وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَوْ تَمَالَأَ عَلَيْهِ أَهْلُ صَنْعَاءَ لَقَتَلْتُهُمْ جَمِيعًا﴾.

مراجع: العقد الفريد/ حدائق الأزاهر/ وفيات الأعيان/ مصنف ابن أبي شيبة/ خزانة الأدب

◆ سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (سابع ملوك الدولة الأموية) وطاووس بن كيسان اليماني[039]

حدث مطهر بن هيثم الطائي عن أبيه قال: حج سليمان بن عبد الملك [1]،فخرج حاجبه، فقال: إن أمير المؤمنين يقول ابغوا لي فقيها أسأله عن بعض المناسك. قال فمر طاووس [2]،فقالوا هذا طاووس اليماني. فأخذه الحاجب. قال: أجب أمير المؤمنين. قال طاووس: أعفني. فأبى، ثم أدخله عليه. قال طاووس: فلما وقفت بين يديه، قلت إن هذا لمجلس يسألني الله عنه، فقلت يا أمير المؤمنين، إن صخرة كانت على شفير جب في جهنم، هوت فيها سبعين خريفا، حتى استقرت قرارها، أتدري لمن أعدها الله؟ قال سليمان: لا، ويلك لمن أعدها؟ قال طاووس: لمن أشركه الله في حكمه، فجار. فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكي، فما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه.

عن عبد الرزاق قال حدثني أبي قال كان طاووس يصلي في غداة باردة فمر به محمد بن يوسف أخو الحجاج بن يوسف أو أيوب بن يحيى الثقفي (ابن عم الحجاج) وهو ساجد في موكبه فامر بساج أو طليسان مرتفع فطرح عليه فلم يرفع راسه حتى فرغ من حاجته فلما سلم نظر فإذا الساج عليه قال فانتفض ولم ينظر إليه ومضى الى منزله.

عن النعمان بن الزبير أن محمد بن يوسف وأيوب بن يحيى بعثا الى طاووس بخمسمائة دينار وقالوا للرسول إن اخذها منك فان الامير سيكسوك ويحسن اليك فخرج بها حتى قدم على طاووس فقال يا أبا عبد الرحمن نفقة بعث بها إليك الأمير قال ما لي بها من حاجة قال فأراده على قبضها فأبى فغفل طاووس فرمى بها في كوة في البيت ثم ذهب فقال لهم قد أخذها فلبثوا حينا ثم بلغهم عن طاووس شيء يكرهونه فقال ابعثوا إليه فليبعث الينا بها لنا فجاءه الرسول فقال: المال الذي بعث به اليك الامير قال ما قبضت منه شيئا فرجع الرسول فاخبرهم فعرفوا أنه صادق. فقيل للرجل الذي ذهب بها فبعثوه إليه فقال المال الذي جئتك به يا ابا عبد الرحمن فقال هل قبضت منك شيئا قال لا قال فهل تدري اين وضعته؟ قال نعم في تلك الكوة قال فابصره حيث وضعته قال فمد يده فاذا هو بالصرة قد بنت عليها العنكبوت فاخذها فذهب بها اليهم. وعن عبد الرزاق قال قدم طاووس مكة فقدم أمير قال فقيل له إن من فضله ومن ومن فلو اتيته قال ما لي إليه حاجة قالوا انا نخافه عليك قال فما هو كما تقولون.

عن أبي اسحاق الضعناني قال دخل طاووس ووهب بن منبه [3] على محمد بن يوسف اخي الحجاج وكان عاملا علينا في غداة باردة فقعد طاووس على الكرسي فقال محمد يا غلام هلم ذلك الطيلسان* فالقه على ابي عبد الرحمن. فألقوه عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى عنه وغضب محمد بن يوسف فقال له وهب والله ان كنت لغنيا أن تغضبه علينا لو أخذت الطيلسان فبعته واعطيت ثمنه المساكين فقال نعم لولا أن يقال من بعدي أخذه طاووس فلا يصنع فيه ما اصنع لفعلت.

قال سماك بن الفضل: [4] كنت عند عروة بن محمد [5] الأمير،وعنده وهب بن منبه، فأتي بعامل لعروة فشكا، فأكثروا عليه، فقالوا: فعل وفعل، وثبتت عليه البينة، قال؛ فلم يملك وهب نفسه؛ فضربه على قرنه بعصا؛ فإذا دماؤه تشخب، فقال: أفي زمن عمر بن عبد العزيز يصنع مثل هذا؟ قال: فاشتهاها عروة وكان حليما واستلقى على قفاه، وضحك، وقال: يعتب علينا أبو عبد الله الغضب في حكمته وهو يغضب، فقال وهب: وما لي لا أغضب وقد غضب خالق الأحلام؟ إن الله تعالى يقول: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف] يقول: أغضبونا.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله باليمن: إلى عروة بن محمد السعدي، إني أكتب إليك آمرك أن ترد المسلمين مظالمهم، فتكتب إلي تراجعني، ولا تعرف مسافة ما بيني وبينك، ولا تعرف أحداث الموت، حتى لو كتبت إليك أن ترد على رجل مظلمة شاة لكتبت إلي أردها عفراء أم سوداء؟ فاردد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعني والسلام. وكتب إلى عروة: لا يحمل إلي من اليمن إلا حق، ولو لم يبلغ خراجها إلا حفنة من كتم لم أبال.

قال المدائني: وظف محمد بن يوسف أخو الحجاج على أهل اليمن وظيفة جعلها عليهم خراجا، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله يأمره بإلغاء تلك الوظيفة والاقتصار على العشر، وقال: لأن لا يأتيني من اليمن حفنة كتم أحب إلي من أن تقر هذه الوظيفة. فلما ولي يزيد بن عبد الملك بعد عمر أمر بردها، وكتب إلى عروة بن محمد عامله إن ابن عبد العزيز كان مغرورا منك ومن أشباهك، فأعد على أهل اليمن الضريبة التي كان عمر أسقطها ولو صاروا حرضا.

قال عروة بن محمد: لما استعملت على اليمن قال لي أبي: أوليت اليمن؟ قلت: نعم. قال: إذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك، وإلى الأرض أسفل منك، ثم أعظم خالقها.. وخرج عروة من اليمن وقد وليها سنتين وما معه إلا سيفه ورمحه ومصحفه. ولما دخلها قال: يا أهل اليمن هذه راحلتي فإن خرجت بأكثر منها فأنا سارق. وقيل: إنه وليها عشرين سنة، وعزله يزيد بن عبد الملك عنها سنة ثلاث ومئة.

* الطيلسان قطعة من القماش بشكل نصف دائرة أو مربّع يُجعل على الرأس فوق القلنسوة ويُعطى به أكثر الوجه ثمّ يُدار طرفان منه تحت القم إلى أن يُحيط بالرقبة وطرفاه الآخران يسيلان على الظهر.

---

(2) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري، لأسرة من الموالي، وقيل اسمه ذكوان وطاووس لقبه وقد فسّر يحيى بن معين سبب تسميته تلك قائلاً: إنما لقب به لأنه كان طاووس القراء. أحد الأئمة الأعلام، كان من عباد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، أدرك خمسين صحابيا وكان كاملا في الفقه والتفسير. روى عن خلق كثير. واكثر روايته عن ابن عباس. قال سفيان قلت لعبيد الله بن ابي يزيد مع من كنت تدخل على ابن عباس قال مع عطاء والعامة وكان طاووس يدخل مع الخاصة. وكان مجاب الدعوة حج أربعين حجة وتوفي حاجا بمكة قبل التروية بيوم سنة 106 هـ وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة وصلى عليه الخليفة هشام ابن عبد الملك وكان قد حج في تلك السنة.

(3) وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار وهو الأسوار، الإمام، العلامة، الأخباري، القصصي، أبو عبد الله الأبناوي، اليماني، الذماري، الصنعاني. أخو: همام بن منبه، ومعقل بن منبه، وغيلان بن منبه.وأخذ عن: ابن عباس، وأبي هريرة – إن صح – وأبي سعيد، والنعمان بن بشير، وجابر، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص – على خلاف فيه – وطاووس. حتى إنه ينزل ويروي عن: عمرو بن دينار، وأخيه؛ همام، وعمرو بن شعيب، وفتح اليماني – ولا يدرى من فتح؟!. حدث عنه: ولداه؛ عبد الله وعبد الرحمن، وعمرو بن دينار، وسماك بن الفضل، وعوف الأعرابي، وعاصم بن رجاء بن حيوة، ويزيد بن يزيد بن جابر، وعبد الله بن عثمان بن خثيم، وإسرائيل أبو موسى، وهمام بن نافع أبو عبد الرزاق، والمغيرة بن حكيم، والمنذر بن النعمان، وابن أخيه؛ عقيل بن معقل، وابن أخيه؛ عبد الصمد بن معقل، وسبطه؛ إدريس بن سنان، وصالح بن عبيد، وعبد الكريم بن حوران، وعبد الملك بن خلج، وداود بن قيس، وعمران بن هريذ أبو الهذيل، وعمران بن خالد الصنعانيون، وخلق سواهم. وروايته (للمسند) قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب. قال أحمد: كان من أبناء فارس، له شرف. ولد في سنة 34 هـ والصواب أن وفاته في سنة 110 هـ وليس 114 هـ . فالله أعلم.

(4) سماك بن الفضل الحولاني اليماني الصنعاني، شيخ صدوق، روى عن عروة بن محمد بن عطية ووهب بن منبه وشهاب بن عبد الله الاعرج روى عنه معمر وعمرو بن عون بن عمرو بن سعد بن عبد الله.

(5) عروة بن محمد بن عطية بن عروة بن القين بن عامر بن عميرة السعدي الجشمي لجده صحبة، واستعمله سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك على اليمن

(2) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، كان قبل خلافته واليا على الرملة، وتولى الملك بعهد من أبيه، وكان أبوه قد عهد لوليده الوليد ثم سليمان. عندما تولى أمر بإقامة الصلاة في وقتها، وكانت تؤخر إلى آخر وقتها، وكانت الفترة الأولى من حكمه مملوءة بالانتقام المر لشخصه. من عظاء ملأ ذكرهم الدنيا، كانوا قد وافقوا أخاه الوليد على عزل سليمان وتولية العهد لابنه وهم محمد بن القاسم الثقفي وقتيبة بن مسلم. وكذلك آل الحجاج بن يوسف فبطش بهؤلاء جميعا.حج سنة 97 هـ، عهد من بعده لابن عمه عمر بن عبد العزيز، وهذه أجل وأروع أعماله. كانت الفتوحات محدودة في أيامه، فعلى الجبهة الغربية غزا القسطنطينية برا وبحرا تحت قيادة مسلمة بن عبد الملك، ورابط بنفسه هناك، وأقسم ألا يعود حتى يفتحها، فتوفي أثناء حصارها سنة 99 هـ على الجبهة الشرقية: فتح يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان عام 98 هـ. توفي سنة 99 هـ.

لقد سمعها سليمان بن عبد الملك، فكبا، ونكسر، وادكر ولو بلرهة. فأنظر أخي الكريم، فيما نحن فيه، قراء يتراكضون على أبواب السلاطين، تراودهم وساوس الشيكات، والعطايا فتحجب قلوبهم عن نور الله، وسلاطين لم يظلموا فحسب، بل أبدلوا شرع الله بشريعة أوليائهم، وأدخلوا علينا جنودهم، ومجندتهم ليحموا عروشهم، ولو أقطعوهم خزينة مال المسلمين ونعمته التي استودعنا إيها لم كفتهم ولطلبوا المزيد، جبابرة لم أتهم عباد الله الصالحون فذكروهم بالحسنة لم يكبوا لها، بل قالوا مقولة فرعون، وعلوا علوه، ولكن لا بأس فإن للظالم جولة حتى إذا أخذه رب العزة لم يفلته، وإن غداً لناظره لقريب.

عن سفيان عن عمرو قال ما رأيت أحدا اشد تنزها مما في ايدي الناس من طاووس. وعن ابن ابي رواد قال رأيت طاووسا وأصحابه اذا صلوا العصر استقبلوا القبلة ولم يكلموا أحدا وابتهلوا في الدعاء. وعن ابن جريج قال: قال لي عطاء قال لي طاووس: يا عطاء لا تنزلن حاجتك بمن أغلق دونك ابوابه وجعل عليها حجابه ولكن انزلها بمن بابه مفتوح لك الى يوم القيامة امرك أن تدعوه وضمن لك أن يستجيب لك. وعن عبد الله بن ابي صالح المكي قال دخل طاووس يعودني فقلت يا ابا عبد الرحمن ادع الله لي فقال ادع لنفسك فانه يجيب المضطر اذا دعاه.

عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ الظَّالِمَ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ. ثُمَّ تَلَا: وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ، إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود] وعن أنس مرفوعا:﴿لَوْ أَنَّ حَجَرًا مِثْلَ سَبْعِ خِلْفَاتٍ أُلْقِيَ مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ هَوَى فِيهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا لَا يَبْلُغُ قَعْرَهَا﴾ والمراد بالخلفات النوق الحوامل. وعن خالد بن عمير، قال: خطب عتبة بن غزوان – قال بهز: وقال قبل هذه المرة: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ﴿أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصَرْمٍ، وَوَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ، يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا مَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَاللَّهِ لَتَمْلَؤُنَّهُ، أَفَعَجِبْتُمْ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةَ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ كَظِيظُ الزِّحَامِ﴾ وعن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يَعْظُمُ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ حَتَّى إِنَّ بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِ أَحَدِهِمْ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ، وَإِنَّ غِلَظَ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ﴾ (يعظم أهل النار في النار) أي تكبر جثثهم (حتى إن) بكسر الهمزة ويفتح (بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام) أي ليزيد عذابه كمية وكيفية. وعن عبد الله بن الحارث بن جزء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ فِي النَّارِ حَيَّاتٍ كَأَمْثَالِ الْبُخْتِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حُمُوَّتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا، وَإِنَّ فِي النَّارِ عَقَارِبَ كَأَمْثَالِ الْبِغَالِ الْمُوكَفَةِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حُمُوَّتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا﴾ (البخت) الإبل الخراسانية (تلسع إحداهن اللسعة) أي اللدغة (فيجد) أي ملسوعها (حموتها) أي أثر سمها وسورة ألمها (.. البغال المؤكفة) من أكفت الحمار وأوكفه شددت عليها الأكاف. نسأل الله السلامة.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ صحيح ابن حبان/ البداية والنهاية/ أنساب الأشراف/ أسد الغابة

◆ ابن سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (سابع ملوك الدولة الأموية) وطاووس بن كيسان اليماني [040]

روى أبي عاصم النبيل [1]،زعم لي سفيان [2] قال جاء ابن لسليمان بن عبد الملك، فجلس إلى جانب طاووس [3] فلم يلتفت إليه. فقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين، فلم تلتفت إليه! قال طاووس: أردت أن يعلم أن لله عباداً يزهدون فيما في يديه عن الصلت بن راشد قال كنت عند طاووس فساله سلم بن قتيبة [4] عن شيء فزبره وانتهره. قال قلت هذا سلم بن قتيبة صاحب خرسان. قال ذاك اهون له علي.

قال إبراهيم بن إسحاق الحربي: كان عطاء [5] عبدا أسود لامرأة من أهل مكة، وكان أنفه كأنه باقلاء. قال: وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه، فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى انفتل إليهما، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج، وقد حول قفاه إليهم ثم قال سليمان لابنيه: قوما. فقاما، فقال: يا بني لا تنيا في طلب العلم، فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود.

➔ (3) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري، لأسرة من الموالي، وقيل اسمه ذكوان، وطاووس لقبه، وقد فسرّ يحيى بن معين سبب تسميته تلك قائلاً: إنما لقب به لأنه كان طاووس القراء. أحد الأئمة الأعلام، قال ابن حبان: كان من عباد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، أدرك خمسين صحابيا وكان كاملا في الفقه والتفسير. روى عن أبي هريرة، وزيد بن أرقم، وجابر، وابن مسعود، وابن عباس، وعائشة، وطائفة وروى عنه ابنه عبد الله (ابن طاووس)، ومجاهد، والزهري، وعمرو بن دينار، وسليمان التيمي، وخلق.
واكثر روايته عن ابن عباس. قال سفيان قلت لعبيد الله بن ابي يزيد مع من كنت تدخل على ابن عباس قال مع عطاء والعامة وكان طاووس يدخل مع الخاصة. وكان مجاب الدعوة حج أربعين حجة وتوفي حاجا بمكة قبل التروية بيوم سنة 106 هـ وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة وصل عليه الخليفة هشام ابن عبد الملك وكان قد حج في تلك السنة.

➔ (5) أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم = وقيل سالم – بن صفوان مولى بني فهر أو جمح المكي، وقيل إنه مولى أبي ميسرة الفهري، من مولدي الجند وهي بلدة مشهورة باليمن خرج منها جماعة من العلماء؛ كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها، سمع جابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وخلقا كثيرا من الصحابة، وروى عنه عمرو بن دينار والزهري وقتادة وملك بن دينار والأعمش والأوزاعي وخلق كثير، وإليه وإلى مجاهد انتهت فتوى مكة في زمانها. قال قتادة: أعلم الناس بالمناسك عطاء. وقال إبراهيم بن عمر ابن كيسان: أذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج صائحا يصيح: لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح. قال سليمان بن رفيع: دخلت المسجد الحرام والناس مجتمعون على رجل فاطلعت فإذا عطاء بن أبي رباح جالس. توفي رضي الله عنه سنة 115 هـ وقيل 114 هـ وعمره 82، وقال ابن أبي ليل: حج عطاء 70 حجة وعاش 100 سنة، والله أعلم. قيل لاهل مكة: كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم؟ قالوا: كان مثل العافية التي لا يعرف فضلها حتى تفقد. قال الأصمعي: كان عطاء بن أبي رباح يقول في دعائه: اللهم ارحم في الدنيا غربتي، وعند الموت صرعتي، وفي القبور وحدتي، ومقامي غدا بين يديك.

➔ (1) أبو عاصم الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم بن رافع بن رفيع ابن الأسود بن عمرو بن رالان بن هلال بن ثعلبة بن شيبان، الشيباني البصري، الشهير بأبي عاصم النبيل. الإمام، الحافظ، شيخ المحدثين الأثبات. ولد سنة 122 هـ وتوفي سنة 212 هـ. عن حمدان بن علي الوراق، قال: ذهبنا إلى أحمد بن حنبل سنة ثلاث عشرة، فسألناه أن يحدثنا، فقال: تسمعون مني ومثل أبي عاصم في الحياة؟! اخرجوا إليه.

➔ (4) أبو عبد الله سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي الخراساني، والي البصرة، كان من الموثوق بهم في الدولتين الأموية والعباسية، توفي سنة 149 هـ.

➔ (2) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري، الفقيه الكوفي سيد أهل زمانه علما وعملا وهو من ثور مضر وليس هو من ثور همدان على الصحيح كذا نسبه ابن سعد والهيثم بن عدي وغيرهما. مولده سنة 97 هـ ووفاته سنة 161 هـ وكان أبوه سعيد من ثقات المحدثين. سمع الثوري من عمرو بن مرة وسلمه بن كهيل وحبيب بن أبي ثابت وعمر بن دينار وابن إسحق ومنصور وحصين وأبيه سعيد بن مسروق والأسود بن قيس وجبلة بن سحيم وزبيد بن الحارث وزياد بن علاقة وسعد بن إبراهيم وأيوب وصالح مولى التوأمة وخلق لا يحصون يقال إنه أخذ عن ست مائة شيخ وعرض القرآن أربع مرات على حمزة بن الزيات. وروى عنه ابن عجلان وأبو حنيفة وابن جريج وابن إسحاق ومسعر وهم من شيوخه وشعبة والحمادان ومالك وابن المبارك ويحيى وعبد الرحمن وابن وهب وأمم لا يحصون.

أيها الإخوة المؤمنون، نعم إن لله عباد يزهدون فيما بين أيدي الملوك حتى يعلموا قدرهم، وقدر من يتبعهم على الفتات، إن لله عباد يزهدون حتى في مجالسة السلاطين لأنهم علموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، جعلها باب الفتنة، عن الحسن قال: ﴿لاَ تَأْتُوا الْمُلُوكَ فَيَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ دِينَكُمْ﴾ هكذا يأتيهم طلب الأمير فيأبوا ويطلبوا العافية، إن عباد الله هؤلاء إن أكرهوا على أمرهم ولم يجدوا بداً من تلك المجالسة المشؤومة التي كانت سبة في دين الصالحين رغم صلاح أئمة ذلك الزمان وحكمهم بما أنزل الله، بسبب جورهم كان عباد الله أولئك يعلمون أنها مجالس سيسأل الله عنها، فيصدعون بالحق، ويذكرون ملوك الجور بأن الله قد أعد عذابه للجائرين على عباده والظالمين عياله.

عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه سلم يقول:﴿أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ﴾ هذا حديث حسن غريب. وعن كثير بن قيس، قال: كنت جالسا عند أبي الدرداء في مسجد دمشق. فأتاه رجل، فقال: يا أبا الدرداء! أتيتك من المدينة، مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لحديث بلغني أنك تحدث به عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فما جاء بك؟ تجارة؟ قال: لا. قال: ولا جاء بك غيره؟ قال: لا. قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هم وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ﴾ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، فَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ﴾ وعن أبي أمامة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يُرْفَعَ، وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ الْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ هَكَذَا، ثُمَّ قَالَ: الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فِي الْأَجْرِ، وَلَا خَيْرَ فِي سَائِرِ النَّاسِ﴾ وعن أبي أمامة الباهلي قال: لما كان في حجة الوداع قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ مردف الفضل بن عباس على جمل آدم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنَ الْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَقَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَقَدْ كَانَ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ، وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللهُ عَنْهَا، وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة] يقول عبد الله ابن مسعود: المتقون سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة. وعن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ لا تَجْلِسُوا مَعَ كُلِّ عَالِمٍ إِلا عَالِمًا يَدْعُوكُمْ مِنَ الْخَمْسِ؛ مِنَ الشَّكِّ إِلَى الْيَقِينِ، وَمِنَ الْعَدَاوَةِ إِلَى النَّصِيحَةِ، وَمِنَ الْكِبْرِ إِلَى التَّوَاضُعِ، وَمِنَ الرِّيَاءِ إِلَى الإِخْلاصِ، وَمِنَ الرَّغْبَةِ إِلَى الزُّهْدِ﴾ عن أبي إسحاق الفزاري، قال: ما رأيت أحدا كان أشد تواضعا من الأوزاعي، ولا أرحم بالناس منه، وإن كان الرجل لينادبه فيقول: لبيك. وعن مبارك قال: سمعت الحسن يقول: ﴿إِنَّ أَقْوَامًا بَكَتْ أَعْيُنُهُمْ وَلَمْ تَبْكِ قُلُوبُهُمْ فَمَنْ بَكَتْ عَيْنَاهُ فَلْيَبْكِ قَلْبُهُ﴾.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح / ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين/ السلوك في طبقات العلماء والملوك/ وفيات الأعيان/ سنن ابن ماجة/ مسند أحمد/ الحيوان

◆ سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (سابع ملوك الدولة الأموية) ورجل [041]

نادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر: أيا سليمان، أيا سليمان، اذكر يوم الأذان. فنزل عن المنبر ودعا بالرجل فقال له سليمان: فما يوم الأذان؟ فقال:﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف] قال: فما ظلامتك؟ قال: أرضي بمكان كذا أخذها وكيلك. فكتب إلى وكيله أن ادفع إليه أرضه وأرضي مع أرضه.

عن طلحة بن عبد الله بن عوف[1]،قال: أتتني أروى بنت أويس[2] في نفر من قريش، فيهم عبد الرحمن بن عمرو بن سهل، فقالت: إن سعيد بن زيد[3] قد انتقص من أرضي إلى أرضه ما ليس له، وقد أحببت أن تأتوه فتكلموه، قال: فركبنا إليه وهو بأرضه بالعقيق، فلما رآنا قال: قد عرفت الذي جاء بكم، وسأحدثكم ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعته يقول:﴿مَنِ أَخَذَ مِنَ الأَرْضِ مَا لَيْسَ لَهُ، طُوِّقَهُ إِلَى السَّابِعَةِ مِنَ الأَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ﴾

وعن أبي سلمة، أن مروان بن الحكم (الملك الأموي الرابع)، قال: اذهبوا فأصلحوا بين هذين لسعيد بن زيد وأروى، فقال سعيد: أتروني أخذت من حقها شيئا؟ أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنِ أَخَذَ مِنَ الأَرْضِ شِبْرًا بِغَيْرِ حَقِّهِ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ. وَمَنْ تَوَلَّى مَوْلَى قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ. وَمَنِ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ، فَلا بَارَكَ اللهُ لَهُ فِيهَا﴾.

---

(3) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ومن السابقين الأولين البدريين، ومن الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه. شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد حصار دمشق، وفتحها، مات سنة 51 هـ وهو ابن بضع وسبعين سنة ودفن بالمدينة

(1) طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري. قاضي المدينة زمن يزيد. حدث عن عمه؛ عبد الرحمن بن عوف، وعثمان، وسعيد بن زيد، وابن عباس. وروى عنه سعد بن إبراهيم، والزهري، وأبو الزناد، وجماعة.وكان شريفا، جوادا، حجة، إماما. يقال له: طلحة الندى. مات سنة 99 هـ.

(2) أروى بنت أويس، تابعية، من الثانية، ظالمة، دعية ظلمت نفيها، وظلمت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بادعائها أنه غصبها أرضها، فتركها لها، دعا عليها بالعمى، والقتل في أرضها، فعميت وتردت في بئر فيها، فكانت قبرها.

عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ سَرَقَ مِنَ الأَرْضِ شِبْرًا طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ﴾ قال معمر: وبلغني عن الزهري، ولم أسمعه منه زاد في هذا الحديث:﴿وَمَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ﴾

وعن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنِ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ كَاذِبَةٍ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ. قَالَ عَبْدُ اللهِ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ : إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ..﴾ [آل عمران] وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنِ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ، لَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ﴾ وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) قال الطيبي:محمول على ظاهره، فيكون الظلم ظلمات على صاحبه لا يهتدي بسببها، كما أن المؤمنين يسعى نورهم بين أيديهم، أو المراد بها الشدائد كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام] أي شدائدهم.

مراجع: مسند أحمد/ هل يعتبر القراءة بمصرع من سبقهم؟/ المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري

◆ سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (سابع ملوك الدولة الأموية) وأبي حازم الأعرج[042]

روي أن سليمان بن عبد الملك قدم المدينة بعد أن قضى المناسك أو قبلها. فلما حطَّ رحاله فيها أقبل وجوهُ الناس وذووا الأقدار للسلام عليه والترحيب به. غير أن سلمة بنَ دينار[1] قاضي المدينة وعالمَها وإمامَها الثقة؛ لم يكن في عداد مَن زاروا الخليفة. ولما فرغ سليمان من استقبال المرحِّبين به، قال لبعض جلسائه: إنّ النفوس لتصدأ كما تصدأ المعادن إذا لم تجد مَن يذكّرها الفينة بعد الفينة ويجلوا عنها صدأها. فقالوا: نعم يا أمير المؤمنين. قال: أما في المدينة رجل أدرك طائفةً من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكّرنا ؟ فقالوا: بلا يا أمير المؤمنين .. ها هنا أبو حازم الأعرج. قال: ومَن أبو حازم الأعرج؟ فقالوا: سلمة بن دينار عالم المدينة وإمامُها وأحد التابعين الذين أدركوا عددا من الصحابة الكرام. قال: ادعوه لنا وتلطفوا في دعوته. فذهبوا إليه ودعوه. فلما أتاه رحّب به وأدنى مجلسَه وقال له معاتبا: ما هذا الجفاء يا أبا حازم؟ فقال أبو حازم: وأي جفاء رأيت مني يا أمير المؤمنين؟ قال سليمان: زارني وجوه الناس ولم تزرني!. فقال: إنما يكون الجفاء بعد المعرفة!، وأنت ما عرفتني قبل اليوم ولا أنا رأيتك فأي جفاء وقع مني؟ فالتفت الخليفة إلى الجلساء وقال: أصاب الشيخ في اعتذاره وأخطأ الخليفة في عَتْبِه عليه. ثم قال لأبي حازم: إن في النفس شئونا أحببت أن أفضيَ بها إليك يا أبا حازم. فقال: هاتها يا أمير المؤمنين والله المستعان. قال الخليفة: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ فقال أبو حازم: لأنكم خربتم آخرتكم، وعمرتم دنياكم، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب. فقال الخليفة: صدقت! صدقت! ثم سأل: يا أبا حازم ما لنا عند الله غدا؟. فقال: اعرِضْ نفسك وعملك على كتاب الله عز وجل تجدْ ذلك. قال: وأين أجدُه في كتاب الله عز وجل؟ قال: تجده في قوله سبحانه ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار] فقال الخليفة: إذن فأين رحمةُ الله بعباده؟ قال أبو حازم: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف] قال الخليفة: قل لي يا أبا حازم كيف قدومنا على الله تعالى؟ قال: أمّا المُحسِن؛ فكالغائب يقدَمُ على أهله وصحبه وأحبابه في شوق ولهفة. وأمّا المُسيءُ؛ فكالعبد الآبق يُساقُ إلى مولاه سَوقا. فبكى الخليفة حتى اشتدَّ بكاؤه. ثم قال: يا أبا حازم كيف لنا أن نَصلُحَ؟ قال: تَدَعون عنكم الصَّلَفَ (التكبر) وتتحلَّون بالمروءة. فقال سليمان: وهذا المال ما السبيل إلى تقوى الله فيه؟ قال: إذا أخذتموه بحقه ووضعتموه في أهله وقسمتموه بالسوية وعدلتم فيه بين الرعية. قال سليمان: أخبرني مَن أفضلُ الناس؟ قال: أولو المروءة والتقى. فقال سليمان: وما أعدل القوم يا أبا حازم؟ قال: كلمة حق يقولها المرء عند من يخافه وعند من يرجوه. قال: فما أسرع الدعاء إجابة يا أبا حازم؟ قال: دعاء المحسن للمحسنين. قال سليمان: فأي الاعمال أفضل؟ قال أبو حازم: أداء الفرائض واجتناب المحارم. ثم سأله الخليفة: وما أفضل الصدقة؟ فأجاب: جُهد المقلّ من غير أن يتبعه منّ ولا أذى. فقال سليمان: من أكيس الناس يا أبا حازم؟ قال: رجل ظفِرَ بطاعة الله تعالى فعمل بها ثم دلَّ الناسَ عليها. قال: فأي الناس أخسر؟ (أو ومن أحمق الناس؟) قال: رجل انساق مع هوى صاحبه وصاحبه ظالم فباع آخرته بدنيا غيره. وارتفع رصيد الإعجاب بأبي حازم عند الخليفة. فقال له: هل لك أن تصحبنا فتصيب منا ونصيب منك. فقال أبو حازم: كلا يا أمير المؤمنين. فقال: ولم؟! قال: أخشى أن أركن إليكم قليلا فيُذيقَني اللهُ ضِعفَ الحياة وضعف الممات. قال: ارفع إلينا حاجتك. فسكت ولم يجب . فأعاد عليه قوله: ارفع إلينا حاجتك يا أبا حازم نقضها لك مهما كانت. قال: حاجتي أن تنقذني من النار وتُدخِلني الجنة. فقال الخليفة: ذلك ليس من شأني يا أبا حازم. فقال أبو حازم: ما لي من حاجة سواها يا أمير المؤمنين. فقال له: أدع لي يا أبا حازم. قال: اللهم إنْ كان عبدُك سليمان من أوليائك فيسِّره إلى خيرَي الدنيا والآخرة، وإنْ كان من أعدائك فأصلحه، واهدِهِ إلى ما تحب وترضى. قال سليمان: ما تقول فيما نحن فيه؟ قال أبو حازم: أو تعفيني؟ قال سليمان: لا بد منها فإنها نصيحة تلقيها إلي. قال أبو حازم: إن آباءك قهروا الناس بالسيف، وأخذوا هذا الملك عنوة، من غير مشورة من المسلمين، ولا رضا منهم، حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة، وقد ارتحلوا فلو شعرت بما قالوا وما قيل فيهم. فقال رجل من جلسائه: بئسما قلت. قال أبو حازم:إن الله تعالى قد أخذ الميثاق على العلماء بأن يقولوا كلمة الحق، فقال: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران] ثم التفت إلى الخليفة .. وقال: يا أمير المؤمنين، إن الذين مضوا قبلنا من الأمم الخالية، ظلُّوا في خير وعافية، ما دام أمراؤهم يأتون علمائهم رغبة فيما عندهم، ثم وُجِد قوم من أراذل الناس تعلَّموا العلم، وأتَوْا به الأمراء يريدون أن ينالوا به شيئاً من عرض الدنيا، فاستغنَتِ الأمراء عن العلماء، فتَعِسوا ونُكِسوا، وسَقطوا من عين الله عز وجل. ولو أن العلماء زهدوا فيما عند الأمراء، لرَغِبَ الأمراءُ في علمهم، ولكنهم رغبوا فيما عند الأمراء فزهِدوا فيهم، وهانوا عليهم. فقال الخليفة : صدقتَ، زدني من موعظتك يا أبا حازم. قال: إنْ كنتَ من أهل الاستجابة فقد قلتُ لك ما فيه الكفاية، وإنْ لم تكن من أهلها فما ينبغي أن أرمي عن قوس ليس لها وتر. فقال الخليفة: عزمتُ عليك أنْ توصيني يا أبا حازم. فقال نعم: أوصيك وأوجز، عظِّم ربَّك عز وجل ونزِّهْهُ أن يراك حيث نهاك، وأن يَفْقِدَك حيث أمرك. ثم سلم وانصرف. ما كاد أبو حازم يبلغ بيته حتى وجد أنّ أمير المؤمنين قد بعث إليه بصُرَّة مُلئت دنانير وكتب رقعة، قال فيها: أنْفقها ولك مثلها كثيرٌ عندي. فرَدَّها، وكتب إليه يقول: يا أمير المؤمنين، أعوذ بالله أن يكون سؤالك إياي هَزْلاً، ورَدِّي عليك باطلاً، فوالله ما أرضى ذلك يا أمير المؤمنين لك، فكيف أرضاه لنفسي ؟! يا أمير المؤمنين إنْ كانت هذه الدنانير لقاءَ حديثي لك فالميتة ولحم الخنزير في حال الاضطرار أحلُّ من هذه الدنانير.

➔ أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج مولى لقوم من بني ليث بن بكر. اسند أبو حازم عن ابن عمر وسهل بن سعد وانس بن مالك وقيل انه رأى أبا هريرة، وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب وأبي سلمة وعروة وغيرهم. توفي بعد سنة 140 هـ في خلافة المنصور.

عن سفيان قال: قيل لأبي حازم ما مالك؟ قال: ثقتي بالله عز وجل ويأسي مما في أيدي الناس. قال أبو حازم: إن وقينا شر ما أعطينا لم نبال ما فاتنا. وقال ابن عيينة: قال أبو حازم: إن كان يغنيك من الدنيا ما يكفيك فأدنى عيش من الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيك، ما يكفيك فليس شيء يكفيك. وفي هذا المعنى: قال رجل لإبراهيم بن أدهم: كنت أريد أن تقبل مني هذه الجبة، فقال: إن كنت غنياً قبلتها منك، وإن لم تكن غنياً لم أقبلها منك، قال: فإني غني، قال: وكم مالك؟ قال: ألف دينار، قال: أفكنت تود أنه أربعة آلاف؟ قال: نعم، قال: فأنت فقير لا أقبلها منك. وعن عبد الرحمن بن جرير قال: سمعت أبا حازم: يقول عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أتته الفتوح. وعن محمد بن مطرف قال: قال أبو حازم: ما في الدنيا شيء يسرك إلا وقد الزق به شيء يسوءك. وعن حفص بن ميسرة قال: قال أبو حازم: عجبا لقوم يعملون لدار يرحلون عنها كل يوم مرحلة، ويدعون أن يعلموا لدار يرحلون إليها كل يوم مرحلة. وعن فضيل بن عياض قال: قال أبو حازم أضمنوا لي اثنين أضمن لكم الجنة: عملا بما تكرهون إذا احبه الله تعالى، وترك ما تحبون إذا كرهه الله عز وجل. وعن يعقوب بن عبد الرحمن قال: سمعت أبا حازم يقول: يسير الدنيا يشغل عن كثير من الآخرة، وقال: ما أحببت أن يكون معك في الآخرة فقدمه اليوم، وما أكرهت أن يكون معك في الآخرة فاتركه اليوم.وقال: كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه ثم لا يضرك متى مت.

عن عبيد الله بن عمر، عن أبي حازم، قال: ﴿لَا تَكُونُ عَالِمًا حَتَّى يَكُونَ فِيكَ ثَلَاثُ خِصَالٍ: لَا تَبْغِي عَلَى مَنْ فَوْقَكَ، وَلَا تَحْتَقِرْ مَنْ دُونَكَ، وَلَا تَأْخُذْ عَلَى عِلْمِكَ دُنْيَا﴾ وعن محمد بن هانئ، عن بعض أصحابه قال: ﴿قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي حَازِمٍ إِنَّكَ مُتَشَدِّدٌ، فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ: وَمَا لِي لَا أَتَشَدَّدُ وَقَدْ تَرَصَّدَنِي أَرْبَعَةُ عَشَرَ عَدُوًّا، أَمَّا أَرْبَعَةٌ: فَشَيْطَانٌ يَفْتِنُنِي، وَمُؤْمِنٌ يَحْسُدُنِي، وَكَافِرٌ يَقْتُلُنِي، وَمُنَافِقٌ يُبْغِضُنِي، وَأَمَّا الْعَشَرَةُ فَمِنْهَا: الْجُوعُ، وَالْعَطَشُ، وَالْحَرُّ، وَالْبَرْدُ، وَالْعُرْيُ، وَالْهَرَمُ، وَالْمَرَضُ، وَالْفَقْرُ، وَالْمَوْتُ، وَالنَّارُ، وَلَا أَطِيقُهُنَّ إِلَّا بِسِلَاحٍ تَامٍّ، وَلَا أَجِدُ لَهُنَّ سِلَاحًا أَفْضَلَ مِنَ التَّقْوَى﴾ عن محمد بن مطرف، قال: ﴿دَخَلْنَا عَلَى أَبِي حَازِمٍ الْأَعْرَجِ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا حَازِمٍ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ: أَجِدُنِي بِخَيْرٍ رَاجِيًا حُسْنَ الظَّنِّ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ وَاللهِ لَا يَسْتَوِي مَنْ غَدَا وَرَاحَ يُعَمِّرُ عَقْدَ الْآخِرَةِ لِنَفْسِهِ، فَيُقَدِّمُهَا أَمَامَهُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ الْمَوْتُ حَتَّى يُقْدِمَ عَلَيْهَا فَيَقُومَ هَا وَتَقُومَ لَهُ، وَمَنْ غَدَا وَرَاحَ فِي عَقْدِ الدُّنْيَا يُعَمِّرُهَا لِغَيْرِهِ وَيَرْجِعُ إِلَى الْآخِرَةِ لَا حَظَّ لَهُ فِيهَا وَلَا نَصِيبَ﴾.

مراجع: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ إحياء علوم الدين/ الإمام الجصاص/ صفة الصفوة

◆ سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (سابع ملوك الدولة الأموية) وعمر بن عبد العزيز [043]

كان يزيد بن أبي مسلم[1] قد استخلفه الحجاج لما حضرته الوفاة على الخراج بالعراق فلما مات الحجاج أقره الوليد بن عبد الملك على حاله ولم يغير عليه شيئاً. وقيل إن الوليد هو الذي ولاه بعد موت الحجاج ، وقال الوليد يوماً: مثلي ومثل الحجاج وابن أبي مسلم كرجل ضاع منه درهم فوجد ديناراً. ولما مات الوليد وتولى أخوه سليمان بن عبد الملك عزل يزيد بن أبي مسلم وبعث مكانه يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي[2] ،وأحضر إليه يزيد بن أبي مسلم في جامعة، وكان رجلاً قصيراً دميماً قبيح الوجه عظيم البطن تحتقره العين، فلما نظر إليه سليمان قال: أنت يزيد بن أبي مسلم قال: نعم أصلح الله أمير المؤمنين قال: لهن الله من أشركك في أمانته وحكمك في دينه، قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإنك رأيتني والأمور مدبرة عني، ولو رأيتني والأمور مقبلة علي لاستعظمت ما استصغرت ولاستجللت ما احتقرت، فقال سليمان: قاتله الله، فما أسد عقله وأعضب لسانه! ثم قال سليمان: يا يزيد، أترى صاحبك الحجاج يهوي بعد في نار جهنم أم قد استقر في قعرها فقال يزيد: لا تقل ذلك يا أمير المؤمنين، فإن الحجاج عادى عدوكم ووالى وليكم، وبذل مهجته لكم، فهو يوم القيامة عن يمين عبد الملك وعن يسار الوليد، فاجعله حيث أحببت. وفي رواية قال: إنه يحشر غداً بين أبيك وأخيك، فضعهما حيث شئت، قال سليمان: قاتله الله، فما أوفاه لصاحبه! إذا اصطنعت الرجال فلتصطنع مثل هذا، فقال رجل من جلساء سليمان: يا أمير المؤمنين، اقتل يزيد ولا تستبقه، فقال يزيد: من هذا فقالوا: فلان بن فلان، قال يزيد: والله لقد بلغني أن أمه ما كان شعرها يوازي أذنيها، فما تمالك سليمان أن ضحك وأمر بتخليته.ثم كشف عنه سليمان فلم يجد عليه خيانة ديناراً ولا درهماً، فهم باستكتابه، فقال له عمر بن عبد العزيز:[3] أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تحيي ذكر الحجاج باستكتابك كاتبه، فقال: يا أبا حفص، إني كشفت عنه فلم أجد عليه خيانة، فقال عمر: أنا أوجدك من هو أعف عن الدينار والدرهم منه، فقال سليمان: ومن هو؟. فقال: إبليس، ما مس ديناراً ولا درهماً بيده وقد أهلك هذا الخلق. فتركه سليمان.

حدث جورية بن أسماء أن عمر بن عبد العزيز (وكان الخليفة) بلغه أن يزيد بن أبي مسلم في جيش من جيوش المسلمين، فكتب إلى عامل الجيش أن يرده وقال: إني لأكره أن أستنصر بجيش هو فيهم.

قال الوضاح بن خيثمة (في رواية أخرى قيل هو: محمد بن يزيد الأنصاري) : أمرني عمر بن عبد العزيز بإخراج قوم من السجن، وفيهم يزيد بن أبي مسلم، فأخرجتهم وتركته فحقد علي، وإني بإفريقية (بعد موت عمر) إذ قيل قدم يزيد والياً، فهربت منه، وعلم بمكاني وأمر بطلبي، فظفر بي وحملت إليه، فلما رآني قال: طالما سألت الله تعالى أن يمكنني منك، فقلت: وأنا والله لطالما سألت الله أن يعيذني منك، فقال: ما أعاذك الله، والله لأقتلنك ولو سابقني فيك ملك الموت لسبقته. ثم دعا بالسيف والنطع فأتي بهما، وأمر بالوضاح فأقيم على النطع وكتف، وقام وراءه رجل بالسيف؛ وأقيمت الصلاة فخرج يزيد إليها، فلما سجد أخذته السيوف. ودخل إلى الوضاح من قطع كتافه وأطلقه، وأعيد إلى الولاية محمد بن يزيد مولى الأنصار، فالله أعلم.

نقل ابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة يزيد المذكور عن يعقوب أنه قال: في سنة 101 هـ ، أمر يزيد بن أبي مسلم على إفريقية، ونزع إسماعيل بن عبيد بن أبي المهاجر[4] مولى بني مخزوم، فسار أحسن سيرة، وفي سنة 102 هـ قتل يزيد.قال الطبري في تاريخه الكبير: وكان سبب ذلك أنه كان- فيما ذكر- عزم أن يسير فيهم بسيرة الحجاج بن يوسف في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة فأسلم بالعراق، ممن ردهم إلى قرارهم ورساتيقهم، ووضع على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم، فلما عزم على ذلك تواموا، فأجمع رأيهم على قتله فقتلوه، وولوا على أنفسهم الوالي الذي كان قبل يزيد بن أبي مسلم، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك: [5] إنا لم نخلع أيدينا عن الطاعة، ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى به الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا عاملك، فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك: إنني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم. وأقر محمد بن يزيد على إفريقية، وكان ذلك في سنة 102 هـ.

قيل حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز فأصابهم برق ورعد، حتى كادت أن تنخلع قلوبهم، فنظر سليمان إلى عمر وهو يضحك، فقال سليمان: يا أبا حفص، هل رأيت مثل هذه الليلة قط أو سمعت بها؟ فقال: يا أمير المؤمنين، هذا صوت رحمة الله، فكيف لو سمعت صوت عذاب الله؟ فقال: هذه المائة ألف درهم، فتصدق بها. فقال: أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: وما هو؟ قال: قوم صحبوك في مظالم لهم لم يصلوا إليك، فجلس سليمان فرد المظالم. ومن أعظم مواقف الحكمة مع سليمان بن عبد الملك أن سليمان قال له: يا أبا حفص، إنا قد ولينا ما ترى، ولم يكن لنا بتدبيره علم، فما رأيت من مصلحة العامة فمر به، فكان من ذلك أن عمر أمر بعزل عمال الحجاج، وأقيمت الصلاة في أوقاتها بعدما كانت أميتت عن وقتها، مع أمور جليلة كان يسمع من عمر فيها، فقد قيل: إن سليمان حج فرأى الخلائق بالموقف فقال لعمر: أما ترى هذا الخلق الذي لا يحصي عددهم إلا الله؟ قال: هؤلاء اليوم رعيتك، وهم غدا خصماؤك، فبكى سليمان بكاء شديدا.

---

(3) عمر بن عبد العزيز بن مروان. يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي رضي الله عنه بدير سمعان لعشر ليال بقين من رجب سنة 101 هـ وهو ابن 39 سنة واشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر.

(1) أبو العلاء يزيد بن مسلم دينار الثقفي، مولاهم، كان مول الحجاج بن يوسف الثقفي وكاتبه.

(2) المهلب بن أبي صفرة الأزدي، قائد عسكري وأحد ولاة الأمويين.

(4) أبو عبد الحميد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر تابعي وفقيه، وإلي إفريقية في خلافة عمر بن عبد العزيز.

(5) يزيد بن عبد الملك، الملك الاموي التاسع بعد وفاة الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز.

قيل: مثل السلطان إذا ولى العمال الظالمين مثل من يسترعى غنمه الذئاب، ومثل من يربط الكلب العقور ببابه. وإن العامة لتشتم الحجاج بن يوسف والخاصة تلوم عبد الملك بن مروان لأنه هو الذي استرعاه الرعية ؟. وفيه قيل: ﴿وَمَنْ يَرْبُطُ الكَلْبَ العقور بِبَابِهِ فَعَقَرَ جَمِيعُ النَّاسَ مِنْ رَابِطِ الكَلْبِ﴾ عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَا مِنْ دَاعٍ دَعَا رَجُلًا إِلَى شَيْءٍ إِلَّا كَانَ مَوْقُوفًا مَعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَازِمًا لَهُ يُقَادُ مَعَهُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ وعن أسيد بن حضير:﴿إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ تَخَلَّى بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلَانًا؟ قَالَ إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ﴾ وعن أبي ذر قال:﴿قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي؛ ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ؛ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ؛ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا - وفي رواية قال له-: يَا أَبَا ذَرٍّ؛ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا؛ وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي؛ لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ؛ وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ﴾ (ألا تستعملني؟) أي ألا تجعلني عاملا؟ (قال) أي أبو ذر (فضرب بيده) أي ضرب لطف وشفقة (على منكبي) وفي نسخة بالتثنية، (ثم قال يا أبا ذر إنك ضعيف) أي عن تحمل العمل، (وإنها) أي الإمارة (أمانة)، وفيه الإشارة إلى قوله ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب] (وإنها) أي الإمارة (يوم القيامة خزي) أي عذاب وفضيحة للظالم (وندامة) أي تأسف وتندم على قبولها للعادل، (إلا من أخذها) استثناء منقطع أي خزي وندامة على من أخذها بغير حقها، لكن من أخذها بحقها (وأدى الذي عليه فيها) فإنها لا تكون خزيا ووبالا عليه، وفيه إشارة لطيفة بأنها إما أن تكون عليه، أو لا تكون عليه، وأما كونها له فلا فالأولى تركها بلا ضرورة، قال النووي: هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولاية، لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائفها، والخزي والندامة في حق من لم يكن أهلا لها، أو كان أهلا ولم يعدل فيخزيه الله يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط، فأما من كان أهلا لها وعدل فيها؛ فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة كحديث (سبعة يظلهم الله في ظله) وحديث (إن المقسطين على منابر من نور) وغير ذلك. ولكثرة الخطر فيها حذره عليه الصلاة والسلام منها، ولذلك امتنع منها خلائق من السلف وصبروا على الأذى حين امتنعوا (يا أبا ذر إني أراك) أي أظنك، أو من الرؤية العلمية أي أعرفك (ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي) أي لو كنت ضعيفا مثلك لما تحملت هذا الحمل ولكن الله قواني فحملني (لا تأمرن) أي لا تقبلن الإمارة (على اثنين) أي فضلا عن أكثر منهما؛ فإن العدل والتسوية أمر صعب بينهما (ولا تولي مال يتيم) أي لا تقبلن ولاية مال يتيم، وفي نسخة لمسلم على مال يتيم أي لا تكن واليا عليه لأن خطره عظيم ووباله جسيم، وهذا مثال الولاية على الواحد.

مراجع: صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ مسند أحمد/ سراج الملوك/ ابن حبان/ صفة الصفوة/ وفيات الأعيان/ مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة/ مواقف التابعين وأتباعهم في الدعوة إلى الله تعالى.

◆ سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (سابع ملوك الدولة الأموية) وعمر بن عبد العزيز (٢) [044]

قال يحيى بن سعيد: حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز[1]، فلما أشرفا على عقبة عسفان* نظر سليمان إلى السرادقات (خيام) قد ضربت له، فقال يا عمر كيف ترى؟ قال: أرى دنيا عريضة يأكل بعضها بعضاً، وأنت المسؤول عنها المأخوذ بها. فبينما هو كذلك إذ طار غراب من سرادق سليمان في منقاره كسرة فصاح، فقال سليمان: ما يقول هذا الغراب؟ فقال عمر: ما أدري ما يقول، ولكن إن شئت أخبرتك بعلم. قال: أخبرني. قال: هذا غراب طار من سرادقك في منقاره كسرة، أنت بها مأخوذ مسؤول عنها من أين دخلت ومن أين خرجت؟ قال: إنك لتجيء بالعجب ! قال: أفلا أخبرك بأعجب من هذا؟ قال: بلى. قال: من عرف الله كيف عصاه، ومن عرف الشيطان كيف أطاعه، ومن أيقن بالموت كيف يهنيه العيش؟ قال: لقد غشيت علينا ما نحن فيه. ثم ضرب فرسه وسار. وشاور سليمان عمر بن عبد العزيز في أمر، فقال سليمان: هل علينا عين فقال عمر نعم عين بصيرة لا تحتاج إلى تحديق، وسمع نافذ لا يحتاج إلى إصغاء.

عن شعيب بن العلاء عن أبيه العلاء بن كريز[2] قال: بينا سليمان بن عبدالملك جالس إذ مر به رجل عليه ثياب يخيل في مشيته فقال هذا ينبغي أن يكون كوفيا وينبغي أن يكون من همدان ثم قال: على بالرجل فأتى به فقال: ممن الرجل. فقال: ويلك دعني حتى ترجع الى نفسي. قال: فتركه هنيهة ثم سأله ممن الرجل. فقال: من أهل العراق. قال: من أي أهلها. قال: من أهل الكوفة. قال: أي أهل الكوفة. قال: من همدان فازداد عجبا. فقال: ما تقول في أبي بكر. قال: والله ما أدركت دهره ولا أدرك دهري ولقد قال الناس فيه فأحسنوا وهو إن شاء الله كذلك. قال: فما تقول في عمر. فقال مثل ذلك. قال: فما تقول في عثمان. قال: والله ما أدركت دهره ولا أدرك دهري ولقد قال فيه ناس فأحسنوا وقال فيه ناس فأساؤا وعند الله علمه. قال: فما تقول في علي. قال: هو والله مثل ذلك. قال: سب عليا. قال: لا أسبه. قال: والله لتسبنه. قال: والله لا أسبه. قال: والله لتسبنه أو لأضربن عنقك. قال: والله لا أسبه. قال: فأمر بضرب عنقه. فقام رجل في يده سيف فهزه حتى أضاء في يده كأنه خوصة. فقال: والله لتسبنه أو لأضربن عنقك. قال: والله لا أسبه، ثم نادى ويلك يا سليمان ادنني منك فدعا به. فقال: يا سليمان أما ترضى مني بما رضي به من هو خير منك ممن هو خير مني فيمن هو شر من علي. قال: وما ذاك. قال: الله رضي من عيسى وهو خير مني إذ قال: في بني اسرائيل وهم شر من علي : ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة] قال: فنظرت الى الغضب ينحدر من وجهه حتى صار في طرف أرنبته، ثم قال: خليا سبيله فعاد الى مشيته، فما رأيت رجلا قط خيرا من ألف رجل غيره وإذا هو طلحة بن مصرف[3]

* عقبة عسفان، على تسعة وثلاثين ميلا من مكة.

---

(1) عمر بن عبد العزيز بن مروان. يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي رضي الله عنه بدير سمعان لعشر ليال بقين من رجب سنة 101 هـ وهو ابن 39 سنة واشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر.

(3) طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب بن جندب بن معاوية بن سعد بن الحارث بن ذهل بن سلمة بن دوك بن جشم بن يام الهمداني السيامي (اليامي!) الهمداني الكوفي (من قبيلة يام من همدان): أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله، والد محمد بن طلحة بن مصرف، مات كهلا آخر سنة 112 هـ. كان يسمى سيد القراء قال أبو معشر ما ترك بعده مثله ولما علم إجماع أهل الكوفة على أنه أقرأ من بها ذهب ليقرأ على الأعمش رفيقه ليتزل رتبته في أعينهم ويأبى الله إلا رفعته سمع عبد الله بن أبي أوفى وصغار الصحابة. (في نسخة ابن خلكان اسمه: طلحة بن مطرف؟)

(2) العلاء بن كريز (في نسخة ابن خلكان اسمه: العلاء بن كدير ؟)

عن عبد الله بن عمر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ﴾ (ألا كلكم راع) قال العلماء الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وهو ما تحت نظره ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته. وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ السُّلْطَانَ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ مِنْ عِبَادِهِ، فَإِذَا عَدَلَ؛ كَانَ لَهُ الْأَجْرُ وَعَلَى الرَّعِيَّةِ الشُّكْرُ، وَإِذَا جَارَ كَانَ عَلَيْهِ الْإِصْرُ وَعَلَى الرَّعِيَّةِ الصَّبْرُ﴾ وعن أبي الشياخ الأزدي عن ابن عم له من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ أنه أتي معاوية فدخل عليه، فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئًا، ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ دُونَ الْمُسْلِمِينَ، أَوِ الْمَظْلُومِ، أَوْ ذِي الْحَاجَةِ أَغْلَقَ اللَّهُ دُونَهُ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ عِنْدَ حَاجَتِهِ وَفَقْرِهِ أَفْقَرَ مَا يَكُونُ إِلَيْهِ﴾ (من ولي من أمر الناس) التعريف فيه لاستغراق الجنس؛ فيدخل فيه المسلم والذمي والمعاهد (شيئا) أي من الأمور، أو الولاية (ثم أغلق بابه)؛ عبارة عن الاحتجاب ونصب الحجاب، أو كناية عن الامتناع عن قضاء مقصود المحتاجين بالباب (دون المسلمين) أي والمسلم لا يمنع (أو المظلوم، أو ذي الحاجة) وفي نسخة صحيحة: دون المسكين والمظلوم وذي الحاجة، وهو أنسب بالحديث السابق، ودال على: أن (أو) في تلك الرواية للتنويع والتفصيل، وأنه مطلقا سواء كان مظلوما، أو ذا حاجة، أو غيره لا يدخل إلا للتظلم، أو لحاجة ماسة (أغلق الله دونه أبواب رحمته عند حاجته وفقره) أي إلى الله في أمر الدنيا، أو العقبى، أو إلى مخلوق مثله في الدنيا، حال كونه (أفقر ما يكون إليه) أي أحوج أوقات يكون مفتقرا إليه. وعن عبد الرحمن بن شماسة قال: ﴿أَتَيْتُ عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَّا الْبَعِيرُ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ، فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ﴾ (ما نقمنا منه شيئا) أي ما كرهنا. وقد كان عمر بن عبد العزيز يقول لمستشاره الخاص عمر بن مهاجر:﴿إِذَا رَأَيْتَنِي ضَلَلْتُ الطَّرِيقَ فَخُذْ بِمَجَامِعِ ثَوْبِي وَهُزَّنِي وَقُلْ لِي: اتَّقِ اللهَ يَا عُمَرُ فَإِنَّكَ سَتَمُوتُ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة:﴿كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَحْلِبُ لِلْحَيِّ أَغْنَامَهُمْ، فَلَمَّا بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ قَالَتْ جَارِيَةٌ مِنَ الْحَيِّ: الْآنَ لَا تَحْلِبُ لَنَا مَنَائِحَ دَارِنَا، فَسَمِعَهَا أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: بَلَى لَعَمْرِي لَأَحْلِبَنَّهَا لَكُمْ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا يُغَيِّرَنِي مَا دَخَلْتُ فِيهِ عَنْ خُلُقٍ كُنْتُ عَلَيْهِ فَكَانَ يَحْلِبُ لَهُمْ﴾ وعن أبي صالح الغفاري:﴿أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يَتَعَاهَدُ عَجُوزًا كَبِيرَةً عَمْيَاءَ، فِي بَعْضِ حَوَاشِي الْمَدِينَةِ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَسْتَقِي لَهَا وَيَقُومُ بِأَمْرِهَا، فَكَانَ إِذَا جَاءَ وَجَدَ غَيْرَهُ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهَا، فَأَصْلَحَ مَا أَرَادَتْ، فَجَاءَهَا غَيْرَ مَرَّةٍ كَيْلَا يُسْبَقَ إِلَيْهَا، فَرَصَدَهُ عُمَرُ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ الَّذِي يَأْتِيهَا، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ خَلِيفَةٌ، فَقَالَ عُمَرُ: أَنْتَ هُوَ لَعَمْرِي﴾ وقد كان علي بن أبي طالب: يمشي في أسواق الكوفة وهو خليفة المسلمين فيرشد الضال، ويعين الضعيف، ويلتقي بالشيخ المسنّ الكهل فيحمل عنه حاجته، ولا يسكن قصر الإمارة، ويقول: قصر الخبال هذا لا أسكنه أبداً.

عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: خرجت مع عمر بن الخطاب إلى حرة واقم (حرة بني قريظة)، حتى إذا كنا بصرار، إذا نار تؤرث، فقال: يا أسلم، إني أرى هؤلاء ركبا قصر بهم الليل والبرد، انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فإذا امرأة معها صبيان لها، وقدر منصوبة على النار، وصبيانها يتضاغون، فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء، وكره أن يقول: يا أصحاب النار. قالت: وعليك السلام، قال: أآدنو؟ قالت: ادن بخير أو دع، فدنا فقال: ما بالكم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد، قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: الجوع، قال: وأي شيء في هذه القدر؟ قالت: ماء أسكتهم به حتى يناموا، الله بيننا وبين عمر! قال: أي رحمك الله، ما يدري عمر بكم! قالت: يتولى أمرنا ويغفل عنا! فأقبل علي، فقال: انطلق بنا، فخرجنا نهرول، حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عدلا فيه كبه شحم، فقال: احمله علي، فقلت: أنا أحمله عنك، قال: احمله علي، مرتين أو ثلاثا، كل ذلك أقول: أنا أحمله عنك، فقال لي في آخر ذلك: أنت تحمل عني وزري يوم القيامة، لا أم لك! فحملته عليه، فانطلق وانطلقت معه نهرول، حتى انتهينا إليها، فألقى ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيئا، فجعل يقول لها: ذري علي، وأنا أحرك لك، وجعل ينفخ تحت القدر- وكان ذا لحية عظيمة- فجعلت أنظر إلى الدخان من خلل لحيته حتى أنضج وأدم القدر ثم أنزلها، وقال: ابغني شيئا، فأتته بصحفة فأفرغها فيها، ثم جعل يقول: أطعميهم، وأنا أسطح لك، فلم يزل حتى شبعوا، ثم خلى عندها فضل ذلك، وقام وقمت معه، فجعلت تقول: جزاك الله خيرا! أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين! فيقول: قولي خيرا، إنك إذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هناك إن شاء الله ثم تنحى ناحية عنها، ثم استقبلها وربض مربض السبع، فجعلت أقول له: إن لك شأنا غير هذا، وهو لا يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون ثم ناموا وهدءوا، فقام وهو يحمد الله، ثم أقبل علي فقال: يا أسلم، إن الجوع أسهرهم وأبكاهم، فأحببت ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم. وكان عمر إذا أراد أن يأمر المسلمين بشيء أو ينهاهم عن شيء مما فيه صلاحهم بدأ بأهله، وتقدم إليهم بالوعظ لهم، والوعيد على خلافهم أمره.

مراجع: صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ تاريخ الطبري/ الكامل في التاريخ/ سراج الملوك/ وفيات الأعيان/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء

◆ سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (سابع ملوك الدولة الأموي) والأعرابي[045]

حكى عتيق بن عامر بن عبد الله بن الزبير[1] قال: كنت نديما لسليمان بن عبد الملك، وإني لعنده ذات يوم إذ دخل عليه عمر بن عبد العزيز[2] فقال: يا أمير المؤمنين إن بالباب أعرابيا وله دين، فلو أذنت له فسمعت كلامه، قال: نعم، يا غلام، إيذن للأعرابي، فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله فإن وراءه ما يجب إن قلته، فقال له: يا أعرابي إنا لنجود بالاحتمال على من لا نأمن غيبه ولا نرجو نصحه وأنت المأمون غيبا والناصح جيبا فهات، فقال الأعرابي: أما إذا أمنت بادرة غضبك فإني مطلق لساني بما خرست به الألسن بإذنه، لحق الله عز وجل وحق أمانتك يا أمير المؤمنين، إنه تكنفك قوم أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياك بآخرتهم ورضاك بسخط الله، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه فإنهم لم يألوا الأمانة والأمة خسفا وعسفا وأنت مسؤول عما اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت، فلا تفسد آخرتك بدنيا غيرك، فإن المغبون كل المغبون من أفسد آخرته بدنيا غيره، فقال له سليمان: أما أنت فقد نصحت، وأرجو أن الله يعين على ما قلدنا وقد سللت علينا لسانك وهو أقطع من سيفك، قال: نعم يا أمير المؤمنين وهو لك لا لغيرك، فقيل له: سل أمير المؤمنين حاجة، قال: ما آخذ خاصا دون عام، ثم خرج.

عن سالم بن عبد الله قال: سمعت ميمون بن مهران، يقول: قال عمر بن عبد العزيز لجلسائه: أخبروني بأحمق الناس، قالوا: رجل باع آخرته بدنياه، فقال عمر: ألا أنبئكم بأحمق منه؟ قالوا: بلى، قال: رجل باع آخرته بدنيا غيره.

حدث عكرمة بن خالد[3] أنه دخل على نافع بن أبي علقمة الكناني[4]،وهو أمير على مكة يعوده فرآه ثقيلا، فقال له: اتق الله وأكثر ذكره، فولى بوجهه إلى الجدار فلبث ساعة ثم أقبل علي، فقال: يا أبا خالد ما أنكر ما تقول، فلوددت أني كنت عبدا مملوكا لبني فلان من كنانة أشقى أهل بيت من كنانة، وأني لم أل من هذا العمل شيئا قط. في رواية عن عمر بن يونس اليمامي حدثني أبي حدثنا عكرمة بن خالد أنه دخل على نافع بن أبي علقمة الكناني وهو أمير على مكة وأنه عاده وهو مريض فرآه ثقيلا فقال له عكرمة: اتق الله وأكثر ذكره فإن الله جعل لك مالا فأوص فيه كما أمر الله عز و جل فإنه يصيب ذا الرحم والمسكين وفي سبيل الله، فلما قلت له ذاك ولى بوجهه إلى الجدار، فلبث ساعة، ثم قبل علي فقال: يا أبا خالد، ما أنكر ما تقول ولوددت أني كنت عبدا مملوكا لبني فلان من كنانة أسقيهم الماء وأني لم آل من هذا العمل شيئا قط.

---

(2) عمر بن عبد العزيز بن مروان. يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي رضي الله عنه بدير سمعان لعشر ليال بقين من رجب سنة 101 هـ وهو ابن 39 سنة واشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر.

(3) عكرمة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر المخزومي القرشي. يروى عن بن عمر وهو الذي يروي عن سعيد بن جبير عداده في أهل مكة روى عنه حنظلة بن أبي سفيان وابن جريج . مات قبل العشرين ومائة، وقيل توفي بعد عطاء بن أبي رباح بيسير سنة114 هـ أو 115 هـ . أما عكرمة بن خالد بن سلمة بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، فهو ولد ابن عم عكرمة بن خالد. وهو ضعيف مقل، أدركه مسلم بن إبراهيم.

(1) عتيق بن عامر بن عبد الله بن الزبير، قتل بقديد.وهي معركة وقعت بين اهل المدينة والخوارج عام 130 هـ

(4) نافع بن أبي علقمة الكناني، أمير على مكة، هو نافع بن علقمة بن صفوان بن محرث الكناني كان عبد الملك بن مروان أمره على مكة وله قصة مع أبان بن عثمان ذكرها الزبير بن بكار في الموفقيات وهو خال مروان والد عبد الملك فإن أم مروان هي أم عثمان آمنة بنت علقمة بن صفوان المذكور ولم أر لعلقمة ذكرا في الصحابة فكأنه مات قبل أن يسلم فيكون لولده نافع صحبة فإن بني كنانة كانوا بالقرب من مكة ولم يبق بالحجاز أحد إلا أسلم وشهد حجة الوداع. (أما نافع بن عبد الحارث فهو صحابي، ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على مكة والطائف).

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ؛ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ﴾ (بطانتان) بكسر الموحدة؛ أي وزيران ومشيران، مشبهان بالبطانة لملازمته بحيث لا ينفكان عن صحبته. وعن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالْأَمِيرِ خَيْرًا؛ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ؛ إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ﴾ وكان بعض الملوك قد كتب ثلاث رقاع وقال لوزيره:﴿إِذَا رَأَيْتِنِي غَضْبَانَ فَأَدْفَعُ إِلَيَّ رُقْعَةً بَعْدَ رُقْعَةٍ وَكَانَ فِي الأُولَى: إِنَّكِ لَسْتِ بِإِلَهٍ وَإِنَّكَ سَتَمُوتُ وَتَعَوَّدَ إِلَى التُّرَابِ فَيَأْكُلُ بَعْضُكَ بَعْضًا. وَفِي الثَّانِيَةِ: أَرْحَمُ مِنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمُكَ مِنْ فِي السَّمَاءِ، وَفِي الثَّالِثَةُ: اِقْضِ بَيْنَ النَّاسِ بِحُكْمِ اللهِ فَإِنَّهُ لَا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا ذَلِكَ﴾ عن عائشة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ وَزِيرٍ صَالِحٍ مَعَ إِمَامٍ يُطِيعُهُ يَأْمُرُهُ بِذَاتِ اللهِ تَعَالَى﴾ وعن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ فِي النَّارِ حَجَرًا يُقَالُ لَهُ: وَيْلٌ يَصْعَدُ عَلَيْهِ الْعُرَفَاءُ وَيَنْزِلُونَ فِيهِ﴾ وهذا الحديث لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا عن سعد بهذا الإسناد. وعن أوس بن شرحبيل أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ لِيُقَوِّيَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ﴾ وعن أبي أُمامة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَبْدٌ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ﴾

مراجع: سراج الملوك/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح معجم ابن الأعرابي/ كنز العمال/ الثقات لابن حبان/ وفيات الأعيان/ المتمنين/ الإصابة في تميز الصحابة

◆ سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (سابع ملوك الدولة الأموي) وصفوان بن سُليم الزهري [046]

عن سعيد بن كثير بن يحيى قال: قدم سليمان بن عبد الملك المدينة وعمر بن عبد العزيز عامله عليها. قال: فصلى بالناس الظُّهر ثم فتح باب المقصورة واستند إلى المحراب واستقبل الناس بوجهه، فنظر إلى صفوان بن سليم[1] عن غير معرفة فقال: يا عمر مَن هذا الرجل، ما رأيت سَمْتاً أحسن منه؟ قال: يا أمير المؤمنين هذا صفوان بن سليم. قال: يا غلام كيس فيه خمس مائة دينار. فآتى بكيس فيه خمس مائة دينار فقال لخادمه: ترى هذا الرجل القائم يصلي فوصفه للغلام حتى أثبته فخرج الغلام بالكيس حتى جلس إلى صفوان فلما نظر إليه صفوان ركع وسجد ثم سلم واقبل عليه فقال: ما حاجتك؟ قال: امرني أمير المؤمنين، وهو ذا ينظر إليك واليّ أن ادفع هذا الكيس وفيه خمسُ مائةِ دينارٍ إليك وهو يقول: استعِنْ بهذا على زمانك وعلى عيالك. فقال صفوان للغلام: ليس أنا بالذي أرسلت إليه. فقال له الغلام: ألست صفوان بن سليم؟ قال: بل أنا صفوان بن سليم. قال: فإليك أُرسِلت. قال: اذهب فاستثبت فإذا أثبت فهلم. فقال الغلام: فأمسك الكيس معك واذهبُ. قال: لا، إذا أمسكتُ كنتُ قد أخذتُ، ولكن اذهب فاستثبت فأنا ها هنا جالس. فولّى الغلام فأخذ صفوان نعليْه وخرج فلم يُرَ بها حتى خرج سليمان من المدينة.

كان يزيد بن ميسرة[2] رحمه الله يقول: كانت العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شغلوا، فإذا شغلوا فقدوا، فإذا فقدوا طلبوا، فإذا طلبوا هربوا.

---

(1) صفوان بن سُليم الزهري، القرشي، المدني، مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف يكنى أبا عبد الله. ولد سنة 60 هـ .أسند عن ابن عمر وجابر بن عبد الله وعبد الله بن جعفر وسهل بن حنيف في آخرين، وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب وأبي سلمة وعروة وسالم وعكرمة وطاووس في خلقٍ كثير. عن أبي بكر بن صدقة قال: ذُكر لأحمد بن حنبل صفوان بن سليم وقلّةُ حديثه وأشياء خولف فيها. فقال: هذا رجل إنما كان يُستشفَى بحديثه ويُستنزَل القَطْرُ بذكْره. توفي صفوان بالمدينة سنة 132 هـ عن أبو مصعب قال لي ابن أبي حازم: دخلت أنا وأبي نسأل عنه، يعني صفوان بن سليم وهو في مصلاّه فما زال به أبي حتى ردّه إلى فراشه فأخبرْتني مولاته أنْ ساعةَ خرجتُم ماتَ.

(2) يزيد بن ميسرة بن حلبس، أبو حلبس، الدمشقي. سمع أم الدرداء، وأبي إدريس الخولاني. روى عنه: أخوه يونس، وصفوان بن عمرو، ومعاوية بن صالح، وآخرون. سكن حمص، وكان واعظا زاهدا عارفا. قيل توفي سنة 111 هـ.

عن سليمان بن سالم قال: كان صفوان بن سليم في الصيف يصلّي بالليل في البيت، فإذا كان الشتاء صلّى في السطح لئلا ينام. عن أبي ضمرة أنس بن عياض قال: رأيت صفوان بن سليم ولو قيل له غداً القيامة، ما كان عنده مَزيد على ما هو عليه من العبادة. وعن أبي علقمة المديني قال: كان صفوان بن سليم لا يكاد يخرج من مسجد النبيّ صلى الله عليه وسلم فإذا أراد أن يخرج بكى وقال: أخشى أن لا أعود إليه. وعن محمد بن أبي منصور قال: قال صفوان بن سليم أعطى الله عهداً أن لا أضع جنبي على فراشٍ حتى الحق بربي قال: فبلغني أن صفوان عاش بعد ذلك أربعين سنة لم يضع جنبه فلما نزل به الموت قيل له: رحمك الله ألا تضطجع؟ قال ما وفيتُ لله بالعهد إذاً. قال: فأُسنِد فما زال كذلك حتى خرجت نفسه، قال: ويقول أهل المدينة، انه نَفِثتْ جبهته من اثر السجود. وعن أبي مروان مولى بني تميم قال: انصرفت مع صفوان بن سليم من العيد إلى منزله فجاء بخبز يابس فجاء سائل فوقف على الباب وسأل فقام صفوان إلى كوّة في البيت فأخذ منها شيئا فأعطاه فاتّبعت ذلك السائل لأنظر ما أعطاه. فإذا هو يقول: أعطاه الله افضل ما أعطى أحداً من خلْقه فقلت ما أعطاك؟ قال: أعطاني ديناراً.

عن صفوان بن عمرو قال: كان يزيد بن ميسرة فيما بلغنا يقول إذا زكاك رجل في وجهك فانكر عليه واغضب ولا تقر بذلك وقل اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واغفر لي مالا يعلمون. قال: وكان يزيد بن ميسرة يقول: ابدؤا بالذي يحق الله عليكم ولا تعلموا الله ما ينبغي لكم. قال: وكان يزيد بن ميسرة يقول: اللهم اجعل مخافتك في قلوبنا وأدم على قلوبنا ذكر الموت، أيها الناس اذكروا أين أنتم اليوم وأين تكونوا غدا، اليوم في البيوت تتكلمون وغدا في القبور سكوت، فطوبى للأبرار الشاكرين يا غافلين تشيعون الميت الى قبره، ويقول ويلكم إنما أنتم غدا مثلي أيتها النفس ألا تنظرين الى ما رأيت في الدنيا وما لم تر على مثل ذلك إنما هي كأرواح تذهب لا يرى لها أثر أو كثور يدور يذهب الأول فالأول.

مراجع: صفة الصفوة/ تاريخ مدينة دمشق/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء

◆ بلال بن أبي بردة بن أبي موسى عبد الله بن قيس بن حَضَّار الأشعري اليماني البصري، أمير البصرة ومحمد بن واسع العابد[047]

قال محمد بن واسع الأزدي:[1] دخلت على بلال بن أبي بردة[2] أمير البصرة، فقلت له: يا بلال، إن أباك حدثني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ فِي جَهَنَّمَ وَادِيًا يُقَالُ لَهُ: هَبْهَبٌ. حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُسْكِنَهُ كُلَّ جَبَّارٍ﴾ فإياك يا بلال، أن تكون ممن يسكنه. ودخل عليه مرة، وكان ثوبه إلى نصف ساقه، فقال له بلال: ما هذه الشهرة يا ابنَ واسع؟ فقال له ابن واسع: أنتم شهرتمونا، هكذا كان لباس مَن مضى، وإنَّما أنتم طولْتم ذيولَكم، فصارت السنة بينكم بِدْعًا وشُهرة.

قال أبو محمد الثقفي: أصاب يزيد بن المهلب[3] تاجا بجرجان فيه جوهر، فقال: أترون أحدا يزهد في هذا التاج؟ قالوا: لا، فدعا محمد بن واسع الأزدي، فقال: خذ هذا التاج فهو لك، قال: لا حاجة لي فيه، قال: عزمت عليك، فأخذه، وخرج فأمر يزيد رجلا ينظر ما يصنع به، فلقي سائلا فدفعه إليه، فأخذ الرجل السائل، فأتى به يزيد وأخبره الخبر، فأخذ يزيد التاج، وعوض السائل مالا كثيرا.

قال جويرية بن أسماء: لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة، وفد عليه بلال بن أبي بردة، فهنأه، فقال: من كانت الخلافة يا أمير المؤمنين شرفته، فقد شرفتها، ومن كانت زانته، فقد زنتها، وأنت والله كما قال مالك بن أسماء: وتزيدين طيب الطيب طيبا... إن تمسيه أين مثلك أينا... وإذا الدر زان حسن وجوه...كان للدر حسن وجهك زينا. فجزاه عمر خيرا، ولزم بلال المسجد يصلي ويقرأ ليله ونهاره، فهم عمر أن يوليه العراق، ثم قال: هذا رجل له فضل، فدس إليه ثقة، فقال له: إن عملت لك في ولاية العراق، ما تعطيني؟ فضمن له مالا جليلا، وأخبر بذلك عمر، ففناه وأخرجه، وقال: يا أهل العراق، إن صاحبكم أعطي مقولا، ولم يعط معقولا، وزادت بلاغته، ونقصت زهادته.

قال العباس بن الفرج الرياشي، عن الأصمعي: وفد بلال ابن أبي بردة على عمر بن عبد العزيز، وهو بخناصرة، فلزم سارية من المسجد، يصلي إليها، يحسن السجود والركوع والخشوع، وعمر ينظر إليه، فقال عمر للعلاء بن المغيرة البندار، وكان خصيصا بعمر: إن يكن سر هذا كعلانيته فهو رجل أهل العراق غير مدافع عن فضل. فقال له العلاء بن المغيرة: إنا آتيك يا أمير المؤمنين بخبره. فأتاه وهو يصلي بين المغرب والعشاء، فقال له: اشفع صلاتك، فإن لي حاجة، فلما سلم من صلاته، قال له العلاء: تعلم منزلتي وموضعي من أمير المؤمنين، وحالي، فإن أشرت عليه أن يوليك العراق، ما تجعل لي؟ قال: عمالتي سنة، وكان مبلغها عشرين ومئة ألف درهم، قال: فاكتب لي بذلك خطا. فقام من وقته فكتب له خطا بذلك. فحمل ذلك الخط إلى عمر بن عبد العزيز، فلما قرأه عمر، كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وكان واليا على الكوفة: أما بعد، فإن بلالا غرنا بالله، فكدنا أن نغتر به، ثم سبكناه، فوجدناه خبثا كله.

وقال أبو الحسن المدائني:[4] نظر خالد إلى بلال، يطيل الصلاة، فأرسل إليه: والله لو صليت حتى تموت، ما وليتك شيئا. قال بلال للرسول: قل له: والله لئن وليتني، لا تعزلني أبدا، قال: فأرسل إليه فولاه. وقال عمر بن شبة بن عبيدة النميري: كان بلال ظلوما جائرا، لا يبالي ما صنع في الحكم، ولا في غيره.

عن عمر بن الحكم بن النضر، قال: سمعت من يقول: إنما قتل بلالا دهاؤه، وذاك إنه قال للسجان: خذ مني مئة ألف درهم، وتعلم يوسف بن عمر الثقفي[5]،أني قد مت، وكان يوسف إذا أخبر عن محبوس إنه قد مات، أمر بدفعه إلى أهله، فطمع بلال أن يأمر بدفعه إلى أهله، قال السجان: كيف تصنع إذا دفعت إلى أهلك؟ قال: لا يسمع لي يوسف بخبر ما دام واليا. فأتى السجان يوسف بن عمر، فقال: إن بلالا قد مات. فقال: أرنيه ميتا، فإني أحب أن أراه ميتا، فجاء السجان فألقى عليه شيئا غمه حتى مات، ثم أراه يوسف.

وفي رواية أن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري كان في حبس الحجاج وكان يعذبه وكان كل من مات من الحبس رفع خبره إلى الحجاج فيأمر بإخراجه وتسليمه إلى أهله فقال بلال للسجان خذ مني عشرة آلاف درهم واخرج اسمي إلى الحجاج في الموتى فإذا أمرك بتسليمي إلى أهلي هربت في الأرض فلم يعرف الحجاج خبري وإن شئت أن تهرب معي فافعل وعلى غنائك أبدا فأخذ السجان المال ورفع اسمه في الموتى فقال الحجاج مثل هذا لا يجوز أن يخرج إلى أهله حتى أراه هاته فعاد إلى بلال فقال اعهد قال وما الخبر قال أن الحجاج قال كيت وكيت فإن لم أحضرك إليه ميتا قتلني وعلم أني أردت الحيلة عليه ولا بد أن أقتلك خنقا فبكى بلال وسأله أن لا يفعل فلم يكن إلى ذلك طريق فأوصى وصلى فأخذه السجان وخنقه وأخرجه إلى الحجاج فلما رآه ميتا قال سلمه إلى أهله فأخذوه وقد اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم ورجعت الحيلة عليه.

قال الأصمعي: ولى يوسف بن عمر صاحب العراق أعرابيا على عمل له؛ فأصاب عليه خيانة فعزله، فلما قدم عليه قال له: يا عدو الله! أكلت مال الله! قال الأعرابي: فمال من آكل إذا لم آكل مال الله؟ لقد راودت إبليس أن يعطيني فلسا واحدا فما فعل. فضحك منه وخلى سبيله.

---

(1) محمد بن واسع الأزدي البصري، كنيته أبو بكر ويقال أبو عبد الله، وكان من العباد المتقشفة والزهاد المتجردة للعبادة خرج إلى خراسان غازيا وكان في فتح ما وراء النهر مع قتيبة بن مسلم، مات سنة 123 هـ وقيل إنه مات سنة 127 هـ بالبصرة. روى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير في الحج. وروى عنه إسماعيل بن مسلم.

(2) بلال بن أبي بردة بن أبي موسى عبد الله بن قيس بن حَضَّار الأشعري اليماني، أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الله الكوفي، ويقال: البصري، أمير البصرة وقاضيها، أخو سعيد بن أبي بردة، وعم يزيد بن عبد الله بن أبي بردة. مات سنة نيف وعشرين ومائة.

(3) المهلب بن أبي صفرة الأزدي، قائد عسكري وأحد ولاة الأمويين.

(5) أبو عبد الله يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، ابن عم الحجاج، ولاه هشام بن عبد الملك ولاية اليمن سنة 106 هـ ثم ضم إليه ولاية العراق سنة 120هـ، فاستخلف ابنه الصلت على اليمن وذهب إلى العراق،أقره الوليد بن يزيد حتى قتل سنة 127 هـ

(4) أبو الحسن المدائني الإخباري. بصري سكن بغداد بعد أن سكن المدائن مدة، فنسب إليها، وهو صاحب المصنفات المشهورة. كان عالما بالمغازي والسير والأنساب، وأيام العرب. صدوقا فيما يبديه. توفي سنة225 هـ وله 93 سنة، مات في دار إسحاق الموصلي، وكان منقطعا إليه

قال الشيخ الشحود: الشهرة في اللباس تكون في الإسبال، وفي التشمير المخل، وفي السعة، واللون، والهيئة، والصفة، والتشبه بالكفار، وهو كل ما خرج عن العادة والعرف الشرعي، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (شهرة) أي ثوب تكبر وتفاخر وتجبر، أو ما يتخذه المتزهد ليشهر نفسه بالزهد، أو ما يشعر به المتسيد من علامة السيادة كالثوب الأخضر، أو ما يلبسه المتفقهة من لبس الفقهاء، والحال أنه من جملة السفهاء. وعن أم المؤمنين عائشة: ﴿احْذَرُوا الشُّهْرَتَيْنِ: الصُّوفَ وَالْخَزَّ﴾ وعن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ رَجُلٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ﴾ وعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ. فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنًا. قَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ﴾ (إن الله جميل) أي في ذاته وصفاته وفعاله وكل جمال صوري أو جميل معنوي، فهو أثر جماله، فلا جمال ولا جلال ولا كمال إلا له سبحانه (يحب الجمال) أي ظهوره في مخلوقاته، ولذلك أظهرهم وجعلهم مظاهره، ويؤيده حديث:﴿وَيُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ وَيُبْغِضُ الْبُؤْسَ وَالتَّبَاؤُسَ﴾ (الكبر بطر الحق) بفتح الموحدة والمهملة أي الكبر المذموم بطلان جمال الحق (وغمص) أي استحقار الخلق، وأصل البطر شدة الفرح والنشاط، والمراد هنا قيل سواء احتمال الغنى، وقيل الطغيان عند النعمة والمعنيان متقاربان. وعن ابن عمر قال: ﴿مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ﴾ أي من شبه نفسه بالكفار مثلا في اللباس وغيره. والتواضع في كل شيء سمة المتقين، والإسراف سمة الجهلة والمتكبرين ومن تواضع لله رفعه، ومن ترفع على الله أذله.

وعن ابن عمر قال:﴿مَرَرْتُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي إِزَارِي اسْتِرْخَاءٌ. فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ! ارْفَعْ إِزَارَكَ، فَرَفَعْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: زِدْ، فَزِدْتُ. فَمَا زِلْتُ أَتَعَرَّاهَا بَعْدُ. فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ﴾.

قيل لعمر رضي الله عنه: مَا يمنعك ألا تفشي الْعَمَل فِي الأفاضل من أَصْحَاب رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، قَالَ: هم أجل من أَن أدنسهم بِالْعَمَلِ. عن عاصم بن أبي النجود،﴿أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، كَانَ إِذَا بَعَثَ عُمَّالًا اشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ: أَلَا تَرْكَبُوا بِرْذَوْنًا، وَلَا تَأْكُلُوا نَقِيًّا، وَلَا تَلْبَسُوا رَقِيقًا، وَلَا تُغْلِقُوا أَبْوَابَكُمْ دُونَ حَوَائِجِ النَّاسِ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ حَلَّتْ بِكُمُ الْعُقُوبَةُ، ثُمَّ يُشَيِّعُهُمْ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ قَالَ: إِنِّي لَمْ أُسَلِّطْكُمْ عَلَى دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا عَلَى أَبْشَارِهِمْ، وَلَا عَلَى أَعْرَاضِهِمْ، وَلَا عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَلَكِنِّي بَعَثْتُكُمْ لِتُقِيمُوا فِيهِمُ الصَّلَاةَ، وَتَقْتَسِمُوا فِيهِمْ فَيْئَهُمْ، وَتَحْكُمُوا بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ فَارْفَعُوهُ إِلَيَّ، أَلَا وَلَا تَضْرِبُوا الْعَرَبَ فَتُذِلُّوهَا، وَلَا تَحْمَدُوهَا فَتَفْتِنُوهَا، وَلَا تُقْبِلُوا عَلَيْهَا فَتُخَرْمُوهَا فَيَرُدُّوا الْقُرْآنَ﴾ وفي رواية عن يحيى بن حضين، سمع طارق بن شهاب يقول:﴿قَالَ عُمَرُ فِي عُمَّالِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ أَبْعَثْهُمْ لِيَأْخُذُوا أَمْوَالَهُمْ، وَلا لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَهُمْ، مَنْ ظَلَمَهُ أَمِيرُهُ فَلا إِمْرَةَ عَلَيْهِ دُونِي﴾ (عماله) جمع عامل؛ أي حكامه (برذونا) أي خيلا تركيا في المغرب، البرذون التركي من الخيل، والجمع براذين، وخلافها العراب والأنثى برذونة، قال الطيبي: إذا جعل العلة للنهي عن ركوب الخيلاء والتكبر؛ كان النهي عن العراب أحرى وأولى (ولا تأكلوا نقيا) وهو ما نخل مرة بعد أخرى، ولا تلبسوا رقيقا، ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس، فإن فعلتم شيئا من ذلك فقد حلت بكم العقوبة؛ أي في الدنيا، أو العقبى (ثم يشيعهم) وهو عطف على (شرط) والمشايعة مستحبة. قال إبراهيم بن أدهم: كان عمر إذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسفارهم، وعن من يعرف من أهل البلاد وعن أميرهم، وهل يدخل عليه الضعيف وهل يعود المريض؟ فإن قالوا نعم حمد الله تعالى، وإن قالوا لا كتب إليه أن أقبل. وفي رواية أخرى عن الأسود بن يزيد، قال: ﴿كَانَ الْوَفْدُ إِذَا قَدِمُوا عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَأَلَهُمْ عَنْ أَمِيرِهِمْ، فَيَقُولُونَ خَيْرًا، فَيَقُولُ: هَلْ يَعُودُ مَرْضَاكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: هَلْ يَعُودُ الْعَبْدَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: كَيْفَ صَنِيعَةُ بِالضَّعِيفِ؟ هَلْ يَجْلِسُ عَلَى بَابِهِ؟ فَإِنْ قَالُوا لِخَصْلَةٍ مِنْهَا: لا، عَزَلَهُ﴾ وعن ابن طاووس، عن أبيه، أن عمر بن الخطاب قال: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنِ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ خَيْرَ مَنْ أَعْلَمُ ثُمَّ أَمَرْتُهُ بِالْعَدْلِ، أَقَضَيْتُ مَا عَلَيَّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَا، حَتَّى أَنْظُرَ فِي عَمَلِهِ أَعَمِلَ بِمَا أَمَرْتُهُ أَمْ لَا﴾.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ مسند أحمد/ صحيح مسلم/ سراج الملوك/ تاريخ الطبري/ مصنف عبد الرازق/ التاريخ الكبير/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ سنن الدارمي/ تفسير ابن كثير/ البداية والنهاية/ موسوعة الدين النصيحة

◆ بلال بن أبي بردة بن أبي موسى عبد الله بن قيس بن حَضَّار الأشعري اليماني البصري، أمير البصرة ومالك بن دينار [048]

يروى أن أمير البصرة بلال بن أبي بردة [1] خرج في جنازة، فنظر إلى جماعة وقوف فقال: ما هذا؟ قالوا: مالك بن دينار [2] يذكِّر الناس. فقال لِوَصيفٍ معه: اذهب إلى مالك بن دينار، فقل له: يرتفع إلينا إلى القبر. فجاء الوصيفُ فأدى الرِّسالة إلى مالك، فصاح به مالك: ما لي إليه حاجَة، فأجيبه فيها، فإن تكن له حاجة، فليَجِئ إلى حاجةِ نفسه. فلما دفنوا ميِّتَهم، قام بلال بمن معه إلى حلقة مالك، فلما دنا منه، نزل ونزل من معه، ثم جاء يَمشي إلى الحلقة حتى جلس، فلما رآه مالك بن دينار، سكت فأطال السكوت. فقال له بلال: يا أبا يَحيى، ذكرنا؟ فقال: ما نسيت شيئًا، فأذكرك به. قال: فحدثنا. قال: أمَّا هذا، فنعم، قدم علينا أميرٌ من قبلك على البصرة، فمات فدفنَّاه في هذه الجبانة، ثم أتينا بزنجي فدفنَّاه إلى جنبه، والله ما أدري أيُّهما كان أكرم على الله سبحانه. فقال بلال: يا أبا يَحيى، أتدري ما الذي جَرَّأك علينا، وما الذي أسكتنا عنك؟ لأنَّك لم تأكلْ من دراهِمِنا شيئًا، أمَا والله، لو أخذت من دراهمنا شيئًا، ما اجترأت علينا هذه الجُرأة.

قال الحسن: [3] قدم علينا بشر بن مروان أخو عبد الملك بن مروان الخليفة أمير المصرين، وأشبَ* الناس،وأقام عندنا أربعين يوما، ثم طعن في قدميه فمات وأخرجناه إلى الجبان فإذا نحن بأربعة سودان يحملون صاحبا لهم إلى قبره، فوضعنا السرير فصلينا عليه، ووضعوا صاحبهم فصلوا عليه، ثم حملنا بشرا إلى قبره وحملوا صاحبهم إلى قبره ودفنا بشرا ودفنوا صاحبهم ثم انصرفوا وانصرفنا، ثم التفت التفاتة فلم أعرف قبر بشر من قبر الحبشي، فلم أر شيئا قط كان أعجب منه

* التأشيب، التحريش بين القوم، والتأشيب، التجميع، يقال: تأشب به أصحابه، أي: اجتمعوا إليه وطافوا به.

➔ (2) أبو يحيى مالك بن دينار البصري، وهو من موالي بني سامة بن لؤي القرشي، كان عالما زاهدا كثير الورع قنوعا لا يأكل إلا من كسبه، وكان يكتب المصاحف بالأجرة، وروي عنه أنه قال: قرأت في التوراة أن الذي يعمل بيده طوبى لحياء وممانه. وكان من كبار السادات. أسند مالك بن دينار عن أنس بن مالك وعن جماعة من كبار التابعين: كالحسن وابن سيرين والقاسم بن محمد وسالم بن عبيد الله. توفي رحمه الله تعالى سنة 131 هـ بالبصرة، قبل الطاعون بيسير

➔ (3) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن سمرة وأبي بكرة والنعمان بن بشير وجندب بن عبد الله وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وعمرو بن ثعلب وعبد الله بن عمرو ومعقل بن يسار وأبي هريرة والأسود بن سريع وأنس بن مالك وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

➔ (1) بلال بن أبي بردة بن أبي موسى عبد الله بن قيس بن حَضَّار الأشعري اليماني، أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الله الكوفي، ويقال: البصري، أمير البصرة وقاضيها، وعم سعيد بن أبي بردة، وعم بريد بن عبد الله بن أبي بردة. مات سنة نيف وعشرين ومائة.

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلاً للدنيا ولابن آدم عند الموت، كمثل رجل له ثلاثة أخلاء، فلما حضره الموت قال لأحدهم: قد كنت لي خلاً مكرماً مؤثراً وقد حضرني من أمر الله تعالى ما ترى، فماذا عندك؟ فيقول: هذا أمر الله غلبني عليك ولا أستطيع أن أنفس كربك، ولكن ها أنا بين يديك فخذ مني زاداً ينفعك. ثم قال للثاني: قد كنت عندي آثر الثلاثة، وقد نزل بي أمر الله تعالى ما ترى، فماذا عندك؟ فيقول: هذا أمر الله تعالى غلبني عليك ولا أستطيع أن أنفس كربك، ولكن ها سأقوم عليك في مرضك، فإذا مت أنقيت غسلك وجودت كسوتك وسترت جسدك وعورتك. ويقول للثالث: قد نزل بي أمر الله تعالى ما ترى، وأنت أهون الثلاثة علي فماذا عندك؟ فيقول: إني قرينك وحليفك في الدنيا والآخرة، أدخل معك قبرك حين تدخله وأخرج منه حين تخرج ولا أفارقك أبداً. قال النبي صلى الله عليه وسلم: الأول ماله والثاني أهله والثالث عمله.

عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ﴾قال ابن عباس: إذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن به وإذا كان حيا فخوفوه وقال الفضيل: الخوف أفضله من الرجاء ما كان العبد صحيحا فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف. قال عبد الأعلى التيمي:﴿مَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ إِلَّا وَيَتَصَفَّحُهُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ﴾ وعن سعيد الأزدي قال: شهدت أبا أمامة وهو في النزع، فقال لي: يا سعيد! إذا أنا مت فافعلوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا:﴿إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَتَرَكْتُمْ عَلَيْهِ التُّرَابَ، فَلْيَقُمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ عِنْدَ رَأْسِهِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانَةَ، فَإِنَّهُ يَسْمَعُ، وَلَكِنَّهُ لَا يُجِيبُ، ثُمَّ لِيَقُلْ: يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانَةَ، فَإِنَّهُ يَسْتَوِي جَالِسًا، ثُمَّ لِيَقُلْ: يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانَةَ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: أَرْشِدْنَا يَرْحَمُكَ اللهُ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اذْكُرْ مَا خَرَجْتَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا، شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّكَ رَضِيتَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ: انْطَلِقْ بِنَا مِنْ عِنْدِ هَذَا مَا نَصْنَعُ بِهِ، وَقَدْ لُقِّنَ حُجَّتَهُ؟ فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنْ لَمْ أَعْرِفْ أمه قال: انْسِبْهُ إِلَى حَوَّاءَ﴾ عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا. وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَتِهِ فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا، وَرُوحُوا بِشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا﴾ وعن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ﴾ وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت عمر يقول لطلحة بن عبيد الله:﴿مَا لِي أَرَاكَ قَدْ شَعِثْتَ وَاغْبَرَرْتَ مُنْذُ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَعَلَّكَ سَاءَكَ يَا طَلْحَةُ إِمَارَةُ ابْنِ عَمِّكَ، قَالَ: مَعَاذَ اللهِ، إِنِّي لَأَجْدَرُكُمْ أَنْ لَا أَفْعَلَ ذَاكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا رَجُلٌ عِنْدَ حَضْرَةِ الْمَوْتِ إِلَّا وَجَدَ رُوحَهُ لَهَا رَوْحًا حِينَ تَخْرُجُ مِنْ جَسَدِهِ، وَكَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَلَمْ أَسْأَلْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهَا، وَلَمْ يُخْبِرْنِي بِهَا، فَذَلِكَ الَّذِي دَخَلَنِي، قَالَ عُمَرُ فَأَنَا أَعْلَمُهَا، قَالَ: فَلِلَّهِ الْحَمْدُ، قَالَ: فَمَا هِيَ؟ قَالَ: هِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَهَا لِعَمِّهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. قَالَ طَلْحَةُ: صَدَقْتَ﴾ عن القاسم أن عمر حيث طعن جاء الناس يثنون عليه ويدعون له فقال عمر رحمه الله: أبالإمارة تزكونني؟ لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبض وهو عني راض وصحبت أبا بكر فسمعت وأطعت فتوفي أبو بكر وأنا سامع مطيع وما أصبحت أخاف على نفسي إلا إمارتكم هذه. روي أن عمر بن الخطاب، لما طعن دعا بلبن فشرب منه فخرج من طعنته فقال: الله أكبر. فجعل جلساؤه يثنون عليه. فقال: وددت أني أخرج منها كفافاً كما دخلت فيها، لو أن لي اليوم ما طلعت عليه الشمس وغربت لافتديت به من هول المطلع! قال ابن عمر: ولما احتضر عمر غشي عليه فأخذت رأسه فوضعته في حجري فقال: ضع رأسي بالأرض لعل الله يرحمني. فمسح خديه من التراب وقال: ويل لعمر وويل لأمه إن لم يغفر له! فقلت: وهل حجري والأرض إلا سواء يا أبتاه؟ فقال: ضع رأسي بالأرض لا أم لك كما آمرك! فإذا قضيت فأسرعوا بي إلى حفرتي فإنما هو خير تقدمون إليه أو شر تضعونه عن رقابكم! ثم بكى فقيل له: وما يبكيك؟ قال: خبر السماء لا أدري إلى جنة ينطلق بي أو إلى نار.

عن فطر بن حماد، حدثني أبي قال: سمعت مالك بن دينار يقول: يقول الناس: مالك بن دينار، يعني مالك بن دينار زاهد، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها. وعن عثمان بن إبراهيم قال: سمعت مالك بن دينار يقول لرجل من أصحابه: إني لأشتهي رغيفا بلبن رائب. قال: فانطلق فجاء به قال: فجعله على الرغيف. فجعل مالك يقلبه وينظر إليه ثم قال: اشتهيتك منذ أربعين سنة فغلبتك حتى كان اليوم، وتريد أن تغلبني؟ إليك عني وأبى أن يأكله. وكان مالك بن دينار يطوف بالبصرة في الأسواق فينظر إلى أشياء يشتهيها فيرجع فيقول لنفسه: أبشري فوالله ما حرمتك ما رأيت إلا لكرامتك علي. وعن سلام بن أبي مطيع قال: دخلنا على مالك بن دينار ليلا وهو في بيت بغير سراج وفي يده رغيف يكدمه. فقلنا له: أبا يحيى ألا سراج؟ ألا شيء تضع عليه خبزك؟ فقال: دعوني فوالله إني لنادم على ما مضى. وعن سعيد بن عصام قال: سمعت مالك بن دينار يقول: كان الأبرار يتواصون بثلاث: بسجن اللسان، وكثرة الاستغفار، والعزلة. وعن جعفر بن سليمان قال: جاء محمد بن واسع إلى مالك بن دينار فقال: يا أبا يحيى إن كنت من أهل الجنة فطوبى لك. فقال: ينبغي لنا إذا ذكرنا الجنة أن نحزن. وعن الحارث بن سعيد قال: كنا عند مالك بن دينار وعندنا قارئ يقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة] فجعل مالك يتنفض وأهل المجلس يبكون ويصرخون حتى انتهى إلى هذه الآية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة] قال: فجعل مالك، والله، يبكي ويشهق حتى غشي عليه فحمل بين القوم صريعا.وعن محمد بن عبد العزيز بن سليمان قال: سمعت أبي يقول: سمعت مالك بن دينار يقول: عجبا لمن يعلم أن الموت مصيره والقبر مورده كيف تقر بالدنيا عينه؟ وكيف يطيب فيها عيشه؟ قال: ثم يبكي مالك حتى يسقط مغشيا عليه. وعن عبد الله بن مرزوق قال: بلغني أن مالك بن دينار دخل المقابر ذات يوم فإذا رجل يدفن، فجاء حتى وقف على القبر فجعل ينظر إلى الرجل وهو يدفن فجعل يقول: مالك، غدا هكذا يصير وليس له شيء يتوسده في قبره. فلم يزل يقول: غدا مالك هكذا يصير، حتى خر مغشيا عليه في جوف القبر فحملوه فانطلقوا به إلى منزله مغشيا عليه. وعن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال: إن الله جعل الدنيا دار مفر فخذوا لمفركم وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، ففي الدنيا حييتم ولغيرها خلقتم؛ إنما مثل الدنيا كالسم أكله من لا يعرفه واجتنبه من عرفه ومثل الدنيا مثل الحية مسها لين وفي جوفها السم القاتل يحذرها ذوو العقول ويهوي إليها الصبيان بأيديهم. وعن جعفر قال: رأيت مالك بن دينار يتقنع بعباء، أو قال بكساء، ثم يقول: إله مالك، قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأي الدارين دار مالك وأي الرجلين مالك؟ ثم يبكي، وسمعته يقول: لو استطعت أن لا أنام لم أنم مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم، ولو وجدت أعوانا لفرقتهم ينادون في منار الدنيا كلها يا أيها الناس النار النار.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ سراج الملوك/ عمر بن عبد العزيز ومعالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة/ وفيات الأعيان/ صفة الصفوة/ مسند أحمد/ مصنف ابن أبي شيبة/ التذكرة للقرطبي

◆ المهلّب بن أبي صفرة الأزدي (عامل الحجاج أمية بن عبد الله) ومالك بن دينار [049]

لَمَّا نظر مالك بن دينار[1] إلى المهلب بن أبي صفرة[2] يجر أذياله ويتبختر في أثواب خيلائه، فناداه أنِ ارفع من ثيابك.فقال له المهلب: أَوَمَا تعرفني؟ قال له مالك: بلى، إنِّي أعرفك، أَوَّلُكَ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ، وَآخِرُكَ جِيفَةٌ قَذِرَةٌ، وَأَنْتَ بَيْنَ ذَلِكَ تَحْمِلُ العَذِرَةَ. حكى جعفر بن سليمان قال: مر والي البصرة بمالك بن دينار يرفل*،فصاح به مالك: أقل من مشيتك هذه، فهم خدمه به. فقال: دعوه، ما أراك تعرفني. فقال له مالك: ومن أعرف بك مني، أما أولك فنطفة مذرة وأما آخرك فجيفة قذرة، ثم أنت بين ذلك تحمل العذرة. فنكس الوالي رأسه ومشى.

قال الحسين بن زياد: سمعت منيعا يقول: مر تاجر بعشار (بعشارين) فحبسوا عليه سفينته فجاء إلى مالك بن دينار فذكر ذلك له، قال: فقام مالك فمشى إلى العشار فلما رأوه قالوا: يا أبا يحيى ألا تبعث إلينا حاجتك؟ قال: حاجتي أن تخلوا سفينة هذا الرجل. قالوا: قد فعلنا. قال: وكان عندهم كوز يجعلون فيه ما يأخذون من الناس من الدراهم قالوا: ادع الله لنا يا أبا يحيى. قال: قولوا للكوز يدعو لكم، كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم؟ أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف؟.

*رفل في ثيابه يرفل إذا أطالها وجرها متبخترا فهو رافل.

---

(1) أبو يحيى مالك بن دينار البصري، وهو من موالي بني سامة بن لؤي القرشي، كان عالما زاهدا كثير الورع قنوعا لا يأكل إلا من كسبه، وكان يكتب المصاحف بالأجرة، وروي عنه أنه قال: قرأت في التوراة أن الذي يعمل بيده طوبى لمحياه وممانه. وكان من كبار السادات. أسند مالك بن دينار عن أنس بن مالك وعن جماعة من كبار التابعين: كالحسن وابن سيرين والقاسم بن محمد وسالم بن عبيد الله. توفي رحمه الله تعالى سنة 131 هـ بالبصرة، قبل الطاعون بيسير

(2) المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي، أبو سعيد البصري، واسم أبي صفرة ظالم بن سارق، ويقال: ابن سراق بن صبيح بن كندي، ويقال: كندير بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد، ويقال: الأسد أيضا، بن عمران بن عمرو بن مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد. كان المهلب بن أبي صفرة واليا على خراسان من جهة الحجاج. مات سنة 81 هـ أو سنة 82 هـ. وزاد بعضهم: في ذي الحجة بمرو الروذ. وقيل: إن المهلب كان يقول: ما شيء أبقى للملك من العفو، وخير مناقب الملوك العفو. وكان يقول: لأن يطيعني سفهاء قومي أحب إلي من أن يطيعني حلماؤهم. وكان يقول لبنيه: يا بني لا تتكلوا على فعل غيركم، وافعلوا ما ينسب إليكم.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَدْخَلْتُهُ النَّارَ – وفي رواية–: قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ﴾ وعن سلمة بن الأكوع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي الْجَبَّارِينَ، فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ﴾ (يذهب) أي يعلي نفسه ويرفعها ويبعدها عن الناس في المرتبة، ويعتقدها عظيمة القدر أو للمصاحبة (يكتب) أي اسمه أو يثبت رسمه (في الجبارين) أي في ديوان الظالمين والمتكبرين أو معهم في أسفل السافلين (فيصيبه) أي فينال الرجل من بليات الدنيا وعقوبات العقبى (ما أصابهم) أي الجبارين كفرعون وقارون. كان الأحنف بن قيس يقول: عجبت لمن جرى في مجرى البول كيف يتكبر.

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿بَيْنَا رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَ فِي بُرْدَيْنِ أَخْضَرَيْنِ، يَخْتَالُ فِيهِمَا، أَمَرَ اللهُ الْأَرْضَ فَأَخَذَتْهُ، وَإِنَّهُ لَيَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿يحْشُرُ الْمُتَكَبِّرُونَ أَمْثَالَ الذَّرِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى: بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ﴾ (يحشر المتكبرون أمثال الذر) أي في الصغر والحقارة (يوم القيامة في صور الرجال) أي من جهة وجوههم أو من حيثية هيئتهم من انتصاب القامة (يغشاهم) أي يأتيهم (الذل من كل مكان) أي من كل جانب، والمعنى أنهم يكونون في غاية من المذلة والنقيصة يطؤهم أهل المحشر بأرجلهم من هوانهم على الله. وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ سَحَبَ ثِيَابَهُ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ –وفي رواية–: مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ مِنَ الْخُيَلَاءِ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال وأخبرني سليمان بن يسار، أن أم سلمة ذكرت النساء فقال:﴿تُرْخِي شِبْرًا، قَالَتْ: إِذَنْ تَنْكَشِفَ، قَالَ فَذِرَاعًا لَا يَزِدْنَ عَلَيْهِ﴾ (الخيلاء) أي كبرا وعجبا. وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَى مَنْ يَجُرُّ إِزَارَهُ بَطَرًا﴾ أي يجره تكبرا وطغيانا. وعن أبي هريرة قال: ﴿بَيْنَا رَجُلٌ يُصَلِّي مُسْبِلٌ إِزَارَهِ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا لَكَ أَمَرْتَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ مُسْبِلٌ إِزَارَهُ. وَإِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ صَلَاةَ رَجُلٍ مُسْبِلٍ إِزَارَهُ﴾ عندما سار عمر من الجابية إلى بيت المقدس، وقد تعبت دابته، أتوه ببرذون فجعل يهملج به، فقال: لمن معه: احبسوا، احبسوا، فنزل عنه، وضرب وجهه، وقال: لا علّم اللهَ من علّمك، هذا من الخيلاء، ما كنت أظن الناس يركبون الشياطين، هاتوا جملي، ثم نزل وركب الجمل، ثم لم يركب برذوناً قبله ولا بعده. (البرذون) الدابة، ويطلق على غير العربي من الخيل والبغال.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ مسند أحمد/ صحيح مسلم/ البداية والنهاية/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ لسان العرب

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (خامس الخلفاء الراشدين) وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب [050]

ذكر أن عمر بن عبد العزيز[1] كتب إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب:[2] من عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله أما بعد فقد ابتليت بما ابتليت به من أمر هذه الأمه من غير مشاورة مني ولا إرادة يعلم الله ذلك فإذا أتاك كتابي فاكتب إلي بسيرة عمر بن الخطاب في أهل القبلة وأهل العهد فإني سائر بسيرته إن الله أعانني على ذلك والسلام. فكتب إليه سالم: من سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين أما بعد فإنك كتبت إلي تسألني تذكر أنك ابتليت بما ابتليت به من أمر هذه الأمه من غير مشاورة ولا إرادة يعلم الله ذلك تسألني أن أكتب لك بسيرة عمر وقضائه في أهل القبلة وأهل العهود وتزعم أنك سائر بسيرته إن الله أعانك على ذلك وإنك لست في زماني عمر ولا في مثل رجال عمر فأما أهل العراق فليكونوا منك بمكان من لا غنى بك عنهم ولا مفقرة إليهم ولا يمنعك من نزع عامل أن تنزعه أن تقول لا أجد من يكفيني مثل عمله فإنك إذا كنت تنزع لله وتستعمل لله أتاح الله لك أعوانا وأتاك بهم فإنما قدر عون الله للعباد على قدر النيات فمن تمت نيته تم عون الله له ومن قصرت نيته قصر عون الله له والله المستعان والسلام.

قال شعيب بن صفوان: كتب سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب إلى عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة: أما بعد يا عمر فإنه قد ولي الخلافة والملك قبلك أقوام، فماتوا على ما قد رأيت، ولقوا الله فرادى بعد الجموع والحفدة والحشم، وعالجوا نزع الموت الذي كانوا منه يفرون، فانفقأت عينهم التي كانت لاتفتأ تنظر لذاتها، واندفنت رقابهم غير موسدين بعد لين الوسائد، وتظاهر الفرش والمرافق والسرر والخدم، وانشقت بطونهم التي كانت لا تشبع من كل نوع ولون من الأموال والأطعمة، وصاروا جيفا بعد طيب الروائح العطرة، حتى لو كانوا إلى جانب مسكين ممن كانوا يحقرونه وهم أحياء لتأذى بهم، ولنفر منهم، بعد إنفاق الأموال على أغراضهم من الطيب والثياب الفاخرة اللينة، كانوا ينفقون الأموال إسرافا في أغراضهم وأهوائهم، ويقترون في حق الله وأمره، فإن استطعت أن تلقاهم يوم القيامة وهم محبوسون مرتهنون بما عليهم، وأنت غير محبوس ولا مرتهن بشئ فافعل، واستعن بالله ولا قوة إلا بالله سبحانه.

كتب عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة إلى الحسن بن أبي الحسن البصري[3] أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل فكتب إليه الحسن: اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة* كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف. والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله الرفيق بها، الذي يرتاد لها أطيب المرعى، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنها من أذى الحر والقر*.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين، كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغارا، ويعلمهم كبارا، يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته. والإمام العادل يا أمير المؤمنين، كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها، حملته كرها ووضعته كرها، وربته طفلا، تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته. والإمام العادل يا أمير المؤمنين، وصي اليتامى، وخازن المساكين، يربي صغيرهم، ويمون كبيرهم. والإمام العادل يا أمير المؤمنين، كالقلب بين الجوارح: تصلح الجوارح بصلاحه وتفسد بفساده. والإمام العادل يا أمير المؤمنين، هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم. فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله عز وجل كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال، وشرد العيال، فأفقر أهله وفرق ماله. واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف إذا أتاها من يليها؟ وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم؟ واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه؛ فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر. واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلا غير منزلك الذي أنت فيه، يطول فيه ثواؤك، ويفارقك أحباؤك، يسلمونك في قعره فريدا وحيدا. فتزود له ما يصحبك يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه. واذكر يا أمير المؤمنين إذا بعثر ما في القبور، وحصل ما في الصدور فالأسرار ظاهرة، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. فالآن يا أمير المؤمنين، وأنت في مهل، قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل، لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين، فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلا* ولا ذمة، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك. ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك. ولا تنظرن إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غدا وأنت مأسور في حبائل الموت، وموقوف بين يدي الله تعالى في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحي القيوم. إني يا أمير المؤمنين، وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهى من قبلي، فلم آلك* شفقة ونصحا، فأنزل كتابي إليك كمداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة. والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

* (النصفة): اسم من الإنصاف. (القر): البرد.(الإل): العهد. (آلك) أي لم اقصر.

---

(2) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أمه أم ولد، يكنى أبو عبد الله، ويقال: أبو عبيد الله ويقال: أبو عمر العدوي المدني الفقيه قدم الشام على عبد الملك بن مروان بكتاب أبيه بالبيعة له، وعلى الوليد بن عبد الملك، وعلى عمر بن عبد العزيز. وكان أشبه أولاد أبيه به، عن مالك قال لم يكن أحد في زمن سالم بن عبد الله أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والقصد والعيش منه. أسند سالم عن أبيه وأبي أيوب وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة. روى عن أبيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق ورافع بن خديج وأبي هريرة . توفي سنة 106 هـ. ووافق موته حج هشام، فصلى عليه وكان في طريق عودته من الحج، بالمدينة.ودُفن بالبقيع.

(1) عمر بن عبد العزيز بن مروان. يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. ولاّه الخليفة الوليد بن عبد الملك على إمارة المدينة المنورة، ثم ضم إليه ولاية الطائف، ثم عُزل. فلما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة جعله وزيراً له، ثم ولي عهده، فلما مات سليمان سنة 99هـ تولى عمر الخلافة. توفي رضي الله عنه بدير سمعان لعشر ليال بقين من رجب سنة 101 هـ وهو ابن 39 سنة واشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر.

(3) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن سمرة وأبي بكرة والنعمان بن بشير وجندب بن عبد الله وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وعمرو بن ثعلب وعبد الله بن عمرو ومعقل بن يسار وأبي هريرة والأسود بن سريع وأنس بن مالك وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

قال وهب بن منبه:﴿إِذا عَمَلُ الْوَالِي بِالْجَوْرِ أَوْ هُمْ بِهِ أَدْخَلَ اللهُ النَّقْصَ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ مِنْ الزَّرْعِ والضرع وَكُلُّ شَيْءٍ وَكَذَلِكَ إِذَا هُمْ بِالْعَدْلِ أَوْ عُمِلَ بِهِ أَدْخَلَ اللهُ الْبركَة فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِه﴾ روى ابن عباس: إن ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته مستخفيا بمكانه، فنزل على رجل له بقرة فراحت البقرة فحلبت له قدر حلاب ثلاثين بقرة، فتعجب الملك لذلك وحدثته نفسه بأخذها، فلما راحت عليه من الغد حلبت على النصف مما حلبت بالأمس، فقال له الملك: ما بال حلابها نقص، أرعت في غير مرعاها بالأمس؟ قال: لا، ولكني أظن أن ملكنا هم بأخذها فنقص لبنها، فإن الملك إذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة. فعاهد الملك الله سبحانه وتعالى في نفسه أن لا يأخذها، فراحت من الغد فحلبت حلاب ثلاثين بقرة، فتاب الملك وعاهد ربه: لأعدلن.

عن سهل بن يحيى محمد المروزي قال: اخبر لي أبي، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: لما دفن عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك، وخرج من قبره، سمع للأرض هده أو رجه، فقال ما هذه؟ فقيل هذه مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين قربت إليك لتركبها. فقال: ما لي ولها نحوها عني قربوا إلي بغلتي، فقربت إليه بغلته فركبها فجاءه صاحب الشرط يسير بين يديه بالحربة فقال: تنح عني ما لي ولك إنما أنا رجل من المسلمين. فسار وسار معه الناس حتى دخل المسجد فصعد المنبر واجتمع الناس إليه. فقال: يا أيها الناس أني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني فيه ولا طلبة له ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم، فصاح المسلمون صيحة واحدة قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك فل امرنا باليمن والبركة، فلما رأى الأصوات قد هدأت ورضي به الناس جميعا، حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أوصيكم بتقوى الله فان تقوى الله خلف من كل شيء ليس من تقوى الله عز وجل خلف فاعملوا لأخرتكم فانه من عمل لأخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه واصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم وأكثروا ذكر الموت واحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم فانه هاذم اللذات وان من لا يذكر من آبائه فيما بينه وبين آدم عليه السلام أبا حيا لمعرق في الموت وان هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل ولا في نبيها ولا في كتابها إنما اختلفوا في الدينار والدرهم وإني والله لا اعطي أحدا باطلا ولا امنع أحدا حقا. ثم رفع صوته حتى اسمع الناس فقال:يا أيها الناس من أطع الله فقد وجبت طاعته ومن عصى الله فلا طاعة له أطيعوني ما أطعت الله فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم. ثم نزل فدخل فأمر بالستور فهتكت والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت وأمر ببيعها وإدخال أثمانها في بيت مال المسلمين ثم ذهب يتبوأ مقيلا فاتاه ابنه عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تصنع قال أي بني أقيل. قال: تقيل ولا ترد المظالم. قال: أي بني أني قد سهرت البارحة في أمر عمك سليمان فإذا صليت الظهر ردت المظالم. قال: يا أمير المؤمنين من لك أن تعيش إلى الظهر. قال: ادن مني أي بني، فدنا منه فالتزمه، وقبل بين عينيه، وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني، فخرج ولم يقل، وأمر مناديه أن ينادي إلا من كانت له مظلمة فليرفعها.

مراجع: البداية والنهاية/ صفة الصفوة/ وفيات الأعيان/ العقد الفريد

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (خامس الخلفاء الراشدين) وغلام هاشمي [051]

لما وليّ الخلافة عمر بن عبد العزيز وفدت الوفود من كل بلد لبيان حاجتها وللتهنئة، فوفد عليه الحجازيون ومعهم غلام هاشمي تقدم للكلام وكان حديث السن. فقال عمر: لينطق من هو أسنّ منك. فقال الغلام: أصلح الله أمير المؤمنين إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه فإذا منح الله عبدا لسانا لافظا وقلبا حافظا استحق الكلام وعرف فضله من سمع خطابه ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان في الأمة من هو أحق بمجلسك هذا من منك. فقال عمر: صدقت قل ما بدا لك. فقال الغلام: أصلح الله أمير المؤمنين: نحن وفد تهنئة لا وفد مرزئة وقد أتيناك لمنّ الله الذي منّ علينا بك ولم يقدمنا إليك إلا رغبة ورهبة. أما الرغبة فقد أتيناك من بلادنا وأما الرهبة فقد أمنا جورك بعدلك. فقال عمر: عظني يا غلام. فقال: أصلح الله أمير المؤمنين إن ناسا من الناس غرّهم حلم الله عنهم وطول أملهم وكثرة ثناء الناس عليهم فزلّت بهم الأقدام فهووا في النار. فلا يغرّنك حلم الله عنك وطول أملك وكثرة ثناء الناس عليك فتزل قدمك فتلحق بالقوم. فلا جعلك الله منهم، وألحقك بصالحي هذه الأمة. ثم سكت. فقال عمر: كم عمر الغلام؟ فقيل له ابن إحدى عشرة سنة ثم سأل عنه فإذا هو من ولد سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهم فأثنى عليه خيرا ودعا له. وفي مثل هذا قيل للعتابي[1] (العباسي)،وكان لا يبالي بما لبس: ما لك لا تجيد الملبوس؟ فقال: إنما يرفع المرء أدبه وعقله لا حليته وحلته، لحى الله أمرأ يرضى أن ترفعه هيئته وجماله! لا والله حتى يشرفه أصغراه: لسانه وقلبه، ويعلو به أكبراه: همته وليه.

قال ميمون بن مهران:[2] ما كانت العلماء عند عمر إلا تلامذة وكان معلم العلماء. وقال تكلم عمر بن عبد العزيز ذات يوم وعنده رهط من إخوانه ففتح له منطق وموعظة حسنة، فنظر إلى رجل من جلسائه وقد ذرفت عيناه بالدموع، فلما رأى ذلك عمر قطع منطقه، فقلت له: يا أمير المؤمنين امض في موعظتك فإني أرجو أن يمن الله به على من سمعه أو بلغه، فقال إليك عني يا أبا أيوب، فإن في القول على الناس فتنة لا يخلص من شرها متكلم عليهم، والفعال أولى بالمؤمن من المقال.

قال ميمون بن مهران: قال لي عمر بن عبد العزيز: قل لي في وجهي ما أكرهه، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكرهه. عن إدريس بن قادم قال: قال عمر بن عبد العزيز لميمون بن مهران: يا ميمون كيف لي بأعوان على هذا الأمر أثق بهم وآمنهم؟ قال: يا أمير المؤمنين لا تشغل قلبك بهذا فإنك سوق وإنما يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها فإذا عرف الناس أنه لا ينفق عندك إلا الصحيح لم يأتوك إلا بالصحيح.

عن يعلى بن عبيد قال: دخلنا على محمد بن سوقة[3] فقال: أحدثكم بحديث لعله إن ينفعكم فانه قد نفعني ثم قال: قال لنا عطاء بن أبي رباح[4] يا بني أخي إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضوله ما عدا كتاب الله عز وجل إن تقراه وتأمر بمعروف أو تنهى عن منكر أو تنطق بحاجتك في معيشك التي لا بد لك منها أتنكرون ﴿إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار] ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق] أما يستحي أحدكم أن لو نشرت عليه صحيفته التي أمل صدر نهاره فإن اكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه.

---

(2) ميمون بن مهران مولى بني أسد كان مملوكا لامرأة بالكوفة فأعتقته وبها نشأ وكنيته أبو أيوب سكن الجزيرة بعد وقعة الجماجم يروي عن ابن عمر روى عنه الأعمش وابنه عمرو بن ميمون كان مولده سنة 40 هـ وهي سنة المجاعة ومات بالرقة سنة 118 هـ وقيل سنة 117 هـ

(4) أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم – وقيل سالم – بن صفوان مولى بني فهر أو جمح المكي، وقيل إنه مولى أبي ميسرة الفهري، من مولدي الجند وهي بلدة مشهورة باليمن خرج منها جماعة من العلماء؛ كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها، سمع جابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وخلقا كثيرا من الصحابة، وروى عنه عمرو بن دينار والزهري وقتادة وملك بن دينار والأعمش والأوزاعي وخلق كثير، وإليه وإلى مجاهد انتهت فتوى مكة في زمانها. توفي سنة 115 هـ وقيل 114 هـ وعمره 82، وقيل عاش 100 سنة.

(3) محمد بن سوقة، أيوب بن موسى. الإمام العابد الحجة أبو بكر الغنوي الكوفي. حدث عن أنس بن مالك وعن: سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وأبي صالح السمان ومنذر الثوري وجماعة. روى عنه سفيان الثوري وأبو معاوية وعبد الرحمن بن محمد المحاربي وابن عيينة وعلي بن عاصم ويعلى بن عبيد وآخرون. توفي سنة نيف وأربعين ومائة وقيل 150 هـ.

(1) كلثوم بن عمرو العتابي الشاعر؛ أصله من الشام من أرض قنسرين، صحب البرامكة وصحب طاهر بن الحسين، وهو أديب له من الكتب كتاب المنطق والآداب وفنون الحكم والخيل والألفاظ. وتوفي في حدود 220 هـ.كان قد بلغ الرشيد عنه ما أهدر به دمه فخلصه جعفر.

لما دخل ضمرة بن ضمرة (شقة بن ضمرة)[1] على النعمان بن المنذر[2]* وهو ملك، وكان ضمرة ذا رأي وعقل، احتقرته عينه لدمامته. فقال: لأن تسمع بالمعيدي* خير من أن تراه! ثم قال ضمرة: أبيت اللعن! إن القوم ليسوا بجزر تجزرن، وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا نطق نطق ببيان، وإذا قاتل قاتل بجنان، والرجال لا تكال بالقفزان ولا توزن بالقبان. فأعجب المنذر بكلامه. وأجزل عطيته. قيل وسماه باسم أبيه، فقال له: أنت ضمرة بن ضمرة. وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ لا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهَ لأَبَرَّهُ﴾ وعن حارثة بن وهب الخزاعي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ، أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ –وفي رواية قال–: كُلُّ جَوَّاظٍ زَنِيمٍ مُتَكَبِّرٍ﴾ (كل ضعيف متضعف) معناه يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه لضعف حاله في الدنيا وأما رواية الكسر فمعناها متواضع متذلل خامل واضع من نفسه قال القاضي وقد يكون الضعف هنا رقة القلوب ولينها وإخباتها للإيمان والمراد أن أغلب أهل الجنة هؤلاء (لو أقسم على الله لأبره) معناه لو حلف يمينا طمعا في كرم الله تعالى بإبراره لأبره وقيل لو دعاه لأجابه (كل عتل جواظ مستكبر) العتل الجافي الشديد الخصومة بالباطل وقيل الجافي الفظ الغليظ وأما الجواظ فهو الجموع المنوع وقيل الكثير اللحم المختال في مشيته وقيل القصير البطين وقيل الفاخر وأما المستكبر فهو صاحب الكبر وهو بطر الحق وغمط الناس (زنيم) الزنيم هو الدعي في النسب الملصق بالقوم وليس منهم شبه بزنمة الشاة. قال عبد الله بن المبارك أخبرني سفيان؛ قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى: إن الحكمة ليست عن كبر السن، ولكنه إعطاء الله يعطيه من يشاء، فإياك ودناءة الأمور، ومداني الأخلاق.

* (النعمان بن المنذر) في رواية: هو المنذر بن المنذر. (لأن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه) أول من قاله النعمان بن المنذر، أو المنذر بن ماء السماء. فذهبت مثلا. قال سيبويه: يضرب المثل لمن تراه حقيرا، وقدره خطير. وخبره أجل من خبره. (المعيدي) تصغير معدي منسوب إلى معد وإنما خففت الدال استثقالا للجمع بين الشديدتين مع ياء التصغير يضرب للرجل الذي له صيت وذكر في الناس فإذا رأيته ازدريت مرآته.

---

(2) المناذرة سلالة عربية حكمت العراق قبل الإسلام: 300–602م. المنذر بن المنذر (الثاني) بن امرئ القيس بن النعمان هو ملك الحيرة حكم أربع سنين في زمن أنوشروان (وابنه هرمز)، قتل في حدود سنة 42 ق هـ. والنعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي، أبو قابوس. من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية وكانت متابعة للفرس، وهو صاحب إيفاد العرب على كسرى، نقم عليه كسرى أمرًا فعزله وسجنه حتى مات، وقيل ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته، فهلك نحو 15 ق. هـ.

(1) ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن بهثل بن دارم. من بني دارم، شاعر، كان من حكماء الجاهلية وخطبائهم، يقال: كان اسمه شقة بن ضمرة فسماه النعمان ضمرة. وهو الذي وفد على النعمان بن المنذر، وكان دميما فاحتقره، وهو صاحب يوم ذات الشقوق، من أيام العرب في الجاهلية، أغار على بني أسد، وظفر بهم، في مكان من ديارهم يسمى ذات الشقوق.

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم: سئل عن الجمال، فقال: في اللسان. ويقال: جمال الرجل في لسانه، والمرء بأصغريه قلبه ولسانه. ويقال ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة، أو بهيمة مهملة. وأما النفع، فإن به تبلغ الأغراض، وتستخلص الحقوق، وتدفع الآفات، وتقضى به الحاجات، وتتم العبادات؛ في القراءة، والذكر، والشكر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتعليم والدلالة على الحق المبين والصراط المستقيم، وبه يذوق الطعام، ويستعين في مضغه وتقليبه، وتنقية الفم، وتنظيفه، فهو أعظم الأعضاء نفعا، وأتمها جمالا. عن ابن عمر أنه قال: مر عمر بقوم يرمون، فقال: بئس ما رميتم، فقالوا: إنا متعلمين فقال عمر: والله لذنبكم في لحنكم أشد إلي من ذنبكم في رميكم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿رَحِمَ اللهُ امْرَأً أَصْلَحَ لِسَانَهُ﴾ وعن جابر بن عبد الله قال: جاء العباس بن المطلب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثياب بيض، فلما نظر إليه تبسم فقال العباس: ﴿يَا رَسُولَ الله، مَا الْجَمَالُ؟ قَالَ: صَوَابُ الْقَوْلِ بِالْحَقِّ. قَالَ: فَمَا الْكَمَالُ؟ قَالَ: حُسْنُ الْفِعَالِ بِالصِّدْقِ﴾ وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي﴾ وعن أبي هريرة قال:﴿أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْوَةَ قَلْبِهِ فَقَالَ: امْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ، وَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ﴾ وعن أبي سعيد رفعه قال: ﴿إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ، فَتَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا﴾ وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال:﴿قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ وَقَالَ: هَذَا﴾ عن أبي سعيد الخدري، رفعه قال:﴿إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ أَعْضَاءَهُ تُكَفِّرُ لِلِّسَانِ، تَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ. وَقَوْلِهِ تَعَالَى: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق] عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ﴾ عن سهل بن سعد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ﴾ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ﴾ وقول الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة] عن عامر، قال: سمعت النعمان بن بشير، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ﴾ وقال أحمد بن أبي الحواري: كلما ارتفعت منزلة القلب كانت العقوبة إليه أسرع.

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (خامس الخلفاء الراشدين) والحسن البصريّ [052]

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصريّ [1] يقول له: إني قد ابتليت بهذا الأمر، فانظروا لي أعوانا يعينونني عليه. فكتب إليه الحسن: أما أبناء الدّنيا فلا تريدهم، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك، فاستعن بالله والسلام. وفي رواية، كتب عمر إلى الحسن أما بعد فأشر علي بأقوام أستعين بهم على أمر الله تعالى. فكتب إليه أما أهل الدين فلا يريدونك وأما أهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة، هذا في عمر رحمه الله وكان أزهد أهل زمانه.

وروى ابن أبي الدنيا عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: استعملنا أقواما كنا نرى أنهم أبرار أخيار، فلما استعملناهم إذا هم يعملون أعمال الفجار، قاتلهم الله، أما كانوا يمشون على القبور!. وفي الحديث. من أصلح سريرته أصلح الله علانيته. وما أسر امرؤ سريرة إلا ألبسه الله رداءها: إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. وقال لقمان الحكيم لابنه: احذر واحدة هي أهل للحذر. قال: وما هي؟ قال: إياك أن تري الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر.

كتب عمر إلى الحسن: أن اجمع لي أمر الدنيا، وصف لي أمر الآخرة. فكتب إليه: إنما الدنيا حلم، والآخرة يقظة، والموت متوسط؛ ونحن في أضغاث أحلام. من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن حلم غنم، ومن خاف سلم؛ ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم، ومن علم عمل، فإذا زللت فارجع، وإذا ندمت فأقلع، وإذا جهلت فاسأل، وإذا غضبت فأمسك. واعلم أن أفضل الأعمال ما أكرهت النفوس عليه.

قال عبد الرزاق: أنبأ معمر أن عمر كتب إلى عدي بن أرطأة: أما بعد، فإنك غررتني بعمامتك السوداء، ومجالستك القراء، وإرسالك العمامة من ورائك، وأظهرت لي الخير، وقد أظهرنا الله على كثير مما تكتمون. زاد غيره: قاتلكم الله، أما تمشون بين القبور. وكتب مرة عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة: أما بعد، فإن أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك، واعلم أن مالك عند الله مثل ما للرعية عندك.

قال عدي بن أرطاة [2] لإياس بن معاوية: [3] دلني على قوم من القراء أوهم. فقال له: القراء ضربان: فضرب يعملون للآخرة ولا يعملون لك. وضرب يعملون للدنيا. فما ظنك بهم إذا أمكنتهم منها؟ ولكن عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فوهم.

سأل عمر بن عبد العزيز أبا مجلز [4] عن رجل يوليه خراسان. فقال له: ما تقول في فلان؟ قال: مصنوع له وليس بصاحبها. قال: ففلان؟ قال: سريع الغضب بعيد الرضا، يسأل الكثير ويمنع القليل، يحدس أخاه وينافس أباه ويحقر مولاه. قال: ففلان؟ قال: يكافيء الأكفاء ويعادي الأعداء ويفعل ما يشاء. قال: ما في واحد من هؤلاء خير.

قال خليفة: [5] وفي سنة تسع وتسعين قدم عدي واليا من قبل عمر على البصرة، فأتى يزيد بن المهلب يسلم عليه، فقيده عدي وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز، فحبسه. قلت: فلما توفي عمر انفلت يزيد من الحبس، وقصد البصرة ودعا إلى نفسه، وتسمى بالقحطاني، ونصب رايات سوداء، وقال: أدعو إلى سيرة عمر بن الخطاب، فقام الحسن البصري في الناس خطيبا، فذم يزيد وخروجه، فأرسل يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة [6] في جيش، فحارب ابن المهلب، فظفر به فقتله، فوثب ابنه معاوية بن يزيد، فقتل عدي بن أرطأة وجماعة صبرا. قال عباد بن منصور: سمعت عدي بن أرطأة يخطب على منبر المدائن، فوعظ حتى بكى وأبكانا ثم قال: كونوا كرجل قال لابنه: يا بني لا تصل صلاة إلا ظننت أنك لا تصلي بعدها غيرها.

وروى الطبراني والدارقطني وغير واحد من أهل العلم بأسانيدهم إلى عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عامل له: أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله واتباع سنة رسوله، والاقتصاد في أمره، وترك ما أحدث المحدثون بعده، ممن قد حارب سنته، وكفوا مؤنته، ثم أعلم أنه لم تكن بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل على بطلانها – أو قال دليل عليها – فعليك لزوم السنة، فإنه إنما سنها من قد علم ما في خلافها من الزيغ والزلل، والحمق والخطأ والتعمق، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وعلى العمل الشديد أشد، وإنما كان عملهم على الاسد، ولو كان فيما تحملون أنفسكم فضل لكانوا فيه أحرى، وإليه أجرى، لأنهم السابقون إلى كل خير، فإن قلت: قد حدث بعدهم خير، فاعلم أنه إنما أحدثه من قد اتبع غير سبيل المؤمنين، وحاد عن طريقهم، ورغبت نفسه عنهم، ولقد تكلموا منه ما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فأين لا أين، فمن دونهم مقصر، ومن فوقهم غير محسن، ولقد قصر أقوام دينهم فحفوا، وطمح عنهم آخرون فغلوا، فرحم الله ابن عبد العزيز. ما أحسن هذا القول الذي ما يخرج إلا من قلب قد امتلأ بالمتابعة ومحبة ما كان عليه الصحابة، فمن الذي يستطيع أن يقول مثل هذا من الفقهاء وغيرهم؟ فرحمه الله وعفا عنه.

---

(1) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن سمرة وأبي بكرة والنعمان بن بشير وجندب بن عبد الله وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وعمرو بن ثعلب وعبد الله بن عمرو ومعقل بن يسار وأبي هريرة والأسود بن سريع وأنس بن مالك وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ووقع مرقده في البصرة.

(3) أبو وائلة إياس بن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رياب بن عبيد بن سوأة بن سارية بن ذبيان بن سليم بن أوس بن مزينة المزني؛ وهو السن البليغ والألمعي المصيب، والمعدود مثلا في الذكاء والفطنة، ورأسا لأهل الفصاحة والرجاحة. كان صادقا الظن لطيفا في الأمور، مشهورا بفرط الذكاء، وبه يضرب المثل في الذكاء، وكان عمر بن عبد العزيز قد ولاه قضاء البصرة. وكان لإياس جد أبيه صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل لمعاوية بن قرة والد إياس: كيف ابنك لك فقال: نعم الابن، كفاني أمر دنياي وفرغني لآخرتي. وكان إياس أحد العقلاء الفضلاء الدهاة. توفي سنة 122 هـ أو سنة 121 هـ وعمره 76 سنة.

(4) أبا مجلز ؟...أبا مجلد ؟.. أبو مجلز لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي، البصري، مشهور بكنيته ثقة، من كبار الثالثة، توفي سنة 106هـ وقيل سنة 109 هـ لحق كبار الصحابة كأبي موسى وابن عباس وكان ينزل خراسان وعقبه بها وكان عمر بن عبد العزيز بعث إليه فأشخصه ليسأله عنها وقال قرة بن خالد كان عاملا على بيت المال وعلى ضرب السكة قال هشام بن حسان كان قليل الكلام فإذا تكلم كان من الرجال.

(2) عدي بن أرطأة الفزاري الدمشقي أخو زيد بن أرطاة الفزاري، ووالده هو الصحابي أرطاة الفزاري. وعدي ولي البصرة لعمر بن عبد العزيز. وقتل سنة 102 هـ.

(6) مسلمة بن عبد الملك (أمير أُموي، وقائد عسكري) و ابن عم عمر بن عبد العزيز. ومسلمة هو أخو فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (من الأب). توفي في محرم سنة 121 هـ.

(5) أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة خليفة بن خياط الشيباني العصفري البصري المعروف بشباب صاحب الطبقات؛ كان حافظاً عارفاً بالتواريخ وأيام الناس غزير الفضل، روى عنه محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه وتاريخه وعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل وأبو يعلى الموصلي والحسن بن سفيان النسوي، في آخرين، وروى هو عن ابن عيينة ويزيد بن زريع وأبي داود الطيالسي ودرست بن حمزة وتلك الطبقة. ولد في حدود سنة 161 هـ وتوفي سنة 240 هـ وقيل غير ذلك.

يقول سمنون [1] العابد الشهير: ما أسمح بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال هو عند الأمير قال وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدرك وأنتم ترون ما ألقاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت أن أنجو من الدخول عليه كفافاً مع أني لا آخذ منه شيئاً ولا أشرب له شربة ماء. ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني إسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو أخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم. قال أبي سلمة؛: أرسل عدي بن أرطاة الفزاري، أمير البصرة، إلى الحسن بمائتي درهم، فردها فزاده، فقال: الحسن: إني لم أردها استقلالا لها ولكني لا آخذ على القضاء أجرا.

عن جعفر قال: سمعت مالك بن دينار يقول: إن البدن إذا سقم لا ينجع فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة، وكذلك القلب إذا علق حب الدنيا لم ينجع فيه المواعظ. وسمعته يقول: بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة فكذلك يخرج هم الدنيا من قلبك. وعن عبد الله العبدي قال: حدثنا جعفر عن مالك قال: إن في بعض الكتب أن الله عز وجل يقول: إن أهون ما أنا صانع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكري من قلبه. وعن جعفر قال: سمعت مالك بن دينار يقول: إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب كما أن البيت إذا لم يسكن خرب. وقال: وسمعته يقول: لو أعلم أن قلبي يصلح على كناسة لذهبت حتى أجلس عليها. وسمعته يقول: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما تزل القطرة عن الصفا. وسمعته يقول: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب. وعن أبو سمير عن مالك قال: إن لكل شيء لقاحا وإن الحزن لقاح العمل الصالح، إنه لا يصبر أحد على هذا الأمر إلا بحزن، فوالله ما اجتمعا في قلب عبد قط: حزن بالآخرة وفرح بالدنيا، إن أحدهما ليطرد صاحبه. وعن مجالد بن عبيد الله قال: حدثني عمر عن مالك بن دينار أنه كان يقول: إن الله عز وجل إذا أحب عبدا انتقصه من دنياه وكف عنه ضيعته، ويقول: لا تبرح من بين يدي قال: فهو متفرغ لخدمة ربه عز وجل، وإذا أبغض عبدا دفع في نحره شيئا من الدنيا ويقول: اعزب من بين يدي فلا أراك بين يدي فتراه معلق القلب بأرض كذا وبتجارة كذا.

أبو الحسن سمنون بن حمزة الخواص، المتوفى سنة 298 هـ.

مراجع: إحياء علوم الدين/ العقد الفريد/ شذرات الذهب

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (خامس الخلفاء الراشدين/ ثامن ملوك! الدولة الأموية) ونصيحة العلماء؛ محمد بن كعب القرظي وأبي حازم الأعرج [053]

سأل عمر بن عبد العزيز، محمد بن كعب القرظي[1]،فقال: صِفْ لي العدل. فقال: كل مسلم أكبر منك، فكن له ولدًا، ومن كان أصغر منك، فكن له أبًا، ومن كان مثلك، فكن له أخًا، وعاقب كلَّ مُجرم على قدر جرمه، وإياك أن تضرب مُسلمًا سوطًا واحدًا على حقد منك، فإن ذلك يُصيِّرك إلى النار. وسأل عمر بن عبد العزيز يومًا أبا حازم[2] الموعظة، فقال له أبو حازم: إذا نِمْتَ فضعِ الموت تحت رأسك، وكلُّ مَا أحببت أن يأتيكَ الموت وأنت عليه مصرٌّ، فالتزمه، وكلُّ ما لا تريد أن يأتيك الموت وأنت عليه، فاجتنبه، فربَّما كان الموت منك قريبًا.

قال المدائني: دخل على عمر بن عبد العزيز سالم السندي[3]،وكان من خاصته، فقال له: أسرك ما وليت أم ساءك؟ قال: سرني للناس وساءني لك. قال: إني أخوف أن أكون قد أوبقت نفسي، قال: ما أحسن حالك إن كنت تخاف، إنما أخاف عليك ألا تخاف. قال: عظني. قال: إن آدم أخرج من الجنة بخطيئة واحدة، فتدبر أمرك،واحفظ نفسك. وكتب طاوس إلى عمر: إن أردت أن يكون عملك خيرا كله فاستعمل أهل الخير، فقال عمر: كفى بها موعظة.

قال محمد بن كعب القرظي: عهدت عمر بن عبد العزيز وهو أمير علينا بالمدينة للوليد بن عبد الملك وهو شاب غليظ ممتلىء الجسم، فلما استخلف أتيته بخناصرة، فدخلت عليه وقد قاسى ما قاسى ، فاذا هو قد تغيرت حاله عما كان، فجعلت أنظر اليه نظرا لا أكاد أصرف بصري عنه، فقال انك لتنظر الي نظرا ما كنت تنظره الي من قبل يا ابن كعب!، قلت تعجبني يا أمير المؤمنين، قال وما عجبك!. قلت لما حال من لونك ونفى من شعرك ونحل من جسمك. قال فكيف لو رأيتني يا ابن كعب في قبري بعد ثالثه حين تقع حدقتي على وجنتي ويسيل منخري وفمي صديدا ودودا كنت لي أشد نكرة. وعن يونس بن أبي شبيب[4] قال: شهدت عمر بن عبد العزيز وهو يطوف بالبيت وإن حجزة إزاره* لغائبه في عنكه ثم رأيته بعدما استخلف ولو شئت أن اعد أضلاعه من غير أن أمسها لفعلت. قال رجاء بن حيوة:[5] كان عمر بن عبد العزيز من أعطر الناس وأحليهم في مشيته فلما استخلف قوموا ثيابه اثني عشر درهما كمته وعمامته وقميصه وقباءه وقرطقه ورداءه وخفيه.

قال يونس: شهدت عمر بن عبد العزيز في بعض الأعياد وقد جاء أشراف الناس حتى حفوا بالمنبر وبينهم وبين الناس فرجة، فلما جاء عمر صعد المنبر وسلم عليهم، فلما رأى الفرجة أومأ إلى الناس: أن تقدموا فتقدموا حتى اختلطوا بهم.

لما تولى الخلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز كان من أجل اهتماماته أن يقارب بين فئات المجتمع فذلك بأن يضع من سمعة الطبقات العالية وأن يزيل كبرياءهم، وأن يرفع من شأن الطبقات المستضعفة وأن يقوي معنوياتهم ويزيل شعورهم بالضعف، فكان من جهوده في ذلك المساواة بينهم في العطاء ولا شك أن المال له أهمية كبرى في الرفع من شأن الناس وخفضهم، وفي هذا الخبر تبين لنا اهتمامه في هذا المجال بالإشارة إلى عموم الناس ليقتربوا من الخاص، ويختلطوا بهم حتى تزول تلك الفجوة بين المسلمين التي خلفها ظلم الولاة وسوء إدارتهم.

قال مسلمة[6] دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده في مرضه فإذا عليه قميص وسخ فقلت لفاطمة بنت عبد الملك[7] يا فاطمة اغسلي قميص أمير المؤمنين قالت نفعل إن شاء الله ثم عدت فإذا القميص على حاله فقلت يا فاطمة ألم آمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين فان الناس يعودونه؟ قالت والله ما له قميص غيره. وعن الفهري عن أبيه قال كان عمر يقسم تفاح الفيء فتناول ابن له صغير تفاحة فانتزعها من فيه فأوجعه فسعى إلى أمه مستعبرا فأرسلت إلى السوق فاشترت له تفاحا فلما رجع عمر وجد ريح التفاح فقال يا فاطمة هل أتيت شيئا من هذا الفيء قالت لا وقصت عليه القصة فقال والله لقد انتزعتها من ابني لكأنما نزعتها من قلبي ولكن كرهت أن أضيع نصيبي من الله عز وجل بتفاحة من فيء المسلمين.

* مشد إزاره تجمع على حجز. (عنكه) العلي في البطن من السمن.

---

(1) محمد بن كعب القرظي أبو حمزة أو أبو عبد الله. وقد ولد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، اسند محمد بن كعب عن زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأبي هريرة وانس وابن عباس وعبد الله بن يزيد الخطمي في آخرين من الصحابة. قال الواقدي مات سنة 117 هـ أو 118 هـ وقال غيره سنة 129 هـ وقيل كان يقص على أصحابه فسقط المسجد عليه وعليهم فقتلهم رحمهم الله.

(2) أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج مولى لقوم من بني ليث بن بكر. اسند أبو حازم عن ابن عمر وسهل بن سعد وانس بن مالك وقيل انه رأى أبا هريرة، وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب وأبي سلمة وعروة وغيرهم. توفي بعد سنة 140 هـ في خلافة المنصور.

(3) سالم السندي...؟ سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أمه أم ولد، يكنى أبو عبد الله، ويقال: أبو عبيد الله ويقال: أبو عمر العدوي المدني الفقيه قدم الشام على عبد الملك بن مروان بكتاب أبيه بالبيعة له، وعلى الوليد بن عبد الملك، وعلى عمر بن عبد العزيز. أسند سالم عن أبيه وأبي أيوب وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة. توفي سنة 106 هـ. (وفي كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس: هو سالم بن عبد الله بن عمر).

(5) رجاء بن حيوة الكندي أبو المقدام، ويقال أبو نصر، وهو تابعي جليل، كبير القدر، ثقة فاضل عادل، وزير صدق لخلفاء بني أمية، روى عن أبي صالح السمان. روى عنه محمد بن عجلان. توفي سنة 112 هـ. وكان مكحول إذا سئل يقول: سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوه في الرواية، وله روايات وكلام حسن.

(4) يونس بن أبي شبيب الرقي، روى عن ميمون بن مهران، وطاووس بن كيسان، وابن جريج. روى عنه جعفر بن برقان، وإبراهيم بن بكار، ويحيى بن كهمس الأسدي الرقيون، ومحمد بن الحكم السلمي. وفد على عمر بن عبد العزيز.

(6) مسلمة بن عبد الملك (أمير أموي، وقائد عسكري) و ابن عم عمر بن عبد العزيز. ومسلمة هو أخو فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (من الأب). توفي في محرم سنة 121 هـ.

(7) فاطمة بنت عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، زوجة الخليفة عمر بن عبد العزيز، وبنت الملك عبد الملك بن مروان، وأخت الوليد وسليمان ابنا عبد الملك. كانت من فضليات نساء بني أمية. تزوجها عمر بن عبد العزيز قبل أن يتولى الخلافة فعاشت معه في نعيم ورفاهية، ولما آلت الخلافة إليه عاشت معه عيشة التقشف والزهد حتى وفاته. وتزوجت بعد وفاته داود بن سليمان بن مروان.توفيت بعد عام 105 هـ. أثناء خلافة أخيها هشام بن عبد الملك. وحكى عنها عطاء ابن أبي رباح، والمغيرة بن حكيم.

دخل محمد بن كعب القرظي على سليمان بن عبد الملك في ثياب رثة، فقال له سليمان: ما يحملك على لبس هذا؟ قال: أكره أن أقول الزهد فأطري نفسي، أو أقول الفقر فأشكو ربي. وعن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي قال: إذا أراد الله بعبد خيرا جعل فيه ثلاث خصال فقها في الدين وزهادة في الدنيا وبصرا بعيوبه. روى أبو كثير النصري قال قالت أم محمد بن كعب القرظي لمحمد يا بني لولا أني أعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا لظننت أنك أحدثت ذنبا موبقا لما أراك تصنع بنفسك في الليل والنهار قال يا أماه وما يؤمنني أن يكون الله قد اطلع علي وأنا في بعض ذنوبي فمقتني فقال إذهب لا اغفر لك مع أن عجائب القرآن ترد بي على أمور حتى انه لينقضي الليل ولم افرغ من حاجتي. وقال محمد بن كعب: لان أقرا في ليلتي حتى اصبح ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ سورة الزلزلة و﴿الْقَارِعَةُ﴾ سورة القارعة لا أزيد عليها وأتفكر فيها وأتردد أحب إلي من أن اهذ القرآن هذا* أو قال انثره نثرا. وعن عيسى بن يونس قال كنا عند محمد بن كعب القرظي فاتاه رجل فقال يا عبد الله ما تقول في التوبة قال ما أحسنها قال أف رأيت إن أعطيت الله عهدا أن لا اعصيه أبدا فقال له محمد فمن حينئذ أعظم جرما منك تتألى على الله أن لا ينفذ فيك أمره.

الإسلام دين العدل سواء مع العدو، أو الصديق، أو القريب، أو البعيد لقوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل]﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام] ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة]

قال ربعي بن عامر لما سأله رستم: ما جاء بكم؟ قال: نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. عن أبي سعيد الخدري قال: ﴿جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَقَاضَاهُ دَيْنًا كَانَ عَلَيْهِ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، حَتَّى قَالَ لَهُ: أُحَرِّجُ عَلَيْكَ إِلَّا قَضَيْتَنِي، فَانْتَهَرَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: وَيْحَكَ تَدْرِي مَنْ تُكَلِّمُ؟ قَالَ: إِنِّي أَطْلُبُ حَقِّي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلَّا مَعَ صَاحِبِ الْحَقِّ كُنْتُمْ؟ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى خَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ فَقَالَ لَهَا: إِنْ كَانَ عِنْدَكِ تَمْرٌ فَأَقْرِضِينَا حَتَّى يَأْتِيَنَا تَمْرُنَا فَنَقْضِيَكِ، فَقَالَتْ: نَعَمْ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَأَقْرَضَتْهُ، فَقَضَى الْأَعْرَابِيَّ وَأَطْعَمَهُ، فَقَالَ: أَوْفَيْتَ، أَوْفَى اللهُ لَكِ، فَقَالَ: أُولَئِكَ خِيَارُ النَّاسِ، إِنَّهُ لَا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لَا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ﴾ (متعتع) أي غير خائف.وعن خولة بنت قيس إمرأة حمزة بن عبد المطلب قالت: ﴿كَانَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسْقٌ مِنْ تَمْرٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ فَأَتَاهُ يَقْضِيهِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَقْضِيَهُ فَقَضَاهُ تَمْرًا دُونَ تَمْرِهِ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ فَقَالَ: أَتَرُدُّ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ أَحَقُّ بِالْعَدْلِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! فَاكْتَحَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدُمُوعِهِ، ثُمَّ قَالَ:صَدَقَ، مَنْ أَحَقُّ بِالْعَدْلِ مِنِّي؟! لَا قَدَّسَ اللهُ أُمَّةً لَا يَأْخُذُ ضَعِيفُهَا حَقَّهُ مِنْ شَدِيدِهَا، وَلَا يُتَعْتَعُهُ. ثُمَّ قَالَ: يَا خَوْلَةُ، عَدِّيهِ وَادْهَنِيهِ، وَاقْضِيهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ غَرِيمٍ يَخْرُجُ مِنْ عِنْدِ غَرِيمِهِ رَاضِيًا إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ دَوَابُّ الْأَرْضِ، وَنُونُ الْبِحَارِ، وَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَلْوِي غَرِيمَهُ، وَهُوَ يَجِدُ إِلَّا كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِثْمًا﴾ وعن الحسن عن أبو برزة: ﴿أَنَّ رَجُلًا أَغْلَظَ لِأَبِي بَكْرٍ فَقَالَ عُمَرُ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ، دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَهُ، فَقَالَ: مَهْ مَا كَانَتْ لِأَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ يقول الله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء] (الأمانات) جمع أمانة وهي كل ما اؤتمن عليه من حق مادي أو معنوي (أهلها) أصحابها (بالعدل) هو إعطاء كل ذي حق حقه دون محاباة (نعما يعظكم به) نعم الشيء الذي يعظكم به وهو أداء الأمانات والحكم بالعدل. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَلَ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ، وَإِنْ يَأْمُرْ بِغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ﴾ (جنة) أي كالستر لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين ويمنع الناس بعضهم من بعض ويحمي بيضة الإسلام ويتقيه الناس ويخافون سطوته ومعنى يقاتل من ورائه أي يقاتل معه الكفار والبغاة والخوارج وسائر أهل الفساد وينصر عليهم ومعنى يتقى به أي شر العدو وشر أهل الفساد والظلم مطلقا والتاء في يتقى مبدلة من الواو لأن أصلها من الوقاية.وعن أبي المليح، أن عبيد الله بن زياد، دخل على معقل بن يسار في مرضه، فقال له معقل: إني محدثك بحديث لولا أني في الموت لم أحدثك به، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول:﴿مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ هُمَّ وَيَنْصَحُ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ﴾.

* الهذ والهذذ سرعة القطع وسرعة القراءة، هذ القرآن يهذه هذا يقال هو يهذ القرآن هذا ويهذ الحديث هذا أي يسرده..

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (خامس الخلفاء الراشدين) ونصيحة يزيد الرقاشي [054]

لما دخل يزيد الرقاشي[1] على عمر بن عبد العزيز قال: عظني يا يزيد فقال:يا أمير المؤمنين، اعلم ما أنت أول خليفة يموت! فبكى عمر وقال: زدني يا يزيد. فقال:يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم إلا أب ميت! فبكى وقال: زدني يا يزيد. فقال:يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين الموت موعد. فبكى وقال: زدني يا يزيد. فقال:يا أمير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزل! فسقط مغشياً عليه. وفي رواية: حضر أبو قلابة[2] مجلس عمر، فقال له: عظني، قال: من عهد آدم إلى وقتنا هذا لم يبق خليفة سواك، فقال: زدني، فقال: ما أنت أول خليفة يموت، فقال: زدني، فقال: إن كان الله معك، فمم تخاف؟ وإن لم يكن معك، فإلى من تلتجئ؟ قال: حسبي ما قلت.

كان عمر شديد الخوف من الله تعالى، تقول زوجته فاطمة بنت عبد الملك:[3] والله ما كان بأكثر الناس صلاة، ولا أكثرهم صياماً، ولكن والله ما رأيت أحداً أخوف لله من عمر، لقد كان يذكر الله في فراشه، فينتفض انتفاض العصفور من شدة الخوف حتى نقول: ليصبحَنَّ الناس ولا خليفة لهم، وقال مكحول: لو حلفت لصدقت، ما رأيت أزهد ولا أخوف لله من عمر بن عبد العزيز، ولشدة خوفه من الله، كان غزير الدمع وسريعه، فقد: دخل عليه رجل وبين يديه كانون فيه نار، فقل: عظني. قال: يا أمير المؤمنين ما ينفعك من دخل الجنة، إذا دخلت أنت النار، وما يضرّك من دخل النار، إذا دخلت أنت الجنة، قال: فبكى عمر حتى طفئ الكانون الذي بين يديه من دموعه، وقد كان جلّ خوفه رحمه الله من يوم القيامة، فيدعو الله، ويقول: اللهم إن كنت تعلم إني أخاف شيئاً دون القيامة، فلا تؤمن خوفي، ذلك اليوم الذي أحدث تغيراً جذرياً في مجرى حياته ذلك اليوم الذي يقول عنه عمر: لقد عنيتم بأمر، لو عنيت به النجوم لانكدرت، ولو عنيت به الجبال لذابت، ولو عنيت به الأرض لتشققت، أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة، وأنكم صائرون إلى أحداهما، نعم إن الخوف من الله، والرؤية الواضحة للحياة، والفناء والخلود، والإحساس بيوم الحساب، والانفعال بمشاهد الجنة والنار، هي التي تضع المسؤولين، وتجعلهم يرتعدون خوفاً إن هم انحرفوا قيد شعرة عما يريد الله، فالوعي والإحساس بيوم الحساب، وغيرها من الصفات الاعتقادية، تجعل القائد لا يخطو خطوة، ولا يقول قولاً، ولا يفعل فعلاً، إلا ربط ذلك بما يرضي الله عز وجل، وتلك الصفات والجوانب، لم تعط حقها من البحث والتحرى في الدراسات القيادية الحديثة وهي أساس النجاح في القيادة، وأهم الصفات القيادية التي ينبغي للقائد أن يتحلى بها، وإن من أهم صفات عمر، الإيمان الراسخ بالله واليوم الآخر، وشدة خوفه من الله والوجل من يوم القيامة.قال عبد الأعلى التيمي:[4] من أوتي من العلم ما لا يبكيه لخليق أن لا يكون أوتي علما ينفعه لأن الله تعالى نعت العلماء فقال﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء]

---

(1) يزيد بن أبان الرقاشي، أبو عمرو البصري، القاص الزاهد، مات قبل 120 هـ. أسند يزيد عن أنس بن مالك، وروى عن الحسن وغيره إلا أن التعبد شغله عن حفظ الحديث فكان ضعيفا قدريا فأعرضت النقلة عما يروي.

(2) عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي الأزدي، أبو قلابة البصري، ثقة فاضل كثير الإرسال، قال العجلي: فيه نصب يسير، من الثالثة، أسند أبو قلابة عن أنس وغيره من الصحابة. ومات بالشام هاربا من القضاء سنة 104هـ وقيل: بعدها. في ولاية يزيد بن عبد الملك. روى عن أنس بن مالك وثابت بن الضحاك ومعاذة ومالك بن الحويرث وأبي المهلب عبد الرحمن بن عمرو وعمه وقبيصة بن ذؤيب وعبد الله بن يزيد رضيع عائشة وأبي أسماء الرحبي وزهرم الجرمي وأبي المليح وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعائشة وأبي الأشعث الصنعاني وغيره. روى عنه أبو أيوب السختياني ويحيى بن كثير وخالد الحذاء وأبو رجاء مولاه وعاصم الأحول وقتادة.

(4) عبد الأعلى التيمي.أحد العباد الخائفين. روى عن إبراهيم التيمي وغيره. روى عنه مسعر بن كدام. توفي سنة 131 هـ.

(3) فاطمة بنت عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، زوجة الخليفة عمر بن عبد العزيز، وبنت الملك عبد الملك بن مروان، وأخت الوليد وسليمان ابنا عبد الملك. كانت من فضليات نساء بني أمية. تزوجها عمر بن عبد العزيز قبل أن يتولى الخلافة فعاشت معه في نعيم ورفاهية، ولما آلت الخلافة إليه عاشت معه عيشة التقشف والزهد حتى وفاته. وتزوجت بعد وفاته داود بن سليمان بن مروان.توفيت بعد عام 105 هـ. أثناء خلافة أخيها هشام بن عبد الملك. وحكى عنها عطاء ابن أبي رباح، والمغيرة بن حكيم.

قال بعضهم: خوف الملائكة والرسل خوف هيبة الله وجلاله لا خوف نزول شيء من نقمته عليهم، وخوف غيرهم من البشر خوف نزول شيء يضر بهم، وكذلك رجاؤهم وطمعهم رجاء نفع يصل إليهم، ورجاء الملائكة والرسل، وطمعهم رجاء رضاء الله عنهم لا رجاء نفع يصل إليهم. عن أبي إسحاق الخميسي قال: كان يزيد الرقاشي يقول في قصصه: ويحك يا يزيد من يترضى عنك ربك؟ ومن يصوم لك أو يصلي لك؟ ثم يقول: يا معشر من القبر بيته والموت موعده ألا تبكون؟ قال: فبكى حتى سقطت أشفار عينيه. وعن سلمة بن سعيد قال: قالوا ليزيد الرقاشي: أما تسأم من كثرة البكاء؟ فبكى وقال: والله لوددت أن أبكي بعد الدموع الدماء وبعد الدماء الصديد. وكان يقول: ابك يا يزيد على نفسك قبل حين البكاء. يا يزيد من يصلي لك بعدك؟ أو من يصوم؟ يا يزيد من يضرع لك إلى ربك بعدك ومن يدعو؟ وكان يقول: يا إخوتاه ابكوا فإن لم تجدوا بكاء فارحوا كل بكاء. وعن أبو محمد علي بن الحسن قال: قيل لابن يزيد الرقاشي: أكان أبوك يتمثل من الشعر شيئا؟ قال: كان يتمثل: إنا لنفرح بالأيام نقطعها ... وكل يوم مضى يدني من الأجل. وعن عبد الخالق بن موسى اللقيطي قال: جوع يزيد الرقاشي نفسه لله عز وجل ستين عاما حتى ذبل جسمه ونهك بدنه وتغير لونه. وكان يقول: غلبني بطني فما أقدر له على حيلة. عن صالح بن رستم قال: قال أبو قلابة: إذا أحدث الله عز وجل لك علما فأحدث له عبادة ولا يكن همك ما يحدث به الناس. قال: وقال لي: الزم سوقك فإن الغنى من العافية. وعن حميد الطويل، عن أبي قلابة قال: إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له العذر جهدك، فإن لم تجد له عذرا فقل في نفسك: لعل لأخي عذرا لا أعلمه. وعن أبي قلابة قال: أي رجل أعظم أجرا من رجل ينفق على عيال له صغار يعفهم الله به ويغنيهم.

قال عثمان بن الهيثم: كان رجل بالبصرة من بني سعد، وكان قائدا من قواد عبيد الله بن زياد فسقط على السطح فانكسرت رجلاه. فدخل عليه أبو قلابة يعوده فقال له: أرجو أن تكون لك خيرة. فقال له: يا أبا قلابة وأي خير في كسر رجلي جميعا؟ فقال: ما ستر الله عليك أكثر. فلما كان بعد ثلاث ورد عليه كتاب ابن زياد أن يخرج فيقاتل الحسين. فقال للرسول: قد أصابني ما ترى فما كان إلا سبعا حتى وافى الخبر بقتل الحسين. فقال الرجل: رحم الله أبا قلابة لقد صدق، إنه كان خيرة لي.

عن ابن مسعود قال: يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثم قرأ قول الله:﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ الآيتين، ثم قال: الميزان يخف بمثقال حبة، ويرجح، قال: ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا: سلام عليكم، وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم ونظروا إلى أهل النار ﴿قَالُوا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظالمين﴾ [الأعراف] تعوذوا بالله من منازلهم، قال: فأما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نورا يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم، ويعطى كل عبد يومئذ نورا، وكل أمة نورا فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة، فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم]، وأما أصحاب الأعراف فإن النور كان بأيديهم فلم ينتزع، فهنالك يقول الله تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف] فكان الطمع دخولا، قال: فقال ابن مسعود أن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشر، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة، ثم يقول: ﴿هَلَكَ مَنْ غَلَبَتْ وَاحِدَتُهُ أَعْشَارَهُ﴾ (رواه ابن جرير عن ابن مسعود موقوفا)، وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف؟ قال: ﴿هُمْ آخِرُ مَنْ يُفْصَلُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعِبَادِ، فَإِذَا فَرَغَ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْ فَصْلِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ قَالَ: أَنْتُمْ قَوْمٌ أَخْرَجْتُكُمْ حَسَنَاتُكُمْ مِنَ النَّارِ، وَلَمْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَأَنْتُمْ عُتَقَائِي، فَارْعَوْا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ (قال ابن كثير: هذا مرسل حسن) وقد حكى القرطبي وغيره فيهم اثني عشر قولا، وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ [الأعراف] قال ابن عباس: يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه، وأهل النار بسواد الوجوه، وقال العوفي عن ابن عباس: أنزلهم الله بتلك المنزلة ليعرفوا من في الجنة والنار، وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه، ويتعوذوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين، وهم في ذلك يحيون أهل الجنة بالسلام لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها، وهم داخلوها إن شاء الله، وقال الحسن إنه تلا هذه الآية: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف] قال: والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم، وقال قتادة: قد أنبأكم بمكانهم من الطمع، وقوله:﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا: رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف] قال الضحاك عن ابن عباس: إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين. قال السدي: وإذا مروا بهم يعني أصحاب الأعراف بزمرة يذهب بها إلى النار قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين. قال عكرمة: تحدد وجوههم للنار، فإذا رأوا أصحاب الجنة ذهب ذلك عنهم، قال ابن أسلم في قوله:﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الأعراف] فرأوا وجوههم مسودة وأعينهم مزرقة﴿قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وذكر الزهراوي حديثا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إن أُخداً جَبَلٌ يحبنا ونحبُّه، وإِنَّه يَوْمَ القِيَامَةِ يمثل بينَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَحْبَسُ عَلَيْهِ أَقْوَامٌ، بعرفون كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ، هُمْ إن شَاءَ اللَّهُ من أَهْلِ الجَنَّةِ﴾ وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :﴿إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْبَحَ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ يَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ﴾.

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (خامس الخلفاء الراشدين) ورجل [055]

قال رجل لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين أذكر بمقامي هذا مقاماً لا يشغل الله عنك كثرة من تخاصم من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ولا براءة من الذنب. فبكى عمر بكاء شديداً ثم استرده الكلام، فجعل يردده وعمر يبكي ويتنحب، ثم قال: حاجتك ؟ فقال: عاملك بأذربيجان أخذ مني اثني عشر ألف درهم. فقال: اكتبوا له حتى ترد عليه.

روى ابن أبي الدنيا [1] عن عبد الأعلى بن أبي عبد الله الغبري [2]. قال: رأيت عمر بن عبد العزيز خرج يوم الجمعة في ثياب دسمة *، وراءه حبشي يمشي فلما انتهى إلى الناس رجع الحبشي، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين قال: هكذا رحمكما الله، حتى صعد المنبر فخطب فقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير] فقال: وما شأن الشمس ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ حتى انتهى إلى قوله ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [التكوير] فبكى وبكى أهل المسجد، وارتج المسجد بالبكاء حتى رأيت حيطان المسجد تبكي معه، ودخل عليه أعرابي فقال: يا أمير المؤمنين جاءت بي إليك الحاجة، وانتهيت إلى الغاية، والله سائلك عني. فبكى عمر وقال له: كم أنتم؟ فقال: أنا وثلاث بنات. فعرض له على ثلاثمائة، وفرض لبناته مائة مائة، وأعطاه مائة درهم من ماله، وقال له: اذهب فاستنفقها حتى تخرج أعطيات المسلمين فتأخذ معهم.

* (ثياب دسمة) أي وسخة والمراد هنا ليس المعنى الحرفي والدقيق للفظة إنما عنى أنه كان في ثياب متواضعة زهيدة بعيدة عن التأنق والزهو

---

(2) عبد الأعلى بن أبي عبد الله الغبري (وفي رواية: العنبري أو العنزي) والغبري نسبة إلى بني غبر: بطن من بني يشكر. وفد على عمر بن عبد العزيز وحكى عنه روى عنه خالد بن عمرو الأموي وذكر أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب البكاء.

(1) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي، مولى بني أمية، يعرف بابن أبي الدنيا؛ توفي سنة 282 هـ ومولده سنة 208 هـ وكان يؤدب المكتفي بالله في حداثته، وهو أحد المصنفين للأخبار والسير، وله كتب كثيرة تزيد على مائة كتاب.

عن أنس بن مالك قال: كنا عند عمر بن الخطاب إذ جاءه رجل من أهل مصر، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا مقام العائذ بك، قال: وما لك؟، قال: أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل فأقبلت، فلما ترآها الناس، قام محمد بن عمرو فقال: فرسي ورب الكعبة، فلما دنا منه عرفته، فقلت: فرسي ورب الكعبة، فقام إلي يضربني بالسوط، ويقول: خذها وأنا ابن الأكرمين. قال: فوالله ما زاده عمر أن قال له: إجلس، ثم كتب إلى عمرو إذا جاءك كتابي هذا فأقبل، وأقبل معك بابنك محمد، قال: فدعا عمرو ابنه فقال: أحدثت حدثا؟ أجنيت جناية؟ ، قال: لا، قال: فما بال عمر يكتب فيك؟، قال: فقدم على عمر، قال أنس: فوالله إنا عند عمر حتى إذا نحن بعمرو، وقد أقبل في إزار ورداء، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه؟، فإذا هو خلف أبيه، قال: أين المصري؟، قال: ها أنا ذا، قال: دونك الدرة فاضرب ابن الأكرمين، اضرب ابن الأكرمين. قال فضربه حتى أثخنه، ثم قال: أحلها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه، فقال: يا أمير المؤمنين، قد ضربت من ضربني، قال: أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه، يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟، ثم التفت إلى المصري فقال: انصرف راشدا فإن رابك ريب فاكتب إلي.

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء] وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى﴾ [التوبة] قال ابن عطية: الشهادة ماحية لكل ذنب إلا لمظالم العباد.

قال سفيان الثوري: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَلْقَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِسَبْعِيْنَ ذَنْباً فِيْمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَهْوَنُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْ تَلْقَاهُ بِذَنْبٍ وَاحِدٍ فِيْمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ العِبَادِ﴾ وعن أبي هريرة: ﴿أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: إِنَّ الظَّالِمَ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: بَلَى وَاللَّهِ، حَتَّى الْحُبَارَى لَتَمُوتُ فِي وَكْرِهَا هُزْلًا لِظُلْمِ الظَّالِمِ﴾ (الحبارى) طير مشهور. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي، فَلَا تَظَالَمُوا﴾ عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذا إلى اليمن، فقال: ﴿وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ﴾ وعن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِيَّاكَ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى حَقَّهُ، وَإِنَّ اللهَ لَا يَمْنَعُ ذَا حَقٍّ حَقَّهُ﴾ كان شريح القاضي يقول: ﴿سَيَعْلَمُ الظَّالِمُونَ حَقَّ مَنْ انْتَقَصُوا، إِنَّ الظَّالِمَ لَيَنْتَظِرُ الْعِقَابَ، وَالْمَظْلُومُ يَنْتَظِرُ النَّصْرَ وَالثَّوَابَ﴾ وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ﴾ (الجلحاء) هي الجماء التي لا قرن لها. وعن أبي ذر، وعن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿تُرْفَعُ لِلرَّجُلِ صَحِيفَةُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَرَى أَنَّهُ نَاجٍ، فَمَا تَزَالُ مَظَالِمُ بَنِي آدَمَ تَتْبَعُهُ حَتَّى مَا تَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ، وَيُزَادُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ﴾ روي أن مالك بن دينار دخل على بلال بن أبي بردة فقال له بلال: ﴿أُدْعُ اللهَ لِي يَا أَبَا يَحْيَى. قَالَ: وما ينفعك دُعَائِي وَبِأَلْبَابٍ مِائَتَانِ يَدْعُونَ عَلَيْكَ﴾ ومثل ذلك قول سليمان بن عبد الملك لأبي حازم: ﴿أَدْعُ لِي. فَقَالَ: أَنَا أَدْعُو اللهَ لَكَ هَهُنَا وَمَظْلُومٌ بِأَلْبَابٍ يَدْعُو اللهَ عَلَيْكَ فَأَيُّ الدَّعْوَتَيْنِ أَحَقُّ بِالإِجَابَةِ﴾ قالت الحكماء: ﴿أَفْقَرُ النَّاسِ أَكْثَرُهُمْ كَسْبًا مِنْ حَرَامٍ لِأَنَّهُ إِسْتَدَانَ بِالظُّلْمِ مَا لَا بُدَّ مِنْ رَدِّهِ﴾ وعن البراء قال: ﴿أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ، قَالَ: فَذَكَرَ مَا أَمَرَهُمْ: مِنْ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَرَدِّ السَّلَامِ وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ. وَنَهَانَا عَنْ آنِيَةِ الْفِضَّةِ، وَعَنْ خَاتَمِ الذَّهَبِ، أَوْ قَالَ: حَلْقَةِ الذَّهَبِ، وَالْإِسْتَبْرَقِ، وَالْحَرِيرِ، وَالدِّيبَاجِ، وَالْمِيثَرَةِ، وَالْقَسِّيِّ﴾ وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ﴾ ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ، إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود] (ليملي) ليمهل (لم يفلته) لم يخلصه ولم يتركه حتى يستوفي عقابه (وكذلك) أي كما ذكر من إهلاك الأمم وأخذهم بالعذاب (أخذ ربك) إهلاكه وعذابه. (أخذ القرى) أخذ أهلها. يقال: من مات فقد قامت قيامته (فيقال له: لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة).والموت أول عدل الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء] قال زيد بن أسلم أنزلت الآية في ولاة الأمر. وعن أبي حازم قال: ﴿إِنَّمَا الْإِمَامُ سُوقٌ مِنَ الْأَسْوَاقِ إِنْ جَاءَهُ الْحَقُّ نَفَقَ، وَإِنْ جَاءَهُ الْبَاطِلُ نَفَقَ﴾ قال عمر بن عبد العزيز: ﴿فَإِنَّ نَفَقَ فِيهِ الصِّدْقُ وَالْبِرُّ وَالْعَدْلُ وَالْأَمَانَةُ، جُلِبَ إِلَيْهِ ذَلِكَ، وَإِنْ نَفَقَ فِيهِ الْكَذِبُ وَالْفُجُورُ وَالْجَوْرُ وَالْخِيَانَةُ، جُلِبَ إِلَيْهِ ذَلِكَ وَالَّذِي عَلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ، أَنْ يَأْخُذَ الْمَالَ مِنْ حِلِّهِ، وَيَضَعَهُ فِي حَقِّهِ، وَلَا يَمْنَعُهُ مِنْ مُسْتَحِقِّهِ ؛ وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِذَا بَلَغَهُ أَنَّ بَعْضَ نُوَّابِهِ ظَلَمَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ آمُرْهُمْ أَنْ يَظْلِمُوا خَلْقَكَ، وَلَا أَنْ يَتْرُكُوا حَقَّكَ﴾ قال الله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص] جاء في التفسير: من اتباع الهوى أن تحضر الخصمين بين يديك، فتود أن يكون الحق للذي لك منه خاصة، وبهذه الخصلة سلب سليمان بن داود ملكه؛ قال ابن عباس: كان الذي أصاب سليمان بن داود عليهما السلام أن ناساً من أهل جرادة امرأته، وكانت من أعز نسائه عليه، تحاكموا إليه مع غيرهم فأحب أن يكون الحق لأهل جرادة فيقضي لهم، فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحداً. ومن ذلك آية الملوك التي أنزلها الله تعالى في السلاطين لما اقتضته من السياسة العامة التي فيها بقاء الملك وثبوت الدول. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ﴿وَأُمُورُ النَّاسِ تَسْتَقِيمُ فِي الدُّنْيَا مَعَ الْعَدْلِ الَّذِي فِيهِ الِاشْتِرَاكُ فِي أَنْوَاعِ الْإِثْمِ: أَكْثَرُ مِمَّا تَسْتَقِيمُ مَعَ الظُّلْمِ فِي الْحُقُوقِ وَإِنْ لَمْ تَشْتَرِكْ فِي إثْمٍ؛ وَهَذَا قِيلَ: إنَّ اللَّهَ يُقِيمُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً، وَلَا يُقِيمُ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً. وَيُقَالُ: الدُّنْيَا تَدُومُ مَعَ الْعَدْلِ وَالْكُفْرِ وَلَا تَدُومُ مَعَ الظُّلْمِ وَالْإِسْلَامِ﴾ قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود] قال الصلابي: فبين الله تعالى أن كل من شارك أولئك المتقدمين في أفعالهم التي أدت الى هلاكهم فلابد أن يشاركهم في ذلك الأخذ الأليم الشديد؛ فالآية تحذر من وخامة الظلم إن الدولة الكافرة قد تكون عادلة بمعنى أن حكامها لايظلمون الناس والناس أنفسهم لايتظالمون فيما بينهم، فهذه الدولة مع كفرها تبقى، إذ ليس من سنته تعالى إهلاك الدولة بكفرها فقط، ولكن إذا انضم الى كفرها ظلم حكامها للرعية وتظالم الناس فيما بينهم. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود] قال الإمام الرازي في تفسيره: إن المراد من الظلم في هذه الآية الشرك. والمعنى أن الله تعالى لا يهلك أهل القرى بمجرد كونهم مشركين، إذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم يعامل بعضهم بعضاً عند الصلاح، وعدم الفساد. عن أبي بكرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه سلم: ﴿مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ مَعَ مَا يُدَّخَرُ لَهُ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ﴾ فالباغي يصرع في الدنيا وإن كان مغفورا له مرحوما في الآخرة وذلك أن العدل نظام كل شيء؛ فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة. ومن كان يتمنّى سلطاناً عادلاً، فعليه أولاً بإصلاح نفسه، فالتغيُّر في نظام الولاة من الجور إلى العدل، ومن الفساد إلى الإصلاح، لا يكون إلا بتغيير النفس، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد] قال ابن تيمية: ﴿جُعِلَ مَرَّةً إلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَالٌ عَظِيمٌ مِنْ الْخُمُسِ: فَقَالَ: إنَّ قَوْمًا أَدُّوا الْأَمَانَةَ فِي هَذَا لَأُمَنَاءَ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ: إنَّك أَدَّيْت الْأَمَانَةَ إلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَأَدُّوا إلَيْك الْأَمَانَةَ، وَلَوْ رَتَعْتَ لَرَتَعُوا﴾ جاء في بعض الآثار: ﴿السُّلْطَانُ ظِلُّ اللهِ فِي أَرْضِهِ﴾ يقول أمير المؤمنين عثمان بن عفان: ﴿إِنَّ اللهَ لَيَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ﴾ أي ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام، ما لا يمتنع كثير من الناس بالقرآن، وما فيه من الوعيد الأكيد، والتهديد الشديد، وهذا هو الواقع. يقول كعب الأحبار: مثل الإسلام والسلطان والناس مثل الفسطاط والعمود والأطناب والأوتاد، فالفسطاط الإسلام والعمود السلطان، والأطناب والأوتاد الناس، لا يصلح بعضها إلا ببعض. وذكر أعرابي أميرا فقال: كان إذا ولى لم يطابق بين جفونه، وأرسل العيون على عيونه؛ فهو غائب عنهم شاهد معهم؛ فالمحسن راج والمسيء خائف. وقال عمر بن الخطاب: لا يصلح هذا الأمر إلا اللين في غير ضعف، القوي في غير عنف.

مراجع: مسند أحمد/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ مصنف ابن أبي شيبة/ حلية الأولياء/ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية/ سراج الملوك/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ البداية والنهاية/ تاريخ مدينة دمشق/ فوات الوفيات/ العقد الفريد/ دولة الموحدين

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (خامس الخلفاء الراشدين) وزياد العبدي [056]

لما دخل زياد العبدي[1] على عمر بن عبد العزيز قال يا زياد ألا ترى إلى ما ابتليت به من أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم؟ فقال: يا أمير المؤمنين لا تعمل نفسك في الوصف واعملها في المخرج مما وقعت فيه، فلو أن كل شعرة فيك نطقت بحمد الله وشكره والثناء عليه ما بلغت كنه* ما أنت فيه، ثم قال له زياد: يا أمير المؤمنين أخبرني عن رجل له خصم ألد ما حاله ؟ قال: سئ الحال، قال: فإن كانا خصمين الدين ؟ قال: فهو أسوأ حالا، قال: فإن كانوا ثلاثة ؟ قال: ذاك حيث لا يهنئه عيش.قال: فوالله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا وهو خصمك، قال: فبكى عمر حتى تمنيت أني لم أكن حدثته ذلك.

حدث يعقوب بن عبد الرحمن عن أبيه عن زياد[2] مولى ابن عياش قال لو رأيتني دخلت على عمر بن عبد العزيز في ليلة شاتية وفي بيته كانون وعمر على كتابه فجلست أصطلي على الكانون فلما فرغ من كتابه مشى إلي عمر حتى جلس معي على الكانون وهو خليفة فقال زياد بن أبي زياد، فقلت نعم يا أمير المؤمنين، قال قص علي، قلت يا أمير المؤمنين ما أنا بقاص، قال فتكلم، قلت زياد قال وما له قال لا ينفعه من دخل الجنة غدا إذا دخل النار ولا يضره من دخل النار غدا إذا دخل الجنة قال صدقت والله ما ينفعك من دخل الجنة إذا دخلت النار ولا يضرك من دخل النار إذا أنت دخلت الجنة قال فلقد رأيت عمر يبكي حتى طفى بعض ذلك الجمر الذي على الكانون.

عن زياد بن أبي زياد المديني قال أرسلني ابن عامر بن أبي ربيعة إلى عمر بن عبد العزيز في حوائج له فدخلت عليه وعنده كاتب يكتب فقلت السلام عليكم. فقال وعليك السلام ثم انتبهت فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال يا ابن أبي زياد أنا لسنا ننكر الأولى التي قلت، والكاتب يقرأ عليه مظالم جاءت من البصرة ، فقال لي اجلس، فجلست على اسكفة الباب وهو يقرأ وعمر يتنفس صعدا فلما فرغ أخرج من كان في البيت حتى وصيفا كان فيه ثم قام يمشي إلي حتى جلس بين يدي ووضع يديه على ركبتي ثم قال يا ابن أبي زياد استدفأت في مدرعتك هذه، قال وعلي مدرعة من صوف واسترحت مما نحن فيه ثم سألني عن صلحاء أهل المدينة رجالهم ونسائهم فما ترك منهم أحدا إلا سألني عن أمور كان أمر بها بالمدينة فأخبرته ثم قال لي يا ابن أبي زياد إلا ترى ما وقعت فيه قال قلت ابشر يا أمير المؤمنين أني أرجو لك خيرا قال هيهات هيهات قال ثم بكى حتى جعلت ارثي له فقلت: يا أمير المؤمنين بعض ما تصنع فإني أرجو لك خيرا قال: هيهات هيهات اشتم ولا اشتم وأضرب ولا أضرب وأوذي ولا أوذي ثم بكى حتى جعلت أرثي له فأقمت حتى قضى حوائجي ثم أخرج من تحت فراشه عشرين دينارا فقال استعن بهذه فانه لو كان لك في الفيء حق أعطيناك حقك إنما أنت عبد فأبيت أن آخذها فقال إنما هي نفقتي فلم يزلبي حتى أخذتها وكتب إلي مولاي الموالي يسأله أن يبيعني منه فأبى واعتقني.

حدث يعقوب قال أراه عن أبيه قال أذن عمر بن عبد العزيز لزياد بن أبي زياد والأمويون هناك ينتظرون الدخول عليه قال هشام أما رضي ابن عبد العزيز أن يصنع ما يصنع حتى أذن لعبد ابن عياش يتخطى رقابنا، فقال الفرزدق[2] من هذا. قالوا رجل من أهل المدينة من القراء عبد مملوك، فقال الفرزدق: أيه القارئ المقضي حاجته ... هذا زمانك إني قد خلا زمني.

قال مزاحم[3] مولى عمر بن عبد العزيز اشتريت لعمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة للوليد كساء خز بستمائة دينار أو سبعمائة دينار فجعل يجسه ويقول إنه خشن فلما ولي الخلافة قال إني لأجد البرد بالليل فاشتريت له كساء بعشرة دراهم فلما أتيته به جعل يجسه ويقول إنه للين، فضحكت فقال مم تضحك فقلت ما تذكر حين اشتريت لك كساء بستمائة دينار أو بسبعمائة فجعلت تقول إنه لخشن وتقول لهذا إنه للين، فقال يا مزاحم والله لئن كان عيش سليمان بن عبد الملك وعيش زياد مولى ابن عياش واحدا لأن أعيش في الدنيا بعيش سليمان أحب إلي ولئن كان زياد مولى ابن عياش صبر في الدنيا على العيش الذي يعيشه لكي يطيب له العيش في الآخرة فوالله لأن أصبر على مثل عيش زياد هذه الأيام القلائل ليطيب لي العيش في الآخرة في تلك الأيام الكثيرة أحب إلي.

*(كنه) كنه كل شيء قدره ونهايته وغايته

---

(2) زياد بن أبي زياد، واسم أبي زياد ميسرة مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة القرشي المدني المخزومي.قال مالك بن أنس: كان زياد مولى ابن عياش رجلا عابدا معتزلا لا يزال يكون وحده يذكر الله. وكانت فيه لكنة. وكانت له دريهمات يعالج له فيها. روى عن مولاه ابن عياش وأنس بن مالك وعمر بن عبد العزيز وأبي بحرية وعراك بن مالك، روى عنه مالك بن أنس وعمر بن يحيى وعبد الرحمن بن محمد بن عبد القادر ومحمد بن إسحاق وعمر بن محمد العمري المازني وبكر بن أبي الفرات ويقال داود بن بكر بن أبي الفرات ومعاوية بن أبي مزرد وأسامة بن زيد ويزيد بن أسامة بن الهاد وأبو النضر سالم مولى عمر بن عبيد الله وإسماعيل بن أبي خالد.

(1) زياد العبدي..؟.. أما زياد بن سليم ويقال ابن سليمان ويقال ابن سلمى أبو أمامة العبدي المعروف بزياد الأعجم مولى عبد القيس ولقب بالأعجم لعجمة كانت في لسانه.أحد فحول الشعر العربي بخراسان ولد ونشأ في أصفهان وانتقل إلى خراسان، فسكنها وطال عمره ومات فيها في حدود سنة 100 هـ. أدرك أبا موسى الأشعري، وعثمان بن أبي العاص، وشهد معهما فتح إصطخر وحدث عنهما، ووفد على هشام بن عبد الملك وشهد وفاته بالرصافة، إمتدح عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وغيره، وله في المغيرة مدائح، ورثاه في المهلب بن أبي صفرة.

(3) مزاحم بن أبي مزاحم المكي مولى عمر بن عبد العزيز، وقيل: مولى طلحة. أصله من سبي البربر. روى عن عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد الأموي وعبيد الله بن أبي يزيد وعمر بن عبد العزيز. روى عنه إسماعيل بن أمية وداود بن عبد الرحمن العطار ونسبه إلى ولاء طلحة وابنه سعيد بن مزاحم وعبد الملك بن جريج وعيينة بن أبي عمران والد سفيان ابن عيينة ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري وميمون بن مهران. قيل: إنه سقط فمات. قال ميمون بن مهران: ما رأيت ثلاثة في بيت خيرا من عمر بن عبد العزيز، وابنه عبد الملك ومواه مزاحم.

(2) همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية ابن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم أبو فراس بن أبي خطل التميمي البصري الشاعر، المعروف بالفرزدق، صاحب جرير. وفد على معاوية يطلب ميراث عمه الحتات، ووفد على الوليد بن عبد الملك، وعلى هشام بن عبد الملك. أرسل عن علي، ويروي عن أبي هريرة، والحسين، وابن عمر، وأبي سعيد، وطائفة. وعنه الكميت، ومروان الأصفر، وخالد الحذاء، وأشعث الحمراني، والصعق بن ثابت، وابنه لبطة، وحفيده أعين بن لبطة.ولد الفرزدق سنة 38 هـ، و توفي في البصرة سنة 110 هـ.

قال محمد بن المنكدر[1] إني خلفت زياد بن ابي زياد مولى ابن عياش وهو يخاصم نفسه في المسجد يقول اجلسي أين تريدين أين تذهبين أتخرجين إلى أحسن من هذا المسجد انظري ما فيه تريدين أن تبصري دار فلان ودار فلان وكان يقول لنفسه ما لك من الطعام يا نفس إلا هذا الخبز والزيت وما لك من الثياب إلا هذين الثوبين وما لك من النساء إلا هذه العجوز أقتحين أن تموتي فقالت أنا أصبر على هذا العيش. وحدث محمد بن عبد المجيد التميمي قال سمعت سفيان بن عيينة يقول قال زياد مولى ابن عياش لمحمد بن المنكدر وصفوان بن سليم الجد الجد والحذر الحذر فإن يكن الأمر على ما نرجوه كان ما عملتما فضلا وإلا لم تلوما أنفسكما. قال سفيان وقال عامر بن عبد الله والله لأجهدن ثم والله لأجهدن فإن نجوت فبرحمة ربي وإلا لم ألم نفسي. وحدث يحيى بن الفضل الأبيسي قال: سمعت بعض من يذكر عن محمد بن المنكدر أنه بينا هو ذات ليلة قائم يصلي إذا استبكى فكثر بكاؤه حتى فزع له أهله فسألوه: ما الذي أبكاك؟ فاستعجم عليهم، فتبادى في البكاء فأرسلوا إلى أبي حازم واخبروه بأمره، فجاء أبو حازم إليه فإذا هو يبكي فقال: يا أخي ما الذي أبكاك قد رعت أهلك؟ فقال له إني مرت بي آية من كتاب الله عز وجل. قال: ما هي؟ قال: قول الله عز وجل:﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر] قال: فبكى أبو حازم معه واشتد بكاؤهما. قال: فقال بعض أهله لأبي حازم: جئنا بك لتفرج عنه فزدته. قال: فأخبرهم ما الذي أبكاهما. عن الحارث بن الصواف قال: قال محمد بن المنكدر: كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت. وكان له جار مبتلى فكان يرفع صوته من الليل يصيح وكان محمد يرفع صوته بالحمد. فقيل له في ذلك فقال: يرفع صوته بالبلاء وأرفع صوتي بالنعمة.

عن أبي هريرة ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا ابْنَ آدَمَ، اعْمَلْ كَأَنَّكَ تُرَى، وَعُدَّ نَفْسَكَ مَعَ الْمَوْتَى، وَإِيَّاكَ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ﴾ روى البيهقي عن ابى هريرة: ﴿أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: إِنَّ الظَّالِمَ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: بَلَى وَاللَّهِ، حَتَّى الْجُبَارَى لَتَمُوتُ فِي وَكْرِهَا هُزْلًا لِظُلْمِ الظَّالِمِ﴾ (الجبارى) طير مشهور. قال ابن عطية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ [التوبة] الشهادة ماحية لكل ذنب إلا لمظالم العباد. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ﴾ (الجلحاء) هي الجماء التي لا قرن لها. وهذا في قصاص المقابلة. وعن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي، فَلَا تَظَالَمُوا﴾.

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ﴾ قال العلماء الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وهو ما تحت نظره ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته.

محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهذير بن عبد العزى بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي، أبو عبد الله، ويقال: أبو بكر المدني، أخو أبي بكر بن المنكدر، وعمر بن المنكدر.أسند محمد بن المنكدر عن ابن عمر وأبي قتادة وجابر وأبي هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وأميمة بنت رقيقة. وروى عن كبار التابعين كالحسن وعروة وسعيد بن خير والزهري وأبي حازم ويحيى بن سعيد وأيوب ويونس بن عبيد، في خلق يطول ذكرهم. وعن ابن زيد قال: أتى صفوان بن سليم إلى محمد بن المنكدر وهو في الموت فقال: يا أبا عبد الله كأني أراك قد شق عليك الموت؟ قال: فما زال يهون عليه الأمر وينجلي عن محمد حتى لكأن في وجهه المصابيح. ثم قال له محمد: لو ترى ما أنا فيه لقرت عينك. ثم قضى رحمه الله.توفي بالمدينة سنة 130 هـ أو131 هـ

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ صحيح مسلم/ سراج الملوك/ مسند أحمد/ تاريخ دمشق لابن عساكر/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ فوات الوفيات

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (خامس الخلفاء الراشدين) ومحمد بن كعب القرظي [057]

قال محمد بن كعب[1] لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين إنما الدنيا سوق من الأسواق، فمنها خرج الناس بما ربحوا فيها لآخرتهم وخرجوا بما يضرهم، فكم من قوم غرهم مثل الذي أصبحت فيه حتى أتاهم الموت فخرجوا من الدنيا مرملين، لم يأخذوا من الدنيا للآخرة، فأخذ مالهم من لا يحمدهم وصاروا إلى من لا يعذرهم؟ فانظر إلى الذي تحب أن يكون معك فقدمه بين يديك حتى تخرج إليه، وانظر الذي تكره أن يكون معك إذا قدمت فابتغ به البدل حيث يجوز البدل، ولا تذهبن إلى سلعة قد بارت على غيرك ترجو رواجها عندك، يا أمير المؤمنين افتح الأبواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم.

عن المبارك بن فضالة، قال: دخل عبد الله بن الأهتم[2] على عمر بن عبد العزيز وهو جالس على سرير، فحمد الله ، وأثنى عليه، ثم أخذ في موعظته الطويلة، فنزل عمر عن سريره حتى استوى بالأرض ، وجثا على ركبتيه، وابن الأهتم يقول: وأنت يا عمر وأنت يا عمر من أولاد الملوك، وأبناء الدنيا الذين ولدوا في النعيم ، وغذوا به، لا يعرفون غيره وعمر يبكي ويقول: هيه هيه* ابن الأهتم هيه ، فلم يزل يعظه ، وعمر يبكي، حتى غشي عليه.

دخل خالد بن عبد الله القسري[3] على عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة، فقال: يا أمير المؤمنين، من تكون الخلافة قد زانته فأنت قد زنتها، ومن تكون شرفته فأنت قد شرفتها، وأنت كما قال الشاعر: وإذا الدر زان حسن وجوه ... كان للدر حسن وجهك زينا. فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: أعطي صاحبكم مقولا ولم يعط معقولا.

قال هشام بن مصاد:[4] كنت جالسا مع عمر بن عبد العزيز نتحدث إذ بكى، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما يبكيك؟ قال: هشام، إن في الجسد مضغة إليها يأوي خيره وشره، فأصلحوا قلوبكم تصلحوا، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا آخر لمن لا خشية له، وإن أيمن أحدكم وأشأمه لسانه، فمن حفظ لسانه أراح نفسه، وسلم المسلمون منه. وإن أقواما صحبوا سلطانهم بغير ما حق عليهم فعاشوا بخلاقهم، وأكلوا بألسنتهم، وخلفوا الأمة بالمكر والخيانة والخديعة. ألا وكل ذلك في النار. ألا فلا يقربنا من أولئك أحد ولا سيما خالد بن عبد الله وعبد الله بن الأهتم فإنهما رجلان بينان وبعض البيان يشبه السحر. ألا وإن كل راع مسؤول عن رعيته، وكل وزير مأخوذ بجنايته، ومعروض عليه قوله، لا إقالة له فيه، فمن صحبنا بخمس: فأبلغنا حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ودلنا على ما لا نهتدي له من العدل، وأعاننا على الخير وترك ما لا يعنيه وأدى الأمانة التي حملها منا ومن جماعة المسلمين فحيهلا به ومن كان على غير ذلك ففي غير حل من صحبتنا، والدخول علينا

ثم جاء مزاحم فقال: يا أمير المؤمنين، هذا محمد بن كعب بالباب..

حكى عبد الله بن بكر قال حدثني شيخ من بني سليم أن عمر بن عبد العزيز كان عنده هشام بن مصاد قال عبد الله بن بكر أحسبه كانا يتحدثان فذكر عمر شيئا فبكى فأتاه مولاه مزاحم فقال إن محمد بن كعب القرظي بالباب فقال أدخله فدخل وعمر يمسح عينيه من الدموع فقال له محمد ما الذي أبكاك يا أمير المؤمنين قال أبكاني هشام حين ذكرني وقوفي بين يدي ربي فقال له محمد يا أمير المؤمنين إنما الدنيا سوق من الأسواق فمنها خرج الناس بما نفعهم ومنها خرجوا بما ضرهم فلا تكن من قوم قد غرهم منها مثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبهم فخرجوا منها ملومين لم يأخذوا لما أحبوه من الآخرة عدة ولا لما كرهوا جنة فاقتسم ما جمعوا من لا يحمدهم وصاروا إلى من لا يعذرهم فانظر يا أمير المؤمنين إلى تلك الأعمال التي تغيظهم بها فاخلفهم فيها وإلى الأعمال التي تتخوف عليهم منها فكف عنها وانظر إلى الذي تحب أن يكون معك إذا قدمت على ربك فاصنع منه وابدل حيث يوجد البدل ولا تذهبن إلى سلعة قد بارت على من كان قبلك ترجو أن تجوز عنك فاتق الله يا أمير المؤمنين وافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم واردع الظالم يا أمير المؤمنين ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان من إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل وإذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق وإذا قدر لم يتناول ما ليس له قال فاشتد بكاء عمر بن عبد العزيز وعلا نحيبه قال اللهم أعني على ما ابتليتني به من أمر عبادك وبلادك وارزقني فيهم العمل بطاعتك واختم لي بخير منك وعافية منه.

قال السائب بن محمد: كتب الجراح بن عبد الله[5] إلى عمر بن عبد العزيز: سلام عليك، وبعد. فإن أهل خراسان قوم قد ساءت رعيتهم، وإنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في تلك فعل. قال: فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى الجراح بن عبد الله: سلام عليك، أما بعد؛ فقد بلغني كتابك تذكر أن أهل خراسان قد ساءت رعيتهم، وأنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط، وتسألني أن آذن لك فقد كذبت، بل يصلحهم العدل والحق، فابسط ذلك فيهم والسلام. وحدث عبد الرحمن بن حسن الزرقي عن أبيه – وكان عند الجراح بن عبد الله عامل عمر بن عبد العزيز على خراسان كلها حربها وصلاتها ومالها – قال: فكتب عمر إلى ابن الجراح: أنه بلغني أنك استعملت عبد الله بن الأهتم وإن الله لما يبارك لعبد الله بن الأهتم في العمل فاعزله وإنه على ذلك لذو قرابة لأمير المؤمنين. وبلغني أنك استعملت عمارة ولا حاجة لي بعمارة ولا بضرب عمارة، ولا برجل قد صبغ يده في دماء المسلمين فاعزله.

* (هيه) : معناها طلب الاستزادة من الحديث

---

(1) محمد بن كعب القرظي أبو حمزة أو أبو عبد الله. وقد ولد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، اسند محمد بن كعب عن عدد من الصحابة.ومات سنة 117 هـ أو 118 هـ وقيل سنة 129 هـ وقيل كان يقص على أصحابه فسقط المسجد عليه وعليهم فقتلهم رحمهم الله.

(4) هشام بن مصاد بن زياد أبو زياد الكلبي ثم العليمي، أخو معاوية وعبد الرحمن ويزيد بني مصاد. من فرسان كلب.

(3) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري. أبو يزيد وأبو الهيثم. كان أمير مكة المكرمة للوليد بن عبد الملك، ثم أمير العراقين لهشام بن عبد الملك، ثم عزل وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي ابن عم الحجاج.وقتل بالحيرة سنة 126هـ.

(2) عبد الله بن الأهتم يروي عن المدنيين وعمر بن عبد العزيز روى عنه أهل الشام. وفد على سليمان بن عبد الملك رسولا من يزيد بن المهلب.ودخل على عمر بن عبد العزيز فوعظه.

(5) جراح بن عبد الله بن جعادة بن أفلح بن الحارث بن درة (ذوة) بن حدقة بن مظة، واسمه سفيان بن سليم بن الحكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، أبو عقبة الحكمي من قواد أهل الشام من دمشق. ولي البصرة في أيام الوليد بن عبد الملك للحجاج، ثم ولي العراق في أيام سليمان خلافة ليزيد بن المهلب، ثم ولي خرا سان وسجستان لعمر بن عبد العزيز، وولي عدة جهات وكان قارنا غازيا قتله الترك بأذربيجان غازيا في سنة 112 هـ.

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فيما أوصاه به من الرفق بالرعية: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران] عن أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ إِمَامٌ عَادِلٌ رَفِيقٌ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِمَامٌ جَائِرٌ خَرِقٌ﴾ (رفيق) أي لين الجانب مع الأقارب والأجانب، لطيف مع الشريف والضعيف (إمام جائر) أي ظالم (خرق) صفة مشبهة من الخرق؛ وهو ضد الرفق، وفي الحديث:﴿الرِّفْقُ يُمْنٌ وَالْخُرْقُ شُؤْمٌ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ بَابَ الرِّفْقِ فَإِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ وَإِنَّ الْخُرْقَ لَمْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ﴾ قال الطيبي: وجعل الرفيق للعادل من باب التكميل فإنه صلى الله عليه وسلم لما وصفه بالعادل؛ رأى أن الوصف بمجرد العدل غير واف؛ لأنه قد يكون العادل جافيا غليظ القلب فكمله بالرفيق، وجعل الجائر مردفا بالخرق من باب التتميم؛ لأن الثاني زاد مبالغة في معنى الأول؛ لأن الجفاء والغلظة تزيد في جوره وخرقه. عن وهب بن منبه، قال قرأت في الحكمة:﴿لِلْكُفْرِ أَرْبَعَةُ أَرْكَانَ: رُكْنٌ مِنْهُ الْغَضَبُ، وَرُكْنٌ مِنْهُ الشَّهْوَةُ، وَرُكْنٌ مِنْهُ الطَّمَعُ، وَرُكْنٌ مِنْهُ الْخَرَقُ﴾ وعن عمر بن الخطاب:﴿لَا يُقِيمُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا حَصِيفُ الْعَقْلِ أَرِيبُ الْعُقْدَةِ، لَا يُطْلَعُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ، وَلَا يَخُونُ عَلَى حَوِيَّةٍ وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّوْمَةُ لَائِمٍ – وقال–: السُّلْطَانُ أَرْبَعَةُ أُمَرَاءَ؛ فَأَمِيرٌ قَوِيٌّ ظَلَفَ* نَفْسَهُ وَعُمَّالَهُ، فَذَاكَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَدُ اللَّهِ بَاسِطَةٌ عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ، وَأَمِيرٌ ضَعِيفٌ ظَلَفَ نَفْسَهُ وَأَرْتَعَ عُمَّالَهُ فَضَعُفَ فَهُوَ عَلَى شَفَا هَلَاكٍ إِلَّا أَنْ يَرْحَمَهُ اللَّهُ، وَأَمِيرٌ ظَلَفَ عُمَّالَهُ وَأَرْتَعَ نَفْسَهُ، فَذَلِكَ الْخُطَمَةُ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: شَرُّ الرِّعَاءِ الْخُطَمَةُ. فَهُوَ الْهَالِكُ وَحْدَهُ، وَأَمِيرٌ أَرْتَعَ نَفْسَهُ وَعُمَّالَهُ فَهَلَكُوا جَمِيعًا﴾ حدث الحسن، أن عائذ بن عمرو، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على عبيد الله بن زياد، فقال: أي بني، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ﴾ فقال له: اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال: وهل كانت لهم نخالة؟ إنما كانت النخالة بعدهم، وفي غيرهم. قال في النهاية الحطمة هو العنيف برعاية الإبل في السوق والإيراد والإصدار يلقى بعضها على بعض ويعسفها ضربه مثلا لوالي السوء ويقال أيضا حطم بلا هاء ، والنخالة: يعني لست من فضلائهم وعلمائهم وأهل المراتب منهم بل من سقطهم والنخالة هنا استعارة من نخالة الدقيق وهي قشوره والنخالة والحثالة والحفالة بمعنى واحد، (وهل كانت لهم نخالة؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم) هذا من جزل الكلام وفصيحه وصدقه الذي ينقاد له كل مسلم فإن الصحابة رضي الله عنهم كلهم هم صفوة الناس وسادات الأمة وأفضل ممن بعدهم وفيمن بعدهم كانت النخالة. أجمع أهل السنة أن أفضل الناس بعد النبي عليه الصلاة والسلام أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم سائر العشرة، ثم باقي أهل بدر، ثم باقي أهل أحد، ثم باقي أهل البيعة، ثم باقي أهل الصحابة، هكذا حكى الإجماع عليه.

* ظلف نفسه عن الشيء: منعها عن هواها

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ سراج الملوك/ لسان العرب/ تاريخ مدينة دمشق/ العقد الفريد/ تاريخ الخلفاء للسيوطي/ المعرفة والتاريخ/ مختصر تاريخ دمشق/ الرقة والبكاء

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (خامس الخلفاء الراشدين) والحسن بن محمد بن الحسين [058]

يروى أن الحسن بن محمد بن الحسين [1] دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له: يا عمر، ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان. فقال عمر: إيه أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة! وجثى على ركبتيه. فقال الحسن: من إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، ومن إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له.

عن الثقة أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم [2] وكان والي المدينة أما بعد فقد قرأت كتابك إلى سليمان تذكر فيه أنه كان يقطع لمن كان قبلك من أمراء المدينة من الشمع كذاوكذا يستضيئون به في مخرجهم فابتليت بجوابك فيه ولعمري لقد عهدتك يا ابن ام حزم وأنت تخرج من بيتك في الليلة الشاتية المظلمة بغير مصباح ولعمري أنت يومئذ خير منك اليوم ولقد كان في فتائل أهلك ما يغنيك والسلام.

عن عمر بن علي بن مقدم [3] قال: قال ابن لسليمان بن عبد الملك لمزاحم: [4] إن لي حاجة إلى أمير المؤمنين عمر، قال: فاستأذنت له فقال: أدخله فأدخلته على عمر فقال ابن سليمان: يا أمير المؤمنين، علام ترد قطيعتي؟ قال: معاذ الله أن أرد قطيعة صحت في الإسلام، قال: فهذا كتابي، وأخرج كتابا من كمه، فقرأه عمر فقال: لمن كانت هذه الأرض؟ قال: للفاسق ابن الحجاج، قال عمر: فهو أولى بماله، قال: فإنها من بيت مال المسلمين، قال: فالمسلمون أولى بها، قال: يا أمير المؤمنين، رد علي كتابي، قال: لو لم تأتني به لم أسألكه، فأما إذ جئتني به فلا ندعك تطلب بباطل، قال: فبكى ابن سليمان، قال مزاحم: فقلت: يا أمير المؤمنين، ابن سليمان اللاطئ الحب اللازق بالقلب، تصنع به هذا؟ قال: ويحك يا مزاحم، إنها نفسي أحاول عنها، وإني لأجد له من اللوط * ما أجد لولدي.

*((اللوط) أي ألصق بالقلب. لاط الشيء بقلبي يلوط ويليط ويقال هو ألوط بقلبي وأليط وإني لأجد له في قلبي لوطا وليطا يعني الحب اللازق بالقلب ولاط حبه بقلبي يلوط لوطا لزق وفي حديث أبي بكر أنه قال إن عمر لأحب الناس إلي ثم قال اللهم أعز والولد ألوط قال أبو عبيد قوله والولد ألوط أي ألصق بالقلب.

---

(1) الحسن بن محمد بن الحسين بن علي بن عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.؟

(2) أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي.ولد سنة 36 هـ وكان والي المدينة وقاضيها للملك سليمان بن عبد الملك، ثم للخليفة عمر بن عبد العزيز. وقد توفي سنة 120 هـ

(4) مزاحم بن أبي مزاحم المكي، مولى عمر بن عبد العزيز، وقيل: مولى طلحة. أصله من سبي البربر. قال ميمون بن مهران: ما رأيت ثلاثة في بيت خيرا من عمر بن عبد العزيز، وابنه عبد الملك ومواه مزاحم. قيل: إنه سقط فمات.

(3) عمر بن علي بن عطاء بن مقدم أبو حفص المقدمي، مولى بني ثقيف، بصري حافظ. وهو والد محمد، وعاصم، وعم محمد بن أبي بكر الحافظ.توفي سنة 190 هـ. قال عفان بن مسلم: كان رجلا صالحا، ولم يكونوا يتقمون عليه غير التدليس، ولم أكن أقبل منه حتى يقول حدثنا.

قال معاوية لخالد بن المعمر: كيف حبك لعلي بن أبي طالب؟ قال: أحبه لثلاث خصال: على حلمه إذا غضب، وعلى صدقه إذا قال، وعلى وفائه إذا وعد. وكان يقال: ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان: من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، ومن إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الظلم والباطل، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له. وقال عمر بن الخطاب: إذا سمعت الكلمة تؤذيك فطأطيء لها حتى تتخطاك. وقال الحسن: إنما يعرف الحلم عند الغضب. فإذا لم تغضب لم تكن حليما. وقال الأحنف: ما نازعني أحد قط إلا أخذت أمري بإحدى ثلاث: إن كان فوقي عرفت قدره، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه، وإن كان مثلي تفضلت عليه. ليس الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر انتقم، ولكن الحليم من ظلم فحلم ثم قدر فعفا.

قال محمد بن علي: من حلم وقى عرضه، ومن جادت كفه حسن ثناؤه، ومن أصلح ماله استغنى، ومن احتمل المكروه كثرت محاسنه، ومن صبر حمد أمره، ومن كظم فشا إحسانه، ومن عفا عن الذنوب كثرت أياديه، ومن اتقى الله كفاه ما أهمه.

عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟ قَالَ قُلْنَا الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا قَالَ فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرْعَةَ فِيكُمْ؟ قَالَ قُلْنَا الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ، قَالَ: لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ﴾ (الرقوب) أصل الرقوب في كلام العرب الذي لا يعيش له ولد والمعنى إنكم تعتقدون أن الرقوب المحزون هو المصاب بموت أولاده وليس هو كذلك شرعا بل هو من لم يمت أحد من أولاده في حياته فيحتسبه ويكتب له ثواب مصيبته به وثواب صبره عليه ويكون له فرطا وسلفا (الصرعة) الصرعة أصله في كلام العرب الذي يصرع الناس كثيرا والمعنى إنكم كذلك تعتقدون أن الصرعة الممدوح القوي الفاضل هو القوي الذي لا يصرعه الرجال وليس هو كذلك شرعا بل هو من يملك نفسه عند الغضب فهذا هو الفاضل الممدوح الذي قل من يقدر على التخلق بخلقه ومشاركته في فضيلته بخلاف الأول. وعن أبي هريرة: ﴿أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: لَا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: لَا تَغْضَبْ﴾ وعن سليمان بن صرد، قال: ﴿اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا يَغْضَبُ وَيَحْمَرُّ وَجْهُهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَقَامَ إِلَى الرَّجُلِ رَجُلٌ مِمَّنْ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَتَدْرِي مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آنِفًا؟ قَالَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَمَجْنُونًا تَرَانِي﴾ وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة، قال: ﴿كَتَبَ أَبِي، وَكَتَبْتُ لَهُ إِلَى عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، وَهُوَ قَاضٍ بِسِجِسْتَانَ، أَنْ لَا تَحْكُمْ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَأَنْتَ غَضْبَانُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا يَحْكُمُ أَحَدٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ﴾ يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود] ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر] قال علي بن أبي طالب: الصفح الجميل هو الرضى بلا عتاب. وقيل هو الرضى بلا توبيخ فيه ولا حقد معه. سئل جعفر بن محمد عن حد الحلم فقال: وكيف يعرف فضل شيء لم نر كماله في أحد؟ وفي الأمثال القديمة: كاد الحليم أن يكون نبيا. قال الأحنف بن قيس لابنه: يا بني، إذا أردت أن توا خي رجلا، فأغضبه، فإن أنصفك وإلا فاحذره. وكان مسلم بن نوفل سيد بني كنانة قد ضربه رجل من قومه بسيفه فأخذ فأتى به إليه فقال له: ما الذي فعلت أما خشيت انتقامي؟ قال: لا. قال: فلم؟ قال: ما سودناك إلا أن تكظم الغيظ وتعفو عن الجاني، وتحلم على الجاهل وتحتمل المكروه في النفس والمال، فخلى سبيله. فقال قائلهم: تسود أقوام وليسوا بسادة ... بل السيد المعروف سلم بن نوفل. عن عمرو بن الحمق قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَحِقُّ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَغْضَبَ للهِ، وَيَرْضَى للهِ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحَقَّ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ، وَإِنَّ أَحِبَّائِي وَأَوْلِيَائِي الَّذِينَ يُذْكَرُونَ بِذِكْرِي، وَأُذْكَرُ بِذِكْرِهِمْ - وفي رواية: - لَا يَحِقُّ الْعَبْدُ حَقَّ صَرِيحِ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ للهِ، وَيُبْغِضَ للهِ، فَإِذَا أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، فَقَدِ اسْتَحَقَّ الْوَلَاءَ مِنَ اللهِ، وَإِنَّ أَوْلِيَائِي مِنْ عِبَادِي، وَأَحِبَّائِي مِنْ خَلْقِي الَّذِينَ يُذْكَرُونَ بِذِكْرِي، وَأُذْكَرُ بِذِكْرِهِمْ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة، قالت: ﴿مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ: خَادِمًا لَهُ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا دَابَّةً، وَلَا شَيْئًا قَطُّ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ فَانْتَقَمَ لِنَفْسِهِ قَطُّ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللهِ، فَإِذَا انْتُهِكَتْ حُرُمَاتُ اللهِ لَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَقِمَ للهِ﴾ وعن عبد الله بن عمرو، قال: ﴿هَجَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمًا، قَالَ: فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ، فَقَالَ: إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ﴾ (هجرت) أي أتيت في الهاجرة أي الظهيرة (في وجهه) وكان عليه الصلاة والسلام لا يغضب لنفسه وإنما كان يغضب لله، فيشتد به ذلك الغضب حتى يرى أثره من حمرة اللون ونحوها في وجهه الكريم (باختلافهم في الكتاب) أي المنزل على نبيهم بأن قال كل واحد منهم ما شاء من تلقاء نفسه.يقول إياس بن سلمة حدثني أبي فقال: مر عمر بن الخطاب وأنا في السوق، وهو مار في حاجة له ومعه الدِّرَّة، قال: هكذا أمِط عن الطريق يا مسلمة، قال: ثم خفقني بها خفقة، فما أصاب إلا طرف ثوبي، فأمطتُ عن الطريق، فسكت عني، حتى كان في العام المقبل، فلقيني في السوق، فقال: يا سلمةُ، أردت الحج العام؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فأخذ بيدي، فما فارقت يدي يده حتى دخل بي بيته فأخرج كيساً فيه ستمائة درهم، فقال: يا سلمة. استعن بهذه، واعلم أنها من الخفقةِ التي خفقتك عام أول، قلت: والله يا أمير المؤمنين، ما ذكرتها حتى ذكرتنيها، قال: وأنا والله ما نسيتها بعد.

قال أبو الزناد: كان عمر بن عبد العزيز يرد المظالم إلى أهلها بغير البينة القاطعة. كان يكتفي بأيسر ذلك. إذا عرف وجها من مظلمة الرجل ردها عليه ولم يكلفه تحقيق البينة لما كان يعرف من غشم الولاة. قال إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: ما كان يقدم على أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كتاب من عمر إلا فيه رد مظلمة أو إحياء سنة أو إطفاء بدعة أو قسم أو تقدير عطاء أو خير. حتى خرج من الدنيا. وقال أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: كتب إلي عمر بن عبد العزيز أن استبرئ الدواوين فانظر إلى كل جور جاره من قبلي من حق مسلم أو معاهدة فرده عليه. فإن كان أهل تلك المظلمة قد ماتوا فادفعه إلى ورثتهم. وقال موسى بن عبيدة: سمعت كتاب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: وإياك والجلوس في بيتك. اخرج للناس فآس بينهم في المجلس والمنظر ولا يكن أحد من الناس آثر عندك من أحد. ولا تقولن هؤلاء من أهل بيت أمير المؤمنين فإن أهل بيت أمير المؤمنين وغيرهم عندي اليوم سواء بل أنا أحرى أن أظن بأهل بيت أمير المؤمنين أنهم يقهرون من زعمهم. وإذا أشكل عليك شيء فاكتب إلي فيه. وأخبر سعيد بن عامر عن حزم بن أبي حزم قال: قال عمر بن عبد العزيز في كلام له: فلو كان كل بدعة يميتها الله على يدي وكل سنة ينعشها الله على يدي ببضعة من لحمي حتى يأتي آخر ذلك على نفسي كان في الله يسيرا. وعن حماد بن أبي سليمان أن عمر بن عبد العزيز قام في مسجد دمشق ثم نادى بأعلى صوته: لا طاعة لنا في معصية الله.وقال عبد الله بن واقد: إن آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس الحقوا ببلادكم فإني أذكركم في بلادكم وأنساكم عندي. ألا وإني قد استعملت عليكم رجالا لا أقول هم خياركم ولكنهم خير ممن هو شر منهم. فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له علي. والله لئن منعت هذا المال نفسي وأهلي ثم بخلت به عليكم إني إذا لضنين. والله لولا أن أنعش سنة أو أسير بحق ما أحببت أن أعيش فواقا. وقال إسماعيل بن أبي حكيم: أتى عمر بن عبد العزيز كتاب من بعض بني مروان فأغضبه. فاستشاط غضبا ثم قال: إن لله في بني مروان ذبحا. وايم الله لئن كان ذاك الذبح على يدي. قال فلما بلغهم ذلك كفوا وكانوا يعلمون صرامته وأنه إن وقع في أمر مضى فيه. وعن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: قال لي عمر: ما وجدت في إمارتي هذه شيئا ألذ من حق وافق هوى.

مراجع: صحيح مسلم/ شرح سنن أبي داود/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ صحيح مسلم/ السياسة الشرعية/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ سراج الملوك/ العقد الفريد/ الطبقات الكبرى/ لسان العرب/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (خامس الخلفاء الراشدين) وعبد الملك بن عمر بن عبد العزيز [059]

حدث إسماعيل بن أبي حكيم[1] قال: غضب عمر بن عبد العزيز يوما فاشتد غضبه وكان فيه حدة وابنه عبد الملك[2] حاضر فلما سكن غضبه قال يا أمير المؤمنين أنت في قدر نعمة الله عليك وموضعك الذي وضعك الله به وما ولاك من أمر عباده يبلغ بك الغضب بما آري قال كيف قلت فأعاد عليه كلامه فقال آما تغضب يا عبد الملك فقال ما تغنى سعة جوفي إن لم اردد فيه الغضب حتى لا يظهر منه شيء اكرهه.

دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على عمر فقال: يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فأخلني وعنده مسلمة بن عبد الملك فقال عمر اسر دون عمك قال نعم فقام مسلمة وخرج وجلس بين يديه فقال يا أمير المؤمنين ما أنت قائل لربك غدا إذا سالك فقال رأيت بدعة تمتها أو سنة فلم تحيها فقال له يا بني أشيء حملك الرغبة إلي أم رأي رايته من قبل نفسك قال لا والله ولكن رأي رايته من قبل نفسي عرفت أنك مسؤول فما أنت قائل فقال له أبوه رحمك الله وجزاك من ولد خيرا فوالله أني لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير يا بني إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة وعروة عروة ومتى ما أريد مكابرتهم على انتزاع ما في أيدهم لم آمن أن يفتقوا علي فتقا تكثر فيه الدماء والله لزوال الدنيا أهون علي من أن يهراق في سببي محجة من دم أو ما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيي فيه سنة حتى يحكم الله بيننا بالحق وهو خير الحاكمين.

عن جويرية بن أسماء قال: قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر: ما يمنعك أن تنفذ لرأيك في هذا الأمر، فوالله ما كنت أبالي أن تغلي بي وبك القدور في إنفاذ هذا الأمر، فقال عمر: إني أروض الناس رياضة الصعب، فإن أبقاني الله مضيت لرأيي، وإن عجلت علي منية فقد علم الله نيتي، إني أخاف إن بادهت الناس بالتي تقول أن يلجئوني إلى السيف، ولا خير في خير لا يجيء إلا بالسيف. وفي رواية قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر: يا أبت، مالك لا تنفذ في الأمور، فو الله لا أبالي في الحق لو غلت بي وبك القدور. قال له عمر: لا تعجل يا بني، فإن الله تعالى ذم الخمر في القرآن مرتين وحرمها في الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه وتكون فتنة.

عن إسماعيل بن أبي حكيم قال دخل عبد الملك على أبيه عمر فقال أين وقع لك رأيك فيما ذكر لك مزاحم من رد المظالم فقال علي إنفاذه فرفع عمر يده ثم قال الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعينني على أمر ديني نعم يا بني اصلي الظهر إن شاء الله ثم اصعد المنبر فأردها على رؤوس الناس فقال عبد الملك يا أمير المؤمنين من لك بالظهر ومن لك إن بقيت أن تسلم لك نيتك فقال عمر فقد تفرق الناس للقائلة فقال عبد الملك تأمر مناديك فينادي الصلاة جامعة ثم يجتمع الناس فأمر مناديه فنادى. وعن ابن أبي عبلة قال جلس عمر يوما للناس فلما انتصف النهار ضجر ومل فقال للناس مكانكم حتى انصرف إليكم ودخل ليستريح ساعة فجاء إليه ابنه عبد الملك فسأل عنه فقالوا دخل فاستأذن عليه فأذن له فلما دخل قال يا أمير المؤمنين ما أدخلك قال أردت أن استريح ساعة قال أو آمنت الموت أن يأتيك ورعيتك على بابك ينتظرونك وأنت محتجب عنهم فقام عمر فخرج إلى الناس.

عن محمد بن أبان قال: جمع عمر بن عبد العزيز قراء أهل الشام؛ فيهم ابن أبي زكريا الخزاعي فقال: إني جمعتكم لأمر قد أهمني، هذه المظالم التي في أيدي أهل بيتي ما ترون فيها؟ فقالوا: ما نرى وزرها إلا على من اغتصبها، فقال لابنه عبد الملك: ما ترى؟ قال: ما أرى من قدر على ردها فلم يردها والذي اغتصبها إلا سواء، فقال: صدقت أبي بني الحمد لله الذي جعل لي وزيرا من أهل عبد الملك ابني. وعن عبيد الله بن محمد التميمي قال سمعت أبي وغيره يحدث أن عمر بن عبد العزيز لما ولي منع قرابته ما كان يجري عليهم وأخذ منهم القطائع التي كانت في أيديهم فشكوا إلى عمته أم عمر فاطمة بنت مروان فدخلت فقالت إن قرابتك يشكونك ويزعمون أنك أخذت منهم خير غيرك قال: ما منعتهم حقا أو شيئا كان لهم، ولا أخذت منهم حقا أو شيئا كان لهم. فقالت: إني رأيتهم يتكلمون، وإني أخاف أن يهيجوا عليك يوما عصيبا. فقال: كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقاني الله شره. قال: فدعا بدينار، وجنب، ومجمرة، فألقى ذلك الدينار بالنار، وجعل ينفح على الدينار إذا احر تناوله بشيء، فألقاه على الخبث فنش. فقال أي عمة آما تأوين لابن أخيك من مثل هذا.ا فقامت فخرجت على قرابته فقالت: تزوجون إلى آل عمر فإذا نزعوا الشبه جزعتم اصبروا له.

حدث علي بن عبد الله بن جعفر قال: قال سفيان: قالوا لعبد الملك: أبوك خالف قومه وفعل وصنع فقال: إن أبي يقول:﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام] قال: ثم دخل على أبيه فأخبره فقال: فأي شيء قلت؟ ألا قلت: إن أبي يقول:﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؟ قال: قد فعلت.

عن ميمون بن مهران قال: قال لي عمر بن عبد العزيز: إلق عبد الملك، فأتيته فقلت لغلامه: استأذن لي، فسمعت صوته: أدخل، فدخلت، فإذا خوان بين يديه، عليه ثلاثة أقرصة وقصعة فيها ثريد، فقال: كل فما منعني من الأكل إلا الإبقاء عليه، فاعتللت بشيء، فلما فرغ دعا غلامه وأعطاه فلوسا، فقال: جئنا بعنب، فجاء بشيء صالح، وكان عمر منع من العصير، فرخص العنب، فقال: الله كان منعك الإبقاء علينا فكل من هذا فإنه رخيص، قلت: من أين معاشك؟ قال: أرض لي أستدين عليها، قلت: فلعلك تستدين من رجل يشق عليه وهو يحتمل ذلك لمكانك؟ قال: لا إنما هي دراهم لصاحبتي استقرضها، قلت: أفلا أكلم أمير المؤمنين يجري عليك رزقا، فأبى ذلك وقال: والله ما يسرني أن أمير المؤمنين أجرى علي شيئا من صلب ماله دون إخوتي الصغار، فكيف يجري علي من فيء المسلمين.

عن زياد بن أبي حسان أنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك استوى قائما وأحاط به الناس فقال والله يا بني لقد كنت برا بابيك والله ما زلت منذ وهبك الله لي مسرورا بك ولا والله ما كنت قط اشد سرورا ولا أرجى لحظي من الله فيك منذ وضعتك في المنزل الذي صيرك الله إليه فرحمك الله وغفر لك ذنبك وجزاك بأحسن عملك ورحم كل شافع يشفع لك بخير من شاهد وغائب رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمره الحمد لله رب العالمين ثم انصرف.

قال سهل بن الربيع بن سبرة، حدثني أبي، عن أبيه الربيع قال: لما هلك عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، وسهل بن عبد العزيز، ومزاحم مولى عمر في أيام متتابعة، دخل الربيع بن سبرة عليه وقال: أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين، فما رأيت أحدا أصيب بأعظم من مصيبتك في أيام متتابعة والله ما رأيت مثل ابنك ابنا، ولا مثل أخيك أخا، ولا مثل مولاك مولى قط، فطأطأ عمر رأسه، فقال لي رجل معي على الوسادة: لقد هيجت عليه، قال: ثم رفع رأسه فقال: كيف قلت الآن يا ربيع؟ فأعدت عليه ما قلت أولا، قال: لا والذي قضى عليه – أو قال عليهم – بالموت ما أحب أن شيئا من ذلك كأن لم يكن. وحدث الحسن بن عبد العزيز قال: كتب إلينا ضمرة عن رجاء بن أبي سلمة قال: لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الأمصار ينهى أن يناح عليه وكتب: إن الله أحب قبضه، وأعوذ بالله أن أخالف محبته. وعن جعونة قال: لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، جعل عمر يثني عليه، فقال له مسلمة: يا أمير المؤمنين، لو بقي كنت تعهد إليه؟ قال: لا، قال: ولم وأنت تثني عليه؟ قال: أخاف أن يكون زين في عيني منه ما زين في عين الوالد من ولده.

عن هاشم قال لما كانت الصرعة التي هلك فيها عمر دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين انك أفقرت أفواه وولدك من هذا المال وتركتهم علية لا شيء لهم فلو وصيت بهم إلي والى نظرائي من أهل بيتك. قال فقال اسندوني ثم قال أما قولك أني أفقرت أفواه ولدي من هذا المال فوالله أني ما منعتهم حقا هو لهم ولم أعطهم ما ليس لهم وأما قولك لو أوصيت بهم فان وصيي ووليي فيهم الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين بني أحد الرجلين إما رجل يتقي الله فسيجعل الله له مخرجا وإما رجل مكب على المعاصي فإني لم اكن أقويه على معاصي الله. ثم بعث إليهم وهم بضعة عشر ذكرا قال فنظر إليهم فذرفت عيناه ثم قال بنفسي الفتية الذين تركتهم عيلة لا شيء لهم فإني بحمد الله قد تركتهم بخير أي بني إن أباكم مثل بين أمرين بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار أو تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار قوموا عصمكم الله. وعن ليث بن أبي رقية عن عمر انه لما كان مرضه الذي قبض فيه قال أجلسوني فأجلسوه ثم قال أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ولكن لا اله إلا الله ثم رفع رأسه واحد النظر فقالوا له انك لتنظر نظرا شديدا فقال أني لأرى حضرة ما هم بأنس ولا جان ثم قبض رضي الله عنه.

---

(2) عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، كان ناسكا زكيا طاهرا وكان من أتقى الناس وأحسنهم معونة لأبيه وكان كثيرا ما يعظ أباه وينهاه. توفي رحمه الله في حدود 101 هـ عن بعض مشيخة أهل الشام قال كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز إنما ادخله في العبادة ما رأى من ابنه عبد الملك

(1) إسماعيل بن أبي حكيم مولى عثمان بن عفان عداده في أهل المدينة وقيل هو مولى لآل الزبير أخو إسحاق بن أبي حكيم. مات سنة 130 هـ بالمدينة وكان كاتبا لعمر بن عبد العزيز.

عن أبي سليم الهذلي قال: خطب عمر بن عبد العزيز فقال: أما بعد فان الله عز وجل لم يخلقكم عبثا ولم يدع شيئا من أمركم سدى وإن لكم معادا فخاب وخسر من خرج من رحمة الله وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض واشترى قليلا بكثير فانيا بباق وخوفا بامن إلا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين في كل يوم وليلة تشيعون غاديا ورائحا إلى الله عز وجل قد قضى نحبه وانقضى اجله حتى تغيبوه في صدع من الأرض في بطن صدع ثم تدعونه غير ممهد ولا موسد قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وسكن التراب وواجه الحساب مرتهنا بعمله فقيرا إلى ما قدم غنيا عما ترك فاتقوا الله قبل نزول الموت وايم الله أني لأقول لكم هذه المقالة وما اعلم عند أحد منكم من الذنوب ما اعلم عندي وما يبلغني عن أحد منكم ما يسعه ما عندي إلا وددت انه يمكنني تغييره حتى يستوي عيشنا وعيشه وايم الله لو أردت غير ذلك من الغضارة والعيش لكان اللسان مني به ذلولا عالما بأسبابه ولكن سبق من الله عز وجل كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيها على طاعته ونهى فيها عن معصيته. ثم وضع طرف ردائه على وجهه فبكى وشهق وبكى الناس وكانت آخر خطبة خطبها. توفي رضي الله عنه وهو ابن 39 سنة واشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر. عن ميمون بن مهران: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: لو أقمت فيكم خمسين عاما ما استكملت فيكم العدل، إني لأريد الأمر فأخاف أن لا تحمله قلوبكم، فأخرج معه طمعا من طمع الدنيا، فإن أنكرت قلوبكم هذا سكنت إلى هذا.

حدث محمد بن معبد، أن عمر بن عبد العزيز، أرسل بأسارى من أسارى الروم، ففادى بهم أسارى من أسارى المسلمين، قال: فكنت إذا دخلت على ملك الروم فدخلت عليه عظماء الروم خرجت، قال: فدخلت يوما فإذا هو جالس في الأرض مكتئبا حزينا، فقلت: ما شأن الملك؟ قال: وما تدري ما حدث؟ قلت: وما حدث؟ قال: مات الرجل الصالح، قلت: من؟ قال: عمر بن عبد العزيز، قال: ثم قال ملك الروم: لأحسب أنه لو كان أحد يحيي الموتى بعد عيسى ابن مريم عليه السلام لأحياهم عمر بن عبد العزيز، ثم قال: لست أعجب من الراهب أغلق بابه ورفض الدنيا وترهب وتعبد، ولكن أتعجب ممن كانت الدنيا تحت قدميه فرفضها ثم ترهب.

مراجع: سير أعلام النبلاء/ صفة الصفوة/ الرسائل السياسية/ الطبقات الكبرى/ تاريخ الإسلام/ رجال صحيح مسلم

◆ يزيد بن عبد الملك الأموي القرشي، ويلقب يزيد الثاني (تاسع ملوك الدولة الأموية) ومكحول بن أبي مسلم الهذل [060]

جلس مكحول[1] عالم أهل الشام في مجلسه يلقي درسه كعادته وحوله طلاب العلم يأخذون عنه إذ أقبل يزيد بن عبد الملك[2] في زيته وتبختره وجاء إلى حلقة مكحول فأراد الطلاب أن يوسعوا له. فقال مكحول: دعوه يتعلم التواضع.

وأخرج عن عكرمة بن خالد قال : دخل ابن لعمر بن الخطاب عليه و قد ترجل و لبس ثيابا حسانا فضربه عمر بالدرة حتى أبكاه فقالت له حفصة : لم ضربته ؟ قال : رأيته قد أعجبته نفسه فأحببت أن أصغرها إليه.

وقد كان يزيد هذا يكثر من مجالسة العلماء قبل أن يلي الخلافة، فلما ولي عزم على أن يتأسى بعمر بن عبد العزيز، فما تركه قرناء السوء، وحسنوا له الظلم، قال حرملة عن ابن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[3] قال: لما ولي يزيد بن عبد الملك قال سيروا بسيرة عمر، فمكث كذلك أربعين ليلة، فأتي بأربعين شيخا فهشدوا له أنه ما على الخلفاء من حساب ولا عذاب، وقد اتهمه بعضهم في الدين، وليس بصحيح، إنما ذاك ولده الوليد بن يزيد[4]،أما هذا فما كان به بأس، وقد كتب إليه عمر بن عبد العزيز: أما بعد فإني لا أراني إلا مليابي، وما أرى الأمر إلا سيفضي إليك، فالله الله في أمة محمد، فإنك عما قليل ميت فتدع الدنيا إلى من لا يعذرك، والسلام. وكتب يزيد بن عبد الملك إلى أخيه هشام: [5] أما بعد فإن أمير المؤمنين قد بلغه أنك استبطأت حياته وتمنيت وفاته ورمت الخلافة، وكتب في آخره: تمنى رجال أن أموت وإن أمت ... فتلك سبيل لست فيها بأوحد ... وقد علموا لو ينفع العلم عندهم ... متى مت ما الباغي علي بمخلد ... منيته تجري لوقت وحتفه ... يصادفه يوما على غير موعد ... فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى ... تهيأ لأخرى مثلها. وكأن قد فكتب إليه هشام: جعل الله يومي قبل يومك، وولدي قبل ولدك، فلا خير في العيش بعدك.

وروى غير واحد، عن مكحول قال: لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن آلي القضاء، ولأن آلي القضاء أحب إلي من أن آلي بيت المال. وقال: إن يكن في مخالطة الناس خير فالعزلة أسلم.

---

(1) مكحول بن عبد الله، عالم أهل الشام وكان من سبي كابل. قيل كان مولى لامرأة من هذيل، وقيل: هو مولى سعيد بن العاص، وقيل: مولى لبني ليث، توفي سنة 112 هـ أو بعدها. روى عن أبي مسلم الخولاني، ومسروق، وحدث عن واثلة بن الأسقع، وأبي أمامة الباهلي، وأنس بن مالك، وشرحبيل بن السمط، وسعيد بن المسيب، وعبد الله بن محيريز، وجبير بن نفير، وأم الدرداء، وطاووس، وكثير بن مرة، وكريب خادم سيدنا ابن عباس، وعنبسة بن أبي سفيان، وأبي مرة الطائفي، وعمرو بن شعيب، وعبد الرحمن بن غنم. وحدث عنه الزهري، وربيعة الرأي، وزيد بن واقد، وعامر الأحول، وابن عون، وابن عجلان، وبرد بن سنان، ويزيد بن يزيد بن جابر، ومحمد بن إسحاق، وحجاج بن أرطاة، وعكرمة بن عمار، ومحمد بن راشد المكحولي، وخلق سواهم كثير.

قال مكحول: طفت الأرض كلها في طلب العلم. وكانت عبدا فأعتقت بمصر؛ فلم أدع بها عالما إلا احتويت عليه فيما أرى، ثم أتيت العراق؛ فلم أدع بها عالما إلا احتويت عليه فيما أرى، ثم أتيت المدينة؛ فلم أدع بها عالما إلا احتويت عليه، ثم أتيت الشام فغربلتها. قال عنه أبو حاتم الرازي: ما بالشام أحد أفقه من مكحول. وكان معلم الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز وعبد الرحمن ويزيد ابني يزيد بن جابر. قال الزهري: العلماء أربعة: سعيد بن المسيب بالمدينة وعامر الشعبي بالكوفة والحسن بن أبي الحسن بالبصرة ومكحول بالشام. وروى أبو مسهر عن سعيد قال: لم يكن في زمان مكحول أبصر بالفتيا منه، وكان لا يفتي حتى يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، هذا رأي والرأي يخطئ ويصيب.

(2) يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو خالد الأموي الدمشقي؛ تولى الحكم بعد عمر بن عبد العزيز لست بقين من رجب سنة 101 هـ وله 37 سنة وتوفي بأرض البلقاء، وقيل بعيان، لخمس بقين من شعبان سنة 105 هـ.

(5) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد، ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة 105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

(4) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو العباس الأموي الدمشقي، الملك الأموي الحادي عشر، بويع له بعد عمه هشام في السنة الخالية بعهد من أبيه. وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي. ولد سنة 90 هـ، وقيل 92 هـ وقتل سنة 126 هـ، ووقعت بسبب ذلك فتنة عظيمة بين الناس بسبب قتله، ومع ذلك إنما قتل لفسقه، وقيل وزندقته. فالله أعلم.

(3) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني أخو أسامة وعبد الله، وفيهم لين. وكان عبد الرحمن صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيرا في مجلد وكتابا في الناسخ والمنسوخ. وحدث عن أبيه، وابن المنكدر. روى عنه أصبغ بن الفرج، وقتيبة، وهشام بن عمار، وآخرون. توفي سنة 182 هـ

عن أبي ظبيان، عن جرير بن عبد الله[1]،قال: نزلت بالصفاح* في يوم شديد الحر، فإذا رجل نائم في حر الشمس، يستظل بشجرة، معه شيء من الطعام، ومزوده تحت رأسه، ملتف بعباءة، فأمرته أن يظلل عليه، ونزلنا، فانتبه، فإذا هو سلمان الفارسي[2]،فقلت له: ظللنا عليك وما عرفناك. قال: يا جرير! تواضع في الدنيا، فإنه من تواضع يرفعه الله يوم القيامة، ومن يتعظم في الدنيا يضعه الله يوم القيامة، لو حرصت على أن تجد عودا يابسا في الجنة لم تجده. قلت: وكيف؟ قال: أصول الشجر ذهب وفضة، وأعلاها الثمار، يا جرير! تدري ما ظلمة النار؟. قلت: لا. قال: ظلم الناس. (الصفاح) بكسر الصاد، موضع بين حنين وأنصاب الحرم على يسرة الداخل إلى مكة من مشاش.

حدث يعقوب بن عبد الرحمن عن أبيه: أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة[3] دخل على عمر بن عبد العزيز – وهو أمير المدينة – فسل وعمر مقبل على عبد الله بن عمرو بن عثمان[4]،فلم يردا عليه فقال: فمسا تراب الأرض منها خلقتنا... وفيها المعاد والمصير إلى الحشر... ولا تعجبا أن تؤتيا فتكلما ... فما ملىء الأقوام شر من الكبر... فلو شئت أدلى فيكما غير واحد... علانية أو قال عندي في السر... فإن أنا لم آمر ولم أنه عنكما ... ضحكت له حتى يلج ويستشري. فأقبلا عليه واعتذرا إليه.

عن أم المؤمنين عائشة قالت:﴿إِنَّكُمْ لَتُغْفُلُونَ أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ: التَّوَاضُعُ﴾ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾ وعن عمر، قال: ﴿يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ تَوَاضَعَ لِي هَكَذَا، وَجَعَلَ يَزِيدُ بَاطِنَ كَفِّهِ إِلَى الْأَرْضِ، وَأَدْنَاهَا إِلَى الْأَرْضِ، رَفَعْتُهُ هَكَذَا، وَجَعَلَ بَاطِنَ كَفِّهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَرَفَعَهَا نَحْوَ السَّمَاءِ﴾ كان عمر مع قوته في دين الله، وشجاعته، وشدته على أعداء الله، وهيبة الناس له، وفرار الشيطان منه، كان مع ذلك كله متواضعاً، وقَّافاً عند حدود اللهَّ، وقد كان يقول: ﴿إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي﴾ وعندما مر بالجابية على طريق إيلياء وجلس عندهم، قيل له: أنت ملك العرب، وهذه بلاد لا تصلح بها الإبل، فلو لبست شيئاً غير هذا – يعنون قميصه المرقع – وركبت برذوناً، لكان ذلك أعظم في أعين الروم، فقال:﴿نَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللهُ بِالْإِسْلَامِ فَلَا نَطْلُبُ غَيْرَ اللهِ بَدِيلًا﴾ ثم سار عمر من الجابية إلى بيت المقدس، وقد تعبت دابته، فأتوه ببرذون فجعل يمسح به، فقال: لمن معه: احبسوا، احبسوا، فنزل عنه، وضرب وجهه، وقال: لا علّم اللهَّ من علّمك، هذا من الخيلاء، ما كنت أظن الناس يركبون الشياطين، هاتوا جملي، ثم نزل وركب الجمل، ثم لم يركب برذوناً قبله ولا بعده (البرذون) الدابة، ويطلق على غير العربي من الخيل والبغال. عن طارق بن شهاب، قال: ﴿لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ الشَّامَ عَرَضَتْ لَهُ مَخَاضَةٌ، فَنَزَلَ عَنْ بَعِيرِهِ وَنَزَعَ خُفَّيْهِ فَأَمْسَكَهُمَا، وَخَاضَ الْمَاءَ وَمَعَهُ بَعِيرُهُ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: لَقَدْ صَنَعْتَ الْيَوْمَ صَنِيعًا عَظِيمًا عِنْدَ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَصَكَّ فِي صَدْرِهِ وَقَالَ: أَوْهِ لَوْ غَيْرُكَ يَقُولُ هَذَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، إِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَذَلَّ النَّاسِ فَأَعَزَّكُمُ اللهُ بِرَسُولِهِ، فَمَهْمَا تَطْلُبُوا الْعِزَّ بِغَيْرِهِ يُذِلُّكُمُ اللهُ﴾ قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال] وعن أبي عثمان، قال:﴿كَتَبَ عُمَرُ إِلَى الْقُضَاةِ مَعَ أَوَّلِ قِيَامِهِ: أَنْ لا تَبُتُّوا الْقَضَاءَ إِلا عَنْ مَلأ، فَإِنَّ رَأْيَ الْوَاحِدِ يَقْصُرُ إِذَا اسْتَبَدَّ، وَيَبْلُغُ إِذَا اسْتَشَارَ، وَالصَّوَابُ مَعَ الْمُشَاوَرَةِ. وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَذَلَّ أُمَّةٍ وَأَشْقَاهَا حَتَّى أَعَزَّكُمُ اللهُ بِالإِسْلامِ، فَكُلَّمْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، فَلا تَطْلُبُوا الْعِزَّةَ بِغَيْرِهِ فَتَذِلُّوا﴾ وعن قيس، قال: ﴿لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ الشَّامَ اسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ وَهُوَ عَلَى بَعِيرِهِ، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ رَكِبْتَ بِرْذَوْنًا تَلْقَاكَ عُظَمَاءُ النَّاسِ وَوُجُوهُهُمْ، فَقَالَ عُمَرُ: لَا أَرَاكُمْ هَهُنَا، إِنَّمَا الْأَمْرُ مِنْ هَهُنَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ، خَلُّوا سَبِيلَ جَمَلِي﴾ وعن سلمان بن يسار قال: ﴿مَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِضَجْنَانَ فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَأَرْعَى عَلَى الْخَطَّابِ فِي هَذَا الْمَكَانِ، وَكَانَ وَاللهِ مَا عَلِمْتُ فَظًّا غَلِيظًا، ثُمَّ أَصْبَحْتُ إِلَى أَمْرِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلّى الله عليه وسلم، ثُمَّ قَالَ مُتَمَثِّلًا: لَا شَيْءَ فِيمَا تَرَى إِلَّا بَشَاشَتَهُ.. يَبْقَى الْإِلَهُ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَلَدُ. ثُمَّ قَالَ لِبَعِيرِهِ: حَوْبَ﴾.

---

(1) جرير بن عبد الله البجلي أبو عمرو وكان ممن هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسكن الكوفة فلما وقعت الفتن خرج هو وعدي بن حاتم وحنظلة الكاتب وقالوا لا نقيم ببلدة يشتم فيها عثمان فخرجوا إلى قرقيسياء وسكنوها ومات جرير سنة 51 هـ ويقال سنة 54 هـ

(2) سلمان الفارسي أبو عبد الله أصله من جي موضع بأصبهان وهو الذي يقال له سلمان الخير مات سنة 36 هـ وقيل: سنة 33 هـ وهو الذي أشار على النبي صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق لحماية المدينة من الكفار.

(3) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الضرير أحد الفقهاء السبعة ومؤدب عمر بن عبد العزيز، توفي سنة 98 هـ وقيل سنة 99 هـ

(4) عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، وقيل: عبد الله بن عمر. كان يسكن عرج الطائف وكان يقال له المطرف من حسنه وملاحته، وهو من شعراء قريش المشهورين بالغزل. نحا نحو عمر بن أبي ربيعة وأجاد، وكان مشغوفا باللهو والصيد، وكان ذا مروءة، ولم تكن له نباهة في أهله. وفد على عبد الملك بن مروان. مات بمصر سنة 96 هـ

مراجع: صحيح مسلم/ مسند أحمد/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ الطبقات الكبرى/ سير أعلام النبلاء/ مسند عمر بن الخطاب ليعقوب بن شيبة/ السنن الكبرى/ تاريخ الخلفاء/ مصنف ابن أبي شيبة/ طبقات الفقهاء/ حياة التابعين/ أخبار الشيوخ وأخلاقهم/ البداية والنهاية/ شذرات الذهب

◆ عمر بن هبيرة الفزاري (عامل يزيد بن عبد الملك، تاسع ملوك الدولة الأموية) والحسن البصري [061]

روى أن عمر بن هبيرة الفزاري [1] والي العراق وخراسان أيام يزيد بن عبد الملك، دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرائها فجعل يسألهم وجعل يكلم عامر الشعبي [2] فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده منه علماً، ثم أقبل على الحسن البصري [3] فسأله، ثم قال: هما هذان، هذا رجل أهل الكوفة، يعني الشعبي، وهذا رجل أهل البصرة ، يعني الحسن، فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن. فأقبل على الشعبي فقال: يا أبا عمرو إني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فأنا أحب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم، وقد يبلغني عن العصابة من أهل الديار الأمر أجد عليهم فيه فأقبض طائفة من عطائهم فأضعه في بيت المال ومن نيتي أن أرده عليهم، فيبلغ أمير المؤمنين أني قد قبضته على ذلك النحو فيكتب إلى أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا إنفاذ كتابه، وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة. فهل علي في هذا تبعة وفي أشباهه من الأمور والنية فيها على ما ذكرت ؟ قال الشعبي. فقلت أصلح الله الأمير إنما السلطان والد يخطئ ويصيب، قال. فسر بقولي وأعجب به ورأيت البشر على وجهه وقال: فلله الحمد. ثم أقبل على الحسن فقال: ما تقول يا أبا سعيد ؟ قال: قد سمعت قول الأمير يقول إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم، وحق الرعية لازم لك وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة وإني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا اسْتَرْعَى اللهُ عَبْدًا رَعِيَّةً فَلَمْ يُحِطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ ويقول: إني ربما قبضت من عطائهم إرادة صلاحهم واستصلاحهم وأن يرجعوا إلى طاعتهم، فيبلغ أمير المؤمنين أني قبضتها على ذلك النحو فيكتب إلى أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا أستطيع إنفاذ كتابه، وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين والله أحق أن يطاع، و﴿لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ﴾ فأعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فإن وجدته موافقاً لكتاب الله فخذ به وإن وجدته مخالفاً لكتاب الله فانبذه؛ يا ابن هبيرة اتق الله فإنه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك؛ يا ابن هبيرة إن الله ليمنعك من يزيد ولا يمنعك يزيد من الله وإن أمر الله فوق كل أمر وإنه لا طاعة في معصية الله وإني أحذرك بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين. فقال ابن هبيرة: أربع على ظلعك أيها الشيخ وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين؛ فإنه صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل وإنما ولاه الله تعالى ما ولاه من أمر هذه الأمة لعلمه به وما يعلمه من فضله ونيته. قال الحسن: يا ابن هبيرة، الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد، يا ابن هبيرة، إنك إن تلق من ينصح لك في دينك ويجملك على أمر آخرتك خير من أن تلقي رجلاً يغريك ويمنيك. فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه. قال الشعبي: فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته. فقال: إليك عني يا عامر. قال: فخرجت إلى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلاً لما أدى إليه كنا أهلاً أن يفعل ذلك بنا. فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء إلا مثل الفرس العربي بين المقارف وما شهدنا مشهد إلا برز علينا. وقال لله عز وجل وقلنا مقاربة لهم. قال عامر الشعبي: وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطاناً بعد هذا المجلس فأحابيه.

وعن ابن خلكان قال: لما ولي ابن هبيرة العراق وخراسان نيابة عن يزيد بن عبد الملك، استدعى الحسن، وابن سيرين، والشّعبيّ، وذلك في سنة 103 هـ،فقال لهم: إنّ الخليفة كتب إليّ بأمر فأقلده ما تقلد من ذلك الأمر. فقال ابن سيرين والشّعبيّ قولا فيه بعض تقيّة. فقال: ما تقول يا حسن؟ قال: يا ابن هبيرة، خف الله في يزيد، ولا تخف يزيدا في الله، فإن الله يمنعك من يزيد، ولا يمنعك يزيد من الله، ويوشك أن يبعث إليك ملكا فيزيلك عن سريرك، ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، ثم لا ينجيك إلّا عملك. يا ابن هبيرة إياك أن تعصي الله فإنما جعل الله هذا السلطان ناصرا لدين الله تعالى وعباده، فلا تتركن دين الله وعباده لهذا السلطان، فإنه ﴿لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾ فأضعف جائزة الحسن عليها. فقالا: سفسفنا له فسفسف لنا . (السفساف: الرديء من العطية).

دخل أبو النظر سالم [4] مولى عمر بن عبيد الله على عامل للخليفة فقال له: يا أبا النظر إنه تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها لا نجد بداً من إنفاذها، فإذا ترى؟ قال أبو النظر: لقد أتاك كتاب الله قبل كتاب الخليفة، فأيهما اتبعت كنت من أهله.

عندما أمر عمر بن عبد العزيز مناديه أن ينادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، قام إليه رجل ذمي من أهل حمص، فقال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله، قال: وما ذلك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك [5] اغتصبني أرضي، والعباس جالس، فقال عمر: يا عباس ما تقول؟ قال: نعم، أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد، وكتب لي بها سجلا، فقال عمر: ما تقول يا ذمي؟ قال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى، فقال عمر: نعم كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد، قم يا عباس فاردد عليه ضيعته، فردها عليه. فجعل لا يدع شيئا مما كان في يده وفي يد أهل بيته من المظالم إلا ردها مظلمة مظلمة فلما بلغت الخوارج سيرة عمر وما رد من المظالم اجتمعوا فقالوا ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل فبلغ ذلك عمر بن الوليد بن عبد الملك فكتب إليه انك قد أزريت على من كان قبلك من الخلفاء وعبت عليهم وسرت بغير سيرتهم بغضا لهم وشتتا لمن بعدهم من أولادهم قطعت ما أمر الله به أن يوصل إذ عمدت إلى أموال قريش ومواريثهم فأدخلتها في بيت المال جورا وعدوانا ولن تترك على هذا. فلما قرا كتابه كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمر بن الوليد السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين أما بعد فانه بلغني كتابك وسأجيبك بنحو منه أما أول شأنك ابن الوليد كما زعم فأمك بنانة أمة السكون كانت تطوف في سوق حمص وتدخل وتدور في حوانيتها ثم الله اعلم بها اشتراها ذبيان من فيء المسلمين فأهداها لأبيك فحملت بك فبئس المحمول وبئس المولود ثم نشأت فكنت جبارا عنيدا تزعم أني من الظالمين لم حرمتك وأهل بيتك فيء الله عز وجل الذي فيه حق القرابة والمساكين والأرامل وان اظلم مني واترك لعهد الله من استعملك صبيا سفيها على جند المسلمين تحكم فيهم برأيك ولم تكن له في ذلك نية إلا حب الوالد لولده فويل لك وويل لأبيك ما اكثر خصماءكما يوم القيامة. وكيف ينجو أبوك من خصمائه وان اظلم مني واترك لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف يسفك الدم الحرام ويأخذ مال الحرام وإن أظلم مني واترك بعهد الله من استعمل قرة بن شريك أعرابيا جافيا على مصر أذن له في المعازف واللهو والشرب وان اظلم مني واترك لعهد الله من جعل لعالية البربرية سهما في خمس العرب فرويدا يا بن بنانة فلو التقى حلقتا البطان ورد الفيء إلى أهله لتفرغت لك ولأهل بيتك فوضعتهم على المحجة البيضاء فطالما تركتم الحق وأخذتم في بنيات الطريق ومن وراء هذا ما أرجو أن أكون رأيته بيع رقبتك وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل فان كل فيك حقا والسلام علينا ولا ينال سلام الله الظالمين.

---

(3) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أوبه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن سمرة وأبي بكرة والنعمان بن بشير وجندب بن عبد الله وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وعمرو بن ثعلب وعبد الله بن عمرو ومعقل بن يسار وأبي هريرة والأسود بن سريع وأنس بن مالك وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ووقع مرقده في البصرة.

(2) عامر بن شراحيل الشعبي، شعب همدان، أبو عمرو. علامة أهل الكوفة في زمانه، ولد في وسط خلافة عمر. وروى عن علي يسيرا، وعن المغيرة بن شعبة، وعمران بن حصين، وعائشة، وأبي هريرة، وجرير البجلي، وعدي بن حاتم، وابن عباس، ومسروق، وخلق كثير، وقرأ القرآن على علقمة، وأبي عبد الرحمن السلمي. قال أحمد بن عبد الله العجلي: مرسل الشعبي صحيح، لا يكاد يرسل إلا صحيحا. وقال عاصم الأحول: كان الشعبي أكثر حديثا من الحسن، وأكبر منه بسنتين، ولد لأربع بقين من خلافة عمر. وقال خليفة: ولد سنة 21 هـ وقيل غير ذلك. عن منصور بن عبد الرحمن الغداني، عن الشعبي قال: أدركت خمس مائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أكثر. قال أبو أسامة: كان عمر في زمانه، وكان بعده ابن عباس، وكان بعده الشعبي، وكان بعده الثوري في زمانه. وعن ابن سيرين، قال: قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة، والصحابة يومئذ كثير. قال إسماعيل بن مجالد: توفي الشعبي سنة 104 هـ، وله اثنتان وثمانون سنة. وقال الواقدي: سنة 105 هـ.وقال الفلاس: مات في أول سنة 106 هـ وقيل غير ذلك.

(4) سالم بن أمية أبو النضر مولى عمر بن عبيد الله بن معمر القرشي، التيمي، المدني، الفقيه. قال ابن المديني: له نحو خمسين حديثا. روى عن أنس وابن أبي أوفى وعوف بن مالك الأشجعي وغيرهم روى عنه مالك والثوري وابن عيينة الليث وموسى بن عقبة وغيرهم وقدم على عمر بن عبد العزيز وكان لعمر بن عبد العزيز أخوان في الله أحدهما زياد والآخر سالم كلاهما عبدان . قيل توفي في خلافة مروان بن محمد سنة 129 هـ وقيل: 133 هـ.

(5) العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أبو الحارث الأموي. كان يقال له فارس بني مروان. استعمله أبوه على حمص، وولي المغازي، وافتتح عدة حصون، ولكنه كان ينال من عمر بن عبد العزيز بجهل. وقد مات في سجن مروان بن محمد في حدود سنة 130 هـ

(1) عمر بن هبيرة الفزاري ، والي العراق وخراسان أيام يزيد بن عبد الملك، توفي سنة 107 هـ وله من العمر نيف وخمسون سنة على قول أغلب المؤرخين. وابنه يزيد بن عمر بن هبيرة المعروف بيزيد بن هبيرة، ويكنى أبا خالد، وتولى أيضا عدة إمارات.

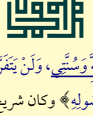

عن أبي هريرة ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ﴾ وعن ابن مسعود مرفوعا، قال:﴿مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سَلَّطَهُ اللهُ عَلَيْهِ﴾ وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا لِيَدْحَضَ بِبَاطِلِهِ حَقًّا فَقَدْ بَرِئَ مِنْ ذِمَّةِ اللهِ، وَذِمَّةِ رَسُولِهِ﴾ وكان شريح القاضي يقول:﴿سَيَعْلَمُ الظَّالِمُونَ حَقَّ مَنْ انْتَقَصُوا، إِنَّ الظَّالِمَ لَيَنْتَظِرُ الْعِقَابَ، وَالْمَظْلُومُ يَنْتَظِرُ النَّصْرَ وَالثَّوَابَ﴾ عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿ثَلَاثٌ أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي: الِاسْتِسْقَاءُ بِالْأَنْوَاءِ وَحَيْفُ السُّلْطَانِ وَتَكْذِيبٌ بِالْقَدَرِ﴾(حيف السلطان) أي جوره وظلمه. عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِذَا رَأَيْتُمْ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ أَنْتَ ظَالِمٌ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ﴾ (فقد تودع منهم) من التوديع. قال الزمخشري أي استريح منهم، وخذلوا، وخلي بينهم وبين ما يرتكبون من المعاصي. قال السندي أي قطع منهم العون الإلهي والتأييد الرباني على صلاح الحال. عن معقل بن يسار، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لا تَنَالُهُمَا شَفَاعَتِي: سُلْطَانٌ ظَلُومٌ غَشُومٌ، وغَالٍ فِي الدِّينِ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ فَيَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ دَعَا لِظَالِمٍ بِالْبَقَاءِ فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصَى اللهُ فِي أَرْضِهِ﴾ أي بأن قال: بارك الله في عمرك. وسئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية، هل يسقى شربة ماء؟ فقال: لا. فقيل له: يموت؟! فقال: دعه يموت.

مراجع: سراج الملوك/ شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ كنز العمال/ مصنف ابن أبي شيبة /حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ إحياء علوم الدين/ الوافي بالوفيات/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ المستدرك على الصحيحين

◆ عمر بن هبيرة الفزاري (عامل يزيد بن عبد الملك، تاسع ملوك الدولة الأموية) ومحمد بن سيرين [062]

عن جعفر بن مرزوق[1] قال: بعث ابن هبيرة[2] إلى ابن سيرين[3] والحسن[4] والشعبي[5] قال: فدخلوا عليه، فقال لـ ابن سيرين: يا أبا بكر ماذا رأيت منذ قربت من بابنا؟ قال: رأيت ظلما فاشيا، قال: فغمزه ابن أخيه بمنكبه، فالتفت إليه ابن سيرين فقال: إنك لست تسأل إنما أنا أسأل، فأرسل إلى الحسن بأربعة آلاف، وإلى ابن سيرين بثلاثة آلاف، وإلى الشعبي بألفين، فأما ابن سيرين فلم يأخذها.

عن جعفر بن أبي الصلت قال: قلت لمحمد بن سيرين: ما منعك أن تقبل من ابن هبيرة؟ قال: فقال لي: يا أبا عبد الله، أو يا هذا، إنما أعطاني على خير كان يظنه بي، ولئن كنت كما ظن بي فما ينبغي لي أن أقبل، وإن لم أكن كما ظن فبالحري أن لا يجوز لي أن أقبل. وعن ابن عون قال: أرسل ابن هبيرة إلى ابن سيرين فأتاه فقال له: كيف تركت أهل مصرك؟ قال تركتهم والظلم فيهم فاش. قال ابن عون: كان محمد يرى أنها شهادة يسأل عنها فكره أن يكتمها.

عن أيوب، عن ابن سيرين، فذكر شيئا، قال: وقسم عمر بن عبد العزيز بين الناس فبعث إلى ابن سيرين، فأبى أن يقبله، وقال: ليس بي طعن على عمر في شيء، ولكنه الاستغناء عنه.

➔ (3) محمد بن سيرين الأنصاري البصري، يكنى أبا بكر، مولى أنس بن مالك. كاتبه أنس. وقال ابن عائشة: كان سيرين من أهل جرجرايا وكان يعمل قدور النحاس، فجاء إلى عين التمر يعمل بها فسباه خالد بن الوليد. أسند محمد بن سيرين عن زيد بن ثابت، وابن عمر، وابن عباس، وأبي سعيد، وعمران ابن حصين، وجندب. وأنس، وأبي هريرة، وأبي بكرة في آخرين. وعن حماد بن سلمة، عن أيوب: كان ابن سيرين يصوم يوما ويفطر يوما. وتوفي ابن سيرين لتسع مضين من شوال سنة 110 هـ بعد الحسن بمائة يوم، وهو ابن نيف وثمانين سنة. عن ابن عون، قال: لما حضرت الوفاة محمد بن سيرين قال لابنه يا بني: اقض عني وتقض عني، إلا الوفاء. قال: يا أبت أعقق عنك؟ قال: إن الله تعالى لقادر أن يأجرني وإياك فيما صنعت من خير.

➔ (4) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أوبه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن سمرة وأبي بكرة والنعمان بن بشير وجندب بن عبد الله وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وعمرو بن ثعلب وعبد الله بن عمرو ومعقل بن يسار وأبي هريرة والأسود بن سريع وأنس بن مالك وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

➔ (5) عامر بن شراحيل الشعبي، شعب همدان، أبو عمرو. علامة أهل الكوفة في زمانه، ولد في وسط خلافة عمر. وروى عن علي يسيرا، وعن المغيرة بن شعبة، وعمران بن حصين، وعائشة، وأبي هريرة، وجرير البجلي، وعدي بن حاتم، وابن عباس، ومسروق، وخلق كثير، وقرأ القرآن على علقمة، وأبي عبد الرحمن السلمي. قال أحمد بن عبد الله العجلي: مرسل الشعبي صحيح، لا يكاد يرسل إلا صحيحا. وقال عاصم الأحول: كان الشعبي أكثر حديثا من الحسن، وأكبر منه بسنتين، ولد لأربع بقين من خلافة عمر. وقال خليفة: ولد سنة 21 هـ وقيل غير ذلك. عن منصور بن عبد الرحمن الغداني، عن الشعبي قال: أدركت خمس مائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أكثر. قال أبو أسامة: كان عمر في زمانه، وكان بعده ابن عباس، وكان بعده الشعبي، وكان بعده الثوري في زمانه. وعن ابن سيرين، قال: قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة، والصحابة يومئذ كثير. قال إسماعيل بن مجالد: توفي الشعبي سنة 104 هـ وله اثنتان وثمانون سنة. وقال الواقدي: سنة 105 هـ.وقال الفلاس: مات في أول سنة 106 هـ وقيل غير ذلك.

➔ (2) عمر بن هبيرة الفزاري ، والي العراق وخراسان أيام يزيد بن عبد الملك، توفي سنة 107 هـ وله من العمر نيف وخمسون سنة على قول أغلب المؤرخين. وابنه يزيد بن عمر بن هبيرة المعروف بيزيد بن هبيرة.ويكنى أبا خالد، وتولى أيضا عدة إمارات.

➔ (1) محمد بن مرزوق، أبو عبد الله الباهلي البصري. قدم بغداد، وحدث بها عن محمد بن عبد الله الأنصاري، وأبي عامر العقدي، وأبي سعيد الأصمعي، وهانئ بن يحيى المجاشعي.

عن ابن شوذب، قال: كان ابن سيرين يمازح أصحابه ويقول: مرحبا بالمدرفشين. يعني أنكم تشهدون الجنائز وتحملون الموتى. وعن بشر بن عمر قال: حدثتنا أم عباد، امرأة هشام بن حسان[1]،قالت: نزلنا مع محمد ابن سيرين في الدار، فكنا نسمع بكاءه بالليل وضحكه بالنهار. وعن هشام بن حسان قال: ربما سمعت بكاء محمد بن سيرين في جوف الليل وهو يصلي. وعن أنس بن سيرين قال: كان لمحمد بن سيرين سبعة أوراد يقرؤها بالليل، فإذا فاته منها شيء قرأه من النهار. وعن هشام قال: كان ابن سيرين يحيي الليل في رمضان. وعن مهدي قال: كنا نجلس إلى محمد فيحدثنا ونحدثه ويكثر علينا ونكثر إليه فإذا ذكر الموت تغير لونه واصفر وأنكرناه وكأنه ليس بالذي كان. وعن محمد بن سيرين، قال: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه. وعنه قال: إذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً جعل له واعظاً من قلبه يأمره وينهاه. وعنه قال: ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم وتكتم خيره. وعن أبي قال: كان الرجل إذا سأل ابن سيرين عن الرؤيا قال: إتق الله عز وجل في اليقظة ولا يضرك ما رأيت في المنام. وعن ابن عون قال: كانوا إذا ذكروا عند محمد رجلاً بسيئة ذكره محمد بأحسن ما يعلم. وعن جرير بن حازم قال: سمعت محمد بن سيرين يحدث رجلاً فقال: ما رأيت الرجل الأسود، ثم قال: أستغفر الله ما أراني إلا قد اغتبت الرجل.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب] أي راقبوا الله في جميع أقوالكم وأفعالكم، وقولوا قولا مستقيما مرضيا لله، قال الطبري: أي قولا قاصدا غير جائر، حقا غير باطل. عن عبادة بن الوليد بن عبادة، عن أبيه، عن جده، قال:﴿ بَايَعْنَا رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ وعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ الْحَقَّ إِذَا رَآهُ﴾ قول الحق عند الأمير ورد أمره إذا خالف أمر الله ما وقع بين عمر وأبي، وقول عمر: لا خير في أمير لا يقال عنده الحق. عن الحسن أن عمر بن الخطاب رد عن أبي بن كعب قراءة آية، فقال أبي: لقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت يلهيك – يا عمر – الصفق بالبقيع. فقال عمر: صدقت إنما أردت أن أجربكم هل منكم من يقول الحق؟ فلا خير في أمير لا يقال عنده الحق ولا يقوله. وعن عاصم بن محمد عن أبيه قال: قال رجل لابن عمر: إنا ندخل على سلطاننا فنقول ما نتكلم بخلافه إذا خرجنا من عندهم، قال: كنا نعد هذا نفاقا. وعن حذيفة قال: إياكم ومواقف الفتن. قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟ قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدّقه بالكذب، ويقول ما ليس فيه. وعن ابن عباس قال: قال لي أبي: أي بني، إني أرى أمير المؤمنين يدعوك ويقربك ويستشيرك مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحفظ عني ثلاث خصال: إتق الله لا يجربن عليك كذبة، ولا تفشين له سرا، ولا تغتابن عنده أحدا. قال عامر: فقلت لابن عباس: كل واحدة خير من ألف. قال: كل واحدة خير من عشرة آلاف. وعن موسى بن أبي عيسى قال: أتى عمر بن الخطاب مشربة بني حارثة فوجد محمد بن مسلمة، فقال عمر: كيف تراني يا محمد؟ قال: أراك – والله – كما أحب وكما يحب من يحب لك الخير، أراك قويا على جمع المال، عفيفا عنه، عدلا في قسمه، ولو ملت عدلناك كما يعدل السهم في الثقاب. فقال عمر: هاه وقال: لو ملت عدلناك كما يعدل السهم في الثقاب. فقال: الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا ملت عدلوني.

➔ الإمام هشام بن حسان أبو عبد الله القردوسي توفي سنة 148 هـ وهذا أصح.

مراجع: صحيح مسلم / مسند أحمد/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ حياة الصحابة/ صفوة التفاسير

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) وعطاء بن أبي رباح [063]

عن عثمان بن عطاء الخراساني[1] قال: انطلقت مع أبي وهو يريد هشام بن عبد الملك[2]،فلما قربنا إذا بشيخ أسود على حمار، عليه قميص دريس*، وجبة دنسة، وقلنسوة لاطية* دنسة، وركاباه* من خشب. فضحكت وقلت لأبي: من هذا الأعرابي؟ قال: اسكت، هذا سيد فقهاء أهل الحجاز، هذا عطاء بن أبي رباح[3]. فلما قرب نزل أبي عن بغلته، ونزل هو عن حماره، فاعتنقا وتساءلا، ثم عادا فركبا فانطلقا حتى وقفا بباب هشام، فلما رجع أبي سألته، فقلت: حدثني ما كان منكما. قال: لما قيل لهشام عطاء بن أبي رباح بالباب أذن له، فو الله ما دخلت إلا بسببه. فلما رآه هشام قال: مرحبا مرحبا هاهنا هاهنا. فرفعه حتى مست ركبته ركبه، وعنده أشراف الناس يتحدثون، فسكتوا. فقال هشام: ما حاجتك يا أبا محمد؟ قال: يا أمير المؤمنين، أهل الحرمين، أهل الله، وجيران رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيهم أعطياتهم وأرزاقهم، قال: نعم، يا غلام اكتب لأهل المدينة وأهل مكة بعطاءين وأرزاقهم لسنة، ثم قال: هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أهل الحجاز، وأهل نجد، أصل العرب، ترد فيهم فضول صدقاتهم قال: نعم، يا غلام أكتب بأن ترد فيهم صدقاتهم. قال: هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أهل الثغور يرمون من وراء بيضتكم، ويقاتلون عدوكم، قد أجريتم لهم أرزاقا تدرها عليهم، فإنهم إن هلكوا غزيتم. قال: نعم، اكتب بحمل أرزاقهم إليهم يا غلام، هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أهل ذمتكم يجبى صغارهم ولا يتعتع كبارهم، ولا يكلفون إلا ما يطيقون. قال: نعم، اكتب لهم يا غلام، هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، اتق الله في نفسك، فإنك خلقت وحدك، وتموت وحدك، وتحشر وحدك، وتحاسب وحدك، ولا والله ما معك ممن ترى أحدا. قال: فأكب هشام وقام عطاء، فلما كان عند الباب إذا رجل قد تبعه بكيس ما أدري ما فيه، أدراهم أم دنانير. فقال: إن أمير المؤمنين أمر لك بهذا. فقال: لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على رب العالمين. قال: ثم خرج عطاء، فلا والله ما شرب عنده حسوة من ماء فما فوقه.

عن الأوزاعي، قال: قدم عطاء الخراساني على هشام بن عبد الملك فنزل على مكحول[4]،فقال عطاء لمكحول: ههنا أحد يحركنا؟-يعني يعطنا- قال: نعم، يزيد بن ميسرة[5] فأتوه، فقال له عطاء: حركنا رحمك الله، قال: نعم، كانت العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شغلوا، فإذا شغلوا فقدوا، فإذا فقدوا طلبوا، فإذا طلبوا هربوا قال: أعد علي، فأعاد عليه. فرجع ولم يلق هشاما.

قال وهب[6] لعطاء الخراساني: [7] ويحك يا عطاء، ألم أخبر أنك تحمل علمك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا، وأبواب الأمراء؟ ويحك يا عطاء، أتأتي من يغلق عنك بابه ويظهر لك فقره ويواري عنك غناه وتترك باب من يقول:﴿قَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾؟[غافر] ويحك يا عطاء، إن كان يغنيك ما يكفيك فأوهى ما في الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس في الدنيا شئ يكفيك، ويحك يا عطاء، إنما بطنك بحر من البحور، وواد من الاودية، لا يملاه شئ إلا التراب.

لما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظر إلى أهله ييكون حوله فقال: جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء، وترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما حمل، ما أعظم منقلب هشام إن لم يغفر الله له!.

* (دريس) الدرس والدريس: الثوب الخلق. (لاطية) لطأ بالأرض: لصق. (ركاباه) الركاب من السرج كالغرز من الرجل.

➔ (3) أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم وقيل سالم بن صفوان مولى بني فهر أو جمح المكي، وقيل إنه مولى أبي ميسرة الفهري، من مولدي الجند وهي بلدة مشهورة باليمن خرج منها جماعة من العلماء؛ كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها، سمع جابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وخلقا كثيرا من الصحابة، وروى عنه عمرو بن دينار والزهري وقتادة وملك بن دينار والأعمش والأوزاعي وخلق كثير. توفي سنة 115 هـ وقيل 114 هـ وعمره 88 سنة. وقال ابن أبي ليل: حج عطاء سبعين حجة وعاش مائة سنة، والله أعلم. قال قتادة: أعلم الناس بالمناسك عطاء. وقال إبراهيم بن عمر ابن كيسان: أذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج صائحا يصيح: لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح. قال سليمان بن رفيع: دخلت المسجد الحرام والناس مجتمعون على رجل فاطلعت فإذا عطاء بن أبي رباح جالس. قيل لاهل مكة: كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم؟ قالوا: كان مثل العافية التي لا يعرف فضلها حتى تفقد. قال الأصمعي: كان عطاء بن أبي رباح يقول في دعائه: اللهم ارحم في الدنيا غربتي، وعند الموت صرعتي، وفي القبور وحدتي، ومقامي غدا بين يديك.

➔ (7) عطاء بن أبي مسلم الخراساني، أرسل عن أبي الدرداء، وابن عباس(قال الدارقطني: ثقة في نفسه إلا أنه لم يلق ابن عباس!)، والمغيرة بن شعبة، وطائفة. وروى عن: ابن المسيب، وعروة، وعطاء بن أبي رباح، وابن بريدة، ونافع، وعمرو بن شعيب، وعدة. روى عنه: معمر، وشعبة، وسفيان، ومالك، وحماد بن سلمة، وإسماعيل بن عياش، وعدد كثير، حتى إن شيخه عطاء حدث عنه. وذكره البخاري في (الضعفاء). قيل: مولده سنة 50 هـ. قال سعيد بن عبد العزيز: توفي بأريحا، ودفن ببيت المقدس. وقال ابنه عثمان: مات أبي سنة 135 هـ. قال إسماعيل بن عياش: قلت لعطاء الخراساني: من أين معاشك؟ قال: من صلة الإخوان، وجوائز السلطان.

➔ (6) وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار وهو الأسوار، الإمام، العلامة، الأخباري، القصصي، أبو عبد الله الأبناوي، اليماني، الذماري، الصنعاني. أخو: همام بن منبه، ومعقل بن منبه، وغيلان بن منبه. وأخذ عن: ابن عباس، وأبي هريرة -إن صح -وأبي سعيد، والنعمان بن بشير، وجابر، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص - على خلاف فيه - وطاووس. حتى إنه ينزل ويروي عن: عمرو بن دينار، وأخيه؛ همام، وعمرو بن شعيب، وفتح اليماني - ولا يدري من فتح؟!. حدث عنه: ولداه؛ عبد الله وعبد الرحمن، وعمرو بن دينار، وسماك بن الفضل، وعوف الأعرابي، وعاصم بن رجاء بن حيوة، ويزيد بن يزيد بن جابر، وعبد الله بن عثمان بن خثيم، وإسرائيل أبو موسى، وهمام بن نافع أبو عبد الرزاق، والمغيرة بن حكيم، والمنذر بن النعمان، وابن أخيه؛ عقيل بن معقل، وابن أخيه؛ عبد الصمد بن معقل، وسبطه؛ إدريس بن سنان، وصالح بن عبيد، وعبد الكريم بن حوران، وعبد الملك بن خلج، وداود بن قيس، وعمران بن هريد أبو الهذيل، وعمران بن خالد الصنعانيون، وخلق سواهم. وروايته (للمسند) قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب. قال أحمد: كان من أبناء فارس، له شرف. ولد في سنة 34 هـ والصواب أن وفاته في سنة 110 هـ وليس 114 هـ. فالله أعلم.

➔ (4) مكحول بن عبد الله، عالم أهل الشام وكان من سبي كابل. قيل كان مولى لامرأة من هذيل، وقيل: هو مولى سعيد بن العاص، وقيل: مولى لبني ليث، توفي سنة 112 هـ وقيل 114 هـ وقيل 116 هـ وقيل 118 هـ .روى عن أبي مسلم الخولاني، ومسروق، وحدث عن واثلة بن الأسقع، وأبي أمامة الباهلي، وأنس بن مالك، وشرحبيل بن السمط، وسعيد بن المسيب، وعبد الله بن محيريز، وجبير بن نفير، وأم الدرداء، وطاووس، وكثير بن مرة، وكريب خادم سيدنا ابن عباس، وعنبسة بن أبي سفيان، وأبي مرة الطائفي، وعمرو بن شعيب، وعبد الرحمن بن غنم. وحدث عنه الزهري، وربيعة الرأي، وزيد بن واقد، وعامر الأحول، وابن عون، وابن عجلان، وبرد بن سنان، ويزيد بن يزيد بن جابر، ومحمد بن إسحاق، وحجاج بن أرطاة، وعكرمة بن عمار، ومحمد بن راشد المكحولي، وخلق سواهم كثير.

➔ (5) يزيد بن ميسرة بن حلبس، أبو حلبس، الدمشقي. سمع أم الدرداء، وأبي إدريس الخولاني. روى عنه: أخوه يونس، وصفوان بن عمرو، ومعاوية بن صالح، وآخرون. سكن حمص، وكان واعظا زاهدا عارفا. قيل توفي سنة 111 هـ.

➔ (2) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد، ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة 105 هـ وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

➔ (1) عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني، أبو مسعود الدمشقي، ضعيف، ليس بالقوي في الحديث، من السابعة، وهو مولى المهلب بن أبي صفرة الأزدي سكن أبوه الشام أصله من بلخ. مات سنة 155 هـ، وقيل 151 هـ.

عن تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ﴿الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ﴾ وعن ابن عمر، قال: ﴿قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الْعِبَادِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: أَنْفَعُ النَّاسِ لِلنَّاسِ. قِيلَ: فَأَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى قَلْبِ الْمُؤْمِنِ. قِيلَ: وَمَا سُرُورُ الْمُؤْمِنِ؟ قَالَ: إِشْبَاعُ جَوْعَتِهِ وَتَنْفِيسُ كُرْبَتِهِ، وَقَضَاءُ دَيْنِهِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَتِهِ كَانَ كَصِيَامِ شَهْرٍ وَاعْتِكَافِهِ وَمَنْ مَشَى مَعَ مَظْلُومٍ يُعِينُهُ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزِلُّ الْأَقْدَامُ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَإِنَّ الْخُلُقَ السَّيِّئَ يُفْسِدُ الْأَعْمَالَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ﴾ وعن ابن شهاب أن سالما أخبره أن عبد الله بن عمر أخبره: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ. وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ﴾.

مراجع: صحيح البخاري/ صحيح مسلم/ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء سنن الترمذي/ وفيات الأعيان/ سير أعلام النبلاء

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) وطاووس بن كيسان اليماني (١) [٥٦٤]

عن ابن خلكان[1] قال: قدم هشام بن عبد الملك حاجا إلى بيت اللهّ الحرام، فلما دخلها.. قال: آتوني برجل من الصحابة. فقيل له: يا أمير المؤمنين قد تفانوا. فقال: من التابعين. فاتي بطاووس اليماني[2] العالم الجليل رحمه الله، فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه، ولم يسلم عليه بأمير المؤمنين، ولكن قال: السلام عليك يا هشام. ولم يكنه، وجلس بإزائه بغير إذنه. وقال: كيف أنت يا هشام ؟. فغضب هشام من ذلك غضبا شديدا وهم بقتله. فقيل له: أنت في الحرم الله وحرم رسوله لا يمكنك ذلك. فقال: يا طاووس، ما الذي حملك على ما صنعت ؟ قال طاووس: وما الذي صنعت !؟. فاشتد غضبه وغيظه. وقال: خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي، ولم تسلم بإمرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بإزائي بغير إذني وقلت: يا هشام كيف أنت؟. فقال طاووس: أما ما فعلت بخلع نعلي بحاشية بساطك، فإني اخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات، فلا يعاتبني، ولا يغضب علي. وأما قولك لم تقبل يدي، فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب* رضي الله عنه، يقول: ﴿لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُقَبِّلَ يَدَ أَحَدٍ إِلَّا امْرَأَتُهُ مِنْ شَهْوَةٍ أَوْ وَلَدَهُ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ وأما قولك لم تسلم علي بإمرة المؤمنين، فليس كل الناس راضيين بإمرتك فكرهت أن أكذب، وأما قولك لم تكنني، فإن الله عز وجل سمى أنبياءه وأولياءه فقال: ﴿يَا دَاوُدُ، يَا يَحْيَى، يَا عِيسَى﴾ وكنى أعداءه فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد] وأما قولك جلست بإزائي، فإني سمعت أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول: ﴿إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَانْظُرْ إِلَى رَجُلٍ جَالِسٍ وَحَوْلَهُ قَوْمٌ قِيَامٌ﴾ فقال هشام: عِظْني. قال طاووس: سمعت أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول: ﴿إِنَّ فِي جَهَنَّمَ حَيَّاتٍ كَالْفَلَالِ وَعَقَارِبُ كَالْبِغَالِ تَلْدَغُ كُلَّ أَمِيرٍ لَا يَعْدِلُ فِي رَعِيَّتِهِ﴾ ثم قام وخرج.

---

(2) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري، لأسرة من الموالي، وقيل اسمه ذكوان، وطاووس لقبه، وقد فسرّ يحيى بن معين سبب تسميته تلك قائلاً: إنما لقب به لأنه كان طاووس القراء. أحد الأئمة الأعلام، قال ابن حبان: كان من عباد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، أدرك خمسين صحابيا وكان كاملا في الفقه والتفسير. روى عن أبي هريرة، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وجابر، وابن مسعود، وابن عباس، وعائشة، وطائفة وروى عنه ابنه عبد الله (ابن طاووس)، ومجاهد، والزهري، وعمرو بن دينار، وسليمان التيمي، وخلق. واكثر روايته عن ابن عباس. قال سفيان قلت لعبيد الله بن ابي يزيد مع من كنت تدخل على ابن عباس قال مع عطاء والعامة وكان طاووس يدخل مع الخاصة. وكان مجاب الدعوة حج أربعين حجة وتوفي حاجا بمكة قبل التروية بيوم سنة 106 هـ وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة وصلى عليه الخليفة هشام ابن عبد الملك وكان قد حج في تلك السنة.

(1) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس البرمكي الإربلي الشافعي. صاحب كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. ولد بإربل سنة 608 هـ. وتوفي بدمشق سنة 681 هـ.

أيها الإخوة المؤمنون، بمثل هؤلاء العلماء الصالحين، والأولياء المجاهدين حفظ الله لنا هذا الدين، كان أحدهم إذا سئل عن جرأته في كلامه، ومواعظه مع السلاطين يقول كما قال أحدهم، استحضرت عظمة الله فصغرت في عيني هيبة السلطان. فالثبات الثبات يا أهل الإصلاح، والثبات الثبات أيها المجاهدون في سبيل الله فإن لكم في أمثلهم قدوة، ولنا كما كان لهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فإنها الأمنة وسنسأل عنها، ولن يجد الواحد وليس بينه وبين ربه ترجمان إلا ما قدم. نسأل الله الثبات على الحق، والعزيمة على الرشد، والله ولي الصالحين. عن عبد الله بن الحارث بن جزء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ فِي النَّارِ حَيَّاتٍ كَأَمْثَالِ الْبُخْتِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حُمُوَّتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا، وَإِنَّ فِي النَّارِ عَقَارِبَ كَأَمْثَالِ الْبِغَالِ الْمُؤَكَّفَةِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حُمُوَّتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا﴾ (كأمثال البخت) أي كالإبل الخراسانية (اللسعة) أي اللدغة (فيجد) أي ملسوعها (حموتها) أي أثر سمها وسورة ألمها (أربعين خريفا) أي أربعين عاما، (كأمثال البغال المؤكفة) من أكتفت الحمار وأوكفته شددت عليها الأكاف.

﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل]

قال طاووس بن كيسان، سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول: ﴿لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُقَبِّلَ يَدَ أَحَدٍ إِلَّا امْرَأَتُهُ مِنْ شَهْوَةٍ أَوْ وَلَدَهُ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ وعن أبي هريرة: ﴿أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ الأَنْصَارِ فَإِذَا فِيهِ جَمَلانِ يَضْرِبَانِ وَيَرْغَدَانِ فَاقْتَرَبَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمَا فَوَضَعَا جِرَانَهُمَا بِالأَرْضِ فَقَالَ مَنْ مَعَهُ سَجَدَ لَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا لِمَا عَظَّمَ اللهُ عَلَيْهَا مِنْ حَقِّهِ﴾ وفي المسند وغيره: ﴿لَمَّا رَجَعَ مُعَاذٌ مِنَ الشَّامِ سَجَدَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا هَذِهِ يَا مُعَاذُ قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْتهمْ فِي الشَّامِ يَسْجُدُونَ لِأَسَاقِفَتِهِمْ وَيَذْكُرُونَ ذَلِكَ عَنْ أَنْبِيَائِهِمْ فَقَالَ: كَذَبُوا عَلَيْهِمْ، لَوْ كُنْت آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْت الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ أَجْلِ حَقِّهِ عَلَيْهَا، يَا مُعَاذُ إنَّهُ لَا يَنْبَغِي السُّجُودُ إلَّا للهِ﴾ قال ابن تيمية: وأما فعل ذلك تدينا وتقربا فهذا من أعظم المنكرات. ومن اعتقد مثل هذا قربة ودينا فهو ضال مفتر، بل يبين له أن هذا ليس بدين ولا قربة، فإن أصر على ذلك استتيب فإن تاب وإلا قتل. وأما إذا أكره الرجل على ذلك بحيث لو لم يفعله لأفضى إلى ضربه أو حبسه أو أخذ ماله أو قطع رزقه الذي يستحقه من بيت المال ونحو ذلك من الضرر، فإنه يجوز عند أكثر العلماء، فإن الإكراه عند أكثرهم يبيح الفعل المحرم كشرب الخمر ونحوه، وهو المشهور عن أحمد وغيره، ولكن عليه مع ذلك أن يكرهه بقلبه، ويحرص على الامتناع منه بحسب الإمكان. ومن علم الله منه الصدق أعانه الله تعالى، وقد يعافى ببركة صدقه من الأمر بذلك. وذهب طائفة إلى أنه لا يبيح إلا الأقوال دون الأفعال، ويروى ذلك عن ابن عباس ونحوه، قالوا: إنما التقية باللسان، وهو الرواية الأخرى عن أحمد، وأما فعل ذلك لأجل فضل الرياسة والمال فلا، وإذا أكره على مثل ذلك ونوى بقلبه أن هذا الخضوع لله تعالى كان حسنا مثل أن يكرهه على كلمة الكفر وينوي معنى جائزا، والله أعلم. وصرح ابن الجوزي بأن تقبيل يد الظالم معصية إلا أن يكون عند خوف.

قال العتبي: دخل رجل على هشام بن عبد الملك فقبل يده، فقال: أف له. إن العرب ما قبلت الأيدي إلا هلوعا* ولا قبلتها العجم إلا خضوعا. وفي رواية، دخل عقال بن شبة على هشام وأراد أن يقبل يده فقال: لا يفعل هذا من العرب إلا هلوع*، ولا من العجم إلا خضوع. واستأذن رجل المأمون في تقبيل يده، فقال: إن القبلة من المؤمن ذلة، ومن الذمي خديعة؛ ولا حاجة بك أن تذل، ولا حاجة بنا أن نخدع. والصحابة لقوا النبي صلى الله عليه وسلم مرارا وتكرارا، وما نقل عنهم أنهم كلما رأوه قبلوا رأسه ويده. وكان السلف رحمهم الله بخلاف ذلك، إذا جاء شخص يقبل يده ربما سحب يده، وعندما استأذن رجل الإمام أحمد في تقبيل رأسه، قال: لم أبلغ أنا ذاك، لم أصل إلى درجة أن تقبل رأسي أنا دون ذلك، فكان من ورعهم وتواضعهم أنهم لا يسمحون للناس بتقبيل أياديهم ورءوسهم، ويقولون: نحن أدنى من هذا، وكره أحمد المسح على اليد للتبرك ونحوها، فقال لمن مسح يده عليه عمن أخذتم هذا؟ وغضب ونفض يده. وفي حديث أنس بن مالك قال: ﴿قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أَخَاهُ أَوْ صَدِيقَهُ أَيَنْحَنِي لَهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَفَيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَفَيَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ﴾.

عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ تَضَعْضَعَ لِغَنِيٍّ لِيَنَالَ فَضْلَ مَا عِنْدَهُ أُحْبِطَ عَمَلُهُ﴾ وعن كعب الأحبار قال: ﴿مَنْ تَوَاضَعَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنيا ذَهَبَ ثُلُثُ دِينِهِ﴾ وعن معاوية بن أبي سفيان مرفوعا: ﴿مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ النَّاسُ قِيَاماً، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ﴾ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ صُفُوفًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَدْخَلْتُهُ النَّارَ﴾ ولقد أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على من خاطبه بقوله ﴿مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ. فَقَالَ: أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ﴾ وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِذَا رَأَيْتُمْ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ أَنْتَ ظَالِمٌ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ﴾ (فقد تودع منهم) من التوديع. قال الزمخشري أي استريح منهم، وخذلوا، وخلي بينهم وبين ما يرتكبون من المعاصي. قال السندي أي قطع منهم العون الإلهي والتأييد الرباني على صلاح الحال.

يقول سيد قطب: ﴿فَمَا يَخْدَعُ الطُّغَاةُ شَيْءٌ مَا تَخْدَعُهُمْ غَفْلَةُ الْجَمَاهِيرِ وَذِلَّتِهَا وَطَاعَتُهَا وَانْقِيَادُهَا. وَمَا الطَّاغِيَةُ إِلَّا فَرْدٌ لَا يَمْلِكُ فِي الْحَقِيقَةِ قُوَّةً وَلَا سُلْطَانًا. إِنَّمَا هِيَ الْجَمَاهِيرُ الْغَافِلَةُ الذَّلُولَ تَتَمَلَّى لَهُ ظَهْرَهَا فَيَرْكَبُ! وَتَمُدُّ لَهُ أَعْنَاقَهَا فَيَجُرُّ! وَتُخْفِي لَهُ رُؤُوسَهَا فَيَسْتَعْلِي! وَتَتَنَازَلُ لَهُ عَنْ حَقِّهَا فِي الْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ فَيَطْغَى!. وَالْجَمَاهِيرُ تَفْعَلُ هَذَا مَخْدُوعَةً مِنْ جِهَةٍ وَخَائِفَةً مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى. وَهَذَا الْخَوْفُ لَا يَنْبَعِثُ إِلَّا مِنَ الْوَهْمِ. فَالطَّاغِيَةُ – وَهُوَ فَرْدٌ – لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى مِنَ الأُلُوفِ وَالْمَلَايِينَ لَوْ أَنَّهَا شَعَرَتْ بِإِنْسَانِيَّتِهَا وَكَرَامَتِهَا وَعِزَّتِهَا وَحُرِّيَّتِهَا. وَكُلُّ فَرْدٍ فِيهَا هُوَ كُفْءٌ لِلطَّاغِيَةِ مِنْ نَاحِيَةِ الْقُوَّةِ وَلَكِنَّ الطَّاغِيَةَ يَخْدَعُهَا فَيُوهِمُهَا أَنَّهُ يَمْلِكُ لَهَا شَيْئًا! وَمَا يُمْكِنُ أَنْ يَطْغَى فَرْدٌ فِي أُمَّةٍ كَرِيمَةٌ أَبَدًا. وَمَا يُمْكِنُ أَنْ يَطْغَى فَرْدٌ فِي أُمَّةٍ رَشِيدَةٌ أَبَدًا. وَمَا يُمْكِنُ أَنْ يَطْغَى فَرْدٌ فِي أُمَّةٍ تَعْرِفُ رَبَّهَا وَتُؤْمِنُ بِهِ وَتَأْبَى أَنْ تَتَعَبَّدَ لِوَاحِدٍ مِنْ خَلْقِهِ لَا يَمْلِكُ لَهَا ضُرًّا وَلَا رُشْدًا!﴾.

* مصدر هلع يهلع كفرح : إذا حرص فهو هلع ككتف. وفي التنزيل قوله تعالى: إن الإنسان خلق هلوعا واختلف في تفسير الهلوع فقيل: هو من يجزع ويفزع من الشر وقيل: هو الذي يحرص ويشح على المال وقال معمر والحسن: هو الشره أو الضجور.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ مسند أحمد/ إحياء علوم الدين/ صحيح ابن حبان/ العقد الفريد/ محاضرات الأدباء/ تاج العروس/ في ظلال القرآن/ سلسلة الآداب الإسلامية/ الفتاوى الكبرى

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) وطاووس بن كيسان اليماني (٢) [065]

دخل طاووس [1] على هشام بن عبد الملك فقال له: اتق يوم الأذان. فقال هشام: وما يوم الأذان؟ قال: اقرأ قوله تعالى:﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف] فصعق هشام. فقال طاووس: هذا ذل الصفة فكيف المعاينة؟.

دخل زيد بن علي [2] على هشام بن عبد الملك، فلم يجد موضعا يقعد فيه: فعلم أن ذلك فعل به على عمد؛ فقال: يا أمير المؤمنين، اتق الله. قال: أو مثلك يا زيد يأمر مثلي بتقوى الله؟ قال زيد: إنه لا يكبر أحد فوق تقوى الله، ولا يصغر دون تقوى الله. قال له هشام: بلغني أنك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها؛ إنك ابن أمة. قال: زيد: أما قولك إني أحدث نفسي بالخلافة، فلا يعلم الغيب إلا الله؛ وأما قولك إني ابن أمة، فهذا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ابن أمة من صلبه خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم ، وإسحاق ابن حرة. أخرج من صلبه القردة والخنازير وعبدة الطاغوت. قال له: قم. قال: إذن لا تراني إلا حيث تكره. فلما خرج من عنده قال: ما أحب أحد قط الحياة إلا ذل. قال له حاجبه: لا يسمع هذا الكلام منك أحد.ثم خرج بخراسان، فقتل وصلب في كناسة. وفيه يقول سديف بن ميمون [3] في دولة بني العباس: واذكروا مقل الحسين وزيدا ... وقتيلا بجانب المهراس. يريد حمزة بن عبد المطلب المقتول بأحد.

وروى معاذ بن أسد البصري قال: أقر ولد لخالد بن عبد الله القسري على زيد بن علي وجماعة أنهم عزموا على خلع هشام، فقال هشام لزيد بن علي: قد بلغني كذا – قال: ليس بصحيح؛ قال: قد صح عندي، قال: أحلف لك، قال: لا أصدقك، قال: إن الله لم يرفع من قدر أحد حلف له بالله فلم يصدق، قال: اخرج عني، قال إذا لا تراني إلا حيث تكره، قال: فلما خرج قال: من أحب الحياة ذل.

قال عيسى بن يونس: جاءت الرافضة زيدا، فقالوا: تبرأ من أبي بكر وعمر حتى ننصرك. قال: بل أتولاهما. قالوا: إذا نرفضك، فمن ثم قيل لهم: الرافضة. وأما الزيدية، فقالوا بقوله، وحاربوا معه. قال عمرو بن القاسم: دخلت على جعفر الصادق، وعنده ناس من الرافضة، فقلت: إنهم يبرؤون من عمك زيد. فقال: برأ الله ممن تبرأ منه، كان والله أقرأنا لكتاب الله، وأفقهنا في دين الله، وأوصلنا للرحم، ما تركنا وفينا مثله. وروى هاشم بن البريد، عن زيد بن علي، قال: كان أبو بكر رضي الله عنه إمام الشاكرين، ثم تلا: ﴿وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران] ثم قال: البراءة من أبي بكر هي البراءة من علي.

---

(1) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري، لأسرة من الموالي، وقيل اسمه ذكوان، وطاووس لقبه، وقد فسرّ يحيى بن معين سبب تسميته تلك قائلاً: إنما لقب به لأنه كان طاووس القراء. أحد الأئمة الأعلام، قال ابن حبان: كان من عباد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، أدرك خمسين صحابيا وكان كاملا في الفقه والتفسير. روى عن أبي هريرة، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وجابر، وابن مسعود، وابن عباس، وعائشة، وطائفة وروى عنه ابنه عبد الله (ابن طاووس)، ومجاهد، والزهري، وعمرو بن دينار، وسليمان التيمي، وخلق. واكثر روايته عن ابن عباس. قال سفيان قلت لعبيد الله بن ابي يزيد مع من كنت تدخل على ابن عباس قال مع عطاء والعامة وكان طاووس يدخل مع الخاصة. وكان مجاب الدعوة حج أربعين حجة وتوفي حاجا بمكة قبل التروية بيوم سنة 106 هـ وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة وصلى عليه الخليفة هشام ابن عبد الملك وكان قد حج في تلك السنة.

(2) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين الهاشمي، العلوي، المدني. أخو: أبي جعفر الباقر، وعبد الله، وعمر، وعلي، وحسين. وكان ذا علم وجلالة وصلاح، وخرج، فاستشهد. وفد على متولي العراق يوسف بن عمر، فأحسن جائزته، ثم رد، فأتاه قوم من الكوفة، فقالوا: ارجع نبايعك، فبا يوسف بشيء. فأصغى إليهم، وعسكر، فبرز لحربه عسكر يوسف، فقتل في المعركة، سنة 122 هـ ثم صلب أربع سنين.

(3) سديف بن إسماعيل بن ميمون مولى لامرأة من خزاعة وكان لها زوج من اللهبيين وادعى سديف بذلك ولاء بني هاشم وزعم المدائني أنه مولى بني العباس وشاعرهم. شهد العصر الأموي والعصر العباسي الأول، اشتهر بتعصبه لبني هاشم وبهجائه بني أمية. توفي سنة 146 هـ

قال الله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ [الأعراف] أي فنادى مناد، وأعلم مُعْلِمٌ بينهم، قيل: هو إسرافيل صاحب الصور، وقيل: جبريل يسمع الفريقين تفريحا وتبريحا، وقيل: ملك غيره معين. عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ! حَتَّى قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ. قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ. وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود] والظلم هو وضع الشيء غير موضعه. قال الهيثم بن عدي: أذن عبد الملك للناس في الدخول عليه إذنا خاصا، فدخل شيخ رث الهيئة لم يأبه له الحرس، فألقى بين يدي عبد الملك صحيفة، وخرج فلم يدر أين ذهب، وإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، يا أيها الإنسان إن الله قد جعلك بينه وبين عباده؛ فاحكم بينهم بالحق﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص] ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين] ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (103) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾ [هود] إن الذي أنت فيه لو بقي لغيرك ما وصل إليك ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل] وإني أحذرك يوم ينادي المنادي ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات] ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف] قال: فتغير وجه عبد الملك فدخل دار حرمه، ولم تزل الكآبة في وجهه بعد ذلك أياما.

قالت العلماء: اللعن لا يكون إلا على العموم، أما المعين فلا يلعن، ولذا جاءت النصوص بلعن أصناف عامة: (لعن الله السارق)، (لعن الله شارب الخمر)، (لعن الله آكل الربا) وهذا عموم، أما لعن المعين فلا، ولو كانت امرأة متبرجة فلا تلعنها، بل قل على العموم: لعن الله المتبرجات، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لعن شارب الخمر، وهو القائل: (لعن الله في الخمر عشرة: شاربها) ولما جيء برجل يشرب الخمر، وأقيم عليه الحد، فقال رجل: لعنه الله، أو أخزاه الله ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي: (لا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله)، فالمعين لا يلعن؛ لأنه لا يدرى حاله، فقد يكون المعين ما بلغه النص، وقد يتوب، وقد يعفو الله عنه، وقد يكون ممن غفر الله له، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده)، ولعن آكل الربا، ولعن شارب الخمر، كل ذلك على العموم.

عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه، قال: ﴿لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ، وَآكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ، وَنَهَى عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ، وَكَسْبِ البَغِيِّ، وَلَعَنَ المُصَوِّرِينَ﴾ (الواصلة) هي التي تصل شعر المرأة بشعر آخر (المستوصلة) التي تطلب من يفعل بها ذلك (الواشمة) التي تفعل الوشم وهو أن تغرز إبرة في الجلد حتى يخرج الدم ويحشى الموضع بكحل أو غيره فيتلون الموضع (المستوشمة) التي تطلب فعل ذلك لها (كسب البغي) ما تكسبه الزانية وتأخذه بسبب زناها. وعن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ﴾ (منار) أي حدودها. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ﴾ وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَسْلَمُ سَالِمُهَا اللهُ، وَغِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا، وَعُصَيَّةُ عَصَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ، اللهُمَّ الْعَنْ رِعْلًا وَذَكْوَانَ وَبَنِي لِحْيَانَ﴾ وهذه أسماء قبائل من العرب. عن أم المؤمنين عائشة، قالت: من آخر ما سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ﴾ وقالت:﴿لَوْلَا ذَلِكَ لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا﴾ وعن ابن عباس، قال: ﴿لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ، وَقَالَ: أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ (المخنثين) أي المتشبهين بالنساء (من الرجال) في الزي واللباس والخضاب والصوت والصورة والتكلم وسائر الحركات والسكنات من خنث يخنث كعلم يعلم إذا لان وتكسر، فهذا الفعل منهي لأنه تغيير لخلق الله (المترجلات) أي المتشبهات بالرجال (من النساء) زيا وهيئة ومشية ورفع صوت ونحوها لا رأيا وعلما، فإن التشبه بهم محمود، كما روي أن عائشة رضي الله عنها كانت رجلة الرأي أي رأيها كرأي الرجال على ما في النهاية (أخرجوهم من بيوتكم) أي من مساكنكم ومن بلدكم، ففي شرح السنة: روي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء، فأمر به فنفي إلى البقيع، ففي شرعة الإسلام الحناء سنة للنساء، ويكره لغيرهن من الرجال إلا أن يكون لعذر لأنه تشبه بهن. وعن ابن عباس، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَعَنَ اللهُ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ﴾ (لعن الله) يحتمل الإخبار والدعاء (المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال) قال النووي: المخنث ضربان، أحدهما: من خلق كذلك ولم يتكلف التخلق بأخلاق النساء وزيهن وكلامهن وحركاتهن، وهذا لا ذم عليه ولا إثم ولا عيب ولا عقوبة لأنه معذور، والثاني من يتكلف أخلاق النساء وحركاتهن وسكناتهن وكلامهن وزيهن، فهذا هو المذموم الذي جاء في الحديث لعنه.

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ لَعَّانًا﴾ –وفي رواية–: لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا﴾ (لا يكون المؤمن) أي الكامل (لعانا) أي كثير اللعن وإن كان قد يتبادر منه أحيانا (لا ينبغي للمؤمن) أي مطلقا (أن يكون لعانا) وعن ابن عباس قال:﴿أَنَّ رَجُلًا نَازَعَتْهُ الرِّيحُ رِدَاءَهُ فَلَعَنَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَلْعَنْهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ﴾ (نازعته الريح) أي جاذبته (من لعن شيئا ليس) أي ذلك الشيء (له) أي اللعن (بأهل) أي بمستحق (رجعت اللعنة عليه) أي على اللاعن؛ لأن اللعنة وكذا الرحمة تعرف طريق صاحبها.

عن سمرة بن جندب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَا تَلَاعَنُوا بِلَعْنَةِ اللهِ، وَلَا بِغَضَبِ اللهِ، وَلَا بِجَهَنَّمَ – وفي رواية– وَلَا بِالنَّارِ﴾ (بلعنة الله) أي لا يلعن بعضكم بعضا، فلا يقل أحد لمسلم معين عليك لعنة الله مثلا (ولا بغضب الله) بأن يقول غضب الله عليك (ولا بجهنم) بأن يقول لك جهنم أو مأواك (ولا بالنار) بأن يقول أدخلك الله النار أو النار مثواك، وقال الطيبي أي: لا تدعوا الناس بما يبعدهم الله من رحمته إما صريحا كما تقولون: لعنة الله عليه أو كناية كما تقولون عليه غضب الله أو أدخله الله النار، فقوله: لا تلاعنوا من باب المجاز ؛ لأنه في بعض أفراده حقيقة، وفي بعضه مجاز، وهذا مختص بمعين؛ لأنه يجوز اللعن بالوصف الأعم كقوله:﴿فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة] وبالأخص قوله:﴿لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ﴾ أو على كافر معين مات على الكفر كفرعون وأبي جهل، وكالعسكر! اليوم الذين كفروا وطغوا وتجبروا وقتلوا، وحاربوا الله ورسوله.

مراجع: البداية والنهاية / البحر المحيط في التفسير/ صحيح البخاري/ صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ شرح سنن ابن ماجه/ تفسير القرطبي/ وفيات الأعيان

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب [066]

قال سفيان بن عيينة: [1] دخل هشام الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد الله [2]،فقال: سلني حاجة؟ قال سالم: إني استحي من الله أن أسأل في بيته غيره! فلما خرجا قال هشام:، الآن فسلني حاجة؟ فقال سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الأخرة؟ قال هشام: من حوائج الدنيا. قال سالم: والله ما سألت الدنيا من يملكها فيكف أسألها من لا يملكها!

عن عبيد الله بن محمد القرشي[3]،قال: كنا مع سفيان الثوري[4] بمكة، فجاءه كتاب من عياله من الكوفة: بلغت بنا الحاجة أنا نقلي النوى فنأكله فبكى سفيان. فقال له بعض أصحابه: يا أبا عبد الله! لو مررت إلى السلطان، صرت إلى ما تريد! فقال سفيان: والله لا أسأل الدنيا من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها. وكان يقول: إذا رأيتم رجل يدخل على الأمير فهو قاطع طريق.

قال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الإسلام وصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك عنى به سعد بن أبي وقاص [5] رضي الله عنه، قال وكان لا يغشى السلاطين وينفر عنهم، فقال له بنوه يأتي هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم في الإسلام فلو أتيتهم، فقال يا بني آتي جيفة قد أحاط بها قوم والله لئن استطعت لا أشاركهم فيها قالوا يا أبانا إذن نهلك هزالاً، قال يا بني لأن أموت مؤمناً مهزولاً أحب إلي من أن أموت منافقاً سميناً. قال الحسن خصمهم والله إذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان ، وفي هذا إشارة إلى أن الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق ألبتة وهو مضاد للإيمان.

---

(2) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أمه أم ولد، يكنى أبو عبد الله، ويقال: أبو عبيد الله ويقال: أبو عمر العدوي المدني الفقيه قدم الشام على عبد الملك بن مروان بكتاب أبيه بالبيعة له، وعلى الوليد بن عبد الملك، وعلى عمر بن عبد العزيز. وكان أشبه أولاد أبيه به، عن مالك قال لم يكن أحد في زمن سالم بن عبد الله أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والقصد والعيش منه. أسند سالم عن أبيه وأبي أيوب وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة. روى عن أبيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق ورافع بن خديج وأبي هريرة . توفي سنة 106 هـ. ووافق موته حج هشام، فصلى عليه وكان في طريق عودته من الحج، بالمدينة.ودُفن بالبقيع.

(4) سفيان الثوري هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري، الفقيه الكوفي سيد أهل زمانه علما وعملا وهو من ثور مضر وليس هو من ثور همدان على الصحيح كذا نسبه ابن سعد والهيثم بن عدي وغيرهما. مولده سنة 97 هـ ووفاته سنة 161 هـ وكان أبوه سعيد من ثقات المحدثين. سمع الثوري من عمرو بن مرة وسلمه بن كهيل وحبيب بن أبي ثابت وعمر بن دينار وابن إسحق ومنصور وحصين وأبيه سعيد بن مسروق والأسود بن قيس وجبلة بن سحيم وزبيد بن الحارث وزياد بن علاقة وسعد بن إبراهيم وأيوب وصالح مولى التوأمة وخلق لا يحصون يقال إنه أخذ عن ست مائة شيخ وعرض القرآن أربع مرات على حمزة بن الزيات. وروى عنه ابن عجلان وأبو حنيفة وابن جريج وابن إسحاق ومسعر وهم من شيوخه وشعبة والحمادان ومالك وابن المبارك ويحيى وعبد الرحمن وابن وهب وأمم لا يحصون.

(5) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق القرشي الزهري المديني شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة ومات بالمدينة قال عمرو بن علي مات سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقد أسلم وهو ابن 19 ومات وهو ابن 74 وقال أبو نعيم مات في سنة 58 هـ. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن خولة بنت حكيم السلمية في الدعاء، وروى عنه أبو عثمان النهدي في الإيمان وعامر بن سعد وجابر بن سمرة ومصعب بن سعد وغنيم بن قيس وأبو عبد الله دينار القراط وسعيد بن المسيب ومالك بن أوس وابنه إبراهيم بن سعد وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وشريح بن هانىء أبو عثمان النهدي ويسر بن سعيد وقيس بن أبي حازم.

(3) عبيد الله بن محمد القرشي، هو عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر القرشي التيمي، أبو عبد الرحمن البصري المعروف بالعيشي وبابن عائشة لأنه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، قدم بغداد. مات في رمضان سنة 228 هـ.

(1) سفيان بن عيينة، أبو محمد بن سفيان بن عيينه بن أبي عمران ميمون الهلالي، مولى امرأة من بني هلال بن عامر رهط ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل مولى بني هاشم، وقيل مولى الضحاك بن مزاحم، وقيل مولى مسعر بن كدام؛ وأصله من الكوفة، وقيل ولد بالكوفة ونقله أبوه إلى مكة، كان إماما عالما ثبتا حجة زاهدا ورعا مجمعا على صحة حديثه وروايته، وحج سبعين حجة. روى عن وعنه خلق كثير . ولد سفيان بالكوفة سنة 107 هـ. وتوفي سنة 198 هـ بمكة ودفن بالحجون.

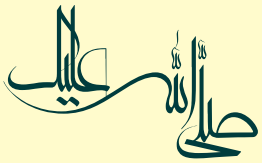

أيها الإخوة المؤمنون، ما أعجب حال الإنسان، وما أشد غرور السلاطين، وما أغرب فتنة السلطة والملك، في جوف الكعبة! حيث يسأل رب البيت، ولا يلذ بغيره. لم تفارق السلطان المغرور أوهامه فراح يطلب من الإمام المسألة، ولم تكفه الموعظة البليغة والتذكير المؤدب أن يقول له الشيخ أنه يستحي من أن يسأل غير الله في بيته، وكأنه يقول له، فلتستحي أنت من أن تظن أنك موضع السؤال وطلب الحاجة. حتى ولو غرر بك المنافقون وطلاب الدنيا، الذين انشغلوا بطلب العبيد عن سؤال رب العبيد. ولكنه الطغيان، وحتى بعد الموعظة، يعاود طلب المسألة، هكذا يشعر بالعظمة وبحاجة الناس إليه، ويقول للمخدوعين لا عليكم، فهذا كبير أئمتكم يطلب حاجته عندي، هذا القدوة الصالح رمز الزهد يسألوني حاجته وفي بيت الله وحرمه، فلا عليكم من الوقوف على أعتاب والي الأمر. ولكن الدرس الموعظة والصفعة المؤدبة جأته من تذكير الشيخ له، أمن حاجات الأخرة أسألك؟!، ليقول له أنك عاجز لا تملك الحاجة. رحمة الله ورضوانه، فعرف السلطان حدوده فقال بل من حوائج الدنيا، فعرفه الإمام قدر العلم والعلماء، وقدر الزهاد العارفين الحقيقين، إننا لا نسأل حاجات الدنيا، لم نسألها من يملكها، لأنها مقدورة مقسومة حقيرة لا يهتم بها ويغتم لها إلا من هبط قدره لطين، فهل نسألكها أنت يا عاجز؟!.

أيها الإخوة، سبحنا الله ولا حول ولا قوة إلا به على هذا الزمان الذي أطلانا حتى يتذكر المرء وهو يطالع في قصص هذه القمم السامقة، في أي حضيض نعيش، وإلى أي دركات هبط قراء زمننا، إلا من رحم الله، ولولا هؤلاء الذين رحم، من الذين أصبحوا نجوم يتلألأ نورها وسط هذه الدياجي لأطبق اليأس على قلوب المظلمين، ولكن الحمد لله، فما زال لصالحين ثلة أوليين بقية صالحة من قليل الأخرين، نسأل الله أن يأخذ بأيديهم، ويفرج عنهم ليعيدوا الأمور إلى نصابها ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم] صدق الله العظيم والعاقبة للمتقين.

عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿خُذُوا الْعَطَاءَ مَا دَامَ عَطَاءً، فَإِذَا صَارَ رِشْوَةً عَلَى الدِّينِ فَلَا تَأْخُذُوهُ، وَلَسْتُمْ بِتَارِكِيهِ يَمْنَعُكُمُ الْفَقْرُ وَالْحَاجَةُ، أَلَا إِنَّ رَحَى الْإِسْلَامِ دَائِرَةٌ فَدُورُوا مَعَ الْكِتَابِ حَيْثُ دَارَ، أَلَا إِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّلْطَانَ سَيَفْتَرِقَانِ فَلَا تُفَارِقُوا الْكِتَابَ، أَلَا إِنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يَقْضُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَقْضُونَ لَكُمْ، إِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ قَتَلُوكُمْ، وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ أَضَلُّوكُمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ نَصْنَعُ؟. قَالَ:كَمَا صَنَعَ أَصْحَابُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، نُنْشَرُوا بِالْمَنَاشِيرِ، وَحُمِلُوا عَلَى الْخَشَبِ، مَوْتٌ فِي طَاعَةِ الله خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ﴾ وعن أَبِي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلا اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ﴾ وفي رواية في الصحيحين:﴿لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنَّ الْمِسْكِينَ الَّذِي لاَ يَجِدُ غِنىً يُغْنِيه، وَلاَ يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلاَ يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ﴾.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ صحيح البخاري/ مجمع الزوائد/ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ صفة الصفوة

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) وأبي حازم [067]

عن زمعة بن صالح، قال: قال الزهري[1] لسليمان[2] أو هشام[3] ألا تسأل أبا حازم[4] ما قال في العلماء!. قال يا أبا حازم ما قلت في العلماء قال وما عسيت أن أقول في العلماء إلا خيرا إني أدركت العلماء وقد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا ولم يستغن أهل الدنيا بدنياهم عن علمهم، فلما رأى ذلك هذا وأصحابه تعلموا العلم فلم يستغنوا به واستغنى أهل الدنيا بدنياهم عن عملهم فلما رأوا ذلك قذفوا بعلمهم إلى أهل الدنيا ولم ينلهم أهل الدنيا من دنياهم شيئا، إن هذا وأصحابه ليسوا علماء إنما هم رواة. قال الزهري: إنه جاري منذ حين وما علمت أن هذا عنده، قال صدق أما إني لو كنت غنيا عرفني. قال فقال له سليمان: ما المخرج مما نحن فيه؟ قال: تمضي ما في يديك بما أمرت به وتكف عما نهيت عنه، قال سبحان الله ومن يطيق هذا؟ قال: من طلب الجنة وفر من النار، وما هذا فيما تطلب وتفر منه بقليل.

أرسل بعضُ الأمراء إلى أبي حازم، فأتاه وعنده الإفريقي والزهري وغيرهما، فقال له: تكلَّم يا أبا حازم. فقال أبو حازم: إنَّ خيرَ الأمراء من أحب العلماء، وإنَّ شر العلماء مَن أحبَّ الأمراء، وإنه كان فيما مَضَى إذا بعث الأمراء إلى العلماء لم يأتوهم، وإذا أعطوهم لم يقبلوا منهم، وإذا سألوهم، لم يرخصوا لهم، وكان الأمراء يأتون العلماء في بيوتهم فيسألونهم، فكان في ذلك صلاحٌ للأمراء، وصلاح للعلماء، فلما رأى ذلك أناسٌ من الناس، قالوا: ما لنا لا نطلب العلمَ حتى نكون مثل هؤلاء، فطلبوا العلم فأتوا الأمراء فحدَّثوهم، فرخصوا لهم، وأعطوهم فقبلوا منهم، فجرأت الأمراء على العُلماء، وجرأت العلماء على الأُمراء.

عن الذيال بن عاد قال:كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري: اعلم أن الجاه جاهان، جاه يجريه الله تعالى على أيدي أوليائه لأوليائه، وأنهم الخامل ذكرهم الخفية شخوصهم، ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْأَخْفِيَاءَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَبْرِيَاءَ، الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ سَوْدَاءَ مُظْلِمَةٍ﴾ فهؤلاء أولياء الله تعالى الذين قال الله: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة]

قال المروذي سمعت رسول الخليفة يقول لأبي عبد الله:[5] يجيئك ابني بين المغرب والعشاء فتحدثه بحديث واحد أو حديثين، فقال: لا، لا يجيء، فلما خرج سمعته يقول: ترى لو بلغ أنفه طرف السماء حدثته أنا أحدث حتى يوضع الحبل في عنقي!

---

(4) أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج مولى لقوم من بني ليث بن بكر. اسند أبو حازم عن ابن عمر وسهل بن سعد وانس بن مالك وقيل انه رأى أبا هريرة، وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب وأبي سلمة وعروة وغيرهم. توفي بعد سنة 140 هـ في خلافة المنصور.

(1) محمد بن شهاب الزهري؛ محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله ابن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي هكذا نسبه مصعب الزبيري وغيره ليس في ذلك اختلاف قال مصعب وأمه من بني الدئل بن عبد مناة بن كنانة قال أبو عمر كنيته أبو بكر وكان من علماء التابعين وفقهائهم مقدم في الحفظ والإتقان والرواية والاتساع إمام جليل من أئمة الدين أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم منهم أنس بن مالك وسهل بن سعد وعبد الرحمن بن أزهر الزهري وسنين أبو جميلة السلمي ومنهم عبد الله بن عمر.ولد الزهري سنة 51 هـ وقيل سنة 58 هـ في آخر خلافة معاوية. ومات سنة 124 هـ في شهر رمضان ليلة 17 منه وهو ابن 66 سنة وذلك قبل موت هشام بعام. وقيل إنه مات وهو ابن 72 سنة ودفن بموضع يقال له إدامى وهي خلف شغب وبدا وهي أول عمل فلسطين وآخر عمل الحجاز

(5) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن ادريس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة الشيباني الذهلي من ربيعة أصله مروزي سكن بغداد كنيته أبو عبد الله كان حافظا متقنا فقيها لازما للورع الخفي مواظبا على العبادة الدائمة أغاث الله به أمة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنه ثبت في المحنة وبذل نفسه لله حتى ضرب بالسياط للقتل فعصمه الله من الكفر وجعله علما يقتدى به وملجأ يلتجأ إليه. ولد في ربيع الاول سنة164 هـ وتوفي في سنة 241 هـ. روى عن محمد بن جعفر غندر وعن هشيم بن بشير وعن معتمر بن سليمان ويحيى بن سعيد القطان وعبد الله بن كثير ومحمد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الرزاق وأبي داود الطيالسي سليمان بن داود ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة واسماعيل بن علية وسفيان بن عيينة ويعقوب بن ابراهيم.

(3) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد، ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصل عليه ابنه مسلمة بن هشام. بويع سنة105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

(2) سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي. أخذ عن عطاء وغيره. وولي غزو الروم فلما بويع الوليد بن يزيد حبسه، ثم أخرجه يزيد الناقص وصيره من أمرائه فلما ولي مروان هرب منه ثم أمنه ثم خلع مروان وطمع في الملك واستفحل أمره وكاد أن يملك واجتمع إليه نحو من سبعين ألفاً فبعث مروان جيشه فهزموه وتحصن بحمص فسار إليه مروان بنفسه فهزم ولحق بالضحاك الخارجي وبايعه ثم ظفرت به المسودة (أتباع آل البيت والعباسيون الذين اتخذوا السواد شعارا لهم) فقتلوه في سنة 132 هـ. -وفي رواية قيل-: بعد مقتل الضحاك تولى أمر أصحابه شيبان الحروري، فتحالف معه لقتال مروان بن محمد، فهزم أيضاً، فرحل بأهله إلى السند. عندما تولى السفاح العباسي الملك، أقبل عليه سليمان، فآمنه، ثم أمر السفاح بقتله سنة 132هـ.

عن الأحوص بن حكيم عن أبيه، قال:﴿سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الشَّرِّ. فَقَالَ لَا تَسْأَلُونِي عَنِ الشَّرِّ، وَسَلُونِي عَنِ الْخَيْرِ يَقُولُهَا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ أَلَا إِنَّ شَرَّ الشَّرِّ شِرَارُ الْعُلَمَاءِ وَإِنَّ خَيْرَ الْخَيْرِ خِيَارُ الْعُلَمَاءِ﴾ وعن زياد بن حدير، قال: قال لي عمر: ﴿هَلْ تَعْرِفُ مَا يَهْدِمُ الْإِسْلَامَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا! قَالَ: يَهْدِمُهُ زَلَّةُ الْعَالِمِ، وَجِدَالُ الْمُنَافِقِ بِالْكِتَابِ وَحُكْمُ الْأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ﴾ وعن ابن عيينة، قال:﴿دَخَلَ أَبُو حَازِمٍ عَلَى أَمِيرِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ تَكَلَّمْ، فَقَالَ لَهُ: انْظُرِ النَّاسَ بِبَابِكَ إِنْ أَدْنَيْتَ أَهْلَ الْخَيْرِ ذَهَبَ أَهْلُ الشَّرِّ، وَإِنْ أَدْنَيْتَ أَهْلَ الشَّرِّ ذَهَبَ أَهْلُ الْخَيْرِ﴾ وعن ابن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال:﴿كُنْتُ مَعَ أَبِي حَازِمٍ فِي الصَّائِفَةِ، فَأَرْسَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ خَالِدٍ - وَكَانَ أَصْلَحَ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِنَا - إِلَى أَبِي حَازِمٍ أَنِ ائْتِنَا حَتَّى نُسَائِلَكَ وَنُحَدِّثَنَا، فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ مَعَاذَ اللهِ أَدْرَكْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ، لَا يَحْمِلُونَ الدِّينَ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا، فَلَنْ أَكُونَ بِأَوَّلِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ لَكَ حَاجَةٌ فَأْتِنَا، فَتَصَدَّى لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَسَأَلَهُ، وَقَالَ لَهُ لَقَدِ ازْدَدْتَ عَلَيْنَا بِهَذَا كَرَامَةً﴾ وعبد العزيز بن أبي حازم، قال: سمعت أبي يقول: ﴿إِنَّ الْعُلَمَاءَ كَانُوا فِيمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ إِذَا لَقِيَ الْعَالِمُ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فِي الْعِلْمِ كَانَ يَوْمَ غَنِيمَةٍ، وَإِذَا لَقِيَ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ ذَاكَرَهُ، وَإِذَا لَقِيَ مَنْ هُوَ دُونَهُ لَمْ يَزْهَ عَلَيْهِ حَتَّى إِذَا كَانَ هَذَا الزَّمَانُ فَهَلَكَ النَّاسُ﴾ وعن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (الأئمة) وهم الأمراء والعلماء، وإمام الضلالة: الذي يدعو إلى ضلالة (إذا وضع السيف في أمتي) أي من بعضهم لبعض (لم يرفع عنها إلى يوم القيامة) وقد ابتدئ في زمن معاوية وهلم جرا لا يخلو عنه طائفة من الأمة. وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَسْتُ أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي جُوعًا يَقْتُلُهُمْ وَلَا عَدُوًّا يجتاحهم وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي أَئِمَّةً مُضِلِّينَ إِنْ أَطَاعُوهُمْ فَتَنُوهُمْ وَإِنْ عَصَوْهُمْ قَتَلُوهُمْ﴾ وعن أبي تميم الجيشاني، قال سمعت أبا ذر، يقول:﴿كُنْتُ مُحَاصِرَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمًا إِلَى مَنْزِلِهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِي مِنَ الدَّجَّالِ فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَدْخُلَ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ شَيْءٍ أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِكَ مِنَ الدَّجَّالِ؟ قَالَ الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ﴾ (محاصر) أي ماشيا معه آخذا بيده.

عن ثوابة بن رافع، قال: قال أبو حازم: ﴿مَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا فَحُلْمٌ، وَمَا بَقِيَ فَأَمَانِيٌّ﴾ وعن سفيان، قال:﴿قِيلَ لِأَبِي حَازِمٍ يَا أَبَا حَازِمٍ مَا مَالُكَ؟ قَالَ: تَقْوَى اللهِ تَعَالَى، وَإِيَاسٌ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ﴾ وعن سعيد بن عامر، عن بعض، أصحابه قال أبو حازم:﴿نِعْمَةُ اللهِ فِيمَا زَوَى عَنِّي مِنَ الدُّنْيَا أَعْظَمُ مِنْ نِعْمَتِهِ عَلَيَّ فِيمَا أَعْطَانِي مِنْهَا، إِنِّي رَأَيْتُهُ أَعْطَاهَا قَوْمًا فَهَلَكُوا﴾ وعن يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبي حازم، أنه قال: ﴿تَجِدُ الرَّجُلَ يَعْمَلُ بِالْمَعَاصِي، فَإِذَا قِيلَ لَهُ تُحِبُّ الْمَوْتَ؟ قَالَ: لَا، وَكَيْفَ وَعِنْدِي مَا عِنْدِي. فَيُقَالُ لَهُ أَفَلَا تَتْرُكُ مَا تَعْمَلُ مِنَ الْمَعَاصِي، فَيَقُولُ مَا أُرِيدُ تَرْكَهُ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَمُوتَ حَتَّى أَتْرُكَهُ﴾ وعن سعيد بن عبد الرحمن، عن أبي حازم، قال:﴿إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ تَسُرُّهُ حِينَ يَعْمَلُهَا، وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ سَيِّئَةٍ أَضَرَّ لَهُ مِنْهَا، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ السَّيِّئَةَ حَتَّى تَسُوءَهُ حِينَ يَعْمَلُهَا، وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ حَسَنَةٍ أَنْفَعَ لَهُ مِنْهَا، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ تَسُرُّهُ حِينَ يَعْمَلُهَا، فَيَتَجَرَّ فِيهَا وَيَرَى أَنَّ لَهُ بِهَا فَضْلًا عَلَى غَيْرِهِ، وَلَعَلَّ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُحْبِطَهَا وَيُخِيطَ مَعَهَا عَمَلًا كَثِيرًا، وَإِنَّ الْعَبْدَ حِينَ يَعْمَلُ السَّيِّئَةَ تَسُوءُهُ حِينَ يَعْمَلُهَا، وَلَعَلَّ اللهَ تَعَالَى يُحْدِثُ لَهُ بِهَا وَجَلًا يَلْقَى اللهَ تَعَالَى وَإِنَّ خَوْفَهَا لَفِي جَوْفِهِ بَاقٍ﴾ وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال: ﴿قُلْتُ لِأَبِي حَازِمٍ يَوْمًا إِنِّي لَأَجِدُ شَيْئًا يُحْزِنُنِي قَالَ وَمَا هُوَ يَا ابْنَ أَخِي؟ قُلْتُ حُبِّي الدُّنْيَا، فَقَالَ لِي اعْلَمْ يَا ابْنَ أَخِي أَنَّ هَذَا الشَّيْءَ مَا أُعَاتِبُ نَفْسِي عَلَى حُبِّ شَيْءٍ حَبَّبَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَيَّ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ حَبَّبَ هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَيْنَا، وَلَكِنْ لِتَكُنْ مُعَاتَبَتُنَا أَنْفُسَنَا فِي غَيْرِ هَذَا أَنْ لَا يَدْعُونَا حُبُّهَا إِلَى أَنْ نَأْخُذَ شَيْئًا مِنْ شَيْءٍ يَكْرَهُهُ اللهُ، وَلَا أَنْ نَمْنَعَ شَيْئًا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّهُ اللهُ، فَإِذَا نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ لَا يَضُرُّنَا حُبُّنَا إِيَّاهَا﴾ ولما ثقل عبد الملك بن مروان رأى غسالاً يلوي بيده ثوباً فقال: وددت أني كنت غسالاً لا أعيش إلا بما أكتسبه يوماً فيوماً! فبلغ ذلك أبا حازم فقال: الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ولا نتمنى عنده ما هم فيه.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ تاريخ مدينة دمشق

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) ورجل من أشراف الناس [068]

يروى أن هشاماً غضب على رجل من أشراف الناس، فشتمه فوبخه الرجل وقال له: أما تستحي أن تشتمني وأنت خليفة الله في أرضه؟. فأطرق هشام واستحي وقال له: اقتص!. فقال: أنا إذاً سفيه مثلك! قال: فخذ عن ذلك عوضاً من المال. قال: ما كنت لأفعل!. قال: فهبها لله. قال: هي لله ثم لك! فنكس هشام رأسه وقال: والله لا أعود لمثلها.

قال هشام لخالد بن صفوان: [1] صف لي الأحنف بن قيس[2] قال: يا أمير المؤمنين، إن شئت أخبرتك عنه بثلاث وإن شئت باثنين وإن شئت بواحدة. فقال: أخبرني عنه بثلاث. قال: كان لا يحرص ولا يجهل ولا يدفع الحق إذا نزل به. قال: فأخبرني عنه باثنتين. قال: كان يؤثر الخير ويتوقى الشر! قال: فأخبرني عنه بواحدة. قال: كان أعظم الناس سلطاناً على نفسه. وقال أكثم بن صيفي: الغلبة والعز للحلم. وقال الأحنف: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال. وصدق الأحنف فإن من حلم كان الناس أنصاره. وقيل لخالد بن صفوان: أي إخوانك أحب إليك؟ قال: الذي يغفر زللي، ويقبل عللي، ويسد خللي. وهو القائل: ثلاثة يعرفون عند ثلاثة: الحليم عند الغضب، والشجاع عند اللقاء، والصديق عند النائبة.

قال الأحنف بن قيس: تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقري. إني لجالس معه في فناء بيته وهو يحدثنا إذ جاءت جماعة يحملون قتيلا، ومعهم رجل مأسور فقيل له: هذا ابنك قتله أخوك! فوالله ما قطع حديثه ولا حل حبوته حتى فرغ من منطقته، ثم أنشد: أقول لنفسي تصبيرا وتعزية: إحدى يدي أصابتني، ولم ترد كلاهما خلف من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه، وذا ولدي. ثم التفت إلى بعض ولده وقال: قم أطلق عمك ووار أخاك التراب، وسق إلى أمه مائة من الإبل فإنها غريبة. وسئل بعض أصحاب الأحنف: أكان الأحنف يغضب؟ قال: نعم، لو لم يغضب ما بان حلمه، كان يغضبه الشيء فيتبين في وجهه اليومين والثلاثة وهو يصبر ويحلم. ومن لم يغضب من الأشياء التي مثلها فقد فقد من الفضائل الشجاعة، والأنفة والحمية والدفاع والأخذ بالثأر والغيرة، فإن هذه الخصال نتائج الغضب، فمن فقد الغضب فقد فقد أس الفضائل. وقيل: عند فقد الشجاعة تكون المهانة، ومن المهانة يكون سفساف الأخلاق ورذالة الطباع، فلا يبقى لسائر فضائله موقع. وكان يقال: من لم يغضب فليس بحليم، لأن الحليم يعرف عند الغضب. قال الشافعي: من استغضب ولم يغضب فهو حمار، ومن استرضي ولم يرض فهو جبار. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يغضب، ولكنه إنما كان يغضب لا لنفسه بل عند انتهاك حرمة ربه. واعلم أن الله تعالى ما مدح من لم يغضب، وإنما مدح من كظم الغيظ فقال: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران].

يروى أن رجلا سب جعفر بن محمد[3]،فقال: أما ما قلت مما هو فينا فإنا نستغفر الله منه، وما قلت مما ليس فينا فإنا نكلك فيه إلى الله تعالى. قيل: جاءت جارية لأبي عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب بقصعة من ثريد تقدمها إليه، وعنده قوم فأسرعت بها فسقطت من يدها فانكسرت فأصابه وأصحابه مما كان فيها فارتاعت الجارية عند ذلك فقال لها: أنت حرة لوجه الله تعالى، لعله أن يكون كفارة للروع الذي أصابك!.

قال الأصمعي: دفع أزدشير[4] إلى رجل كان يقوم على رأسه كتابا وقال: إذا رأيتني قد اشتد غضبي فادفعه إلي. فكان فيه: اسكن فلست بإله، إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا، وتصير عن قريب للدود والتراب! وهذه السيرة أول من سنها ملك تبع، أمر أن يكتب في كتاب: اسكن فلست بإله! وقال لصاحبه: إذا غضبت فاعرضه علي. فكان إذا غضب عرضه عليه، فإذا قرأه سكن غضب. وقيل للإسكندر:[4] إن فلانا وفلانا ينقصانك ويثلبانك فلو عاقبتهم! فقال: هم بعد العقوبة أعذر في ثلبي وتنقيصي.

---

(1) خالد بن صفوان بن الأهتم أبو صفوان المنقري، العلامة، البليغ، فصيح زمانه، أبو صفوان المنقري، الأهتمي، البصري. روى عنه شبيب بن شيبة، وإبراهيم بن سعد، وغيرهما. ولد بالبصرة وتوفي سنة 135 هـ.

(2) الأحنف، أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة ابن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي، المعروف بالأحنف، وقيل اسمه صخر، وكان سيد قومه (زعيم قائد)، موصوفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. والحارث المذكور لقبه مقاعس.كان من سادات التابعين؛ أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتيمرة، روى عن عمر وعثمان وعلي، وروى عنه الحسن البصري وأهل البصرة، وشهد مع علي رضي الله عنه وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان. وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة 67 هـ وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ وقيل 77 هـ عن 70 سنة، والأول أشهر، ودفن بالثوية عند قبر زياد (وهو اسم موضع بظاهر الكوفة فيه قبور جماعة من الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم، وفيه ماء).

(3) أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين؛ أحد الأئمة الاثني عشر عند مذهب الإمامية، وكان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالته وفضله أشهر من أن يذكر، وله كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفأل، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتابا يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسائة رسالة. وكانت ولادته سنة 80 هـ، وهي سنة سيل الجحاف، وقيل: بل ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس ثامن شهر رمضان سنة 83 هـ. وتوفي في شوال سنة 148 هـ بالمدينة، ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي، فلله دره من قبر ما أكرمه وأشرفه.وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، رضي الله عنهم أجمعين.

(4) أزدشير هو أردشير الأول، أردشير بن بابك بن ساسان. الإسكندر هو الملك العادل ذو القرنين، أو هو: الإسكندر الأكبر، والله أعلم

قال مالك: بلغني أن أبا بكر الصديق لما ولي الخلافة ضرب رجلاً ثم ندم وقال: مالي ولهذا ألا رددتها عليهم؟. فسمعته أم المؤمنين عائشة فأرسلت إلى عمر، فجاءه عمر فقال له: إني قد ضربت رجلاً وقد كنت معافى من هذا أن أضرب أحداً. فقال له عمر كذلك الإمام. قال: فما المخرج؟. قال: أن نأتي الرجل فنسأله أن يجعلك في حل. فأتياه فاستحلاه. دلت الآثار على أن الأمير والمأمور في القصاص سواء، إذا جنى أحدهما على الآخر، وإن الأمير إذا ظلم المأمور زال تأمره عليه في ذلك المعنى، وكان الأمير في ذلك المعنى كبعض المؤمر عليهم حتى يتحاكموا إلى السلطان الأعظم. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن أبا بكر الصديق قام يوم جمعة فقال: إذا كان بالغداة فأحضروا صدقات الإبل نقسم، ولا يدخل علينا أحد إلا بإذن. فقالت إمرأة لزوجها: خذ هذا الخطام (الحبل) لعل الله يرزقنا جملا. أتى الرجل فوجد أبا بكر، وعمر قد دخلا إلى الإبل فدخل معهما. فالتفت أبو بكر فقال: ما أدخلك علينا؟ ثم أخذ منه الخطام فضربه. فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل دعا بالرجل فأعطاه الخطام، وقال: إستقد (اقتص). قال له عمر: والله لا يستقيد، لا تجعلها سنة. قال أبو بكر: فمن لي من الله يوم القيامة؟ فقال عمر: أرضه؛ فأمر أبو بكر غلامه أن يأتيه برواحلها ورحلها وقطيفة، وخمسة دنانير فأرضاه بها.

عن سلمة بن الأكوع قال : كنا إذا رأينا الرجل يلعن أخاه رأينا أنه قد أتى بابا من الكبائر . قال رجل كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز، فذكر الحجاج فشتمته، فقال عمر:﴿إِنَّ الرَّجُلَ لَيَظْلِمُ بِالْمَظْلَمَةِ فَلَا يَزَالُ الْمَظْلُومُ يُشَمِّمُ الظَّالِمُ وَيَسُبُّهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ حَقَّهُ فَيَكُونُ لِلظَّالِمِ الْفَضْلَ عَلَيْهِ﴾ وعن أبي هريرة، قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين قال:﴿إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً﴾ وعنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿اللهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ، أَوْ لَعَنْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً﴾ روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:﴿سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِطَعَّانٍ، وَلَا بِلَعَّانٍ، وَلَا الْفَاحِشِ الْبَذِيءِ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَمَالِهِ، فَلْيَسْتَحِلَّهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِهِ حِينَ لَا دِينَارَ وَلَا دِرْهَمَ، فَإِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَتْ عَلَيْهِ﴾ (فليستحله) أي ليسأله أن يجعله في حل من قبله، يقال: تحللته: إذا سالته أن يجعلك في حل، معناه: أن يقطع دعواه، ويترك مظلمته. وعن جابر،قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّهُ لَيَأْتِي الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ سَرَّتْهُ حَسَنَاتُهُ، فَيَجِيءُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، ظَلَمَنِي هَذَا، فَيُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَيُجْعَلُ فِي حَسَنَاتِ الَّذِي سَأَلَهُ، فَمَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى مَا تَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِذَا جَاءَ مَنْ يَسْأَلُهُ، نَظَرَ إِلَى سَيِّئَاتِهِ فَجُعِلَتْ مَعَ سَيِّئَاتِ الرَّجُلِ، فَلَا يَزَالُ يُسْتَوْفَى مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَتُرَدُّ عَلَيْهِ سَيِّئَاتُ مَنْ ظَلَمَهُ، فَمَا يَزَالُ يُسْتَوْفَى مِنْهُ حَتَّى يَدْخُلَ النَّارَ﴾ وعن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم﴿يَجِيءُ الظَّالِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ بَيْنَ الظُّلْمَةِ، وَالْوَعْرَةِ لَقِيَهُ الْمَظْلُومُ فَعَرَفَهُ، وَعَرَفَ مَا ظَلَمَهُ بِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الَّذِينَ ظُلِمُوا يَقْصُونَ مِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا، حَتَّى يَنْزِعُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَسَنَاتٌ أُدْرِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ مِثْلُ مَا ظَلَمُوا، حَتَّى يُورِدُوا الدَّرَكَ الْأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الدَّوَاوِينُ عِنْدَ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، ثَلَاثَةٌ: دِيوَانٌ لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئًا، وَدِيوَانٌ لَا يَتْرُكُ اللهُ مِنْهُ شَيْئًا، وَدِيوَانٌ لَا يَغْفِرُهُ اللهُ؛ فَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللهُ فَالشِّرْكُ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ [المائدة] وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئًا، فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، مِنْ صَوْمِ يَوْمٍ تَرَكَهُ، أَوْ صَلَاةٍ تَرَكَهَا، فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ ذَلِكَ، وَيَتَجَاوَزُ إِنْ شَاءَ، وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ اللهُ مِنْهُ شَيْئًا فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، الْقِصَاصُ لَا مَحَالَةَ﴾ وعن أبي فراس، قال: خَطَبَ عمر ابن الخطاب، فقال: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي وَاللهِ مَا أُرْسِلُ عُمَّالِي إِلَيْكُمْ لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَكُمْ، وَلا لِيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ، وَلَكِنِّي أُرْسِلُهُمْ إِلَيْكُمْ لِيُعَلِّمُوكُمْ دِينَكُمْ وَسُنَّتَكُمْ، فَمَنْ فُعِلَ بِهِ شَيْءٌ سِوَى ذَلِكَ فَلْيَرْفَعْهُ إِلَيَّ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِذًا لأُقِصَّنَّهُ مِنْهُ، فَوَثَبَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى رَعِيَّةٍ، فَأَدَّبَ بَعْضَ رَعِيَّتِهِ، أَئِنَّكَ لَمُقْتَصُّهُ مِنْهُ؟ قَالَ: إِي وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ، إِذًا لأُقِصَّنَّهُ مِنْهُ، أَنَّى لا أُقِصَّنَّهُ مِنْهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقِصُّ مِنْ نَفْسِهِ؟ ألا لا تَضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ فَتُذِلُّوهُمْ، وَلا تُجَمِّرُوهُمْ فَتَفْتِنُوهُمْ، وَلا تَمْنَعُوهُمْ حُقُوقَهُمْ فَتُكَفِّرُوهُمْ، وَلا تُنْزِلُوهُمُ الْغِيَاضَ فَتُضَيِّعُوهُمْ﴾ وعنه أنه قال:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ عَظَّمَ حَقَّهُ فَوْقَ حَقِّ خَلْقِهِ فَقَالَ فِيمَا عَظَّمَ مِنْ حَقِّهِ: وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران] أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَبْعَثْكُمْ أُمَرَاءَ وَلَا جَبَّارِينَ وَلَكِنْ بَعَّثْتُكُمْ أَئِمَّةَ الْهُدَى يَهْتَدِي بِكُمْ فَأَذِرُّوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ حُقُوقَهُمْ وَلَا تَضْرِبُوهُمْ فَتُفْتِنُوهُمْ وَلَا تُغْلِقُوا الْأَبْوَابَ دُونَهُمْ فَيَأْكُلَ قَوِيُّهُمْ ضَعِيفَهُمْ، وَلَا تَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ فَتَظْلِمُوهُمْ وَلَا تَجْهَلُوا عَلَيْهِمْ وَقَاتِلُوا بِهِمُ الْكُفَّارَ طَاقَتَهُمْ فَإِذَا رَأَيْتُمْ بِهِمْ كَلَالَةً فَكُفُّوا عَنْ ذَلِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ أَبْلَغُ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ إِنِّي أَشْهَدُكُمْ عَلَى عُلَمَاءِ الْأَمْصَارِ أَنِّي لَمْ أَبْعَثْهُمْ إِلَّا لِيُفَقِّهُوا النَّاسَ فِي دِينِهِمْ وَيُقْسِمُوا عَلَيْهِمْ فَيْئَهُمْ وَيُحْكِمُوا بَيْنَهُمْ فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ رَفَعُوهُ إِلَيَّ﴾ وعن سالم قال: ﴿كَانَ عُمَرُ إِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَنَهَى النَّاسَ عَنْ شَيْءٍ جَمَعَ أَهْلَهُ، فَقَالَ: إِنِّي نَهَيْتُ النَّاسَ عَنْ كَذَا وَكَذَا، وَإِنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ إِلَيْكُمْ نَظَرَ الطَّيْرِ - يَعْنِي إِلَى اللَّحْمِ - وَأُقْسِمُ بِاللهِ لَا أَجِدُ أَحَدًا مِنْكُمْ فَعَلَهُ إِلا أَضْعَفْتُ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ﴾ وكان عمر يقول: لا يصلح أن يلي أمور الناس إلا حصيف العقل وافر العلم قليل الغرة بعيد الهمة، شديد في غير عنف لين في غير ضعف، جواد في غير سرف لا يخاف في الله لومة لائم.

مراجع: سراج الملوك/ صحيح البخاري/ البداية والنهاية/ مسند أحمد/ أسد الغابة

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) وأعرابي [069]

روي أن أعرابياً قام بين يدي هشام بن عبد الملك فقال له: أيها الأمير أتت على الناس سنون ثلاثة: أما الأولى فأكلت اللحم، وأما الثانية فأذابت الشحم، وأما الثالثة فهاضت العظم، وعندك فضول أموال فإن كانت لله فأقسمها بين عباد الله، وإن كانت لهم فلم تحظر عليهم؟ وإن كانت لكم فتصدقوا إن الله يجزي المتصدقين. فأمر هشام بمال فقسم بين الناس وأمر للأعرابي بمال. فقال: أكل المسلمين له مثل هذا المال؟ قال: لا يقوم بذلك بيت المال. قال: لا حاجة لي فيما يبعث لأئمة الناس على أمير المؤمنين. قيل: أتى أعرابي عمر بن عبد العزيز فقال: رجل من أهل البادية، ساقته إليك الحاجة، وبلغت به الغاية، والله سائلك عن مقامي هذا. فقال عمر. ما سمعت أبلغ من قائل ولا أوعظ لمقول له من كلامك هذا.

قال الأصمعي:[1] وقفت أعرابية فقالت: يا قوم، سنة جردت وأيد جدت، وحال أجهدت؛ فهل من فاعل لخير، وآمر بمبر؟ رحم الله من رحم، وأقرض من يقرض. وقال: أصابت الأعراب أعوام جدبة وشدة وجهد، فدخلت طائفة منهم البصرة وبين أيديهم أعرابي وهو يقول: أيها الناس، إخوانكم في الدين، وشركاؤكم في الإسلام، عابرو سبيل، وفلال بؤس، وصرعى جدب، تتابعت علينا سنون ثلاثة، غيرت النعم وأهلكت النعم، فأكلنا ما بقي من جلودها فوق عظامها فلم نزل نعلل بذلك أنفسنا، ونمني بالغيث قلوبنا، حتى عاد محنا عظاما، وعاد إشراقنا ظلاما، وأقبلنا إليك يصرعنا الوعر، ويكتنا السهل، وهذه آثار مصائبنا، لائحة في سماتنا، فرحم الله متصدقا من كثير، ومواسيا من قليل، فلقد عظمت الحاجة، وكسف البال وبلغ المجهود، والله يجزي المتصدقين. وقال: كنت في حلقة بالبصرة إذ وقف علينا أعرابي سائلا، فقال: أيها الناس، إن الفقر يهتك الحجاب، ويبرز الكعاب؛ وقد حملتنا سنو المصائب، ونكبات الدهور، على مركبها الوعر، فواسوا أبا أيتام، ونضو زمان، وطريد فاقة، وطريح هلكة، رحمكم الله.

➔ الأصمعي، عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي. راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، له تصانيف كثيرة في اللغة والشعر منها الأصمعيات. ولد في البصرة سنة 122 هـ وتوفي سنة 216 هـ .كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جدا. وكان هارون الرشيد يسميه شيطان الشعر. وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة.

كان عمر يضرب بطنه عام الرمادة ويقول:﴿فَرَقِرْ أَوْ لَا تُفَرْقِرْ، وَاللَّهِ لَا سَمْنًا وَلَا سَمِينًا حَتَّى يُخْصِبَ النَّاسُ﴾ وقد أجدب الناس في هذه السنة بأرض الحجاز، وجفلت الأحياء إلى المدينة ولم يبق عند أحد منهم زاد، فلجئوا إلى أمير المؤمنين فأنفق فيهم من حواصل بيت المال مما فيه من الأطعمة والأموال حتى أنفده، وألزم نفسه أن لا يأكل سمنا ولا سمينا حتى يكشف ما بالناس، فكان في زمن الخصب يبس له الخبز باللبن والسمن، ثم كان عام الرمادة يبس له بالزيت والخل، وكان يستمرئ الزيت، وكان لا يشبع مع ذلك، فاسود لون عمر رضي الله عنه، وتغير جسمه حتى كاد يخشى عليه من الضعف. واستمر هذا الحال في الناس تسعة أشهر، ثم تحول الحال إلى الخصب والدعة، وانشمر الناس عن المدينة إلى أماكنهم. وفي عام الرمادة أمَر يوماً بنحر جَزورٍ، وتوزيع لحمه على أهل المدينة! وعند الغداء وَجَدَ عمرُ أمامه سَنامَ الجزور وكَبِدَه، وهما أطيب ما فيه، فقال: من أين هذا ؟ قيل: من الجزور الذي ذُبح اليوم، قال: بخٍ بخٍ، بئس الوالي أنا إن طَعِمتُ أطْيَبَها، وتركتُ للناس كَرَادِيسَها. يعني: عظامها. ثم نادى خادمه أسلم، وقال له: يا أسلم، ارفع هذه الجَفنةَ، وائتني بخبزٍ وزيت. وعن شرحبيل بن مسلم أن عثمان كان يطعم الناس طعام الإمارة ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت. وعن عبد الله بن زُرير الغافقي قال: ﴿دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ – قَالَ حَسَنٌ: يَوْمَ الْأَضْحَى – فَقَرَّبَ إِلَيْنَا خَزِيرَةً، فَقُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللهُ، لَوْ قَرَّبْتَ إِلَيْنَا مِنْ هَذَا الْبَطِّ – يَعْنِي الْوَزَّ – فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَكْثَرَ الْخَيْرَ. فَقَالَ: يَا ابْنَ زُرَيْرٍ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا يَحِلُّ لِلْخَلِيفَةِ مِنْ مَالِ اللهِ إِلَّا قَصْعَتَانِ؛ قَصْعَةٌ يَأْكُلُهَا هُوَ وَأَهْلُهُ، وَقَصْعَةٌ يَضَعُهَا بَيْنَ يَدَيِ النَّاسِ﴾ (خزيرة) لحم يقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذر عليه الدقيق، فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة. وأكل أبو بكر، وعمر (أكل) أي أخذ أجرا من بيت مال المسلمين على قيامهما بمصالحهم أيام خلافتهما. قالت أم المؤمنين عائشة:﴿يَأْكُلُ الْوَصِيُّ بِقَدْرِ عُمَالَتِهِ﴾ (الوصي) الذي يقوم على مال اليتيم بما يصلحه (عمالته) أجرة عمله. وعن طريف أبي تميمة، قال:﴿شَهِدْتُ صَفْوَانَ وَجُنْدَبًا وَأَصْحَابَهُ وَهُوَ يُوصِيهِمْ، فَقَالُوا: هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالُوا: أَوْصِنَا، فَقَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يُبْتَنُ مِنَ الْإِنْسَانِ بَطْنُهُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَأْكُلَ إِلَّا طَيِّبًا فَلْيَفْعَلْ، وَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَحُالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ بِمِلْءِ كَفِّهِ مِنْ دَمٍ أَهْرَاقَهُ فَلْيَفْعَلْ﴾ قلت لأبي عبد الله: من يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جندب، قال: نعم جندب (سمع) عمل للسمعة والفخر وقيل أشاع عيوب المؤمنين (سمع الله به) يظهر الله للناس سريرته. ويملأ أسماعهم بما ينطوي عليه من خبث السرائر جزاء لفعله (شاق) ضلل الناس وحملهم على ما يشق عليهم أو أثار الخلاف بينهم أو كشف مساوئهم ومعايبهم (أهراقه) أساله بغير حق. وعن حويطب بن عبد العزى:﴿أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ السَّعْدِيِّ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ فِي خِلَافَتِهِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَلَمْ أُحَدَّثْ أَنَّكَ تَلِي مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ أَعْمَالًا، فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعُمَالَةَ كَرِهْتَهَا، فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ عُمَرُ: فَمَا تُرِيدُ إِلَى ذَلِكَ، قُلْتُ: إِنَّ لِي أَفْرَاسًا وَأَعْبُدًا وَأَنَا بِخَيْرٍ، وَأُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عُمَالَتِي صَدَقَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ، قَالَ عُمَرُ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الَّذِي أَرَدْتَ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ، فَأَقُولُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، حَتَّى أَعْطَانِي مَرَّةً مَالًا، فَقُلْتُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُذْهُ، فَتَمَوَّلْهُ، وَتَصَدَّقْ بِهِ، فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ، وَإِلَّا فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ﴾ وعن عبد الله بن عمر قال: ﴿سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِينِي العَطَاءَ، فَأَقُولُ أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، حَتَّى أَعْطَانِي مَرَّةً مَالًا، فَقُلْتُ: أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُذْهُ، فَتَمَوَّلْهُ، وَتَصَدَّقْ بِهِ، فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا المَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سَائِلٍ فَخُذْهُ، وَمَالاَ فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ﴾ (تلي) تتولى القيام بشيء من الأعمال لهم كالقضاء ونحوه (ما تريد) ما هو قصدك من فعل هذا. وعن عمر قال:﴿عَمِلْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَمَّلَنِي﴾ (عملت) أي عملا من أعمال الإمارة (على عهد) أي في زمانه وبأمره (فعملني) أي أعطاني العمالة، قال التوربشتي: أي أعطاني عمالتي وأجرة عملي، وكذا أعملني، وقد يكون عملني بمعنى ولاني وأمرني. قال الطيبي: الوجه هو الأول إذ التقدير عملت في أمر المسلمين ومصالحهم عملا فأعطاني عمالتي، والثاني لا يناسب الباب. وعن أم المؤمنين عائشة قالت: ﴿لَمَّا اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: لَقَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنَّ حِرْفَتِي لَمْ تَكُنْ تَعْجِزُ عَنْ مُئُونَةِ أَهْلِي، وَشُغِلْتُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَسَيَأْكُلُ آلُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ، وَيَحْتَرِفُ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ﴾ (لما استخلف أبو بكر) أي جعل خليفة (لقد علم قومي) قيل أراد بهم قريشا، والأظهر أنه أراد به المسلمين (أن حرفتي) وهي ما كان يشتغل به من التجارة قبل الخلافة (عن مئونة أهلي) أي نفقة عيالي وقد اشتغلت (بأمر المسلمين) وفي نسخة بأمور المسلمين؛ أي بإصلاح أمورهم، فلا سبيل إلى التفرغ للتجارة (فسيأكل) أي ينتفع (آل أبي بكر) أي تبعا له، والمراد أهله وعياله وفيه التفات (من هذا المال) إشارة إلى الحاضر في الذهن، وهو مال بيت المال للمسلمين (ويحترف) أي أبو بكر (للمسلمين فيه) أي في مقابلة ما أكل من المال عوضا له، قال التوربشتي: فرض رضي الله عنه لنفسه مدين من طعام وإداما زيتا، أو نحوه، وإزارا ورداء في الصيف، وفروة، أو جبة في الشتاء، وظهرا معينا لحاجته في السفر والحضر. قال المظهر: وفيه بيان أن للعامل أن يأخذ من عرض المال يعمل فيه قدر ما يستحقه لعمالته إذا لم يكن فوقه إمام يقطع له أجرة معلومة. يقول أبو بكر لعائشة حين حضره الموت: أما إنَّا منذ وُلِّينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً، ولكنَّا قد أكلنا من جريش* طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فيء المسلمين قليلٌ ولا كثيرٌ إلا هذا العبد الحبشي وهذا البعير الناضح وجَرْدَ من القطيفة، فإذا مِتُّ فابعثي بهم إلى عُمر وأبرئ منهم ففعلت، فلما جاء رسولُ أبي بكر عمرَ بكى حتى جعلتْ دموعُه تسيل في الأرض، ويقول: رحِم الله أبا بكر! لقد أتعب مَن بعده رحم الله أبا بكر! لقد أتعب مَن بعده.

عن صالح بن كيسان قال: قال ابن عباس: دخلت على عمر في أيام طعنته وهو مضطجع على وسادة من أدم، وعنده جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال له رجل؛ ليس عليك بأس! قال: لئن لم يكن علي اليوم ليكونن بعد اليوم. وإن للحياة لنصيبا من القلب، وإن للموت لكربة، وقد كنت أحب أن أنجي نفسي وأنجو منكم، وما كنت من أمركم إلا كالغريق يرى الحياة فيرجوها ويخشى أن يموت دونها، فهو يركض بيديه ورجليه، وأشد من الغريق الذي يرى الجنة والنار وهو مشغول. ولقد تركت زهرتكم كما هي ما لبستها فأخلقتها، وثمرتكم يانعة في أكمامها ما أكلتها، وما جنيت ما جنيت إلا لكم، وما تركت ورائي درهما ما عدا ثلاثين أو أربعين درهما. ثم بكى وبكى الناس معه، فقلت: يا أمير المؤمنين، أبشر، فو الله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض، ومات أبو بكر وهو عنك راض، وإن المسلمين رضوان عنك. قال: المغرور والله من غررتموه؛ أما والله لو أن لي ما بين المشرق والمغرب لافتديت به من هول المطلع.

* (الجريش): غليظ الطعام.

مراجع: البداية والنهاية / مسند أحمد/ صحيح البخاري/ سراج الملوك/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ العقد الفريد

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) والأعمش [070]

بعث هشام بن عبد الملك إلى الأعمش[1] أن اكتب لي مناقب عثمان ومساوئ علي، فأخذ الأعمش القرطاس وأدخلها في فم شاة فلاكتها، وقال لرسوله: قل له هذا جوابك، فقال له الرسول: إنه قد آلى أن يقتلني إن لم آته بجوابك، وتحمل عليه بإخوانه، فقالوا له: يا أبا محمد أنقذه من القتل، فلما ألحوا عليه كتب له: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد يا أمير المؤمنين، فلو كانت لعثمان رضي الله عنه مناقب أهل الأرض ما نفعتك، ولو كانت لعلي رضي الله عنه مساوئ أهل الأرض ما ضرتك، فعليك بخويصة نفسك، والسلام. قال عيسى بن يونس:[2]ما رأيت الأغنياء والسلاطين عند أحد أحقر منهم عند الأعمش مع فقره وحاجته. وقال حميد: سمعت أبي يقول: سمعت الأعمش يقول: لا تشتروا اللؤلؤ تحت أظلاف الخنازير، يعني: لا تبذلوا العلم لمن لا يستحقه. وسأل منصور بن أبي الأسود: [3] الأعمش عن قوله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام] ما سمعتهم يقولون فيه؟ قال: سمعتهم يقولون: إذا فسد الناس أمر عليهم شرارهم.

حج هشام بن عبد الملك في خلافة عبد الملك أو الوليد، فطاف بالبيت وأراد أن يستلم الحجر فلم يقدر عليه من الزحام، فنصب له منبر، فجلس عليه، وأطاف به أهل الشام. فبينا هو كذلك إذ أقبل علي بن حسين [4]،عليه إزار ورداء، أحسن الناس وجها، وأطيبهم رائحة، بين عينيه سجادة كأنها ركبة عنز، فجعل يطوف بالبيت، فإذا بلغ إلى موضع الحجر تنحى الناس له عنه حتى يستلمه هيبة له وإجلالا، فغاظ ذلك هشاما، فقال رجل من أهل الشام لهشام: من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة فأفرجوا له عن الحجر؟ فقال هشام: لا أعرفه، لئلا يرغب فيه أهل الشام؛ فقال الفرزدق[5] وكان حاضرا: لكني أعرفه، فقال الشامي: من هو يا أبا فراس؟ فقال الفرزدق: هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم ... هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم ... إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم ... [من البسيط]. قال: فغضب هشام، وأمر بحبس الفرزدق، فحبس بعسفان بين مكة والمدينة، فبلغ ذلك علي بن الحسين، فبعث إلى الفرزدق باثني عشر ألف درهم، وقال: اعذر أبا فراس، لو كان عندنا أكثر منها لوصلناك بها. فردها وقال: يا بن رسول الله: ما قلت الذي قلت إلا غضبا لله ولرسوله ما كنت لأرزأ عليها شيئا. فردها إليه، وقال: بحقي عليم لما قبلتها، فقد رأى الله مكانك، وعلم نيتك، فقبلها وهجا هشاما، فكان مما قال فيه: يحبسني بين المدينة والتي ... إليها قلوب الناس يهوي منيبها...يقلب رأسا لم تكن رأس سيد ... وعينين حولاوين باد عيوبها... [من الطويل]

---

(1) أبو محمد سليمان بن مهران مولى بني كاهل من ولد أسد، المعروف بالأعمش الكوفي الإمام المشهور؛ كان ثقة عالماً فاضلاً، وكان ابوه من دنباوند (ناحية من رستاق الري في الجبال)، وقدم الكوفة وامرأته حامل بالأعمش فولدته بها؛ قال السمعاني: وهو لا يعرف بهذه النسبة، بل يعرف بالكوفي، وكان يقارن بالزهري في الحجاز، ورأى أنس ابن مالك وكلمه، ولكنه لم يزرق السماع عليه، وما يرويه عن أنس فهو إرسال أخذه عن أصحاب أنس. سمع داود بن سويد وأبا وائل وإبراهيم التميمي وسعيد بن جبير ومجاهداً والنخعي، وروى عن عبد الله بن أبي أوفى حديثاً واحداً، ولقي كبار التابعين، وروى عنه سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وحفص بن غياث وخلق كثير من جلة العلماء. قيل ولد بالكوفة في عاشوراء سنة 61 هـ وتوفي في ربيع الأول سنة 148هـ بالكوفة. وقيل سنة147 هـ، وقيل سنة 149 هـ.

عن أبي بكر بن عياش قال: دخلت على الأعمش في مرضه الذي توفي فيه، فقلت: أدعو لك الطبيب؟ قال: ما أصنع به؟ لو كانت نفسي معي لطرحتها في الخش، إذا أنا مت فلا تؤذنن بي أحدا، واذهب بي واطرحني في لحدي. قال ابن المديني: للأعمش نحو ألف وثلاثمائة حديث. قال وكيع بن الجراح: كان الأعمش قريبا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى. وقال عمر بن علي: كان الأعمش يسمى المصحف من صدقه.

(2) عيسى بن يونس بن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله الهمداني، الإمام، القدوة، الحافظ، الحجة، أبو عمرو، وأبو محمد الهمداني، السبيعي، الكوفي، المرابط بثغر الحدث، أخو الحافظ إسرائيل.، من الثامنة، قيل مات في نصف شعبان سنة 87 هـ وقيل: سنة 91 هـ. وقال المروذي: عن أحمد: ثبت، وكنا نخبر أنه سنة في الغزو، وسنة في الحج، وقد قدم بغداد في شيء من أمر الحصون، فأمر له بمال، فأبى أن يقبله.

(3) منصور بن أبي الأسود، مولى لبني ليث، واسمه فيما قيل: حازم الليثي الكوفي. شيعي لكنه صدوق، وكان تاجرا، وكان كثير الحديث.وهو أخو الأسود بن أبي الأسود.

(5) همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية ابن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم أبو فراس بن أبي خطل التميمي البصري الشاعر، المعروف بالفرزدق، صاحب جرير. وفد على معاوية يطلب ميراث عمه الحتات، ووفد على الوليد بن عبد الملك، وعلى هشام بن عبد الملك. أرسل عن علي، ويروي عن أبي هريرة، والحسين، وابن عمر، وأبي سعيد، وطائفة. وعنه الكميت، ومروان الأصفر، وخالد الحذاء، وأشعث الحمراني، والصعق بن ثابت، وابنه لبطة، وحفيده أعين بن لبطة.ولد الفرزدق سنة 38 هـ و توفي في البصرة سنة 110 هـ.

(4) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.ولد في المدينة المنورة سنة 38 هـ وتوفي فيها سنة 72 هـ، وقيل: سنة 95 هـ، ودفن بالبقيع.

قال أنس بن مالك: يقولون لا يجتمع حب علي وعثمان في قلب رجل مؤمن كذبوا والله لقد جمع الله حبهما في قلوبنا. وعن عمر بن ذر، قال: إني لقائم مع الشعبي ذات يوم فأتاه رجل فقال: ما تقول في علي وعثمان؟ فقال: إني لغني أن يطلبني علي وعثمان يوم القيامة بمظلمة. وكان ابن عمر، يقول: لا تسبوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره. وعن ابن أبي مليكة قال: ما خص عمر أحدا من أهل الشورى دون أحد إلا أنه خلا بعلي وعثمان كل واحد منهما على حدة فقال: يا فلان اتق الله فإن ابتلاك الله بهذا الأمر فلا ترفع بني فلان على رقاب الناس وقال للآخر مثل ذلك. وعن حسن بن محمد قال: قال عمر لعثمان: اتق الله وإن وليت شيئا من أمور الناس فلا تحمل بني أبي معيط على رقاب الناس وقال لعلي: اتق الله، وإن وليت شيئا من أمور الناس فلا تحمل بني هاشم على رقاب الناس.

عن عمرو بن شرحبيل، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ يُعْطُونَ الشَّهَادَةَ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلُوهَا﴾ وعن عبد الله بن مولة، قال: كنت أسير مع أبي بردة الأسلمي فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَكُونُ فِيهِمْ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَتُهُمْ أَيْمَانَهُمْ وَأَيْمَانُهُمْ شَهَادَتَهُمْ﴾.

اشتهر الأعمش بين الناس بالقناعة وعزة النفس والشجاعة في الحق، وكثرة ذكره للموت. وعرف بين أصحابه ومعاصريه بظرفه وفكاهته، فقد جاءه أصحاب الحديث يوما ليسمعوا عليه، فخرج إليهم، وقال: لولا أن في منزلي من هو أبغض إلي منكم ما خرجت إليكم. وأراد إبراهيم النخعي أن يماشيه فقال الأعمش: إن الناس إذا رأونا معاً قالوا: أعور وأعمش، قال النخعي: وما عليك أن نؤجر ويأثموا فقال له الأعمش: وما عليك أن يسلموا ونسلم. وجاء رجل يطلبه في منزله ووصل وقد خرج مع امرأته إلى المسجد فجاء فوجدهما في الطريق فقال: أيكما الأعمش فقال الأعمش: هذه، وأشار إلى المرأة. وطلبه رجل يقال له أبو ليلى مكفوف ليصلح بينه وبين زوجته، فقال الرجل لزوجته: لا تنظري إلى عموشة عينيه، وخوشة ساقيه، فإنه إمام. فقالت: ما لديوان الرسائل أريده. فقال الأعمش: يا أعمى، أعمى الله قلبك كما أعمى عينيك، قد أخبرتها بعيوبي كلها؛ اخرج من بيتي.

قال محمد بن حميد، حدثنا جرير قال: جئنا الأعمش يوما فوجدناه قاعدا في ناحية فجلسنا في ناحية أخرى وفي الموضع خليج من ماء المطر، فجاء الأعمش رجل عليه، فلما بصر بالأعمش وعليه فروة حقيرة قال: قم فعبرني هذا الخليج، وجذب يده وأقامه وركبه وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ فمضى به الأعمش حتى توسط به الخليج فرمى به وقال: ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ ثم خرج وترك الأسود يخبط في الماء. ويقال إن الإمام أبا حنيفة عاده يوما في مرضه، فطول القعود عنده، فلما عزم على القيام قال له: ما كأني إلا ثقلت عليك، فقال: والله إنك لتثقل علي وأنت في بيتك. وعاده أيضا جماعة فأطالوا الجلوس عنده فضجر منهم، فأخذ وسادته وقام وقال: شفى الله مريضكم بالعافية؛ وقيل عنده يوما: قال صلى الله عليه وسلم: من نام عن قيام الليل بال الشيطان في أذنه. فقال: ما عمشت عيني إلا من بول الشيطان في أذني. وكانت له نوادر كثيرة. رحمه الله.

قال أبو جعفر محمد بن علي:[1] قال لي أبي: يا بني انظر، خمسة لا تحادثهم ولا تصاحبهم، ولا تر معهم في طريق. قلت: يا أبت، من هؤلاء الخمسة؟ قال: إياك ومصاحبة الفاسق فإنه بائعك بأكلة وأقل منها، قلت: وما أقل منها؟ قال: الطمع فيها ثم لا يناها. وإياك ومصاحبة البخيل فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه. وإياك ومصاحبة الكذاب، فإنه بمنزلة السراب، يقرب منك البعيد ويباعد عنك القريب. وإياك ومصاحبة الأحمق، فإنه يحضرك، يريد أن ينفعك فيضرك. وإياك ومصاحبة القاطع لرحمه، فإن وجدته ملعونا في كتاب الله في ثلاثة مواضع: في الذين كفروا﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ إلى آخر الآية وفي الرعد: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ الآية وفي البقرة:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ إلى آخر الآيتين.

وكان يقول: اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لوامع العيون علانيتي، وتقبح في خفيات الغيوب سريرتي. اللهم كما أسأت وأحسنت إلي وإذا عدت فعد علي. وكان يقول: إن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وقوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار. قال علي بن الحسين: إن للحق دولة على العقل، وللمنكر دولة على المعروف، وللشر دولة على الخير، وللجهل دولة على الحلم، وللجزع دولة على الصبر، وللخرق دولة على الرفق، وللبؤس دولة على الخصب، وللشدة دولة على الرخاء، وللرغبة دولة على الزهد، وللبيوتات الخبيثة دولة على بيوتات الشرف، وللأرض السبخة دولة على الأرض العذبة، وما من شيء إلا وله دولة، حتى تنتضي دولته، فتعوذوا بالله من تلك الدول، ومن الحيات في النعمات. وله أحاديث ومناقب كثيرة . رحمه الله.

---

[1] أبو جعفر محمد بن علي الباقر، ولد سنة 57 هـ في المدينة المنورة وتوفي فيها سنة 114 هـ

مراجع: شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ البصائر والذخائر/ من أعلام السلف/ وفيات الأعيان/ مصنف ابن أبي شيبة/ صفة الصفوة/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ مختصر تاريخ دمشق

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) وابن شهاب الزهري وسليمان بن يسار [071]

قال ابن أبي ذئب:[1] ضاقت حال الزهري[2] ورهقه دين، فخرج إلى الشام فجالس حويصة بن ذؤيب. قال ابن شهاب: فبينا نحن معه نسمر إذ جاءه رسول لـ عبد الملك بن مروان، فذهب به إليه ثم رجع، فقال: من منكم يحفظ قضاء عمر في أمهات الأولاد؟ قلت: أنا. قال: قم، فدخلنا على عبد الملك، فإذا هو جالس على نمرقة بيده مخصرة وعليه غلالة ملتحف بسبيبة بين يديه شمعة. قال: من أنت؟ فانتسبت له -ذكر نسبه- فقال: إن كان أبوك لنعارا في الفتن -أي: يثير الفتن على الدولة الأموية -قلت: يا أمير المؤمنين! عفا الله عما سلف. قال: اجلس: فجلست. قال: تقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: اقرأ من سورة كذا ومن سورة كذا فقرأت، فقال: أتفرض؟ -يعني: أتعلم علم الفرائض؟ - قلت: نعم. قال: فما تقول في امرأة تركت زوجها وأبويها؟ قلت: لزوجها النصف ولأمها السدس ولأبيها ما بقي، قال: أصبت الفرض وأخطأت اللفظ، إنما لزوجها النصف ولأمها ثلث ما بقي. هات حديثك. قلت: حدثني سعيد بن المسيب فذكر قضاء عمر في أمهات المؤمنين، فقال: وهكذا حدثني سعيد. وذلك لأن عبد الملك بن مروان كان يتعلم من سعيد بن المسيب، ولكن لما ولي الخلافة بعد وفاة أبيه شغل عن ذلك بالملك وترك طلب العلم. فقال: هكذا حدثني سعيد. فقلت: يا أمير المؤمنين! اقض ديني، قال: نعم. قال: وتفرض لي؟ يعني: تجعل لي راتبا ثابتا، قال: لا، والله! ما نجمعهما على أحد، قال: فتجهزت إلى المدينة.

قال أبو الحسن المدائني:[3] خرج الزهري يوما من عند هشام بأربع، قيل له: وما هن؟ قال: دخل رجل على هشام فقال: يا أمير المؤمنين، احفظ عني أربع كلمات فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيتك. فقال: هاتهن. فقال: لا تعدن عدة لا تثق من نفسك بإنجازها. قال: هذه واحدة فهات الثانية. قال لا يغرنك المرتقى وإن كان سهلا إذا كان المنحدر وعرا. قال: هات الثالثة. قال: واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب. قال: هات الرابعة. قال: واعلم أن الأمور بغتات فكن على حذر.

قال الشافعي: حدثنا عمي قال: دخل سليمان بن يسار[4] على هشام بن عبد الملك فقال هشام: يا سليمان! من الذي تولى كبره منهم؟ قال: عبد الله بن أبي ابن سلول. قال: كذبت، هو علي، فدخل ابن شهاب فسأله هشام فقال: هو عبد الله بن أبي، قال: كذبت، هو علي. فقال الإمام الزهري: أنا أكذب؟ لا أب لك، فوالله! لو نادى مناد من السماء: إن الله أحل الكذب، ما كذبت، حدثني سعيد وعروة وعبيد الله وعلقمة بن وقاص عن أم المؤمنين عائشة: أن الذي تولى كبره عبد الله بن أبي. قال: فلم يزل القوم يغرون به، فقال له هشام: ارحل، فوالله! ما ينبغي لنا أن نحمل عن مثلك. قال: ولم، أنا اغتصبتك على نفسي أو أنت اغتصبتني على نفسي؟ فخل عني. فقال له: لا، ولكن استدنت ألفي ألف، فقال: قد علمت وأبوك قبلك أني ما استدنت هذا المال عليك ولا على أبيك. قال هشام: إنا لن نهيج الشيخ، فأمر بقضي عنه ألف ألف، فأخبر بذلك فقال: الحمد لله الذي هذا هو من عنده.

قال العتبي:[5] إني لقاعد عند قاضي هشام بن عبد الملك إذ أقبل إبراهيم بن محمد بن طلحة[6] وصاحب حرس هشام، حتى قعدا بين يديه، فقال: إن أمير المؤمنين جراني في خصومة بينه وبين إبراهيم. فقال القاضي: شاهديك على الجرابة. قال أتراني قلت على أمير المؤمنين ما لم يقل، وليس بيني وبينه إلا هذه الستارة؟ قال: بلى، ولكنه لا يثبت الحق لك ولا عليك إلا ببينة. قال: فقام الحرسي فدخل إلى هشام فأخبره، فلم نلبث أن قعقعت الأبواب وخرج الحرسي فقال: هذا أمير المؤمنين. وخرج هشام، فلما نظر إليه القاضي قام، فأشار إليه وبسط له مصلى، فقعد عليه وإبراهيم بين يديه، وكنا حيث نسمع بعض كلامهم ويخفى عنا بعضه. قال: فتكلما وأحضرا البينة.فقضى القاضي على هشام. فتكلم إبراهيم بكلمة فيها بعض الخرق، فقال: الحمد لله الذي أبان للناس ظلمك. فقال له هشام: لقد هممت أن أضربك ضربة ينتثر منها لحمك عن عظمك. قال: أما والله لئن فعلت لتفعلنه بشيخ كبير السن قريب القرابة واجب الحق. فقال هشام: استرها علي! قال: لا ستر الله علي إذا ذنبي يوم القيامة إن سترتها. قال: فإني معطيك عليها مائة ألف. قال إبراهيم: فسترتها عليه حياته ثمنا لما أخذت منه، وأذعتها بعد مماته تزيينا له.

قال الزبير بن بكار: حدثني عمي مصعب بن عبد الله[7] أن هشاما قدم حاجا فتظلم من عبد الملك بن مروان في دار ال علقمة[8] التي بين الصفا والمروة، وكان لال طلحة شئ منها فأخذه نافع بن علقمة الكناني[9]،وهو خال مروان بن الحكم، وكان عاملا لعبد الملك بن مروان على مكة، فلم ينصفهم عبد الملك من نافع بن علقمة، وقال له هشام ألم تكن ذكرت ذلك لأمير المؤمنين عبد الملك. قال بلى، وترك الحق وهو يعرفه ،قال فما صنع الوليد؟ قال اتبع أثر أبيه، وقال ما قال القوم الظالمون:﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف] قال فما فعل فيها سليمان؟ قال: لا قفي ولا سيري. قال فما فعل فيها عمر بن العزيز؟ قال: ردها يرحمه الله. قال فاستشاط هشام غضبا، وكان إذا غضب بدت حولته ودخلت عينه في حجاجه، ثم أقبل عليه فقال: أما والله أيها الشيخ لو كان فيك مضرب لأحسنت أدبك. قال إبراهيم: فهو والله في الدين والحسب لا يبعدن الحق وأهله ليكونن لهذا نحت (بحث) بعد اليوم.

حدث محمد بن إسماعيل قال: دخل إبراهيم بن محمد بن طلحة على هشام فكلمه بشيء فيه لحن فيه، فقام فرد عليه إبراهيم الجواب ملحونا، فقال له هشام: أتكلمني وأنت تلحن. فقال له إبراهيم: ما عدوت أن رددت عليك نحو كلامك. فقال هشام: إن تقل ذاك فما وجدت للعربية طلاوة بعد أمير المؤمنين سليمان. فقال إبراهيم وأنا ما وجدت لها طلاوة بعد بني تماضر من بني عبد الله بن الزبير.

---

(2) محمد بن شهاب الزهري؛ محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله ابن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي هكذا نسبه مصعب الزبيري وغيره ليس في ذلك اختلاف قال مصعب وأمه من بني الدئل بن عبد مناة بن كنانة قال أبو عمر كنيته أبو بكر وكان من علماء التابعين وفقهائهم مقدم في الحفظ والإتقان والرواية والاتساع إمام جليل من أئمة الدين أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم منهم أنس بن مالك وسهل بن سعد وعبد الرحمن بن أزهر الزهري وسنين أبو جميلة السلمي ومنهم عبد الله بن عمر.ولد الزهري سنة 51 هـ وقيل سنة 58 هـ في آخر خلافة معاوية. ومات سنة 124 هـ في شهر رمضان ليلة 17 منه وهو ابن 66 سنة وذلك قبل موت هشام بعام. وقيل إنه مات وهو ابن 72 سنة ودفن بموضع يقال له إدامى وهي خلف شغب وبدا وهي أول عمل فلسطين وآخر عمل الحجاز.

(4) سليمان بن يسار الهلالي المدني. أبو أيوب – يقال أبو عبد الرحمن، ويقال ابو عبد الله –مولى ميمونة وقيل أم سلمة ثقة فاضل أحد الفقهاء السبعة من كبار الثالثة مات بعد المائة وقيل قبلها. قيل توفي سنة 107 هـ. وقيل 103 هـ وهو ابن 73 سنة. أسند سليمان عن أبي هريرة وابن عمرو، وابن عباس، وأم سلمة، في خلق كثير من الصحابة. روى عنه الزهري وجماعة من الأكابر. وكان المستفتي إذا أتى سعيد بن المسيب يقول له: اذهب إلى سليمان بن يسار، فإنه أعلم من بقي اليوم. قال قتادة: قدمت المدينة، فسألت من أعلم أهلها بالطلاق فقالوا: سليمان بن يسار. وكان سليمان المذكور أخا عطاء بن يسار، وكان عالما ثقة عابدا ورعا ؛ قال الحسن بن محمد: سليمان بن يسار عندنا أفهم من سعيد بن المسيب، ولم يقل أعلم ولا أفقه. وعن ابن أبي الزناد عن أبيه قال: كان سليمان بن يسار يصوم الدهر وكان عطاء بن يسار يصوم يوما ويفطر يوما.

(6) إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي المدني أبو إسحاق. قتل أبوه محمد السجاد يوم الجمل. كان يسمى أسد قريش وكان من سادة التابعين، قوالا بالحق، بليغا، وقورا، كبير القدر.روى عن سعيد بن زيد، وأبي هريرة، وابن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو، وعدة. روى عنه سعد بن إبراهيم القاضي، وعبد الله بن محمد بن عقيل، ومحمد بن زيد بن المهاجر، وطلحة بن يحيى أحد بني عمه، ومحمد بن عبد الرحمن الطلحي، وآخرون. ووفد على عبد الملك، فأجلسه على فرشه فنصحه ووعظه. ولي خراج العراق لابن الزبير. توفي سنة 110 هـ.

(3) أبو الحسن المدائني علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف أبو الحسن المعروف بالمدائني الإخباري، مولى عبد الرحمن بن سمرة القرشي، سكن المدائن ثم بغداد، صاحب المصنفات المشهورة. عالما بالمغازي والسير والأنساب وأيام العرب.ولد سنة 135هـ ومات سنة 225هـ.

(5) أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي المعروف بالعتبي، كان أديبا فاضلا شاعرا مجيدا، وكان يروي الأخبار وأيام العرب.توفي العتبي سنة 228 هـ.

(9) نافع بن علقمة بن صفوان بن محرث الكناني، كان عبد الملك بن مروان أمره على مكة، وهو خال مروان بن الحكم (فإن أم مروان هي أم عثمان آمنة بنت علقمة بن صفوان المذكور)

(7) مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت ابن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو عبد الله الزبيري المدني عم الزبير بن بكار، سكن بغدا. توفي سنة 236 هـ، وهو ابن ثمانين سنة.قال الزبير بن بكار: كان وجه قريش مروة علما وشرفا وبيانا وجاها وقدرا.

(8) دار علقمة: بمكة تنسب إلى طارق بن المعقل وهو علقمة بن عريج بن جذيمة بن مالك بن سعد بن عوف بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة.

(1) ابن أبي ذئب (ذؤيب!)، محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة ابن الحارث بن أبي ذئب. يكنى أبا الحارث ولد في سنة 80 هـ عام الجحاف وكان من أورع الناس وكانوا يرمونه بالقدر وما كان قدريا وكان يصلي الليل أجمع. وكان يصوم يوما ويفطر يوما فوقعت الرجفة بالشام فقدم رجل من أهل الشام فحدثه عن الرجفة وكان يوم إفطاره فقلت له قم تغذى قال دعه اليوم فسرد الصوم من ذلك اليوم إلى أن مات وكان يتعشى بالخبز والزيت وله طيلسان وقميص يشتو فيه ويصيف ويحفظ حديثه كله. سمع ابن أبي ذئب من عكرمة ونافع وسعيد المقبري وأبي الزناد ومحمد بن المنكدر والزهري وغيرهم. وكان فقيها صالحا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أقدمه المهدي بغداد فحدث بها ثم رجع يريد المدينة فمات بالكوفة. قال احمد بن حنبل كان ابن أبي ذئب يشبه بسعيد بن المسيب قيل لأحمد خلف مثله ببلاده قال لا ولا بغيرها. مات ابن أبي ذئب فدفن بالكوفة سنة 159 هـ وهو ابن تسع وسبعين.

قال أسامة سليمان: ظهر النفاق في المدينة بعد غزوة بدر، فمكة لم يكن فيها نفاق، فقد كان المؤمنون في مكة يؤذون ويضطهدون ويخرجون ويعذبون، ثم بعد غزوة بدر ظهر النفاق في المدينة، وقد حذر ربنا عز وجل من أهل النفاق في القرآن الكريم، وكان عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق وصاحب حادثة الإفك، قال الله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور] أي كان السبب في عظمه، أو حمل معظمه، أو تحمل إثمه أو وزره (قرئ بكسر الكاف وضمها) والضمير فيه يعود على الإفك، والمشهور أن الذي تولى كبره هو عبد الله بن أبي رأس النفاق فهو الذي أوقع حديث الإفك واختلقه وأشاعه وهو الذي قال:﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون] ويقصد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، أي: ليخرج من المدينة الأعز ذليلا، فلما وصلت هذه الكلمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال له ولده عبد الله بن عبد الله، فابنه صحابي كـ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط صحابية وأبوها كافر: يا رسول الله! مرني أن أقتل أبي إن شئت، حتى لا يقتله غيري فأعير به فأقتله، فأكون قد قتلت مسلما بكافر. فإن أردت أن تقتله فمرني أنا فأتيك برأسه، وهذا ولاء وبراء. قال: لا نريد أن نقتله.قال: يا رسول الله! والله لن يدخلها –أي: المدينة– حتى يعلم من الأعز ومن الأذل. ثم وقف على باب المدينة إلى أن جاء أبوه، فقال: دعني أدخلها. قال: لن تدخل المدينة إلا أن تقول: أنا الأذل ورسول الله الأعز. فقال عبد الله بن أبي: أنا الأذل ورسول الله الأعز، فسمح له بدخولها. وموقف الابن هنا عزة وكرامة للإسلام، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون]

◆ سليمان بن هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) وأبي حازم [072]

قال عبد الرحمن بن يزيد: حدثنا أبو حازم[1] أن سليمان بن هشام بن عبد الملك[2] قدم المدينة فأرسل إلى أبي حازم فدخل عليه فقال: فسلمت وأنا متكئ على عصاي فقيل ألا تتكلم!؟ قلت: وما أتكلم به!؟ ليست لي حاجة فأتكلم فيها، وإنما جئت لحاجتكم التي أرسلتم إليّ فيها، وما كل من يرسل إلى آتيه، ولولا اتقاء شركم ما جئتكم. إني أدركت أهل الدنيا تبعا لأهل العلم حيث كانوا، يقضون لأهل الدنيا حوائج دنياهم وأخراهم، ولا يستغني أهل الدنيا عن أهل العلم لنصيبهم من العلم ثم حال الزمان، فصار أهل العلم تبعا لأهل الدنيا حيث كانوا، فدخل البلاء على الفريقين جميعا. ترك أهل الدنيا النصيب الذي كانوا يتمسكون به من العلم حيث رأوا أهل العلم قد جاؤوهم، وضيّع أهل العلم جسيم ما قسم لهم باتباعهم أهل الدنيا. فقال سليمان بن هشام: صدقت.

سأل هشام بن عبد الملك يومًا أبا حازم ما التدبير في النَّجاة من أمور الخلافة؟ قال أنْ تأخذَ الدِّرهم الذي تأخذه من وجهٍ حلال، وأن تضعه في موضع حق. قال من يَقدِر على هذا؟ قال من يرغب في نعيم الجنان ويَرهَب من عذاب النيران

عن سفيان: قال: قال بعض الأمراء لأبي حازم: ارفع إلي حاجتك قال: هيهات! رفعتها إلى من لا تختزن الحوائج دونه، فما أعطاني منها قنعت، وما زوى عني منها رضيت، كان العلماء فيما مضى يطلبهم السلطان وهم يفرون منه، وأن العلماء اليوم طلبوا العلم حتى إذا جمعوه بحذافيره، أتوا به أبواب السلاطين، والسلاطين يفرون منهم، وهم يطلبونهم.

عن أبي سنان، سمعت وهبا[3] يقول لعطاء الخراساني:[4] كان العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم، فكانوا لا يلتفتون إليها، وكان أهل الدنيا يبذلون دنياهم في علمهم، فأصبح أهل العلم يبذلون لأهل الدنيا علمهم، رغبة في دنياهم، وأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري أنصحني فكتب إليه أن الذي يصحبك لا ينصحك والذي ينصحك لا يصحبك.

---

(1) أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج مولى لقوم من بني ليث بن بكر. اسند أبو حازم عن ابن عمر وسهل بن سعد وانس بن مالك وقيل انه رأى أبا هريرة، وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب وأبي سلمة وعروة وغيرهم. توفي بعد سنة 140 هـ في خلافة المنصور.

(3) وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار وهو الأسوار، الإمام، العلامة، الأخباري، القصصي، أبو عبد الله الأبناوي، اليماني، الذماري، الصنعاني. أخو: همام بن منبه، ومعقل بن منبه، وغيلان بن منبه. وأخذ عن: ابن عباس، وأبي هريرة =إن صح =وأبي سعيد، والنعمان بن بشير، وجابر، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص – على خلاف فيه – وطاووس. حتى إنه ينزل ويروي عن: عمرو بن دينار، وأخيه؛ همام، وعمرو بن شعيب، وفتح اليماني – ولا يدرى من فتح؟!. حدث عنه: ولداه؛ عبد الله وعبد الرحمن، وعمرو بن دينار، وسماك بن الفضل، وعوف الأعرابي، وعاصم بن رجاء بن حيوة، ويزيد بن يزيد بن جابر، وعبد الله بن عثمان بن خثيم، وإسرائيل أبو موسى، وهمام بن نافع أبو عبد الرزاق، والمغيرة بن حكيم، والمنذر بن النعمان، وابن أخيه؛ عقيل بن معقل، وابن أخيه؛ عبد الصمد بن معقل، وسبطه؛ إدريس بن سنان، وصالح بن عبيد، وعبد الكريم بن حوران، وعبد الملك بن خلج، وداود بن قيس، وعمران بن هربذ أبو الهذيل، وعمران بن خالد الصنعانيون، وخلق سواهم. وروايته (للمسند) قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب. قال أحمد: كان من أبناء فارس، له شرف. ولد في سنة 34 هـ والصواب أن وفاته في سنة 110 هـ وليس 114 هـ . فالله أعلم.

(4) عطاء بن أبي مسلم الخراساني، أرسل عن أبي الدرداء، وابن عباس(قال الدارقطني: ثقة في نفسه إلا أنه لم يلق ابن عباس!)، والمغيرة بن شعبة، وطائفة. وروى عن: ابن المسيب، وعروة، وعطاء بن أبي رباح، وابن بريدة، ونافع، وعمرو بن شعيب، وعدة. روى عنه: معمر، وشعبة، وسفيان، ومالك، وحماد بن سلمة، وإسماعيل بن عياش، وعدد كثير، حتى إن شيخه عطاء حدث عنه. وذكره البخاري في (الضعفاء). قيل: مولده سنة 50 هـ. قال سعيد بن عبد العزيز: توفي بأريحا، ودفن ببيت المقدس. وقال ابنه عثمان: مات أبي سنة 135 هـ. قال إسماعيل بن عياش: قلت لعطاء الخراساني: من أين معاشك؟ قال: من صلة الإخوان، وجوائز السلطان.

(2) سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي. أخذ عن عطاء وغيره. وولي غزو الروم فلما بويع الوليد بن يزيد حبسه، ثم أخرجه يزيد الناقص وصيره من أمرائه فلما ولي مروان هرب منه ثم خلع مروان وطمع في الملك واستفحل أمره وكاد أن يملك واجتمع إليه نحو من سبعين ألفاً فبعث مروان جيشه فهزموه وتحصن بحمص فسار إليه مروان بنفسه فهرب ولحق بالضحاك الخارجي وبايعه ثم ظفرت به المسودة (العباسيون) فقتلوه في سنة 132 هـ. –وفي رواية قيل–: بعد مقتل الضحاك تولى أمر أصحابه شيبان الحروري، فتحالف معه لقتال مروان بن محمد، فهزم أيضاً، فرحل بأهله إلى السند. عندما تولى السفاح العباسي الملك، أقبل عليه سليمان، فآمنه، ثم أمر السفاح بقتله سنة 132هـ.

قال عبد الصمد بن يزيد: سمعت الفضيل بن عياض يقول:﴿مَا لَكُمْ وَلِلْمُلُوكِ مَا أَعْظَمَ مَنَّهُمْ عَلَيْكُمْ قَدْ تَرَكُوا لَكُمْ طَرِيقَ الْآخِرَةِ فَارْكَبُوا طَرِيقَ الْآخِرَةِ وَلَكِنْ لَا تَرْضَوْنَ تَبِيعُونَهُمْ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تُزَاحِمُونَهُمْ عَلَى الدُّنْيَا مَا يَنْبَغِي لِعَالِمٍ أَنْ يَرْضَى هَذَا لِنَفْسِهِ﴾ وعن ثوبان:﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا لِأَهْلِهِ فَذَكَرَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَغَيْرَهُمَا، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَمِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، مَا لَمْ تَقُمْ عَلَى بَابِ سُدَّةٍ، أَوْ تَأْتِيَ أَمِيرًا تَسْأَلُهُ﴾ وعن ثوبان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ تَقَبَّلَ لِي وَاحِدَةً تَقَبَّلْتُ لَهُ بِالْجَنَّةِ، قَالَ ثَوْبَانُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: لَا تَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا، قَالَ: فَلَرُبَّمَا سَقَطَ السَّوْطُ لِثَوْبَانَ وَهُوَ عَلَى بَعِيرٍ فَلَا يَسْأَلُ أَحَدًا أَنْ يُنَاوِلَهُ حَتَّى يَنْزِلَ إِلَيْهِ فَيَأْخُذَهُ﴾ مر الحسن البصري بباب عمر بن هبيرة وعليه القراء فسلم ثم قال: ﴿مَا لِكُمْ جُلُوسًا قُدٌّ أَخْفِيَتُمْ شَوَارِبُكُمْ وَحَلَّقْتُمْ رُؤُوسَكُمْ وَقَصَّرْتُمْ أَكْمَامَكُمْ وَفَلْطَحْتُمْ نِعَالَكُمْ! أَمَّا وَاللهِ! لَوْ زَهَدْتُمْ فِيمَا عِنْدَكُمْ وَلَكِنَّكُمْ رَغِبْتُمْ فِيمَا عِنْدَهُمْ لَرَغِبُوا فِيمَا عِنْدَكُمْ وَلَكِنَّكُمْ رَغِبْتُمْ فِيمَا عِنْدَهُمْ فَزَهَدُوا فِيمَا عِنْدَكُمْ فَضَحْتُمُ الْقُرَّاءَ فَضَحَكُمْ اللهُ﴾ وعنه أنه مر ببعض القراء على بعض أبواب السلاطين فقال: ﴿أَفَرَّ خْتُمْ جِبَاهَكُمْ وَفَرْطَحْتُمْ نِعَالَكُمْ وَجِئْتُمْ بِالعِلْمِ تَحْمِلُونَهُ عَلَى رِقَابِكُمْ إِلَى أَبْوَابِهِمْ؟! أَمَّا إِنَّكُمْ لَوْ جَلَسْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَكَانَ خَيْرًا لَكُمْ تُفْرِقُوا فَرَقَ اللهُ بَيْنَ أَعْضَائِكُمْ..﴾.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ تاريخ الإسلام/ التبر المسبوك في نصيحة الملوك/ الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء/ سير أعلام النبلاء

◆ ابن نجيح، أيوب بن يحيى الثقفي، عامل أمير اليمن محمد بن يوسف (أيام الوليد بن عبدالملك)وطاووس بن كيسان اليماني [073]

عن ابن طاووس[1] قال: كنت لا أزال أقول لأبي أنه ينبغي أن يخرج على هذا السلطان وأن يفعل به. قال: فخرجنا حجاجا فنزلنا في بعض القرى وفيها عامل لأمير اليمن محمد بن يوسف[2] يقال له أيوب بن يحيى[3]،وقيل يقال له ابن نجيح وكان من أخبث عمّالهم فشهدنا صلاة الصبح في المسجد فجاء ابن نجيح فقعد بين يدي طاووس[4] فسلم عليه فلم يجبه ثم كلمه فأعرض عنه ثم عدل إلى الشق الآخر فأعرض عنه فلما رأيت ما به قمت إليه فمددت يده وجعلت أسائله، وقلت له: إن أبا عبد الرحمن لم يعرفك. فقال العامل: بلى معرفته لي فعلت ما رأيت. قال: فمضى أبي لا يقول لي شيئا فلما دخلت المنزل، قال: أي لكع بينا أنت زعمت تريد أن تخرج عليهم بسيفك لم تستطع أن تحبس عنه لسانك.

---

(4) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري، لأسرة من الموالي، وقيل اسمه ذكوان، وطاووس لقبه، وقد فسرّ يحيى بن معين سبب تسميته تلك قائلاً: إنما لقب به لأنه كان طاووس القراء. أحد الأئمة الأعلام، قال ابن حبان: كان من عباد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، أدرك خمسين صحابيا وكان كاملا في الفقه والتفسير. روى عن أبي هريرة، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وجابر، وابن مسعود، وابن عباس، وعائشة، وطائفة وروى عنه ابنه عبد الله (بن طاووس)، ومجاهد، والزهري، وعمرو بن دينار، وسليمان التيمي، وخلق. واكثر روايته عن ابن عباس. قال سفيان قلت لعبيد الله بن ابي يزيد مع من كنت تدخل على ابن عباس قال مع عطاء والعامة وكان طاووس يدخل مع الخاصة. وكان مجاب الدعوة حج أربعين حجة وتوفي حاجا بمكة قبل التروية بيوم سنة 106 هـ وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة وصلى عليه الخليفة هشام ابن عبد الملك وكان قد حج في تلك السنة.

(1) عبد الله بن طاووس بن كيسان. أصله من اليمن، ويكنى أبا محمد. كان يختلف إلى مكة. سمع أباه وأكثر عنه ، وعكرمة بن خالد، سمع منه الثوري، وابن عيينة. عن معمر، وروح بن القاسم، ووهيب بن خالد، وآخرون.. ولم يأخذ عن أحد من الصحابة، ويسوغ أن يعد في صغار التابعين، لتقدم وفاته. قال معمر: كان من أعلم الناس بالعربية، وأحسنهم خلقا، ما رأينا ابن فقيه مثله. وعنه قال لي أيوب: إن كنت راحلا إلى أحد فعليك بابن طاووس. قيل مات في أول خلافة أبي العباس سنة 132 هـ. وفي هذه السنة قتل آخر الخلفاء الأموية؛ مروان الحمار، وقام فيها السفاح. هذا يعني أن المنصور كان ولي عهد، لأن الخليفة العباسي الثاني،أبو جعفر المنصور بويع له بالخلافة في سنة 136 هـ بعد وفاة السفاح، الذي كان أصغر منه سنًا، ولكنه تولى الخلافة قبله امتثالًا لوصية أخيهم إبراهيم الإمام (زعيم الدعوة العباسية) فالله أعلم.

(2) محمد بن يوسف الثقفي أخو الحجاج. كان أمير اليمن، قيل إنه كان ظلوما غشوما. مات باليمن في رجب سنة 91 هـ.

(3) أيوب بن يحيى بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي،ابن نجيح، ابن عم الحجاج

جاءت جماعة من المسلمين إلى الحسن البصري، يستفتونه في الخروج على الحجاج، فقالوا: يا أبا سعيد، ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام، وفعل ما فعل؟ فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه؛ فإنها إن تك عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين. وخرجوا من عند الحسن ولم يوافقوه، فخرجوا على الحجاج فقتلوا جميعا؛ ولهذا كان الحسن: يقول لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن فرج عنهم، ولكنهم يجزعون إلى السيف فيوكلون إليه، فوالله ما جاؤوا بيوم خير قط. وكان ينهي العامة عن القتال وحمل السلاح حين تقبل الفتن، فعن سلم بن أبي الذيال قال: سأل رجل الحسن وهو يسمع وأناس من أهل الشام فقال: يا أبا سعيد ما تقول في الفتن مثل يزيد بن المهلب وابن الأشعث؟ فقال: لا تكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، فقال رجل من أهل الشام: ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد؟ فغضب ثم قال بيده فخطر بها، ثم قال: ولا مع أمير المؤمنين، فكان يرى أنه يجب على المسلم الاعتزال وعدم المشاركة في سفك دماء المسلمين، فلا يقاتل في صفوف الخارجين على السلطة، ولا مع جيش الخليفة، إذا كان ظالما. ولما توفي الحجاج وجاء خبر وفاته الحسن سجد وقال: اللهم عقيرك وأنت قتلته فاقطع عنا سنته وأرحنا من سنته وأعماله الخبيثة. عن عوف بن مالك الأشجعي، أنه قال:﴿سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ، قَالُوا: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ﴾ أما الاستدلال بقوله صلى الله عليه وسلم (ما أقاموا فيكم الصلاة) يقول ابن تيمية: كل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة من هؤلاء القوم وغيرهم فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائعه كما قاتل أبو بكر الصديق والصحابة رضوان الله عليهم مانعي الزكاة الذين كانوا رغم ذلك يصلون ويصومون ويحجون، عن أبي هريرة: ﴿لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّم، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّم: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِنَاقًا، -وفي رواية-: عِقَالًا كَانُوا يؤدُّونه إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّم لَأُقَاتِلَنَّهُم عَلَى مَنْعِهَا، إِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، قَالَ عُمَرُ: فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّه الْحَقُّ﴾ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِي خُلَفَاءُ، يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، وَسَيَكُونُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلَفَاءُ، يَعْمَلُونَ مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ أَنْكَرَ بَرِئَ، وَمَنْ أَمْسَكَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ﴾ وعن أم سلمة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ. قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: لَا، مَا صَلَّوْا﴾ قال قتادة: يعني من أنكر بقلبه، ومن كره بقلبه (لا ما صلوا) ففيه معنى ما سبق أنه لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجرد الظلم أو الفسق ما لم يغيروا شيئا من قواعد الإسلام. قال ابن حزم: ما تقولون في سلطان جعل اليهود أصحاب أمره وجنده وألزم المسلمين الجزية وحمل السيف على أطفال المسلمين وأباح المسلمات للزنا وحمل السيف على كل من وجد من المسلمين وملك نساءهم وأطفالهم وأعلن العبث بهم وهو في كل ذلك مقر بالإسلام معلنا به لا يدع الصلاة فإن قالوا لا يجوز القيام عليه وأجازوا الصبر على هذا خالفوا الإسلام جملة وانسلخوا منه. وعلى ذلك خرج الحسين رضي الله عنه على يزيد بن معاوية (ويزيد لم يكون كافرا) ولم يقول أحد أن الحسين بن علي كان خارجي، رضي الله عنهما، وكذلك خرج عبد الله بن زبير (وهو من كبار العباد) على بني أمية. بل أن عدد كبير من كبار العلماء خرجوا في معركة ابن الاشعث ضد الحجاج بن يوسف الثقفي، يذكر خليفة بن خياط، أن عددهم بلغ خمسائة عالم، منهم: عبد الرحمن بن أبي ليلى، وسعيد بن أبي الحسن أخو الحسن البصري، وأنس بن مالك (وإن لم يشرك في المعركة)، والإمام الشعبي، وأبو الشعثاء سليم بن اسود المحاربي، وابن الاشعث، وسعيد بن الجبير، ومسلم بن يسار مزني، ومالك بن دينار، وأبو شيخ الهنائي، وأبو الجوزاء، وعمران بن عصام الضبعي وسميت معركة العلماء أو القراء في دير الجماجم.

عن الحارس الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ: بِالْجَمَاعَةِ وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يُرَاجِعَ وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُثَى جَهَنَّمَ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ﴾ قال الطيبي: المراد بالجماعة الصحابة، ومن بعدهم من التابعين، وتابعي التابعين من السلف الصالحين؛ أي آمركم بالتمسك بهديهم وسيرتهم والانخراط في ذمتهم (السمع) أي استماع كلمة الحق وقبولها من الأمير والغني والفقير وغيرهما (الطاعة) أي طاعة الأمير في المشروعات (الهجرة) أي الانتقال من مكة إلى المدينة قبل فتح مكة، ومن دار الكفر إلى دار الإسلام، ومن دار البدعة إلى دار السنة، ومن المعصية إلى التوبة، لقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْمُهَاجِرَ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ﴾ (الجهاد في سبيل الله) أي مع الكفار لإعلاء كلمة الله وقمع أعدائها، ومع النفس بكفها عن شهواتها، ومنعها عن لذاتها (من خرج من الجماعة قيد شبر) أي من فارق ما عليه الجماعة بترك السنة واتباع البدعة ونزع اليد عن الطاعة، ولو كان بشيء يسير يقدر في الشاهد بقدر شبر (فقد خلع ربقة الإسلام) أي نقض عهده وذمته (من عنقه) وانحرف عن الجماعة وخرج عن الموافقة (إلا أن يراجع)، والربقة؛ وهي في الأصل؛ عروة في حبل يجعل في عنق البهيمة، أو يدها تمسكها، فاستعارها للإسلام، يعني ما شد المسلم به نفسه من عرى الإسلام؛ أي حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه (من دعا بدعوى الجاهلية) قال الطيبي: عطف على الجملة التي وقعت مفسرة لضمير الشأن للإيذان بأن التمسك بالجماعة وعدم الخروج عن زمرتهم من شأن المؤمنين والخروج عن زمرتهم من هجيرى الجاهلية، كما قال صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً﴾ فعلى هذا ينبغي أن يفسر دعوى الجاهلية بسننها على الإطلاق؛ لأنها تدعو إليها، وهو أحد وجهي ما قال القاضي، والوجه الآخر الدعوى تطلق على الدعاء وهو النداء، والمعنى من نادى في الإسلام بنداء الجاهلية، وهو أن الرجل منهم إذا غلب عليه خصمه نادى بأعلى صوته قومه، يا آل فلان، فيتدرون إلى نصره ظالما كان، أو مظلوما، جهلا منهم وعصبية (فهو) أي الداعي المذكور (من جثى جهنم) أي من جماعاتهم، كما في قوله: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم] عن عبادة بن الصامت قال:﴿قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عُبَادَةَ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ، قَالَ: اسْمَعْ وَأَطِعْ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَكْرَهِكَ وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ، وَإِنْ أَكَلُوا مَالَكَ، وَضَرَبُوا ظَهْرَكَ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَعْصِيَةً للهِ بَوَاحًا﴾ وعن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيكُمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: تَسْمَعُ وَتُطِيعُ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ﴾ (إن ضرب ظهرك وأخذ مالك..) هذه الزيادة منكرة حكم بإرسالها الدارقطني والنووي وضعفها الشيخ مقبل بن هادي. وحتى إذا افترضنا أن الزيادة صحيحة فلا يظن أن هذا في أخذ مالك بالحرام وهذا تفسير غريب جدا لم يقل به أحد ولا يمكن أن يحمل عليه النص النبوي فلذلك المقصود وإن أخذ مالك يحق وإن جلد ظهرك يحق. روى ابن حزم: أن الصبر على أخذ المال وضرب الظهر إن كان الأخذ على حق أم أخذ المال بغير حق فإن الله لا يأمر بالصبر على الجور لأن الله نهى عن الإثم والعدوان، وعدم منع أخذ المال مع القدرة عليه معاونة للظالم على ظلمه والله ينهى على ذلك. قال عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب: ﴿يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَرَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى رَعِيَّةٍ، فَأَدَّبَ بَعْضَ رَعِيَّتِهِ، أَيُنَّكَ لَمُقْتَصُّهُ مِنْهُ؟ قَالَ: إِي وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ، إِذًا لَأُقِصَّنَّهُ مِنْهُ، أَنَّى لَا أُقِصَّنَّهُ مِنْهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقِصُّ مِنْ نَفْسِهِ؟﴾ وعن سعيد بن زيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ قَاتَلَ دُونَ مَالِهِ فَقُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قَاتَلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قَاتَلَ دُونَ أَهْلِهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم:﴿أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ فَقُتِلَ﴾ لذلك حين أرد أمير الطائف (عامل معاوية) أخذ قطعة من أرض عبيد الله بن عمرو بن العاص،جمع ولده وعبيده واستل سيفه وقال سمعت صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ﴾ هذا مع معاوية فما بالك بعسكر اليوم الذي ثبت أنه فاسد مفسد؟

مراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد/ السنن الكبرى للبيهقي/ صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ سير أعلام النبلاء/ النووي شرح مسلم/ مجموع الفتاوى ابن تيمية/ الفصل في الملل والأهواء والنحل/ السنن الكبرى للنسائي/ صحيح ابن حبان/ حلية الأولياء

◆ يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري (أمير العراقين لمروان بن محمد، آخر ملوك الدولة الأموية) والإمام أبو حنيفة النعمان [074]

كان يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري (المعروف بيزيد بن هبيرة)[1] أمير العراقين (البصرة، والكوفة) أراد أبي حنيفة [2] أن يلي القضاء بالكوفة أيام مروان بن محمد، آخر ملوك بني أمية، فأبى عليه فضربه مائة سوط وعشرة أسواط، كل يوم عشرة أسواط، وهو على الامتناع، فلما رأى ذلك خلى سبيله. وكان أحمد بن حنبل، إذا ذكر ذلك بكى وترحم على أبي حنيفة، وذلك بعد أن ضرب أحمد على القول بخلق القرآن. قال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة:[3] مررت مع أبي بالكناسة فبكى، فقلت له: يا أبت ما يبكيك فقال: يا بني، في هذا الموضع ضرب ابن هبيرة أبي عشرة أيام، في كل يوم عشرة أسواط، على أن يلي القضاء، فلم يفعل. والكناسة، بضم الكاف، موضع بالكوفة.

---

(2) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه الفقيه الكوفي، مولى تيم الله ابن ثعلبة، وهو من رهط حمزة الزيات؛ كان خزازا يبيع الخز (نوع من الأقمشة)، وجده زوطى من أهل كابل (ناحية معروفة من بلاد الهند)، وقيل بابل، وقيل من أهل الأنبار، وقيل من أهل نسا، وقيل من أهل ترمذ، وهو الذي مسه الرق فأعتق، وولد ثابت على الإسلام. وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان، من أبناء فارس من الأحرار، والله ما وقع علينا رق قط. وكانت ولادة أبي حنيفة سنة 80 هـ، وقيل سنة 61 هـ والأول أصح، وتوفي في رجب، وقيل في شعبان سنة 150 هـ، وقيل لأحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى من السنة، وقيل 151 هـ وقيل 153 هـ والأول أصح؛ وكانت وفاته في السجن ليلي القضاء فلم يفعل، هذا هو الصحيح، وقيل إنه لم يمت في السجن، وقيل توفي في اليوم الذي ولد فيه الإمام الشافعي سنة 150 هـ، ودفن بمقبرة الخيزران، وقبره هناك مشهور.

أدرك أبو حنيفة أنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة، وأبو الطفيل عامر بن واثلة بمكة، ولم يلق أحدا منهم ولا أخذ عنه، وأصحابه يقولون: لقي جماعة من الصحابة وروى عنهم، ولم يثبت ذلك عند أهل النقل. وذكر الخطيب في تاريخ بغداد أنه رأى أنس بن مالك، وأخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان وسمع عطاء بن أبي رباح وأبا إسحاق السبيعي ومحارب بن دثار والهيثم بن حبيب الصواف ومحمد بن المنكدر ونافعا مولى عبد الله بن عمر، وهشام بن عروة وسماك بن حرب؛ وروى عنه عبيد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح والقاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وغيرهم. وكان عاملا زاهدا عابدا ورعا تقيا كثير الخشوع دائم التضرع إلى الله تعالى، قال جعفر بن الربيع: أقمت على أبي حنيفة خمس سنين، فما رأيت أطول صمتا منه، فإذا سئل عن الفقه تفتح وساهل كالوادي، وسمعت له دويا وجهارة في الكلام. وقال ابن المبارك: قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله، ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة، ما سمعته يغتاب عدوا له قط، فقال: هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها. قال أسد بن عمرو : صلى أبو حنيفة فيما حفظ عليه صلاة الفجر بوضوء صلاة العشاء أربعين سنة، وكان عامة ليلة يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة وكان يسمع بكاؤه في الليل حتى يرحمه جيرانه، وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة. وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه: لما مات أبي سألنا الحسن ابن عمارة أن يتولى غسله ففعل، فلما غسله قال: رحمك الله وغفر لك! لم تفطر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسد يمينك في الليل منذ أربعين سنة، وقد أتعبت من بعدك، وفضحت القراء.

(3) إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة النعمان بن ثابت يكنى أبا حيان وقيل أبا عبد الله وولي قضاء الجانب الشرقي من بغداد بعد محمد بن عبد الله الأنصاري، فأقام مدة ثم صرف، وولي قضاء البصرة في سنة عشر وماتتين أيضا لما عزل عنه يحيى بن أكثم، وكان إسماعيل أحد الفقهاء على مذهب جده أبي حنيفة، وحدث عن أبيه، وعن مالك بن مغول، وعمر بن ذر، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب، والقاسم بن معن، وأبي شهاب الحناط. روى عنه غسان بن المفضل الغلابي، وعمر بن إبراهيم الثقفي، وسهل بن عثمان العسكري، وعبد المؤمن بن علي الرازي. توفي في سنة 212 هـ. قيل كان يقول: القرآن مخلوق. فالله أعلم.

(1) يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أبو خالد أمير العراقين نائب مروان الحمار.ولد سنة 87 هـ.وقتل سنة 132 هـ هزمته الخراسانية فدخل إلى واسط فحاصره المنصور ثم آمنه، ونكث، فقتلوه، وقد ولي حلب للوليد بن يزيد وولي أبوه أيضا إمرة العراقين ليزيد بن عبد الملك بعد المائة.

قال يزيد بن الكميت الضبي الكوفي: كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى، فقرأ بنا علي بن الحسن المؤذن ليلة العشاء الأخيرة سورة الزلزلة وأبو حنيفة خلفه، فلما قضى الصلاة وخرج الناس نظرت إلى أبي حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس، فقلت: أقوم لا يشتغل قلبه بي، فلما خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه إلا زيت قليل، فجئت وقد طلع الفجر وهو قائم وقد أخذ بلحية نفسه، وهو يقول: يا من يجزي بمثقال ذرة خير خيرا، ويا من يجزي بمثقال ذرة شر شرا، أجر النعمان عبدك من النار، ومما يقرب منها من السوء، وأدخله في سعة رحمتك، قال: فأذنت وإذا القنديل يزهر وهو قائم، فلما دخلت قال لي: تريد أن تأخذ القنديل، قلت: قد أذنت لصلاة الغداة، فقال: اكتم علي ما رأيت، وركع ركعتين وجلس حتى أقمت الصلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل. وقال يزيد بن الكميت: سمعت أبا حنيفة يقول وقد ناظره رجل في مسألة وقال له يا مبتدع يا زنديق فقال غفر الله لك الله يعلم مني خلاف ما قلت وهو يعلم أني ما عدلت به أحدا منذ عرفته ولا رجوت إلا عفوه ولا خفت إلا عقابه ثم بكى عند ذكر العقاب فسقط صريعا ثم أفاق فقال له الرجل اجعلني في حل فقال كل من قال ما ليس في من أهل الجهل فهو في حل وكل من قال شيئا مما ليس في من أهل العلم فهو في حرج فإن غيبة العلماء تبقى شيئا بعدهم.

قال عبد الله بن رجاء: كان لأبي حنيفة جار بالكوفة إسكاف، يعمل نهاره أجمع، حتى إذا جنه الليل رجع إلى منزله، وقد حمل لحما فطبخه أو سمكة فيشويها ثم لا يزال يشرب، حتى إذا دب الشراب فيه غرد بصوت، وهو يقول: أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر. فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم، وكان أبو حنيفة يسمع جلبته كل ليلة، وأبو حنيفة كان يصلي الليل كله، ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه، فقيل: أخذه العسس منذ ليال وهو محبوس، فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من غد، وركب بغلته، واستأذن على الأمير، فقال الأمير: ايذنوا له وأقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ببغلته، ففعل، ولم يزل الأمير يوسع له في مجلسه، وقال: ما حاجتك فقال: لي جار إسكاف أخذه العسس منذ ليال، يأمر الأمير بتخليته، فقال: نعم، وكل من أخذ في تلك الليلة إلى يومنا هذا، فأمر بتخليتهم أجمعين، فركب أبو حنيفة والإسكاف يمشي وراءه، فلما نزل أبو حنيفة مضى إليه وقال: يا فتى أضعناك فقال: لا، بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ورعاية الحق، وتاب الرجل ولم يعد إلى ما كان عليه. وحكى الحسن بن زياد قال: دفن رجل مالا في موضع، ثم نسي في أي موضع دفنه فلم يقع عليه، فجاء إلى أبي حنيفة فشكا إليه فقال له أبو حنيفة: ما هذا فقه فأحتال لك، ولكن اذهب فصل الليلة، ففعل الرجل، ولم يقم إلا أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع، فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره، فقال له: قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي حتى يذكرك، فهلا أتممت ليلتك شكرا لله عزوجل.

عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن قال:﴿كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟ قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللهِ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللهِ؟ قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ؟ قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلَا آلُو، قَالَ: فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ لِمَا يَرْضَى بِهِ رَسُولُ اللهِ﴾ (ولا آلو) أي ما أقصر. وعن علي قال:﴿بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا؛ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: تُرْسِلُنِي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ وَلَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ سَيَهْدِي قَلْبَكَ وَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ؛ إِذَا تَقَاضَى إِلَيْكَ رَجُلَانِ فَلَا تَقْضِ لِلْأَوَّلِ حَتَّى تَسْمَعَ كَلَامَ الْآخَرِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ، قَالَ: فَمَا شَكَكْتُ فِي قَضَاءٍ بَعْدُ﴾ عن عبد الله بن عمرو وأبي هريرة قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ﴾ وعن سعيد بن المسيب:﴿أَنَّ مُسْلِمًا وَيَهُودِيًّا اخْتَصَمَا إِلَى عُمَرَ، فَرَأَى الْحَقَّ لِلْيَهُودِيِّ، فَقَضَى لَهُ عُمَرُ بِهِ. فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: وَاللهِ لَقَدْ قَضَيْتَ بِالْحَقِّ، فَضَرَبَهُ عُمَرُ بِالدِّرَّةِ، وَقَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ قَالَ الْيَهُودِيُّ: وَاللهِ إِنَّا نَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّهُ لَيْسَ قَاضٍ يَقْضِي بِالْحَقِّ إِلَّا كَانَ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكٌ، وَعَنْ شِمَالِهِ مَلَكٌ، يُسَدِّدَانِهِ وَيُوَفِّقَانِهِ لِلْحَقِّ مَا دَامَ مَعَ الْحَقِّ، فَإِذَا تَرَكَ الْحَقَّ عَرَجَا وَتَرَكَاهُ﴾ وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ، لَادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ رِجَالٍ وَأَمْوَالَهُمْ، وَلَكِنَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ –وفي رواية–: لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ﴾ وعن زيد بن خالد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ؟ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا﴾ (ألا أخبركم بخير الشهداء) جمع شاهد (الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها) أي قبل أن تطلب منه الشهادة. قال النووي: فيه تأويلان. أصحهما وأشهرهما تأويل مالك وأصحاب الشافعي، أنه محمول على من عنده شهادة؛ لإنسان بحق، ولا يعلم ذلك الإنسان أنه شاهد، فيأتي إليه فيخبره بأنه شاهد له؛ لأنها أمانة له عنده، والثاني: أنه محمول على شهادة الحسبة في غير حقوق الآدميين كالطلاق والعتق والوقف والوصايا العامة والحدود ونحو ذلك، فمن علم شيئا من هذا النوع وجب عليه رفعه إلى القاضي وإعلامه به. قال الله تعالى:﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق] وحكي تأويل ثالث أنه محمول على المبالغة في أداء الشهادة بعد طلبها، كما يقال: الجواد يعطي قبل السؤال؛ أي يعطي سريعا عقيب السؤال من غير توقف، وليس في هذا الحديث مناقضة للحديث الآخر من قوله صلى الله عليه وسلم:﴿يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ﴾.

مراجع: تاريخ بغداد / وفيات الأعيان

◆ عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب، السفاح (أول ملوك الدولة العباسية) والإمام الأوزاعي [075]

تذكر كتب التاريخ عن لقاء الإمام الأوزاعي[1] إمام أهل الشام بقائد جيش العباسيين الذي أطاح بآخر خلفاء بني أمية، لما دخل دمشق بعد أن أجلى بني أميّة عنها قصة فيها زاد وعبرة، فلنستمع إلى وقائع اللقاء يرويه صاحبه بنفسه رحمه الله. قال: وكان عبد الله بن علي[2]،أمير العباسيين قد طلبه إليه، فتأخر عليه بعد أن طلبه ثلاثة أيام. قال الأوزاعي: دخلت عليه وهو على سريره وفي يده خيزرانة والحراس عن يمنه وشماله معهم السيوف مصلتة والغمد والحديد. فسلمت عليه فلم يرد، ونكت بتلك الخيزرانة التي في يده، ثم قال: يا أوزاعي، ما ترى فيما صنعناه من إزالة أيدي أولئك الظلمة عن العباد والبلاد؟ أجهاد ورباط هو؟. فقلت: أيها الأمير، سمعت يحيى بن سعيد الأنصاري يقول سمعت محمد بن إبراهيم التميمي يقول سمعت علقمة بن وقاص يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ﴾ فنكت بالخيزرانة أشد ما ينكت وجعل من حوله يقبضون أيدهم على قبضات سيوفهم. ثم قال: يا أوزاعي ما تقول في دماء بني أمية؟ فقلت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ﴾ فنكت بها أشد من ذلك، ثم قال: ما تقول في أموالهم؟ فقلت: إن كانت في أيدهم حرام فهي حرام عليك أيضا، وإن كانت حلال فلا تحل لك إلا بطريق شرعي. فنكت أشد ما ينكت قبل ذلك ثم قال: ألا نوليك القضاء؟!. قلت: إن أسلافك لم يكونوا يشقون علي في ذلك، وإني أحب أن يتم ما ابتدئوني به من الإحسان. ثم انتظرت رأيي أن يسقط بين يدي، فأمرني بالانصراف.

روى أبو نعيم في الحلية عن الأوزاعي، قال: سألني عبد الله بن علي – والمسودة[3] قيامٌ على رُؤوسنا بالكافر كُوبات*–. فقال: أليس الخلافة وصية لنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل عليها عليٌّ بصفين؟ قال: قلت: لو كانت وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حَكَّم عليٌّ الحَكَمين. قال: فنكس رأسه.

* (الكافر كوبات) جمع الكافر كوب وهي المقرعة.

---

(1) عبد الرحمن الأوزاعي، هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي من كبار تابعي التابعين. ولقب بالأوزاعي نسبة إلى الأوزاع وهي بطن من ذي الكلاع باليمن. ولد سنة 88 هـ بقرية بعلبك في لبنان وربته أمه يتيما، ثم استقر بدمشق. وقد برع الأوزاعي في تفسير القران الكريم، وحفظ الحديث، والأخبار، والمغازي، وكان صاحب مذهب ساد في الشام زمنا، ثم ما لبث أن ضعف انتشاره، بسبب انتشار المذهبين المالكي والشافعي اللذين حلا محله. وقد التزم الأوزاعي في فتاويه بالتوقف عند النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة. وللأوزاعي كتابان في الفقه، هما السنن والمسائل، وقد ضمن كتاب المسائل الفتاوى التي أفتى بها. توفي الأوزاعي سنة 157هـ في بيروت.

(2) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، السفاح، يكنى أبا العباس ويقال له أيضا المرتضى والقائم.وعبد الله الأصغر بن محمد. ولد بالشراة، سنة 105 هـ وهو أول ملوك بني العباس بويع بالكوفة، وانتقل إلى الأنبار فسكنها حتى مات بها، وكان أصغر سنا من أخيه أبي جعفر. واستخلف سنة 132 هـ ومات بالجدري سنة 136 هـ.وله ثلاث وثلاثون سنة.وصلى عليه عيسى بن علي، ودفن بالأنبار.

(3) المسودة هم أتباع آل البيت والعباسيون الذين اتخذوا السواد شعارا لهم. أو لسواد أغطية رءوسهم.

أيها الإخوة المؤمنون، كان عبد الله بن علي هذا أخو أبو جعفر المنصور من اشد قواد بني العباس بأس وأكثرهم سفك للدماء وقد أوقع في الأمويون وبقياهم مقتلة عظيمة، كان جبار مرهوب الجانب، ومع ذلك أنظر رعاك الله إلى موقف عالمنا الأوزاعي بين يديه، وثبات جنانه، وحسن جوابه، كان يريد منه الإفتاء له في حلية الدماء التي سفكها، بل وباعتبار ذلك جهاد ورباط، وحلية الأموال التي حازها من أسلفه أيضا، بل إنه لم رأى منه ثبات أرده أن يجوزه إلى حاشيته فعرض عليه القضاء. فما زاده إلا ثبات وبعداً عنه، فأين من هؤلاء اليوم علماء اصطفوا في حاشية أولياء الأمور يسبقون بفتاويهم الباطلة ضلال الأمراء وما هم فيه من الظلم، والطغيان، حتى جعلوا لهم الحلال حرام، والحرام حلال. كل ذلك من أجل حيازة دنيا باطلة، فأين هذا من ثبات سلفنا الصالح، وهم يقولون الحق ينتظر أحدهم، كما قال الأوزاعي رحمه الله، أن يسقط رأسه بين يديه، فما يزيده هذا إلا ثبات. فسلام الله على من سار على دربهم، من علمائنا الثابتين في سجون الحكام الظالمين.

في صفة اجتماع الحكمين وهما أبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، بدومة الجندل. قال ابن الجوزي: بعث علي رضي الله عنه أربعمائة رجل عليهم شريح بن هانئ الحارثي، وفيهم أبو موسى، وبعث معهم عبد الله بن عباس يصلي ويلي أمورهم، ولم يحضر علي وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام، ثم جاء معاوية، واجتمعوا بأذرح، وشهد معهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، أوالمغيرة بن شعبة في جماعة كثيرة.والتقى الحكمان، فقال عمرو بن العاص: يا أبا موسى، أرأيت أول ما يقضى به من الحق أن يقضى لأهل الوفاء بوفائهم، وعلى أهل الغدر بغدرهم، قال: وما ذاك؟ قال: ألست تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وافوا وقدموا للموعد؟ قال: بلى، قال عمرو: اكتبها، فكتبها أبو موسى، قال: ألست تعلم أن عثمان رضي الله عنه قتل مظلوما؟ قال: أشهد، قال: أفلست تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه؟ قال: بلى، قال: فإن الله عز وجل قال:﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء] فما يمنعك من معاوية ولي عثمان، وبيته في قريش كما قد علمت، فإن قال الناس ليس له سابقة فلك حجة، وهي أن تقول: إني وجدته ولي عثمان المظلوم، والطالب بدمه، وقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني لم أكن لأوليه، وأدع المهاجرين الأولين والأنصار، ولو خرج لي من سلطانه ما كنت لأرتشي في حكم الله، ولكنك إن شئت أحييتا اسم عمر بن الخطاب. فأبى عمرو وقال: أخبرني عن رأيك، قال: رأيي أن نخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى بين المسلمين، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا، فقال له عمرو: فإن الرأي ما رأيت، فأقبلا إلى الناس فقال عمرو: يا أبا موسى أعلمهم بأن رأينا قد اجتمع، فتكلم أبو موسى فقال: رأيي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به أمر هذه الأمة، فقال عمرو: صدق وبر، يا أبا موسى، تقدم فتكلم. فتقدم أبو موسى ليتكلم فدعاه ابن عباس فقال له: ويحك، والله إني لأظنه قد خدعك إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه فليتكلم بذلك قبلك، فإني لا آمن أن يخالفك، فقال: إنا قد اتفقنا. فتقدم أبو موسى، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لأمرها ولا ألم لشعثها من أمر قد اجتمع عليه رأيي ورأي عمرو، وهو أن نخلع عليا ومعاوية، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر، فيولوا منهم ما أحبوا عليهم، وإني قد خلعت عليا ومعاوية، فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلا، ثم تنحى. وأقبل عمرو فقام مقامه، فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن هذا قد قال ما سمعتم، وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية، فإنه ولي عثمان، والطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه، فقال له أبو موسى: مالك، لا وفقك الله، غدرت وفجرت، إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث. قال عمرو: إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا. وحمل شريح بن هانئ على عمرو فقنعه بالسوط، وحمل على شريح ابن لعمرو فضربه بالسوط، وقام الناس فحجزوا بينهم. فالتمس أهل الشام أبا موسى فركب راحلته ولحق بمكة. وكان يقول: اطمأننت إلى عمرو وظننت أنه لن يؤثر شيئا على نصح الأمة، ولقد حذرنيه ابن عباس. وانصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية وسلموا عليه بالخلافة وقام معاوية عشية في الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، من كان متكلما في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، قال ابن عمر: فأطلعت حويتي فأردت أن أقول: يتكلم فيه رجال قاتلوك وأباك على الإسلام، ثم خشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجماعة ويسفك فيها دم وأحمل فيها على غير رأيي، وذكرت ما وعد الله في الجنان فأمسكت. قال عمرو بن العاص: بلغني أن عتبة بن أبي سفيان قال لعبد الله بن عباس: ما منع عليا أن يبعثك مكان أبي موسى، فقال عبد الله: منعه والله من ذلك حاجز القدر، وقصر المدة، ومحنة الابتلاء، أما والله لو بعثني لاعترضت في مدارج نفس عمرو ناقصا ما أبرم ومبرما لما نقض، أسف إذا طار وأطير إذا أسف، ولكن مضى قدر وبقي أسف، والآخرة خير لأمير المؤمنين. حدث عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سألت أبي قلت: ما تقول في علي ومعاوية؟ فأطرق ثم قال: يا بني، إيش أقول فيهما، أعلم أن عليا كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه عيبا فلم يجدوا، فجاءوا إلى رجل قد حاربه وقاتله فوضعوا له فضائل كيدا منهم له. أو كما قال.

حكى المدائني قال: قام عمرو بن العاص في موسم من مواسم العرب فأطرى معاوية بن أبي سفيان وبني أمية وذكر مشاهده بصفين، واجتمعت قريش فأقبل عبد الله بن عباس على عمرو فقال: يا عمرو إنك بعت دينك من معاوية وأعطيته ما بيدك، ومناك ما بيد غيره، فكان الذي أخذ منك أكثر مما أعطاك، والذي أخذت منه دون الذي أعطيته، وكل راض بما أخذ وأعطي، فلما صارت مصر في يدك كدرها عليك بالعزل والتنغيص حتى لو كانت نفسك بيدك ألقيتها، وذكرت مشاهدك بصفين فوالله ما ثقلت علينا وطأتك ولقد كشفت فيها عورتك، وإن كنت لطويل اللسان، قصير السنان، آخر الخيل إذا أقبلت، وأولها إذا أدبرت، لك يدان: يد لا تبسطها إلى خير وأخرى لا تقبضها عن شر، ووجهان: وجه موحش ووجه مؤيس، ولعمري ان من باع دينه بدنيا غيره لحري أن يطول ندمه. لك لسان وفيك خطل، ولك رأي وفيك نكد، ولك قدر وفيك حسد، فأصغر عيب فيك أكبر عيب في.

روى سليمان بن حبيب المحاربي، قال: دخلت مسجد حمص، فإذا مكحول، وابن أبي زكرياء جالسان، فقال مكحول: لو قمنا إلى أبي أمامة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأدينا من حقه، وسمعنا منه، قال: فقمنا جميعا، حتى أتيناه، فسلمنا عليه، فرد السلام، ثم قال: إن دخولكم علي رحمة لكم وحجة عليكم، ولم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم من شيء أشد خوفا على هذه الأمة من الكذب والعصبية، ألا وإياكم والكذب والعصبية، ألا وإنه أمرنا أن نبلغكم ذلك عنه، ألا وقد فعلنا فأبلغوا عنا ما بلغناكم.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ البداية والنهاية/ الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي/ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم

◆ عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب، السفاح (أول ملوك الدولة العباسية) وربيعة الرأي [076]

عن مالك[1] قال: قال لي ربيعة[2] حين أراد الخروج إلى العراق: إن سمعت إني حدثتهم شيئاً أو أفتيتهم فلا تعدّني شيئاً. فكان كما قال: لمّا قدمها لزم بيته فلم يخرج إليهم ولم يحدثهم بشيء حتى رجع. قال مالك: لمّا قدم على أمير المؤمنين أبي العباس أمر له بجائزة فأبى أن يقبلها. فأعطاه خمسة آلاف درهم ليشتري بها جارية فأبى أن يقبلها. وكان أبو العباس السفاح قد أقدم عليه ربيعة الانبار ليوليه القضاء فلم يفعل، وعرض عليه العطاء فلم يقبل.

حدث أحمد بن سعيد بن سلم الباهلي، عن أبيه، قال: حدثني من حضر مجلس السفاح وهو أحشد ما كان ببني هاشم والشيعة، ووجوه الناس، فدخل عبد الله بن حسن بن حسن[3] ومعه مصحف، فقال: يا أمير المؤمنين، أعطنا حقنا الذي جعله الله لنا في هذا المصحف، قال: فأشفق الناس من أن يعجل السفاح بشيء إليه فلا يريدون ذلك في شيخ بني هاشم في وقته، أو يعيى بجوابه فيكون ذلك نقصا له، وعارا عليه، قال: فأقبل عليه غير مغضب ولا مزعج، فقال: إن جدك عليا، وكان خيرا مني وأعدل، ولي هذا الأمر فأعطي جديك الحسن والحسين، وكانا خيرا منك، شيئا؟ وكان الواجب أن أعطيك مثله، فإن كنت فعلت فقد أنصفتك، وإن كنت زدتك فما هذا جزائي منك، قال: فما رد عبد الله جوابا وانصرف، والناس يعجبون من جوابه له.

حدث يعقوب بن إبراهيم بن سعد[4]،قال: دخل عمران بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع العدوي[5] على أبي العباس في أول وفد وفد عليه من المدينة، فأمروا بتقبيل يده (يديه) فتبادروها (فبادروها)، وعمران واقف، ثم حياه بالخلافة، وهنأه، وذكر حسبه ونسبه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إنها والله لو كانت تزيدك رفعة، وتزيدني من الوسيلة إليك ما سبقني بها أحد، وإني لغني عما لا أجر لنا فيه، وعلينا فيه ضعة، قال: ثم جلس، فوالله ما نقص من حظ أصحابه.

حدث محرز بن يسار اليشكري، قال: قدم أبو عون[6] مصر، وقتل بها من قتل، واستولى على البلد، أرسل إلى حيوة بن شريح:[7] ائتني، قال: فجاء، فدخل عليه، قال: فقال: إنا معشر الملوك لا نعصى، فمن عصانا قتلناه، قد وليتك القضاء، قال: أو آمر أهلي؟ ، قال: اذهب. قال: فجاء حيوة بن شريح إلى أهله، فغسل رأسه ولحيته، ونال شيئا من طيب، ولبس أنظف ما قدر عليه من الثياب، قال: ثم جاء فدخل عليه، قال: فقال: من جعل السحرة أولى بما قالوا منا:﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [طه] فلست أتولى لك شيئا، قال: فأذن له فرجع.

---

(2) ربيعة بن أبي عبد الرحمن التيمي أبو عثمان المدني، واسم أبي عبد الرحمن فروخ مولى آل المنكدر، ويكنى ربيعة أبا عثمان. ويقال أبا عبد الرحمن. المشهور بربيعة الرأي. وتوفي بالأنبار وقيل بل رجع إلى المدينة فمات بها. وذلك في سنة 136 هـ في آخر خلافة أبي العباس. وكان قد أدرك بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والأكابر من التابعين، وكان صاحب الفتوى بالمدينة، وكان يجلس إليه وجوه الناس بالمدينة، وكان يحيى في مجلسه أربعون معتما، وعنه أخذ مالك بن أنس.سمع ربيعة من أنس بن مالك والسائب بن يزيد وعامة التابعين من أهل المدينة. وروى عنه مالك والثوري وشعبة والليث بن سعد. وعن يونس بن يزيد قال: رأيت أبا حنيفة عند ربيعة وكان مجهود أبي حنيفة أن يفهم ما يقول ربيعة.وعن مالك بن أنس قال: ذهبت حلاوةُ الفقه منذ مات ربيعة بن أبي عبد الرحمن. قال الليث: وقال لي عبيد الله بن عمر في ربيعة: هو صاحب معضلاتنا وأعلمنا وأفضلنا.

(7) حيوة بن شريح بن صفوان التجيبي (أو الحضرمي) أبو زرعة المصري الفقيه، من رؤوس العلم والعمل بديار مصر. روى عن ربيعة بن يزيد القصير وعقبة بن مسلم ويزيد بن أبي حبيب وأبي يونس سليم بن جبير وطائفة. وعنه ابن المبارك وأبو وهب وأبو عاصم. والمقري وعبد الله بن يحيى البرلسي، وجماعة آخرهم موتا هانئ بن المتوكل الإسكندراني. توفي حيوة سنة 158 هـ على الصحيح.

(3) عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، أبو محمد المدني. وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب. كان من العباد، وكان له شرف، وعارضة، وهيبة، ولسان شديد. وأدرك دولة بني العباس، ووفد على أبي العباس بالأنبار. وكان ذا منزلة من عمر بن عبد العزيز في خلافته، ثم أكرمه أبو العباس، توفي في حبس أبي جعفر. وكان موته قبل مقتل ابنه محمد بن عبد الله بأشهر، الذي قتل سنة 145 هـ وكانت لعبد الله بن حسن أحاديث.

(1) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات. من شيوخه حميد الطويل، وربيعة الرأي، أيوب السختياني، صفوان بن سليم، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، عبد الرحمن بن القاسم، عبد الكريم الجزري، عطاء الخراساني، الزهري، محمد بن المنكدر، نافع. وحدث عنه من شيوخه عمه أبو سهيل، والزهري، وغيرهم الكثير.

(4) يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي،كنيته أبو يوسف، من أهل المدينة سكن العراق يروي عن أبيه وابن أخي الزهري روى عنه عبد بن حميد وأهل العراق مات بفم الصلح سنة ثمان 208 هـ

(6) أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي ، مولى هناءة من الأزد وهو من أهل جرجان. كان أمير مصر من سنة 133 هـ إلى سنة 136 هـ ثم ثاني مرة من سنة 137 هـ إلى سنة 141 هـ

(5) عمران بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع العدوي... ؟. إبراهيم بن محمد العدوي...؟ (في كتاب محاضرات الأدباء)

كان الثوري يقول: إذا رأيت القارئ يلوذ بالسلطان فاعلم أنه لص. وإذا رأيته يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مراء، وإياك أن تخدع، فيقال لك: نرد مظلمة، ندفع عن مظلوم، فإن هذه خدعة إبليس اتخذها للقراء سلما. يقول الأوزاعي: ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزورعاملا، أي من عمال الحكومة. وعن معاذ بن جبل: ما من عالم أتى صاحب سلطان طوعا إلا كان شريكه في كل لون يعذب به في نار جهنم. عن حذيفة: إياكم ومواقف الفتن. قيل: وما هي؟ قال: أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب، ويقول ما ليس فيه. حكى المروذي قال سمعت عبد الصمد يقول: قال بشر: إن الله عز وجل إذا أبغض عبده نبذه إلى هؤلاء المترفين وقال شعيب بن حرب: سمعت سفيان الثوري يقول: إني لألقى الرجل أبغضه، فيقول لي: كيف أصبحت؟ فيلين له قلبي، فكيف بمن أكل ثريدهم، ووطئ بساطهم. قال أبو ذر لسلمة بن قيس: لا تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك أفضل منه. ومثل ذلك قول ابن مسعود : إن على أبواب السلطان فتنا كمبارك الإبل والذي نفسي بيده لا تصيبون من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينكم مثله. عن عبيد بن عمير، قال من ازداد منهم قربا ازداد الله منه بعدا، ومن كثر ماله اشتد حسابه، ومن كثر تباعه كثرت شياطينه. عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنْ أُنَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَقُولُونَ نَأْتِي الْأُمَرَاءَ فَنُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَنَعْتَزِلُهُمْ بِدِينِنَا، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ، كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الْقَتَادِ إِلَّا الشَّوْكُ، كَذَلِكَ لَا يُجْتَنَى مِنْ قُرْبِهِمْ إِلَّا الْخَطَايَا﴾ وعن علقمة بن وقاص قال كان علقمة يدخل على الأمراء ثم جلس عنهم فقيل له ما يجلسك عنهم قال حدثني بلال بن الحارث قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إن أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللهُ بِهَا سَخَطَهِ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ﴾ وعن كعب بن عجرة قال: ﴿خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ تِسْعَةٌ وَبَيْنَنَا وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ فَقَالَ: سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِي أُمَرَاءُ فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَا يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَسَيَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ﴾ وعن ابن طاووس، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿كَانَتْ أَنْبِيَاءُ، وَسَيَكُونُ بَعْدَهُمْ أُمَرَاءُ، يَتْرُكُونَ بَعْضَ مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ، فَمَنْ نَاوَأَهُمْ نَجَا، وَمَنِ اعْتَزَلَهُمْ سَلِمَ، أَوْ كَادَ يَسْلَمُ، وَمَنْ وَقَعَ مَعَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ فَهُوَ مِنْهُمْ﴾.

عن عبد الله بن العيزار قال كان مطرف بن عبد الله بن الشخير يقول اللهم إني أعوذ بك من أن أقول شيئا من الحق أريد به سواك وأعوذ بك من ضر ينزل بي يضطرني إلى معصيتك وأعوذ بك أن تزين لي شيئا من شأني يشينني عندك وأعوذ بك أن يكون غيري أسعد بما أعطيتني مني وأعوذ بك أن أكون عبرة للناس.

مراجع: صفة الصفوة/ الوافي بالوفيات/ تاريخ بغداد/ العقد الفريد/ تفسير المنار/ البداية والنهاية/ صحيح ابن حبان/ أخبار الشيوخ وأخلاقهم/ الثقات لابن حبان/ إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال

◆ أبو جعفر عبد الله المنصور (ثاني ملوك الدولة العباسية) والإمام جعفر الصادق (١) [077]

روت كتب الأثر أن أبو جعفر المنصور[1] تناهى إلى سمعه من بعض الوشاة أن الإمام جعفر الصادق[2] يجمع من أموال الزكاة ما يمد به محمد بن عبد الله بن الحسن، الذي كان قد خرج على المنصور، فأمر بإحضاره ليحقق معه أمام شهود يزعمون أنه فعل ذلك، وأنه يرسل موله معلى بن حبيس للقيام بهذه المهمة، ودار بينهما الحوار التالي: قال المنصور: يا جعفر ما هذه الأموال التي يجيها لك المعلى بن حبيس. فأجابه الصادق: معاذ الله من ذلك يا أمير المؤمنين، فعرض عليه المنصور أن يقسم على ذلك بالطلاق والعتاق*. فما كان من الإمام جعفر الصادق إلا أن قال له: نعم يا أمير المؤمنين، أحلف بالله أنه مكان شيء من ذلك. فقال أبو جعفر: بل تحلف بالطلاق والعتاق. فستغرب الإمام قائلا: أما ترضى بيمين بالله الذي لا إله إلا هو! فقال المنصور: دع عنك هذا، ولا تتفقه علي، فإن أجمع بينك الآن وبين الرجل الذي يشهد عليك بهذا. ثم أدخل الرجل الشاهد وسأله المنصور بحضور الإمام. فقال: نعم هذا صحيح، وهذا هو جعفر بن محمد الذي قلت فيه ما قلت. فقال له الإمام الصادق: أتحلف أيها الرجل أن الذي رفعته صحيح ؟. فقال الرجل: نعم، ثم أردف يقول والله الذي لا إله إلا هو الطالب الغالب الحي القيوم.. فقاطعه الإمام قائلا: لا تعجل بيمينك فإني أستحلفك. فقال المنصور للإمام: وما أنكرت من يمينه ؟ فقال الإمام : إن الله تعالى حي كريم يستحي من عبده إذا أثنى عليه أن يعاجله بالعقوبة لمدحه له، ولكن قل أيها الرجل، أبرأ إلى الله من حوله وقوته وألجأ إلى حولي وقوتي لصادق برا فيما أقول. فقال المنصور للرجل: أحلف بما استحلفك أبو عبد الله. قال الروي: فحلف الرجل بهذه اليمين فلم يستتم كلامه حتى خر ميتا، فراع المنصور ذلك وارتعد، وقال للصادق: يا أبا عبد الله اذهب فوالله لا قبلت بعدها فيك قول أحد.

في رواية عن عامر بن صالح قال: سمعت الفضل بن الربيع[3] يحدث عن أبيه الربيع[4]،قال: قدم المنصور المدينة فأتاه قوم فوشوا بجعفر بن محمد، وقالوا: إنه لا يرى الصلاة خلفك، ولا ينقصك ولا يرى التسليم عليك، فقال: يا ربيع ائتني بجعفر بن محمد، قتلني الله إن لم أقتله، فدعوت به، فلما دخل عليه كلمه إلى أن زال عنه الغضب، فلما خرج قلت له يا أبا عبد الله همست بكلام أحببت أن أعرفه، قال نعم كان جدي علي ابن الحسين يقول: من خاف من سلطان ظلامة أو تغطرسا فليقل: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، وأكنفني بكنفك الذي لا يرام واغفر لي بقدرتك علي، وإلا هلكت وأنت رجائي، فكم من نعمة قد أنعمت بها علي قل لك عندها شكري، وكم من بلية قد ابتليتني بها قل لك عندها صبري، يا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني، ويا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني، ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني ويا ذا النعماء التي لا تحصى ويا ذا الأيادي التي لا تنقضي، أستدفع مكروه ما أنا فيه، وأعوذ بك من شره يا أرحم الراحمين.

قال أبو الحسن المدائني: بعث أبو جعفر المنصور إلى جعفر بن محمد فأتاه فقال: إني أريد أن أستشيرك في أمر؛ قد رأيت إطباق المدينة على ختري وقد تأنيت بهم مرة بعد أخرى ولا أراهم ينتهون، وقد رأيت أن أبعث إليهم من يجمر نخلها ويغور عيونها فما ترى فسكت جعفر فقال: ما بالك لا تتكلم قال: يا أمير المؤمنين إن سليمان بن داود أعطي فشكر وإن أيوب ابتلي فصبر وإن يوسف قدر فغفر، وقد جعلك الله من نسل الذين يغفرون ويصفحون، قال: فطفئ غيظه.

ويقال إن سليمان بن علي[5] عم المنصور أخذ غلاما لجعفر فكتب جعفر إليه: أيها الأمير إن الإنسان ينام على الشك ولا ينام على الحرام، فإما أن رددت غلامي وإلا عرضت أمرك على الله خمس مرات في اليوم والليلة؛ فرده عليه.

وعن أحمد بن عمرو بن المقدام الرازي قال وقع الذباب على المنصور فذبه عنه فعاد فذبه حتى اضجره فدخل جعفر بن محمد فقال له المنصور يا أبا عبد الله لم خلق الله عز وجل الذباب قال ليذل به الجبابرة. (وهذه تشبه مقولة الشافعي)

* قيل: يكره الحلف بالطلاق والعتاق لقوله عليه الصلاة والسلام:﴿مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ﴾

---

(2) أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين؛ أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية، وكان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالته وفضله أشهر من أن يذكر، وله كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفأل، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتابا يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة. وكانت ولادته سنة 80 هـ وهي سنة سيل الجحاف، وقيل: بل ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس ثامن شهر رمضان سنة 83 هـ. وتوفي في شوال سنة 148 هـ بالمدينة، ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي، فلله دره من قبر ما أكرمه وأشرفه.وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، رضي الله عنهم أجمعين.

(1) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفر المنصور،عبد الله الأكبر .الملك العباسي الثاني والمؤسس الحقيقي للدولة،ولد سنة 95 هـ عهد إليه أخوه السفاح (عبد الله الأصغر بن محمد) وبويع له سنة 136 هـ بعد وفاة أخيه السفاح، وكان شجاعا مهيبا تاركا للهو واللعب، قتل خلقا كثيرا حتى ثبت الأمر له ولولده، وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب كان عارفا بالفقه والأدب محبا للادباء، وهو بانى مدينة بغداد، توفي محرما على باب مكة سنة 158 هـ ودفن ما بين الحجون وبئر ميمون.

(4) أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة –واسمه كيسان – مولى الحارث الخفار، مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ كان الربيع المذكور حاجب أبي جعفر المنصور، ثم وزر له بعد أبي أيوب الموريانى.

(3) أبو العباس الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة واسمه كيسان، مولى عثمان بن عفان، وجاء ذكر أبيه في شيء من أخباره مع أبي جعفر، فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة، كان الفضل بن الربيع يروم التشبه بهم ومعارضتهم ولم يكن له من القدرة ما يدرك به اللحاق بهم، فكان في نفسه منهم إحن وشحناء، قال عبيد الله بن سليمان بن وهب: من أسباب زوال أمر البرامكة تقصيرهم بالفضل بن الربيع وسعي الفضل بهم وتمكنه من المجالسة مع الرشيد فأوغر قلبه عليهم وملأه على ذلك كاتبهم إسماعيل بن صبيح حتى كان ما كان

(5) سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وأمه أم ولد وتوفي بالبصرة سنة 142 هـ وهو ابن تسع وخمسين سنة.

أيها الإخوة المؤمنون، هو التاريخ يعيد نفسه وشياطين الإنس والجن هم اليوم كما كانوا في كل زمان، الوشاة الكاذبون والمخبرون القتاتون، يأكلون أرزاقهم بدماء المظلومين الصالحين والله بالمرصاد وعقابه محيط بهم، ولإن استدرجهم في هذه الدنيا فلا تغرنهم النجاة فإن لهم موعداً لن يخلفوه، وبيننا وبينهم موعداً أبعده يوم الحشر، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء] وهذه الآية عامة في كل ظالم.

لما لقي أسقف نجران عمر بن الخطاب قال: يا أمير المؤمنين احذر قاتل الثلاثة. قال: ومن قاتل الثلاثة ؟ قال: الرجل يأتي الإمام بالحديث الكذب فيقبله الإمام، فيكون قد قتل نفسه وصاحبه وإمامه. فقال عمر رضي الله عنه: ما أراك أبعدت. ووجدنا في حكم القدماء أبغض الناس إلى الله عز وجل المثلث. قال الأصمعي: هو الرجل يسعى بالنميمة في أخيه إلى الإمام فيهلك نفسه وأخاه وإمامه. وذكر الرجل السعاة عند المأمون فقال: لو لم يكن من عيبهم إلا أنهم أصدق ما يكون أبغض ما يكون عند الله عز وجل. وروي أن رجلاً سعى بجار له عند الوليد بن عبد الملك فقال له الوليد: أما أنت فتخبرنا أنك جار سوء فإن شئت أرسلنا معك، فإن كنت صادقاً أبغضناك وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت تركناك. قال: فاتركني يا أمير المؤمنين. فقال: قد تركناك!. وقال يحيى بن زيد: قلت للحسن بن علي رضي الله عنهما لما سقي السم: أخبرني من سقاك. فدمعت عيناه وقال: أنا في آخر قدم من الدنيا وأول قدم من الآخرة، أتأمرني أن أغمز؟. وقال رجل للمهدي: عندي نصيحة يا أمير المؤمنين. قال: لمن نصيحتك هذه ألنا أم لعامة المسلمين أم لنفسك ؟. قال: لك يا أمير المؤمنين.قال مهدي: ليس الساعي بأعظمهم عورة ولا بأقبح حالاً ممن قبل سعايته، ولا يخلوا من أن تكون حاسد نعمة فلا يشفي لك غيظك، أو عدوا فلا يعاقب لك عدوك. ثم أقبل على الناس وقال: يا أيها الناس لا ينصح لنا ناصح إلا بما لله فيه رضى وللمسلمين فيه صلاح. وروي أن رجلاً سعى برجل إلى الفضل بن سهل فوقع على ظهر كتابه: نحن نرى قبول السعاية أسوأ من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة، وليس من دل على شيء كمن قبل وجاز لأن من فعل أشر ممن قال. وروي أن رجلاً رفع إلى المنصور نصيحة فوقع على ظهرها: هذه النصيحة لم يرد بها وجه الله تعالى، ولا جواب عندنا لمن آثرنا على الله تعالى. وروي أن رجلاً قال للمأمون يا أمير المؤمنين الله في أصحاب الأخبار فإنهم قوم إذا أعطوا مدحوا، وإن حرموا ذموا وهم كاذبون !. فقال المأمون: لله درها من كلمة ما أصدقها وأبين فضلها !. وأمر أن يثبت في ديوان أصحاب الأخبار. وقال حكيم الفرس: الصدق زين على كل أحد إلا السعاية، فإن الساعي أذم وآثم ما يكون إذا صدق. ولله در الإسكندر حين وشى إليه واش برجل فقال له الإسكندر: إن شئت قبلناك على صاحبك بشرط أن نقبله عليك، وإن شئت أقلناك. قال: أقلني. قال: قد أقلناك، كف عن الشر يكف عنك الشر. روى ابن قتيبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا دَيُّوثٌ وَلَا قلاع﴾ الديوث الذي يجمع (يدث) بين الرجال والنساء. والقلاع الساعي الذي يقع في الناس عند الأمراء لأنه يقصد الرجل المكين عند السلطان فلا يزال يقع فيه حتى يقلعه.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ سراج الملوك/ وفيات الأعيان/ حلية الأولياء/ كنز العمال

◆ أبو جعفر عبد الله المنصور (ثاني ملوك الدولة العباسية) والإمام جعفر الصادق (٢)[078]

عن عبد الله بن الفضيل بن الربيع عن ابيه قال حج أبو جعفر سنة 147 هـ فقدم المدينة وقال ابعث إلي جعفر بن محمد [1] من يأتينا به تعباً قتلني الله إن لم أقتله فتغافل عنه الربيع لينساه ثم أعاد ذكره للربيع وقال أرسل إليه من يأتي به متعبا فتشاغل عنه ثم أرسل إلى الربيع برسالة قبيحة في جعفر وأمره أن يبعث إليه ففعل فلما أتاه قال له يا أبا عبد الله اذكر الله فانه قد أرسل إليك التي لا سوى لها. قال جعفر: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم اعلم أبا جعفر حضوره فلما دخل أوعده وقال: أي عدو الله اتخذك أهل العراق إماما يجبون إليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوائل قتلني الله إن لم أقتلك!. فقال: يا أمير المؤمنين إن سليمان عليه السلام أعطى فشكر وإن أيوب ابتلي فصبر وإن يوسف ظلم فغفر وأنت من ذلك السنخ. فقال له أبو جعفر: إلي وعندي أبا عبد الله البريء الساحة السليم الناحية القليل الغائلة جزاك الله من ذي رحم افضل ما جزى ذوي الأرحام عن أرحامهم. ثم تناول يده فأجلسه معه على فراشه، ثم قال: علي بالمنجفة فأتي بدهن فيه غالية فغلفه بيده حتى خلت لجيته قاطرة، ثم قال: في حفظ الله وفي كلاءته، ثم قال: يا ربيع ألحق أبا عبد الله جائزته وكسوته انصرف أبا عبد الله في حفظ الله وفي كنفه فانصرف ولحقته فقلت له: أي قد رأيت قبل ذلك ما لم تره ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت؟ قال: قلت: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بركنك الذي لا يرام واغفر لي بقدرتك علي لا أهلك وأنت رجائي اللهم انك اكبر واجل ممن أخاف واحذر اللهم بك ادفع في نحره واستعذ بك من شره.

➔ أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين؛ أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية، وكان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالته وفضله أشهر من أن يذكر، وله كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفأل، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتابا يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة. وكانت ولادته سنة 80 هـ، وهي سنة سيل الجحاف، وقيل: بل ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس ثامن شهر رمضان سنة 83 هـ. وتوفي في شوال سنة 148 هـ بالمدينة، ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي، فلله دره من قبر ما أكرمه وأشرفه. وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، رضي الله عنهم أجمعين.

عن مالك بن أنس، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، قال: لما قال سفيان الثوري: لا أقوم حتى تحدثني، قال له: أنا أحدثك، وما كثرة الحديث لك بخير يا سفيان إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها، فأكثر من الحمد والشكر عليها، فإن الله تعالى قال:﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم] وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار، فإن الله تعالى قال:﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح] يا سفيان إذا حزبك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فإنها مفتاح الفرج، وكنز من كنوز الجنة، فعدد سفيان بيده، وقال: ثلاث وأي ثلاث، قال جعفر: عقلها والله أبو عبد الله، ولينفعنه الله بها. وعن يحيى بن الفرات قال قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري لا يتم المعروف إلا بثلاثة بتعجيله وتصغيره وستره. وسئل جعفر بن محمد لم حرم الله الربا قال لئلا يتمانع الناس المعروف. وعن جعفر بن محمد قال من لم يغضب من الجفوة لم يشكر النعمة. وعن بعض أصحاب جعفر الصادق قال دخلت على جعفر وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية فكان مما حفظت منها أن قال: يا بني أقبل وصيتي واحفظ مقالتي فانك إن حفظتها تعش سعيدا وتمت حميدا يا بني انه من قنع بما قسم الله له استغنى ومن مد عينه إلى ما في يد غيره مات فقيرا ومن لم يرض بما قسم الله عز وجل له اتهم الله تعالى في قضائه ومن استصغر زلة نفسه استعصم زلة غيره ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ومن سل سيف البغي قتل به ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها ومن داخل السفهاء حقر ومن خالط العلماء وقر ومن دخل مداخل السوء اتهم يا بني قل الحق لك وعليك وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال يا بني إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه.

مراجع: وفيات الأعيان/ صفة الصفوة/ شذرات الذهب في أخبار من ذهب

◆ أبو جعفر عبد الله المنصور (ثاني ملوك الدولة العباسية) وابن طاووس [079]

عن مالك بن أنس [1]،قال بعث أبو جعفر المنصور إليّ وإلى ابن طاوُوس[2]،فأتيناه فدخلنا عليه، فإذا هو جالس على فُرُش قد نضدت، وبينَ يديْه أنْطاع* قد بسطت، وجَلاوِزَةٌ[3] بأيديهمُ السّيوفُ يَضربون الأعناق. فأومأ إلينا: أنِ اجْلِسا، فجلسنا. فأطرق عنّا طويلاً، ثمّ رفع رأسَه والتفتَ إلى ابنِ طاووس. فقال له حدّثني عن أبيك. وأبوه هو أبن كيسان التابعي رحمه الله. قال طاوُوس نعم، سمعت أبي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إنّ أشدَّ النّاسِ عذاباً يومَ القيامةِ رجلٌ أشرَكَهُ الله في حُكْمِهِ فأدخلَ عليهِ الجَوْرَ في عَدْلِه﴾ فأمسكَ المنصورُ ساعة.. قال مالك: فضممتُ ثيابي من ثيابه (ثياب ابن طاووس) مخافة أن يملأني من دمه. ثمّ التفتَ إليه أبو جعفر، فقال: عِظْني يا ابن طاووس. قال: نعم يا أميرَ المؤمنين، إنّ الله تعالى يقول:﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ. وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ. وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ. الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ. فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ. فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ. إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر] قال مالك فضممتُ ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأني من دمه. فأمسك المنصور ساعةً حتى اسْوَدَّ ما بيننا وبينه. ثمّ قال يا ابن طاووس ناولْني هذه الدواة. فأمسك عنه. ثمّ قال أبو جعفر المنصور ناولني هذه الدواة. فأمسك عنه. فقال أبو جعفر ما يمنعك أن تناولنيها ؟ قال طاوُوس أخشى أن تكتب بها معصيةً لله فأكونَ شريكَكَ فيها. فلمّا سمعَ ذلك قال قومًا عَنّي. قال ابن طاووس ذلك ما كنّا نبغي. قال مالك فما زلتُ أعرفُ لابن طاووس فضله.

* (الأنطاع) جمع نطع: وهو جلد يبسط عليه رماد كثير تقطع فوقه الأعناق.

---

(2) عبد الله بن طاووس بن كيسان. أصله من اليمن، ويكنى أبا محمد. كان يختلف إلى مكة. سمع أباه وأكثر عنه ، وعكرمة بن خالد، سمع منه الثوري، وابن عيينة. عن معمر، وروح بن القاسم، ووهيب بن خالد، وآخرون..ولم يأخذ عن أحد من الصحابة، ويسوغ أن يعد في صغار التابعين، لتقدم وفاته. قال معمر: كان من أعلم الناس بالعربية، وأحسنهم خلقا، ما رأينا ابن فقيه مثله. وعنه قال لي أيوب: إن كنت راحلا إلى أحد فعليك بابن طاووس. قيل مات في أول خلافة أبي العباس سنة 132 هـ. وفي هذه السنة قتل آخر الخلفاء الأموية؛ مروان الحمار، وقام فيها السفاح. هذا يعني أن المنصور كان ولي عهد، لأن الخليفة العباسي الثاني،أبو جعفر المنصور بويع له بالخلافة في سنة 136 هـ بعد وفاة السفاح، الذي كان أصغر منه سنّا، ولكنه تولى الخلافة قبله امتثالاً لوصية أخيهم إبراهيم الإمام (زعيم الدعوة العباسية) فالله أعلم.

(1) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عمبه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدهوا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات. من شيوخه حميد الطويل، وربيعة الرأي، وأيوب السختياني، صفوان بن سليم، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، عبد الرحمن بن القاسم، عبد الكريم الجزري، عطاء الخراساني، الزهري، محمد بن المنكدر، نافع. وحدث عنه من شيوخه عمه أبو سهيل، والزهري، وغيرهم الكثير.

(3) جَلاوِزَةٌ : جمع جلواز، بكسر الجيم وهو الشّرطي وهم جند لقتل من وجب عليه القتل بمنزلة السيّاف.

أيها الإخوة المؤمنون، نعم لقد كان ابن طاووس فقيه ورعا رفض أن يناول المنصور دواة خشية أن يشاركه في معصيته. قال الله تعالى:﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ [النساء] والشافع الذي يعين غيره فيصير معه شفعا بعد أن كان وترا ولهذا فسرت الشفاعة الحسنة بإعانة المؤمنين على الجهاد والشفاعة السيئة بإعانة الكفار على قتال المؤمنين كما ذكر ذلك ابن جرير وأبو سليمان .. فاحذر أخي أن تكون من الظلمة أو تركن إليهم. وهل يقوم ظلم الظالمين إلا بأعوانهم المجرمين! الذين باعوا أخرتهم بدنياهم ودنيا ولاتي أمورهم. وهل هناك في هؤلاء الأعوان الأشرار شراً ممن ناولا القلم والدواة وجهز الفتوى الظالمة الباطلة لتفضي الشرعية على الظلم وتصوغ الكفر والتشريع من دون الله وإحلال الربا وتسليم البلاد والعباد للكفار وإفشاء المظالم وقتل وسجن الذين يأمرون بالقسط من الناس!. هل هناك شر ممن جعل هذه الموبقات أنها حكم الله وشرع الله !، تعال الله عم يقلون ويظللون علوا كبير. أين هؤلاء الذين يرى أحدهم أنه نال المنى إذا قضى دقائق معدودة في حضر أمير صعلوك من أبن طاووس الذي يقول له المنصور قوما عني فيقول ذلك ما كنا نبغي. لقد سجل تاريخنا الزاهر سيار هؤلاء الأفاضل بمداد الذهب فخلدوا ذكرهم في الصالحين، فما ندري بأي مداد سيسجل تاريخ هؤلاء المبطلون الأسود وبأي ذكراً ستذكرهم الأجيال، فضلا عن ما ينتظرهم عند ربهم،﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر]

ورد في الخبر: ﴿يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الظَّلَمَةُ وَأَعْوَانُهُمْ ؟ فَمَا يَبْقَى أَحَدٌ حَبَّرَ لَهُمْ دَوَاةً أَوْ بَرَى لَهُمْ قَلَمًا فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا حَضَرَ مَعَهُمْ فَيُجْمَعُونَ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ فَيُلْقَوْنَ فِي جَهَنَّمَ﴾ قال عطاء: ﴿كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ، مَا تَقُولُ فِيَّ؟ قَالَ: وَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ فِيكَ؟ قَالَ: إِنِّي عَامِلٌ بِقَلَمٍ. فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: يُؤْتَى بِصَاحِبِ الْقَلَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ مُقْفَلٍ عَلَيْهِ بِأَقْفَالٍ مِنْ نَارٍ، فَإِنْ كَانَ أَجْرَاهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ فُكَّ عَنْهُ التَّابُوتُ، وَإِنْ كَانَ أَجْرَاهُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ هَوَى بِهِ التَّابُوتُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، حَتَّى بَارِي الْقَلَمِ، وَلَابِقِ الدَّوَاةِ﴾ قال الثوري:﴿لَا نُخَالِطُ السُّلْطَانَ وَلَا مَنْ يُخَالِطُهُ، وَقَالَ: صَاحِبُ الْقَلَمِ، وَصَاحِبُ الدَّوَاةِ، وَصَاحِبُ الْقِرْطَاسِ، وَصَاحِبُ اللِّبْلِقَةِ بَعْضُهُمْ شُرَكَاءُ بَعْضٍ﴾ (اللبلقة) قشرة القصب المحددة. روى أن خياطا سأل عبد الله بن المبارك عن خياطته للحكام:﴿هَلْ أَنَا دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا؟ قَالَ: بَلْ يَدْخُلُ فِيهِ مَنْ يَبِيعُكَ الْإِبْرَةَ﴾ قال ابن مسعود:﴿مَنْ رَضِيَ بِأَمْرِ الظَّالِمِ وَإِنْ غَابَ عَنْهُ؛ كَانَ كَمَنْ شَهِدَهُ وَتَلَا الْآيَةَ: وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ، وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ، ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [هود] يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد قال غير واحد من السلف: أعوان الظلمة من أعانهم ولو أنهم لاق لهم دواة أو برى لهم قلما ومنهم من كان يقول بل من يغسل ثيابهم من أعوانهم. وأعوانهم هم من أزواجهم المذكورين في الآية فان المعين على البر والتقوى من أهل ذلك والمعين على الإثم والعدوان من أهل ذلك. ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية لما أتاه الجلاد في سجنه بدمشق وقال له: اغفر لي يا شيخنا فأنا مأمور. فقال له ابن تيمية: والله لولاك ما ظلموا.! وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿يُؤْتَى بِالْقَاتِلِ وَالْمَقْتُولِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَمَرَنِي هَذَا. فَيُؤْخَذُ بِأَيْدِيهِمَا جَمِيعًا فَيُقْذَفَانِ فِي النَّارِ﴾.

عن عمار بن سيف، أنه سمع سفيان الثوري يقول:﴿النَّظَرُ إِلَى السُّلْطَانِ خَطِيئَةٌ﴾ وقال: ﴿لَوْ خُيِّرْتُ بَيْنَ ذَهَابِ بَصَرِي وَبَيْنَ أَنْ أَمْلَأَ بَصَرِي مِنْهُمْ لَاخْتَرْتُ ذَهَابَ بَصَرِي﴾ قال ابن المسيب:﴿لَا تَمْلَؤُوا أَعْيُنَكُم مِنْ أَعْوَانِ الظَّلَمَةِ إِلاَّ بِإِنْكَارٍ مِنْ قُلُوبِكُم، لِكَيْلاَ تَعْبَطَ أَعْمَالُكُم الصَّالِحَةِ﴾ وعن وهب بن إسماعيل، قال: ﴿كُنَّا يَوْمًا عِنْدَ سُفْيَانَ فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْجُنْدِ فَجَعَلَ سُفْيَانُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْنَا، ثُمَّ قَالَ: يَمُرُّ بِكُمُ الْمُبْتَلَى وَالْمَكْفُوفُ وَالزَّمْنَى الَّذِينَ يُؤْجَرُونَ عَلَى بَلَائِهِمْ فَتَسْأَلُونَ اللهَ الْعَافِيَةَ وَيَمُرُّ بِكُمْ هَؤُلَاءِ فَلَا تُسْأَلُونَ اللهَ الْعَافِيَةَ﴾ وعن ابن شهاب قال: كنت ليلة مع سفيان الثوري فرأى نارا من بعيد فقال: ما هذا؟ فقلت: نار صاحب الشرطة، فقال: اذهب بنا في طريق آخر لأنه يستضيء بنارهم، قلت: وما أنسب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود] حكى الأوزاعي عن بلال بن سعد: ﴿أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ يَنْظُرُ أَحَدُكُمْ إِلَى الشُّرْطِيِّ فَيَسْتَعِيذُ بِاللهِ مِنْهُ وَيَنْظُرُ إِلَى عُلَمَاءِ الدُّنْيَا الْمُتَصَنِّعِينَ لِلْخَلْقِ الْمُتَشَوِّفِينَ إِلَى الرِّيَاسَةِ فَلَا يَمقُتُهُم وَهُمْ أَحَقُّ بِالْمَقْتِ مِنْ ذَلِكَ الشُّرْطِيِّ﴾ وعن داود عن أبيه قال: كنت مع سفيان الثوري فمررنا بشرطي نائم وقد حان وقت الصلاة، فذهبت أحركه فصاح سفيان فقال: مه! فقلت: يا أبا عبد الله يصلي، فقال: دعه لا صلى الله عليه، فما استراح الناس حتى نام هذا.

وعن محمد بن أبي منصور أو غيره قال: عاتب سفيان رجلا من إخوانه كان هم أن يتلبس بشيء من أمر هؤلاء – أي: الأمراء – فقال له: يا أبا عبد الله! إن علي عيالا، قال: لئن تجعل في عنقك مخلاة فتسأل على الأبواب خير من أن تدخل في شيء من أمر هؤلاء. وعن يزيد بن هارون (تلميذ أحمد بن حنبل)، قال: كنا عند أَحْمَد فجاءه رجلان عليهما أقبية أظن أنهما جند فسألاه عَنْ مسألة فلم يجبهما.قال في رواية المروذي: سأله: يكتب (أي الحديث) عن الرجل إذا كان جنديا؟ فقال الإمام أحمد بن حنبل: أما نحن فلا نكتب عنهم، وكذلك قال في رواية إبراهيم بن الحارث: إذا كان الرجل في الجند لم أكتب عنه. قال القاضي: وهذا محمول على طريق الورع، لأن الجندي لا يتجنب المحرمات في الغالب.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح /طبقات الشافعية الكبرى للسبكي/ المعجم الأوسط/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ مجمع الفتاوى/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ إحياء علوم الدين/ سراج الملوك/ طبقات الحنابلة/ المسودة لابن تيمية/ التاريخ الكبير/ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

◆ أبو جعفر عبد الله المنصور (ثاني ملوك الدولة العباسية) وعمر بن عبيد [080]

دخل عمرو بن عبيد [1] على أبو جعفر المنصور فأكرمه وعظَّمه وقرَّبه، وسأله عن أهله وعياله ثم قال له: عظني، فقال له: يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل سيوقفك ويسألك عن ذرة من الخير والشر، وإن الأمة خصماؤك يوم القيامة، وإن الله عز وجل لا يرضى منك إلا بما ترضاه لنفسك، ألا وإنك لا ترضى لنفسك إلا بأن يعدل عليك، وإن الله عز وجل لا يرضى منك إلا بأن تعدل في رعيتك، وإن وراء بابك ناران تتأجج من الظلم والجور، والله ما يعمل خلف بابك بكتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم. فبكى أبو جعفر بكاء شديدا. فقال سليمان بن مجالد [2] وهو واقف على رأس المنصور: اكفف عن أمير المؤمنين، فقد شققت عليه. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين من هذا ؟ قال: أخوك سليمان بن مجالد. قال عمرو: ويلك يا سليمان إن أمير المؤمنين يموت، وإن كل ما تره يفقد، وإنك جيفة غداً بالفناء، ولا ينفعك إلا عمل صالح قدمته، وما نفع أمير المؤمنين من قربك إن كنت تطوي عنه النصيحة، وتنهى من ينصحه، يا أمير المؤمنين إن هؤلاء اتخذوك سلما إلى شهواتهم. فكلهم يوقد عليك ناره، ثم تلا ﴿أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ إلى أن بلغ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر] يا أمير المؤمنين، لمن عمل مثل أعمالهم، وفعل مثل فعالهم. يا أمير المؤمنين، لولا أنها مضت عن من كان قبلك لم يصل إليك منها شيء، فاعلم أنك وارث من مضى ومورث غدا، وقادم على ربك، ومجزي بعملك، فاتق ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده، وهي ليلة القيامة (من مات فقد قامت قيامته). فخلع أبو جعفر خاتمه، وقال: دونك ما ورائي يا أبا عثمان، فادع لي أصحابك واستعملهم، فوالله؛ إني لآمر عمالي بالعدل، وأكتب ذلك في عهودهم. قال: ادعهم أنت بعمل صالح تحدثه، وأمر بهذا الخناق فليرفع عن أعناق الناس، واطرد هؤلاء الشياطين عن بابك، لأن أهل الدين لن يأتوك، وهؤلاء ببابك، لأنهم إن عملوا بما يرضيك أسخطوا خالقهم، وإن عملوا بما يرضي خالقهم أسخطوك فأرشوك، ولكن استعمل في اليوم الواحد عمال كل ما رأيك منهم ريب أو أنكرت على رجل عزلته ووليت غيره، فوالله لإن لم تقبل منهم إلا العدل ليتقربا به إليك من لا نية له فيه، ولا حسبة. ثم قام، فخرج.

كان أبو جعفر المنصور يجل عمرو بن عبيد، وقد أمر له ذات مرة بعد موعظة بعشرة آلف درهم. فقال: لا حاجة لي فيها. قال المنصور: والله تأخذها. قال عمرو: والله لا أخذها. وكان المهدي ولد المنصور حاضراً، فقال: يحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت!. فلتفت عمرو إلى المنصور وقال: من هذا الفتى؟. قال: هو ولي العهد أبني المهدي. فقال: أما والله لقد ألبسته لباس ماهراً من لباس الأبرار، وسميته باسم ما استحقه، ومهدت له أمراً أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه. ثم التفت إلى المهدي فقال: نعم يا أبن أخي إذا حلف أبوك حنثه عمك لأن أبك أقوى على الكفارات من عمك. فقال المنصور: هل من حاجة ؟ قال: لا تبعث إلي حتى أتيك. قال: إذن لا تلقاني، فقال: هي حاجتي. ثم مضى. فأتبعه المنصور طرفة وهو يقول: كلكم يمشي رويد...كلكم يطلب صيد...غير عمرو بن عبيد.

---

(1) عمرو بن عبيد بن باب وهو مول لبني قيم، وجده باب، من سبي فارس، مول لآل عرادة، من بلعدوية، من حنظلة قيم، وعبيد أبو عمرو، كان نساجا، ثم تحول شرطيا للحجاج، وهو من سبي سجستان، وقال ابن قتيبة، والفسوي: هو عمرو بن عبيد بن باب، مول لآل عرادة بن يربوع بن مالك، ويكنى أبا عثمان، وكان عبيد أبوه يختلف إلى أصحاب الشر، ولعله يقصد الشرط بالبصرة؛ فكان الناس إذا رأوا عمرا مع أبيه، قالوا: خير الناس ابن شر الناس، فيقول عبيد: صدقتم هذا إبراهيم، وأنا آزر، وقال ابن كثير عند التعريف به: عمرو بن عبيد بن ثوبان، ويقال ابن كيسان التيمي، مولاهم، أبو عثمان البصري، من أبناء فارس، شيخ القدرية، والمعتزلة.ولد عمرو بن عبيد سنة 80 هـ وتوفي سنة 144 هـ

قال ابن حبان: كان عمرو بن عبيد من العباد الخشن، وأهل الورع الدقيق، ممن جالس الحسن سنين كثيرة، ثم أحدث ما أحدث، واعتزل مجلس الحسن البصري، ومعه جماعة؛ فسموا المعتزلة، وكان عمرو بن عبيد داعية إلى الاعتزال. روي ابن كثير، أن أبا جعفر اغتر بزهد عمرو، وأخفى بدعته.وقال ابن كثير: كان عمرو يغر الناس بتقشفه، وهو مذموم ضعيف الحديث جدا.. ، وقد كان يحظيا عند أبي جعفر المنصور، وكان المنصور يحبه، ويعظمه؛ لأنه كان يفد على المنصور مع القراء، فيعظيهم المنصور، فيأخذون، ولا يأخذ عمرو منه شيئا.

(2) سليمان بن مجالد بن أبي مجالد الوزير من أهل الأردن كان أخا أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين من الرضاعة وكان معه بالحميمة من أرض الشام فلما أفضت إليه الخلافة قربه وأدناه وكان معه كالوزير وقدم معه بغداد حين بناها وولاه الري وولي له الخزائن إلى حين وفاته فلما توفي ولى المصور ابن أخيه إبراهيم بن صالح بن مجالد مكانه.

أيها الإخوة المؤمنين، همسة حق استخرجتها من كنوز تاريخنا المجيد، ومواقف أعلامنا الأجلاء، همسة في أذن ملوك بغوا وتجبروا ليروا كيف كانت سيرة الملوك، وهمسة في أذن أعوان الطواغيت ليعلموا ماذا ينتظرهم، وأخيراً، همسة في أذن كل من يمشي رويدا ويطلب صيدا من علماء الطواغيت فإن الله تعالى يقول:﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف].

لما استأذن الهرمزان على عمر بن الخطاب لم يجد عنده حاجباً ولا بواباً فقيل له: هو في المسجد، فأتى المسجد فوجده مستلقياً متوسداً كوماً من الحصى ودرته بين يديه، فقال له الهرمزان:﴿يَا عُمَرُ عَدَلْتُ فَأَمِنْتُ فَنِمْتُ﴾ قال الحسن بن علي: رأيت عثمان وقد جمع الحصى في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم عند رأسه، وقد وضع إحدى جانبي ردائه عليه وهو يومئذ أمير المؤمنين، ما عنده أحد من الناس ودرته بين يديه. قالت الحكماء: رم ما شئت بالإنصاف وأنا زعيم لك بالظفر به. والظلم أدعى شيء إلى تغيير نعمة أو تعجيل نقمة. وقال الحكيم: شر الزاد إلى المعاد الذنب بعد الذنب، وشر من هذا العدوان على العباد، ومتى أراد السلطان حسن الصيت وجميل الذكر فليقم سوق العدل، وإن أحب الزلفى عند الله وشرف المنزلة عنده فليقم سوق العدل، والذي يخلد به ذكر الملوك على غابر الدهور عدل واضح أو جور فاضح، هذا يوجب له الرحمة وهذا يوجب له اللعنة. عن أبو موسى الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ أَهْوَنَ الْخَلْقِ عَلَى اللهِ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَلَمْ يَعْدِلْ فِيهِمْ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ إِلَّا يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا حَتَّى يُفَكَّ عَنْهُ الْعَدْلُ، أَوْ يُوبِقَهُ الْجَوْرُ﴾ وعن عمر بن الخطاب قال:﴿اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُبَالِي إِذَا قَعَدَ الْخَصْمَانِ بَيْنَ يَدَيَّ عَلَى مَنْ قَالَ الْحَقَّ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ فَلَا تُمْهِلْنِي طَرْفَةَ عَيْنٍ﴾ وقال عمر بن الخطاب لأبي مريم الحنفي قاتل زيد بن الخطاب:[1] والله لا يحبك قلبي أبدا حتى تحب الأرض الدم. قال: يا أمير المؤمنين، فهل تمنعني لذلك حقا؟ قال:لا. قال: فحسبي. حدث بشر بن عبد الله بن يسار السلمي قال: خطب عمر الناس فقال: أيها الناس، لا يبعدن عليكم، ولا يطولن يوم القيامة، فإنه من وافته منيته فقد قامت عليه قيامته، لا يستطيع أن يزيد في حسن، ولا يعتب من سيئ، ألا لا سلامة لامرئ في خلاف السنة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله، ألا وإنكم تسمون الهارب من ظلم إمامه العاصي، ألا وإن أولاهما بالمعصية الإمام الظالم. وعن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب:﴿ظَنَنْتُ أَنَّهُ أَرَادَ عَلِيًّا، قَالَ: دَعَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى طَعَامٍ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قُرَيْشٍ فَقَالَ: إِنَّ لَكُمْ عَلَى قُرَيْشٍ حَقًّا، وَلَهُمْ عَلَى النَّاسِ حَقٌّ مَا اسْتُرْحِمُوا فَرَحِمُوا، وَاسْتُحْكِمُوا فَعَدَلُوا، وَائْتُمِنُوا فَأَدَّوْا، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا﴾.

جلس يوما عبد الملك بن مروان وعند رأسه خالد بن عبد الله بن خالد بن، أسيد، وعند رجليه أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وأدخلت عليه الأموال التي جاءت من قبل الحجاج حتى وضعت بين يديه، فقال: هذا والله التوفير وهذه الأمانة! لا ما فعل هذا، وأشار إلى خالد، استعملته على العراق فاستعمل كل ملط فاسق، فأدوا إليه العشرة واحدا، وأدى إلي من العشرة واحدا؛ وأدى إلي من العشرة واحدا، واستعملت هذا على خراسان، وأشار إلى أمية، فأهدى إلى برذونين حطمين، فإن استعملتكم ضيعتم، وإن عزلتكم قلتم استخف بنا وقطع أرحامنا. فقال خالد بن عبد الله: استعملتني على العراق وأهله رجلان: سماع مطيع مناصح، وعدو مبغض مكاشح، فإنا داريناه ضغنه، وسللنا حقده، وكثرنا لك المودة في صدور رعيتك؟ وإن هذا جنى الأموال، وزرع لك البغضاء في قلوب الرجال، فيوشك أن تنبت البغضاء، فلا أموال ولا رجال. فلما خرج ابن الأشعث قال عبد الملك: هذا والله ما قال خالد. قال الله تعالى :﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء]

زيد بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب، أخو عمر بن الخطاب، كنيته أبو عبد الرحمن، وكان أسن من عمر، وأسلم قبله. شهد بدرا والمشاهد، قتل يوم اليمامة في عهد أبي بكر الصديق، وكانت راية المسلمين معه، فلم يزل يقدم بها في نحر العدو، ثم قاتل حتى قتله أبو مريم الحنفي في الحديقة، فوقعت الراية، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة.وحزن عليه عمر، وكان يقول: أسلم قبلي، واستشهد قبلي. استشهد سنة 12 هـ.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح / مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ سراج الملوك/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ مجمع الفتاوى/ هل يعتبر القراءة بمصرع من سبقهم؟/ موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام/ الوافي بالوفيات/ سير أعلام النبلاء/ العقد الفريد

حدث الإمام عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي[1]،عن لقاء له بأبو جعفر المنصور الخليفة العباسي فقال: بعث إلي أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين، وأنا بالساحل، فأتيته، فلما وصلت إليه وسلمت عليه رد علي وأستجلسني. ثم قال لي: ما الذي أبطأ بك عنا يا أوزاعي؟. فقلت: وما الذي تريد يا أمير المؤمنين؟ قال: أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم. قلت: انظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيئاً مما أقول. قال: كيف أجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقدمتك له؟ فقلت: أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به. قال الأوزاعي: فصاح بي الربيع (الحاجب) وأهوى بيده إلى السيف. فانتهره المنصور وقال: هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة. فطابت نفسي وانبسطت في الكلام. فقلت: يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَيُّمَا عَبْدٍ جَاءَتْهُ مَوْعِظَةٌ مِنَ اللَّهِ فِي دِينِهِ فَإِنَّمَا نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ سِيقَتْ إِلَيْهِ فَإِنْ قَبِلَهَا بِشُكْرٍ وَإِلا كَانَتْ حُجَّةً مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ لِيَزْدَادَ بِهَا إِثْمًا وَيَزْدَادَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطًا﴾ يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَيُّمَا وَالٍ بَاتَ غَاشًّا لِرَعِيَّتِهِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله، إن الله هو الحق المبين. يا أمير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت ملكهم، أحرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم، وكل له عليك نصيب من العدل، فكيف بك إذا انبعث منهم فئام وراءهم فئام*،وليس منهم أحد إلا وهو يشكوا بلية أدخلتها عليه أو ظلمة سقتها إليه؟ يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم، قال: ﴿كَانَتْ بِيَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرِيدَةٌ يُرَوِّعُ بِهَا الْمُنَافِقِينَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَا هَذِهِ الْجَرِيدَةُ الَّتِي كَسَرْتَ بِهَا قُلُوبَ أُمَّتِكَ، وَمَلأْتَ قُلُوبَهُمْ رُعْبًا﴾ فكيف بمن شق أستارهم وسفك دمائهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه؟. يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد بن جارية عن حبيب بن مسلمة: ﴿أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا إِلَى الْقِصَاصِ مِنْ نَفْسِهِ فِي خَدْشَةٍ خَدَشَ أَعْرَابِيًّا لَمْ يَتَعَمَّدْهَا فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْكَ جَبَّارًا وَلَا مُسْتَكْبِرًا، فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَعْرَابِيَّ فَقَالَ: اقْتَصَّ مِنِّي، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : قَدْ أَحْلَلْتُكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ أَبَدًا، وَلَوْ أَتَتْ عَلَى نَفْسِي، فَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ﴾ يا أمير المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الأمان من ربك وارغب في جنة عرضها السموات والأرض التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ أَوْ مَوْضِعُ قِيدِهِ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا﴾ يا أمير المؤمنين إن الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك، وكذا لا يبقى لك كما لم يبقى لغيرك. يا أمير المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ قال الصغيرة: التبسم، والكبيرة: الضحك، فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن؟. يا أمير المؤمنين بلغني أن عمر رضي الله عنه قال: ﴿لَوْ مَاتَتْ سَخْلَةٌ* عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ ضَيْعَةً،لَخِفْتُ أَنْ أُسْأَلَ عَنْهَا﴾ فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك؟ يا أمير المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية:﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ [ص] قال الله تعالى في الزبور: ﴿يَا دَاوُدُ إِذَا قَعَدَ الْخَصْمَانِ بَيْنَ يَدَيْكَ فَكَانَ لَكَ فِي أَحَدِهِمَا هَوًى، فَلَا تُمَيِّنَنَّ فِي نَفْسِكَ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْحَقُّ فَيَطْلِحَ عَلَى صَاحِبِهِ فَأَمْحُوَكَ مِنْ دِيوَانِي، ثُمَّ لَا تَكُونَ خَلِيفَتِي وَلَا كَرَامَةَ، يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ رُسُلِي إِلَى عِبَادِي رِعَاءَ كَرِعَاءِ الْإِبِلِ لِعِلْمِهِمْ بِالرَّعَايَةِ وَرِفْقِهِمْ بِالسِّيَاسَةِ، لِيَجْبُرُوا الْكَسِيرَ، وَيَدُلُّوا الْهَزِيلَ عَلَى الْكَلَإِ وَالْمَاءِ﴾ يا أمير المؤمنين إنك قد بليت بأمر لو عرض على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه. يا أمير المؤمنين حدثني يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرة الأنصاري: أن عمر بن الخطاب استعمل رجلاً من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيماً فقال له: ما منعك من الخروج إلى عملك؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله. قال: لا. قال: وكيف ذلك؟ قال: إنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَا مِنْ وَالٍ يَلِي مِنْ أُمُورِ النَّاسِ شَيْئًا إِلَّا أُتِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ عَلَى جِسْرٍ مِنْ نَارٍ فَيَنْتَفِضُ بِهِ الْجِسْرُ انْتِفَاضًا يُزِيلُ كُلَّ عُضْوٍ مِنْهُ عَنْ مَوْضِعِهِ، ثُمَّ يُعَادُ فَيُحَاسَبُ، فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَجَا بِإِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا انْخَرَقَ بِهِ ذَلِكَ الْجِسْرُ فَهَوَى بِهِ فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا﴾ فقال له عمر ممن سمعت هذا؟ قال: من أبي ذر وسلمان. فأرسل إليهما عمر فسألهما. فقالا: نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عمر: واعمراه من يتولاها بما فيها ؟ فقال أبو ذر: من سلت الله أنفه وألصق خده بالأرض. قال: فأخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكاني. ثم قلت يا أمير المؤمنين قد سأل جدك العباس النبي صلى الله عليه وسلم إمارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ النَّبِيِّ، نَفْسٌ تُحْيِيهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا﴾ نصيحة منه لعمه وشفقة عليه وأخبره أنه لا يغني عنه من الله شيئاً إذ أوحى الله إليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء] فقال: ﴿يَا عَبَّاسُ، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ النَّبِيِّ، إِنِّي لَسْتُ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِلَّا لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ وقد قال عمر بن الخطاب:﴿لَا يُقِيمُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا حَصِيفُ الْعَقْلِ أَرِيبُ الْعُقْدَةِ، لَا يُطَلِّعُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ، وَلَا يَخُنْ عَلَى حَوِيَّةِ وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ. وَقَالَ: السُّلْطَانُ أَرْبَعَةُ أُمَرَاءَ؛ فَأَمِيرٌ قَوِيٌّ ظَلَفَ* نَفْسَهُ وَعُمَّالَهُ، فَذَاكَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَدُ اللَّهِ بَاسِطَةٌ عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ، وَأَمِيرٌ ضَعِيفٌ ظَلَفَ نَفْسَهُ وَأَزَرَى* عُمَّالَهُ فَضَعُفَ فَهُوَ عَلَى شَفَا هَلَاكٍ إِلَّا أَنْ يَرْحَمَهُ اللَّهُ، وَأَمِيرٌ ظَلَفَ عُمَّالَهُ وَأَزْرَى نَفْسَهُ، فَذَلِكَ الْخُطْمَةُ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَمَّ الرَّعَاءِ الْخُطْمَةُ. فَهُوَ الْهَالِكُ وَحْدَهُ، وَأَمِيرٌ أَزْرَى نَفْسَهُ وَعُمَّالَهُ فَهَلَكُوا جَمِيعًا﴾ يا أمير المؤمنين لو أن ثوباً من النار صب على ما في الأرض لأحرقه، فكيف بمن يتقمصه؟ ولو أن ذنوباً* من النار صب على ما في الأرض لأحرقه، فكيف بمن يتجرعه؟ ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب، فكيف بمن يسلك فيها ويرد فضلها على عاتقه؟. يا أمير المؤمنين إن أشد الشدة القيام لله بحقه، وإن أكرم الكرم عند الله التقوى، وإنه من طلب العزة بطاعة الله رفعه الله واعزه، ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه، فهذه نصيحتي إليك والسلام. قال محمد بن مصعب: فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال: أنا في غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتي بعرض من الدنيا. وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك (أي لم يغضب عليه).

* (سخلة) صغار الغنم. (خريفا) عاما. (قام) الجماعة. (ظلف) ظلف العيش أي بؤسه وشدته وخشونته، من ظلف الأرض. ظلف نسفه عن الشئ: منعها عن هواها. وقوله (أرتع) من أرتع فلان إبله، أي: تركها للأكل. (الذنوب) دلو الماء.

➔ عبد الرحمن الأوزاعي، هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي من كبار تابعي التابعين. ولقب بالأوزاعي نسبة إلى الأوزاع وهي بطن من ذى الكلاع باليمن. ولد سنة 88 هـ بقرية بعلبك فى لبنان وربته أمه يتيما، ثم استقر بدمشق. وقد برع الأوزاعى فى تفسير القران الكريم، وحفظ الحديث، والأخبار، والمغازى، وكان صاحب مذهب ساد فى الشام زمنا، ثم ما لبث أن ضعف انتشاره، بسبب انتشار المذهبين المالكى والشافعى اللذين حلا محله. وقد التزم الأوزاعى فى فتاويه بالتوقف عند النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة. وللأوزاعى كتابان فى الفقه، هما السنن والمسائل، وقد ضمن كتاب المسائل الفتاوى التى أفتى بها. توفى الأوزاعى سنة 157هـ فى بيروت.

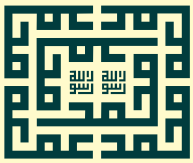

عن أبي موسى قال:﴿دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَا وَرَجُلَانِ مِنْ بَنِي عَمِّي، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَمِّرْنَا عَلَى بَعْضِ مَا وَلَّاكَ اللَّهُ، وَقَالَ الْآخَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّا وَاللَّهِ لَا نُوَلِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ – وفي رواية قال –: لَا نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ﴾ وعن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿تَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الْأَمْرِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ﴾ (كراهية لهذا الأمر) أي أمر الإمارة (حتى يقع فيه) أي فيكون بعده ندامة. وروى الحسن البصري ﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ لِيَسْتَعْمِلَهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ جِزْ لِي. قَالَ: افْعُدْ فِي بَيْتِكَ﴾ (خرلي) أي اخترلي. وعن هِلَال بن يسَاف قال ﴿اسْتَعْمل النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِقْدَاد على سَرِيَّة فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيفَ رَأَيْت الإِمَارَة؟. قَالَ خَرَجْتُ يَا رَسُول الله وَمَا أَرَى أَنَّ لِي فَضْلاً عَلَى أَحَد مَنِ الْقَوْم فَمَا رَجَعْتُ إِلَّا وَكلهمْ عَبِيد لِي، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَكَذَلِكَ الإِمَارَة أَبَا مَعْبَد﴾ وفي رواية عن عمير بن إسحاق، قال: ﴿اسْتَعْمَلَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَمَلٍ، فَلَمَّا رَجِعْتُ قَالَ: كَيْفَ وَجَدْتَ الإِمَارَةَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ خَوَلٌ لِي، وَاللهِ لَا أَلِي عَلَى عَمَلٍ مَا ثُمْتُ حَيًّا﴾ (خول لي) إذا اتخذهم عبيدا.

عن خيثمة، قال: حدثني فلان بن فلان، ﴿أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فِي سَرِيَّةٍ أَمِيرًا، فَلَمَّا قَدِمَ سَأَلَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَمْرِهِ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: كَيْفَ وَجَدْتَ الإِمَارَةَ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ وَأَنَا فِي نَفْسِي مِثْلُ رَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ، فَجَعَلْتُ صَلُّوا، وَإِذَا صَلَّيْتُ صَلُّوا مَعِي، وَإِذَا رَكِبْتُ رَكِبُوا، وَإِذَا نَزَلْتُ نَزَلُوا، فَمَا زَالَ بِي الأَمْرُ حَتَّى رَأَيْتُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْقَوْمِ أَفْضَلُ فِي نَفْسِي مِنِّي، قَالَ: إِنَّ السُّلْطَانَ عَلَى بَابِ عَنَتٍ*، إِلا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ، قَالَ الرَّجُلُ عِنْدَ ذَاكَ: وَاللهِ، لا أَعْمَلُ وَلا لِغَيْرِكَ أَبَدًا﴾ وأراد عمر بن الخطاب أن يستعمل رجلا، فبدر الرجل يطلب منه العمل فقال عمر: والله لقد أردتك لذلك، ولكن من طلب هذا الأمر لم يعن عليه. وقال أبو بكر الصديق لخالد بن الوليد: فر من الشرف يتبعك الشرف ؛ واحرص على الموت توهب لك الحياة. وطلب العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم إلى النبي ولاية. فقال: ﴿يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ النَّبِيِّ، نَفْسٌ تُحْيِيهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا﴾ وتقول النصارى: لا يختار للجثلقة إلا زاهدا فيها غير طالب لها.

* (عنت): العنت: المشقة والفساد، والهلاك، والإثم والغلط والخطأ والزنا كل ذلك قد جاء وأطلق العنت عليه.

◆ أبو جعفر عبد الله المنصور (ثاني ملوك الدولة العباسية) والإمام الأوزاعي (٢)[082]

حدث أبو سعيد النَّعلبي، قال: لما خرج إبراهيم[1] ومحمد[2] على أبي جعفر المنصور، أراد أهلَ الثغور أنْ يعينوه عليهما، فأَبَوا ذلك، فوقع في يد ملك الروم الألوف من المسلمين أسرى وكان ملك الروم يُحب أن يفادي بهم، ويأبى أبو جعفر، فكتب الأوزاعي[3] إلى أبي جعفر كتابًا: أما بعد؛ فإنَّ اللهَ تعالى استرعاك أمر هذه الأُمَّة؛ لتكون فيها بالقسط قائمًا، وبنبيِّه صلى الله عليه وسلم في خفض الجناح والرأفة متشبِّهًا، وأسأل الله تعالى أن يسكنَ على أمير المؤمنين دهماء هذه الأمة، ويرزقه رحمتها، فإن سائحةَ المشركين غلبت عَامَ أَوَّلَ مَوطُؤُهم حريمَ المسلمين، واستنزالهم العواتق والذَّراري من المعاقل والحصون. وكان ذلك بذنوب العباد، وما عفا الله عنه أكثر، فبذنوب العباد استنزلت العواتق والذراري من المعاقل والحصون، لا يلقون لهم ناصرًا ولا عنهم مدافعًا، كاشفات عن رُؤوسهن وأقدامهن، فكان ذلك بمرأى ومسمع، وحيث ينظر الله إلى خلقه وعراضهم عنه، فليَتَّقِ اللهَ أمير المؤمنين، ولينبعثْ بالمفاداة بهم من الله سبيلاً، وليخرج من محجة الله تعالى فإنَّ الله تعالى قال لنبيه:﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾ [النساء] والله يا أمير المؤمنين، ما لهم يومئذ فيء مَوقوف ولا ذمة تؤدي خراجًا إلا خاصَّة أموالهم. وقد بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿إِنِّي لَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ خَلْفِي فِي الصَّلَاةِ فَأَتَجَوَّزُ فِيهَا مَخَافَةَ أَنْ تُفْتَنَ أُمُّهُ﴾ فكيف بتخليتهم يا أمير المؤمنين في أيدي عدوهم يمتهنونهم ويتكشفون منهم ما لا نستحله نحن إلا بنكاح، وأنت راعي الله، والله تعالى فوقك، ومستوفٍ منك يومَ توضع موازين القسط ليوم القيامة ﴿فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء].

---

(3) أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي من كبار تابعي التابعين. ولقب بالأوزاعي نسبة إلى الأوزاع وهي بطن من ذى الكلاع باليمن. ولد سنة 88 هـ بقرية بعلبك فى لبنان وربته أمه يتيما، ثم استقر بدمشق. وقد برع الأوزاعي فى تفسير القران الكريم، وحفظ الحديث، والأخبار، والمغازى، وكان صاحب مذهب ساد فى الشام زمنا، ثم ما لبث أن ضعف انتشاره، بسبب انتشار المذهبين المالكى والشافعى اللذين حلا محله. وقد التزم الأوزاعي فى فتاويه بالتوقف عند النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة. وللأوزاعي كتابان فى الفقه، هما السنن والمسائل، وقد ضمن كتاب المسائل الفتاوى التى أفتى بها. توفى الأوزاعي سنة 157هـ فى بيروت.

(2) محمد المعروف بالنفس الزكية وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي كنيته أبو عبد الله يروي عن جماعة من التابعين روى عنه أهل المدينة أمه هند بنت أبي عبيدة بن علي بن ربيعة بن الأسود الأسيدي قتل بالمدينة سنة 145 هـ وهو بن 45 سنة.

(1) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، خرج بالبصرة على المنصور، وتحول إلى الكوفة، وممن آزره أبو حنيفة، قتله حميد بن قحطبة سنة 145هـ.. لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة، بايعه أهل المدينة وأهل مكة، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة في شهر رمضان، فاجتمع الناس إليه، فنهض إلى دار الإمارة وبها سفيان بن محمد بن المهلب فسلم إليه البصرة بغير قتال؛ وأرسل إبراهيم إلى الأهواز جيشا فأخذها بعد قتال شديد، وأرسل جيشا إلى واسط فأخذها. ثم إن أبا جعفر المنصور جهز إليهم عيسى بن موسى، فخرج إلى المدينة، فلقيه محمد بن عبد الله، فانهزم بأصحابه وقتل.ثم مضى عيسى بن موسى إلى البصرة فلقى إبراهيم بن الحسن فقتله وبعث برأسه إلى أبي جعفر.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَلَ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ، وَإِنْ يَأْمُرْ بِغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ﴾ (الإمام جنة) أي كالستر لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين ويمنع الناس بعضهم من بعض ويحمي بيضة الإسلام ويتقيه الناس ويخافون سطوته ومعنى يقاتل من ورائه أي يقاتل معه الكفار والبغاة والخوارج وسائر أهل الفساد وينصر عليهم ومعنى يتقى به أي شر العدو وشر أهل الفساد والظلم مطلقا والتاء في يتقى مبدلة من الواو لأن أصلها من الوقاية. وعن عبد الله بن عمر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ﴾وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ السُّلْطَانَ ظِلُّ اللهِ فِي الْأَرْضِ، يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ مِنْ عِبَادِهِ، فَإِذَا عَدَلَ؛ كَانَ لَهُ الْأَجْرُ وَعَلَى الرَّعِيَّةِ الشُّكْرُ، وَإِذَا جَارَ كَانَ عَلَيْهِ الْإِصْرُ وَعَلَى الرَّعِيَّةِ الصَّبْرُ﴾.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَيْلٌ لِلْأُمَرَاءِ، وَيْلٌ لِلْعُرَفَاءِ، وَيْلٌ لِلْأُمَنَاءِ، لَيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ نَوَاصِيَهُمْ مُعَلَّقَةٌ بِالثُّرَيَّا، يَتَجَلْجَلُونَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَلُوا عَمَلًا – وفي رواية– أَنَّ دَوَابَّهُمْ كَانَتْ مُعَلَّقَةً بِالثُّرَيَّا، يَتَذَبْذَبُونَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَكُونُوا عُمُّلُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ (ويل للأمراء) وهو الحزن والهلاك والمشقة من العذاب، وقيل واد في النار، وقد ورد ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره (للعرفاء) جمع عريف بمعنى فاعل؛ وهو القيم بأمر قبيلة، ومحلة يلي أمرهم ويتعرف الأمير منه أحوالهم، ومنهم رؤساء القرى، وأرباب الولايات (ويل للأمناء) جمع أمين؛ وهو من ائتمنه الإمام على الصدقات، والخراج وسائر أمور المسلمين، ويدل عطفه على الأمراء والعرفاء، ويشمل بعمومه كل من ائتمنه غيره على مال، أو غيره، ومنهم وصي الأيتام، وناظر الأوقاف. عن المقدام بن معدي كرب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَفْلَحَتْ يَا قُدَيْمُ إِنْ مُتَّ وَلَمْ تَكُنْ أَمِيرًا وَلَا كَاتِبًا وَلَا عَرِيفًا﴾ (ولا عريفا) هو القيم بأمر القبيلة والمحلة، أو الجماعة من الناس يلي أمرهم، ويتعرف الأمير منه أحوالهم، لمعرفته بها، وفي لسان العرب، العريف هو دون الرئيس. وفي الحديث تحذير من التعرض للرياسة والتأمر على الناس، لما فيه من الفتنة، ولأنه إذا لم يقم بحقه، ولم يؤد أمانة فيه، أثم، واستحق من الله العقوبة، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: العرفاء في النار. عن رجل ، قال صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الْعِرَافَةَ وَلَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ عُرَفَاءَ وَلَكِنَّ الْعُرَفَاءَ فِي النَّارِ﴾ وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُقَرِّبُونَ شِرَارَ النَّاسِ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلَا يَكُونَنَّ عَرِيفًا وَلَا شُرْطِيًّا وَلَا جَابِيًا وَلَا خَازِنًا﴾.

وعن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَا مِنْ حَاكِمٍ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَلَكٌ آخِذٌ بِقَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسُهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِنْ قَالَ: أَلْقِهِ أَلْقَاهُ فِي مَهْوَاةٍ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا﴾ (ما من حاكم): (من) زائدة للاستغراق و(حاكم) نكرة في سياق النفي فيشمل كل عادل وظالم (يحكم بين الناس إلا جاء يوم القيامة وملك آخذ) بصيغة الفاعل (بقفاه، ثم يرفع) أي الملك (رأسه إلى السماء) أي منتظرا لأمر الله فيه (فإن قال) أي الله تعالى (ألقه) أي ارمه (ألقاه في مهواة) أي مهلكة ومسقطة (أربعين خريفا) أي سنة. وعن عبد الرحمن بن سمرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ! لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ وَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ – وفي رواية–: فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ﴾ (لا تسأل الإمارة) أي لا تطلب الحكومة والولاية لا من الخلق ولا من الخالق (فإنك إن أوتيتها) أو أعطيتها (عن مسألة) أي بعد سؤالك إياها أو إعطاء صادرا عن مسألة (وكلت إليها) أي تركت إليها وخليت معها من غير إعانة لك فيها لأنك استقللت في طلبها. وقال الطيبي: أي فوضت إلى الإمارة ولا شك أنها أمر شاق لا يقوم بها أحد بنفسه من غير معاونة من الله إلا أوقع نفسه في ورطة خسر فيها دنياه وعقباه وإذا كان كذلك فلا يسألها اللبيب الحازم (وإن أوتيتها عن غير مسألة أعنت عليها) أي أعانك الله على تلك الإمارة. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَنِعْمَ الْمُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ﴾ (إنكم ستحرصون) حرص كضرب ومنع (على الإمارة وستكون) أي الإمارة المقرونة بالحرص (ندامة يوم القيامة) أي عند العجز عن الجواب في المحاسبة وحصول العتاب في مقابلة الحقوق والمطالبة (فنعم المرضعة) وفي نسخ المصابيح: فنعمت المرضعة (وبئست الفاطمة) قال القاضي: شبه الولاية بالمرضعة وانقطاعها بالموت، أو العزل بالفاطمة؛ أي نعمت المرضعة الولاية؛ فإنها تدر عليك المنافع واللذات العاجلة، وبئست الفاطمة المسيئة فإنها تقطع عنك اللذائذ والمنافع وتبقي عليك الحسرة والندامة، فلا ينبغي للعاقل أن يلم بلذات يتبعها حسرات. وقيل جعل الإمارة في حلاوة أوائلها ومرارة أواخرها، كمرضعة تحسن بالإرضاع وتسيء بالفطام، قلت فيه إشارة لطيفة إلى أن حلاوة الإمارة ومرارة الولاية المشبهتين بالرضاع والفطام، إنما هو بالنسبة إلى أطفال الطريقة دون الرجال الواصلين إلى مرتبة الحقيقة ولذا قال بعضهم: أضغاث أحلام وظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع ولكن أكثر أهل الجنة البله الواقفون على الباب وللعليين أرباب الألباب.

عن إبراهيم بن الأشتر، عن أبيه، عن أم ذر، قالت: لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيت، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: ما لي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الأرض، وليس عندي ثوب يسعك كفنا، قال: فلا تبكي وأبشري، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم: ﴿لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد هلك في قرية جماعة، وأنا الذي أموت بفلاة، والله ما كذبت ولا كذبت، فأبصري الطريق، قالت: وأنى وقد ذهب الحاج وانقطعت الطرق، قال: اذهبي فتبصري، قالت: فكنت أجيء إلى كثيب، فأتبصر، ثم أرجع إليه فأمرضه، فبينا أنا كذلك إذا أنا برجال على رحالهم، كأنهم الرخم* فأقبلوا حتى وقفوا علي وقالوا: ما لك أمة الله؟ قلت لهم: امرؤ من المسلمين يموت، تكفنونه؟ قالوا: من هو؟ فقلت: أبو ذر، قالوا: صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: نعم، قالت: ففدوه بآبائهم وأمهاتهم، وأسرعوا إليه، فرحب بهم، وقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم: ﴿لَيَمُوتَنَّ مِنْكُمْ رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وليس من أولئك النفر أحد إلا هلك في قرية وجماعة، وأنا الذي أموت بفلاة أنتم تسمعون إنه لو كان عندي ثوب يسعني كفنا لي أو لامرأتي، لم أكفن إلا في ثوب لي أو لها، أنتم تسمعون إني أشهدكم أن يكفنني رجل منكم كان أميرا أو عريفا أو بريدا أو نقيبا، فليس أحد من القوم إلا قارف بعض ذلك إلا فتى من الأنصار، فقال: يا عم، أنا أكفنك لم أصب مما ذكرت شيئا، أكفنك في ردائي هذا، وفي ثوبين في عيبتي من غزل أمي حاكتهما لي، فكفنه الأنصاري في النفر الذين شهدوه منهم حجر بن الأدبر، ومالك بن الأشتر في نفر كلهم يمان.

* (الرخم) بالتحريك، واحد الرخمة؛ وهو طائر أبقع من الجوارح، يشبه النسر في الخلقة.

مراجع: صحيح مسلم/ مسند أحمد/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ صفة الصفوة/ صحيح ابن حبان/ شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ العقد الفريد

◆ أبو جعفر عبد الله المنصور (ثاني ملوك الدولة العباسية) والإمام أبو حنيفة النعمان (١)[083]

انتفض أهل الموصل على أبي جعفر المنصور، وقد اشترط عليهم أنهم إن انتفضوا تحل دماؤهم له فجمع المنصور الفقهاء وفيهم أبو حنيفة. فقال: أليس صحيحا أنه عليه السلام قال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ﴾ وأهل الموصل قد شرطوا ألا يخرجوا عليّ وقد خرجوا على عاملي وقد حلت دماؤهم. فقال رجل منهم: يدك مبسوطة عليهم وقولك مقبول فيهم فان عفوت فأنت أهل العفو وإن عاقبت فيما يستحقون. فقال لأبي حنيفة: [1] ما تقول أنت يا شيخ؟ ألسنا في خلافة نبوة وبيت أمان؟. فأجابه الإمام: إنهم شرطوا لك ما لا يملكون، وهو استحلال دمائهم، وشرطت عليهم ما ليس لك و﴿لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ﴾ فأمرهم المنصور بالقيام فتفرقوا فدعاه وحده. فقال: يا شيخ القول ما قلت. انصرف إلى بلادك ولا تفت الناس بما هو شين على إمامك فتبسط أيدي الخوارج.

ودعاه المنصور يوما فقال الربيع يا أمير المؤمنين هذا أبو حنيفة يخالف جدك كان عبد الله بن عباس يقول إذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو يومين جاز الاستثناء وقال أبو حنيفة لا يجوز الاستثناء إلا متصلا باليمين فقال أبو حنيفة يا أمير المؤمنين إن الربيع يزعم أن ليس لك في رقاب جندك بيعة قال وكيف قال يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم فضحك المنصور وقال يا ربيع لا تعرض لأبي حنيفة فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع أردت أن تشيط بدمي قال لا ولكنك أردت أن تشيط بدمي فخلصتك وخلص نفسي.

قال خالد بن النضر: سمعت عبد الواحد بن غياث، يقول: كان أبو العباس الطوسي [2] سيئ الرأي في أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك، فدخل أبو حنيفة على أبي جعفر أمير المؤمنين وكثر الناس، فقال الطوسي: اليوم أقتل أبا حنيفة، فأقبل عليه، فقال: يا أبا حنيفة، إن أمير المؤمنين يدعو الرجل منا فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو، أيسعه لأن يضرب عنقه؟ فقال: يا أبا العباس، أمير المؤمنين يأمر بالحق أو بالباطل؟ قال: بالحق، قال: انفذ الحق حيث كان ولا تسل عنه، ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه: إن هذا أراد أن يوثقني فربطه.

حدث مبارك بن فضالة [3] ،قال: أتي يوما لعند أبي جعفر إذ أتي برجل فأمر بقتله، فقلت في نفسي: يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا أحدثك حديثا سمعته من الحسن قال: وما هو؟ قلت: سمعته يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جُمِعَ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ حَيْثُ يَسْمَعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، فَيَقُومُ مُنَادٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيَقُولُ: لِيَقُمْ مَنْ لَهُ عَلَى اللَّهِ يَدٌ، فَلَا يَقُومَنَّ إِلا مَنْ عَفَا﴾ فأقبل علي، فقال: آلله لسمعته من الحسن؟ قال: قلت: آلله لسمعته من الحسن، قال: خليا عنه.

ذكر الزبير بن بكار [4] ،قال المنصور لولده عبد الله المهدي: [5] لا تبرم أمرا حتى تفكر فيه؛ فإن فكرة العاقل مرآته تريه حسناته وسيآته؛ واعلم أن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى، والسلطان لا تصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه.

---

(1) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه الفقيه الكوفي، مولى تيم الله ابن ثعلبة، وهو من رهط حمزة الزيات؛ كان خزازا يبيع الخز (نوع من الأقمشة)، وجده زوطى من أهل كابل (ناحية معروفة من بلاد الهند)، وقيل بابل، وقيل من أهل الأنبار، وقيل من أهل نسا، وقيل من أهل ترمذ، وهو الذي مسه الرق فأعتق، وولد ثابت على الإسلام. وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان، من أبناء فارس من الأحرار، والله ما وقع علينا رق قط. وكانت ولادة أبي حنيفة سنة 80 هـ، وقيل سنة 61 هـ والأول أصح، وتوفي في رجب، وقيل في شعبان سنة 150 هـ، وقيل لأحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى من السنة، وقيل 151 هـ وقيل 153 هـ والأول أصح؛ وكانت وفاته في السجن ليلي القضاء فلم يفعل، هذا هو الصحيح، وقيل إنه لم يمت في السجن، وقيل توفي في اليوم الذي ولد فيه الإمام الشافعي سنة 150 هـ، ودفن بمقبرة الخيزران، وقبره هناك مشهور.

أدرك أبو حنيفة أنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة، وأبو الطفيل عامر بن واثلة بمكة، ولم يلق أحدا منهم ولا أخذ عنه، وأصحابه يقولون: لقي جماعة من الصحابة وروى عنهم، ولم يثبت ذلك عند أهل النقل. وذكر الخطيب في تاريخ بغداد أنه رأى أنس بن مالك، وأخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان وسمع عطاء بن أبي رباح وأبا إسحاق السبيعي ومحارب بن دثار والهيثم بن حبيب الصواف ومحمد بن المنكدر ونافعا مولى عبد الله بن عمر، وهشام بن عروة وسماك بن حرب؛ وروى عنه عبيد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح والقاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وغيرهم. وكان عاملا زاهدا عابدا ورعا تقيا كثير الخشوع دائم التضرع إلى الله تعالى، قال جعفر بن الربيع: أقمت على أبي حنيفة خمس سنين، فما رأيت أطول صمتا منه، فإذا سئل عن الفقه تفتح وساهل كالوادي، وسمعت له دويا وجهارة في الكلام. وقال ابن المبارك: قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله، ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة، ما سمعته يغتاب عدوا له قط، فقال: هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها. قال أسد بن عمرو : صلى أبو حنيفة فيما حفظ عليه صلاة الفجر بوضوء صلاة العشاء أربعين سنة، وكان عامة ليلة يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة وكان يسمع بكاؤه في الليل حتى يرحمه جيرانه، وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة. وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه: لما مات أبي سألنا الحسن ابن عمارة أن يتولى غسله ففعل، فلما غسله قال: رحمك الله وغفر لك! لم تفطر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسد يمينك في الليل منذ أربعين سنة، وقد أتعبت من بعدك، وفضحت القراء.

(3) المبارك بن فضالة بن أبي أمية، أبو فضالة مولى زيد بن الخطاب من أهل البصرة حدث عن الحسن البصري، وثابت البناني، وعبد العزيز بن صهيب، وحميد الطويل، وحبيب بن أبي ثابت، وهشام بن عروة، وخبيب بن عبد الرحمن، ويونس بن عبيد، ونصر بن راشد، وعبيد الله بن عمر العمري. روى عنه الحسن بن موسى الأشيب، والهيثم بن جميل، ويزيد بن هارون، وعفان بن مسلم، وموسى بن داود، وسعيد بن سليمان، وعبد الله بن خيران، وعلي بن الجعد. توفي المبارك بن فضالة سنة 164 هـ

(5) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المهدي بالله. ولد بالجميمة سنة 126 هـ. بويع له سنة 158 هـ. وتوفي بماسبذان سنة 169 هـ، وصل عليه ابنه الرشيد.

(4) أبو عبد الله الزبير بن بكر بن بكار = وكنيته أبو بكر – بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي الزبيري؛ كان من أعيان العلماء، وتولى القضاء بمكة حرسها الله تعالى، وصنف الكتب النافعة، منها كتاب " أنساب قريش " وقد جمع فيه شيئا كثيرا، وعليه اعتماد الناس في معرفة نسب القرشيين، وله غيره مصنفات دلت على فضله واطلاعه ولد في المدينة المنورة سنة 172هـ وتوفي بمكة وهو قاض عليها سنة 256 هـ، وتوفي والده سنة 195 هـ.

(2) هل هو: أبي العباس الفضل بن سليمان الطوسي، أمير خراسان.المتوفي بعد سنة 171 هـ. ؟؟.. أما هو: صاحب الشرطة حميد الطوسي ؟؟

عن أبي غادية قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم العقبة فقال:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا. أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟. قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، أَلَا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ﴾ وعن عمرو بن الحمق قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ أَمَّنَ رَجُلًا عَلَى دَمِهِ فَقَتَلَهُ، فَأَنَا بَرِيءٌ مِنَ الْقَاتِلِ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا﴾ وعن خرشة بن الحر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَا يَشْهَدَنَّ أَحَدُكُمْ قَتِيلًا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ قُتِلَ مَظْلُومًا فَتُصِيبُهُ السَّخْطَةُ﴾ وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ مَوْقِفًا يُقْتَلُ فِيهِ رَجُلٌ ظُلْمًا، فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ ؛ حَيْثُ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ، وَلَا يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ مَوْقِفًا يُضْرَبُ فِيهِ رَجُلٌ ظُلْمًا ؛ فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ﴾ وعن خرشة بن الحر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿سَيَكُونُ بَعْدِي فِتْنَةٌ النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ، وَالْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَمَنْ أَتَتْ عَلَيْهِ فَلْيَمْشِ بِسَيْفِهِ إِلَى صَفَاةٍ فَلْيَضْرِبْهُ بِهَا حَتَّى تَنْكَسِرَ، ثُمَّ لِيَضْطَجِعْ لَهَا حَتَّى تَنْجَلِيَ عَمَّا انْجَلَتْ﴾ وعن محمد بن مسلمة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :﴿إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ يَقْتَتِلُونَ عَلَى الدُّنْيَا فَاعْمِدْ بِسَيْفِكَ عَلَى أَعْظَمِ صَخْرَةٍ فِي الْحَرَّةِ فَاضْرِبْهُ بِهَا حَتَّى يَنْكَسِرَ،ثُمَّ اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ يَدٌ خَاطِئَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ. فَفَعَلْتُ مَا أَمَرَنِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ وعن الحسن: ﴿أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَى مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ سَيْفًا فَقَالَ: قَاتِلْ بِهِ الْمُشْرِكِينَ مَا قُوتِلُوا فَإِذَا رَأَيْتَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَأْتِ بِهِ أُحُدًا فَاضْرِبْهُ بِهِ حَتَّى تَقْطَعَهُ ثُمَّ اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ يَدٌ خَاطِئَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ﴾.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ صحيح مسلم/ رجال ومناهج في الفقه الإسلامي/ أخبار أبي حنيفة وأصحابه/ مسند أحمد/ الطبقات الكبرى/ تاريخ بغداد/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال

تروي كتب التاريخ أن الإمام أبو حنيفة النعمان[1] رحمه الله، لم يكن راضيا عن سياسة المنصور، وقد وجه بذلك مرار فلم يخفي ذلك، بل إن مما كان يغيض المنصور منه، أنه لم يكن يخفي تعاطف مع أئمة أهل البيت والترحم عليهم، بل إنه أفتى إلى بعضهم وأيدهم لم خرجوا على المنصور، وكان من ما يغضبهم عليه أيضا أنه كان جريء في الحق يعلن من رأيه ما بد له صواب، لا يخشى في ذلك لومة لائم، حتى شكاه علماء وقضاة بني العباس إلى الخليفة أكثر من مرة، ولقد حاول المنصور استمالة الإمام أبو حنيفة بعطاياه وجوائزه ولكنه رفض صلات الخليفة مما زاده عليه نقمة وحنق، حتى أن المنصور عاتبه في ذلك ذات مرة، فقال له أبو حنيفة: ما وصلني أمير المؤمنين بشيء من ماله فردته ولو وصلني بذلك لقبلته، إنما وصلني أمير المؤمنين من بيت مال المسلمين ولا حق لي في بيت مالهم، إني لست ممن يقاتل من ورائهم، فأخذ ما يأخذه المقاتل، ولست من ولدانهم فأخذ ما يأخذه الولدان، ولست من فقرائهم فأخذ من ما يأخذه الفقراء. ولم يبقى أمام المنصور من حيلة يتخلص بها من صمود الإمام الجليل إلا أن يوله القضاء وكان يظن أنه سيوقعه في هذا الفخ، وقد حدث الإمام عن رفضه ذلك فقال: إن هذا دعاني إلى القضاء فأعلمته أنني لا أصلح له وإنني لأعلم أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر ولكنه لا يصلح للقضاء إلا رجل يكون له نفس يحكم بها عليك وعلى ولدك وقوادك وليست لي تلك النفس، وإنك لتدعوني فما ترجع نفسي حتى أفارقك.

روى الربيع بن يونس قال: رأيت أمير المؤمنين ينازل أبا حنيفة في أمر القضاء وهو يقول له: اتق الله ولا تدع أمانتك. ويرد عليه أبو حنيفة: والله ما أنا بمأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب؟ ولو اتجه الحكم عليك ثم هددتني أن تغرقني في الفرات أو إلى الحكم لخترت أن أغرق، لك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لك ولا أصلح لذلك. فيقول له المنصور: كذبت إنك تصلح. فيرد أبو حنيفة: قد حكمت على نفسك كيف يحل لك أن تولي قاضيا على أمانتك كذابا. فأمر المنصور بامتحانه وعقابه. روي عن داود بن رشد الواسطي قوله: كنت شاهداً حين عذب الإمام أبو حنيفة ليتولى القضاء وكان يخرج كل مرة فيضرب عشرة سياط حتى ضرب عشرة ومئة سوط، وكان يقال له: اقبل القضاء. فيقول: لا أصلح. فلما تتابع عليه الضرب قال خفيا: اللهم أبعد عني شرهم بقدرتك، ولما آبى دسوا عليه السم فقتلوه. وروي أنه ضرب بالسياط ثم أخرج وألزم بيته ومنع من ألتدرس والإفتاء وأقام في بيته حتى توفي، ثم وجدوه قد أوصى أن لا يدفن في أرض أتهم أمير أنه غصبها، حتى روي أنه لم بلغ ذلك إلى المنصور قال من يعذرني من أبو حنيفة حيا أو ميتا.

عن بشر بن الوليد الكندي قال: طلب المنصور أبا حنيفة فأراده على القضاء وحلف ليله فأبى، وحلف أن لا يفعل، فقال الربيع حاجب المنصور: ترى أمير المؤمنين يحلف وأنت تحلف قال: أمير المؤمنين كفارة يمينه أقدر مني. فأمر به إلى السجن فمات فيه ببغداد. وقيل دفع صاحب الشرطة حميد الطوسي[2] فقال له: يا شيخ إن أمير المؤمنين يدفع إلي الرجل فيقول لي: اقتله أو قطعه أو اضربه، ولا علم لي بقصته، فما أفعل فقال أبو حنيفة: هل يأمرك أمير المؤمنين بأمر قد وجب أو بأمر لم يجب قال: بل بما قد وجب، قال: فبادر إلى الواجب.

حدث عبد الوهاب بن محمد قال خبرت عن عبيد بن إسماعيل قال بعث المنصور إلى أبي حنيفة وسفيان الثوري[3] وشريك[4] فأدخلوا عليه فقال لهم لم أدعكم إلا لخير وكتب قبل ذلك ثلاث عهود فقال لسفيان هذا عهدك على قضاء البصرة فخذه والحق بها وقال لشريك هذا عهدك على قضاء الكوفة فخذه وامض وقال لأبي حنيفة هذا عهدك على قضاء مدينتي وما يليها فخذه ثم قال لحاجبه وجه معهم أو كما قال فمن أبى فاضربه مائة سوط فأما شريك فأخذ عهده ومضى وأما سفيان فقال لعون كان وكل به هو ذا أخرج ودخل منزله فوضع الكتاب في طاق بيته وهرب إلى اليمن فيقال أن هشام بن يوسف وعبد الرزاق سمعا منه هناك ويقال إنه كان يحدثهم قائما على رجله خشية فحدثهم أربعة آلاف حديث فأما أبو حنيفة فلم يقبل العهد فضرب مائة سوط وحبس ومات في الحبس هكذا حدثنيه عبيد بن إسماعيل وقال عبد الوهاب سمعت محمد بن شجاع يقول سمعت شيخا يكنى أبا معشر يحدث بهذا الحديث فسألت الحسن بن أبي مالك عن ذلك فقال لي هذا مشهور من أمره ما زلنا نتذاكر هذا ونتحدث به قال جيء بأبي حنيفة إلى المنصور فأنزله قال فجاء الحسن بن عمارة[5] فقال له يا أبا حنيفة قد احتجت إليك وإلى رأيك اليوم قد أمر لي بجائزة وذكر ألوف دراهم فإن لم أقبلها خشيت أن أقتل فاحتل لي في صرفها عني قال وأمر لأبي حنيفة بعشرة آلاف درهم وكان المتولي لإعطاء ذلك الحسن بن قحطبة فلما أحس أبو حنيفة بأنه يرسل بها إليه أصبح لا يكلم أحدا كأنه مغمى عليه فأتى في ذلك اليوم بالدراهم فجاء بها رسول الحسن بن قحطبة فدخل بها عليه فقالوا له ما تكلم اليوم بكلمة فقال كيف أصنع قالوا أنظر ما ترى فوضعها في مسجدي في ناحية البيت فانصرف فمكثت تلك البدرة في ذلك الموضع فلما مات أبو حنيفة كان ابنه حماد غائبا فقدم بعد موته فحمل البدرة فأتى بها باب الحسن ابن قحطبة فاستأذن فأذن له فدخل فقال إني وجدت في وصية أبي إذا دفنت فخذ هذه البدرة التي في زاوية البيت فأت بها الحسن بن قحطبة فقل هذه وديعتك التي كانت عندنا فأدخلت البدرة فنظر إليها الحسن وقال له رحم الله أباك لقد شح على دينه إذ سخت به أنفس أقوام كثيرة.

---

(1) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه الفقيه الكوفي، مولى تيم الله ابن ثعلبة، وهو من رهط حزة الزيات؛ كان خزازا يبيع الخز (نوع من الأقمشة)، وجده زوطى من أهل كابل (ناحية معروفة من بلاد الهند)، وقيل بابل، وقيل من أهل الأنبار، وقيل من أهل نسا، وقيل من أهل ترمذ، وهو الذي مسه الرق فأعتق، وولد ثابت على الإسلام. وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان، من أبناء فارس من الأحرار، والله ما وقع علينا رق قط. وكانت ولادة أبي حنيفة سنة 80 هـ، وقيل سنة 61 هـ والأول أصح، وتوفي في رجب، وقيل في شعبان سنة 150 هـ، وقيل لأحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى من السنة، وقيل 151 هـ وقيل 153 هـ والأول أصح؛ وكانت وفاته في السجن ليلي القضاء فلم يفعل، هذا هو الصحيح، وقيل إنه لم يمت في السجن، وقيل توفي في اليوم الذي ولد فيه الإمام الشافعي سنة 150 هـ، ودفن بمقبرة الخيزران، وقبره هناك مشهور.

(3) سفيان الثوري هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري، الفقيه الكوفي سيد أهل زمانه علما وعملا وهو من ثور مضر وليس هو من ثور همدان على الصحيح كذا نسبه ابن سعد والهيثم بن عدي وغيرهما. مولده سنة 97 هـ ووفاته سنة 161 هـ وكان أبوه سعيد من ثقات المحدثين. سمع الثوري من عمرو بن مرة وسلمه بن كهيل وحبيب بن أبي ثابت وعمر بن دينار وابن إسحق ومنصور وحصين وأبيه سعيد بن مسروق والأسود بن قيس وجبلة بن سحيم وزبيد بن الحارث وزياد بن علاقة وسعد بن إبراهيم وأيوب وصالح مولى التوأمة وخلق لا يحصون يقال إنه أخذ عن ست مائة شيخ وعرض القرآن أربع مرات على حمزة بن الزيات. وروى عنه ابن عجلان وأبو حنيفة وابن جريج وابن إسحاق ومسعر وهم من شيوخه وشعبة والحمادان ومالك وابن المبارك ويحيى وعبد الرحمن وابن وهب وأمم لا يحصون.

(4) شريك بن عبد الله أبو عبد الله النخعي الكوفي القاضي، أدرك عمر بن عبد العزيز، وسمع أبا إسحاق السبيعي، ومنصور بن المعتمر، وعبد الملك بن عمير، وسماك بن حرب، وسلمة بن كهيل، وحبيب بن أبي ثابت، وعلي بن الأقمر، وزبيدا اليامي، وعاصما الأحول، وعبد الله بن محمد بن عقيل، ومحول بن راشد، وهلال الوزان، وأشعث بن سوار، وشبيب بن غرقدة، وحكيم بن جبير، وجابرا الجعفي، وعلي بن بذيمة، وعمارا الدهني، وسليمان الأعمش، وإسماعيل بن أبي خالد. روى عنه عبد الله بن المبارك، وعباد بن العوام، ووكيع بن الجراح، وعبد الرحمن بن مهدي، وإسحاق الأزرق، ويزيد بن هارون، وأبو نعيم، ويحيى ابن الحماني، وعلي بن الجعد، وخلف بن هشام، ومحرز بن عون، وبشر بن الوليد، وعبد الله بن عون الخراز، ومحمد بن سليمان لوين. وقدم شريك بغداد مرات وحدث بها. ولد شريك سنة 95 هـ. ومات سنة 177 هـ.

(5) الحسن بن عمارة بن المضرب، البجلي، مولاهم، أبو محمد الكوفي الفقيه، كان على قضاء بغداد في خلافة أبي جعفر المنصور. قيل: ليس بثقة، ولا يكتب حديثه. مات سنة 153 هـ.

(2) صاحب الشرطة حميد الطوسي ؟؟

عبرة وعظة

أيها الإخوة لم يرد إمامنا الجليل أن يعطي من توليه للقضاء شهادة حسن سيرة وسلوك لملك ظالم من ملوك المسلمين، وشريعة الله قائمة، وجيوشه تغزوا وتفتح في أطرف الأرض، لأن في حكمه جور وظلم، إنها لفتة نضعها بين يدي قضاة الظلم وعلماء السوء في بلاد علا فيها الجبابرة واستعلوا بنقض شرائع الله، والتشريع للناس بأهوائهم وضلالات أسيادهم، في بلاد عم فيها الظلم ونشأ العدوان وصارت القاعدة أن إذا سرق الشريف تركه بل بجلوه ورفعوه وإذا أخطأ الضعيف أقاموا عليه الحد بل إنهم يقيمون الحدود والمظالم على الأبرياء بل حتى على الصالحين والدعاة والمجاهدين في سبيل الله، فليتركبوا يوما توضع الموازين القسط ليوم القيامة ويدعى كل أناس بكتابهم وكل جمع بإمامهم ويقال:﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (22) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (23) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات]

قال ابن سيرين: جاء صبيان إلى عبيدة السلماني يتخايرون إليه في ألواحهم فلم ينظر فيها، قال: هذا حكم ولا أتولى حكماً أبداً. وتخاير غلمان إلى ابن عمر فجعل ينظر في كتابتهم فقال: هذا حكم ولا بد من النظر فيه. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مِنْ جُعِلَ قَاضِيًا بَيْنَ النَّاسِ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ﴾ قال المظهر: خطر القضاة كثير وضرره عظيم؛ لأنه قلما عدل القاضي بين الخصمين؛ لأن النفس مائلة إلى من يحبه، أو يخدمه، أو من له منصب يتوقى جاهه، أو يخاف سلطنته، وربما يميل إلى قبول الرشوة وهو الداء العضال. وعن أم المؤمنين عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيَأْتِيَنَّ عَلَى الْقَاضِي الْعَدْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاعَةٌ يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي تَمْرَةٍ قَطُّ﴾ أي ليأتين عليه يوم القيامة من البلاء ما يتمنى أنه لم يقض، والتمرة، تتميم لمعنى المبالغة مما نزل به من البلاء. وعن عبد الله بن أبي أوفى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْقَاضِي مَا لَمْ يَجُرْ، فَإِذَا جَارَ تَخَلَّى عَنْهُ وَلَزِمَهُ الشَّيْطَانُ – وفي رواية–: فَإِذَا جَارَ وَكَلَهُ إِلَى نَفْسِهِ﴾ (ما لم يجر) أي ما لم يظلم. وعن أبي أمامة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ؛ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ﴾ (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه) أي ذهب بطائفة من ماله وفصلها عنه (قضيبا من أراك) أي خشب سواك. وقال مسروق لأن أقضي يوما بالحق أحب إلي من أن أغزو سنة في سبيل الله.

روى الأمام الشافعي قال: حدثني عمي محمد بن علي قال: إني لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور وفيه ابن أبي ذؤيب[1] وكان وآلي المدينة الحسن بن يزيد[2]، فأتى الغفاريون[3] فشكوا إلى أبي جعفر شيئاً من أمر الحسن بن يزيد، فقال الحسن: يا أمير المؤمنين سل عنهم ابن أبي ذؤيب. فقال أبو جعفر المنصور: ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب؟ فقال: أشهد أنهم أهل تحطم في أعراض الناس كثير والأذى لهم. فقال أبو جعفر: قد سمعتم؟ فقال الغفاريون: يا أمير المؤمنين سله عن الحسن بن يزيد. فقال: يابن أبي ذؤيب ما تقول في الحسن بن يزيد؟ فقال أشهد أنه يحكم بغير الحق و يتبع هواه. فقال: قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح؟ فقال: يا أمير المؤمنين سله عن نفسك. فقال: ما تقول في؟ قال: تعفيني يا أمير المؤمنين. قال: أسألك بالله إلا أخبرتني؟ قال: تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك!؟ قال: والله لتخبرني؟ قال: أشهد أنك أخذت المال من غير حقه فجعلته في غير آهله وأشهد أن الظلم ببابك فاش. فجاء أبو جعفر المنصور من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب فقبض عليه، ثم قال: أما والله لولا أني جالس ههنا لأخذت الفارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك. فقال ابن أبي ذؤيب: يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذا الحق وقسما بالسوية وأخذا بأقفاء فارس وروم واصغرا آنوفهم. فخلى أبو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال: والله لولا أني أعلم أنك صادق لقتلتك. فقال ابن أبي ذؤيب: والله يا أمير المؤمنين إني لأنصح لك من ابنك المهدي. فبلغنا أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له: يا أبا الحرث لقد سرني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي. فقال: يغفر الله لك يا أبا عبد الله كلنا مهدي كلنا كان في المهد.

وفي رواية محمد بن عمر قال: حج أبو جعفر. فدعا الحسن بن زيد ودعا ابن أبي ذئب. فأراد أن يغري الحسن بابن أبي ذئب: وعرف أبو جعفر أن صاحب الحسن غير مغفول عنه. فقال لابن أبي ذئب. نشدتك الله. ما تعلم من الحسن بن زيد؟ قال: أما إذا نشدتني. فإنه يدعونا فيستشيرنا. فنخبره بالحق. فيدعه ويعمل بهواه. إن اشتهى شيئا أخذ به. وإن لم يرده تركه. قال فقال الحسن بن زيد: نشدتك الله يا أمير المؤمنين إلا سألته عن نفسك. قال: فقال أبو جعفر لابن أبي ذئب: نشدتك بالله ما تعلم مني؟ ألست أعمل بالحق؟ أليس تراني أعدل؟ فقال ابن أبي ذئب: أما إذ نشدتني بالله فأقول: اللهم لا. ما أراك تعدل. وإنك لجائر. وإنك لتستعمل الظلمة وتدع أهل الخير والفضل. قال: قال محمد بن عمر: فحدثني محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي[4] وإبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي[5] وأخبرت عن عيسى بن علي[6]. قالوا: نحن عند أبي جعفر حين كلمه ابن أبي ذئب بما كلمه به من ذلك الكلام الشديد فظننا أن أبا جعفر سيعاجله. فجعلنا نكف إلينا ثيابنا ونتنحى مخافة أن يصيبنا من دمه. قال: وجزع أبو جعفر واغتم قال له: قم فاخرج. قال: ورزقه الله السلامة من أبي جعفر فخرج ابن أبي ذئب إلى أم ولده سلامه وهي معه فقال احتسبي دنانيرك التي كان حسن بن زيد يجريها عليك. قالت: ولم؟ قال سألني أبو جعفر عنه فقلت له كذا وكذا. وحسن حاضر. فقالت: ففي الله خلف وعوض منها. قال: فخرج حسن بن زيد. وذكر ذلك لابن أبي الزناد. قال: والله ما ساءني كلامه. ولقد علمت على أنه أراد الله بذلك. ولم يرد به الدنيا. ولا رضى أبي جعفر. ولكن كان ذلك الحق عنده فأراد الله به. فلما كان رأس الهلال زاده حسن بن زيد خمسة دنانير أخرى في كل شهر. فصارت عشرة. فلم يزل يجريها عليه في كل شهر حتى مات. وقال: إنما زدته ذلك لإرادته الله.

قال محمد بن عمر: دعا زياد بن عبيد الله الحارثي[7] ابن أبي ذئب ليستعمله على بعض عمله فأبى. فحلف زياد ليعملن. فحلف ابن أبي ذئب أن لا يفعل فقال زياد: ادفعوا إليه كتابه. قال: لا أقبله. قال: ادفعوه إليه شاء أو أبى. واسحبوه برجله. وقال له زياد: ابن الفاعلة. فقال له ابن أبي ذئب: والله ما هو من هيبتك تركت أن أردها عليك مائة مرة. ولكن تركتها لله تعالى. قال: وندم زياد على ما قال له وصنع به. وقال له من حضره: إن مثل ابن أبي ذئب لا يصنع به مثل هذا. إن من شرفه وحاله في نفسه. وقدره عند أهل البلد أمرا عظيما. فازداد زياد ندامة. وغمه ما صنع به. وقال: فأنا آتيه فأترضاه وأتحلله مما قلت له. قالوا: ألا تفعل فإنه أحمك ما يكون عند ذلك. ولا نأمن أن يسمعك ما تكره. فأرسل إلى أخيه طالوت. فقال: هذه مائة دينار خذها واعطها أخاك. وتحلل لي منه. فقال طالوت: ما أجترئ عليه بذلك وهو لا يحللك أبدا. قال: فخذ هذه الدنانير فأوصلها إليه. قال: إن علم أنها من قبلك لم يقبلها. قال: فخذها واصنع له بها شيئا يصل إليه نفعه. قال: فأخذها فاشترى له منها جارية. فهي أم ولده. اسمها سلامة. ولا يعلم ابن أبي ذئب بذلك. ولو علم ما قبلها أبدا. قال: وكان لا يذكر فرية زياد عليه إلا بكى وتلهف. فقال: لولا خوف الله لرددتها عليه.

قال محمد بن عمر: لما ولي جعفر بن سليمان بن علي[8] على المدينة المرة الأولى أرسل إلى ابن أبي ذئب بمائة دينار. فاشترى منها ساجا كرديا بعشرة دنانير فلبسه عمره. ثم لبسه ولده بعده ثلاثين سنة. وكانت حاله ضعيفة جدا. وأرسل إليه فقدم به عليهم بغداد. فلم يزالوا به حتى قبل منهم. فأعطوه ألف دينار فلم يقبل فقالوا: خذها وفرقها فيمن رأيت. فأخذها وانصرف يريد المدينة. فلما كان بالكوفة اشتكى ومات. فدفن بالكوفة وهو يومئذ ابن تسع وسبعين سنة. وكان ابن أبي ذئب يفتي بالمدينة وكان عالما ثقة فقيها ورعا عابدا فاضلا. وكان يرمي بالقدرة. ولم يكن الذي بينه وبين مالك بن أنس بذلك.

ودخل يوما على عبد الصمد بن علي[9] وهو والي المدينة فكلمه في شيء فقال له عبد الصمد: إني لأراك مرائيا، فأخذ عودا أو شيئا من الأرض فقال: من أرائي؟ فوالله للناس عندي أهون من هذا.

سئل الإمام أحمد عن ملك و بن أبي ذؤيب فقال بن أبي ذؤيب أصلح في دينه وأكثر ورع وأقوم بالحق من مالك عند السلاطين وقد دخل بن أبي ذؤيب على أبي جعفر المنصور فلم يهبه أن قال له الحق قال له الظلم فاش ببابك وأبو جعفر أبو جعفر.

* (أبي ذئب) ما ذكر من أنه أبي ذؤيب قد يكون من تحريف النساخ، والله أعلم.

---

(1) ابن أبي ذئب، محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة ابن الحارث بن أبي ذئب. يكنى أبا الحارث ولد في سنة 80 هـ عام الجحاف وكان من أورع الناس وكانوا يرمونه بالقدر وما كان قدريا وكان يصلي الليل أجمع. وكان يصوم يوما ويفطر يوما فوقعت الرجفة بالشام فقدم رجل من أهل الشام فحدثه عن الرجفة وكان يوم إفطاره فقلت له قم تغذى قال دعه اليوم فسرد الصوم من ذلك اليوم إلى أن مات وكان يتعشى بالخبز والزيت وله طيلسان وقميص يشتو فيه ويصيف ويحفظ حديثه كله. سمع ابن أبي ذئب من عكرمة ونافع وسعيد المقبري وأبي الزناد ومحمد بن المنكدر والزهري وغيرهم. وكان فقيها صالحا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أقدمه المهدي بغداد فحدث بها ثم رجع يريد المدينة فمات بالكوفة. قال أحمد بن حنبل كان ابن أبي ذئب يشبه بسعيد بن المسيب قيل لأحمد خلف مثله ببلاده قال لا ولا بغيرها. مات ابن أبي ذئب فدفن بالكوفة سنة 159 هـ وهو ابن تسع وسبعين.

(7) زياد بن عبيد الله بن عبيد المدان الحارثي. الأمير من أخوال السفاح. ولي إمرة الموسم سنة 133 هـ ثم ولي إمرة الحرمين للمنصور. عزله أبو جعفر المنصور سنة 141 هـ

(2) الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، العلوي الحسني الزيدي الأمير. توفي سنة 270 هـ ظهر بطبرستان سنة 50 هـ فغلب على جرجان وتلك الديار، واستفحل أمره، وهزم جيوش الخليفة، ودخل الري ثم رجع إلى طبرستان، وصاهر الديلم، وتمكن وقوي أمره، وامتدت أيامه. توفي سنة 270 هـ في شعبان، وقام بالأمر بعده أخوه محمد بن زيد، فاتصلت أيامه إلى أن قتل سنة 287 هـ وقيل: بعد ذلك.

(3) الغفاريون أو غفار قبيلة من القبائل العربية.وهم بنو غفار من مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وسبق منهم إلى الإسلام أبو ذر الغفاري وآخره أنيس ورجع أبو ذر إلى قومه فأسلم الكثير منهم.

(9) عبد الصمد بن علي ابن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب، أبو محمد الهاشمي، العباسي، عم السفاح والمنصور. ولد بالبلقاء، سنة نيف ومائة.وكان عظيم الخلقة، وقد خرج عند موت السفاح مع أخيه عبد الله على المنصور، وحاربها أبو مسلم الخراساني، وتقلبت به الأيام، وعاش إلى زمن الرشيد، وكان يجله ويحترمه.ولي إمرة دمشق، وإمرة البصرة، وغير ذلك. مات عبد الصمد بالبصرة، سنة 185 هـ وعمره 80 سنة.

(8) جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو القاسم، ابن عم المنصور. ولي المدينة ثم مكة معها، ثم عزل، فولي البصرة للرشيد. قال عبد السميع بن علي: لا نعرف في بني هاشم أغبط منه، حصل له الشرف والإمرة والمال الجم، والأولاد الزهر، والعبيد.توفي: سنة 174 هـ.

(4) محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المعروف بالإمام، ولد سنة 122 هـ. كان يلي إمارة الحاج وإقامة شعائر الحج في خلافة المنصور عدة سنين. توفي سنة 185 هـ ببغداد فصلى عليه الأمين، ودفن بالعباسية.

(6) عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، عم السفاح والمنصور، مات ببغداد، سنة 181 هـ.

(5) إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان العامل على مكة والطائف. (عمه المنصور)

أيها الإخوة المؤمنين، لقد ظن أبو جعفر أن قيامه بالدفاع عن بلاد المسلمين وأعراضهم مما حفظ العباد من شر الكفار المحيطين بهم في تلك الأيام يبرر له المظالم، وامتن على أبي ذؤيب أنه يحمي رقبته من أن يصله بطش أولئك الكفار، فإذا يقول هؤلاء الحاكم الظلمة اليوم !، وقد سبب وجودهم في عروشهم أن تمتلك الكفار من اليهود والنصار والمجوس وغيرهم رقاب المسلمين، فاستباحوا مقدساتهم ووضعوا عليهم الذلة والصغار وسلبوا ما امتن به الله عليهم من ثروات وخيرات، وجعلوا دمائهم مباحة لا ثمن لها. لقد أدى ابن أبي ذؤيب شهادة الحق عند المنصور عليه وعلى حاشيته وولاته، ولم تأخذه في الله لومة لائم مع ما يعلم من إقامة المنصور لشرع الله وذبه عن بيضة الإسلام. وافهمه أن ذلك واجبه، لا منة له فيه على العباد ولا سبيل، وخاصمه وحاججه حتى شهد له المنصور رغم تضجره غيضا بالصدق. فليعتبر أولاءك الذين يشهدون بالباطل اليوم على الطغاة المجرمين بالعدل، ويصوغون إجرامهم، بل ويشنعون على كل من وقف في وجه باطلهم وليتمادوا في غيهم وشهادتهم بالباطل إن شئوا، فقد قال الله تعالى:﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف] اللهم أرنا في طغاة العرب قدرتك، وأنزل بهم بأسك، وخلص العباد من شرهم، وألحق من بقي منهم بأسلافهم الذين مضوا بأليم عقابك.

◆ أبو جعفر عبد الله المنصور (ثاني ملوك الدولة العباسية) وسفيان الثوري[086]

ذكروا أنه لما كان أبو جعفر بمنًى في العام الذي حجَّ فيه سفيان الثوري[1] وسليمان الخوَّاص[2] قال أحدهما لصاحبه: ألا ندخل على هذا الطاغي الذي كان يزاحمنا بالأمس في مجالس العلم عند منصور والزهري، فنكلمه ونأمره بحقٍّ وننهاه عن باطل فلعلَّ أن يقع كلامنا منه موقعًا ينفع الله به المسلمين ويأجرنا عليه. فقال سليمان الخوَّاص: إني لأخشى أن يأتي علينا منه يوم سوء. فقال الثوري: ما أخاف ذلك فإن شئت فادخل وإن شئت دخلت. فدخل سليمان الخوَّاص فأمره ونهاه ووعظه، وذكَّره الله وما هو صائر إليه ومسؤول عنه. فقال له أبو جعفر: ما تقول في كذا وكذا لشيء سأله عنه من باب العلم، فأجابه. فلمَّا خرج قال سفيان الثوري: ماذا صنعت؟ قال: أمرت ونهيت ووعظت وذكرت فرضًا كان في رقابنا أدَّيناه مع أنه لا يقبل، وسألني عن مسألة فأجبته. قال سفيان: ما صنعت شيئًا. فدخل سفيان الثوري فقال له: هاهنا أبا عبد الله إليَّ إليَّ ادنُ منِّي. فقال: إني لا أطأ ما لا أملك ولا تملك. فقال أبو جعفر: يا غلام، أدرج البساط وارفع الوطاء، فتقدم سفيان فصار بين يديه وقعد ليس بينه وبينه الأرض شيء وهو يقول:﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه] فدمعت عينا أبي جعفر، ثم تكلَّم سفيان دون أن يستأذن، فوعظ وأمر ونهى وذكَّر وأغلظ في قوله. فقال له الحاجب: أيها الرجل أنت مقتول. قال سفيان: وإن كنت مقتولاً فالساعة، فسأله أبو جعفر عن مسألة فأجابه. ثم قال سفيان: فما تقول أنت يا أمير فيما أنفقت من مال الله ومال أمة محمد بغير إذنهم، وقد قال عمر في حجة حجَّها وقد أنفق ستة عشر دينارًا هو ومَن معه: ما أرانا إلا وقد أجحفنا ببيت المال؟ وقد علمت ما حدثنا به منصور بن عمار[3] وأنت حاضر ذلك، وأوَّل كاتب كتبه في المجلس عن إبراهيم عن الأسود عن علقمة عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿رَبِّ مُتَخَوِّضٍ فِي مَالِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَالِ رَسُولِهِ فِيمَا شَاءَتْ نَفْسُهُ لَهُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فقال أبو عبيدة[4] الكاتب: أمير المؤمنين يُستقبَل بمثل هذا؟ فقال له سفيان: اسكت، فإنما أهلك فرعون هامان وهامان فرعون، ثم خرج سفيان. فقال أبو عبيدة الكاتب: ألا تأمر بقتل هذا الرجل فوالله ما أعلم أحدًا أحق بالقتل منه؟ فقال أبو جعفر: اسكت يا أنوك (أي يا أحمق)، فوالله ما بقي على الأرض أحد اليوم يُستحَى منه غير هذا ومالك بن أنس.

حدث سفيان الثوري فقال: أدخلت على أبي جعفر بمنى، فقال لي: ارفع إلينا حاجتك. فقلت له: اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا. قال، فطأطأ رأسه ثم رفعه، فقال: ارفع إلينا حاجتك. فقلت: إنما أنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار وأبناؤهم يموتون جوعا، فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم. فطأطأ رأسه ثم رفعه، فقال: ارفع إلينا حاجتك.فقلت: حج عمر فقال لخازنه: كم أنفقت؟ قال: بضعة عشر دينارًا.. وأرى ههنا أموالهم لا تطيق الجمال حملها.

حكي أن المنصور رآه في الطواف فضرب يده على عاتقه فقال: ما منعك أن تأتينا ؟ قال: قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود] ! فالتفت المنصور إلى أصحابه وقال: القينا الحب إلى العلماء فلقطوا إلا ما كان من سفيان فإنه أعيانا ! ثم قال له: سلني حاجتك يا أبا عبد الله ! فقال: وتقضيها يا أمير المؤمنين ؟ قال: نعم. قال: حاجتي أن لا ترسل إلي حتى آتيك، وأن لا تعطيني شيئا حتى أسألك. وكان في مرض موته يبكي كثيرا، فقال له: أراك كثير الذنوب ! فرفع شيئا من الأرض وقال: ذنوبي أهون علي من هذا وإنما أخاف سلب الإيمان قبل أن أموت. وقال حماد بن سلمة: لما حضر سفيان الوفاة كنت عنده، قلت: يا أبا عبد الله ابشر فقد نجوت مما كنت تخاف، وإنك تقدم على رب غفور! فقال: يا أبا سلمة، أترى يغفر الله لمثلي؟ قلت: إي والذي لا إله إلا هو ! فكأنما سري عنه. توفي سنة إحدى وستين ومائة عن ست وستين سنة بالبصرة.

---

(1) سفيان الثوري، هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري، الفقيه الكوفي سيد أهل زمانه علما وعملا وهو من ثور مضر وليس هو من ثور همدان على الصحيح كذا نسبه ابن سعد والهيثم بن عدي وغيرهما. مولده سنة 97 هـ ووفاته سنة 161 هـ وكان أبوه سعيد من ثقات المحدثين. سمع الثوري من عمرو بن مرة وسلمه بن كهيل وحبيب بن أبي ثابت وعمر بن دينار وابن إسحق ومنصور وحصين وأبيه سعيد بن مسروق والأسود بن قيس وجبلة بن سحيم وزبيد بن الحارث وزياد بن علاقة وسعد بن إبراهيم وأيوب وصالح مولى التوأمة وخلق لا يحصون يقال إنه أخذ عن ست مائة شيخ وعرض القرآن أربع مرات على حمزة بن الزيات. وروى عنه ابن عجلان وأبو حنيفة وابن جريج وابن إسحاق ومسعر وهم من شيوخه وشعبة والحمادان ومالك وابن المبارك ويحيى وعبد الرحمن وابن وهب وأمم لا يحصون.

(2) سليمان الخواص زاهد أهل الشام كان أكثر مقامه ببيت المقدس ودخل بيروت ولم يرو الخواص شيئا وتوفي في حدود 170 هـ وكنيته أبو أيوب وله مناقب كثيرة أوردها ابن عساكر في ترجمته.

(3) منصور بن عمار بن كثير أبو السري السلمي الخراساني. الإمام الزاهد الواعظ البغدادي القاضي المشهور. توفي ببغداد سنة 225 هـ.

(4) هو: أبي عبيد الله يعقوب بن داود بن طهمان، الفارسي.. أو هو: أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله الأشعري وزير وكاتب المهدي..؟

قال ابن عيينة كان العلم ممثلا بين يدي سفيان وقال شعبة وابن معين وجماعة سفيان أمير المؤمنين في الحديث. ومع جمعه بين العلم والعمل لم يكن بالمعصوم، فقد لخص الحافظ الذهبي مناقبه وما أخذ عليه رحمه الله. وعن يحيى بن معين قال: ما خالف أحد سفيان في شيء إلا كان القول قول سفيان. ومع علو شأنه وارتفاع قدرهزهده وورعه رحمه الله: والمقصود بالزهد: خلو القلب من الدنيا وعدم الحرص عليها، فليس الزهد نفض اليدين منها والقلب متعلق بها شديد الشغف بحبها. قال وكيع: سمعت سفيان يقول: ليس الزهد بأكل الغليظ وليس الخشن، ولكنه قصر الأمل، وارتقاب الموت. وعن عبد العزيز القرشي قال: سمعت سفيان يقول: عليك بالزهد يبصرك الله عورات الدنيا، وعليك بالورع يخفف الله عنك حسابك، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك. وعن ابن وهب قال: رأيت الثوري في المسجد الحرام بعد المغرب صلى ثم سجد سجدة فلم يرفع رأسه حتى نودي لصلاة العشاء. وقال رجل لـ سفيان: أوصني! فقال: اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، وللآخرة بقدر مقامك فيها. وعن عطاء الخفاف قال: ما لقيت سفيان الثوري إلا باكيا. فقلت: ما شأنك؟ قال: أخاف أن أكون في أم الكتاب شقيا. وعن عبد الرحمن رسته قال: سمعت ابن مهدي يقول: بات سفيان عندي فجعل يبكي. فقيل له؟ فقال: لذنوبي عندي أهون من ذلك –ورفع شيئا من الأرض– إني أخاف أن أسلب الإيمان قبل أن أموت. وعن يحيى القطان قال: ما رأيت رجلا أفضل من سفيان، لولا الحديث كان يصلي ما بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، فإذا سمع مذاكرة الحديث ترك الصلاة وجاء. وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: كنا نكون عند سفيان الثوري فكأنه قد أوقف للحساب فلا نجترئ أن نكلمه، فنعرض بذكر الحديث فيذهب ذلك الخشوع، فإذا هو حدثنا وحدثنا.

حدث محمد بن سلام قال:سمعت يزيد بن سعيد يقول: دخل سعيد بن عبد العزيز على سليمان الخواص فقال له: أراك في ظلمة، قال: ظلمة القبر أشد من هذا. قال: أراك وحدك. قال: إن للصاحب على الصاحب حقا فخفت أن لا أقوم بحق صاحبي، قال: فأخرج سعيد صرة فيها شيء، فقال له: تنفق هذا، وأنا أحلها لك بين يدي الله تعالى، إنه حلال. قال: لا حاجة لي فيها، فقال له: رحمك الله ما ترى ما الناس فيه دعوة. قال: فصرخ سليمان صرخة، ثم قال: مالك يا سعيد فتنتني بالدنيا وتفتني بالدين، ما لي وللدعاء من أنا، فخرج سعيد، فأخبر بها كان الأوزاعي، فقال الأوزاعي: دعوا سليمان، لو كان سليمان من الصحابة كان مثلا. وقال الفريابي: كنت في مجلس فيه الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز وسليمان الخواص، فذكر الأوزاعي الزهاد فقال: أما تريد أن ترى مثلهم؟ فقال سعيد: ما رأيت أزهد من سليمان الخواص، ولم يشعر سعيد بأنه في المجلس، فقنع سليمان رأسه وقام، فأقبل الأوزاعي على سعيد فقال: لا تعقل ما تقول؟ تؤذي جليسنا؛ تزكيه في وجهه!

وعن يعقوب بن كعب الأنطاكي، عن أبيه، عن سليمان الخواص، وقيل له: إن الناس شكوك أنك تمر فلا تسلم عليهم، فقال: والله ما ذاك لفضل أراه عندي، ولكني شبه الخشن؛ إن ثورته ثار، وإن قعدت مع الناس جاءني ما أريد وما لا أريد.

عن خولة بنت قيس، امرأة حمزة بن عبد المطلب:﴿أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى حَمْزَةَ، فَتَذَاكَرَا الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، بُورِكَ لَهُ فِيهَا، وَرُبَّ مُتَخَوِّضٍ فِي مَالِ اللهِ، وَمَالِ رَسُولِهِ، لَهُ النَّارُ يَوْمَ يَلْقَى اللهَ﴾ وعن مالك بن أوس بن الحدثان، قال:﴿كَانَ عُمَرُ يَحْلِفُ عَلَى أَيْمَانٍ ثَلَاثٍ، يَقُولُ: وَاللهِ مَا أَحَدٌ أَحَقَّ بِهَذَا الْمَالِ مِنْ أَحَدٍ، وَمَا أَنَا بِأَحَقَّ بِهِ مِنْ أَحَدٍ، وَاللهِ مَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ إِلَّا وَلَهُ فِي هَذَا الْمَالِ نَصِيبٌ إِلَّا عَبْدًا مَمْلُوكًا، وَلَكِنَّا عَلَى مَنَازِلِنَا مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَقَسْمِنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَالرَّجُلُ وَبَلَاؤُهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَالرَّجُلُ وَقَدَمُهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَالرَّجُلُ وَغَنَاؤُهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَالرَّجُلُ وَحَاجَتُهُ، وَوَاللهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ، لَيَأْتِيَنَّ الرَّاعِيَ بِجَبَلِ صَنْعَاءَ حَظُّهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَهُوَ يَرْعَى مَكَانَهُ﴾ وعن مالك بن أوس قال: ﴿قَرَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ [التوبة] حَتَّى بَلَغَ: عَلِيمٌ حَكِيمٌ. فَقَالَ هَذِهِ لِهَؤُلَاءِ، ثُمَّ قَرَأَ: وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ [الأنفال] حَتَّى بَلَغَ: ابْنِ السَّبِيلِ. ثُمَّ قَالَ هَذِهِ لِهَؤُلَاءِ، ثُمَّ قَرَأَ: مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى [الحشر] حَتَّى بَلَغَ: لِلْفُقَرَاءِ. ثُمَّ قَرَأَ: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ [الحشر] ثُمَّ قَالَ هَذِهِ اسْتَوْعَبَتِ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً، فَلَئِنْ عِشْتُ فَلَيَأْتِيَنَّ الرَّاعِيَ وَهُوَ بِسَرْوِ حِمْيَرَ نَصِيبُهُ مِنْهَا، لَمْ يَعْرَقْ فِيهَا جَبِينُهُ﴾ خاف التقصير فجد واصطبر، وقال:لو مات جَدْيٌ بالفرات لخشيت أن يحاسب به عمر. وكان من شدّة التشمير يرى فيه عمله القلة، فكان يقول عند موته: الويل لعمر إن لم يغفر له. وعن سلمان:﴿أَنَّ عُمَرَ قَالَ لَهُ: أَمَلِكٌ أَنَا أَمْ خَلِيفَةٌ؟ فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنْ أَنْتَ جَبَيْتَ مِنْ أَرْضِ الْمُسْلِمِينَ دِرْهَمًا أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ، ثُمَّ وَضَعْتَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، فَأَنْتَ مَلِكٌ غَيْرُ خَلِيفَةٍ، فَاسْتَعْبَرَ عُمَرُ﴾ لما فتحت العراق جيء بالمال إلى عمر. فقال صاحب بيت المال: أأدخله بيت المال؟. قال: لا ورب الكعبة لا يؤوى تحت سقف بيت حتى نقسمه!. فعطى في المسجد بالأنطاع وحرسه رجال من المهاجرين والأنصار. فلما أصبح نظر إلى الفضة والذهب والياقوت والزبرجد والدر يتلألأ فبكى. فقال له العباس أبو عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين والله ما هذا يوم بكاء ولكنه يوم شكر وسرور!. فقال: إني والله ما ذهبت حيث ذهبت ولكنه والله ما كثر هذا في قوم إلا وقع بأسهم بينهم. ثم أقبل على القبلة ورفع يديه وقال اللهم إني أعوذ بك أن أكون مستدرجاً، فإني أسمعك تقول:﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف] ثم قال: أين سراقة بن مالك بن جعشم؟ فأتي به وكان أشعر الذراعين دقيقها فأعطاه سواري كسرى وقال: البسهما. ففعل ذلك. فقال: قل الله أكبر. قال: الله أكبر. ثم قال: قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة رجلاً أعرابياً من بني مدلج. ثم قلبهما وقال: إن الذي أدى هذا الأمين!. فقال له رجل: أنا أخبرك أنت أمين الله تعالى وهم يؤدون إليك ما أديت إلى الله، فإذا رتعت رتعوا. قال: صدقت وإنما ألبسهما سراقة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسراقة ونظر إلى ذراعيه: كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟ ولم يجعل له إلا السوارين.

كان أبو جعفر المنصور قد عرف سوار بن عبد الله العنبري[1] قبل أن يوليه القضاء، وذلك أنَّ المنصور هَمَّ أن يغلق نَهْرَ ابن عمر، فوفد إليه وفد من أهل البصرة فيهم سَوَّار بن عبد الله، وداود بن أبي هند[2]،وسعيد بن أبي عروبة[3] فكلموه، فقال سوَّار يا أمير المؤمنين، إن أردت أن تقتل مائة ألف من الناس عطشًا فأغلقه، وإني أحذرك أهل البصرة. فقال: أتخوفني بأهلِ البصرة؟ والله لهممت أنْ أوجه إليهم بقائد يَجُمُّهم على أكبادهم حتى يأتي على آخرهم. قال يا أمير المؤمنين، لم أذهب حيثُ ذهبت، ولكن خوفتك دعوةَ اليتيم والأرملة ومن لا حيلةَ له. فأحسن الرجوع، وأضرب عما كان عزم عليه. وقال اكتبوا عهد الأحمر على القضاء. وروى شيخ تميم يقال له يحيى، قال دخل سوَّار على المنصور فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. قال وعليك السلام ورحمة الله، ادنُ أبا عبد الله. فقال يا أمير المؤمنين أدنو على ما مضى عليه الناس أو ما أحدثوا؟ قال بل على ما مضى عليه الناس. فدنا فصافحه، ثم جلس، فقال أبا عبد الله قد عزمت على أنْ أدعوَ أهل البصرة بسجلاتهم وأسرتهم، فأنظر فيها. فقال يا أمير المؤمنين، أناشدك الله أن تعرض لأهل البصرة. فقال أيا سوار أبأهل البصرة تُهددني؟ والله، لهممت أن أوجه إليهم من يأخذ بأفواه سككهم وطرقهم، ثم يضع فيهم السيف حتى يفنيهم. فقال يا أمير المؤمنين، ذهبت إلى غير ما ذهب إليه، إنَّما كرهت أن تعرض للأرملة واليتيم والشيخ الفاني والحدث الضعيف. فقال يا أبا عبد الله، أنا للأرملة بعل، ولليتيم أب، وللشيخ أخ، وللضعيف عم، وإنَّما أريد أن أنظر في سجلاتهم وأسرتهم؛ ليستخرج ما في أيدي الأغنياء مما أخذوه بقوتهم وجاههم من حقوق الضُّعفاء والفقراء. فقال وفَّقك الله لما يُحب يا أمير المؤمنين، وأرشدك لما يَرضى. قال بشر بن المفضل حدث سوَّار بن عبد الله. قال ما تركت في نفسي شيئًا إلاَّ كلمت به أبا جعفر، قال قلت يا أمير المؤمنين، إنَّ الحسن كان يقول:﴿إِنَّ تَصْدِيقَ الْقَوْلِ الْعَمَلَ فَمِنْ صِدْقِ عَمَلُهُ قُولُهُ فَذَاكَ وَمَنْ لَا فَقَدْ هَلَكَ﴾ أو كما قال الحسن. فقال أبو جعفر: صدق.

وكان سوار أول من تشدد في القضاء، وعظم أمره، واتخذ الأمناء، وأجرى عليهم الأرزاق، وقدم على القرعة، وقبض الوقوف، وأدخل على الأوصياء الأمناء، وطول السجلات، ودعا الناس بأسمائهم لم يكنهم، فضم الأموال المجهول أربابها، وسماها الحشريه، وكان حليما بطيء الغضب متحريا للخير. عن ابن وهب، قال: سمعت مالك بن أنس يقول: كتب أبو جعفر إلى قاضي له يقال له: سوار، وكان صالحا يطعم الناس، فعمد إلى ذلك الذي أمره أن يطعم الناس ففرقه في القبائل، فقيل له: لو أطعمت الناس كان أجمل بك يا سيد الناس؛ فقال: لا أريد أن يذهب رجل إلى أهله وبيده ريح الغمر ولم يطعم أهله شيئا. قال الأصمعي: كتب أبو جعفر أمير المؤمنين إلى سوار في شيء كان عنده خلاف الحق فلم ينفذ سرار كتابه، وأمضى الحكم عليه، فاغتاظ أبو جعفر عليه وتوعده، فقيل له: يا أمير المؤمنين إنما عدل سوار مضاف إليك وتزيين خلافتك، فأمسك. وعن النضر بن عمر، قال: دخل سوار على أبي جعفر، فجلس ولم يقبل يده، وعطس أبو جعفر فلم يحمد الله، فلم يشمته، ثم عطس فحمد الله فشمته، ثم نهض سوار فأتبعه أبو جعفر بصره فقال: أتزعمون أن هذا يحابي؟ والله ما حابى في عطسة.

عن عبد الله بن صالح بن مسلم، قال: كان سوار بن عبد الله وصاحب له يطلبان العلم، فلحق صاحبه ببعض الثغور، وولي سوار بن عبد الله القضاء، فكتب سوار إلى صاحبه يعتذر إليه مما دخل فيه، وذكر شدة الزمان وكثرة العيال، وجفوة السلطان، فكتب إليه صاحبه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: يا سوار، فعليك بتقوى الله، فإن التقوى عوض من كل فائدة من الدنيا، وليس في شيء من الدنيا عوض عن التقوى، فإن التقوى عقدة كل عاقل مبصر، به يستنير، وإليه يستريح، ولم يظفر أحد مثل ما ظفر به أولياء الله الذين شربوا بكأس حبه، فكانت قرة أعينهم، ومدة أملهم، وذلك أنهم أعملوا أنفسهم في جسيم الأدب، وراضوها رياضة الأصحاء الصادقين، وطلقوها عن الشهوات، فألزموها القوت المعلق، وجعلوا الجوع والعطش شعارا لها برهة من الزمان، حتى انقادت وأذعنت لهم عن فضول الحطام، فلما طعن فضول الدنيا عن قلوبهم، وزايلتها أهواؤهم، وصارت الآخرة قرة أعينهم، ومدة أملهم، أثبت الله في قلوبهم ينابيع الحكمة، وقلدت ينابيع العصم، وسطعت بهم نور المعالم، الذين يشعبون الصدع، ويلمون فيه الشعث، فلم يزالوا كذلك حتى أتاهم من الله موعود صادق اختص به العالمين به، والعاملين له دون من سواهم، فإن سرك يا سوار أن تستمع صفة الأصحاء الصادقين فصفة هؤلاء، فاستمع وسائلهم الطيبة فاتبع، وإياك وبينات الطريق: شدة الزمان، وكثرة العيال، وجفوة السلطان، والسلام.

---

(1) سوار بن عبد الله بن قدامة بن عنزة بن الحارث بن عمرو بن الحارث بن مجمر بن كعب بن العنبر بن عمرو بن تميم، مات وهو أمير البصرة وقاضيها سنة 156 هـ.سوار أول من ولى القضاء قبل الخلفاء منذ لدن عثمان بن عفان إلى وقته وقد روى عن عبد الله أبي سوار توبة العنبري

(2) داود بن أبي هند أبو محمد بن دينار بن عذافر البصري.من الموالي، أصله من خراسان، وكان من الأئمة الأعلام، ويقال: اسم أبيه طهمان، ويقال: ولاؤه لبني قشير، ويقال: كنيته أبو بكر. روى عن: سعيد بن المسيب، وأبي العالية، وأبي منيب الجرشي، والشعبي، وأبي عثمان النهدي، ومكحول، ومحمد بن سيرين ، وجماعة، ورأى أنس بن مالك.وعنه: شعبة، وسفيان، وحماد بن سلمة، وهشيم، وابن علية، ويحيى القطان، ويزيد بن هارون، وبشر بن المفضل، وخلق، سمع منه يزيد بن هارون تسعة وتسعين حديثا.ولد بمرو. ومات سنة 139 هـ. وقال الفلاس: سمعت ابن أبي عدي يقول: صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله، كان خزازا يحمل معه غداءه فيتصدق به في الطريق ويرجع عشاء، فيفطر معهم.

(3) سعيد بن أبي عروبة مهران، مولى بني عدي، عالم البصرة، أبو النضر العدوي الحافظ.ولد في حياة أنس بن مالك، وروى عن الحسن، وابن سيرين قليلا، وعن قتادة فأكثر، والنضر بن أنس، وعبد الله الداناج، وأبي رجاء العطاردي، ومطر الوراق، وأبي نضرة العبدي، وطائفة سواهم. وروى عنه سفيان، وشعبة، ويزيد بن زريع، وبشر بن المفضل، وابن علية، وخالد بن الحارث، والنضر بن شميل، ويحيى القطان، وغندر، وسعيد بن عامر الضبعي، والأنصاري، وأبو عاصم، وروح بن عبادة، وعبد الوهاب بن عطاء، وخلق كثير. توفي سنة 156 هـ

عن أبي شريح قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :﴿اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ﴾ (أحرج) ألحق الحرج وهو الإثم بمن ضيع حقهما، وأحذر من ذلك تحذيرا بليغا، وأزجر عنه زجرا أكيدا. عن أبي الدرداء عويمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿ابْغُونِي الضُّعَفَاءَ، فَإِنَّمَا تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ، بِضُعَفَائِكُمْ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ – وَأَحْسِبُهُ قَالَ–: وَكَالْقَائِمِ الَّذِي لاَ يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ الَّذِي لاَ يُفْطِرُ﴾ وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ. وَأَشَارَ الرَّاوِي وَهُوَ مَالِكُ بْنُ أَنس بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى﴾ (كافل اليتيم) القائم بأموره. وعن مصعب بن سعد، قال:﴿رَأَى سَعْدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ﴾ (رأى) ظن (فضلا) زيادة منزلة بسبب شجاعته وغناه ونحو ذلك (بضعفائكم) ببركتهم ودعائهم لصفاء ضمائرهم وقلة تعلقهم بزخرف الدنيا فيغلب عليهم الإخلاص في العبادة ويستجاب دعاؤهم.

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ السُّلْطَانَ ظِلُّ اللهِ فِي الْأَرْضِ، يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ مِنْ عِبَادِهِ، فَإِذَا عَدَلَ كَانَ لَهُ الْأَجْرُ وَعَلَى الرَّعِيَّةِ الشُّكْرُ، وَإِذَا جَارَ كَانَ عَلَيْهِ الْإِصْرُ وَعَلَى الرَّعِيَّةِ الصَّبْرُ﴾ (إن السلطان ظل الله) وفي رواية ظل الرحمن (في الأرض)؛ لأنه يدفع الأذى عن الناس كما يدفع الظل أذى حر الشمس، وقد يكنى بالظل عن الكنف والحماية (يأوي إليه كل مظلوم من عباده) أي لما أن الناس يستروحون إلى برد الظل من حر الشمس؛ كذلك يستروحون إلى برد عدله من حر الظلم (فإذا عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر وإذا جار) وفي رواية، أو حاف، أو ظلم (كان عليه الإصر) أي الوزر كما في رواية (وعلى الرعية الصبر) فهيه إشارة إلى أن الإمام العادل نعمة ومنحة، والسلطان الظالم نقمة ومحنه، لا تجب طاعته في معصية أبدا ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة] و﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان] أي لكل مؤمن. عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذا إلى اليمن فقال:﴿إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ﴾ (ليس بينها وبين الله) أي قبوله لها (حجاب) أي مانع، بل هي معروضة عليه تعالى، وقيل: هو كناية عن سرعة القبول. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ﴾ (وعزتي لأنصرنك) بفتح الكاف أي أيها المظلوم، وبكسرها أي: أيتها الدعوة (ولو بعد حين) والحين يستعمل لمطلق الوقت، ولستة أشهر، ولأربعين سنة، والله أعلم بالمراد، والمعنى لا أضيع حقك ولا أرد دعاءك، ولو مضى زمان طويل لأني حليم لا أعجل عقوبة العباد لعلهم يرجعون عن الظلم والذنوب إلى إرضاء الخصوم والتوبة، وفيه إيماء إلى أنه تعالى يمهل الظالم ولا يهمله. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم] وقال عز وجل: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف].

عن المقداد بن الأسود، وأبي أمامة قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الْأَمِيرَ إِذَا ابْتَغَى الرِّيبَةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ﴾ (إذا ابتغى الريبة) أي التهمة (في الناس) بأن طلب عيوبهم وتجسس ذنوبهم واتهمهم في تفحص أحوالهم (أفسدهم) أي أفسد عليهم أمور معاشهم، ونظام معادهم؛ لأن الإنسان قلما يخلو عن ذم، فلو أذيهم لكل قول وفعل بهم لشق الحال عليهم، بل ينبغي له ما أمكنه أن يستر عليهم، ألا ترى ما تقدم في الحدود من تلقين المعترف بالذنب دفعا لدرء الحد عنه، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وقال: ﴿مَنْ سَتَرَ عَلَى مُؤْمِنٍ عَوْرَةً فَكَأَنَّمَا أَحْيَا مَيِّتًا﴾ وعن معاوية، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ﴾ أي إذا بحثت عن معائبهم وجاهرتهم بذلك، فإنه يؤدي إلى قلة حيائهم عنك فيجترئون على ارتكاب أمثالها مجاهرة.

◆ أبو جعفر عبد الله المنصور (ثاني ملوك الدولة العباسية) وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم [088]

عن ابن إدريس، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي[1]،قال: أرسل إلي أبو جعفر المنصور فقدمت عليه، فدخلت والربيع قائم على رأسه، فاستدناني ثم قال لي: يا عبد الرحمن، كيف ما مررت به من أعمالنا إلى أن وصلت إلينا؟ قال: قلت: رأيت يا أمير المؤمنين أعمالا سيئة، وظلما فاشيا، ظننته لبعد البلاد منك، فجعلت كلما دنوت منك كان أعظم للأمر، قال: فنكس رأسه طويلا ثم رفعه إلي، فقال: كيف لي بالرجال؟ قلت: أفليس عمر بن عبد العزيز كان يقول: إن الوالي بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها، فإن كان برا أتوه ببرهم، وإن كان فاجرا أتوه بفجورهم، قال: فأطرق طويلا، فقال لي الربيع، وأومأ إلي أن أخرج، فخرجت وما عدت إليه.

في رواية عن إسماعيل بن عياش، قال: ظهر بأفريقية جور من السلطان، فلما قام ولد العباس قدم عبد الرحمن بن زياد بن أنعم على أبي جعفر، فشكا إليه العمال ببلده، فأقام ببابه أشهرا، ثم دخل عليه فقال: ما أقدمك؟ قال: ظهر الجور ببلدنا، فجئت لأعلمك، فإذا الجور يخرج من دارك. فغضب أبو جعفر وهم به، ثم أمر بإخراجه.

قال عمر بن علي بن مقدم:[2] كنت ببغداد مع أخي، وهو على المظالم، وكان بها عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، فدخل يوما على أبي جعفر المنصور، فقال له: يابن أنعم، أما تحمد ربا أراحك من باب هشام بن عبد الملك، وذوي هشام، وما كنت ترى بأبوابهم؟ قال: فقال، كل شيء كنت أراه بباب هشام إلا وأنا أرى منه اليوم طرفا بالقيروان، قال: فغضب أبو جعفر فسكت، ثم أقبل عليه، فقال: ما منعك أن ترفع ذاك إلينا، وأنت تعلم أن قولك عندنا مقبول؟ ! قال: إني رأيت السلطان سوقا، وإنما يحمل إلى كل سوق ما يجوز فيها. قال: فغضب أبو جعفر أيضا، ثم قال له: كأنك قد كرهت صحبتنا؟ قال: والله، ما يصاب المال والشرف إلا من صحبتك وصحبة من هو مثلك، ولقد تركت عجوزا لي كبيرة وإني أحب الرجوع إليها، قال: اذهب فقد أذنا لك، فقام فخرج.

لما فشا استخدام أهل الكتاب في مصالح المسلمين أيام الخلافة العباسية نهض أحد العلماء بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا الشأن وهو شبيب بن شيبة[3] فقد استأذن على أبي جعفر المنصور فإذن له فقال يا أمير المؤمنين اتق الله فإنها وصية الله، إليكم جاءت وعنكم قبلت، وإليكم تؤدى، وما دعاني إلى قولي إلا محض النصيحة لك والإشفاق عليك، وعلى نعم الله عندك. اخفض جناحك إذا علا كعبك وابسط معروفك إذا أغنى الله يديك. يا أمير المؤمنين إن دون بابك نيرانا تأجج من الظلم والجور لا يعمل فيها بكتاب الله ولا سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. يا أمير المؤمنين سلطت الذمة على المسلمين، ظلموهم وعسفوهم، وأخذوا ضياعهم وغصبوهم أموالهم، وجاروا عليهم، واتخذوك سلما لشهواتهم، وإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا يوم القيامة. فقال المنصور خذ خاتمي فابعث به إلى من تعرفه من المسلمين وقال: يا ربيع: اكتب إلى الأعمال واصرف من بها من الذمة. ومن أتاك به شبيب فأعلمنا بمكانه لنوقع باستخدامه، فقال شبيب: يا أمير المؤمنين: إن المسلمين لا يأتونك وهؤلاء الكفرة في خدمتك، إن أطاعوهم أغضبوا الله، وإن أغضبوهم أغروك بهم، ولكن تولي في اليوم الواحد عدة، فكلما وليت رجلا عزلت آخر.

حدث عبد الله بن صالح بن مسلم، قال: حدثني شبيب بن شيبة، قال: قال لي أبو جعفر، يعني المنصور – وكنت في سماره: يا شبيب عظني واوجز. فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله لم يرض من نفسه إن جعل فوقك أحدا من خلقه، فلا ترض له من نفسك بان يكون عبد اشكر منك. قال: والله لقد أوجزت وقصرت. قال: قلت: والله لئن كنت قصرت فما بلغت كنه النعمة فيك (أي غاية النعمة فيك).

---

(1) عبد الرحمن بن زياد بن أنعم أبو خالد الإفريقي، توفي بإفريقية سنة 156 هـ.سمع أباه، وأبا عبد الرحمن الحبلي، ويكر بن سوادة روى عنه سفيان الثوري، وبكر بن عمرو، وعبد الله بن لهيعة، وعثمان ابن الحكم الجذامي، وعبد الله بن وهب، وخالد بن حيد، وعبد الله بن إدريس الأودي، وأبو عبد الرحمن المقرئ، وغيرهم. وذكر أبو سعيد بن يونس المصري أنه: عبد الرحمن بن زياد بن أنعم بن ذري بن يحمد بن معدي كرب بن أسلم بن منبه بن النهادة بن حيوثيل بن عمرو بن أشوط بن سعد بن ذي شعبين بن يعفر بن ضبع بن شعبان بن عمرو ابن معاوية بن قيس الشعباني. وكان أول مولود ولد بإفريقية في الإسلام، وولي القضاء بإفريقية، ووفد إلى أبي جعفر المنصور، وهو ببغداد. قال عبد المؤمن بن خلف النسفي : سألت أبا علي صالح بن محمد عن عبد الرحمن بن زياد، فقال: منكر الحديث، ولكنه كان رجلا صالحا.

(3) شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عمرو بن الاهتم ، واسمه سنان بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر التميمي المنقري الاهتمي، أبو معمر البصري الخطيب، ابن عم خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم. روى عن الحسن البصري، وابن عمه خالد بن صفوان ابن الاهتم، وأبيه شيبة بن عبد الله بن الاهتم، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، وعطاء بن أبي رباح، وعلي بن زيد بن جدعان، ومحمد بن سيرين، ومحمد بن المنكدر، ومعاوية بن قرة المزني، وهشام بن عروة. روى عنه إسحاق بن زياد الشامي، وبهلول بن حسان الأنباري، وجبارة بن مغلس، وأبو سفيان سعيد بن يحيى بن مهدي الحميري، وأبو بدر شجاع بن الوليد بن قيس السكوني، وعبد الله بن صالح العجلي، وابناه: عبد الرحيم بن شبيب بن شيبة، وعبد الصمد بن شبيب بن شيبة، وعبد الملك بن قريب الأصمعي، وعيسى بن يونس، وأبو معاوية محمد بن حازم الضرير، ومحمد بن سعيد بن أبان القرشي الأموي، ومحمد بن عبد الله الخزاعي، ومسلم بن إبراهيم، ومعلى بن منصور الرازي، وأبو سلمة منصور بن سلمة الخزاعي، وأبو سلمة موسى بن إسماعيل وأبو النضر هاشم بن القاسم، وهشام بن عبيد الله الرازي، ووكيع بن الجراح، ويحيى بن يحيى النيسابوري، وأبو بلال الأشعري. توفي نحو سنة 170 هـ . قيل لعبد الله بن المبارك: نأخذ عن شبيب بن شيبة وهو يدخل على الأمراء؟ فقال: خذوا عنه فإنه اشرف من أن يكذب.

(2) عمر بن علي بن عطاء بن مقدم أبو حفص المقدمي، مولى بني ثقيف، بصري حافظ. وهو والد محمد، وعاصم، وعم محمد بن أبي بكر الحافظ.توفي سنة 190 هـ. قال عفان بن مسلم: كان رجلا صالحا، ولم يكونوا يتقمون عليه غير التدليس، ولم أكن أقبل منه حتى يقول حدثنا.

اعلم أرشدك الله أن منزلة العمال من الوالي بمنزلة السلاح من المقاتل، هكذا قال الطرطوشي. وينبغي أن يعرف أن أولي الأمر كالسوق، ما نفق فيه جلب إليه، هكذا قال عمر بن عبد العزيز فإن نفق فيه الصدق والبر والعدل والأمانة، جلب إليه ذلك، وإن نفق فيه الكذب والفجور والجور والخيانة، جلب إليه ذلك. كان علي بن أبي طالب إذا بلغه أن بعض نوابه ظلم، يقول: اللهم إني لم آمرهم أن يظلموا خلقك، ولا أن يتركوا حقك. قيل حمل مرة إلى عمر مال عظيم من الخمس، فقال: ﴿إِنَّ قَوْمًا أَدُّوا الْأَمَانَةَ فِي هَذَا لَأُمَنَاءَ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ: إِنَّكَ أَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَأَدُّوا إِلَيْكَ الْأَمَانَةَ، وَلَوْ رَتَعْتَ لَرَتَعُوا﴾ وقال عمرو بن العاص: لا سلطان إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل. وقالوا: إنما السلطان بأصحابه كالبحر بأمواجه. وقالوا: ليس شيء أضر بالسلطان من صاحب يحسن القول ولا يحسن الفعل ولا خير في القول إلا مع الفعل، ولا في المال إلا مع الجود، ولا في الصدق إلا مع الوفاء، ولا في الفقه إلا مع الورع، ولا في الصدقة إلا مع حسن النية، ولا في الحياة إلا مع الصحة. وقالوا: إن السلطان إذا كان صالحا ووزراؤه وزراء سوء امتنع خيره من الناس ولم يستطع أحد أن ينتفع منه بمنفعة. وشبهوا ذلك بالماء الصافي يكون فيه التمساح، فلا يستطيع أحد أن يدخله وإن كان محتاجا إليه. وقال الأحنف بن قيس: من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء، ومن غص بالماء فلا مساغ له، ومن خانه ثقاته فقد أتي من مأمنه. وقالت الحكماء: لا ينفع الملك إلا بوزرائه وأعوانه ولا ينفع الوزراء والأعوان إلا بالمودة والنصيحة، ولا تنفع المودة والنصيحة إلا مع الرأي والعفاف. ثم على الملوك بعد ألا يتركوا محسنا ولا مسيئا ما دون جزاء؛ فإنهم إذا تركوا ذلك، تهاون المحسن، واجترأ المسيء، وفسد الأمر، وبطل العمل.

ويبين ذلك كله قول عمر بن الخطاب:﴿السُّلْطَانُ أَرْبَعَةُ أُمَرَاءَ؛ فَأَمِيرٌ قَوِيٌّ ظَلَفَ نَفْسَهُ وَعُمَّالَهُ، فَذَاكَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَدُ اللهِ بَاسِطَةٌ عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ، وَأَمِيرٌ ضَعِيفٌ ظَلَفَ نَفْسَهُ وَأَزْتَعَ عُمَّالَهُ فَضَعُفَ فَهُوَ عَلَى شَفَا هَلَاكٍ إِلَّا أَنْ يَرْحَمَهُ اللهُ، وَأَمِيرٌ ظَلَفَ عُمَّالَهُ وَأَزْتَعَ نَفْسَهُ، فَذَلِكَ الْخُطَمَةُ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَمَّ الرِّعَاءِ الْخُطَمَةُ. فَهُوَ الْهَالِكُ وَحْدَهُ، وَأَمِيرٌ أَزْتَعَ نَفْسَهُ وَعُمَّالَهُ فَهَلَكُوا جَمِيعًا﴾ (ظلف) ظلف العيش أي بؤسه وشدته وخشونته، من ظلف الأرض. ظلف نسفه عن الشيء: منعها عن هواها. وقوله (أرتع) من أرتع فلان إبله، أي: تركها للأكل.

قيل كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص. وكان عامله على مصر: من عبد الله عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص، سلام عليك، أما بعد. فإنه بلغني أنه فشت لك فاشية من خيل وإبل وغنم وبقر وعبيد، وعهدي بك قبل ذلك أن لا مال لك. فاكتب إلي من أين أصل هذا المال ولا تكتمه. فكتب إليه: من عمرو بن العاص إلى عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإنه أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه ما فشا لي، وأنه يعرفني قبل ذلك لا مال لي. وإني أعلم أمير المؤمنين أني بأرض السعر فيه رخيص، وأني أعالج من الحرفة والزراعة ما يعالج أهله، وفي رزق أمير المؤمنين سعة. والله لو رأيت خيانتك حلالا ما خنتك؛ فأقصر أيها الرجل، فإن لنا أحسابا هي خير من العمل لك، إن رجعنا إليها عشنا بها. ولعمري إن عندك من لا يذم معيشته ولا تذم له [وذكرت أن عندك من المهاجرين الأولين من هو خير مني] فأنى كان ذلك ولم يفتح قفلك ولم نشركك في عملك؟.

فكتب إليه عمر: أما بعد، فإني والله ما أنا من أساطيرك التي تسطر ونسقك الكلام في غير مرجع، وما يغني عنك أن تزكي نفسك. وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة[1] فشاطره مالك؛ فإنكم أيها الرهط الأمراء جلستم على عيران المال، لم يعوزكم عذر، تجمعون لأبنائكم، وتهدون لأنفسكم. أما إنكم تجمعون العار وتورثون النار. والسلام. فلما قدم عليه محمد بن مسلمة صنع له عمرو طعاما كثيرا. فأبى محمد بن مسلمة أن يأكل منه شيئا. فقال له عمرو: أتحرمون طعامنا؟ فقال: لو قدمت إلي طعام الضيف أكلته، ولكنك قدمت إلي طعاما هو تقدمة شر. والله لا أشرب عندك ماء. فاكتب لي كل شيء هو لك ولا تكتمه. فشاطره ماله بأجمعه، حتى بقيت نعلاه، فأخذ إحداهما وترك الأخرى! فغضب عمرو بن العاص فقال: يا محمد بن مسلمة، قبح الله زمانا عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب فيه عامل. والله إني لأعرف الخطاب يحمل فوق رأسه حزمة من الحطب وعلى ابنه مثلها، وما منهما إلا في نمرة لا تبلغ رسغيه؛ والله ما كان العاص بن وائل يرضى أن يلبس الديباج مزورا بالذهب. قال له محمد: اسكت، والله إن عمر لخير منك، وأما أبوك وأبوه ففي النار، والله لولا الزمان الذي سبقك به لألفيت مقتعد شاة يسرك غزرها ويسوءك بكؤها. فقال عمرو: هي عندك بأمانة الله. فلم يخبر بها عمر.

محمد بن مسلمة، ابن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة، أبو عبد الله –وقيل: أبو عبد الرحمن، وأبو سعيد– الأنصاري الأوسي من نجباء الصحابة شهد بدرا والمشاهد. وقيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم استخلفه مرة على المدينة وكان رضي الله عنه ممن اعتزل الفتنة ولا حضر الجمل ولا صفين، بل اتخذ سيفا من خشب وتحول إلى الربذة فأقام بها مديدة. وقد استعمله عمر على زكاة جهينة وقد كان عمر إذا شكي إليه عامل نفذ محمدا إليهم ليكشف أمره. توفي سنة 43 هـ..عاش ابن مسلمة سبعا وسبعين سنة.

مراجع: سير أعلام النبلاء/ صحيح البخاري/ صحيح مسلم/ مسند أحمد/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ سراج الملوك/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية/ تاريخ بغداد/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ الولاء والبراء في الإسلام/ مجموع الفتاوى/ العقد الفريد

◆ أبو جعفر عبد الله المنصور (ثاني ملوك الدولة العباسية) وسفيان بن حسين [089]

حدث أبو بشر المقدمي[1]،عن أبيه، قال: قال أبو جعفر المنصور لسفيان بن حسين[2]،وكان حسن الصوت بالقرآن: اقرأ، قال: القرآن لا يتلذذ به، قال: عالم أنت؟ فسكت، فقال له الربيع: أجب أمير المؤمنين، قال: سألني عن مسألة لا جواب لها، إن قلت: لست عالما وقد قرأت كتاب الله كنت كاذبا، وإن قلت أنا عالم كنت بقولي جاهلا.

عن عمر بن علي بن مقدم ، عن سفيان بن حسين،قال: كنت عند إياس بن معاوية[3] وعنده رجل تخوفت إن قمت من عنده أن يقع في، قال: فجلست حتى قام، فلما ذكرته لإياس، قال: فجعل ينظر في وجهي فلا يقول لي شيئا حتى فرغت، فقال لي: أغزوت الديلم؟. قلت: لا. قال: فغزوت السند؟. قلت: لا. قال: فغزوت الهند؟. قلت: لا. قال: فغزوت الروم؟. قلت: لا. قال: فسلم منك الديلم، والسند، والهند، والروم وليس يسلم منك أخوك هذا. فلم يعد سفيان إلى ذلك.

حدث الأصمعي: أن المنصور صعد المنبر؛ فشرع في الخطبة؛ فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أذكر من أنت في ذكره؛ فقال له: مرحبا، لقد ذكرت جليلا، وخوفت عظيما، وأعوذ بالله أن أن أكون ممن﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ والموعظة منا بدت ومن عندنا خرجت، وأنت يا قائلها فأحلف بالله ما الله أردت، إنما أردت أن يقال: قام فقال فعوقب فصبر؛ فأهون بها من قائلها، وابتهلها من الله، ويلك! وإياكم معشر الناس وأمثالها. ثم عاد إلى خطبته؛ فكأنما يقرأ من كتاب.

وفي حديث زياد عن مالك بن أنس قال: خطب أبو جعفر المنصور، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، اتقوا الله. فقال إليه رجل من عرض الناس فقال: أذكرك الله الذي ذكرتنا به يا أمير المؤمنين. فأجابه أبو جعفر بلا فكرة ولا روية:

سمعا وطاعة لمن ذكر بالله، وأعوذ بالله أن اذكر به وأنساه فتأخذني العزة بالإثم لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين. وأما أنت، فو الله ما الله أردت بها، ولكن ليقال: قال فعوقب فصبر! وأهون بها لو كانت، وأنا أحذركم أيها الناس أختها؛ فإن الموعظة علينا نزلت، ومنا أخذت. ثم رجع إلى موضعه من الخطبة.

روى عمر بن أبي شيبة عن المدائني وغيره أن المنصور لما احتضر قال: اللهم إني قد ارتكبت الأمور العظام جرأة مني عليك، وقد أطعتك في أحب الأشياء إليك: شهادة أن لا إله إلا الله، منا منك لا منا عليك، ومات.

---

(2) سفيان بن حسين بن الحسن الواسطي مولى بني سليم وقيل مولى عبد الرحمن بن سمرة القرشي يكنى أبا محمد ويقال أبا الحسن، من أهل واسط، قدم بغداد، قيل كان مؤدب ولد عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ثم كان يؤدب ولد يزيد بن عمر بن هبيرة ثم ضمه أبو جعفر إلى المهدى يعلمه، وخرج معه إلى الري. وثقه جمعة من الأئمة إلا في روايته عن الزهري فكان يخطئ، روى له الأربعة. قيل توفي في خلافة أبي جعفرسنة 160 هـ أو سنة نيف وخمسين ومئة، وقيل مات بالري في خلافة المهدى، وقيل مات في ولاية هارون سنة 190 هـ أو 189 هـ

(4) أبو وائلة إياس بن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رياب بن عبيد بن سوأة بن سارية بن ذبيان بن سليم بن أوس بن مزينة المزني؛ وهو السن البليغ والألمعي المصيب، والمعدود مثلا في الذكاء والفطنة، ورأسا لأهل الفصاحة والرجاحة. كان صادقا الظن لطيفا في الأمور، مشهورا بفرط الذكاء، وبه يضرب المثل في الذكاء، وكان عمر بن عبد العزيز قد ولاه قضاء البصرة. وكان لإياس جد أبيه صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل لمعاوية بن قرة والد إياس: كيف ابنك لك فقال: نعم الابن، كفاني أمر دنياي وفرغني لآخرتي. وكان إياس أحد العقلاء الفضلاء الدهاة. توفي سنة 122 هـ، أو سنة 121 هـ، وعمره 76 سنة.

(1) عمر بن علي بن عطاء بن مقدم أبو حفص المقدمي، مولى بني ثقيف، بصري حافظ. وهو والد محمد، وعاصم، وعم محمد بن أبي بكر الحافظ. توفي سنة 190 هـ. قال عفان بن مسلم: كان رجلا صالحا، ولم يكونوا ينقمون عليه غير التدليس، ولم أكن أقبل منه حتى يقول حدثنا.

روي عن عمر بن الخطاب، أنه قال: هذا القرآن كلام الله فضعوه مواضعه. ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين، فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ فقال: لا. قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟ قال: لتقومان عني أو لأقومن عنكما. قال: فقام الرجلان فخرجا: فقال بعض القوم: يا أبا بكر وما عليك أن يقرأ عليك آية من كتاب الله تعالى، فقال له ابن سيرين: إني خشيت أن يقرأ علي آية فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي. وروي عن عبد الله بن مسعود، أنه قال: جردوا القرآن لا تكتبوا فيه شيئا إلا كلام الله عز وجل. قال مكحول: ﴿مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ ثُمَّ صَحِبَ السُّلْطَانَ تَمَلُّقًا إِلَيْهِ وَطَمَعًا فِيمَا لَدَيْهِ خَاضَ فِي بَحْرٍ مِنْ نَارٍ جَهَنَّمَ بِعَدَدِ خُطَاهُ﴾ وعن بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ يَتَأَكَّلُ بِهِ النَّاسَ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجْهُهُ عَظْمٌ لَيْسَ عَلَيْهِ لَحْمٌ﴾ وعن عمران بن حصين ﴿أَنَّهُ مَرَّ عَلَى قَاصٍّ يَقْرَأُ ثُمَّ يَسْأَلُ فَاسْتَرْجَعَ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلْيَسْأَلِ اللهَ بِهِ فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ﴾ (يقرأ) أي القرآن حال، أو استئناف (ثم يسأل) أي يطلب منهم شيئا من الرزق (فاسترجع) أي عمران يعني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. لأنه بدعة وظهور معصية وأمارة القيامة (من قرأ القرآن فليسأل الله به) أي فليطلب من الله تعالى بالقرآن ما شاء من أمور الدنيا والآخرة لا من الناس، أو المراد أنه إذا مر بآية رحمة فليسألها من الله تعالى أو بآية عقوبة فيتعوذ إليه بها منها، وإما بأن يدعو الله عقيب القراءة بالأدعية المأثورة، وينبغي أن يكون الدعاء في أمر الآخرة وإصلاح المسلمين في معاشهم ومعادهم. و عن أنس بن مالك: أنه سمع رجلا يقرأ القرآن بهذه الألحان التي أحدث الناس، فأنكر ذلك ونهى عنه. هذه طرق حسنة في باب الترهيب، وهذا يدل على أنه محذور كبير، وهو قراءة القرآن بالألحان التي يسلك بها مذاهب الغناء، وقد نص الأئمة، رحمهم الله، على النهي عنه، فأما إن خرج به إلى التمطيط الفاحش الذي يزيد بسببه حرفا أو ينقص حرفا، فقد اتفق العلماء على تحريمه، والله أعلم. وكره أبو عبد الله القراءة بالألحان، وقال: هي بدعة؛ وذلك لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿أَنَّهُ ذَكَرَ فِي أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُتَّخَذَ الْقُرْآنُ مَزَامِيرَ، يُقَدِّمُونَ أَحَدَهُمْ لَيْسَ بِأَقْرَبِهِمْ وَلَا أَفْضَلِهِمْ إِلَّا لِيُغَنِّيَهُمْ غِنَاءً﴾ ولأن القرآن معجز في لفظه ونظمه، والألحان تغيره. وكلام أحمد في هذا محمول على الإفراط في ذلك، بحيث يجعل الحركات حروفا، ويمد في غير موضعه.

فأما تحسين القراءة والترجيع فغير مكروه؛ فإن عبد الله بن المغفل قال: ﴿سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ. قَالَ: فَقَرَأَ ابْنُ الْمُغَفَّلِ، فَرَجَّعَ فِي قِرَاءَتِهِ. وَفِي لَفْظٍ قَالَ: قَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ فِي مَسِيرٍ لَهُ سُورَةَ الْفَتْحِ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَرَجَّعَ فِي قِرَاءَتِهِ﴾ قال معاوية بن قرة: لولا أني أخاف أن تجتمع علي الناس لحكيت لكم قراءته. وروى أبو هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ كَإِذْنِهِ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ﴾، يجهر به. يعني ليستمع. وعن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَطْبًا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ﴾ (ابن أم عبد) هو عبد الله بن مسعود. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ﴾ وقد اختلف السلف في معنى قوله: يتغنى بالقرآن. فقال: ابن عيينة، وأبو عبيد، وجماعة، وغيرهما: معناه يستغني بالقرآن. ألا تراه يقول ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (87) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ [الحجر] فأمره بالاستغناء بالقرآن عن المال، قال أبو عبيد: وكيف يجوز أن يحمل على أن من لم يغن بالقرآن ليس من النبي صلى الله عليه وسلم؟ وقالت طائفة منهم: معناه يحسن قراءته، ويترنم به، ويرفع صوته به. كما قال أبو موسى للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْمَعُ قِرَاءَتِي لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا﴾ وقال الشافعي: يرفع صوته به. وقال أبو عبد الله: حزنه فيقرؤه بحزن مثل صوت أبي موسى. وعلى كل حال، فقد ثبت أن تحسين الصوت بالقرآن، وتطريبه، مستحب غير مكروه، ما لم يخرج ذلك إلى تغيير لفظه، وزيادة حروفه، فقد روي عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : ﴿أَسْتَمِعُ قِرَاءَةَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ لَمْ أَسْمَعْ قِرَاءَةً أَحْسَنَ مِنْ قِرَاءَتِهِ. فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَمَعَ قِرَاءَتَهُ، ثُمَّ قَالَ هَذَا سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَ هَذَا﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي موسى:﴿إِنِّي مَرَرْتُ بِكَ الْبَارِحَةَ وَأَنْتَ تَقْرَأُ، فَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ فَقَالَ أَبُو مُوسَى: لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَسْتَمِعُ لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا﴾ وحدث سالم بن عبد الله: أن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْكِتَابَ فَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ وعن الحسن بن مسلم، عن طاووس قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَيُّ النَّاسِ أَحْسَنُ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ؟ فَقَالَ: الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ رَأَيْتَهُ يَخْشَى اللهَ﴾ والغرض أن المطلوب شرعا إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة، فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي، فالقرآن ينزه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب، وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك، عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ بِلُحُونِ الْعَرَبِ وَأَصْوَاتِهَا، وَإِيَّاكُمْ وَلُحُونَ أَهْلِ الْفِسْقِ وَأَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، وَسَيَجِيءُ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِي يُرَجِّعُونَ بِالْقُرْآنِ تَرْجِيعَ الْغِنَاءِ وَالرَّهْبَانِيَّةِ وَالنَّوْحِ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، مَفْتُونَةٌ قُلُوبُهُمْ وَقُلُوبُ الَّذِينَ يُعْجِبُهُمْ شَأْنُهُمْ﴾ وعن أبي سعيد الخدري أنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك خطب الناس وهو مسند ظهره إلى نخلة، فقال:﴿أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ، وَشَرِّ النَّاسِ، إِنَّ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ: رَجُلًا عَمِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ، أَوْ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرِهِ، أَوْ عَلَى قَدَمَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ، وَإِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ: رَجُلًا فَاجِرًا جَرِيئًا، يَقْرَأُ كِتَابَ اللهِ لَا يَرْعَوِي إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ﴾ وقال فروة بن نوفل الأشجعي: كنت جارا لخباب وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت معه يوما من المسجد وهو آخذ بيدي فقال: يا هذا تقرب لله بما استطعت فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه. وعن يزيد بن عبد الملك بن المغيرة عن محمد بن كعب قال من قرأ القرآن متع بعقله وإن بلغ مائتي سنة. وقال العباس بن حمزة: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: من أحب أن يعرف بشيء من الخير أو يذكر به فقد أشرك في عبادته، ومن عبد على المحبة لا يحب أن يرى خدمته سوى محبوبه. وقال: إني لأقرأ القرآن فأنظر في آية آية فيحار عقلي فيها فأعجب من حفاظ القرآن كيف ينهيهم النوم ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الرحمن؟ أما لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه وتلذذوا به واستحلوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحا بما رزقوا.

مراجع: مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة/ تاريخ بغداد/ موضوعات المستدرك للذهبي/ تفسير القرآن العظيم صحيح البخاري/ صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ مسند أحمد/ العقد الفريد/ الوافي بالوفيات

◆ أبو جعفر عبد الله المنصور (ثاني ملوك الدولة العباسية) وعثمان بن الحكم الجذامي والليث بن سعد [090]

حدث يحيى بن عبد الله بن بكير[1] قال: قال الليث:[2] قال لي أبو جعفر: تلي لي مصر؟ قلت: يا أمير المؤمنين إني أضعف من ذلك وإني رجل من الموالي، فقال: ما بك من ضعف معي ولكن ضعفت نيتك في العمل لي على ذلك أتريد قوة أقوى مني ومن عملي فأما إذا أبيت فدلني على رجل أقلده أمر مصر، قلت: عثمان بن الحكم الجذامي[3] رجل له صلاح وله عشيرة قال: فبلغه ذلك فعاهد الله أن لا يكلم الليث بن سعد.

قال صالح بن علي[4] لعمرو بن الحارث:[5] لا أدع الليث حتى يتولى لي. فقال عمرو: لا يفعل. فقال: لأضربن عنقه. فجاءه عمرو، فحذره، فولي ديوان العطاء، وولي الجزيرة أيام أبي جعفر، وولي الديوان أيام المهدي (الملك العباسي الثالث).

والمنذر بن عبد الله بن المنذر القرشي[6] ،عرض عليه المهدي أن يلي القضاء ويعطيه من بيت المال مائة ألف درهم، فقال: إني عاهدت الله إن لاملأ شيئا، وأعيذ أمير المؤمنين بالله أن أخيس بعهدي.فقال له المهدي: آلله؟ قال: آلله. قال: انطلق فقد أعفيتك، وقيل حج المنذر في ذلك العام ماشيا، إذ لم يجد ما يكترى به ما يركب.

ذكر ابي عبد الله الحسين بن محمد الفقيه أن علي بن عيسى[7] وزير المقتدر بالله (الملك العباسي الثامن عشر) أمر نازوك[8] صاحب البلد يطلب الشيخ ابا علي بن خيران[9] حتى يعرض عليه قضاء القضاة فاستتر فوكل بباب داره رجاله بضعة عشر يوما حتى احتاج الى الماء فلم يقدر عليه الا من عند الجيران. فبلغ الوزير ذلك فامر بازالة التوكل عنه وقال في مجلسه والناس حضور ما اردنا بالشيخ ابي علي الا خيرا اردنا أن يعلم أن في مملكتنا رجلا نعرض عليه قضاء القضاة شرقا وغربا وهو لا يقبل

---

(3) عثمان بن الحكم الجذامي، أول من أدخل علم مالك مصر ولم تنبت مصر أنبل منه يروى عن مالك وموسى بن عقبة وابن جريج وغيرهم. وكان فقيها، زاهدا، كبير القدر، عرض عليه قضاء الديار المصرية فأبى، وهجر الليث بن سعد لكونه نبه عليه. مات كهلا سنة 163 هـ.

(2) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث، ثقة فقيه، من السابعة، يكنى أبا الحارث، مولى لقيس. ولد سنة 93 هـ واستقل بالفتوى بمصر. أسند الليث عن خلق كثير من التابعين كعطاء، ونافع، وأبي الزبير، وقيل إنه أدرك نيفا وخمسين تابعيا.وتوفي سنة 175 هـ.

(6) المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة ابن عبد الله بن خالد بن حزام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي الحزامي المدني، والد إبراهيم بن المنذر الحزامي. روى عن هشام بن عروة، وموسى بن عقبة، وداود بن قيس الفراء. دعاه المهدي إلى قضاء المدينة فامتنع. مات سنة 181 هـ.

(9) أبو علي الحسين بن صالح بن خيران الفقيه الشافعي، جمع بين الفقه والورع وأريد على القضاء فأبى ، توفي أبو علي بن خيران في حدود سنة 320 هـ.

(4) صالح بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي الأمير عم السفاح والمنصور، وأول من ولي مصر من قبل الخلفاء العباسيين سنة 133 هـ.

(5) عمرو بن الحارث بن يعقوب مولى الانصار كنيته أبو أمية كان مؤدبا لصالح بن علي بالمدينة فأخرجه منها وكان من أهل الضبط والاتقان والورع، مات سنة 148 هـ.

(1) يحيى بن عبد الله بن بكير، الإمام، المحدث، أبو زكريا القرشي المخزومي مولاهم المصري. ولد سنة 155 هـ. وتوفي سنة 231 هـ. سمع من الإمام مالك، ومن الليث كثيرا، وخلق سواهم..

(7) علي بن عيسى بن داود بن الجراح أبو الحسن وزير المقتدر بالله والقاهر بالله، مات علي بن عيسى الوزير سنة 335 هـ وقيل سنة 334 هـ وكان مولده سنة 245 هـ.

(8) نازوك بن عبد الله أبو منصور مولى أبي احمد المكتفي بالله؟؟...، نازوك الخادم ولاه المقتدر على دمشق سنة 307 هـ. وقلده الشرطة بمدينة السلام (بغداد) سنة 310 هـ. وقتل سنة 317 هـ بعد محاولة لخلع المقتدر .

سئلت أم المؤمنين عائشة عن القاضي العادل، إذا استقضاه الأمير الباغي، هل يجيبه، فقالت:﴿إِنْ لَمْ يَقْضِ لَكُمْ خِيَارُكُمْ، فَمَنِ لَكُمْ شِرَارُكُمْ﴾ قال عمر بن شبة في كتاب السلطان: عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال:﴿اجْتَمَعْتُ أَنَا وَنَفَرٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُهَاجِرِينَ، فَقُلْنَا: لَوْ رَحَلْنَا إِلَى مُعَاوِيَةَ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ اسْتَشَرْنَا أُمَّنَا عَائِشَةَ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهَا، فَذَكَرْنَا لَهَا الْعِيَالَ وَالدَّيْنَ، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا لِلنَّاسِ بُدٌّ مِنْ سُلْطَانِهِمْ، قُلْنَا: إِنَّا نَخَافُ أَنْ يَسْتَعْمِلَنَا، قَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، فَإِذَا لَمْ يَسْتَعْمِلْ خِيَارَكُمْ، يَسْتَعْمِلْ شِرَارَكُمْ﴾ روي أنه صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّا لَا نُكْرِهُ أَحَدًا عَلَى الْقَضَاءِ﴾ وعن نافع، أن ابن عمر قال لعثمان:﴿يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لَا أَقْضِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ، قَالَ: فَإِنَّ أَبَاكَ كَانَ يَقْضِي. فَقَالَ: إِنَّ أَبِي لَوْ أُشْكِلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ أُشْكِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ لَهُ شَيْءٌ سَأَلَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنِّي لَا أَجِدُ مَنْ أَسْأَلُهُ، وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ عَاذَ بِاللَّهِ، فَقَدْ عَاذَ بِمَعْظَمٍ. وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ عَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ. وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُجْعَلَنِي قَاضِيًا! فَأَعْفَاهُ، قَالَ: لَا تُخْبِرْ أَحَدًا﴾ (لا تخبر أحدا) أي لا تعلم أحدا غيرك بما ذكرته لئلا ينسد الباب هذا. وروي أن الشافعي أوصى المزني في مرض موته، بأن لا يتولى القضاء. وشاهد أبو بكر بن الحداد الشافعي ببغداد سنة عشر وثلاث مائة باب أبي علي بن خيران مسمورا لامتناعه من القضاء، وقد استتر.قال: فكان الناس يأتون بأولادهم الصغار، فيقولون لهم: انظروا حتى تحدثوا بهذا.

قال الفضيل: لا تغبطوا القضاة، وارحموا الرعاة، ومن ولي القضاء فقد ذبح بلا سكين، وينبغي للقاضي إذا بلي بالقضاء أن يكون يوما في القضاء، ويوما في البكاء، فإن له موقفا بين يدي الله عز وجل غدا. وعن ابن شبرمة، قال: لا يتقدم رجل على القضاء حتى يجتزئ على السيف. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مِنْ جُعِلَ قَاضِيًا بَيْنَ النَّاسِ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ﴾ قال السيوطي: معنى هذا الحديث التحذير من طلب القضاء، وفى هذا إيضاح أن القضاء محنة وليست منحة، واختبار، وليس اختيار. ولقد عرف السلف الصالح خطر القضاء، فكانوا يفرون من توليته خوفاً من الوقوع فيما يغضب الله تعالى. فهذا عمر بن عبد العزيز رحمه الله بعد أن ولاه سليمان بن عبد الملك قبل وفاته، يقف خطيباً في الناس، فيقول: أيها الناس، إني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني، ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا بأنفسكم. فصاح المسلمون صيحة واحدة قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك فل امرنا باليمن والبركة. والسيوطي في رسالته ينصح للمسلمين بمعرفة خطر القضاء، وعظم شأنه، فبه قد تضيع الأموال، وتسفك الدماء، وتدنس الأعراض، وبه يكون العدل بين الناس، وإعطاء المظلوم حقه، ورفع الظلم عمن ظلم. فالقضاء أمر عظيم، لذا فالتحذير منه نصيحة غالية لمن يظنون أنه مكسب للسمعة والجاه، ورافع للمنزلة. وهو إنذار لمن ظنوا أنه كنزٌ قد وقعوا عليه فليغتنموه، وليأخذوا منه ما استطاعوا إليه سبيلاً. روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: لا يصلح أن يلي القضاء إلا من كان حصيف العقل، شديدا في غير عنف، لينا في غير ضعف، قليل الغرة، بعيد الهيبة، لا يطلع الناس منه على عورة.

قال إدريس أبو عبد الله بن إدريس: أتيت سعيد بن أبي بردة فسألته عن رسائل عمر التي كان يكتب بها إلى أبي موسى، وكان أبو موسى قد أوصى إلى أبي بردة، فأخرج لي كتابا فرأيت في كتاب منها: أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلى إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، واس بين الاثنين في مجلسك، ووجهك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس وضيع، وربما قال: ضعيف من عدلك؛ الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك، وربما قال: في نفسك؛ ويشكل عليك ما لم ينزل في الكتاب، ولم تجر به سنة، وأعرف الأشباه، والأمثال، ثم قس الأمور بعضها ببعض، فانظر أقربها إلى الله، وأشبهها بالحق فاتبعه، واعمد إليه؛ لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس، راجعت فيه نفسك، وهديت فيه لرشدك، فإن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل؛ المسلمون عدول بعضهم على بعض، إلا مجلودا أو مجربا عليه شهادة زور، أو ظنينا في ولاء قرابة، اجعل لمن ادعى حقا غائبا أمدا ينتهي إليه، أو بينة عادلة فإنه أثبت للحجة، وأبلغ في العذر، فإن أحضر بينته إلى ذلك الأجل أخذ حقه، وإلا وجهت عليه البينة على من أدعى، واليمين على من أنكر، إن الله عز وجل تولى منكم السرائر، ودرأ عنكم بالشبهات، وإياك والغلق، والضجر، والتأذي بالناس، والتنكر للخصم في مجالس القضاء التي يوجب الله فيها الأجر، ويحسن فيها الذخر؛ من حسنت نيته، وخلصت فيما بينه وبين الله، كفاه الله ما بينه وبين الناس؛ والصلح جائز بين الناس إلا صلحا أحل حراما، أو حرم حلالا، ومن تزين للناس بما يعلم الله منه غير ذلك شانه الله، فما ظنك بثواب عند الله في عاجل دنيا، وآجر آخرة، والسلام.

مراجع: صفة الصفوة/ تاريخ مدينة دمشق/ سير أعلام النبلاء/ ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين/ التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير/ أخبار القضاة/ تاريخ بغداد

◆ جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي (ابن عمه أبو جعفر عبد الله المنصور، ثاني ملوك الدولة العباسية) والإمام مالك [091]

في ابتداء خلافة أبي جعفر المنصور حصلت فتنة في المدينة، فبعث إليها ابن عمه جعفر بن سليمان[1] ليسكن هيجتها ويجدِّد بيعة أهلها، فقدمها، وهو عازم على أخذ المخالفين بالشدة، وكان الإمام مالك بن أنس قد بلغ من العلم والوجاهة والنُّبل ما أثار حفيظة ذوي الحسد وسعيهم للنيل منه. فدسُّوا إلى جعفر بن سليمان مَن قال له: إن مالكًا[2] يفتي الناس بأن أيمان البيعة لا تحل ولا تلزمهم؛ لمخالفتك واستكراهك إياهم عليها، وزعموا أنه يفتي بذلك أهل المدينة أجمعين؛ لحديث رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ﴾ فعظُم ذلك على جعفر واشتدَّ عليه، وخاف أن ينحل عليه ما أبرم من بيعة أهل المدينة، فأراد أن يبطش به، فحذَّره بعض الناس من ذلك؛ نظرًا لمنزلة مالك عند أمير المؤمنين وكرامته عنده، فدسَّ إليه جعفر بعض مَن لم يكن مالك يخشى أن يؤتَى من قِبَلِه، فسأله عن الأيمان في البيعة فأفتاه مالك بذلك، فلم يشعر مالك إلا ورسول جعفر بن سليمان قد جاءه لإحضاره لدى جعفر فأتوا به إليه بعد إهانته، فأمر به فضُرِب سبعين سوطًا سببت له آلامًا بليغة، حتى صار لا يقوى على رفع يديه في الصلاة ويسدِلها، ولما علم أبو جعفر بذلك أبدى استنكاره وعزل جعفر بن سليمان، وأمر أن يؤتَى به إلى بغداد على قتب، وولى مكانه رجلاً من قريش من بني مخزوم فيه عقل ودين وحزم وذكاء. وكتب أبو جعفر إلى مالك بن أنس ليقدم عليه في بغداد فاعتذر مالك من ذلك، فكتب إليه أبو جعفر أن وافني بالموسم القابل إن شاء الله فإني خارج إلى الموسم.

في سنة ثلاث وستين ومائة التقى مالكٌ بأبي جعفر فأكرمه إكرامًا شديدًا وأجلسه إلى جانبه ملاصقًا له، واعتذر له عمَّا فعل به جعفر بن سليمان، وأقسم بالله أنه لم يأمر بذلك ولا رضيه، وأنه منذ أن بلغه ما صنعه جعفر عزله وأهانه، وسيعاقبه أضعاف ما نال مالكًا منه وقال أبو جعفر لمالك: يا أبا عبد الله لا يزال أهل الحرمين بخير ما كنت بين أظهرهم، ولقد دفع الله بك عنهم وقعة عظيمة. وقال مالك: إنه قد عفا عن جعفر؛ لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أمير المؤمنين. فقال أبو جعفر: وأنت فعفا الله عنك ووصلك، وطلب منه أن يكتب كتابًا يدوِّن فيه العلم قصدًا بين شدائد عبد الله بن عمر ورخص ابن عباس، وليتحرَّ ما اجتمع عليه الأئمة والصحابة؛ ليحمل الناس عليها ويبثها في الأمصار، وتحدَّثا طويلاً ثم استأذن مالك في الانصراف فأمر له المنصور بألف دينار عينًا ذهبًا وكسوة عظيمة، وأمر لابن الإمام مالك بألف دينار. لكن مالك رفض عرض الخليفة إلزام الناس بالموطأ. قال مالك بن أنس: لما حج أبو جعفر المنصور دعاني فدخلت عليه فحدثته، وسألني فأجبته. فقال: إني قد عزمت أن آمر بكتبك هذه التي وضعتها يعني: الموطأ فتنسخ نسخًا، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة، وآمُرهم أن يعملوا بما فيها لا يتعدوها إلى غيرها، ويدعوا ما سوى ذلك من هذا العلم المحدَث، فإني رأيت أصل هذا العمل رواية أهل المدينة وعلمهم. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل؛ فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات، وأخَذ كل قوم بما سبق إليهم وعملوا به ودانوا به، من اختلاف الناس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنَّ ردَّهم عمَّا اعتقدوه شديد، فدعِ الناس وما هم عليه وما اختار كل بلد لأنفسهم. فقال: لعمري لو طاوعني على ذلك لأمرت به.

قيل امتحن مالك سنة 147 وضرب بالسياط، واختلف الناس في سبب ذلك فقيل: أنه أفتى بعدم وقوع طلاق المكره، وقد كانوا يكرهون الناس على الحلف بالطلاق عند البيعة، فرأوا أن فتوى مالك تجعل الناس في حل من نقض البيعة، قيل: إن ابن القاسم سأل مالكا عن البغاة يجوز قتالهم. فقال: إن خرجوا على مثل عمر بن عبد العزيز. قال: فإن لم يكن مثه. فقال: دعهم ينتقم الله من ظالم بظالم ثم ينتقم من كليهما. فكانت هذه الفتوى سبب محنته، فضربه عامل المنصور بالمدينة سبعين سوطا، ولما بلغ ذلك المنصور غضب على عامله وعزله، ثم لقي المنصور مالكا من قابل في موسم الحج، فاعتذر إليه، وفاتحه في كثير من مسائل الدين، وطلب إليه أن يجمع ما ثبت لديه من الأحاديث، والآثار ويدونها في كتاب يوطئه للناس، فاعتذر الإمام عن ذلك فلم يقبل المنصور عذره، فألف كتاب الموطأ، ولما جاء المهدي حاجا بعد ذلك سمعه منه، ولم يزل مالك محل احترام الخلفاء، وإجلالهم وتقدير العلماء وتعظيمهم، وقد سمع منه الرشيد وأولاده الموطأ في موسم الحج. وقال له الرشيد: أردت أن أعلق كتابك هذا في الكعبة، وأفرقه في الأمصار، وأحمل الناس عليه. فقال له مالك: لا تفعل، فإن الصحابة تفرقوا في الآفاق، ورووا أحاديث غير أحاديث أهل الحجاز، وأخذ الناس بها، فاتركهم وما هم عليه فقال له الرشيد: جزاك الله خيرا يا أبا عبد الله. وكان مالك كثير التواضع، جم الحياء عظيم الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إنه كان لا يركب دابة في المدينة، إجلالا لأرض ضمت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

➔ (2) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدهوا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات. من شيوخه حميد الطويل، وربيعة الرأي، وأيوب السختياني، صفوان بن سليم، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، عبد الرحمن بن القاسم، عبد الكريم الجزري، عطاء الخراساني، الزهري، محمد بن المنكدر، نافع. وحدث عنه من شيوخه عمه أبو سهيل، والزهري، وغيرهم الكثير.

➔ (1) جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو القاسم، ابن عم المنصور. ولي المدينة، ثم مكة معها، ثم عزل، فولي البصرة للرشيد. قال عبد السميع بن علي: لا نعرف في بني هاشم أغبط منه، حصل له الشرف والإمرة والمال الجم، والأولاد الزهر، والعبيد. توفي سنة 174 هـ.

قد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على أن الولاية العامة لا تكون إلا بشورى ورضى من الأمة وهذا ما كانت به الولاية لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين. والإمامة لا تتم إلا بالبيعة، وهي عقد من العقود، وقاعدة الشريعة الإسلامية في العقود هي ضرورة رضى المتعاقدين، وهي من جنس الوكالة. فالحاكم وكيل عن الأمة في تطبيق أحكام الإسلام، ولهم خلعه إذا خالف مقتضى العقد بالكفر أو الظلم.

عن الحسن بن أبي الحسن قال:لما ثقل أبو بكر واستبان له من نفسه، جمع الناس إليه فقال: إنه قد نزل بي ما ترون، وإني لأظنني إلا المأتي، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدي، ورد عليكم أمركم، فأمروا عليكم من أحببتم، فإنكم إن أمرتم عليكم في حياة مني كان أجدر أن لا تختلفوا بعدي، فقاموا في ذلك وحلوا عليه، ولم يستقم لهم فقالوا: أرأى لنا يا خليفة رسول الله، قال: فلعلكم تختلفون؟، قالوا: لا، قال: فعليكم عهد الله على الرضى، قالوا: نعم، قال: فأمهلوني أنظر لله ولدينه ولعباده، فأرسل أبو بكر إلى عثمان بن عفان قال: أشر علي برجل، والله إنك عندي لها لأهل وموضع، قال:عمر، فقال:اكتب، وكتب حتى انتهى إلى الاسم فغشي عليه ثم أفاق، فقال: اكتب عمر. وعن الواقدي عن أشياخه: أن أبا بكر لما اشتد به المرض دعا عبد الرحمن بن عوف، فقال:أخبرني عن عمر بن الخطاب، فقال: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني، فقال أبو بكر: وإن، فقال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه، ثم دعا عثمان فقال: أخبرني عن عمر، فقال: أنت أخبرنا به، قال: على ذلك يا أبا عبد الله، فقال عثمان: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله. فقال أبو بكر: يرحمك الله، والله لو تركته ما عدوتك. وشاور معهما سعيد بن زيد، وأسيد بن الحضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم وسمعه بعضهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فدخلوا على أبي بكر، فقال له قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلاف عمر علينا وقد ترى غلظته؟، فقال أبو بكر: أجلسوني، أبالله تخوفوني! خاب من تزود من أمركم بظلم أقول: اللهم استخلفت عليهم خير أهلك، أبلغ عني ما قلت من ورائك، ثم اضطجع. وعن أم المؤمنين عائشة قالت: كتب أبي وصيته سطرين:﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ، عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الدُّنْيَا، حِينَ يُؤْمِنُ الْكَافِرُ، وَيَتَّقِي الْفَاجِرُ، وَيَصْدُقُ الْكَاذِبُ: إِنِّي اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَإِنْ يَعْدِلْ فَذَاكَ ظَنِّي بِهِ، وَرَجَائِي فِيهِ، وَإِنْ يَجُرْ وَيُبَدِّلْ فَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء] عن ابن عمر، قال: ﴿حَضَرْتُ أَبِي حِينَ أُصِيبَ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ، وَقَالُوا: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، فَقَالَ: رَاغِبٌ وَرَاهِبٌ، قَالُوا: اسْتَخْلِفْ، فَقَالَ: أَتَحَمَّلُ أَمْرَكُمْ حَيًّا وَمَيِّتًا، لَوَدِدْتُ أَنَّ حَظِّي مِنْهَا الْكَفَافُ، لَا عَلَيَّ وَلَا لِي، فَإِنْ أَسْتَخْلِفْ فَقَدِ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي - يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ - وَإِنْ أَتْرُكْكُمْ فَقَدْ تَرَكَكُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حِينَ ذَكَرَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُ مُسْتَخْلِفٍ﴾ وفي رواية قيل له: فلو أنك عهدت إلى عبد الله، فإنه لها أهل في دينه وفضله وقديم إسلامه؟. قال: بحسب آل الخطاب أن يحاسب منهم رجل واحد عن أمة محمد ولوددت أني نجوت من هذا الأمر كفافا لا لي ولا علي. (راغب وراهب) أي راج وخائف ومعناه الناس صنفان أحدهما يرجو والثاني يخاف أي راغب في حصول شيء مما عندي أو راهب مني وقيل راغب في الخلافة فلا أحب تقديمه لرغبته وراهب لها فأخشى عجزه عنها (فإن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني) حاصله أن المسلمين أجمعوا على أن الخليفة إذا حضرته مقدمات الموت وقبل ذلك يجوز له الاستخلاف ويجوز له تركه فإن تركه فقد اقتدى بالنبي صلى الله عليه وسلم في هذا وإلا فقد اقتدى بأبي بكر رضي الله عنه وأجمعوا على انعقاد الخلافة بالاستخلاف وعلى انعقادها بعقد أهل الحل والعقد لإنسان إذا لم يستخلف الخليفة وأجمعوا على جواز جعل الخليفة الأمر شورى بين جماعة كما فعل عمر بالستة وفي هذا الحديث دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينص على خليفة وهو إجماع أهل السنة وغيرهم قال القاضي في ذلك بكر ابن أخت عبد الواحد فزعم أنه نص على أبي بكر وقال ابن الراوندي نص على العباس وقالت الشيعة والرافضة على علي وهذه دعاوي باطلة وجسارة على الافتراء ووقاحة في مكابرة الحس وذلك لأن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على اختيار أبي بكر وعلى تنفيذ عهده إلى عمر وعلى تنفيذ عهد عمر بالشورى ولم يخالف في شيء من هذا أحد ولم يدع علي ولا العباس ولا أبو بكر وصية في وقت من الأوقات وقد اتفق علي والعباس على جميع هذا من غير ضرورة مانعة من ذكر وصية لو كانت فمن زعم أنه كان لأحد منهم وصية فقد نسب الأمة إلى اجتماعها على الخطأ واستمرارها عليه وكيف تحل لأحد من أهل القبلة أن ينسب الصحابة إلى المواطأة على الباطل في كل هذه الأحوال ولو كان شيء لنقل فإنه من الأمور المهمة. عن ابن عمر، قال: ﴿دَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقَالَتْ: أَعَلِمْتَ أَنَّ أَبَاكَ غَيْرُ مُسْتَخْلِفٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَا كَانَ لِيَفْعَلَ، قَالَتْ: إِنَّهُ فَاعِلٌ، قَالَ: فَحَلَفْتُ أَنِّي أُكَلِّمُهُ فِي ذَلِكَ، فَسَكَتُّ حَتَّى غَدَوْتُ وَلَمْ أُكَلِّمْهُ، قَالَ: فَكُنْتُ كَأَنَّمَا أَحْمِلُ بِيَمِينِي جَبَلًا حَتَّى رَجَعْتُ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْ حَالِ النَّاسِ وَأَنَا أُخْبِرُهُ، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ مَقَالَةً، فَآلَيْتُ أَنْ أُقُولَهَا لَكَ، زَعَمُوا أَنَّكَ غَيْرُ مُسْتَخْلِفٍ، وَإِنَّهُ لَوْ كَانَ لَكَ رَاعِي إِبِلٍ، أَوْ رَاعِي غَنَمٍ، ثُمَّ جَاءَكَ وَتَرَكَهَا رَأَيْتَ أَنْ قَدْ ضَيَّعَ فَرَعَايَةُ النَّاسِ أَشَدُّ، قَالَ: فَوَافَقَهُ قَوْلِي، فَوَضَعَ رَأْسَهُ سَاعَةً، ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَيَّ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحْفَظُ دِينَهُ، وَإِنِّي لَئِنْ لَا أَسْتَخْلِفْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسْتَخْلِفْ، وَإِنْ أَسْتَخْلِفْ فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ قَدِ اسْتَخْلَفَ، قَالَ: فَوَاللهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ ذَكَرَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَعْدِلَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا، وَأَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَخْلِفٍ﴾ (آليت) حلفت. مات عمر رضي الله عنه وترك الأمر شورى بين ستة من الصحابة وهم علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، يختاروا رجلا منهم.

مراجع: الحديث والمحدثون/ صحيح مسلم/ مواقف الصحابة / البداية والنهاية / نصائح العلماء للسلاطين والأمراء

◆ جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي (ابن عمه أبو جعفر عبد الله المنصور، ثاني ملوك الدولة العباسية) والفقيه الصالح [092]

قال الأصمعي: ركب جعفر بن سليمان [1] في زي عجيب من التجمل، وكان بالبصرة فقيه صالح غلب على عقله، فخرج إلى طريق جعفر، فقال له: يا جعفر، انظر أي رجل تكون إذا خرجت من قبرك، وحملت على الصراط، وهذا الجمع والزي لا يساوي غدا حبة ولا يغنون عنك من الله شيئا، إنك تموت وحدك، وتدخل قبرك وحدك، وتقف بين يدي الله وحدك، وتحاسب وحدك، فانظر لنفسك، فقد نصحتك.

➔ جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو القاسم، ابن عم المنصور. ولي المدينة، ثم مكة معها، ثم عزل، فولي البصرة للرشيد. قال عبد السميع بن علي: لا نعرف في بني هاشم أغبط منه، حصل له الشرف والإمرة والمال الجم، والأولاد الزهر، والعبيد.توفي سنة 174 هـ.

ذكر أعرابي السلطان الجائر فقال: ﴿وَاللهِ لَئِنْ عَزَوْا فِي الدُّنْيَا بِالْجَوْرِ لَقَدْ ذَلُّوا فِي الآخِرَةِ بِالعَدْلِ وَبِقَلِيلٍ فَإِنَّ رَضُوا مِنْ كَثِيرٍ بَاقٍ وَإِنَّمَا يَكُونُ النَّدَمُ حَيْثُ لَا يُنْفَعُ النَّدَمُ﴾ وروي أن أبا بكر الصديق قال في بعض خطبه: ﴿إِنَّ الْمُلْكَ إِذَا مَلَك زهدَهُ اللهَ فِي مُلكه وَرَغَبِهِ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَأَشْرَب قَلْبَهُ الإِشْفَاق فَهُوَ يَحْسُدُ عَلَى القَلِيلِ وَيُسْخِطُ عَلَى الكَثِيرِ جَدَّلَ الظَّاهِرُ حَزِينٌ البَاطِن فَإِذَا وَجَبَتْ نَفْسُهُ وَنَضَبَ عُمْرُهُ وَضَحًا ظِلُّهُ حَاسَبَهُ اللهُ فَأَشَد حِسَابِه وَأَقَلَّ عَفْوَهُ﴾ وعن سعيد بن أبي هلال، قال: ﴿بَلَغَنَا أَنَّ الصِّرَاطَ يَكُونُ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ أَدَقَّ مِنَ الشَّعْرِ، وَعَلَى بَعْضِ النَّاسِ مِثْلَ الْوَادِي الْوَاسِعِ﴾ وعن عبد الصمد بن معقل عن وهب قال: وجدت في زبور داود: يا داود هل تدري من أسرع الناس مرا على الصراط؟ الذين يرضون بحكمي، وألسنتهم رطبة بذكري. وعن أم المؤمنين عائشة، قالت:سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ [إبراهيم] فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ؟ يَا رَسُولَ الله فَقَالَ: عَلَى الصِّرَاطِ﴾ عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أخبرني جبرئيل أن لا اله إلا الله انس للمسلم عند موته وفي قبره وحين يخرج من قبره يا محمد لو تراهم حين يقومون من قبورهم ينفضون رؤوسهم- هذا يقول لا اله إلا الله والحمد لله فبيض وجهه- وهذا ينادى بحسرتى على ما فرطت في جنب الله مسودة وجوههم. وعن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ﴾. عن ابن عباس، سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وهو يقول:﴿إِنَّكُمْ مُلَاقُو اللهَ مُشَاةً حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا﴾ وعن القاسم، قال: قالت أم المؤمنين عائشة: قلت:﴿كَيْفَ يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: عُرَاةً حُفَاةً قُلْتُ: وَالنِّسَاءُ؟ قَالَ: وَالنِّسَاءُ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَيَا يُسْتَحْيَا؟ قَالَ: الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ وعن ابن عباس، قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال:﴿إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرْلًا: كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ [الأنبياء] فَأَوَّلُ الْخَلَائِقِ يُلْقَى يَوْمَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ قَالَ: ثُمَّ يُؤْخَذُ قَوْمٌ مِنْكُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا. إلى قوله: الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [المائدة]﴾.

عن ابن عمر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر:﴿يَا أَبَا ذَرٍّ! إِنَّ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَالْقَبْرَ أَمْنُهُ، وَالْجَنَّةَ مَصِيرُهُ. يَا أَبَا ذَرٍّ! إِنَّ الدُّنْيَا جَنَّةُ الْكَافِرِ، وَالْقَبْرَ عَذَابُهُ، وَالنَّارَ مَصِيرُهُ﴾ وعن عبد الله بن عمرو، قال:﴿الدُّنْيَا جَنَّةُ الْكَافِرِ وَسِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ حِينَ تَخْرُجُ نَفْسُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَ فِي سِجْنٍ فَأُخْرِجَ، فَجَعَلَ يَتَقَلَّبُ فِي الْأَرْضِ وَيَتَفَسَّحُ فِيهَا﴾ وروي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة فإذا هو بقبر قال: قبر من هذا؟ قالوا: قبر خباب بن الأرت. فوقف عليه وقال: رحم الله خباباً أسلم راغباً وهاجر طائعاً وعاش مجاهداً وابتلي في جسمه آخراً، ألا ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً. ثم مضى فإذا قبور فجاء حتى وقف عليها فقال: السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة، أنتم لنا سلف ونحن تبع ويكم عما قليل لاحقون. اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم. طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب، وقنع بالكفاف ورضي عن الله تعالى. ثم قال: يا أهل القبور، أما الأزواج فقد نكحت، وأما الديار فقد سكنت، وأما الأموال فقد قسمت، فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما إنهم لو تكلموا لقالوا: وجدنا خير الزاد التقوى.

يقول عمر: لو نودي يوم القيامة: كل الناس يدخلون الجنة إلا واحدا، لخشيت أن أكون أنا هو. وكان أبو بكر يقول: لو كانت إحدى قدمي في الجنة والأخرى خارج الجنة ما أمنت مكر الله عز وجل. وكان هرم بن حيان يخرج في شطر الليل، فينادي بأعلى صوته: عجبت من الجنة، كيف ينام طالبها، وعجبت من النار كيف ينام هاربها، ثم يقول: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (97) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (98) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف] يقول جعفر الصادق: تأخير التوبة اغترار وطول التسويف حيرة والاعتلال على الله هلكة والإصرار على الذنب من مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

مراجع: سراج الملوك/ الأولياء لابن أبي الدنيا/ صحيح مسلم / التفسير المظهري/ سير أعلام النبلاء

◆ جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي (ابن عمه أبو جعفر عبد الله المنصور، ثاني ملوك الدولة العباسية) وأسلم مولى عمر [093]

روى زيد بن أسلم[1] عن أبيه[2] قال: قلت لجعفر بن سليمان، والي المدينة: أحذر أن يأتي رجل غداً ليس له في الإسلام نسب ولا أب ولا جد، فيكون أولى برسول الله صلى الله عليه وسلم منك، كما كانت امرأة فرعون أولى بنوح ولوط من زوجتيهما، وكما كانت زوجة لوط أولى بفرعون من زوجته، من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه، ومن أسرع به عمله لم يبطئ به نسبه.

➔ (2) أسلم، القرشي، العدوي، العمري، المدني، الفقيه، الإمام، أبو زيد، ويقال: أبو خالد، مولى عمر بن الخطاب. قيل هو من سبي عين التمر. وقيل هو يماني. وقيل حبشي اشتراه عمر بمكة إذ حج بالناس في العام الذي يلي حجة الوداع زمن الصديق. قال الواقدي: سمعت أسامة بن زيد بن أسلم يقول نحن قوم من الأشعريين ولكنا لا ننكر منة عمر . حدث عن أبي بكر، وعمر وعثمان ومعاذ وأبي عبيدة بن الجراح وكعب الأحبار وابن عمر وطائفة.توفي أسلم سنة 80 هـ. وقيل: مات في خلافة عبد الملك. ويقال: عاش مائة وأربع عشرة سنة ولم يصح ذلك.
قال أسلم مولى عمر: كان عمر إذا بعثني إلى بعض ولده قال لي: لا تخبره لم بعثتك إليه، فلعل الشيطان يعلمه كذبه، فجاءت أم ولد لعبد الرحمن(في رواية: امرأة لعبيد الله بن عمر) إلى عمر، فقالت: إن أبا عيسى لا ينفق علي ولا يكسوني، قال: ويحك من أبو عيسى؟ قالت: ابنك عبد الرحمن، فقال: وهل لعيسى من أب؟ قال أسلم: فأرسلني إليه فقال: قل له أجب، ولا تخبره لأي شيء دعوته، قال: فأتيته، وعنده ديك ودجاجة هنديان، فقلت له: أجب أباك أمير المؤمنين، قال: وما يريد مني؟ فقلت: لا أدري، قال: إني أعطيك هذا الديك والدجاجة على أن تخبرني ما يريد مني، فاشترطت أن لا يخبر عمر، فأخبرته، وأعطاني الديك والدجاجة، فلما جئت عمر قال لي: أخبرته، فوالله ما استطعت أن أقول لا، فقلت نعم، قال: أرشاك شيئا،قلت: نعم، قال: ما رشاك؟ قلت: ديكا ودجاجة، فقبض بيده اليسرى على يدي، فجعل يضربني بالدرة، وجعلت أنزو، وجعل يضربني وأنا أنزو، فقال: إنك لجدير، ثم جاء عبد الرحمن، فقال هل لعيسى من أب! يكتني أبا عيسى؟ هل لعيسى من أب؟

➔ (1) زيد بن أسلم هو أبو عبد الله زيد بن أسلم العدوي العمري المدني، والده أسلم مولى عمر بن الخطاب، توفي سنة 136هـ.روى عن عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع وأنس بن مالك وعطاء بن يسار، وتلقى على يديه مالك والثوري والأوزاعي وسفيان بن عيينة

قال الله تعالى:﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة] (تلك أمة قد خلت) أي مضت (لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) أي إن السلف الماضين من آبائكم من الأنبياء والصالحين لا ينفعكم انتسابكم إذا لم تفعلوا خيرا يعود نفعه عليكم، فإن لهم أعمالهم التي عملوها ولكم أعمالكم (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) وقال أبو العالية والربيع وقتادة (تلك أمة قد خلت) يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط ولهذا جاء في الأثر: من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ﴾ أي من أخره تفريطه في العمل الصالح في الدنيا لم ينفعه في الآخرة شرف النسب. عن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جهارا غير سر، يقول:﴿أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي، يَعْنِي فُلَانًا، لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يعني فلانا) هي من بعض الرواة خشي أن يسميه فيترتب عليه مفسدة وفتنة إما في حق نفسه وإما في حقه وحق غيره فكنى عنه والغرض إنما هو قوله صلى الله عليه وسلم إنما ولي الله وصالح المؤمنين ومعناه إنما ولي من كان صالحا وإن بعد نسبه مني وليس ولي من كان غير صالح وإن كان نسبه قريبا. وعن قسّ بن ساعدة: من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه. وعن أبي هريرة، قال: ﴿لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [الشعراء]، دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا﴾ البلال: الماء ومعنى الحديث: سأصلها، شبه قطيعتها بالحرارة تطفأ بالماء وهذه تبرد بالصلة. وعن أنس، قال:﴿أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: فِي النَّارِ، فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ﴾ (فلما قفى) أي ذهب موليا وكأنه من القفا أي أعطاه قفاه وظهره.

عن عبد الرحمن بن حبيب بن أردك، قال: سمعت نافع بن جبير، يقول لعلي بن الحسين:﴿غَفَرَ اللهُ لَكَ، أَنْتَ سَيِّدُ النَّاسِ وَأَفْضَلُهُمْ، تَذْهَبُ إِلَى هَذَا الْعَبْدِ فَتَجْلِسُ مَعَهُ - يَعْنِي زَيْدَ بْنَ أَسْلَمَ - فَقَالَ: إِنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعِلْمِ أَنْ يُبْتَغَى حَيْثُمَا كَانَ﴾.

ورد في الصحيح: أن عمر بن الخطاب لقي نافع بن الحارث بعسفان، وعسفان ما بين مكة والمدينة، وهي أقرب إلى مكة، وكان قد استخلفه عمر على أهل الوادي، فلما لقيه قال: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال: ابن أبزى. قال: من ابن أبزى؟ قال: رجل من موالينا–والمولى يطلق على العبد، ويطلق على العبد الذي أعتق – فقال: رجل من موالينا، فقال عمر: استخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض، فقال عمر: ألا إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال:﴿إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ﴾ قال ابن عيينة: رأيت الأعمش لبس فروا مقلوبا، وثيابا تسيل خيوطه على رجليه، ثم قال: أرأيتم لولا أني تعلمت العلم من كان يأتيني؟ لو كنت بقالا كان يقذرني الناس أن يشتروا مني.

قيل لحفص بن أبي حفص الأبار: رأيت الأعمش؟ قال: نعم، وسمعته يقول: إن الله يرفع بالعلم أو بالقرآن أقواما ويضع به آخرين، وأنا ممن يرفعني الله به، لولا ذلك لكان على عنقي دم صحن أطوف به في سكك الكوفة.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَا إِلَى ثِيَابِكُمْ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ﴾ قال إبراهيم بن إسحاق الحربي كان عطاء بن أبي رباح عبدا اسود لامرأة من أهل مكة وكان انفه كأنه باقلاة قال وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه فجلسوا إليه وهو يصلي فلما صلى انفتل إليهم فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حول قفاه إليهم ثم قال سليمان لابنيه قوما فقاما فقال يا ابني لاتنيا في طلب العلم فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود. وعن الحرمازي قال كان رجل من أهل السواد يلزم جعفر بن محمد ففقده فسأل عنه فقال له رجل إنه نبطي يريد أن يضع منه فقال جعفر أصل الرجل عقله وحسبه ودينه وكرمه تقواه والناس في آدم مستوون.

حدث يعقوب قال أراه عن أبيه قال أذن عمر بن عبد العزيز لزياد بن أبي زياد والأمويون هناك يتظرون الدخول عليه قال هشام أما رضي ابن عبد العزيز أن يصنع ما يصنع حتى أذن لعبد ابن عياش يتخطى رقابنا، فقال الفرزدق من هذا. قالوا رجل من أهل المدينة من القراء عبد مملوك، فقال الفرزدق: أيه القارئ المقضي حاجته...هذا زمانك إني قد خلا زمني.

قال الأصمعي: مدح نصيب عبد الله بن جعفر، فأمر له بمال كثير وكسوة شريفة، ورواحل موقرة براً وتمراً، فقيل له: أتفعل هذا بمثل هذا العبد الأسود؟ فقال: أما والله إن كان عبداً إن شعره لحر، وإن كان أسود إن ثناءه لأبيض، وإنما أخذ مالاً يفنى وثياباً تبلى، ورواحل تنضى، وأعطى مديحاً يروى، وثناء يبقى. ودخل سفيان على المهدي فكلمه بكلام فيه غلظة فقال له عيسى بن موسى: تكلم أمير المؤمنين بمثل هذا الكلام وإنما أنت رجل من ثور، فقال له سفيان: إن من أطاع الله من ثور خير ممن عصى الله من قومك.

قال ابن أبي ليلى: [1] قال لي عيسى بن موسى[2] وكان جافيا شديد العصبية: من كان فقيه البصرة؟ قلت: الحسن بن أبي الحسن. قال: ثم من؟ قلت: محمد بن سيرين. قال: فما هما؟ قلت: مولیان. قال: فمن كان فقيه مكة؟ قلت: عطاء بن أبي رباح، ومجاهد بن جبر، وسعيد ابن جبير، وسليمان بن يسار. قال: فما هؤلاء؟ قلت موالي. فتغير لونه، ثم قال: فمن أفقه أهل قباء؟ قلت ربيعة الرأي، وابن أبي الزناد، قال: فما كانا؟ قلت من الموالي. فاربد وجهه، ثم قال: فمن كان فقيه اليمن؟ قلت: طاووس، وابنه وهمام بن منبه. قال: فما هؤلاء؟ قلت: من الموالي. فانتفخت أوداجه فانتصب قاعدا، [ثم] قال: فمن كان فقيه خراسان؟ قلت: عطاء بن عبد الله الخراساني. قال: فما كان عطاء هذا؟ قلت: مولى. فازداد وجهه تربدا واسود اسوادا حتى خفته، ثم قال: فمن كان فقيه الشام؟ قلت: مكحول. قال: فما كان مكحول هذا؟ قلت: مولى. فازداد تغيظا وحنقا؛ ثم قال: فمن كان فقيه الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران. قال: فما كان؟ قلت: مولى. قال: فتنفس الصعداء، ثم قال: فمن كان فقيه الكوفة؟ قلت: فو الله لولا خوفه لقلت: الحكم بن عيينة، وعمار بن أبي سليمان، ولكن رأيت فيه الشر، فقلت: إبراهيم، والشعبي. قال: فما كانا؟ قلت: عربيان. قال: الله أكبر! وسكن جأشه.

عن أبي هشام قال: سمعت عمي يقول: كان عيسى بن موسى أميراً، فأمر ابن أبي ليلى أن يجمع الفقهاء فجمعهم، فجاء الأعمش في جبة فرو وقد ربط وسطه بشريط فأبطئوا، فقام الأعمش فقال: إن أردتم أن تعطونا شيئاً وإلا فخلوا سبيلنا، فقال: يا ابن أبي ليلى! قلت لك تأتي بالفقهاء تجيء بهذا؟ قال: هذا سيدنا الأعمش.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لما مات العبادلة: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالي: فقيه مكة عطاء، وفقيه اليمن طاووس، وفقيه اليمامة يحيى ابن أبي كثير، وفقيه البصرة الحسن، وفقيه الكوفة إبراهيم النخعي، وفقيه الشام مكحول، وفقيه خراسان عطاء الخراساني، إلا المدينة فإن الله تعالى خصها بقرشي فقيه غير مدافع: سعيد بن المسيب.

➔ (1) أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري التابعي المفتي القاضي الكوفي، ولد سنة 76 هـ وتوفي سنة 148 هـ.ووالده هو عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي، ولد سنة 17 هـ. وقتل بوقعة الجماجم، سنة 83 هـ.

➔ (2) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أبو موسى الهاشمي، وهو ابن أخي أبي العباس السفاح، نشأ بالحميمة من كور دمشق ثم انتقل مع أهله إلى العراق وجعله السفاح ولي عهده بعد المنصور فلما ولي المنصور أخره وجعله ولي عهده بعد ابنه المهدي وكان جليلا في أهل بيته وولي إمرة الموسم في خلافة السفاح والمنصور وولي الكوفة للمنصور، ولد سنة 103 هـ أو 104 هـ وتوفي بالكوفة سنة 164 هـ

مراجع: سراج الملوك/ صحيح مسلم/ البداية والنهاية/ طبقات الفقهاء/ مسند البزار/ من أعلام السلف/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ صفة الصفوة/ تاريخ دمشق لابن عساكر/ حدائق الأزاهر/ وفيات الأعيان

◆ محمد بن سليمان، أمير العراق (عامل أبو جعفر عبد الله المنصور، ثاني ملوك الدولة العباسية) وحمّاد بن سلمة [094]

حدث مقاتل بن صالح الخراساني، صاحب الحميدي بمكة قال: دخلت على حماد بن سلمة [1] فإذا ليس في البيت إلا حصير وهو جالس وفي يديه مصحف يقرأ فيه وجراب فيه عملة ومطهرة يتوضأ منها فبينا أنا جالس إذ دق الباب. فقال حمّاد: يا حبيبة (الصبية!) اخرجي فانظري من هذا؟ فقالت: هو رسول محمد بن سليمان الهاشمي [2]. وهو أمير البصرة والكوفة.. فأذن له بالدخول. فدخل فسلم فناوله كتابه، قال اقرأه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة أما بعد: فصبحك الله بما صبح به أوليائه، وأهل طاعته، وقعت مسألة فأتينا نسأل عنها. فقال: يا حبيبة هات الدواة. ثم قال: لي اقلب كتابه واكتب أما بعد: فأنت صبّحك الله بما صبّح به أولياءه وأهل طاعته إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون لأحد فان وقعت لك مسألة فأتنا وسل ما بدا لك وإن أتيتني فلا تأتني بخيلك ورجلك فلا أنصحك ولا أنصح إلا تقيّا والسلام. فبينما أنا جالس إذ دق الباب. فقال: يا حبيبة فانظري من هذا؟ قالت: هذا محمد بن سليمان. قال: قولي له يدخل وحده. فدخل وجلس بين يديه ثم ابتدأ فقال: ما لي إذا نظرت فيك امتلأت رعبا؟ قال حمّاد: حدثني ثابت البناني قال سمعت أنسا يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ الْعَالِمَ إِذَا أَرَادَ بِعِلْمِهِ وَجْهَ اللهِ هَابَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَكْتَنِزَ بِهِ الْكُنُوزَ هَابَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فقال: ما تقول رحمك الله في رجل له ابنان وهو على أحدهما أرضى فأراد أن يجعل له في حياته ثلثي ماله؟ فقال حماد: لا يفعل، رحمك الله فاني سمعت أنسا يقول: عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَ عَبْدًا مِنْ عُبَّادِهِ فِي حَيَاتِهِ وَقِفَهُ إِلَى وَصِيَّةٍ جائرة﴾ فعرض عليه مالا فلم يقبل وخرج.

عن المازني قال: حدثني الأخفش [3] قال : كان أمير في البصرة يقرأ على المنبر: إن الله وملائكته يصلون على النبي بالرفع فصرت إليه ناصحا له ومنبها فتهددني وأوعدني وقال: تلحنون أمراءكم ثم عزل وتقلد محمد بن سليمان الهاشمي فكأنه تلقنها من في المعزول فقلت : هذا هاشمي نصيحته واجبة فجبنت عنه وخشيت أن يتلقاني بمثل ما تلقاني به الأول ثم حملت على نفسي فأتيته فإذا هو في غرفة له وعنده أخوه والغلمان على رأسه فقلت : هذا. وأومأت إلى أخيه فنهض أخوه وتفرق الغلمان فقلت : أصلح الله الأمير أنتم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة والفصاحة وتقرأ : إن الله وملائكته بالرفع وهو لحن ولا وجه له فقال: جزاك الله خيرا قد نبهت ونصحت فانصرف مشكورا. فانصرفت فلما صرت في نصف الدرجة إذا قائل يقول لي: قف. فوقفت وخفت أن يكون أخوه أغراه بي فإذا بغلة سفواء وغلام وبدرة وتخت ثياب وقائل يقول: هذا لك قد أمر به الأمير. فانصرفت مغتبطا.

---

(1) حماد بن سلمة، أبو سلمة مولى لبني تميم، وهو ابن أخت حميد الطويل. كان عالما عابدا محاسبا لنفسه لا يضيع لحظة في غير طاعة. قال عبد الرحمن بن محمد: لو قيل لحماد بن سلمة إنك تموت غدا ما قدر أن يزيد في العمل شيئا. قال موسى بن إسماعيل: لو قلت لكم إني رأيت حماد بن سلمة ضاحكا قط صدقتكم كان مشغولا بنفسه، إما أن يحدث وإما أن يقرأ وإما أن يسبح، وإما أن يصلي. كان قد قسم النهار على هذه الأعمال.وكان يبيع الثياب، قال سوار بن عبد الله: حدثنا أبي قال: كنت آتي حماد بن سلمة في سوقه فإذا ربح في ثوب حبة أو حبتين شد جونته فلم يبع شيئا. فكنت أظن أن ذلك يقوته. فإذا وجد قوته لم يزد عليه شيئا. قال يونس بن محمد: مات حماد بن سلمة في المسجد وهو يصلي سنة 168 هـ.. وقد أسند حماد بن سلمة عن خلق لا يحصون من التابعين.

(3) الأخفش الأوسط إمام النحو أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري مولى بني مجاشع أخذ عن الخليل بن أحمد ولزم سيبويه حتى برع وكان من أسنان سيبويه بل أكبر. توفي سنة 211 هـ وقيل: 221 هـ وكان يقول: ما وضع سيبويه في كتابه شيئا إلا بعد أن عرضه علي، وللأخفش المذكور عدة مصنفات وهو الذي زاد في العروض بحر الخبب، والذين يسمون بالأخفش ثلاثة، أولهم: الأخفش الأكبر، وهو أبو الخطاب عبد الحميد، من أهل هجر، وكان نحويا أيضا. ثم الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة الإمام المذكور. ثم الأخفش الأصغر المتأخر، وهو علي بن سليمان بن الفضل، وكان الأخفش الأصغر المذكور، نحويا أيضا، وتوفي في سنة 315 هـ، وقيل 316 هـ.

(2) محمد بن سليمان بن علي، أمير البصرة، وابن عم المنصور، والذي ثبت دولتهم بعمله وبلائه يوم باخمرا، وكان قتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن على يده، وولي أيضا إمرة فارس، وكان بطلا شجاعا ممدحا، وكان الرشيد يجله، ويبالغ في إكرامه، وقد ولي أيضا الكوفة، قيل: إن الرشيد استولى على تركته، واصطفاها، فكانت بنحو خمسين ألف ألف درهم. كان مولده بالحميمة من الشام سنة 122 هـ. ومات في جمادى الآخرة سنة 173 هـ، واصطفى الرشيد عامة ما خلف.

حدث أبو المنذر إسماعيل بن عمر قال سمعت أبا عبد الرحمن العمري يقول: إن من غفلتك عن نفسك إعراضك عن الله عز وجل بأن ترى ما يسخطه فتجاوزه لا بأمر فيه ولا بنهي عن منكر خوفا ممن لا يملك لك ضرا ولا نفعا. وسمعته يقول من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مخافة المخلوقين نزعت منه هيبة الطاعة فلو أمر ولده أو بعض مواليه لا ستخف به.

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أُمَّتِي سَيَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَقُولُونَ: نَأْتِي الْأُمَرَاءَ فَنُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَنَعْتَزِلُهُمْ بِدِينِنَا. وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ، كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الْقَتَادِ إِلَّا الشَّوْكُ، كَذَلِكَ لَا يُجْتَنَى مِنْ قُرْبِهِمْ إِلَّا – قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ: كَأَنَّهُ يَعْنِي – الْخَطَايَا﴾ وعن معاذ مرفوعاً:﴿لا تَزَالُ يَدُ اللهِ مَبْسُوطَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مَا لَمْ يَرْفُقْ خِيَارَهُمْ بِشِرَارِهِمْ وَيُعَظِّمْ بَرُّهُمْ فَأْجِرُهُمْ وَتُعِنْ قُرَّاؤُهُمْ عَلَى أُمَرَاءِهِمْ عَلَى مَعْصِيَةِ اللهِ. فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ نَزَعَ اللهُ يَدَهُ عنهم﴾ وفي رواية، عن الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لا تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ تَحْتَ يَدِ اللهِ وَكَنَفُهُ مَا لَمْ يبارِي قُرَّاؤُهَا أُمَرَاءَهَا﴾ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جُبِّ الْحَزَنِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا جُبُّ الْحَزَنِ؟ قَالَ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَمِائَةِ مَرَّةٍ . قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَنْ يَدْخُلُهَا؟ قَالَ: الْقُرَّاءُ الْمُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ﴾ رواه الترمذي، وكذا ابن ماجه، وزاد فيه: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الْقُرَّاءِ إِلَى اللهِ تَعَالَى الَّذِينَ يَزُورُونَ الْأُمَرَاءَ﴾ وعن عبد الله بن مسعود، قال:﴿لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا الْعِلْمَ، وَوَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِهِ، لَسَادُوا بِهِ أَهْلَ زَمَانِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ بَذَلُوهُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا لِيَنَالُوا بِهِ مِنْ دُنْيَاهُمْ، فَهَانُوا عَلَيْهِمْ، سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، هَمَّ آخِرَتِهِ، كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ﴾ وقال الفضيل بن عياض:﴿لَوْ أَنَّ أَهْلَ العِلْمِ أَكْرَمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَشَحُّوا عَلَى دِينِهِمْ وَأَعَزُّوا العِلْمَ وَصَانُوهُ وَأَنْزَلُوهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ اللهُ لَخَضَعَتْ لَهُمْ رِقَابُ الجَبَابِرَةِ وَانْقَادَ لَهُمُ النَّاسُ وَاسْتَغَلُّوا بِهَا يَعْنِيهُمْ وَعَزَّ الإِسْلَامُ وَأَهْلَهُ لَكِنَّهُمْ إِسْتَذَلُّوا أَنْفُسَهُمْ وَلَمْ يُبَالَوْا بِهَا نَفْصٌ مِنْ دِينِهِمْ إِذَا سَلَّمَتْ لَهُمْ دُنْيَاهُمْ وَبَذَلُوا عِلْمَهُمْ لِأَبْنَاءِ الدُّنْيَا لِيُصِيبُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ فَذَلُّوا وَهَانُوا عَلَى النَّاسِ﴾ قال سفيان الثوري: ﴿إِذَا دَعَوْكَ لِتَقْرَأَ عَلَيْهِمْ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ فَلَا تَأْتِهِمْ قُلْتُ لِأَبِي شِهَابٍ: يَعْنِي السَّلَاطِينَ قَالَ: نَعَمْ﴾ وقال: ﴿إِيَّاكَ أَنْ تُخْدَعَ، يَقُولُ: تَرُدُّ مَظْلَمَةً، أَوْ تَدْفَعُ عَنْ مَظْلُومٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَدْعَةٌ إِبْلِيسَ، اتَّخَذَهَا فُجَّارُ الْقُرَّاءِ سُلَّمًا﴾ قال مكحول الدمشقي:﴿مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ ثُمَّ صَحِبَ السُّلْطَانَ تَمَلُّقًا إِلَيْهِ وَطَمَعًا فِيمَا لَدَيْهِ خَاضَ فِي بَحْرٍ مِنْ نَارٍ جَهَنَّمَ بِعَدَدِ خُطَاهُ﴾ وعن سفيان الثوري: ﴿إِذَا رَأَيْتَ الْقَارِئَ يَلُوذُ بِبَابِ السُّلْطَانِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لِصٌّ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ يَلُوذُ بِبَابِ الْأَغْنِيَاءِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُرَاءٍ﴾ يقول سليمان الخواص: لو دخلت على بعض هؤلاء، يعني الولاة، لم أحب أن أطأ بساطه، كراهية أن يلين قلبي بوطء بساطه، وتلى يوما قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان] فقال: ما ينبغي لعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله تعالى. يقول سفيان بن عيينة لو أن أهل العلم طلبوه لما عند الله لهابهم الناس ولكن طلبوا به الدنيا فهانوا على الناس.

مراجع: إحياء علوم الدين/مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ أخبار الشيوخ وأخلاقهم/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ المختصر في أخبار البشر

◆ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي المهدي بالله (ثالث ملوك الدولة العباسية) وسفيان الثوري (١)[095]

حكى القعقاع بن حكيم، فقال: كنت عند المهدي[1] وأوتي بسفيان الثوري[2] كبير علماء المسلمين في عصره، فلم دخل عليه سلم ولم يسلم بالخلافة، والربيع قائم على رأسه متكأ على سيفه يرقب أمره، فأقبل عليه المهدي بوجه طلق، وقال له، يا سفيان تفر ههنا وههنا، وتظن أن لو أردناك بسوء لم نقدر عليك!، فقد قدرنا عليك الآن، أفما تخش أن نحكم فيك بهوانا؟ قال سفيان: إن تحكم في بحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل. فقال الربيع: يا أمير المؤمنين، أهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا!، أتأذن لي أن أضرب عنقه؟ فقال المهدي: أسكت! ويلك، وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشق لسعادتهم. أكتبوا عهده على قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه في حكم. فكتب عهده ودفعه إليه، فأخذه وخرج ورمى به في دجلة، وغاب عن أنظار الناس، فطلب في كل بلد فلم يوجد. فعين مكانه شريك بن عبد الله النخعي. قال الشاعر: تحرز سفيان وفر بدينه ... وأمسى شريك مرصدا للدراهم.

حكى عطاء بن مسلم قال: لما استخلف المهدي بعث إلى سفيان، فلما دخل خلع خاتمه فرمى به إليه، فقال: يا أبا عبد الله هذا خاتمي فاعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة، فأخذ الخاتم بيده وقال: تأذن في الكلام يا أمير المؤمنين؟! قال عبيد قلت لـ عطاء: يا أبا مخلد! قال له: يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، قال: أتكلم على أني آمن؟ قال: نعم، قال: لا تبعث إلي حتى آتيك، ولا تعطني شيئا حتى أسألك، قال: فغضب من ذلك وهم به، فقال له كاتبه: أليس قد أمنته يا أمير المؤمنين؟! قال: بلى، قال: فلما خرج حف به أصحابه فقالوا: ما منعك يا أبا عبد الله وقد أمر أن تعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة، قال: فاستصغر عقولهم ثم خرج هاربا إلى البصرة.

قيل كان سفيان الثوري يصاحب المهدي، فلما ولي الخلافة انقطع عنه، فقال له المهدي: إن لم تصاحبني فعظني! قال: إن في القرآن سورة، أولها: ويل للمطففين ! والتطفيف لا يكون إلا شيئا نزرا فكيف من يأخذ أموالا كثيرة ؟.

روى ابن سعد في الطبقات قال: طلب سفيان فخرج إلى مكة، فكتب المهدي أمير المؤمنين إلى محمد بن إبراهيم[3] وهو على مكة يطلبه، فبعث محمد إلى سفيان فأعلمه بذلك، وقال: إن كنت تريد إتيان القوم فاظهر حتى أبعث بك إليهم، وإن كنت لا تريد ذلك فتوار، قال: فتوارى سفيان، وطلب من محمد بن إبراهيم وأمر مناديا فنادى بمكة: من جاء بـ سفيان فله كذا وكذا، فلم يزل متواريا بمكة لا يظهر إلا لأهل العلم ومن لا يخافه، قالوا: فلما خاف سفيان بمكة من الطلب خرج إلى البصرة فقدمها، فنزل قرب منزل يحيى بن سعيد القطان فقال لبعض أهل الدار: أما قربكم أحدا من أهل الحديث؟ قالوا: بل يحيى بن سعيد قال: جئني به، فأتاه به، فقال: أنا هنا منذ ستة أيام أو سبعة، فحوله يحيى إلى جواره بينه وبينه باب، وكان يأتي بمحدثي أهل البصرة يسلمون عليه ويسمعون منه الحديث، فكان فيمن أتاه جرير بن حازم والمبارك بن فضالة وحماد بن سلمة ومرحوم العطار وحماد بن زيد وغيرهم، وأتاه عبد الرحمن بن مهدي ولزمه، فكان يحيى وعبد الرحمن يكتبان عنه تلك الأيام، وكلم أبا عوانة أن يأتيه فأبى، وقال: رجل لا يعرفني كيف آتيه. وذلك أن أبا عوانة سلم عليه بمكة فلم يرد عليه سفيان السلام –ولعله شك فيه أو كأنه لا يعرفه– وكلم في ذلك فقال: لا أعرفه، ولما تخوف سفيان أن يشهر بمقامه بالبصرة قرب يحيى بن سعيد قال له: حولني من هذا الموضع، فحوله إلى منزل الهيثم بن منصور الأعرجي من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، فلم يزل فيهم فكلمه حماد بن زيد في تنحيه عن السلطان وقال: هذا فعل أهل البدع، وما نخاف منهم؟ فأجمع سفيان وحماد أن يقدما بغداد. وسيأتي أنه توفي قبل أن يذهب. قال ابن سعد: كتب سفيان إلى المهدي أو إلى يعقوب بن داود[4] فبدأ بنفسه فقيل له: إنهم يغضبون من هذا، أي: أنه عندما يكتب: من فلان إلى فلان –وهذه سنة في الرسائل– قالوا له: إن الأمراء يغضبون من ذلك، ولا بد أن يبدأ بهم، فبدأ بهم، فأتاه جواب كتابه بما يحب من التقريب والكرامة والسمع منه والطاعة، فأراد الخروج إليهم، فحم ومرض مرضا شديدا وحضره الموت فجزع، فقال له مرحوم بن عبد العزيز: يا أبا عبد الله! ما هذا الجزع؟ إنك تقدم على الرب الذي كنت تعبده، فسكن وهدأ وقال: انظروا من هاهنا من أصحابنا الكوفيين، فأرسلوا إلى عبدان فقدم عليه عبد الرحمن بن عبد الملك بن أبجر والحسن بن عياش أخو أبو بكر بن عياش فأوصى إلى عبد الرحمن بن عبد الملك وأوصاه أن يصلي عليه، فأقام عنده حتى مات، فأخرج بجنازته على أهل البصرة فجأة وسمعوا بموته، وشهده الخلق، وصلى عليه عبد الرحمن بن عبد الملك، وكان رجلا صالحا رضيه سفيان لنفسه، ونزل في حفرته ونزل معه خالد بن الحارث وغيرهما، ودفنوه، ثم انصرف عبد الرحمن بن عبد الملك والحسن بن عياش إلى الكوفة فأخبرا أهلها بموت سفيان رحمه الله. وحكي عن أبي صالح بن حرب المدائني – وكان أحد السادة الأئمة الأكابر في الحفظ والدين – أنه قال: إنني لأحسب يجاء بسفيان الثوري يوم القيامة حجة من الله على الخلق، يقال لهم: لم تدركوا نبيكم عليه أفضل الصلاة والسلام فلقد رأيتم سفيان الثوري، ألا اقتديتم به.

---

(2) سفيان الثوري هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري، الفقيه الكوفي سيد أهل زمانه علما وعملا وهو من ثور مضر وليس هو من ثور همدان على الصحيح كذا نسبه ابن سعد والهيثم بن عدي وغيرهما. مولده سنة 97 هـ ووفاته سنة 161 هـ وكان أبوه سعيد من ثقات المحدثين. سمع الثوري من عمرو بن مرة وسلمه بن كهيل وحبيب بن أبي ثابت وعمر بن دينار وابن إسحق ومنصور وحصين وأبيه سعيد بن مسروق والأسود بن قيس وجبلة بن سحيم وزبيد بن الحارث وزياد بن علاقة وسعد بن إبراهيم وأيوب وصالح مولى التوأمة وخلق لا يحصون يقال إنه أخذ عن ست مائة شيخ وعرض القرآن أربع مرات على حمزة بن الزيات. وروى عنه ابن عجلان وأبو حنيفة وابن جريج وابن إسحاق ومسعر وهم من شيوخه وشعبة والحمادان ومالك وابن المبارك ويحيى وعبد الرحمن وابن وهب وأمم لا يحصون.

(3) محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المعروف بالإمام، ولد سنة 122 هـ. كان يلي إمارة الحاج وإقامة شعائر الحج في خلافة المنصور عدة سنين. توفي سنة 185 هـ ببغداد فصلى عليه الأمين، ودفن بالعباسية.

(1) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المهدي بالله. ولد بالحميمة سنة 126 هـ. بويع له سنة 158 هـ. وتوفي بماسبذان في المحرّم سنة 169 هـ وصلى عليه ابنه الرشيد.

(4) أبي عبيد الله يعقوب بن داود بن طهمان، الفارسي، عظمه المهدي، وملأ عينه، واختص به، ولم يزل في ارتقاء وتقدم حتى وزر له، ففوض إليه أزمة الأمور، وتمكن، فولى الزبدية المناصب، حتى قال بشار بن برد: بني أمية هبوا طال نومكم... إن الخليفة يعقوب بن داود...ضاعت خلافتنا يا قوم! فاطلبوا...خليفة الله بين الدن والعود.

أيها المؤمنون، لقد علم الخليفة المهدي أن أمثال سفيان لا يعبؤون بتهديدهم، بل إنهم يروا في قتلهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سعادتهم، كما يعلم أمثال المهدي أن في ذلك شقائهم. ولقد علم هذه الحقيقة نفر من أئمة الدعوة والإصلاح في أيامنا هذه، فأدوا حق الله في العلم الذي علموه وهم اليوم بين سجين يرفع مظلمته إلى الله وطريد فر بدينه من بطش الفراعنة الطغاة، وقائم بأمر الله لا يعبأ بانتعاش الباطل وتهديداته، ولقد سقط في الامتحان آخرون فورثوا مهمة أمثال الربيع أعوان للشر، يوبقون بنصرتهم للباطل آخرتهم وأخرة من ينصرون من الطغاة، ولكن الفارق اليوم، أن أمثال المهدي كانوا يعرفون منزلة سفيان، فيرغبون إليهم ليتولوا عندهم المناصب، ليرتفعوا بهم في اعين الناس، لكن فراعين اليوم يبعدون الصالحين ويقربون شرر الناس وعلماء السوء الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِي مِنَ الدَّجَّالِ الأئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ﴾ وقال ﴿أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَيِّمَّةُ الْمُضِلِّينَ﴾.سفيان رمى بصك تعيينه في أوحال دجلة، ولكن الحاسئين اليوم يبحثون في الأوحال عن صكوك لتعيينهم في حاشية السلاطين، سفيان اختف عن الناس فرارا من أن تضمه قائمة حاشية السلطان، ذلك السلطان الذي كان يحكم بشرع الله، ويرسل جيوشه للجهاد في سبيل الله، لأن في حكمه بعض المظالم، وشرار علمائنا اليوم يصطفون أرتالا على باب الذين عطلوا شرع الله، وساموا الناس خسفا ليفوزوا بما يوبق دنيهم واخرتهم، فلم يبق مثال لقوافل المصلحين إلا نزر يسير من أئمة الهدى، نسأل الله أن يثبتهم، وينفع بهم، ويحسن خلاصهم لتعود راية الحق خفاقة في ربوع هذه البلاد التي اعزها الله..

عن نافع، أن ابن عمر قال لعثمان:﴿يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لَا أَقْضِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ، قَالَ: فَإِنَّ أَبَاكَ كَانَ يَقْضِي. فَقَالَ: إِنَّ أَبِي لَوْ أُشْكِلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ أُشْكِلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ شَيْءٌ سَأَلَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنِّي لَا أَجِدُ مَنْ أَسْأَلُهُ، وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ عَاذَ بِاللهِ، فَقَدْ عَاذَ بِعَظِيمٍ. وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ عَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ. وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تَجْعَلَنِي قَاضِيًا! فَأَعْفَاهُ، قَالَ: لَا تُخْبِرْ أَحَدًا﴾ (لا تخبر أحدا) أي لا تعلم أحدا غيرك بما ذكرته لئلا ينسد الباب هذا. وعن بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ﴾ و عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنِ ابْتَغَى الْقَضَاءَ وَسَأَلَ وُكِلَ إِلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أُكْرِهَ عَلَيْهِ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ﴾ (من ابتغى) أي طلب في نفسه (القضاء) أي الحكومة الشاملة للإمارة (وسأل) أي وطلبه من الناس وفي رواية: وسأل فيه شفعاء (وكل إلى نفسه) أي لم يعنه الله وخلي مع طبعه وما اختاره لنفسه (ومن أكره عليه) أي واختاره بحكم إجباره، أو تعينه معتقدا أن الخير فيما اختاره له (أنزل الله عليه ملكا) أي من حيث لا يعلم (يسدده) أي يحمله على السداد والصواب. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ طَلَبَ قَضَاءَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَنَالَهُ، ثُمَّ غَلَبَ عَدْلُهُ جَوْرَهُ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ غَلَبَ جَوْرُهُ عَدْلَهُ فَلَهُ النَّارُ﴾ (من طلب قضاء المسلمين حتى يناله) أي إلى أن يدرك القضاء (ثم غلب عدله جوره) أي قوي عدله على جوره؛ بحيث منعه عن الجور، أو الظلم في الحكم (فله الجنة) أي مع الفائزين، قال الطيبي: إن يقل قوله (حتى) غاية للطلب و(حتى) للتدرج، فيفهم منه أنه بالغ في الطلب، وبلغ مجهوده فيه، ثم ناله، فمثل هذا موكول إلى نفسه، فلا ينزل عليه ملك يسدده، فكيف يغلب عدله جوره؟ وقد قال في الحديث السابق: (من ابتغى القضاء وسأل وكل إلى نفسه) فكيف الجمع بينهما؟ يمكن أن يقال الطالب رجلان؛ رجل مؤيد بتأييد الله محدث ملهم كالصحابة، ومن بعدهم من التابعين، فإذا طلبه بحقه فمثل هذا لا يكون موكولا إلى نفسه وهو يقضي بالحق، وهذا هو الذي غلب عدله جوره، ورجل ليس كذلك، وهو الذي وكل إلى نفسه، فيغلب جوره عدله، وهذا معنى قوله: (ومن غلب جوره عدله فله النار) قال التوربشتي: ربما يسبق إلى فهم بعض من لا يتحقق القول أن المراد من الغلبة أن يزيد ما عدل فيه على ما جار وهذا باطل.

◆ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي المهدي بالله (ثالث ملوك الدولة العباسية) وسفيان الثوري (٢) [096]

حدث سفيان الثوري[1] قال: حج المهدي فرأيته يرمي جمرة العقبة والناس يخبطون يمينا وشمالا بالسياط فوقفت فقلت يا حسن الوجه حدثنا أيمن عن وائل عن قدامة بن عبد الله الكلابي قال: ﴿رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْمِي الْجَمْرَةَ يَوْمَ النَّحْرِ عَلَى نَاقَةٍ صَهْبَاءَ، لَيْسَ ضَرْبَ وَلَا طَرْدَ وَلَيْسَ قِيلَ: إِلَيْكَ إِلَيْكَ﴾ وها أنت يخبط الناس بين يديك يمينا وشمالا. فقال لرجل من هذا؟. قال سفيان الثوري. فقال يا سفيان لو كان المنصور ما احتملك على هذا فقال لو أخبرك المنصور لقى لقصرت عما أنت فيه. قال فقيل له إنه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا أمير المؤمنين فقال اطلبوه فطلب سفيان فاختفى.

دخل سفيان على المهدي فكلمه بكلام فيه غلظة فقال له عيسى بن موسى:[2] تكلم أمير المؤمنين بمثل هذا الكلام وإنما أنت رجل من ثور، فقال له سفيان: إن من أطاع الله من ثور خير ممن عصى الله من قومك.

قال عبد الله بن صالح العجلي: دخل سفيان على المهدي فقال: سلام عليكم، كيف أنتم يا أبا عبد الله ثم جلس فقال: حج عمر بن الخطاب فأنفق في حجته ستة عشر ديناراً، وأنت حججت فأنفقت في حجتك بيوت الأموال، قال: فأي شيء تريد تريد أن أكون مثلك!. قال: فوق ما أنا فيه ودون ما أنت فيه، فقال وزيره أبو عبيد الله:[3] أبا عبد الله قد كانت كتبك تأتينا فتنفذها، قال: من هذا قال: أبو عبيد الله وزيري، قال: احذره فإنه كذاب، إني ما كتبت إليك، ثم قام فقال له المهدي: إلى أين يا أبا عبد الله، قال: أعود؛ وكان قد ترك نعله حين قام فعاد فأخذها ثم مضى، فانتظره المهدي فلم يعد، فقال: وعدنا أن يعود فلم يعد، فعلم أنه عاد لأخذ نعله، فغضب فقال: قد أمن الناس إلا سفيان الثوري وإنه لفي المسجد الحرام، فذهب فألقى نفسه بين النساء فخبأنه، فقيل له: لم فعلت فقال: إنهن أرحم؛ ثم خرج إلى البصرة فلم يزل بها حتى مات.

روى أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق قال: دخل محمد بن طلحة بن مصرف[4] على المهدي في حاجة. قال: فجلس مع الناس أمام القصر والمهدي في بهو له قاعد مع أصحابه. قال: فجاء المطر. قال: فقام محمد بن طلحة على رجليه، فقال: يا أمير المؤمنين، أمن العدل هذا، أن تكون في الكن، ونحن في المطر؟! قال: فقال المهدي: من هذا؟ فقالوا: هذا محمد بن طلحة بن مصرف رجل فيه غفلة. قال: فقال المهدي: ها هنا يا عم، ها هنا يا عم اقعد. فجعل يدنو. قال: والمهدي يقول له: ها هنا يا عم. قال: حتى جاء محمد بن طلحة فوقف بجنب المهدي قال: فقال له: ها هنا يا عم. فقال له محمد بن طلحة: إنما أردت أن أستكن من المطر. فقال المهدي: أدركت، فحاجتك؟ قال: فسأل حاجته، فقال له المهدي: لم لا تقول لأخيك سفيان الثوري؟ قال: خشيت أن تكون له الحجة علي. قال: فقال له المهدي: كيف تكون له الحجة عليك؟ قال: يقول: قد عملوا بما علموا، فجاءهم ما لا يعلمون، فاحتاجوا إلي. قال: فقال له: فقل لنا أنت. قال: نعم، تقوم المحتسبات ببيتك، فترد على كل ذي حق حقه. قال: وغير هذا؟ قال: نعم، تأمر بالصلاة جامعة، واصعد المنبر، فاسأل الناس أن يسوغوك ما في يديك، ثم تستقبل فيهم العدل الآن. فقال: مقبول منك يا عم. قال: فانصرف. فقال المهدي لجلسائه: هذا الذي قلتم إنه ما يعقل؟!

---

(1) سفيان الثوري هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري، الفقيه الكوفي سيد أهل زمانه علما وعملا وهو من ثور مضر وليس هو من ثور همدان على الصحيح كذا نسبه ابن سعد والهيثم بن عدي وغيرهما. مولده سنة 97 هـ ووفاته سنة 161 هـ وكان أبوه سعيد من ثقات المحدثين. سمع الثوري من عمرو بن مرة وسلمه بن كهيل وحبيب بن أبي ثابت وعمر بن دينار وابن إسحق ومنصور وحصين وأبيه سعيد بن مسروق والأسود بن قيس وجبلة بن سحيم وزبيد بن الحارث وزياد بن علاقة وسعد بن إبراهيم وأيوب وصالح مولى التوأمة وخلق لا يحصون يقال إنه أخذ عن ست مائة شيخ وعرض القرآن أربع مرات على حمزة بن الزيات. وروى عنه ابن عجلان وأبو حنيفة وابن جريج وابن إسحاق ومسعر وهم من شيوخه وشعبة والحمادان ومالك وابن المبارك ويحيى وعبد الرحمن وابن وهب وأمم لا يحصون.

(4) محمد بن طلحة بن مصرف اليامي الكوفي صدوق له أوهام، من السابعة، يروي عن أبيه وطبقته، توفي سنة 167هـ

(2) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أبو موسى الهاشمي، وهو ابن أخي أبي العباس السفاح، نشأ بالحميمة من أرض البلقاء من كور دمشق ثم انتقل مع أهله إلى العراق وجعله السفاح ولي عهده بعد المنصور فلما ولي المنصور أخره وجعله ولي عهده بعد ابنه المهدي وكان جليلا في أهل بيته وولي إمرة الموسم في خلافة السفاح والمنصور وولي الكوفة للمنصور، ولد سنة 103 هـ أو 104 هـ وتوفي بالكوفة سنة 167 هـ

(3) أبي عبيد الله يعقوب بن داود بن طهمان، الفارسي، عظمه المهدي، وملأ عينه، واختص به، ولم يزل في ارتقاء وتقدم حتى وزر له، ففوض إليه أزمة الأمور، وتمكن، فولى الزيدية المناصب، حتى قال بشار بن برد: بني أمية هبوا طال نومكم...إن الخليفة يعقوب بن داود...ضاعت خلافتنا يا قوم! فاطلبوا...خليفة الله بين الدن والعود. (أو هو: أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله الأشعري وزير وكاتب المهدي..؟)

اعلم أخي القارىء أن المعاصي في الحرم ليست كالمعاصي في غيره، قال الله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج] وقال الله تعالى:﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة] وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب] لذا كان لازاما على الحاج أن يبتعد عن جميع المعاصي، فلا يؤذي أحدا بلسانه، ولا بيده، ولا يزاحم الحجاج والمعتمرين زحاما يؤذيهم، ولا ينقل النميمة ولا يقع في الغيبة، ولا يجادل مع أصحابه وغيرهم إلا بالتي هي أحسن، ولا يكذب، ولا يقول على الله ما لا يعلم، وغير ذلك من أنواع المعاصي والسيئات. عن قدامة بن عبد الله، قال: ﴿رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَرْمِي جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ يَوْمَ النَّحْرِ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ صَهْبَاءَ، لَا ضَرْبَ، وَلَا طَرْدَ، وَلَا إِلَيْكَ إِلَيْكَ﴾ قال ابن عباس: ﴿الشَّيْطَانَ تَرْجُمُونَ وَمِلَّةَ أَبِيكُمْ تَنْعُونَ﴾ وعن أبي هريرة، يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ﴾ قال عمر بن الخطاب:﴿مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ لَا يُرِيدُ غَيْرَهُ، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ﴾ قال حبيب: دخل عثمان بن عفان فوجد غلامه يعلف ناقة له، وإذا في علفها شيء فأخذ بأذنه فعركها ثم ندم فقال للغلام: قم فاقتص مني! فأبى الغلام فلم يزل به حتى قام فأخذ بأذنه ثم قال له: اعرك اعرك، وهو يقول شد شد حتى عرف عثمان أنه بلغ منه ثم قال: واها لقصاص الدنيا قبل قصاص الآخرة!.

مراجع: إحياء علوم الدين / سنن النسائي/ وفيات الأعيان/ المستدرك على الصحيحين للحاكم/ مصنف ابن أبي شيبة/ مسند أحمد/ سراج الملوك/ سير أعلام النبلاء/ مختصر تاريخ دمشق/ شذرات الذهب

◆ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي المهدي بالله (ثالث ملوك الدولة العباسية) وسفيان الثوري (٣) [097]

قال سفيان الثوري:[1] لما حجَّ المهدي قال: لا بُدَّ لي من سفيان فوضعوا لي الرصَد حول البيت فأخذوني بالليل، فلمَّا مثلت بين يديه أدناني ثم قال: لأيِّ شيء لا تأتينا فنستشيرك في أمرنا، فما أمرتنا من شيء صرنا إليه وما نهيتنا عن شيء انتهينا عنه؟ فقلت له: كم أنفقت في سفرك هذا؟ قال: لا أدري لي أمناء ووكلاء. قلت: فما عذرك غدًا إذا وقفت بين يدي الله تعالى فسألك عن ذلك؟ لكن عمر بن الخطاب لما حجَّ قال لغلامه: كم أنفقت في سفرنا هذا ؟ قال: يا أمير المؤمنين ثمانية عشر دينارًا. قال: ويحك أجحفنا ببيت مال المسلمين. وقد علمت ما حدثنا به منصور عن الأسود بن علقمة عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿ورُبَّ مُتَخوِّض فَيما شَاءَتْ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ مَالِ اللهِ ورَسُولِه لَيْسَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إلاَّ النَّار﴾ فيقول أبو عبيد الكاتب والوزير: أمير المؤمنين يستقبل بمثل هذا؟ فيجيبه سفيان بقوة المؤمن وعزة المسلم: اسكت إنما أهلك فرعون هامان وهامان فرعون.

في يوم قال الخليفة المهدي للخيزران:[2] أريد أن أتزوج. فقالت: لا يحلّ لك أن تتزوج عليّ. قال: بلى. قالت: بيني وبينك من شئت. قال: أترضين سفيان الثوري؟ قالت: نعم. فوجه إلى سفيان. فقال: إن أم الرشيد تزعم أنه لا يحل لي أن أتزوج عليها وقد قال الله تعالى:﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء] ثم سكت. فقال له سفيان: أتم الآية يريد قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾وأنت لا تعدل. فأمر له بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها.

---

(1) سفيان الثوري هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري، الفقيه الكوفي سيد أهل زمانه علما وعملا وهو من ثور مضر وليس هو من ثور همدان على الصحيح كذا نسبه ابن سعد والهيثم بن عدي وغيرهما. مولده سنة 97 هـ ووفاته سنة 161 هـ وكان أبوه سعيد من ثقات المحدثين. يقال إنه أخذ عن ست مائة شيخ وعرض القرآن أربع مرات على حمزة بن الزيات.

(2) الخيزران بنت عطاء زوجة المهدي وأم ولده. جرشية. تزوج المهدي الخيزران، فولدت له الهادي والرشيد، ولم تلد امرأة خليفتين غيرها، غير ولادة أم الوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان. توفيت الخيزران ليلة الجمعة لثلاث بقين من جمادي الآخرة سنة 173هـ. وقد روي عن الخيزران عن المهدي حديث مسند عن محمد بن سليمان بن منصور يقول:﴿حَدَّثَتْنِي زَيْنَبُ بِنْتُ سُلَيْمَان، قَالَتْ حَدَّثَتْنِي الْخَيْزُرَانُ، قَالَتْ حَدَّثَتْنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنِ اتَّقَى اللهَ وَقَاهُ اللهُ كُلَّ شَيْءٍ﴾

ذكر ابن الجوزي في كتاب الأذكياء عن خالد بن صفوان[1] أنه دخل يوما على أبي العباس السفاح وليس عنده أحد، فقال: يا أمير المؤمنين إني والله ما زلت منذ قلدك الله خلافته أطلب أن أصير معك بمثل هذا الموقف في الخلوة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإمساك الباب فعل حتى نفرغ. فأمر الحاجب بذلك، فقال له: يا أمير المؤمنين، إني فكرت في أمرك واستجلبت الفكر فيك، فلم أر أحدا له قدرة واتساع في الاستمتاع بالنساء ولا أضيق فيهن عيشا منك. إنك ملكت نفسك امرأة من نساء العالمين فاقتصرت عليها، فإن مرضت مرضت وإن غابت غبت، وإن عزلت عزلت وحرمت، يا أمير المؤمنين، على نفسك التلذذ بما يشتهي منهن، فإن منهن الطويلة التي تشتهي لحسنها، والبيضاء التي تحب لرؤيتها، والسمراء اللعساء، والصفراء الذهبية، ومولدات المدينة والطائف واليمامة ذوات الألسنة العذبة والجواب الحاضر، وبنات سائر الملوك وما يشتهي من نضارتهن ونظافتهن. وتخلل خالد لسانه فأطنب في صفات ضروب الجواري وشوقه إليهن. فلما فرغ من كلامه قال له السفاح: ويحك ملأت مسامعي، ما شغل خاطري والله ما سلك مسامعي كلام أحسن من هذا فأعد علي كلامك فقد وقع مني موقعا. فأعاد عليه خالد كلامه بأحسن مما ابتدأ به. ثم قال له: انصرف! فانصرف وبقي أبو العباس مفكرا. فدخلت عليه أم سلمة زوجته، وكان قد حلف لها أنه لا يتزوج عليها سرية ووفى لها. فلما رأته على تلك الحالة قالت له: إني لأنكرك يا أمير المؤمنين، فهل حدث شيء تكرهه أو أتاك خبر ارتعت له؟ قال: لا. فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد فقالت له: وما قلت لابن الفاعلة؟ فقال لها: أينصحني وتشتمينه؟ فخرجت إلى مواليها وأمرتهم بضرب خالد. قال خالد: فخرجت من الدار مسرورا بما ألقيت إلى أمير المؤمنين. ولم أسك في الصلة. فبينا أنا واقف إذ أقبل موالي أم سلمة يسألون عني فحققت الجائزة فقلت لهم: ها أنا واقف. فاستبق إلي أحدهم بخشبة فغمزت بردَيْ فلحقني وضرب كفل البردَيْن، وركضت ففررت منهم واستخفيت في منزلي أياما ووقع في قلبي أني أمنت من أم سلمة. فبينا أنا ذات يوم جالس في المنزل فلم أشعر إلا بقوم قد هجموا علي فقالوا: أجب أمير المؤمنين، فسبق إلى قلبي أنه الموت فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، لم أر دم شيخ أضيع من دمي. فركبت إلى دار أمير المؤمنين فأصبته جالسا ولحظت في المجلس بيتا عليه ستور رقاق وسمعت حسا خفيفا خلف الستر فأجلسني. ثم قال: يا خالد أنت وصفت لأمير المؤمنين صفة فأعدها. فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، أعلمتك أن العرب ما اشتقت اسم الضرتين إلا من الضر وإن أحدا لم يكثر من النساء أكثر من واحدة إلا كان في ضر وتنغيص. فقال السفاح: لم يكن هذا من كلامك أولا؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين، وأخبرتك أن الثلاث من النساء يدخلن على الرجل البؤس وتشييب الرأس. فقال: برئت من رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت سمعت هذا منك أولا أو مر في حديثك. قلت: بلى يا أمير المؤمنين، وأخبرتك أن الأربع من النساء شر مجتمع لصاحبهن يشينه ويهرمه. قال: والله ما سمعت منك هذا أولا؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين، وأخبرتك أن أبكار الإماء رجال إلا نه ليست لهن خصاء. قال أمير المؤمنين: أفتكذبني؟ قلت: أفتقتلني؟ قال خالد، فسمعت ضحكا خلف الستر، ثم قلت وأخبرتك إن عندك ريحانة قريش وأنت تطمع بعينيك إلى النساء والجواري. فقيل لي من وراء الستر: صدقت يا عماه هذا حديثك ولكنه غير حديثك ونطق بها في خاطره عن لسانك. فقال السفاح: ما بك قاتلك الله؟ قال خالد، فانسللت وخرجت فبعثت إلي أم سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذونا وتخت ثياب، انتهى.

عن نوفل بن أبي الفرات:﴿كَتَبَتِ الْحُجَبَةُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَأْمُرُ لِلْبَيْتِ بِكِسْوَةٍ كَمَا يَفْعَلُ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ إِنِّي رَأَيْتُ أَنْ أَجْعَلَ ذَلِكَ فِي أَكْنَادِ جَابِغَةٍ فَإِنَّهُمْ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ وعن أبي بكر بن حفص بن عمر قال: جاءت أم المؤمنين عائشة إلى أبي بكر وهو يعالج الميت، ونفسه في صدره، فتمثل هذا البيت: [البحر الطويل] لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى... إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ. فَنَظَرَ إِلَيْهَا كَالْغَضْبَانِ ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ كَذَلِكَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنْ: وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ [ق]، إِنِّي قَدْ كُنْتُ نَحَلْتُكِ حَائِطًا، وَإِنَّ فِي نَفْسِي مِنْهُ شَيْئًا، فَرُدِّيهِ إِلَى الْمِيرَاثِ، قَالَتْ: نَعَمْ، فَرَدَدْتُهُ فَقَالَ: أَمَا إِنَّا مُنْذُ وَلِينَا أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ نَأْكُلْ لَهُمْ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَلَكِنَّا قَدْ أَكَلْنَا مِنْ جَرِيشِ طَعَامِهِمْ (أي غليظ الطعام) فِي بُطُونِنَا، وَلَبِسْنَا مِنْ خَشِنِ ثِيَابِهِمْ عَلَى ظُهُورِنَا، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ إِلَّا هَذَا الْعَبْدُ الْحَبَشِيُّ، وَهَذَا الْبَعِيرُ النَّاضِحُ، وَجَرْدُ هَذِهِ الْقَطِيفَةِ، فَإِذَا مُتُّ فَابْعَثِي بِهِنَّ إِلَى عُمَرَ وَابْرَئِي مِنْهُنَّ فَفَعَلَتْ، فَلَمَّا جَاءَ الرَّسُولُ عُمَرَ بَكَى حَتَّى جَعَلَتْ دُمُوعُهُ تَسِيلُ فِي الْأَرْضِ وَيَقُولُ: رَحِمَ اللهُ أَبَا بَكْرٍ، لَقَدْ أَتْعَبَ مَنْ بَعْدَهُ، رَحِمَ اللهُ أَبَا بَكْرٍ، لَقَدْ أَتْعَبَ مَنْ بَعْدَهُ، يَا غُلَامُ ارْفَعْهُنَّ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: سُبْحَانَ اللهِ، تَسْلُبُ عِيَالَ أَبِي بَكْرٍ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَبَعِيرًا نَاضِحًا، وَجَرْدَ قَطِيفَةٍ ثَمَنَ خَمْسَةِ الدَّرَاهِمِ؟، قَالَ: فَمَا تَأْمُرُ؟، قَالَ: تَرُدُّهُنَّ عَلَى عِيَالِهِ، فَقَالَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ، أَوْ كَمَا حَلَفَ، لَا يَكُونُ هَذَا فِي وِلَايَتِي أَبَدًا، وَلَا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مِنْهُنَّ عِنْدَ الْمَوْتِ وَأَرُدُّهُنَّ أَنَا عَلَى عِيَالِهِ، الْمَوْتُ أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ﴾ قال رجل لعمر بن الخطاب:﴿يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ وَسَّعْتَ عَلَى نَفْسِكَ فِي النَّفَقَةِ مِنْ مَالِ اللهِ تَعَالَى، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَتَدْرِي مَا مَثَلِي وَمَثَلُ هَؤُلَاءِ؟ كَمِثْلِ قَوْمٍ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَجَمَعُوا مِنْهُمْ مَالًا، وَسَلَّمُوهُ إِلَى وَاحِدٍ يُنْفِقُهُ عَلَيْهِمْ، فَهَلْ يَحِلُّ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَنْ يَسْتَأْثِرَ عَنْهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ؟﴾ وحمل مرة إلى عمر مال عظيم من الخمس، فقال: ﴿إِنَّ قَوْمًا أَدُّوا الْأَمَانَةَ فِي هَذَا لَأُمَنَاءَ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ: إِنَّكَ أَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَأَدُّوا إِلَيْكَ الْأَمَانَةَ، وَلَوْ رَتَعْتَ لَرَتَعُوا﴾ وكان عمر يقول: إني أنزلت مال الله مني بمنزلة مال اليتيم ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء] وكان رحمه الله يقول: أنا أُخبركم بما أستَحِلُّ منه (أي من مال المسلمين) حُلَّتَيْنِ: حُلَّةً في الشتاء وحُلَّةً في الصيف وما أحجُّ عليه وعتمرُ من الظَّهر وقوتَ أهلي كقوتِ رجلٍ من قريش، ليس بأغناهم ولا أفقرهم. وعن قتادة قال: كان مُعَيقيبٌ على بيت مال عمر فكَسَحَ بيت المال يوماً فوجد فيه درهماً فدفعه إلى ابن لعمر قال مُعَيقيبٌ ثم انصرفتُ إلى بيتي فإذا رسولُ عمر قد جاء يدعوني فجئتُ فإذا الدرهمُ في يده فقال: ويحك يا مُعَيقيب! أوجدت عليَّ في نفسك سبباً ؟ أو ما لي ولك؟ فقلت: ما ذاك؟ قال: أردتَ أن تخاصمني أمةُ محمدٍ في هذا الدرهم يوم القيامة. وعن عبد الله بن عمر قال: اشتريتُ إبلاً وارتجعتها إلى الحِمى* فلما سَمُنتْ قدِمتُ بها قال: فدخل عمرُ بن الخطاب السوقَ فرأى إبلاً سِمَاناً فقال: لَمن هذه ؟ قيل: لعبد الله بن عمر، قال: فجعل يقول: يا عبد الله بن عمر. بخ. بخ! ابن أمير المؤمنين !! قال عبد الله: فجئته أسعى فقلت: ما لكَ يا أمير المؤمنين ؟ قال: ما هذه الإبل؟ قلت: أبلٌ أنضاء اشتريتها وبعثتُ بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون، قال عمر: أردت أن يُقال: ارعُوا إبل ابن أمير المؤمنين اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين يا عبد الله بن عمر اغدُ على رأسِ مالك واجعل باقية في بيت مال المسلمين.

هذا الأثر يدل على أن غير النبي صلى الله عليه وسلم ليس له أن يحمي لنفسه، وفيه وفيما قبله دلالة على أن قول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا حِمَى إِلَّا للهِ وَرَسُولِهِ﴾، أراد به أن لا حمى إلا على مثل ما حمى عليه رسوله في صلاح المسلمين، والله أعلم. وعن العلاء بن عمار قال: خطب علي فقال:﴿أَيُّهَا النَّاسُ، وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا رَزَأْتُ مِنْ مَالِكُمْ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا إِلَّا هَذِهِ وَأَخْرَجَ قَارُورَةً مِنْ كُمِّ قَمِيصِهِ فِيهَا طِيبٌ. فَقَالَ: أَهْدَاهَا إِلَيَّ الدِّهْقَانُ. ثُمَّ أَتَى بَيْتَ الْمَالِ فَقَالَ: خُذُوا. ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ: أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ قَوْصَرَّهْ.. يَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ تَمْرَهْ –وفي رواية–: مَرَّهْ. –وفي رواية–:طُوبَى لِمَنْ كَانَتْ لَهُ قَوْصَرَّهْ﴾ (القَوْصَرَة) وعاء. وعن عنترة بن عبد الرحمن الشيباني قال: ﴿دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِالْخَوَرْنَقِ وَعَلَيْهِ قَطِيفَةٌ وَهُوَ يُرْعِدُ مِنَ الْبَرْدِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَ لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ نَصِيبًا فِي هَذَا الْمَالِ، وَأَنْتَ تَفْعَلُ بِنَفْسِكَ هَذَا؟ ! فَقَالَ: إِنِّي وَاللهِ لَا أَرْزَأُ مِنْ مَالِكُمْ شَيْئًا، وَهَذِهِ الْقَطِيفَةُ هِيَ الَّتِي خَرَجْتُ بِهَا مِنْ بَيْتِي. أَوْ قَالَ: مِنَ الْمَدِينَةِ﴾ وعن مجمع بن سمعان التميمي قال:﴿خَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِسَيْفِهِ إِلَى السُّوقِ فَقَالَ: مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي سَيْفِي هَذَا؟ فَلَوْ كَانَ عِنْدِي أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ أَشْتَرِي بِهَا إِزَارًا مَا بِعْتُهُ﴾ اللهم صلي على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يومنا هذا.

* (حمى) هو موضع فيه الكلأ والعشب يحميه الإمام من الناس فلا يرعى فيه أحد ولا يقربه أحد والمعنى لا يحمي شيء من الأرض إلا ما يرصد لرعي خيل الجهاد وإبلها وإبل الزكاة وما في معنى هذا.

خالد بن صفوان بن الأهتم أبو صفوان المنقري، العلامة، البليغ، فصيح زمانه، أبو صفوان المنقري، الأهتمي، البصري. روى عنه شبيب بن شيبة، وإبراهيم بن سعد، وغيرهما. ولد بالبصرة وتوفي سنة 135 هـ.

مراجع: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية / الطبقات الكبرى/ السنن الكبرى للبيهقي/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ البداية والنهاية/ سراج الملوك

◆ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي المهدي بالله (ثالث ملوك الدولة العباسية) وشريك بن عبد الله النخعي [098]

حدث مصعب بن عبد الله الزبيري، قال: حدثني أبي، قال: تقدم إلى شريك بن عبد الله[1] وكيل لمؤنسة (بنت المهدي!) مع خصم له فجعل يستطيل على خصمه إدلالا بموضعه من مؤنسة، فقال له شريك: كف لا أبا لك، قال: أتقول لي هذا وأنا وكيل مؤنسة، فأمر به فصفع عشر صفعات، فانصرف ودخل على مؤنسة وشكى، فكتبت مؤنسة إلى المهدي، فعزل شريكا، وكان قبل هذا قد دخل شريك على المهدي، فقال له: ما ينبغي أن تقلد الحكم بين المسلمين. قال: ولم؟ قال: لخلافك على الجماعة، وقولك بالإمامة. قال: أما قولك: بخلافك على الجماعة، فعن الجماعة أخذت ديني، فكيف أخالفهم وهم أصلي في ديني، وأما قولك: وقولك بالإمامة فما أعرف إلا كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وأما قولك مثلك ما يقلد الحكم بين المسلمين، فهذا شيء أنتم فعلتموه، فإن كان خطأ فاستغفروا الله منه، وإن كان صوابا فأمسكوا عليه. قال: ما تقول في علي بن أبي طالب؟ قال: ما قال فيه جدك العباس، وعبد الله. قال: وما قالا فيه؟ قال: فأما العباس فمات وعلي عنده أفضل الصحابة، وقد كان يرى كبراء المهاجرين يسألونه عما ينزل من النوازل، وما احتاج هو إلى أحد حتى لحق بالله، وأما عبد الله فإنه كان يضرب بين يديه بسيفين، وكان في حروبه رأسا متبعا، وقائدا مطاعا، فلو كانت إمامة علي جورا كان أول من يقعد عنها أبوك، لعلمه بدين الله، وفقهه في أحكام الله. فسكت المهدي وأطرق، ولم يمض بعد هذا المجلس إلا قليل حتى عزل شريك.

حدث أبي عبد الله، قال: قدم هارون الكوفة يعزل شريكا عن القضاء، وكان موسى بن عيسى[2] واليا على الكوفة. فقال موسى لشريك: ما صنع أمير المؤمنين بأحد ما صنع بك، عزلك عن القضاء، فقال له شريك: هم أمراء المؤمنين يعزلون القضاة، ويخلعون ولاة العهود (ولاة العهد)، فلا يعاب ذلك عليهم. فقال موسى: ما ظننت أنه مجنون هكذا، لا يبالي ما تكلم به. وكان أبوه عيسى بن موسى[3] ولي العهد بعد أبي جعفر، فخلعه بمال أعطاه إياه، وهو ابن عم أبي جعفر.

حدث عمر بن الهياج بن سعيد، قال: أتته امرأة يوما، يعني: شريكا، من ولد جرير بن عبد الله البجلي صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مجلس الحكم، فقالت: أنا بالله ثم بالقاضي، امرأة من ولد جرير بن عبد الله ورددت الكلام، فقال: إيها عنك الآن، من ظلمك؟ فقالت: الأمير موسى بن عيسى، كان لي بستان على شاطئ الفرات لي فيه نخل ورثته عن آبائي وقاسمت إخوتي، وبنيت بيني وبينهم حائطا، وجعلت فيه فارسيا في بيت يحفظ النخل، ويقوم ببستاني، فاشترى الأمير موسى بن عيسى من إخوتي جميعا، وساومني وأرغبني فلم أبعه، فلما كان في هذه الليلة بعث بخمس مائة فاعل فاقتلعوا الحائط، فأصبحت لا أعرف من نخلي شيئا، واختلط بنخل إخوتي، فقال: يا غلام طينة، فختم، ثم قال لها: امضي إلى بابه حتى يحضر معك، فجاءت المرأة بالطينة فأخذها الحاجب، ودخل على موسى، فقال: أعدى شريك عليك، قال: ادع لي صاحب الشرط، فدعا به، فقال: امض إلى شريك، فقل: يا سبحان الله، ما رأيت أعجب من أمرك، امرأة ادعت دعوى لم تصح أعديتها علي، قال: يقول له صاحب الشرط، إن رأى الأمير أن يعفيني فليفعل، فقال: امض ويلك. فخرج فأمر غلمانه أن يتقدموا إلى الحبس بفراش وغيره من آلة الحبس، فلما جاء فوقف بين يدي شريك، فأدى الرسالة، قال: خذ بيده فضعه في الحبس، قال: قد والله يا أبا عبد الله عرفت أنك تفعل بي هذا، فقدمت ما يصلحني إلى الحبس، وبلغ موسى بن عيسى، يعني: الخبر، فوجه الحاجب إليه، فقال: هذا من ذاك رسول، أي شيء عليه؟ فلما وقف بين يديه وأدى الرسالة، قال: ألحقه بصاحبه، فحبس، فلما صلى الأمير العصر بعث إلى إسحاق بن الصباح الأشعثي، وجماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء شريك، فقال: امضوا إليه فأبلغوه السلام، وأعلموه أنه قد استخف بي، وأني لست كالعامة، فمضوا وهو جالس في مسجده بعد العصر، فدخلوا فأبلغوه الرسالة، فلما انقضى كلامهم، قال لهم: ما لي لا أراكم جئتم في غيره من الناس كلمتموني؟ من هاهنا من فتيان الحي، فيأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به إلى الحبس، لا بتم والله إلا فيه قالوا: أجاد أنت؟ قال: حقا حتى لا تعودوا برسالة ظالم، فحبسهم، وركب موسى بن عيسى في الليل إلى باب الحبس، ففتح الباب وأخرجهم جميعا، فلما كان الغد وجلس شريك للقضاء، جاء السجان فأخبره فدعا بالقمطر* فختمها، ووجه بها إلى منزله، وقال لغلامة: الحقني بثقلي إلى بغداد، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم، ولكن أكرهونا عليه، ولقد ضمنوا لنا الإعزاز فيه إذ تقلدناه لهم. ومضى نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد، وبلغ موسى بن عيسى الخبر فركب في موكبه فلحقه، وجعل يناشده الله ويقول: يا أبا عبد الله، تثبت، انظر إخوانك تحبسهم دع أعواني.قال: نعم، لأنهم مشوا لك في أمر لم يجب عليهم المشي فيه، ولست ببارح أو يردوا جميعا إلى الحبس، وإلا مضيت إلى أمير المؤمنين فاستعفيته مما قلدني. وأمر بردهم جميعا إلى الحبس وهو والله واقف في مكانه حتى جاءه السجان، فقال: قد رجعوا إلى الحبس، فقال لأعوانه: خذوا بلجامه، قودوه بين يدي جميعا إلى مجلس الحكم، فمروا به بين يديه حتى أدخل المسجد، وجلس مجلس القضاء ثم قال: الجويرية المتظلمة من هذا، فجاءت، فقال: هذا خصمك قد حضر وهو جالس معها بين يديه، فقال: أولئك يخرجون من الحبس قبل كل شيء، قال: أما الآن فنعم، أخرجوهم. قال: ما تقول فيما تدعيه هذه؟ قال: صدقت. قال: فرد جميع ما أخذ منها، وتبني حائطها في وقت واحد سريعا كما هدم. قال: أفعل، قال: بقي لك شيء؟ قال: تقول المرأة بيت الفارسي ومتاعه، قال: يقول: موسى بن عيسى: ويرد ذلك، بقي لك شيء تدعينه؟ قالت: لا، وجزاك الله خيرا. قال: قومي، وزبرها، ثم وثب من مجلسه فأخذ بيد موسى بن عيسى فأجلسه في مجلسه ثم قال: السلام عليك أيها الأمير، تأمر بشيء؟ قال: أي شيء آمر؟ وضحك.

حدث عمر بن الهياج بن سعيد أخي مجالد بن سعيد، قال: كنت من صحابة شريك، فأتيته يوما وهو في منزله باكرا، فخرج إلي في فرو ليس تحته قميص، عليه كساء. فقلت له: قد أضحت عن مجلس الحكم، فقال: غسلت ثيابي أمس فلم تجف، فأنا أنتظر جفوفها، اجلس. فجلست فجعلنا نتذاكر باب العبد يتزوج بغير إذن مواليه، فقال: ما عندك فيه؟ ما تقول فيه؟ وكانت الخيزران قد وجهت رجلا نصرانيا على الطراز بالكوفة، وكتبت إلى موسى بن عيسى أن لا يعصي له أمرا، فكان مطاعا بالكوفة، فخرج علينا ذلك اليوم من زقاق يخرج إلى النخع، معه جماعة من أصحابه عليه جبة خز، وطيلسان على برذون فاره، وإذا رجل بين يديه مكتوف وهو يقول: واغوثا بالله، أنا بالله ثم بالقاضي، وإذا آثار سياط في ظهره، فسلم على شريك وجلس إلى جانبه، فقال الرجل المضروب: أنا بالله ثم بك أصلحك الله، أنا رجل أعمل هذا الوشي، كراء مثلي مائة في الشهر، أخذني هذا مذ أربعة أشهر، فاحتبسني في طراز يجري علي القوت، وعلي عيال قد ضاعوا، فأفلت اليوم منه، فلحقني فعفل بظهري ما ترى. فقال: قم يا نصراني فاجلس مع خصمك، فقال: أصلحك الله يا أبا عبد الله هذا من خدم السيدة، مر به إلى الحبس، قال: قم ويلك فاجلس معه كما يقال لك، فجلس، فقال: ما هذه الآثار التي بظهر هذا الرجل من أثرها به قال: أصلح الله القاضي إنما ضربته أسواطا بيدي وهو يستحق أكثر من هذا، مر به إلى الحبس، فألقى شريك كساءه ودخل داره، فأخرج سوطا ربذيا، ثم ضرب بيده إلى مجامع ثوب النصراني وقال للرجل: انطلق إلى أهلك، ثم رفع السوط فجعل يضرب به النصراني، وهو يقول له: يا صبحي قد مر قفا جمل، لا يضرب والله المسلم بعدها أبدا، فهم أعوانه أن يخلصوه من يديه، فقال: من هاهنا من فتيان الحي؟ خذوا هؤلاء فاذهبوا بهم إلى الحبس، فهرب القوم جميعا، وأفردوا النصراني فضربه أسواطا، فجعل النصراني يعصر عينيه ويبكي ويقول له: ستعلم. فألقى السوط في الدهليز، وقال: يا أبا حفص ما تقول في العبد يتزوج بغير إذن مواليه؟ وأخذ فيما كنا فيه كأنه لم يصنع شيئا، وقام النصراني إلى البرذون ليركبه فاستعصى عليه، ولم يكن له من يأخذ بركابه، فجعل يضرب البرذون، قال: يقول له شريك: ارفق به ويلك فإنه أطوع لله منك، فمضى. قال: يقول هو: خذ بنا فيما كنا فيه، قال: قلت: ما لنا ولذا، قد والله فعلت اليوم فعلة ستكون لها عاقبة مكروهة. قال: أعز أمر الله يعزك الله، خذ بنا فيما نحن فيه قال: وذهب النصراني إلى موسى بن عيسى فدخل عليه، فقال: من بك؟ وغضب الأعوان وصاحب الشرط، فقال: شريك فعل بي كيت وكيت قال: لا والله ما أتعرض لشريك. فمضى النصراني إلى بغداد فما رجع

* (القمطر) القمطر والقمطرة ما تصان فيه الكتب (المحاضر؟)

---

(1) شريك بن عبد الله أبو عبد الله النخعي الكوفي القاضي، أدرك عمر بن عبد العزيز، وسمع أبا إسحاق السبيعي، ومنصور بن المعتمر، وعبد الملك بن عمير، وسماك بن حرب، وسلمة بن كهيل، وحبيب بن أبي ثابت، وعلي بن الأقمر، وزبيدا اليامي، وعاصما الأحول، وعبد الله بن محمد بن عقيل، ومحول بن راشد، وهلال الوزان، وأشعث بن سوار، وشبيب بن غرقدة، وحكيم بن جبير، وجابرا الجعفي، وعلي بن بذيمة، وعمارا الدهني، وسليمان الأعمش، وإسماعيل بن أبي خالد. روى عنه عبد الله بن المبارك، وعباد بن العوام، ووكيع بن الجراح، وعبد الرحمن بن مهدي، وإسحاق الأزرق، ويزيد بن هارون، وأبو نعيم، ويحيى الحماني، وعلي بن الجعد، وخلف بن هشام، ومحرز بن عون، وبشر بن الوليد، وعبد الله بن عون الخراز، ومحمد بن سليمان لوين. وقدم شريك بغداد مرات وحدث بها. ولد شريك سنة 95 هـ. ومات سنة 177 هـ.

(3) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس .شيخ الدولة.جعله عمه السفاح ولي عهده بعد المنصور فلما ولي المنصور جعله ولي عهده بعد ابنه المهدي ولي إمرة الموسم في خلافة السفاح والمنصور وولي الكوفة للمنصور.ولد سنة 103هـ أو 104 هـ توفي سنة 167 هـ

(2) موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ولي إمرة الموسم وإمرة مكة والمدينة واليمن والكوفة ودمشق ومصر لهارون الرشيد. توفي موسى بن عيسى سنة 187 هـ.

عن أبي نضرة، حدثني من سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق فقال:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ ، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ ، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ ، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ ، قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ ـ قَالَ: وَلَا أَدْرِي قَالَ: أَوْ أَعْرَاضَكُمْ، أَمْ لَا ـ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَلَّغْتُ، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ﴾ قالت أم المؤمنين عائشة:﴿كَانَتْ امْرَأَةٌ مَخْزُومِيَّةٌ تَسْتَعِيرُ الْمَتَاعَ وَتَجْحَدُهُ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَطْعِ يَدِهَا، فَأَتَى أَهْلُهَا أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَكَلَّمُوهُ، فَكَلَّمَ أُسَامَةُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أُسَامَةُ، لَا أَرَاكَ تُكَلِّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطِيبًا، فَقَالَ: إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ قَطَعُوهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ لَقَطَعْتُ يَدَهَا، فَقَطَعَ يَدَ الْمَخْزُومِيَّةِ﴾ يقول الله تعالى:﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء] كان عمر في رسالته إلى أبي موسى الأشعري مثلا للإنسانية، إذ يوصيه: ساو بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك. وقد تقدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين بالمثال عن نفسه، وذويه فقال بما هو بيان وتأكيد للتشريع وهو يتحدث إلى ذويه:﴿يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا يَأْتِينِي النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ وَتَأْتُونِي بِأَنْسَابِكُمْ فَأَقُولُ إِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا﴾ ثم يجيء عمر فيقيم الحد على ولداه، ويأمر بالقصاص من ابن عمرو، ويأمر بالقصاص للأعرابي الذي لطمه ابن الأبيهم، وهو من أمراء الغساسنة أثناء طوافهما بالكعبة، فيقتص الأعرابي ويلطم الأمير.فالمساواة إذن حق مقرر في الإسلام قبل أن تقرره المواثيق الدولية العرجاء.

مراجع: تاريخ بغداد/ حقوق الإنسان في الإسلام لجمل الليل/ مسند أحمد/ تاريخ مدينة دمشق

◆ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي المهدي بالله (ثالث ملوك الدولة العباسية) وابن أبي ذئب (١)[099]

كان ابن أبي ذئب[1] جالسًا في المسجد النبوي، فدخل المهدي فلم يبقَ أحدٌ إلا قام، فلمَّا وصل ابن أبي ذئب قال له المسيب بن زهير: قُمْ، هذا أمير المؤمنين. فقال: إنما يقوم الناس لرب العالمين. فقال له المهدي: دعْه، فلقد قامت كل شعرة في رأسي.

حدث أبو داود سليمان بن الأشعث، قال: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: كان ابن أبي ذئب يشبه بسعيد بن المسيب، وقيل لأحمد: خلف مثله ببلاده؟ قال: لا، ولا بغيرها، يعني: ابن أبي ذئب.

قال أبو نعيم: حججت سنة حج أبو جعفر وأنا ابن إحدى وعشرين سنة، ومعه ابن أبي ذئب ومالك بن أنس، فدعا ابن أبي ذئب فأقعده معه على دار الندوة عند غروب الشمس، فقال له: ما تقول في الحسن بن زيد بن الحسن[2] ابن فاطمة؟ قال: فقال: إنه ليتحرى العدل، فقال له: ما تقول في؟ مرتين أو ثلاثا، فقال: ورب هذه البنية إنك لجائر. قال: فأخذ الربيع بلحيته، فقال له أبو جعفر: كف يابن اللخناء. وأمر له بثلاث مائة دينار.

حدث محمد بن القاسم بن خلاد، قال: قال ابن أبي ذئب للمنصور: يا أمير المؤمنين، قد هلك الناس، فلو أعتنهم مما في يديك من الفيء؟ قال: ويلك لولا ما سددت من الثغور وبعثت من الجيوش لكنت تؤتى في منزلك وتذبح، فقال ابن أبي ذئب: فقد سد الثغور، وجيش الجيوش، وفتح الفتوح، وأعطى الناس أعطياتهم من هو خير منك، قال: ومن هو ويلك؟ قال: عمر بن الخطاب، فنكس المنصور رأسه، والسيف بيد المسيب، والعمود بيد مالك بن الهيثم، فلم يعرض له والتفت إلى محمد بن إبراهيم الإمام، فقال: هذا الشيخ خير أهل الحجاز.

حكى الصفدي لما أحضر المأمون أصحاب الجواهر ناظرهم* على متاع كان معهم ثم نهض المأمون لحاجته وعاد فقام له كل أحد إلا ابن الجعد[3] فنظر إليه المأمون كالمغضب ثم استخلاه وقال له يا شيخ ما منعك أن تقوم لي كما فعل أصحابك فقال أجللت أمير المؤمنين للحديث الذي نأثره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وما هو قال سمعت المبارك بن فضالة يقول سمعت الحسن يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ النَّاسُ قِيَاماً، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ﴾ فأطرق المأمون ساعة وقال لا يشتري لنا إلا من هذا الشيخ فاشترى منه بثلاثين ألف دينار.

جاز المنصور يوما، والفرج بن فضالة[4] جالس على باب قصر الذهب، فقام الناس جميعا، ولم يقم الفرج، فاستشاط المنصور غضبا، ودعا به، وقال: ما منعك من القيام؟ قال: خفت أن يسألني الله تعالى: لم فعلت؟ ويسألك: لم رضيت؟ وقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك، فسكن غضبه، وقربه، وقضى حاجته.

* (ابن أبي ذئب) ما ذكر من أنه أبي ذؤيب قد يكون من تحريف النساخ، والله أعلم.* (ناظرهم) في رواية الصفدي قال: شاطرهم.

---

(1) ابن أبي ذئب (ذؤيب!)، محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة ابن الحارث بن أبي ذئب. يكنى أبا الحارث ولد في سنة 80 هـ عام الجحاف وكان من أورع الناس وكانوا يرمونه بالقدر وما كان قدريا وكان يصلي الليل أجمع. وكان يصوم يوما ويفطر يوما فوقعت الرجفة بالشام فقدم رجل من أهل الشام فحدثه عن الرجفة وكان يوم إفطاره فقلت له قم تغذى قال دعه اليوم فسرد الصوم من ذلك اليوم إلى أن مات وكان يتعشى بالخبز والزيت وله طيلسان وقميص يشتو فيه ويصيف ويحفظ حديثه كله. سمع ابن أبي ذئب من عكرمة ونافع وسعيد المقبري وأبي الزناد ومحمد بن المنكدر والزهري وغيرهم. وكان فقيها صالحا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أقدمه المهدي بغداد فحدث بها ثم رجع يريد المدينة فمات بالكوفة. قال احمد بن حنبل كان ابن أبي ذئب يشبه بسعيد بن المسيب قيل لأحمد خلف مثله ببلاده قال لا ولا بغيرها. مات ابن أبي ذئب فدفن بالكوفة سنة 159 هـ وهو ابن تسع وسبعين.

(3) علي بن الجعد بن عبيد الله أبو الحسن الهاشمي مولاهم الجوهري البغدادي مسند بغداد في زمانه روى عنه البخاري وأبو داود وأبو زرعة وأبو حاتم وإبراهيم الحربي وأبو يعلى الموصلي وجماعة. ولد سنة 134 هـ وتوفي سنة 230 هـ .

(4) فرج بن فضالة بن النعمان بن نعيم التنوخي القضاعي، أبو فضالة الشامي الحمصي، ويقال: الدمشقي. ولد في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان ، في سنة 88 هـ. وقدم بغداد، وولى بيت المال في أول خلافة المهدي وكان يسكن مدينة أبي جعفر، ومات بها سنة 176 هـ في خلافة هارون، عن أبي داود: سمعت أحمد بن حنبل سئل عن إسماعيل بن عياش: هو أثبت أو أبو فضالة؟ قال: أبو فضالة يحدث عن ثقات أحاديث مناكير.

(2) الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب أبو محمد الهاشمي المديني، ويكنى أبا محمد،حدث عن أبيه، وعن عكرمة مولى ابن عباس، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم. روى عنه محمد بن إسحاق بن يسار، ومالك بن أنس، وابن أبي ذئب، وعبد الرحمن بن أبي الزناد وغيرهم. وكان أحد الأجواد، وولاه أبو جعفر المنصور المدينة خمس سنين، ثم غضب عليه فعزله، واستصفى كل شيء له، وحبسه ببغداد، فلم يزل محبوسا حتى مات المنصور وولي المهدي، فأخرجه من محبسه ورد عليه كل شيء ذهب له، ولم يزل معه. وذكر محمد بن خلف وكيع أن الحسن بن زيد مات ببغداد، ودفن في مقابر الخيزران. وذلك خطأ إنما مات بالحاجر، على خمسة أميال من المدينة،وهو يريد الحج، وكان في صحبة المهدي، سنة 168 هـ.وهو ابن خمس وثمانين، ودفن هناك.وقيل صلى عليه علي بن المهدي.

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ﴾ قال المظهر: يعني سمع كلام الحاكم وطاعته واجب على كل مسلم سواء أمره بما يوافق طبعه أو لم يوافقه بشرط أن لا يأمره بمعصية فإن أمره بها فلا تجوز طاعته. وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ﴾ وعن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ﴾ (لا طاعة) أي لأحد كما في رواية الجامع الصغير أي من الإمام وغيره كالوالد والشيخ (في معصية) وفي رواية الجامع: في معصية الله (في المعروف) أي ما لا ينكره الشرع. وعن عبادة بن الصامت قال: ﴿بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ –وفي رواية–: وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ﴾ وعن ابن عمر قال: ﴿كُنَّا إِذَا بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ يَقُولُ لَنَا: فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ يقول أبي بكر الصديق: ﴿أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ﴾.

قد ثبت في صحيح مسلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى بهم قاعدا في مرضه، وصلوا قياما، فأمرهم بالقعود، وقال: ﴿لَا تُعَظِّمُونِي كَمَا يُعَظِّمُ الْأَعَاجِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا﴾، فقد نهاهم عن القيام في الصلاة وهو قاعد؛ لئلا يشبه الأعاجم الذين يقومون لعظمائهم وهم قعود. عن ابن عمر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِي مَجْلِسِهِ. وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، إِذَا قَامَ لَهُ رَجُلٌ عَنْ مَجْلِسِهِ، لَمْ يَجْلِسْ فِيهِ﴾ قالت الحكماء: ﴿أَظْلَمُ النَّاسِ لِنَفْسِهِ مَنْ تَوَاضَعَ لِمَنْ لَا يُكْرِمُهُ، وَرَغِبَ فِيمَنْ يُبْعِدُهُ﴾ .

مراجع: صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ البداية والنهاية / السنن الكبرى للبيهقي/ تذكرة الحفاظ/ البداية والنهاية/ مجموع الفتاوى/ الوافي بالوفيات/ فهرس الفهارس والإثبات

حدث حسن بن زيد، قال: كان عبد الصمد[1] ولي على المدينة، قال: فعاقب بعض القرشيين وحبسه حبسا ضيقا، قال: وكتب بعض قرابته إلى أبي جعفر فشكى ذلك إليه وأخبره، فكتب أبو جعفر إلى المدينة وأرسل رسولا، وقال: اذهب فانظر قوما من العلماء فأدخلهم عليه حتى يروا حاله وتكتبوا إلى بها، فأدخلوا عليه في حبسه مالك بن أنس، وابن أبي ذئب[2]،وغيرهم من العلماء، فقال: اكتبوا بما ترون إلى أمير المؤمنين، قال: وكان عبد الصمد لما بلغه الخبر حل عند الوثاق وألبسه ثيابا، وكنس البيت الذي كان فيه، ورشه ثم أدخلهم عليه، فقال لهم الرسول: اكتبوا بما رأيتم، فأخذوا يكتبون: يشهد فلان، وفلان، فقال ابن أبي ذئب: لا تكتب شهادتي، أنا أكتب شهادتي بيدي، إذا فرغت فارم إلي بالقرطاس، قال: فكتبوا: رأينا محبسا لينا، ورأينا هيئة حسنة، وذكروا ما يشبه هذا من الكلام، قال: ثم دفع القرطاس إلى ابن أبي ذئب، فلما نظر في الكتاب فرأى هذا الموضع، قال: يا مالك داهنت وفعلت وفعلت إلى الهوى، لكن اكتب: رأيت محبسا ضيقا وأمرا شديدا.

قال: فجعل يذكر شدة الحبس، قال: وبعث بالكتاب إلى أبي جعفر، قال: فقدم أبو جعفر حاجا فمر بالمدينة فدعاهم، فلما دخلوا عليه جعلوا يذكرون، وجعل ابن أبي ذئب يذكر شدة الحبس وضيقه، وشدة عبد الصمد وما يلقون منه، قال: وجعل أبو جعفر يتغير لونه، وينظر إلى عبد الصمد غضبان، قال الحسن بن زيد:[3] فلما رأيت ذلك رأيت أن ألينه، وخشيت على عبد الصمد من أبي جعفر أن يعجل عليه، فقلت: يا أمير المؤمنين ويرضي هذا أحدا؟ قال ابن أبي ذئب: أما والله إن سألني عنك لأخبرنه، فقال أبو جعفر: وإني أسألك، فقال: يا أمير المؤمنين، ولي علينا فعفل بنا وفعل وأطنب في، فلما ملأني غيظا، قلت: أفيرضي هذا أحدا يا أمير المؤمنين؟ سله عن نفسك، فقال له أبو جعفر: فإني أسألك عن نفسي، قال: لا تسألني، فقال: أنشدك بالله كيف تراني، قال: اللهم لا أعلمك إلا ظالما جائرا، قال: فقام إليه وفي يده عمود، فجلس قربه، قال الحسن بن زيد: فجمعت إلي ثوبي مخافة أن يصيبني من دمه، فقلت: ألا تضرب العمود؟ فجعل يقول له: يا مجوسي، أتقول هذا لخليفة الله في أرضه؟ وجعل يرددها عليه، وابن أبي ذئب يقول: نشدتني بالله يا عبد الله، إنك نشدتني بالله، قال: ولم ينله بسوء، قال: وتفرقوا على ذلك. قال أبو زكريا العابد: وحدثني بهذا الحديث كله أبو عيسى كوفي نخعي، وزاد فيه: فلما كان الغد دعي به ليدخل على أبي جعفر، وكان لأبي جعفر خادم كريم عليه، قال أبو عيسى فحدثني فلان، فلقد رأيت ذلك الخادم حين دنا ابن أبي ذئب من الباب ليدخل على أبي جعفر قام إليه الخادم، وكان أمر أن يدخله، فجعل يمس على صدر ابن أبي ذئب، ويقول: مرحبا برجل لا تأخذه في الله لومة لائم.

" (ابن أبي ذئب) ما ذكر من أنه أبي ذؤيب من تحريف النساخ والله أعلم.

---

(2) ابن أبي ذئب (ذؤيب!)، محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة ابن الحارث بن أبي ذئب. يكنى أبا الحارث ولد في سنة 80 هـ عام الجحاف وكان من أورع الناس وكانوا يرمونه بالقدر وما كان قدريا وكان يصلي الليل أجمع. وكان يصوم يوما ويفطر يوما فوقعت الرجفة بالشام فقدم رجل من أهل الشام فحدثه عن الرجفة وكان يوم إفطاره فقلت له قم تغذى قال دعه اليوم فسرد الصوم من ذلك اليوم إلى أن مات وكان يتعشى بالخبز والزيت وله طيلسان وقميص يشتو فيه ويصيف ويحفظ حديثه كله. سمع ابن أبي ذئب من عكرمة ونافع وسعيد المقبري وأبي الزناد ومحمد بن المنكدر والزهري وغيرهم. وكان فقيها صالحا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أقدمه المهدي ببغداد فحدث بها ثم رجع يريد المدينة فمات بالكوفة. قال احمد بن حنبل كان ابن أبي ذئب يشبه بسعيد بن المسيب قبل لأحمد خلف مثله ببلاده قال لا ولا بغيرها. مات ابن أبي ذئب فدفن بالكوفة سنة 159 هـ وهو ابن تسع وسبعين.

(1) عبد الصمد بن علي ابن حبر الأمة عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب، أبو محمد الهاشمي، العباسي، عم السفاح والمنصور. ولد بالبلقاء، سنة نيف ومائة.وكان عظيم الخلقة، وقد خرج عند موت السفاح مع أخيه عبد الله على المنصور، وحاربها أبو مسلم الخراساني، وتقلبت به الأيام، وعاش إلى زمن الرشيد، وكان يجله ويحترمه.ولي إمرة دمشق، وإمرة البصرة، وغير ذلك. مات عبد الصمد بالبصرة، سنة 185 هـ، وعمره ثمانون سنة.

(3) الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، العلوي الحسني الزيدي الأمير. توفي سنة 270 هـ

عن خريم بن فاتك، قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح، فلما انصرف قام قائما، فقال: ﴿عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالْإِشْرَاكِ بِاللَّهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (30) حُنَفَاءَ للَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ [الحج] قال عمر بن الخطاب:﴿أَلَا لَا يُؤْسَرُ أَحَدٌ فِي الْإِسْلَامِ بِشَهَادَةِ الزُّورِ، فَإِنَّا لَا نَقْبَلُ إِلَّا الْعُدُولَ﴾ وعن أبي عمر، عن ابن الحنفية،﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ [الإسراء] قال: شَهَادَةُ الزُّورِ﴾ وعن وائل بن ربيعة، قال:﴿عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالشِّرْكِ بِاللَّهِ، وَتَلَا أَحَدُهُمَا: وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ [الفرقان] وَتلا الآخر: وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج] وعن أبي حصين، قال: جلس إلي القاسم، فقال: أي شيء كان يصنع شريح بشاهد الزور إذا أخذه، قال: قلت: كان يكتب اسمه عنده، فإن كان من العرب بعث به إلى مسجد قومه، وإن كان من الموالي بعث به إلى سوقه، يعلمهم ذلك منه. وعن الجعد بن ذكوان، قال: شهدت شريحا ضرب شاهد الزور خفقات، ونزع عمامته، عن رأسه.وعن عبد الكريم الجزري، قال: شهد قوم عند عمر بن عبد العزيز على هلال رمضان، فاتهمهم فضربهم سبعين سبعين، وأبطل شهادتهم. وعن الحسن، قال: شاهد الزور يضرب شيئا ويعرف الناس ويقال: إن هذا يشهد بزور.

قيل للإمام مالك: إنك تدخل على السلطان وهم يظلمون ويجورون.قال: يرحمك الله، فأين التكلم بالحق؟. وعن إسحاق بن إبراهيم الحنيني قال: كان مالك يقول: والله ما دخلت على ملك من هؤلاء الملوك حتى أصل إليه إلا نزع الله جل وعلا هيبته من صدري. وقال: حق على كل مسلم أو رجل جعل الله في صدره شيئا من العلم والفقه، أن يدخل إلى كل ذي سلطان يأمره بالخير وينهاه عن الشر، ويعظه، حتى يتبين دخول العالم على غيره؛ لأن العالم إنما يدخل على السلطان لذلك، فإذا كان فهو الفضل الذي لا بعده فضل. يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل سمعت أبي يقول كان ابن أبي ذئب ومالك يحضران عند الأمراء فيتكلم بن أبي ذئب بأمرهم وينهاهم ومالك ساكت، قال أبي بن أبي ذئب خير من مالك وأفضل، وقال حماد الخياط كان بن أبي ذئب يشبه بسعيد بن المسيب في فضله. وقد دخل بن أبي ذؤيب على أبي جعفر المنصور فلم يهبه أن قال له الحق قال له الظلم فاش ببابك وأبو جعفر أبو جعفر. وعن علقمة بن وقاص، قال: مر به رجل له شرف، فقال له علقمة: إن لك رحما، وإن لك لحقا، وإني رأيتك تدخل على هؤلاء الأمراء، وتتكلم عندهم بما شاء الله أن تتكلم به، وإني سمعت بلال بن الحارث المزني، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ﴾ قال علقمة فانظر ويحك ماذا تقول؟ وماذا تكلم به، فرب كلام قد منعني أن أتكلم به، ما سمعت من بلال بن الحارث. قال أبو عمر لا أعلم خلافا في قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة إنها الكلمة عند السلطان الجائر الظالم ليرضيه بها فيما يسخط الله عز وجل ويزين له باطلا يريده من إراقة دم أو ظلم مسلم ونحو ذلك مما ينحط به في حبل هواه فيبعد من الله وينال سخطه وكذلك الكلمة التي يرضي بها الله عز وجل عند السلطان ليصرفه عن هواه وبكفه عن معصية يريدها يبلغ بها أيضا من الله رضوانا لا يحسبه والله أعلم وهكذا فسره ابن عيينة وغيره. قال مهنا:[1] ﴿سَأَلْت الْأَمَامُ أَحَمَدَ عَنْ إبْرَاهِيمَ بْنِ الْحُرَوِيِّ، فَقَالَ: رَجُلٌ وَسِخٌ ، فَقُلْت مَا قَوْلُك إنَّهُ وَسِخٌ قَالَ: مَنْ يَتْبَعُ الْوُلَاةَ وَالْقُصَاةَ فَهُوَ وَسِخٌ﴾ وقد ذكرنا أن هذا رأي جماعة من السلف، منهم: طاووس، وأبو حازم، والثوري، وابن عياض..فكانوا يقولون لا تأتوهم، ولا تأمروهم، يعني السلطان. يقول الله تعالى:﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [هود] والركون إلى الشيء هو السكون إليه بالأنس والمحبة فاقتضى ذلك النهى عن مجانسة الظالمين ومؤانستهم والإنصات إليهم وهو مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام] عن أيوب قال: قال أبو قلابة:﴿لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ﴾ قال سفيان الثوري:﴿إِذَا دَعَوْكَ لِتَقْرَأَ عَلَيْهِمْ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ فَلَا تَأْتِهِمْ قُلْتُ لِأَيِّ شِهَابٍ: يَعْنِي السَّلَاطِينَ قَالَ: نَعَمْ﴾.

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه سلم قال:﴿مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الْآخِرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ، مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ﴾ وروي عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه سلم:﴿إِنَّ للهِ أَقْوَامًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا عَنْهُمْ وَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ﴾ وعن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، قَالَ: قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ:يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ﴾ وعن عبد الله بن عمر:﴿جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟، فَقَالَ: أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ يَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ شَهْرًا﴾ وعن ابن عمر، قال:﴿قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الْعِبَادِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: أَنْفَعُ النَّاسِ لِلنَّاسِ. قِيلَ: فَأَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى قَلْبِ الْمُؤْمِنِ. قِيلَ: وَمَا سُرُورُ الْمُؤْمِنِ؟ قَالَ: إِشْبَاعُ جَوْعَتِهِ وَتَنْفِيسُ كُرْبَتِهِ، وَقَضَاءُ دَيْنِهِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَتِهِ كَانَ كَصِيَامِ شَهْرٍ وَاعْتِكَافِهِ وَمَنْ مَشَى مَعَ مَظْلُومٍ يُعِينُهُ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزِلُّ الْأَقْدَامُ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبُهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَإِنَّ الْخُلُقَ السَّيِّئَ يُفْسِدُ الْأَعْمَالَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ﴾.

(مهنا) أبو عبد الله مهنا بن يحيى الشامي السلمي، من كبار أصحاب أحمد، لزمه وروى عنه مسائل كثيرة.

مراجع: تاريخ بغداد/ مصنف ابن أبي شيبة/ شعب الإيمان/ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد

◆ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي المهدي بالله (ثالث ملوك الدولة العباسية) وصالح بن بشر المري [101]

كان صالح بن بشر المري[1] من الزهّاد المعدودين، وكان يعظ ويحضر مجلسه سفيان الثوري وغيره من العلماء، وكان سفيان يقول: هذا نذير قوم، وقد استدعاه المهدي ليحضر عنده، فجاء إليه راكبًا على حمار، فدنا من بساط الخليفة وهو راكب، فأمر الخليفة ابنيه وليي العهد من بعده: موسى الهادي، وهارون الرشيد أن يقوما إليه لينزلاه عن دابته، فابتدراه فأنزلاه، فأقبل صالح على نفسه فقال: لقد خبت وخسرت إن أنا داهنت ولم أصدع بالحق في هذا اليوم وفي هذا المقام، ثم جلس إلى المهديّ فوعظه موعظة بليغة حتى أبكاه، قال فيها: يا أمير المؤمنين احمل لله ما أكلمك به اليوم فان أولى الناس بالله أحملهم لغلظة النصيحة فيه وجدير بمن له قرابة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرث أخلاقه ويأتمّ بهديه وقد ورثك الله من فهم العلم وإنارة الحجة ميراثا قطع به عذرك. فمهما ادّعيت من حجة أو ركبت من شبهة لم يصح لك فيها برهان من الله حل بك من سخط الله بقدر ما تجاهلته من العلم أو أقدمت عليه من شبهة الباطل واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خصم من خالف أمته يبتزها أحكامها ومن كان محمد صلى الله عليه وسلم خصمه كان الله خصمه فأعد لمخاصمة الله ومخاصمة رسوله حججا تضمن لك النجاة أو استسلم للهلكة. واعلم أن أبطأ الصرعى نهضة صريع هوى يدعيه إلى الله قربة، وأن أثبت الناس قدما يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم فمثلك لا يكابر بتجديد المعصية ولكن تمثل له الإساءة إحسانا ويشهد عليه خونة العلماء وبهذه الحبالة تصيدت الدنيا نظرائك فأحسن الحمل فقد أحسنت إليك الأداء. فبكى المهدي ثم أمر له بشيء فلم يقبله. وحكى بعض الكتاب أنه رأى هذا الكلام مكتوبا في دواوين المهدي.

كان موسى بن عبيدة الربذي[2] مريضا، وكان الحجيج يمرون به يعودونه، فقالوا لمعاذ بن مسلم بن معاذ[3] (أمير خراسان زمن المهدي): لو دخلت عليه فعدته، فقال: اذهبوا بنا. قال: فدخل عليه معاذ، فسلم فشم ريح الطيب منه، قال: فقال: من هذا؟ من أنت عافاك الله؟ قال: أنا معاذ بن مسلم، قال: أنت، فلا حياك الله، ولا حيا من أدخلك علي، قال: قد أمرت لك بمائتي دينار. قال: فولى وجهه والله عني، قال: فوالله ما نظر إلي حتى خرجت عنه، والله ما رأيت ذلا أذل من مقامي بين يديه، يا أمير المؤمنين.

---

(1) صالح بن بشير بن وادع بن أبي الأقعس القارئ أبو بشر البصري القاص المعروف بالمري. وكان من عباد أهل البصرة وقرائهم، وهو الذي يقال له: صالح الناجي، قال أبو حاتم: مات سنة 176 هـ وقد قيل: سنة 172 هـ. وكان من أحزن أهل البصرة صوتا وأرقهم قراءة، غلب عليه الخير والصلاح حتى غفل عن الإتقان في الحفظ، فاستحق الترك. ولما ذكره أبو العرب فيهم قال: لما ولي المهدي الخلافة وقدم البصرة سأل عن خير أهلها، فقيل: المري، قال أبو الفرج كان من أهل الخير لا يتعمد الكذب وإنما يغلط لقلة معرفته بالحديث لغفلته عن الإتقان والحفظ، وعن أحمد: هو صاحب قصص ليس بصاحب حديث ولا يعرف الحديث.

(2) موسى بن عبيدة بن نشيط بن عمرو بن الحارث الربذي، أبو عبد العزيز المدني،قيل يكنى أبا عروة أخو عبد الله بن عبيدة ومحمد بن عبيدة، ينتسبون إلى اليمن، والناس ينسبونهم إلى الولاء. قال أحمد بن الحسن الترمذي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: لا تكتب حديث أربعة: موسى بن عبيدة، وإسحاق بن أبي فروة، وجويبر، وعبد الرحمن بن زياد. وقال يعقوب بن شيبة: صدوق، ضعيف الحديث جدا، ومن الناس من لا يكتب حديثه لوهائه، وضعفه، وكثرة اختلاطه، وكان من أهل الصدق. توفي بالمدينة سنة 153 هـ. في خلافة أبي جعفر.

(3) معاذ بن مسلم بن معاذ بن مسلم أبو سلمة النيسابوري. ولي إمارة خراسان سنة 160 هـ للمهدي، ثم عزله المهدي وولى المسيب بن زهير سنة 163 هـ ومعاذ بن مسلم مولى القعقاع بن ثور صحب بني مروان في دولتهم ثم بني العباس فطعن في مائة وخمسين سنة.

كيف ابتلى الله هذه الامة بعلماء السلطة المنافقون الذين يضفون نوعا من الشرعية الدينية على الحاكم الطاغوتي المستبد، فيحلون له الحرام ويحرمون له الحلال، بل ويساعدونه على التسلط والاستبداد بفتواهم التي لا يرعون فيها ذمة، ولا يصونون بها علما، مما يجعل الحاكم يستمد منهم وجوده وشرعيته، فينسون النصح له، ولا يرون مقاومة ظلمه وجبروته، ويطوعون النصوص الدينية لخدمته فيلون أعناقها ويؤلونها حسب ما يراه ويعتقده، فيدعون أن طاعة الحاكم وإن كان طاغوتيا ظالما واجبة ولا يجوز الخروج عليه، لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء] ولا يذكرون اتفاق المفسرين على أن طاعة الله مطلقة وطاعة رسوله مطلقة، ولكن طاعة ولي الأمر مقيدة بالمعروف، ولذا لم تكرر الآية لفظ: (وأطيعوا) عند ذكر أولي الأمر. عن طارق بن شهاب، أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم وقد وضع رجله في الغرز، أي الجهاد أفضل؟ قال:﴿كَلِمَةَ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ﴾ فكم من علماء دين أفسدوا الحاكم بفتاويهم وأناموا الشعوب وخذلوهم بتأويلاتهم، ونشروا اليأس بين الناس في التغيير والإصلاح بكلامهم. عن أبي تميم الجيشاني، قال: سمعت أبا ذر، يقول: كنت مخاصر النبي صلى الله عليه وسلم يوما إلى منزله، فسمعته يقول:﴿غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِي مِنَ الدَّجَّالِ فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَدْخُلَ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ شَيْءٍ أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِكَ مِنَ الدَّجَّالِ؟ قَالَ الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ﴾.

تكلم أبو بكر، فحمد الله، وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: ﴿أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي، الصِّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ، وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللهُ، لَا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللهُ بِالذُّلِّ، وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا عَمَّهُمُ اللهُ بِالْبَلَاءِ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ﴾ وقوله رضي الله عنه: (ولّيت عليكم ولست بخيركم) من باب التواضع، وإلا فإن الصحابة كلهم مُجمعون على أنه أفضلهم وخيرهم، رضي اللهَّ عنهم أجمعين.والخليفة عمر رضي الله عنه يقول: ﴿أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ رَأَى مِنْكُمْ فِيَّ اعْوِجَاجًا فَلْيَقُومْهُ، فَقَامَ لَهُ رَجُلٌ وَقَالَ: وَاللهِ لَوْ رَأَيْنَا فِيكَ اعْوِجَاجًا لَقَوَّمْنَاهُ بِسُيُوفِنَا، فَقَالَ عُمَرَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ يُقوم اعْوِجَاج عُمَر بِسَيْفِهِ﴾والخليفة عثمان رضي الله عنه يقول: ﴿إِنْ وَجَدْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، أَنْ تَضَعُوا رِجْلِي فِي الْقَيْدِ فَضَعُوهَا﴾ وعنه ضي الله عنه قال: ﴿فَأَمْرِي لِأَمْرِكُمْ تَبَعٌ﴾ وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول لأهل الكوفة:﴿أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ كُنْتُ ظَالِمًا فَخُذَلُونِي وَإِنْ كُنْتُ مَظْلُومًا فأعِنُونِي﴾ والخليفة عمر ابن عبد العزيز يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاس مَنْ أَطَاعَ اللهَّ فَقَدْ وَجَبَتْ طَاعَته وَمَنْ عَصَى اللهَّ فَلَا طَاعَة لَهُ أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا عَصَيْتُ اللهَّ فَلَا طَاعَة لِي عَلَيْكُمْ﴾ عن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ﴾ عن زيد بن بثيع الهمداني الكوف عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنْ تَسْتَخْلِفُوا أَبَا بَكْرٍ تَجِدُوهُ مُسْلِمًا أَمِينًا زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا رَاغِبًا فِي الآخِرَةِ وَإِنْ تُؤَمِّرُوا عمر تجدوه قَوِيًّا أَمِينًا لا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ. قَالَ: وَإِنْ تُؤَمِّرُوا عَلِيًّا تَجِدُوهُ هَادِيًا مَهْدِيًا يَسْلُكُ بِكُمُ الطَّرِيقَ﴾.

مراجع: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ إحياء علوم الدين/ البداية والنهاية/ الأحكام السلطانية للفراء/ هل يعتبر القراعنة بمصرع من سبقهم؟/ طبقات الحنابلة/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال

وعظ الإمام مالك[1] الخليفة المهدي حينما طلب منه أن يوصيه فقال له: أوصيك بتقوى الله وحده، والعطف على أهل بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيرانه، فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿المَدِينَةُ مُهَاجِرِي وَبِهَا قَبْرِي وَبِهَا مَبْعَثِي وَأَهْلُهَا جِيرَانِي وحَقِيقٌ عَلَى أُمَّتِي حِفْظِي فِي جِيرَانِي فَمَنْ حفظهُمْ كُنْت لَهُ شَهِيدًا وَشَفِيعًا يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ وعن حسين بن عروة أنه قال: قدم المهدي فبعث إلى مالك بألفي دينار أو بثلاثة آلاف دينار، ثم أتاه الربيع بعد ذلك فقال: إن أمير المؤمنين يحب أن تعادله إلى مدينة السلام؛ فقال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ والمال عندي على حاله. وعن عمر بن المحرر الرعيني قال: قدم المهدي المدينة، فبعث إلى الإمام مالك فأتاه؛ فقال لهارون وموسى: اسمعا منه؛ فبعثا إليه فلم يجبهما؛ فأعلما المهدي؛ فكلمه فقال: يا أمير المؤمنين؛ العلم يؤتى أهله؛ فقال صدق مالك؛ صيرا إليه؛ فلما صارا إليه قال له مؤدبهما: اقرأ علينا؛ فقال: إن أهل المدينة يقرؤون على العالم كما يقرأ الصبيان على المعلم، فإذا أخطؤوا أفتاهم؛ فرجعوا إلى المهدي، فبعث إلى مالك فكلمه، فذكر له الإمام مالك أمر السلف؛ فقال المهدي لهم: في هؤلاء قدوة؛ صيروا إليه فاقرؤوا عليه؛ ففعلوا.

حدث أبو حفص عمر بن شهاب، قال: سمعت علي بن الحسن الرستمي، يقول: دخل ابن الطباع[2] من سامرا إلى بغداد فنزل في البغويين[3] فاجتمع أصحاب الحديث، فسمع محمد بن عبد الله بن طاهر[4] الضوضاء من كلام أصحاب الحديث، فقال لحاجبه: ما هذا؟ فقال ابن الطباع: قدم من سر من رأى، وهذا كلام أصحاب الحديث. فقال: وقد قدم؟ قال: نعم. فكتب إليه رقعة يسأله أن يصير إليه ليحدث فتيانه، فكتب جواب رقعته: بسم الله الرحمن الرحيم، أكرمك الله كرامة تكون لك في الدنيا عزا، وفي الآخرة من النار حرزا، قرأت رقعتك، ولم أتخلف عنك صيانة، إنما تخلفت عنك ديانه، والعلم يؤتى ولا يأتي. فقال: صدق. فصار إليه محمد بن عبد الله وبنوه، وكان نازلا في غرفة فصعد إليه، فحدثه عامة الليل وقال محمد بن عبد الله، يعني لحاجبه: سله ما يريد؟ فكلمه الحاجب بالفارسية. وكان ابن الطباع يحسن الفارسية، فقال قل له يبعث له شيئا نتغطي به في هذا البرد. فبعث إليه بمطرف خز يساوى خمس مائة دينار، فاحتاج ابن الطباع إلى بيعه فدفعه إلى بعض البزازين فباعه بخمس وخمسين دينار، قال: لو صبرت عليه حتى يجيء طالبه لأخذت لك خمس مائة.

حدث أبو إسحاق إبراهيم بن عمروس إملاء، قال: سمعت أحمد بن بديل[5] الكوفي قاضينا، قال: بعث إلي المعتز (الملك العباسي الثالث عشر) رسولا بعد رسول، فلبست كمتي، ولبست نعلي طاق، فأتيت بابه، فقال الحاجب: يا شيخ نعليك! فلم ألتفت إليه، ودخلت الباب الثاني، فقال الحاجب: نعليك، فلم ألتفت إليه، فدخلت إلى الثالث، فقال: يا شيخ، نعليك، فقلت: أبالواط المقدس أنا فأخلع نعلي؟! فدخلت بنعلي فرفع مجلسي وجلست على مصلاه، فقال: أتعبناك أبا جعفر؟ فقلت: أتعبتني وأذعرتني، فكيف بك إذا سئلت عني؟ فقال: ما أردنا إلا الخير، أردنا نسمع العلم، فقلت: وتسمع العلم أيضا؟ ألا جئتني؟ فإن العلم يؤتى ولا يأتي، قال: نعتب أبا جعفر، فقلت له: غلبتني بحسن أدبك، اكتب، قال: فأخذ الكاتب القرطاس والدواة، فقلت له: أتكتب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في قرطاس بمداد؟ قال: فيما يكتب؟ قلت: في رق بحبر، فجاءوا برق وحبر، فأخذ الكاتب يريد أن يكتب، فقلت: اكتب بخطك فأومأ إلي أنه لا يكتب فأمليت عليه حديثين أسخن الله بهما عينيه، فسأله ابن البناء أو ابن النعمان، أي حديثين؟ فقال: قلت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنِ اسْتَرْعَى رَعِيَّةً فَلَمْ يُحِطْهَا بِالنَّصِيحَةِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ والثاني:﴿مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ إِلَّا يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا حَتَّى يُفَكَّ عَنْهُ الْعَدْلُ، أَوْ يُوبِقَهُ الْجَوْرُ﴾.

---

(1) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحوا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات. أشهر شيوخه حميد الطويل، وربيعة الرأي، أيوب السختياني، صفوان بن سليم، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، عبد الرحمن بن القاسم، عبد الكريم الجزري، عطاء الخراساني، الزهري، محمد بن المنكدر، نافع. حدث عنه من شيوخه عمه أبو سهيل، والزهري، ويحيى بن سعيد القطان. ومن أقرانه معمر، وابن جريج، وأبو حنيفة النعمان، والأوزاعي، وشعبة، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، وحماد بن زيد، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، وابن أبي الزناد، وابن علية، وعبد الرحمن بن القاسم، وعبد الرحمن بن مهدي، وعبد الله بن وهب، ووكيع، والوليد بن مسلم، والشافعي، وأبو داود الطيالسي، وأبو عاصم النبيل، وعبد الرزاق، وأبو مسهر الدمشقي، وعبد الله بن يوسف التنيسي، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، وعلي بن الجعد، وسعيد بن منصور، ويحيى بن بكير، وقتيبة بن سعيد، وإسحاق بن الفرات، وخالد بن خداش، وسعيد بن أبي مريم، وأبو نعيم، ومحمد بن عمر الواقدي، وأبو الأحوص محمد بن حيان البغوي.

قال عنه الإمام الشافعي: كان إذا شك في حديث طرحه كله. قال عبد الله بن وهب: حججت سنة 148 هـ وصائح يصيح: لا يفتي الناس إلا مالك بن أنس وابن الماجشون. وعن مالك بن علي القرشي عن القعنبي قال: دخلت على الإمام مالك فوجدته باكيا فقلت: يا أبا عبد الله؛ ما الذي يبكيك؟ قال عظم الله أجره: يا ابن قعنب؛ على ما فرط مني، ليتني جلدت بكل كلمة تكلمت بها في هذا الأمر بسوط ولم يكن فرط مني ما فرط من هذا الرأي وهذه المسائل. قال الهيثم بن جميل: سمعت مالكا سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فأجاب في اثنتين وثلاثين منها بـ لا أدري. قال عنه أحمد بن حنبل: هو إمام في الحديث وفي الفقه. قال عنه الشافعي: مالك معلمي، وعنه أخذت العلم. وقال عنه الشافعي: مالك كالنجم، وهو وسفيان الثوري القرينان.

(2) محمد بن يوسف بن عيسى ابن الطباع أبو بكر وقيل أبو العباس، سمع يزيد بن هارون، ومحمد بن مصعب القرقساني، ومحمد بن كثير المصيصي، وعبيد الله بن موسى، وأبا نعيم الفضل بن دكين، وعفان بن مسلم. روى عنه محمد بن محمد الباغندي، والقاضي المحاملي، ومحمد بن مخلد، وأبو بكر الأدمي القاري، وعبد الله بن إسحاق البغوي، ومحمد بن العباس بن نجيح، وأبو جعفر بن برية الهاشمي. وكان ثقة، يسكن سر من رأى، وحدث ببغداد. مات في سنة 275 هـ وقيل توفي بسر من رأى لأيام خلت من المحرم سنة ست 276 هـ.

(5) أحمد بن بديل بن قريش بن الحارث، أبو جعفر اليامي الكوفي. سمع أبا بكر بن عياش، وعبد الله بن إدريس، وحفص بن غياث، ومحمد بن فضيل ووكيعا، وعبد الرحمن المحاربي، وأبا معاوية الضرير، ومفضل بن صالح، وعبد الله بن نمير، وأبا أسامة، وإبراهيم بن عيينة. وكان من أهل العلم والفضل، ولي قضاء الكوفة قبل إبراهيم بن أبي العنبس، وتقلد أيضا قضاء همذان، وورد بغداد وحدث بها فروى عنه عبد الله بن إسحاق المدائني، ويحيى بن محمد بن صاعد وإبراهيم بن حماد القاضي، ومحمد بن عبيد الله بن العلاء الكاتب، وعلي بن عيسى الوزير، وغيرهم. مات أحمد بن بديل اليامي سنة 258 هـ.

(4) أبو العباس محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي؛ كان شيخاً فاضلاً وأديباً شاعراً، وهو أمير ابن أمير، ولي إمارة بغداد في خلافة المتوكل على الله (الملك العباسي العاشر) وغيره، وهو الذي صلى على أحمد بن حنبل لما مات، وإسحاق بن إبراهيم، وكان مألفاً لأهل العلم والدب؛ وقد أسند حديثاً عن أبي الصلت.وعظم سلطانه في دولة المعتز إلى أن مات بالخوانيق سنة 253 هـ..

(3) البغيين (البغويين) موضع أقطعه المنصور قوما من أهل خراسان يعرفون بالبغيين، وأصلهم من قرية من قرى مروالرود تعرف بيغ.وهذا الموضع أول الدرب المعروف بسوار مما يلي دجلة إلى آخر ريض البرجلانية.

كان ابن عباس على جلالة قدره وسعة علمه يأتي إلى بيت زيد بن ثابت* للأخذ عنه، ويقول: العلم يؤتى ولا يأتي. وكان إذا ركب أخذ بركابه، ويقول ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء، فيأخذ زيد كفه ويقبلها، ويقول: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم. وهو قول الإمام مالك: العلم أولى أن يوقر ويؤتى، قاله للمهدي العباسي حين استدعى به لوليديه ليسمعا منه. ويروى بلفظ: العلم يزار ولا يزور، ويؤتى ولا يأتي ، وأنه قال لعله قاله هارون الرشيد. وفي لفظ أنه قال له: أدركت أهل العلم يؤتون ولا يأتون، ومنكم خرج العلم وأنتم أولى الناس بإعظامه، ومن إعظامكم له أن لا تدعوا حملته إلى أبوابكم. وقال له أيضا حين التمس منه خلوة للقراءة: إن العلم إذا منع من العامة لأجل الخاصة لم تنتفع به الخاصة. ذكر ذلك كله القاضي عياض في كتابه المدارك في ترجمة الإمام مالك. ونقل عن البخاري أنه قال: العلم يؤتى ولا يأتي. وفي رواية: العلم يضعى إليه. وفي أمثال العرب: في بيته يؤتى الحكم. وصدق الشاعر: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ لَتَحْكُمُ عَلَى الوَرَى ... وَعَلَى الْمُلُوكِ لَتَحَكُّمِ العُلَمَاءِ﴾ كما قالت الحكماء:﴿مَنْ شَارَكَ السُّلْطَانَ فِي عِزِّ الدُّنْيَا شَارَكَهُ فِي ذُلِّ الْآخِرَةِ﴾ وقالوا﴿أَشْقَى النَّاسِ أَقْرَبُهُم مِنَ السُّلْطَانِ، كَمَا أَنَّ أَقْرَبَ الأَشْيَاءِ مِنَ النَّارِ أَسْرَعُهَا اخْتِرَاقاً﴾ خرج الحسن من عند ابن هبيرة فإذا هو بالقراء على الباب فقال: ما يجلسكم هاهنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء؟ أما والله ما مجالستهم بمجالسة الأبرار، تفرقوا فرق الله بين أرواحكم، وأجسادكم قد لقحتم نعالكم، وشمرتم ثيابكم، وجززتم شعوركم، فضحتم القراء فضحكم الله، وأما والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم، لكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم، أبعد الله من أبعد.

زيد بن ثابت الضحاك بن كوزان الأنصاري البخاري أبو سعيد وأبو خارجة صحابي مشهور، كتب الوحي. أمره أبو بكر أن يجمع القرآن وأمره عثمان فكتب المصحف وابي بن كعب يملي عليه. ولد في حدود 12 ق.هـ. وتوفي سنة 45 هـ أو 48 هـ وقيل: بعد 50 هـ. عن يحيى بن سعيد قال لما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة مات حبر هذه الامة ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفا. وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارحم أمتي أبو بكر واشدها في دين الله عز وجل عمر واصدقها حياء عثمان واعلمها بالفرائض زيد بن ثابت.

مراجع: نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الدين/مجمع الزوائد/ سراج الملوك/ طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد/ التبر المسبوك في نصيحة الملوك/ حياة التابعين/ تاريخ بغداد/ كشف الخفاء/ عثمان بن عفان ذو النورين

قال الواقدي:[1] دخلتُ على الخليفة المهدي بمحبرة ودفاتر وكتب عن أشياء أريد أن أحدثه بها، وبعد أن أذن لي بالجلوس نهض. وقال: كن مكانك حتى أعود إليك، ودخل دار الحريم ثم خرج متجهِّما ممتلئًا غضبًا. فلما جلس قلت: خرجت على خلاف الحال التي دخلت. قال: نعم، دخلت على الخيزران فوثبت عليَّ وقالت: يا قشَّاش، وأي خير رأيت منك. وإني اشتريتها من نخاس، ورأتْ منِّي ما رأتْ، وعقدتُ لابنيها بولاية العهد ثم تقول: يا قشاش. قلت: يا أمير المؤمنين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّهُنَّ يَغْلِبْنَ الْكِرَامَ، وَيَغْلِبُهُنَّ اللِّئَامُ﴾ وقال:﴿خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي﴾ وقال:﴿خُلِقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ ضِلْعٍ أَعْوَجَ إِنْ قَوَّمْتَهُ كَسَرْتَهُ﴾ وحدثته في هذا الباب بكل ما حضرني فسكن غضبُه وأسفر وجهه، وطوى ما كان يريد أن يتصرفه مع زوجته، وأمر لي بألف دينار وانصرفت. ولما وصلت منزلي وافاني رسول الخيزران وقال: إن سيدي سمعت جميع ما كلمت به أمير المؤمنين فأحسن الله جزاءك وهذه ألف دينار إلا عشرة بعثت بها إليك؛ لأني لا أحب أن تساوي صلتي صلة أمير المؤمنين ووجهت إليَّ ثيابًا.

روى المسعودي في كتاب مروج الذهب، أن الواقدي المذكور قال: كان لي صديقان أحدهما هاشمي، وكنا كنفس واحدة، فنالتني ضائقة شديدة، وحضر العيد فقالت امرأتي: أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم، لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة، فلو احتلت في شيء تصرفه في كسوتهم، قال: فكتبت إلى صديق لي وهو الهاشمي أسأله التوسعة علي بها حضر، فوجه إلي كيسا مختوما ذكر أن فيه ألف درهم، فما استقر قراري حتى كتب إلي الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي الهاشمي، فوجهت إليه الكيس بحاله، وخرجت إلى المسجد فأقمت فيه ليلتي مستحيا من امرأتي، فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه، فبينا أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته، فقال لي: اصدقني عما فعلته فيما وجهت به إليك، فعرفته الخبر على وجهه، فقال لي: إنك وجهت إلي وما أملك على الأرض إلا ما بعثت به إليك، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة، فوجه كيسي بخاتمي، قال الواقدي: فتواسينا ألف درهم فيما بيننا، ثم إنا أخرجنا للمرأة مائة درهم قبل ذلك، ونمي الخبر إلى المأمون، فدعاني وسألني، فشرحت له الخبر، فامر لنا بسبعة آلاف دينار، لكل واحد منا ألفا دينار وللمرأة ألف دينار. وقد ذكر الخطيب في تاريخ بغداد هذه الحكاية وبينها وبين ماذكرناه ها هنا اختلاف يسير.

قال العتبي: كان بين شريك القاضي[2] والربيع حاجب المهدي، معارضة؛ فكان الربيع يحمل عليه المهدي فلا يلتفت إليه، حتى رأى المهدي في منامه شريكا القاضي مصروفا وجهه عنه، فلما استيقظ من نومه دعا الربيع وقص عليه رؤياه. فقال: يا أمير المؤمنين، إن شريكا مخالف لك وإنه فاطمي محض. قال المهدي: علي به؛ فلما دخل عليه قال له: يا شريك، بلغني أنك فاطمي. قال له شريك: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون غير فاطمي، إلا أن تعني فاطمة بنت كسري. قال: ولكني أعني فاطمة[3] بنت محمد صلى الله عليه وسلم. قال: أفتلعنها يا أمير المؤنين؟ قال: معاذ الله! قال: فإذا تقول فيمن يلعنها؟ قال: عليه لعنة الله. قال: فالعن هذا- يعني الربيع- فإنه يلعنها، فعليه لعنة الله. قال الربيع: لا والله يا أمير المؤمنين، ما ألعنها. قال له شريك: يا ماجن، فما ذكرك لسيدة نساء العالمين وابنة سيد المرسلين في مجالس الرجال؟ قال المهدي: دعني من هذا، فإني رأيتك في منامي كأن وجهك مصروف عني وقفاك إلي، وما ذلك إلا بخلافك علي، ورأيت في منامي كأني أقتل زنديقا. قال شريك: إن رؤياك يا أمير المؤمنين ليست برؤيا يوسف الصديق صلوات الله على محمد وعليه، وإن الدماء لا تستحل بالأحلام، وإن علامة الزندقة بينة. قال: وما هي؟ قال: شرب الخمر، والرشا في الحكم، ومهر البغي. قال: صدقت والله أبا عبد الله! أنت والله خير من الذي حملني عليك. ودخل شريك القاضي على المهدي، فقال له الربيع: خنت مال الله ومال أمير المؤمنين. قال: لو كان ذلك لأتاك سهمك.

---

(1) أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني مولى بني هاشم، وقيل مولى بني سهم بن أسلم؛ كان إماما عالما له التصانيف في المغازي وغيرها، وله كتاب الردة ذكر فيه ارتداد العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ومحاربة الصحابة، لطليحة بن خويلد الأزدي والأسود العنسي ومسيلمة الكذاب، وما أقصر فيه. سمع من أبي ذئب ومعمر بن راشد ومالك بن أنس والثوري وغيرهم. وروى عنه كاتبه محمد بن سعد وجماعة من الأعيان، وتولى القضاء بشرقي بغداد، وولاه المأمون القضاء بعسكر المهدي*. وضعفوه في الحديث وتكلموا فيه. كانت ولادة الواقدي في أول سنة 130 هـ وتوفي عشية يوم الاثنين 11 ذي الحجة سنة 207 هـ وقيل مات سنة 209 هـ، وقيل سنة 206 هـ والأول أصح. وهو يومئذ قاض ببغداد في الجانب الغربي، كذا قاله ابن قتيبة. وقال السمعاني: كان قاضيا بالجانب الشرقي كما تقدم، والله أعلم. وصلى عليه محمد بن سماعة التميمي ودفن في مقابر الخيزران. وعسكر المهدي هي المحلة المعروفة اليوم بالرصافة في الجانب الشرقي من بغداد، عمرها أبو جعفر المنصور لولده المهدي فنسب إليه، وهذا يؤيد أن الواقدي كان قاضي الجانب الشرقي لا الغربي، فالله أعلم.

(2) أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي الكوفي. القاضي. ولد في بخارى سنة95هـ. استقضاه المنصور على الكوفة سنة 153 هـ ثم عزله. وأعاده المهدي، فعزله موسى الهادي. توفي بالكوفة سنة 177 هـ

(3) فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . أمها خديجة بنت خويلد ولدتها وقريش تبني البيت قبل النبوة بخمس سنين وهي اصغر بناته تزوجها علي بن أبي طالب في السنة الثانية من الهجرة ، فولدت له الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم. فتزوج زينب عبد الله بن جعفر فولدت له عبد الله وعوناً وماتت عنده. وتزوج أم كلثوم عمر بن الخطاب فولدت له زيداً. ثم خلف عليها بعد عمر عون بن عبد الله بن جعفر فلم تلد له. ثم مات وخلف عليها محمد بن جعفر فولدت له جارية ثم خلف عليها بعده عبد الله بن جعفر فلم تلد له وماتت عنده. وزاد ابن اسحق في أولاد فاطمة من علي: محسناً. قال: ومات صغيراً وزاد الليث بن سعد: رقيّة قال: وماتت ولم تبلغ. توفيت الزهراء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة اشهر سنة 11 هـ وهي بنت 28 سنة ونصف وغسلها علي وصلى عليها وقيل: صلى عليها العباس ودفنت ليلا.

جاء رجل إلى عمر يشكو إليه خلق زوجته فوقف ببابه ينتظره، فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها، فانصرف الرجل قائلا: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فكيف حالي؟، فخرج عمر فرآه موليا فناداه ما حاجتك يا أخي؟، فقال: يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك خلق زوجتي واستطالتها علي، فسمعت زوجتك كذلك، فرجعت وقلت: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي!، فقال له عمر: تحملتها لحقوق لها علي، فإنها طباخة لطعامي، خبازة لخبزي، غسالة لثيابي، مرضعة لولدي، وليس ذلك بواجب عليها!، وسكن قلبي بها عن الحرام، فأنا أتحملها لذلك. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي، قال: فتحملها يا أخي، فإنها هي مدة يسيرة (يعني الفراق). وعن جابر بن عبد الله: أنه جاء إلى عمر يشكو إليه ما يلقى من النساء، فقال عمر: إنا لنجد ذلك، حتى إني لأريد الحاجة فتقول لي: ما تذهب إلا إلى فتيات بني فلان تنظر إليهن، فقال له عبد الله بن مسعود: أما بلغك أن إبراهيم عليه السلام شكا إلى الله خلق سارة، فقيل له: إنها خلقت من ضلع، فألبسها على ما كان فيها ما لم تر عليه خربة في دينها؟.

عن أبي موسى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ غَيْرُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ﴾ وعن عبد الله، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ، فَإِنَّكُنَّ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ. فَقَامَتِ امْرَأَةٌ لَيْسَتْ مِنْ عِلْيَةِ النِّسَاءِ، فَقَالَتْ: لِمَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: لِأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ﴾ وعن ابن عمر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، لِكَثْرَةِ اللَّعْنِ وَكُفْرِ الْعَشِيرِ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ، أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ: فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ، وَتَمْكُثُ اللَّيَالِيَ لَا تُصَلِّي وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ﴾ وكفر العشير، أي: إنكار إحسان الزوج. وعن سعد بن أبي وقاص، قال:﴿اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللهَّ، قَالَ: عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهَّ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنَنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ﴾.

عن علي بن حسين، أن المسور بن مخرمة، قال:﴿إِنَّ عَلِيًّا خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ، فَاطِمَةُ فَأَتَتْ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّكَ لاَ تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ، وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحٌ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشَهَّدَ، يَقُولُ: أَمَّا بَعْدُ أَنْكَحْتُ أَبَا العَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ، فَحَدَّثَنِي وَصَدَقَنِي، وَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَهَا، وَاللهَّ لاَ تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللهَّ، عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ. فَتَرَكَ عَلِيٌّ الخِطْبَةَ﴾ عن عبد الله بن الزبير، أن عليا ذكر ابنة أبي جهل، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال:﴿إِنَّمَا فَاطِمَةُ بِضْعَةٌ مِنِّي، يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا، وَيُنْصِبُنِي مَا أَنْصَبَهَا﴾ عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ بَعْدَ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ﴾ عن عروة، عن أم المؤمنين عائشة، قالت:﴿دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهَا فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا فَضَحِكَتْ، فَقَالَتْ: فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: سَارَّنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَنِي: أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَبَكَيْتُ، ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي، أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ أَتْبَعُهُ، فَضَحِكْتُ﴾ عن أنس بن مالك،﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَمُرُّ بِبَيْتِ فَاطِمَةَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْفَجْرِ فَيَقُولُ: الصَّلَاةَ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ: إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب] وعن زيد بن أرقم، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال لفاطمة وحسن وحسين:﴿أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ، وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ﴾ وعن مغيرة، عن الشعبي قال:﴿لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يُلَاعِنَ أَهْلَ نَجْرَانَ أَخَذَ بِيَدِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَكَانَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي خَلْفَهُ﴾ وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم﴿الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَفَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَائِهِمْ، إِلَّا مَا كَانَ لِزَيْنَبَ بِنْتِ عِمْرَانَ﴾ وعن ابن عمر، قال: قال أبو بكر:﴿ارْقُبُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ﴾.

مراجع: السنن الكبرى للنسائي/ مسند أحمد/ تاريخ بغداد/ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار/ وفيات الأعيان/ صحيح مسلم/ صحيح البخاري/ مصنف ابن أبي شيبة

بعث هارون[1] إلى مالك [2] وقال له: يا أبا عبد الله، ينبغي أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا الموطأ. فرد عليه مالك يقول: أعز الله أمير المؤمنين، إن هذا العلم منكم خرج، فإن أنتم أعززتموه عز، وإن أذللتموه ذل، والعلم يؤتى ولا يأتي. فقال له هارون: صدقت. ثم قال لولديه اخرجا إلى المسجد حتى تسمعا مع الناس. فقال مالك: بشريطة أن لا يتخطيا رقاب الناس، ويجلسا حيث ينتهي بهما المجلس، فحضرا على هذا الشرط.

حدث عتيق بن يعقوب الزبيدي، قال: قدم هارون الرشيد المدينة وكان قد بلغه أن مالك بن أنس عنده الموطأ يقرأه على الناس، فوجَّه إليه البرمكي فقال: أقرئه السلام وقل له يحمل إليَّ الكتاب ويقرأه عليَّ. فأتاه البرمكي فقال: أقرئه السلام وقل له إن العلم يؤتى ولا يأتي. فأتاه البرمكي فأخبره وكان عنده أبو يوسف القاضي، فقال: يا أمير المؤمنين، يبلغ أهل العراق أنك وجهت إلى مالك في أمر فخالفك، اعزم عليه، فبينما هو كذلك إذ دخل مالك فسلَّم وجلس فقال له الرشيد: يا ابن أبي عامر، أبعث إليك وتخالفني. فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني الزهري عن خارجة بن زيد عن أبيه قال: كنت أكتب الوحي بين يدي رسول الله فقال:﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء] وابن أم مكتوم[3] عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني رجل ضرير وقد أنزل الله عليك في فضل الجهاد ما قد علمت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا أدري وقلمي رطب ما جفَّ، ثم وقع فخذ النبي صلى الله عليه وسلم على فخذي ثم أُغْمِي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم جلس النبي صلى الله عليه وسلم: فقال: يا زيد، اكتب:﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ [النساء] و يا أمير المؤمنين حرف واحد بعث فيه جبريل والملائكة عليهم السلام من مسيرة خمسين ألف عام ألا ينبغي لي أن أعزه وأجله. وإن الله تعالى رفعك وجعلك في هذا الموضع بعملك، فلا تكن أنت أوَّل مَن يضيع عز العلم فيضيع الله عزَّك. فقام الرشيد يمشي مع مالك إلى منزله ليسمع منه الموطأ، فأجلسه معه على المنصَّة. فلمَّا أراد أن يقرأه على مالك قال له: تقرأه عليَّ. قال: ما قرأته على أحد منذ زمان. قال: فيخرج الناس عنِّي حتى أقرأه أنا عليك. فقال: إن العلم إذا مُنِع من العامة لأجل الخاصة لم ينفع الله تعالى به الخاصة. فأمر معنَ بن عيسى القزاز ليقرأه عليه فلما بدا ليقرأه قال مالك لهارون: يا أمير المؤمنين، أدركت أهل العلم ببلدنا، وإنهم ليحبُّون التواضع للعلم. فنزل هارون عن المنصَّة وجلس بين يديه وسمعه. ولما حج هارون الرشيد بعث إلى مالك بن أنس بكيس فيه خمسمائة دينار، فلمَّا قضى نسكه وانصرف ودخل المدينة بعث إلى مالك بن أنس أن أمير المؤمنين يحبُّ أن تنتقل معه إلى مدينة السلام. فقال للرسول: قل له: إن الكيس بخاتمه وقال الرسول عليه السَّلام ﴿وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

قال أبا معاوية[4] الضرير يقول: أكلت مع الرشيد يوما، فصب على يدي رجل لا أعرفه، فقال هارون: يا أبا معاوية! تدري من يصب على يديك؟ قلت: لا. قال: أنا. قلت: أنت أمير المؤمنين! قال: نعم إجلالا للعلم. قيل: إن ابن السماك[5] الواعظ دخل على الرشيد كرة؛ فبالغ الرشيد في اكرامه واحترامه؛ فقال له ابن السماك: تواضعك في شرفك أشرف من شرفك. وكان الرشيد يأتي بنفسه إلى الفضيل بن عياض[6] ويسمع وعظه؛ فقال له يوما: يا حسن الوجه؛ أنت المسئول عن هذه الأمة؛ فبكى الرشيد بكاء عظيما. وقال منصور بن عمار: ما رأيت أغزر دمعا عند الذّكر من ثلاثة: الفضيل ابن عياض، والرشيد هارون، وآخر.

قال يحيى بن أكثم:[7] قال لي الرشيد: ما أنبل المراتب؟ قلت: ما أنت فيه يا أمير المؤمنين، قال: فتعرف. أجل مني؟ قلت: لا، قال: لكني أعرفه، رجل في حلقة يقول: حدثنا فلان عن فلان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم..قلت: يا أمير المؤمنين، هذا خير منك وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولي عهد المسلمين؟ قال: نعم، ويلك، هذا خير مني لأن اسمه مقترن باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت أبدا، نحن نموت ونفنى، والعلماء باقون ما بقي الدهر.

---

(2) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحوا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات. أشهر شيوخه حميد الطويل، وربيعة الرأي، وأيوب السختياني، صفوان بن سليم، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، عبد الرحمن بن القاسم، عبد الكريم الجزري، عطاء الخراساني، الزهري، محمد بن المنكدر، نافع. حدث عنه من شيوخه عمه أبو سهيل، والزهري، ويحيى بن سعيد القطان. ومن أقرانه معمر، وابن جريج، وأبو حنيفة النعمان، والأوزاعي، وشعبة، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، وابن أبي الزناد، وابن علية، وعبد الرحمن بن القاسم، وعبد الرحمن بن مهدي، وعبد الله بن وهب، ووكيع، والوليد بن مسلم، والشافعي، وأبو داود الطيالسي، وأبو عاصم النبيل، وعبد الرزاق، وأبو مسهر الدمشقي، وعبد الله بن يوسف التنيسي، وعلي بن الجعد، وسعيد بن منصور، ويحيى بن بكير، وقتيبة بن سعيد، وإسحاق بن الفرات، وخالد بن خداش، وسعيد بن أبي مريم، وأبو نعيم، ومحمد بن عمر الواقدي، وأبو الأحوص محمد بن حيان البغوي.

(5) ابن السماك، أبو العباس محمد بن صبيح المذكر مولى بني عجل، المعروف بابن السماك القاص الكوفي الزاهد المشهور؛ كان زاهدا عابدا حسن الكلام صاحب مواعظ، جمع كلامه وحفظ، ولقي جماعة من الصدر الأول وأخذ عنهم: مثل هشام بن عروة والأعمش وغيرهما. وروى عنه أحمد بن أحمد بن حنبل وأنظاره؛ وهو كوفي قدم بغداد زمن هارون الرشيد فمكث بها مدة، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة 183هـ.

(6) أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الأصل، الفندينى، الزاهد المشهور، كان في أول أمره شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينما هو يرتقي الجدران إليها سمع تاليا يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد] فقال: يارب قد آن، فرجع، وآواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة، فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا، فتاب الفضيل وآمنهم. وكان من كبار السادات، ومناقب الفضيل كثيرة. ومولده بأبيورد، وقيل بسمرقند، ونشأ بأبيورد وقدم الكوفة وسمع الحديث بها، ثم انتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن مات في المحرم سنة 187هـ.

(7) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن بن سمعان بن مشنج، التميمي الأسيدي المروزي، أبو محمد التميمي، من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي. وكان عالما بالفقه بصيرا بالأحكام، ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، توفي بالربذة سنة 242 هـ.

(4) محمد بن خازم التميمي السعدي مولاهم أبو معاوية الضرير الكوفي. ولد سنة 113 هـ. يقال عمي وهو بن ثمان سنين أو أربع. روى عن خلق كثير وروى عنه خلق كثير. مات سنة 195 هـ.

(1) هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الرشيد ابن المهدي ابن المنصور. ولد بالري سنة 147 هـ، وبويع له بمدينة السلام بعد وفاة أخيه الهادي سنة 170 هـ وتوفي بطوس سنة 193 هـ وكان يحج سنة ويغزو سنة.

(3) عبد الله بن أم مكتوم الأعمى القرشي ، نزلت فيه (سورة عبس)، وهو عبد الله بن عمرو بن شريح بن قيس بن زائدة بن الأصم من بني عامر بن لؤي بن غالب قدم المدينة بعد بدر بيسير فنزل دار مخرمة بن نوفل ومن قال هو عبد الله بن زائدة فقد نسبه إلى جد جده زائدة وكان اسمه الحصين فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ومنهم من زعم أن اسم ابن أم مكتوم هي أمه واسمها عاتكة من بني مخزوم قدم المدينة مهاجرا بعد بدر بسنتين فذهب بصره وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستخلفه على المدينة ليصلي بالناس في عامة غزواته وشهد القادسية ومعه راية سوداء وعليه درع ثم رجع إلى المدينة ومات بها في خلافة عمر بن الخطاب.سنة 14 هـ.

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِينَهُ: هَلُمَّ إِلَيَّ الرَّخَاءِ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ، أَلَا إِنَّ الْمَدِينَةَ كَالْكِيرِ، تُخْرِجُ الْخَبِيثَ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ الْمَدِينَةُ شِرَارَهَا، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ﴾ (كالكير) منفخ الحداد أو الموضع (خبث الحديد) خبث الحديد والفضة هو وسخها وقذرها الذي تخرجه النار منها. وعن جابر بن عبد الله، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعه على الإسلام فجاء من الغد محموما، فقال أقلني ثلاث مرات، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ تَنْفِي خَبَثَهَا وَيَنْصَعُ طِيبُهَا﴾ وعن سفيان بن أبي زهير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿تُفْتَحُ الشَّامُ، فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَسُّوقُونَ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تُفْتَحُ الْيَمَنُ فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَسُّوقُونَ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تُفْتَحُ الْعِرَاقُ، فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَسُّوقُونَ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (يسوقون) يتحملون بأهليهم وقيل يدعون إلى بلاد الخصب. وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا﴾ وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ، فَلْيَفْعَلْ، فَإِنِّي أَشْهَدُ لِمَنْ مَاتَ بِهَا﴾ (من استطاع منكم أن يموت بالمدينة) أي بأن لا يخرج منها إلى أن يموت. قال الدميري فائدة زيارة النبي صلى الله عليه وسلم من أفضل الطاعات وأعظم القربات: لقوله صلى الله عليه وسلم ﴿مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبِيتْ لَهُ شَفَاعَتِي﴾ ولقوله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ جَاءَنِي زَائِرًا لَا تُعْمِلُهُ حَاجَةٌ إِلَّا زِيَارَتِي، كَانَ حَقًّا عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وعن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر رضي الله عنه، قال: ﴿اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ وعن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّكَ حَرَّمْتَ مَكَّةَ عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ، اللَّهُمَّ وَأَنَا عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا﴾ قال أبو مروان: لابتيها، حرتي المدينة. وعن علي، قال: ما عندنا شيء إلا كتاب الله، وهذه الصحيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿الْمَدِينَةُ حَرَمٌ، مَا بَيْنَ عَائِرٍ إِلَى كَذَا، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ، وَقَالَ: ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ، وَلَا عَدْلٌ، وَمَنْ تَوَلَّى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ، وَلَا عَدْلٌ﴾ قال أبو عبد الله: عدل: فداء. وعن أبي بكرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:﴿لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُعْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ﴾ وعن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: ﴿اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَةِ﴾ وعن أنس﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَنَظَرَ إِلَى جُدُرَاتِ الْمَدِينَةِ، أَوْضَعَ رَاحِلَتَهُ وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّةٍ حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا﴾ وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال:﴿مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي﴾ وعن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ اللهَ سَمَّى الْمَدِينَةَ طَابَةَ﴾.

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) والفضيل بن عياض وابن السماك [105]

قال الفضيل بن عياض[1] لهارون الرشيد: إن الله لم يجعل أحدًا من هؤلاء فوقك في الدنيا، فاجهد نفسك أن لا يكون أحدٌ منهم فوقك في الآخرة، فاكدح لنفسك وأعملها في طاعة ربك. وقال له ابن السماك:[2] إن الله لم يجعل أحدًا فوقك، فاجتهد أن لا يكون فيهم أحد أطْوَع إلى الله منك. فقال: لئن كنت أقصرت في الكلام لقد أبلغت في الموعظة. ودخل عليه ابن السماك يومًا فاستسقى الرشيد فأُتِي بقُلة فيها ماء مبرد. فقال لابن السماك: عظني. فقال: يا أمير المؤمنين، بكم كنت مشتريًا هذه الشربة لو مُنِعتها؟ فقال: بنصف ملكي. فقال: اشرب هنيئًا. فلما شرب قال: أرأيت لو مُنِعت خروجها من بدنك بكم كنت تشتري ذلك؟ فقال: بنصف ملكي الآخر. فقال: إن ملكًا قيمة نصفه شربة ماء وقيمة نصفه الآخر بَوْلة لخليق أن لا يُتنافَس فيه، فبكى هارون. وقال له ابن السماك يومًا: إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتبعث منه وحدك، فاحذر المقام بين يدي الله عزَّ وجلَّ والوقوف بين الجنة والنار حين يؤخذ بالكظم، وتزل القدم، ويقع الندم، فلا تقبل توبة، ولا عثرة تقال، ولا يقبل فداء بمال. فجعل الرشيد يبكي حتى علا صوته. فقال يحيى بن خالد:[3] يا ابن السماك، لقد شققت على أمير المؤمنين الليلة. فقام فخرج من عنده وهو يبكي.

قال له ابن عياض في كلام كثير ليلة وعظه بمكة:يا صبيح الوجه، إنك مسؤول عن هؤلاء كلهم وقد قال الله تعالى﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة] حدثنا ليث عن مجاهد قال:الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا.فبكى الرشيد حتى جعل يشهق

حدث سفيان بن عيينة[4] قال: دعانا هارون الرشيد فدخلنا عليه، ودخل الفضيل آخرنا مقنعا رأسه بردائه، فقال لي: يا سفيان، وأيهم أمير المؤمنين فقلت: هذا، وأومأت إلى الرشيد، فقال له: يا حسن الوجه، أنت الذي أمر هذه الأمة في يدك وعنقك لقد تقلدت أمرا عظيما، فبكى الرشيد، ثم أتي كل رجل منا ببدرة، فكل قبلها إلا الفضيل، فقال الرشيد: يا أبا علي إن لم تستحل أخذها فأعطها ذا دين أو أشبع بها جائعا أو اكس بها عاريا فاستعفاه منها، فلما خرجنا قلت: يا أبا علي، أخطأت، ألا أخذتها وصرفتها في أبواب البر فأخذ بلحيتي ثم قال: يا أبا محمد، أنت فقيه البلد والمنظور إليه وتغلط مثل هذا الغلط لو طابت لأولئك لطابت لي.

قال الفضيل: استدعاني الرشيد يوما وقد زخرف منازله وأكثر الطعام والشراب واللذات فيها، ثم استدعى أبا العتاهية[5] فقال له: صف لنا ما نحن فيه من العيش والنعم فقال: عش ما بدا لك سالما ... في ظل شاهقة القصور تسعى عليك بما اشتهيت...لدى الرواح إلى البكور فإذا النفوس تقعقعت...عن ضيق حشرجة الصدور فهناك تعلم موقنا... ما كنت إلا في غرور. قال: فبكى الرشيد بكاء كثيرا شديدا. ومن وجه آخر أن الرشيد قال لأبي العتاهية: عظني بأبيات من الشعر وأوجز فقال: لا تأمن الموت في طرف ولا نفس...ولو تمتعت بالحجاب والحرس واعلم بأن سهام الموت صائبة...لكل مدرع منها ومترس ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها...إن السفينة لا تجري على اليبس قال: فخر الرشيد مغشيا عليه.

---

(1) أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الأصل، الفنديني، الزاهد المشهور، كان في أول أمره شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينا هو يرتقي الجدران إليها سمع تاليا يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد] فقال: يارب قد آن، فرجع، وآواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة، فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا، فتاب الفضيل وآمنهم. وكان من كبار السادات، ومناقب الفضيل كثيرة. ومولده بأبيورد، وقيل بسمرقند، ونشأ بأبيورد وقدم الكوفة وسمع الحديث بها، ثم انتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن مات في المحرم سنة 187هـ.

(2) ابن السماك هو أبو العباس محمد بن صبيح المذكر مولى بني عجل، المعروف بابن السماك القاص الكوفي الزاهد المشهور؛ كان زاهدا عابدا حسن الكلام صاحب مواعظ، جمع كلامه وحفظ، ولقي جماعة من الصدر الأول وأخذ عنهم: مثل هشام بن عروة والأعمش وغيرهما. وروى عنه أحمد بن أحمد بن حنبل وأنظاره؛ وهو كوفي قدم بغداد زمن هارون الرشيد فمكث بها مدة، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة 183هـ.

(5) أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي بالولاء، العيني المعروف بأبي العتاهية الشاعر المشهور؛ مولده بعين التمر سنة 130هـ وهي بليدة بالحجاز قرب المدينة، وقيل إنها من أعمال سقي الفرات وقيل إنها قرب الأنبار، فالله أعلم. توفي سنة 213 هـ

(4) سفيان بن عيينة، أبو محمد بن سفيان بن عيينه بن أبي عمران ميمون الهلالي، مولى امرأة من بني هلال بن عامر رهط ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل مولى بني هاشم، وقيل مولى الضحاك بن مزاحم، وقيل مولى مسعر بن كدام؛ وأصله من الكوفة، وقيل ولد بالكوفة ونقله أبوه إلى مكة، كان إماما عالما ثبتا حجة زاهدا ورعا مجمعا على صحة حديثه وروايته، وحج سبعين حجة. روى عن الزهري وأبي إسحاق السبيعي وعمرو بن دينار ومحمد بن المنكدر وأبي الزناد وعاصم بن أبي النجود المقرئ والأعمش وعبد الملك بن عمير وغير هؤلاء؛ وروى عنه الإمام الشافعي وشعبة بن الحجاج ومحمد ابن إسحاق وابن جريج والزبير بن بكار وعمه مصعب وعبد الرزاق بن همام الصنعاني ويحيى بن أكثم القاضي وخلق كثير. ولد سفيان بالكوفة في منتصف شعبان سنة 107 هـ. وتوفي يوم السبت آخر يوم من جمادى الآخرة، وقيل أول يوم من رجب سنة 198 هـ بمكة ودفن بالحجون.

(3) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي ، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة .

ذكر الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار في آخر باب الطعام أن الفضيل قال يوما لأصحابه: ما تقولون في رجل في كمه ثمر يقعد على رأس الكنيف فيطرحه فيه ثمرة ثمرة قالوا: هو مجنون، قال: فالذي يطرحه في بطنه حتى يحشوه فهو أجن منه، فإن هذا الكنيف يملأ من هذا الكنيف. ومن كلام الفضيل: إذا أحب الله عبدا أكثر غمه، وإذا أبغض عبدا وسع عليه دنياه. وقال: لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي على أن لا أحاسب عليها لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه. وقال: ترك العمل لأجل الناس هو الرياء، والعمل لأجل الناس هو الشرك. وقال: إني لأعصى الله تعالى فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي. وقال: لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام، لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد. وقال: لأن يلاطف الرجل أهل مجلسه ويحسن خلقه معهم خير له من قيام ليله وصيام نهاره. قال الأصمعي: نظر الفضيل إلى رجل يشكو إلى رجل فقال للشاكي: يا هذا؛ تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك. قال أبو علي الرازي: صحبت الفضيل ثلاثين سنة، ما رأيته ضاحكا ولا متبسما إلا يوم مات ابنه علي، فقلت له في ذلك، فقال: إن الله أحب أمرا فأحببت ذلك الأمر، وكان ولده المذكور شابا سريا من كبار الصالحين.

ومن كلام ابن السماك: خف الله كأنك لم تطعه، وارج الله كأنك لم تعصه. وكان هارون الرشيد قد حلف أنه من أهل الجنة، فاستفتى العلماء فلم يفته أحد بأنه من أهلها فقيل له عن ابن السماك المذكور، فاستحضره وسأله، فقال له هل قدر أمير المؤمنين على معصية فتركها خوفا من الله تعالى فقال: نعم، كان لبعض ألزمي جارية فهويتها وأنا إذ ذاك شاب، ثم إني ظفرت بها مرة، وعزمت على ارتكاب الفاحشة معها، ثم إني فكرت في النار وهولها وأن الزنا من الكبائر، فأشفقت من ذلك، وكففت عن الجارية مخافة من الله تعالى، فقال له ابن السماك: أبشر ياأمير المؤمنين فإنك من أهل الجنة، فقال هارون: ومن أين لك هذا فقال: من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات] فسر هارون بذلك. ودخل على بعض الرؤساء يشفع إليه فقال له: إني أتيتك في حاجة، وإن الطالب والمطلوب منه عزيزان إن قضيت الحاجة، ذليلان إن لم تقضها، فاخترت لنفسك عز البذل على ذل المنع، واخترت لي عز النجح على ذل الرد؛ فقضى حاجته. وتكلم يوما وجاريته تسمع كلامه، فقال لها: كيف سمعت كلامي فقالت هو حسن، لولا أنك ترددت، فقال: أردده كي يفهمه من لم يفهمه، فقالت: إلى أن يفهمه من لم يفهمه من فهمه. وأخباره ومواعظه كثيرة، رحمه الله.

قال الله تعالى:﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة] (تقطعت) تفرقوا وانقسموا على أنفسهم و(الأسباب) جمع سبب وهو في الأصل الحبل ثم استعير لكل شيء يتوصل به إلى أمر من الأمور.

قال ابن عباس: الوصلات في الدنيا وقال: المودة (الوصلات) التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا من نسب وتبعية وغيرها جمع وصلة وهي الاتصال وكل ما يصل بين شيئين. وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَ عَلَيْهِ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا [الانشقاق] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ﴾ قال كعب: يقول الله عز وجل للإمام الجائر:﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة] فيسحب على وجهه، فيتشر لحمه وعظامه ومخه. ذكر أعرابيّ السلطان الجائر فقال: ﴿أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ عَزُّوا فِي الدُّنْيَا بِالْجَوْرِ لَقَدْ ذَلُّوا فِي الْآخِرَةِ بِالْعَدْلِ﴾.

مراجع: صحيح البخاري/ التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار/ سراج الملوك/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ صفة الصفوة

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) والفضيل بن عياض(١) [106]

روى أبو نعيم[1] في الحلية، عن الفضيل بن عياض:[2] قال: لما دخل على هارون أمير المؤمنين. قال: أيُّكم هو؟ قال: فأشاروا إلى أمير المؤمنين. فقال: أنت هو يا حسن الوجه؟ لقد وليت أمرًا عظيمًا، إني ما رأيت أحدًا هو أحسن وجهًا منك، فإن قدرت أن لا تسوِّد هذا الوجه بلفحة من النار فافعل. فقال له: عظني. قال: ماذا أعظك ؟ هذا كتاب الله تعالى بين الدفتين، انظر ماذا عمل بِمَن أطاعه، وماذا عمل بِمَن عصاه، وقال: إني رأيت الناس يغوصون على النار غوصًا شديدًا ويطلبونها طلبًا حثيثًا، أما والله لو طلبوا الجنة بمثلها أو أيسر لنالوها. فقال: عُدْ إليَّ. قال: لو لم تبعث إليَّ لم آتك، وإن انتفعت بما سمعت منِّي عدت إليك.

---

(2) أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الأصل، الفنديني، الزاهد المشهور، كان في أول أمره شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينا هو يرتقي الجدران إليها سمع تاليا يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد] فقال: يارب قد آن، فرجع، وآواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة، فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا، فتاب الفضيل وآمنهم. وكان من كبار السادات، ومناقب الفضيل كثيرة. ومولده بأبيورد، وقيل بسمرقند، ونشأ بأبيورد وقدم الكوفة وسمع الحديث بها، ثم انتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن مات في المحرم سنة 187هـ.

(1) الحافظ أبو نعيم، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني الحافظ المشهور صاحب كتاب حلية الأولياء؛ كان من الأعلام المحدثين، وأكابر الحفاظ الثقات، أخذ عن الأفاضل، وأخذوا عنه، وانتفعوا به، وكتابه الحلية من أحسن الكتب، وله كتاب تاريخ أصبهان، وذكر أن جده مهران أسلم، إشارة إلى أنه أول من أسلم من اجداده، وأنه مولى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.ولد سنة 336 هـ، وقيل:سنة 334 هـ وتوفي سنة 430 هـ بأصبهان.

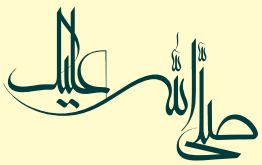

عن عبد الله، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ (الجنة أقرب) كناية عن سهولة دخولها لمن أطاع وكذلك دخول النار لمن عصى (شراك نعله) السير الذي تدخل فيه الأصابع. عن الضحاك قال: جهنم سوداء، وماؤها أسود، وشجرها أسود، وأهلها سود. وقد دل على سواد أهلها قوله تعالى:﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران] وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة، أن من عصاة الموحدين، من يحترق في النار حتى يصير فحما. قال أبو معشرك رأيت أبا حازم في مجلس عون بن عبد الله وهو يقص في المسجد ويبكي ويمسح بدموعه وجهه فقلت له يا أبا حازم لم تفعل هذا قال إن النار لا تصيب موضعا أصابته الدموع من خشية الله وقال له سليمان وقد أحضره تكلم يا أعرج فقال ما للأعرج من حاجة فيتكلم بها ولولا اتقاء شركم ما أتاكم الأعرج فقال سليمان ما ينجينا من أمرنا هذا الذي نحن فيه قال أخذ هذا المال من حله ووضعه في حقه قال ومن يطيق ذلك قال من طلب الجنة وهرب من النار قال سليمان ما بالنا لا نحب الموت قال لأنك جمعت متاعك فوضعته بين عينيك فأنت تكره أن تفارقه ولو قدمته أمامك لأحببت أن تلحق به لأن قلب المرء عند متاعه فتعجب منه سليمان. وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَكْثِرُوا مَسْأَلَةَ اللهَ الْجَنَّةَ، وَاسْتَعِيذُوا بِهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنَّهَا شَافِعَةٌ مُشَفَّعَةٌ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَكْثَرَ مَسْأَلَةَ الْجَنَّةِ قَالَتِ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ، عَبْدُكَ هَذَا الَّذِي سَأَلَنِيكَ فَأَسْكِنْهُ إِيَّايَ. وَتَقُولُ النَّارُ: يَا رَبِّ، عَبْدُكَ هَذَا الَّذِي اسْتَعَاذَ بِكَ مِنِّي فَأَعِذْهُ مِنِّي﴾ وعنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا اسْتَجَارَ عَبْدٌ مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ إِلَّا قَالَتِ النَّارُ؟ يَا رَبِّ، إِنَّ عَبْدَكَ فُلَانًا قَدِ اسْتَجَارَ مِنِّي فَأَجِرْهُ. وَلَا سَأَلَ عَبْدٌ الْجَنَّةَ سَبْعَ مَرَّاتٍ إِلَّا قَالَتِ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ، إِنَّ عَبْدَكَ فُلَانًا سَأَلَنِي فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ﴾ وعن كليب بن حرب، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿اطْلُبُوا الْجَنَّةَ جُهْدَكُمْ، وَاهْرُبُوا مِنَ النَّارِ جُهْدَكُمْ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَنَامُ طَالِبُهَا، وَإِنَّ النَّارَ لَا يَنَامُ هَارِبُهَا، وَإِنَّ الْآخِرَةَ الْيَوْمَ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ، وَإِنَّ الدُّنْيَا مَحْفُوفَةٌ بِاللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ، فَلَا تُلْهِيَنَّكُمْ عَنِ الْآخِرَةِ﴾ وعن أبي هريرة مرفوعا: ﴿مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهَ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهَ الْجَنَّةُ﴾ وعن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهَ إِلَّا الْجَنَّةُ﴾ وعن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿أَكْثَرُ مَا يَلِجُ بِهِ الْإِنْسَانُ النَّارَ الْأَجْوَفَانِ ؛ الْفَرْجُ وَالْفَمُ، وَأَكْثَرُ مَا يَلِجُ بِهِ الْإِنْسَانُ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللهَ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ﴾ وعن أبي أحمد الزبيري قال: كتب رجل إلى الثوري: أن عظني فأوجز، فكتب إليه: عافانا الله وإياك من السوء كله، يا أخي! إن الدنيا غمها لا يفنى، وفرحها لا يدوم، وفكرها لا ينقضي، فاعمل لنفسك حتى تنجو، ولا تتوانى فتعطب، والسلام.

مراجع: النهاية في الفتن والملاحم/ صحيح البخاري/ التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ من أعلام السلف/ البداية والنهاية

حدث الفضل بن الربيع فقال: كنت بمنزلي ذات يوم وقد تهيأت للنوم، فإذا بقرع شديد على بابي. فقلت: من هذا؟ فقال الطارق: أجب أمير المؤمنين. فخرجت مسرعا أتعثر في خطي، فإذا بالرشيد قائما على بابي، وفي وجهه تجهم حزين. فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي لأتيتك! فقال: ويحك قد حاك في نفسي شيء أطار النوم من أجفاني وأزعج وجداني، شيء لا يذهب به إلا عالم تقي من زهادك، فأنظر لي رجل أسأله. قال الربيع: فجئت به إلى الفضيل بن عياض[1]،وإذا هو قائم يصلي في غرفته، وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية] فقال الرشيد: إن انتفعنا بشيء فبهذا. فقرعت الباب. فقال الفضيل: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين. فقال: ما لي ولأمير المؤمنين! فقلت: سبحان الله، أم عليك طاعته!؟ فقال: أوليس قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿لَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ﴾ فنزل ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا الغرفة. فجعلنا نجول عليه بأيدينا، فسبقت كف الرشيد كفي إليه. فقال: آواه من كف ما ألينها إن نجت من عذاب الله. فقال الرشيد: خذ فيما جئناك به يرحمك الله. فقال له الفضيل بن عياض: وفي ما جئت؟وقد حملت نفسك ذنوب الرعية التي سمتها هوانا، وجميع من معك من بطانتك وولاتك تضاف ذنوبهم يوم الحساب إلى ذنوبك، فبك بغوا وبك جاروا وهم مع هذا أبغض الناس لك وأسرعهم فرار منك يوم الحساب، حتى لو سألتهم عند انكشاف الغطاء عنك وعنهم أن يحملوا عنك سقطًا (جزءا) من ذنب ما فعلوه، ولكن أشدهم حبا لك أشدهم هربا منك. ثم قال: إن عمر بن عبد العزيز، لم ولي الخلافة، دعا سالم بن عبد الله[2]،ومحمد بن كعب[3]،ورجاء بن حيوة[4]،فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشروا علي. فعد الخلافة بلاء، وعددتها أنت وأصحابك نعمة. فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن أفطارك فيها الموت. وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبا، وأوسطهم عندك أخا، واصغرهم عندك ابنا، فوقر أباك، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك. وقال رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله، فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إن شئت. وإني أقول لك يا هارون: إني أخاف عليك أشد الخوف يوما تزل فيه الأقدام. فهل معك مَن يأمرك بمثل هذا ؟ فبكى هارون. قال الربيع، فقلت: أرفق بأمير المؤمنين. فقال: تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا! ثم قال: يا أمير المؤمنين، بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكا إليه سهرًا فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: يا أخي، اذكر سهر أهل النار في النار وخلود الأبد، فإن ذلك يطرد بك إلى ربك نائمًا ويقظان، وإياك أن تزلَّ قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك، فلمَّا قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه. فقال له عمر: ما أقدمك؟ قال له: خلعت قلبي بكتابك لا وليت لك ولاية أبدًا حتى ألقى الله تعالى. فبكى هارون بكاءً شديدًا ثم قال: زدني. فقال: يا أمير المؤمنين قد سأل العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم الإمارة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ النَّبِيِّ، نَفْسٌ تُحْيِيهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا﴾ إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميرًا فافعل. فبكى هارون الرشيد بكاءً شديدًا ثم قال: زدني يرحمك الله. فقال: يا حسن الوجه، أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه فافعل، وإياك أن تصبح أو تمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ أَصْبَحَ لِهُمْ غاشًّا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةُ الجَنَّةِ﴾ فبكى الرشيد ثم قال: هل عليك دين؟ فقال: نعم. دين لربي لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألني والويل لي إن ناقشني والويل لي إن لم ألهم حجتي. فقال الرشيد: إنما أعني دين العباد. فقال: إن ربي لم يأمرني بهذا. وقد قال عز و جل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات] فقال الرشيد: هذه ألف دينار، خذها وأنفقها على عيالك وتقوى بها على عبادتك. قال: سبحان الله!. أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا! قال بن الربيع: فخرجنا من عنده. فقال هارون: إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا. هذا سيد المسلمين اليوم. ويحكى أن الرشيد قال له يوما: ما أزهدك! فقال الفضيل: أنت أزهد مني. قال: وكيف ذلك؟. قال: لأني أزهد في الدنيا وأنت تزهد في الآخرة والدنيا فانية والآخرة باقية.

---

(1) أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الأصل، الفنديني، الزاهد المشهور، كان في أول أمره شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينا هو يرتقي الجدران إليها سمع تاليا يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد] فقال: يارب قد آن، فرجع، وآواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة، فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا، فتاب الفضيل وآمنهم. وكان من كبار السادات، ومناقب الفضيل كثيرة. ومولده بأبيورد، وقيل بسمرقند، ونشأ بأبيورد وقدم الكوفة وسمع الحديث بها، ثم انتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن مات في المحرم سنة 187هـ.

(2) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أمه أم ولد، يكنى أبو عبد الله، ويقال: أبو عبيد الله ويقال: أبو عمر العدوي المدني الفقيه قدم الشام على عبد الملك بن مروان بكتاب أبيه بالبيعة له، وعلى الوليد بن عبد الملك، وعلى عمر بن عبد العزيز. وكان أشبه أولاد أبيه به، عن مالك قال لم يكن أحد في زمن سالم بن عبد الله أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والقصد والعيش منه. أسند سالم عن أبيه وأبي أيوب وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة. روى عن أبيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق ورافع بن خديج وأبي هريرة . توفي سنة 106 هـ. ووافق موته حج هشام، فصلى عليه وكان في طريق عودته من الحج، بالمدينة.ودُفن بالبقيع.

(3) محمد بن كعب القرظي أبو حمزة أو أبو عبد الله. وقد ولد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، اسند محمد بن كعب عن زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأبي هريرة وانس وابن عباس وعبد الله بن يزيد الخطمي في آخرين من الصحابة. قال الواقدي مات سنة 117 هـ أو 118 هـ وقال غيره سنة 129 هـ وقيل كان يقص على أصحابه فسقط المسجد عليه وعليهم فقتلهم رحمهم الله.

(4) رجاء بن حيوة الكندي أبو المقدام، ويقال أبو نصر، وهو تابعي جليل، كبير القدر، ثقة فاضل عادل، وزير صدق لخلفاء بني أمية، روى عن أبي صالح السمان. روى عنه محمد بن عجلان. توفي سنة 112 هـ. وكان مكحول إذا سئل يقول: سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوه في الرواية، وله روايات وكلام حسن.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿يَوْمٌ مِنْ إِمَامٍ عَدْلٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً، وَحَدٌّ يُقَامُ فِي الْأَرْضِ بِحَقِّهِ أَزْكَى مِنْ مَطَرِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا﴾ ولذلك قال ابن تيمية: ﴿إِنَّ اللهَ يُقِيمُ الدَّوْلَةَ العَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُشركة وَيُبْلِكُ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُؤْمِنَةً – وفي رواية:- إِنَّ اللهَ يُقِيمُ الدَّوْلَةَ العَادِلَةَ وَإِنَّ كَانَتْ كَافِرَةً وَلَا يُقِيمُ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً﴾ وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ عُقُوبَتَهُ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لِصَاحِبِهِ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ﴾ فالباغي يصرع في الدنيا وإن كان مغفورا له مرحوما في الآخرة، وذلك أن العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة. وقد قالت الحكماء: من حرم العدل فلا خير له ولا للناس في سلطانه. يقول الله تعالى:﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود] (وما كان ربك ليهلك القرى) أي أهل القرى (بظلم) أي بشرك وكفر (وأهلها مصلحون) أي فيما بينهم في تعاطي الحقوق، أي لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف إليه الفساد، كما أهلك قوم شعيب ببخس المكيال والميزان، وقوم لوط بالشذوذ، ودل هذا على أن المعاصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك، وإن كان عذاب الشرك في الآخرة أصعب. وفي صحيح الترمذي من حديث أبي بكر الصديق قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ وإن كان علماء الاستبداد يفسرون مادة الصلاح والإصلاح بكثرة التعبد كما حولوا معنى مادة الفساد والإفساد: من تخريب نظام الله إلى التشويش على المستبدين. روي أن سعد بن إبراهيم وأبا سلمة بن عبد الرحمن ومحمد بن مصعب بن شرحبيل ومحمد بن صفوان، قالوا لسعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت:﴿لِقَضَاءِ يَوْمٌ بِالحَقِّ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ صَلَوَاتِكَ عُمُرَكَ﴾وتتضح صحة هذه الأقوال إذا وقفت على ما نالته الرعية من الصلاح بصلاح الحاكم.﴿وَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ رُتْبَةِ السُّلْطَانِ العَادِلِ رُتْبَةٌ وَخَيْرُهُ يَعُمُّ كَذَلِكَ لَيْسَ دُونَ رُتْبَةِ السُّلْطَانُ الشِّرِّيرُ الجَائِرُ رُتْبَةٌ وَشَرُّه يَعُمُّ﴾ لما استأذن الهرمزان على عمر بن الخطاب لم يجد عنده حاجباً ولا بواباً فقيل له: هو في المسجد، فأتى المسجد فوجده مستلقياً متوسداً كوماً من الحصى ودرته بين يديه، فقال له الهرمزان:﴿يَا عُمَر عَدَلْتُ فَأَمِنْتُ فَنِمْتُ!﴾ قال الحسن بن علي: ﴿رَأَيْتُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقَدْ جَمَعَ الحَصَى فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ رَأْسِهِ وَقَدْ وَضَعَ إِحْدَى جَانِبَيْهِ رِدَائِهِ عَلَيْهِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا عِنْدَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَدُرَّتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ خطب سعيد بن سويد بمحص، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إن للإسلام حائطا منيعا، وبابا وثيقا. فحائط الإسلام الحق وبابه العدل، ولا يزال الإسلام منيعا ما اشتد السلطان، وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذ بالعدل.

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وابن السماك (١)[108]

قال أحمد بن أبي الحواري:[1] سمعت رجلاً يحدث عن ابن السماك[2] قال: بعث إلي هارون، فلما انتهيت إلى باب القصر أخذ حرسيان بضبعي فأعجلا بي في دهليز القصر، فلما انتهيت إلى باب القاعة لقيني خصيان ضخمان فأخذاني من الحرسيين فأعجلا بي في قاعة القصر، فانتهيت إلى البهو الذي هو فيه، فتلقاني خصيان دونهما فأخذاني فأعجلا بي في البهو، فقال لهما هارون: رفقاً بالشيخ. فلما وقفت بين يديه قلت له: يا أمير المؤمنين، ما مر بي يوم منذ ولدتني أمي أتعب من يومي هذا! فاتق الله في خلقه واحفظ محمداً صلى الله عليه وسلم في أمته، وانصح لنفس في رعيتك، فإن لك مقاماً بين يدي الله تعالى أنت فيه أذل من مقامي هذا بين يديك، فاتق الله واعلم أن الله آخذ سطواته وانتقامه من أهل معاصيه، قال: فاضطرب على فراشه حتى نزل إلى مصلى بين يدي فراشه. فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا ذل الصفة فكيف لو رأيت ذل المعاينة؟ قال: فكادت نفسه تخرج، وكان يحيى بن خالد[3] إلى جنبه، فقال للخصيين: أخرجاه فقد أبكى أمير المؤمنين.ثم دخل مرة أخرى فقال له: يا أمير المؤمنين إن الذي أكرمك بما أكرمك به لحقيق عليك أن تحب ما أحبه وتبغض ما أبغضه، فوالله لقد أحب الله داراً وأبغضتها وأبغض داراً وأحبتها، فكأنما أردت خلاف ربك أو أردت سواه. واعلم يا أمير المؤمنين أن الذي في يديك لو بقي على من كان قبلك لم يصل إليك، فكذلك لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك، فاتق الله في خلافته واحفظ وصية محمد صلى الله عليه وسلم في أمته.

قال أبو المغيرة بن شعيب: حضرت يحيى بن خالد البرمكي يقول لابن السماك: إذا دخلت على هارون أمير المؤمنين فأوجز ولا تكثر عليه. قال: فلما دخل عليه وقام بين يديه قال: يا أمير المؤمنين إن لك بين يدي الله تعالى مقاماً وإن لك من مقامك منصرفاً، فانظر إلى أين منصرفك، إلى الجنة أم إلى النار؟ قال: فبكى هارون حتى كاد يموت.

---

(2) ابن السماك هو أبو العباس محمد بن صبيح المذكر مولى بني عجل، المعروف بابن السماك القاص الكوفي الزاهد المشهور؛ كان زاهدا عابدا حسن الكلام صاحب مواعظ، جمع كلامه وحفظ، ولقي جماعة من الصدر الأول وأخذ عنهم: مثل هشام بن عروة والأعمش وغيرهما. وروى عنه أحمد بن أحمد بن حنبل وأنظاره؛ وهو كوفي قدم بغداد زمن هارون الرشيد فمكث بها مدة، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة 183هـ

(3) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة .

(1) أحمد بن أبي الحواري بن ميمون. يكنى أبا الحسن، سكن دمشق وكان له ابن يقال له عبد الله من الزهاد، وأخ يقال له محمد يشبهه في الورع والزهد. وأبوه أبو الحواري من أهل الورع أيضا. فبيتهم بيت الورع والزهد. أسند أحمد بن أبي الحواري عن حفص بن غياث وأبي معاوية ووكيع ونظرائهم. وتوفي سنة 230 هـ.

عن أبي هريرة، قال: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم:﴿وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا﴾ (ما أعلم) من الأحوال والأهوال التي تكون عند النزع وفي القبر ويوم القيامة. وعن الحسن البصري: من علم أن الموت مورده والقيامة موعده والوقوف بين يدي الله تعالى مشهده فحقه أن يطول في الدنيا حزنه. وعن أبي الدرداء، قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم تبكون لا تدرون تنجون أو لا تنجون. وعن أبي طلحة، قال: قدم أنس بن مالك الكوفة، فاجتمعنا عليه، قال: فقلنا: حدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وهو يقول: أيها الناس، انصرفوا عني، حتى ألجأنا إلى حائط القصر، فقال: لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا، ولضحكتم قليلا، أيها الناس، انصرفوا عني، فانصرفنا عنه. قال عبد الأعلى التيمي: ﴿ثَيْتَانِ قَطَعَا عَنِّي لَذَاذَةَ الدُّنْيَا: ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَالْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا ابْنَ آدَمَ لا تَزُولُ قَدَمَاكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ حَتَّى تُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عُمُرِكَ فِيمَا أَفْنَيْتَهُ، وَجَسَدِكَ فِيمَا أَبْلَيْتَهُ، وَمَالِكَ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتَهُ، وَأَيْنَ أَنْفَقْتَهُ﴾ وعن سعد ابن جنادة قال:﴿لَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، نَزَلْنَا قَفْرًا مِنَ الْأَرْضِ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجْمَعُوا، مَنْ وَجَدَ عُودًا فَلْيَأْتِ بِهِ، وَمَنْ وَجَدَ حَطَبًا أَوْ شَيْئًا فَلْيَأْتِ بِهِ، قَالَ: فَمَا كَانَ إِلَّا سَاعَةً حَتَّى جَعَلْنَاهُ رُكَامًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَرَوْنَ هَذَا؟ فَكَذَلِكَ تُجْمَعُ الذُّنُوبُ عَلَى الرَّجُلِ مِنْكُمْ كَمَا جَمَعْتُمْ هَذَا، فَلْيَتَّقِ اللهَ رَجُلٌ وَلَا يُذْنِبْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً، فَإِنَّهَا مُحْصَاةٌ عَلَيْهِ﴾.

مراجع: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ تفسير ابن كثير/ سراج الملوك/ شعب الإيمان/ سير أعلام النبلاء/ مصنف ابن أبي شيبة/ فتح الباري لابن حجر

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وابن السماك (٢)[109]

دخل ابن السماك [1] على هارون الرشيد فقال له: عظني. قال: يا أمير المؤمنين، إن الله لم يرضَ لخلافته في عباده غيرك فلا ترضَ من نفسك إلا بما رضي الله به عنك، فإنك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت أَوْلَى الناس بذلك، يا أمير المؤمنين، مَن طلب فِكَاك رقبته في مهلة من أجله كان خليقًا أن يعتق نفسه، يا أمير المؤمنين مَن ذوَّقته الدنيا حلاوته بركون منه إليها أذاقته الآخرة مرارتها بتجافيها. يا أمير المؤمنين، ناشدتك الله أن تقدِم إلى جنة عرضها السماوات والأرض وقد دُعيت إليها وليس لك فيها نصيب. يا أمير المؤمنين، إنك تموت وحدك، وتحاسَب وحدك، وإنك لا تقدم إلى على نادم مشغول، ولا تخلف إلا مفتونًا مغرورًا، وإنك وإيانًا في دار سفر وجيران ظعن.

قدم هارون الرشيد الكوفة فكتب قوما من القراء فأمر لكل واحد منهم بألفي درهم فكان داود الطائي [2] ممن كتب فيهم ودعي باسمه أين داود الطائي فقالوا: داود يجيبكم أرسلوا إليه، قال ابن السماك وحماد بن أبي حنيفة: [3] نحن نذهب إليه، قال ابن السماك لحماد في الطريق: إذا نحن دخلنا عليه فانثرها بين يديه فإن للعين حظها، فقال حماد: رجل ليس عنده شيء يؤمر له بألفي درهم يردها!! فلما دخلوا عليه فنثروها بين يديه قال: سوءة، إنما يفعل هذا بالصبيان، وأبى أن يقبلها.

---

(1) ابن السماك هو أبو العباس محمد بن صبيح المذكر مولى بني عجل، المعروف بابن السماك القاص الكوفي الزاهد المشهور؛ كان زاهدا عابدا حسن الكلام صاحب مواعظ، جمع كلامه وحفظ، ولقي جماعة من الصدر الأول وأخذ عنهم: مثل هشام بن عروة والأعمش وغيرهما. وروى عنه أحمد بن أحمد بن حنبل وأنظاره؛ وهو كوفي قدم بغداد زمن هارون الرشيد فمكث بها مدة، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة 183هـ.

(2) أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي؛ سمع عبد الملك بن عمير وحبيب بن أبي عمرة وسليمان الأعمش ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى؛ روى عنه إسماعيل بن عيينة ومصعب بن المقدام وأبو نعيم الفضل بن دكين وغيرهم؛ وكان داود ممن شغل نفسه بالعلم ودرس الفقه وغيره من العلوم ثم اختار بعد ذلك العزلة وآثر الانفراد والخلوة فلزم العبادة واجتهد فيها إلى آخر عمره، وقدم بغداد في أيام المهدي ثم عاد إلى الكوفة وفيها كانت وفاته؛ وتوفي في سنة 165 هـ في خلافة المهدي.

(3) حماد بن أبي حنيفة النعمان بن ثابت، تفقه على أبيه وأفتى في زمانه، وكان الغلب عليه الورع والزهد واستقضي على الكوفة.

عن صالح بن رستم، قال: سمعت الحسن، يقول:﴿رَحِمَ اللهُ رَجُلًا لَمْ يَغُرَّهُ كَثْرَةُ مَا يَرَى مِنْ كَثْرَةِ النَّاسِ ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ تَمُوتُ وَحْدَكَ وَتَدْخُلُ الْقَبْرَ وَحْدَكَ وَتُبْعَثُ وَحْدَكَ وَتُحَاسَبُ وَحْدَكَ، ابْنَ آدَمَ وَأَنْتَ الْمُعْنِيُّ وَإِيَّاكَ يُرَادُ﴾ قال المبارك بن فضالة، سمعت الحسن، يقول: ﴿ابْنَ آدَمَ طِ الْأَرْضَ بِقَدَمِكَ فَإِنَّهَا عَنْ قَلِيلٍ، قَبْرُكَ، إِنَّكَ لَمْ تَزَلْ فِي هَدْمِ عُمُرِكَ مُنْذُ سَقَطْتَ مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ﴾ وعن الحسن، قال: ﴿لَا تُخَالِفُوا اللهَ عَنْ أَمْرِهِ، فَإِنَّ خِلَافًا عَنْ أَمْرِهِ، عِمْرَانُ دَارٍ قُضِيَ عَلَيْهَا الْخَرَابُ﴾ وعنه قال: ﴿أَبَى اللهُ تَعَالَى أَنْ يُعْطِيَ، عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بِعِوَضِ خَطَرٍ مِثْلِهِ مِنْ بَلَاءٍ إِمَّا عَاجِلًا وَإِمَّا آجِلًا﴾ وعن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿يُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ كَانَ بَلَاءً فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُقَالُ اللهُ: اصْبُغُوهُ صِبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ فِيهَا صِبْغَةً فَيُقَالُ اللهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ أَوْ شَيْئًا تَكْرَهُهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَكْرَهُهُ قَطُّ ثُمَّ يُؤْتَى بِأَنْعَمِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ: اصْبُغُوهُ صِبْغَةً فِي النَّارِ فَيُصْبَغُ فِيهَا فَيُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ قَطُّ قُرَّةَ عَيْنٍ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ مَا رَأَيْتُ خَيْرًا قَطُّ﴾ وعن خلف بن حَوْشَبٍ قال، قال عيسى، عليه السلام للحواريين:﴿كَمَا تَرَكَ لَكُمُ الْمُلُوكُ الْحِكْمَةَ، فَكَذَلِكَ فَاتْرُكُوا هُمُّ الدُّنْيَا﴾ وعن ابن عمر قال، قال عيسى، عليه السلام، للحواريين:﴿كُلُوا خُبْزَ الشَّعِيرِ، وَاشْرَبُوا الْمَاءَ الْقَرَاحَ، وَاخْرُجُوا مِنَ الدُّنْيَا سَالِمِينَ آمِينَ، لَحَقٌّ مَا أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ حَلَاوَةَ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ، وَإِنَّ مَرَارَةَ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ، وَإِنَّ عِبَادَ اللهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ، لَحَقٌّ مَا أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ شَرَّكُمْ عَالِمٌ يُؤْثِرُ هَوَاهُ عَلَى عِلْمِهِ، يَوَدُّ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ مِثْلُهُ﴾ وقال أحمد بن حرب:﴿عَبَدْتُ اللهَ خَمْسِينَ سَنَةً، فَمَا وَجَدْتُ حَلَاوَةَ الْعِبَادَةِ حَتَّى تَرَكْتُ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ: تَرَكْتُ رِضَى النَّاسِ حَتَّى قَدِرْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ، وَتَرَكْتُ صُحْبَةَ الْفَاسِقِينَ حَتَّى وَجَدْتُ صُحْبَةَ الصَّالِحِينَ، وَتَرَكْتُ حَلَاوَةَ الدُّنْيَا حَتَّى وَجَدْتُ حَلَاوَةَ الْآخِرَةِ﴾ قال: فضيل بن عياض: ﴿فَرَحُكَ بِالدُّنْيَا لِلدُّنْيَا يَذْهَبُ بِحَلَاوَةِ الْعِبَادَةِ، وَهَمُّكَ بِالدُّنْيَا يَذْهَبُ بِالْعِبَادَةِ كُلِّهَا﴾ وقال مالك بن دينار:﴿حُزْنُكَ عَلَى الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا يَذْهَبُ بِحَلَاوَةِ الْآخِرَةِ مِنْ قَلْبِكَ، وَفَرَحُكَ بِالدُّنْيَا لِلدُّنْيَا يَذْهَبُ بِحَلَاوَةِ الْآخِرَةِ مِنْ قَلْبِكَ﴾ وقال فضيل بن عياض:﴿كُلُّ حَزْنٍ يَبْلَى، إِلَّا حُزْنَ التَّائِبِ﴾ وقال يزيد الرقاشي: ﴿الدُّعَاءُ الْمُسْتَجَابُ الَّذِي تُهَيِّجُهُ الْأَحْزَانُ، وَمِفْتَاحُ الرَّحْمَةِ التَّضَرُّعُ﴾ وعن شريح بن عبيد الحضرمي، أن أبا مالك الأشعري لما حضرته الوفاة قال: ﴿يَا سَامِعَ الْأَشْعَرِيِّينَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: حُلْوَةُ الدُّنْيَا مُرَّةُ الْآخِرَةِ، وَمُرَّةُ الدُّنْيَا حُلْوَةُ الْآخِرَةِ﴾ عن حوشب، قال: سمعت الحسن، يقول:﴿وَاللهِ لَقَدْ عَبَدَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْأَصْنَامَ بَعْدَ عِبَادَتِهِمْ لِلرَّحْمَنِ تَعَالَى بِحُبِّهِمُ الدُّنْيَا﴾.

كان ابن السماك يقول: من أذاقته الدنيا حلاوتها لميله إليها جرعته الآخرة مرارتها لتجافيه عنها. وقال: إن استطعت أن تكون كرجل ذاق الموت وعاش ما بعده فسأل الرجعة فأسعف بطلبه وأعطي حاجته فهو متأهب مبادر، فافعل فإن المغبون من لم يقدم من ماله شيئاً ومن نفسه لنفسه. وقال علي رضي الله عنه: الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضى إحداهما تسخط الأخرى. وقال: الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب. وقال الحسن البصري: والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت إلى ذا أو ذهبت إلى ذا. وقال الفضيل بن عياض: لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالا لا أحاسب عليها في الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه. وقال سفيان الثوري: خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك.

دخل الحسن على عبد الله بن الأهتم يعوده في مرضه، فرآه يصعد بصره في صندوق في بيته ويصوبه، ثم التفت إلى الحسن فقال: أبا سعيد، ما تقول في مائة ألف في هذا الصندوق لم أؤد منها زكاة ولم أصل منها رحما؟ فقال له: ثكلتك أمك! ولمن كنت تجمعها؟ قال: لروعة الزمان، وجفوة السلطان، ومكاثرة العشيرة. ثم مات، فشهد الحسن جنازته، فلما فرغ من دفنه ضرب بيده على القبر ثم قال: انظروا إلى هذا، أتاه شيطانه فحذره روعة زمانه، وجفوة سلطانه، ومكاثرة عشيرته، عما استودعه الله إياه، وغمره فيه، انظروا إليه يخرج منها مذموما مدحورا. ثم قال: أيها الوارث، لا تخدعن كما خدع صويحبك بالأمس، أتاك هذا المال حلالا فلا يكونن عليك وبالا، أتاك عفوا صفوا، ممن كان له جموعا منوعا؛ من باطل جمعه، ومن حق منعه؛ قطع فيه لجج البحار، ومفاوز القفار؛ لم تكدح فيه بيمين، ولم يعرق لك فيه جبين؛ إن يوم القيامة يوم حسرة وندامة، وإن من أعظم الحسرات غدا أن ترى مالك في ميزان غيرك؛ فيالها حسرة لا تقال، وتوبة لا تنال. وقيل لعبد الله بن عمر: توفي زيد بن حارثة وترك مائة ألف. قال: لكنها لا تتركه.

لما مات داود جاء ابن السماك ووقف على قبره ثم قال: أيها الناس إن أهل الزهد في الدنيا تعجلوا الراحة على أبدانهم مع يسير الحساب غدا عليهم، وإن أهل الرغبة فيها تعجلوا التعب على أبدانهم مع ثقل الحساب غدا عليهم، والزهادة راحة لصاحبها في الدنيا والآخرة، والرغبة تعب لصاحبها في الدنيا والآخرة؛ رحمك الله أبا سليمان ما كان أعجب شأنك، ألزمت نفسك الصبر حتى قومتها: أجعتها وإنما تريد شبعها، وأظمأتها وإنما تريد ريها، أخشنت المطعم وإنما تريد طيبه، أخشنت الملبس وإنما تريد لينه؛ أبا سليمان: أما كنت تشتهي من الطعام طيبه، ومن الماء باردة، ومن اللباس لينه بلى ولكن أخرت ذلك لما بين يديك، فما أراك إلا قد ظفرت بما طلبت وما إليه رغبت، فما أيسر ما ضيعت، وأحقر ما فعلت في جنب ما أملت، فمن سعى مثلك عزم عزمك وصبر صبرك، آنس ما يكون إذا كنت بالله خاليا وأوحش ما يكون آنس ما يكون الناس. سمعت الحديث وتركت الناس يحدثون وتفهمت في دين الله وتركتهم يفتون. لا تقبل من السلطان عطية، ولا من الإخوان هدية، سجنت نفسك في بيتك فلا محدث لك، ولا ستر على بابك، فلو رأيت جنازتك وكثرة تابعك علمت أنه قد شرفك وأكرمك وألبسك رداء عملك، فلو لم يرغب عبد في الزهد في الدنيا إلا لمحبة هذا الستر الجميل والتابع الكثير لكان حقيقا بالاجتهاد، فسبحان من لا يضيع مطيعا ولا ينسى لأحد صنيعا. وقيل إن ابن السماك لما قام على قبر داود قال: رحمك الله يا داود! كنت تسهر ليلك والناس نائمون، وكنت تربح إذ الناس يخسرون، فقال الناس جميعا: صدقت؛ وكنت تسلم إذ الناس يخوضون، فقال الناس جميعا: صدقت؛ حتى عدد فضائله كلها. ولما فرغ قام أبو بكر النهشلي [1] فحمد الله ثم قال: يا رب إن الناس قد قالوا ما عندهم مبلغ ما علموا، اللهم فاغفر له برحمتك ولا تكله إلى عمله، وفرغ من دفنه وقام الناس.

أبو بكر النهشلي الكوفي، من علماء الكوفة. في اسمه أقوال، ولا يعرف إلا بكنيته. وأصح ما قيل في اسمه: عبد الله. وهو الذي يقول فيه وكيع: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي القطاف. قالوا: توفي النهشلي سنة 166 هـ

مراجع: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ البداية والنهاية/ سير أعلام النبلاء/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ صفة الصفوة/ إحياء علوم الدين/ وفيات الإعيان/ الجامع للأعلام والمؤلفات/ الهم والحزن لابن أبي الدنيا/ مصنف ابن أبي شيبة

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وجعفر بن محمد؟ [110]

روي أن جعفر بن محمد [1] دخل على الرشيد وقد استخفه الغضب فقال: يا أمير المؤمنين، إنك إنما تغضب لله تعالى فلا تغضب له بأكثر من غضبه لنفسه واعلم أرشدك الله تعالى أن هذه الكلمة لا قيمة لها، والله أعلم حيث يضع رسالته، فما أفخمها وأجل قدرها وأعظم شأنها! لأنك إذا كنت أيها السلطان إنما تتصرف في ملك الله بأمر الله، فالله تعالى قد حدد حدوداً وشرع شرائع، وأقام فروضاً وسناً ونهى عن حدود ورسوم، ثم قدر في كل خصلة عند مخالفته حداً محدوداً، ونهى أن يتجاوز ذلك الحد، فلا تقتل من استحق القطع والحبس والأدب والحد، ولا تحبس غير من استحق الحبس. وكانت الخلفاء يؤدبون الناس على قدر منازلهم، فمن عثر من ذوي المروءات أقيلت عثرته ولم يقابل بشيء، لقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ إِلَّا الْحُدُودَ﴾ ومن سواهم كان يقابل على قدر منزلته وهفوته، فكان يقام قائماً في مجلس يقعد فيه نظراؤه فتكون هذه عقوبته، وآخر يشق جيبه وآخر تنزع عمامته من على رأسه، وآخر يكلم بالكلام الذي فيه بعض الغلظة.

➔ الإمام المسدد جعفر بن محمد...؟ هل هو: جعفر بن محمد بن الأشعث (صاحب خاتم الخلافة أو ديوان الخاتم) الذي ولاه الرشيد على خراسان؟؟.. طبعا هذا ليس جعفر الصادق الذي توفي سنة 148 هـ .!.وهارون الرشيد ولد سنة 149 هـ

عن أم المؤمنين عائشة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ إِلَّا الْحُدُودَ﴾ وعن ابن عباس ولفظه: ﴿ادْرَءُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ، وَأَقِيلُوا الْكِرَامَ عَثَرَاتِهِمْ إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ﴾ (أقيلوا) أمر من الإقالة (ذوي الهيئات عثراتهم) بفتحتين أي زلاتهم (إلا الحدود) أي إلا ما يوجب الحدود، قال الشافعي في تفسير ذوي الهيئة: هو من لم يظهر منه ذنبه. وقال ابن الملك: الهيئة الحالة التي يكون عليها الإنسان من الأخلاق المرضية. وقال القاضي: الهيئة في الأصل صورة أو حالة تعرض لأشياء متعددة فيصير بسببها مقولا عليها إنها واحدة ثم يطلق على الخصلة، فيقال لفلان هيئات أي خصال، المراد بذوي الهيئات أصحاب المروءات والخصال الحميدة، وقيل: ذوو الوجوه بين الناس. والمعني بهم الأشراف، وقيل: أهل الصلاح والورع، وقيل: خوفا كأنه عليه الصلاة والسلام خاف تغير الزمان، وميل الناس إلى المداهنة مع الأكابر في التجاوز والستر إلى أن يتركوا إقامة الحدود عليهم، وعلى من يلازمهم منهم أو طمعا فيهم، فأمرهم أن يقيموا الحدود عليهم كيا يقيمون على السوقة، فإن وقع العفو فليقع فيما لا يوجب الحد.عن أم المؤمنين عائشة: ﴿أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمُ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَلَّمَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا﴾ وفي رواية أخرى عن أم المؤمنين عائشة، قالت: ﴿سَرَقَتِ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، فَأُتِيَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُهُ فِيهَا؟ قَالُوا: أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَتَاهُ فَكَلَّمَهُ، فَزَبَرَهُ وَقَالَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الْوَضِيعُ قَطَعُوهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُهَا﴾.

قال بعض الحكماء: احذروا الغضب، فرب غضب استحق الغضبان به غضب الله تعالى. وقال أكثم بن صيفي: لا يكون الرجل حليما حتى يقول السفيه أنه لضعيف مستذل، ولا يكون مخلصا حتى يقول الأحمق أنه لمفسد. ووصف أعرابي رجلا فقال: أحلم من فرخ طائر. وقال أعرابي: إن الغضب عدو العقل، ولذلك يحول بين صاحبه وبين العقل. وقال صعصعة بن صوحان: الغضب مرقدة العقل، فربما أصلده وربما أربده. وقال أعرابي: إذا جاء الغضب تسلط العطب. وكان ابن عون إذا غضب على أحد قال: سبحان الله بارك الله فيك! وقال الأصمعي: دفع أزدشير إلى رجل كان يقوم على رأسه كتابا وقال: إذا رأيتني قد اشتد غضبي فادفعه إلي. فكان فيه: اسكن فلست بإله، إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا، وتصير عن قريب للدود والتراب! وهذه السيرة أول من سنها ملك تبع، أمر أن يكتب في كتاب: اسكن فلست بإله! وقال لصاحبه: إذا غضبت فاعرضه علي. فكان إذا غضب عرضه عليه، فإذا قرأه سكن غضبه. وقال معاوية: أفضل ما أعطي الرجل العقل والحلم، فإذا ذكر ذكروا وإذا أعطى شكر، وإذا ابتلي صبر وإذا غضب كظم، وإذا قدر عفا وإذا أساء استعفى وإذا وعد أنجز. ومن كلام الحكماء: من أطاع الغضب حرم السلامة، ومن عصى الحق غمره الذل. وقال بعض الحكماء: كظم الغيظ حلم والحلم صبر، والتشفي ضرب من الجزع. وقال آخر: أول الغضب جنون وآخره ندم. وقال بعض الحكماء: إذا غلب على الرجل أربع خصال فقد عطب: الرغبة والرهبة والشهوة والغضب. وقيل لبعض الصالحين: إن فلانا يقع فيك بقول. فقال: لأغيظن من أمره يغفر الله لي وله! قيل له: ومن أمره؟ قال: الشيطان. وقال رجل لأخيه: إني مررت بفلان وهو يقع فيك ويذكرك بأشياء رحمتك منها. قال: فهل سمعتني أذكره بشيء؟ قال: لا. قال: فإياه فارحم، وقال الفضيل: ثلاثة لا يلامون على الغضب: المريض والصائم والمسافر. وقال المسيح عليه السلام: ما حلم من لم يصبر عند الجهل، وما قوة من لم يرد الغضب، وما عبادة من لم يتواضع للرب تعالى؟ ويروى عن جرير بن عبد الله: بينما هو راكب قد أردف ابنه إذ لقيه رجل فنال منه وجرير ساكت، فلما ولي قال له ابنه: يا أبت لم سكت عنه؟ قال له: يا بني إذن أوسع جرحي. وقالت الحكماء: متى أشفي غيظي، أحين أقدر فيقال لو عفوت، أم حين أعجل فيقال لو صبرت؟ وقال الشعبي: الجاهل خصم والحليم حاكم.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ البداية والنهاية / السنن الكبرى للنسائي/ صحيح البخاري/ سراج الملوك

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وعبيد الله العمري [111]

يروى أن رجلاً قال لعبيد الله العمري:[1] هذا هارون الرشيد في الطواف قد أخلي له المسعى، فقال له: لا جزاك الله عني خيراً كلفتني أمراً كنت عنه غنياً! ثم جاء إليه فقال: يا هارون! فلما نظر إليه قال: لبيك يا عم! قال: كم ترى ههنا من خلق الله تعالى؟ قال: لا يحصيهم إلا الله. قال: اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه، وأنت وحدك تسأل عنهم كلهم، فانظر كيف تكون؟ قال: فبكى هارون وجلس فجعلوا يعطونه منديلاً منديلاً للدموع، ثم قال له: والله إن الرجل ليسرف في مال نفسه فيستحق الحجر عليه، فكيف بمن أسرف في مال المسلمين؟ ثم تركهم وانصرف والرشيد يبكي. فيقال إن هارون كان يقول بعد ذلك: إني أحب أن أحج في كل عام، وما يمنعني من ذلك إلا عبيد الله العمري.

قال محمد بن خلف سمعت محمد بن عبد الرحمن يقول بلغني أن هارون الرشيد قال اني لأحب أن أحج كل سنة ما يمنعني إلا رجل من ولد عمر ثم يسمعني ما أكره وقد روي لنا من طريق آخر أنه لقيه في المسعى فاخذ بلجام دابته فأهوت إليه الأجناد فكفهم عنه الرشيد فكلمه فإذا دموع الرشيد تسيل على معرفة دابته ثم انصرف وانه لقيه مرة فقال يا هارون فعلت وفعلت فجعل يسمع منه ويقول مقبول منك يا عم على الرأس والعين فقال يا أمير المؤمنين من حال الناس كيت وكيت فقال عن غير علمي وأمري وخرج العمري إلى الرشيد مرة ليعظه فلما نزل الكوفة زحف العسكر حتى لو كان نزل بهم مائة آلف من العدو ما زادوا على هيبته ثم رجع ولم يصل إليه.

عن بعض ولد عبد الله بن عبد العزيز، قال: قال الرشيد: والله ما أدري ما آمر في هذا العمري! أكره أن أقدم عليه وله خلف أكرههم، وإني لأحب أن أعرف طريقه ومذهبه، وما أثق بأحد أبعثه إليه، فقال عمر بن بزيع والفضل ابن الربيع: فنحن يا أمير المؤمنين، قال: فأتتا، فخرجا من العرج إلى موضع من البادية يقال له خلص، وأخذا معهما أدلاء من أهل العرج، حتى إذا وردا عليه في منزله أتياه مع الضحى، فإذا هو في المسجد، فأناخا راحلتيهما ومن كان معهما من أصحابهما، ثم أتياه على زي الملوك من الريح والثياب والطيب، فجلسا إليه وهو في مسجد له، فقالا له: يا أبا عبد الرحمن، نحن رسل من خلفنا من أهل المشرق، يقولون لك: اتق الله ربك، فإذا شئت فقم فأقبل عليهما، وقال: ويحكما! فيمن ولمن! قالا: أنت، فقال: والله ما أحب أني لقيت الله بمحجمة دم امرئ مسلم، وإن لي ما طلعت عليه الشمس، فلما أيسا منه قالا: فإن معنا شيئا تستعين به على دهرك، قال: لا حاجة لي فيه، أنا عنه في غنى، فقالا له: إنها عشرون ألف دينار، قال: لا حاجة لي فيها، قالا: فأعطها من شئت، قال: أنتما، فأعطياها من رأيتا، ما أنا لكما بخادم ولا عون قال: فلما يئسا منه ركبا راحلتيهما حتى أصبحا مع الخليفة بالسقيا في المنزل الثاني، فوجدا الخليفة ينتظرهما، فلما دخلا عليه حدثاه بما كان بينهما وبينه، فقال: ما أبالي ما أصنع بعد هذا. فحج عبد الله في تلك السنة، فبينا هو واقف على بعض أولئك الباعة يشتري لصبيانه، إذا هارون يسعى بين الصفا والمروة على دابة، إذ عرض له عبد الله وترك ما يريد، فأتاه حتى أخذ بلجام دابته، فأهوت إليه الأجناد والأحراس، فكفهم عنه هارون فكلمه قال: فرأيت دموع هارون، وإنها لتسيل على معرفة دابته، ثم انصرف.

➔ عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العمري، ويكنى أبا عبد الرحمن. اسند الحديث وأدرك من التابعين أبا طوالة، وروى عن أبيه وإبراهيم بن سعد، وكان عابدا زاهدا، وعظ الرشيد وله معه مواقف محمودة. توفي بالمدينة سنة 184 هـ وهو ابن 66 سنة.

أيها الإخوة المؤمنين، لولا حلم الله لخسف الأرض بالعرب، حيث أرسل لهم رسولا من أنفسهم أسس لهم أفضل حكومة أسست في الناس، جعل قاعدتها قوله:﴿كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ﴾ أي كل منكم سلطان عام ومسؤول عن الأمة. وهذه الجملة التي هي أسمى وأبلغ ما قاله مشرع سياسي من الأولين والآخرين، فجاء من المنافقين من حرف المعنى عن ظاهره وعموميته إلى أن المسلم راع على عائلته ومسؤول عنها فقط.كما حرفوا معنى الآية: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة] على ولاية الشهادة دون الولاية العامة. وهكذا غيروا مفهوم اللغة، وبدلوا الدين، وطمسوا على العقول حتى جعلوا الناس ينسون لغة الاستقلال، وعزة الحرية بل جعلوهم لا يعقلون كيف تحكم أمة نفسها بنفسها دون سلطان قاهر. وكأن المسلمين لم يسمعوا بقول النبي عليه السلام: ﴿النَّاسُ سَوَاسِيَة كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ، لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى﴾ وهذا الحديث أصح الأحاديث لمطابقته للحكمة ومجيئه مفسرا الآية: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهَّ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات] فإن الله جل شأنه ساوى بين عباده مؤمنين وكافرين في المكرمة بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء] ثم جعل الأفضلية في الكرامة للمتقين فقط. ومعنى التقوى لغة ليس كثرة العبادة، كما صار إلى ذلك حقيقة عرفية غرسها علماء الاستبداد القائلين في تفسير (عند الله)؛ أي في الآخرة دون الدنيا؛ بل التقوى لغة هي الاتقاء؛ أي الابتعاد عن رذائل الأعمال احترازا من عقوبة الله. فقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهَّ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات] كقوله: إن أفضل الناس أكثرهم ابتعادا عن الآثام وسوء عواقبها. عن أبي نضرة حدثني من سمع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم بمنى قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط أيام التشريق فقال:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ إِلَّا بِتَقْوَى اللهَّ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ثُمَّ قَالَ: أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ. قَالَ: فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ. قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ. قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ قَالَ: وَأَحْسَبُهُ قَالَ: وَأَعْرَاضَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ﴾

عن أبي يحيى الزهري قال: قال عبد الله بن عبد العزيز العمري عند موته: بنعمة ربي أحدث اني لم أصبح املك إلا سبعة دراهم من لحاء شجر فتلته بيدي وبنعمة ربي أحدث لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمي ما يمنعني آخذها إلا أن أزيل قدمي عنها ما أزلتها. وعن عبد الله بن خبيق قال: تعبد عبد الله العمري وسكن المقابر وكان لا يرى إلا وفي يده كتاب يقرؤه وترك مجالسه الناس فسئل عن فعله فقال: لم أر أوعظ من قبر ولا انس من كتاب ولا اسلم من الوحدة فقيل له قد جاء في الوحدة ما جاء قال لا تفسد إلا جاهلا. وعن أبي إسماعيل المؤدب قال جاء رجل إلى العمري فقال: عظني. قال فاخذ حصاة من الأرض فقال: زنة هذه من الورع يدخل قلبك خير لك من صلاة أهل الأرض. قال زدني .قال: كما تحب أن يكون الله عز وجل لك غدا فكن له اليوم. وعن الفضل بن غسان عن أبيه قال: رأى العمري رجلا من آل علي يمشي يخطر فأسرع إليه فاخذ بيده فقال: يا هذا إن الذي أكرمك الله به لم تكن هذه مشيته. قال فتركها الرجل بعد. وقال سمعته يقول: من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مخافة المخلوقين نزعت منه هيبة الطاعة فلو أمر بعض ولده أو بعض مواليه لا ستخف به.

مراجع: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد/ مسند أحمد/ سراج الملوك/ البداية والنهاية / صفة الصفوة/ تاريخ الطبري

أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وشقيق البلخي [112]

يقال: إن شقيقًا البلخي[1] دخل على هارون الرشيد فقال له: أنت شقيق الزاهد. فقال أنا شقيق ولست بزاهد. فقال له: أوصني. فقال: إن الله تعالى قد أجلسك مكان الصديق[2] وإنه يطلب منك مثل صدقه، وإنه أعطاك موضع عمر بن الخطاب الفاروق[3] وإنه يطلب منك الفرق بين الحق والباطل مثله، وأنه أقعدك موضع عثمان بن عفان[4] ذي النورين وهو يطلب منك مثل حيائه وكرمه، وأعطاك موضع علي بن أبي طالب[5] وهو يطلب منك العلم والعدل كما يطلب منه. فقال له: زدني من وصيتك. فقال: نعم، اعلم أن لله تعالى دارًا تُعْرَف بجهنم، وأنه جعلك على أبواب تلك الدار وأعطاك ثلاثة أشياء: بيت المال، والسوط، والسيف، وأمرك أن تمنع الخلق من دخول النار بهذه الثلاثة، فمَن جاءك محتاجًا فلا تمنعه من بيت المال، ومَن خالف أمر ربه فأدِّبه بالسوط، ومَن قتل نفسًا بغير حق فاقتله بالسيف بإذن وليِّ المقتول، فإن لم تفعل ما أمرك فأنت الزعيم لأهل النار، والمتقدِّم إلى دار البوار. فقال له: زدني. فقال: إنما مثَلك كمثل معين الماء، وسائر العلماء في العالم كمثل السواقي، فإذا كان المعين صافيًا لا يضرُّ كدر السواقي، وإذا كان المعين كدرًا لا ينفع صفاء السواقي.

قال أبو بكر المروذي سمعت أبا حامد الخراساني يقول: نزل شقيق في بعض هذه المدن التي في طريق خراسان، فإذا قاضيها قد أتاه، فقال له شقيق: تقرأ القرآن؟ قال: نعم، قال: فاقرأ تبارك، فقرأ حتى بلغ ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك]، فتلبب به شقيق، ثم قال له: أيكم أحسن مركبا، أو أيكم أحسن ثوبا، أو أيكم أحسن وجها، أو أيكم أحسن دارا؟ ، قال: فقال القاضي لشقيق: إني أعاهد الله، أو قال: أعطيت الله عهدا، إن دخلت في عمل، حتى ألقى الله عز وجل.

دخل هارون على بعض النساك فسلم عليه فقال: وعليك السلام أيها الملك! ثم قال له: أيها الملك تحب الله؟ قال: نعم. قال: فتعصيه؟ قال: نعم. قال: كذبت والله في حبك إياه! إنك لو أحببته إذا ما عصيته، ثم أنشد يقول: تعصي الإله وأنت تظهر حبه...هذا لعمري في الفعال بديع...لو كان حبك صادقا لأطعته...إن المحب لمن يحب مطيع...في كل يوم يبتديك بنعمة...منه وأنت لشكر ذاك مضيع.

كان سعيد بن سلم[6] واليا على أرمينية، فورد عليه أبو دهمان الغلابي[7]، فلم يصل إليه إلا بعد حين، فلما وصل قال- وقد مثل بين السماطين-: والله إني لأعرف أقواما لو علموا أن سف التراب يقيم من أود أصلابهم لجعلوه مسكة لأرماقهم، إيثارا للتنزه عن العيش الرقيق الحواشي. والله إني لبعيد الوثبة، بطيء العطفة إنه والله ما يثنيني عليك إلا مثل ما يصرفني عنك، ولأن اكون مملقا مقربا أحب إلي من أن أكون مكثرا مبعدا. والله ما نسأل عملا لا نضبطه ولا مالا إلا ونحن أكثر منه، وإن الذي صار في يدك قد كان في يد غيرك، فأمسوا والله حديثا، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. فتحبب إلى عباد الله بحسن البشر، ولين الحجاب؛ فإن حب عباد الله موصول بحب الله، وهم شهداء الله على خلقه، وأمناؤه على من اعوج عن سبيله.

---

(1) أبو علي شقيق بن إبراهيم البخلي؛ من مشايخ خراسان، له لسان في التوكل حسن الكلام فيه، صاحب إبراهيم بن أدهم، وهو أستاذ حاتم الأصم، وكان قد خرج إلى بلاد الترك للتجارة وهو حدث، فدخل إلى بيت أصنامهم، فقال لعالمهم: إن هذا الذي أنت فيه باطل، وهذا الخلق خالق ليس كمثله شيء رازق كل شيء، فقال له: ليس يوافق قولك فعلك، فقال له شقيق: كيف قال: زعمت أن لك خالقا قادرا على كل شيء وقد تعنيت إلى ها هنا لطلب الرزق، قال شقيق فكان سبب زهدي كلام التركي، فرجع وتصدق بجميع ما يملك، وطلب العلم. وقد ورد عن شقيق مع انقطاعه وزهده أنه من كبار المجاهدين في سبيل الله، وكذا فليكن زهد الأولياء. ذكر أبو يعقوب القراب أن شقيق بن إبراهيم رحمة الله عليه قتل في غزوة كولان سنة 194 هـ.

(7) أبودهمان الغلابي (العلاني!) وكان عالما بفقهاء البصرة...؟. أما أبي دهمان الشاعر في الأغاني فهو شاعر من شعراء البصرة ممن أدرك دولتي بني أمية وبني العباس ومدح المهدي وكان طيبا ظريفا مليح النادرة.

(6) سعيد بن مسلم بن قتيبة بن مسلم بن عمرو، الباهلي، الذي ولي أرمينية، والموصل، والسند، وسجستان، وله أخبار ومناقب، وهو حفيد الأمير قتيبة بن مسلم الباهلي المشهور ومكانه تولى سعيد أرمينية والموصل والسند وطبرستان وسجستان والجزيرة وهو والد عمرو بن سعيد. توفي سعيد زمن المأمون، سنة 217 هـ.

(2) أبو بكر الصديق، عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي، كنيته: أبو بكر، ولقبه: عتيق. أول الخلفاء الراشدين. ولد سنة 50 ق.هـ بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين وأشهر .بمكة ونشأ سيد من سادات قريش وكانت العرب تلقبه بعالم قريش، وقيل أول من آمن من الرجال شهد الغزوات كلها وبذل الأموال في سبيل الله وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ. قضى في الخلافة سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام. توفي سنة 13 هـ بعد مرض استمر أسبوعين، كان سببه الحمى، وتولى بعده الفاروق عمر.

(3) أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي. القرشي العدوي أمير المؤمنين. ولد سنة 40 ق.هـ. وأسلم وهو ابن 26 سنة بعد أربعين رجلا وعشر نسوة، سنة ست من النبوة. واستشهد سنة 23 هـ.وولي الخلافة عشر سنين ونصفا بعد موت أبو بكر سنة 13 هـ.

(4)أبو عبد الله عثمان بن عفان الأموي القرشي، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،ومن السابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي صلى الله عليه وسلم، رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه واختلف في قاتله فقيل الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائما يومئذ. ودفن بالبقيع.

(5) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو رابع (أو ثالث!) الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ و مات في رمضان سنة 40 هـ.وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

عن شقيق البلخي قال: كنت شاعرا فرزقني الله التوبة، وخرجت من ثلاثمائة ألف درهم، وكنت مرابيا، لبست الصوف عشرين سنة وأنا لا أدري، حتى لقيت عبد العزيز بن أبي رواد، فقال: ليس الشأن في أكل الشعير ولبس الصوف، الشأن أن تعرف الله بقلبك لا تشرك به شيئا، والثانية: الرضى عن الله، والثالثة: تكون بما في يد الله أوثق منك بما في أيدي الناس. وعن شقيق قال: عملت في القرآن عشرين سنة حتى ميزت بين الدنيا والآخرة، فأصبته في حرفين؛ في قوله تعالى:﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الشورى] وعنه قال: من شكا مصيبة نزلت به إلى غير الله، لم يجد حلاوة الطاعة أبدا. وعن حاتم الأصم، عن شقيق قال: لو أن رجلا عاش مائتي سنة لا يعرف هذه الأربعة لم ينج؛ أولها: معرفة الله، الثاني: معرفة النفس، الثالث: معرفة أمر الله ونهيه، الرابع: معرفة عدو الله وعدو النفس. وعن شقيق قال: لقيت سفيان الثوري فأخذت منه لباس الدون، رأيت له إزارا ثمن أربعة دراهم، إذا جلس متربعا أو مد رجليه يخاف أن تبدو عورته، وأخذت الخشوع من إسرائيل. قال الحاكم في تاريخه: قدم شقيق نيسابور عند خروجه راجلا في ثلاثمائة من زهاد خراسان معه أيام المأمون؛ يعني أيام ولايته خراسان. قال: فطلب المأمون الاجتماع به، فامتنع حتى تشفع إليه المأمون.

قال الفضيل بن عياض: لو كانت لي دعوة مُسْتَجابة ما صيّرتها إلا في الإمام، لو صيرتُها في نفسي لم تجزني، ومتى صيرتها في الإمام فإصلاحه إصلاح العباد والبلاد، وقال الثوري لأبي جعفر المنصور: ﴿إِنِّي لِأُعَلِّمُ رَجُلًا إِنْ صَلَّحَتْ الْأُمة قَالَ وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ أَنْتَ﴾ وقال عمر بن عبد العزيز:﴿تهْلك الْعَامَّة بِذَنْبِ الْخَاصَّة وَلَا تهْلك الْخَاصَّة بِعَمَلِ الْعَامَّة والْخَاصَّة هم الْوُلَاة – وفي رواية-: إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِذَنْبِ الْخَاصَّةِ، وَلَكِنْ إِذَا عُمِلَ الْمُنْكَرُ جِهَارًا اسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَةَ كُلُّهُمْ﴾ يقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال] سأل معاوية يوما أحنف بن قيس: ﴿كَيفَ الزَّمَان؟ قَالَ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ: أَنْت الزَّمَان، إِذا صَلَحَتْ صَلَحَ الزَّمَان، وَإِذا فَسدتْ فَسَدَ الزَّمَان﴾ ومثل ذلك قول هارون الرشيد لمعن بن زائدة: كيف زمانك يا معن؟ قال: يا أمير المؤمنين، أنت الزمان؛ فإن صلحت صلح الزمان، وإن فسدت فسد الزمان. وفي الخبر:﴿النَّاسُ عَلَى دِينِ مُلُوكِهِمْ﴾ قال عبيدة السلماني لعلي: ﴿يا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا بَالِ أَبِي بَكْرٌ وَعُمَر أَنْطَاعُ النَّاسَ كُلَّمَا وَالدُّنْيَا عَلَيْهِمَا أَضْيَقُ مِنْ شِبْرٍ فَاتَّسَعَتْ عَلَيْهِمَا وُولِيتَ أَنْتِ وَعُثْمَانُ الخَلَافَةُ وَلَمْ يَنْطَاعُوا لَكُمَا وَقَدْ اتَّسَعَتْ فَصَارَتْ عَلَيْكُمَا أَضْيَقَ مِنْ شِبْرٍ؟. فَقَالَ: لِأَنَّ رَعِيَّةَ أَبِي بَكْرٌ وَعُمَر كَانُوا مُثْلَى وَمِثْلَ عُثْمَانَ وَرَعِيَّتِي أَنَا اليَوْمَ مِثْلَكِ وَشِبْهُكَ!﴾ كتب أخ لمحمد بن يوسف يشكو إليه جور العمال، فكتب إليه: ﴿يَا أَخِي بَلَغَنِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ مَا أَنْتَمْ فِيهِ وَأَنَّهُ لَيْسَ يَنْبَغِي لِمَنْ عَمِلَ بِالْمَعْصِيَةِ أَنْ يُنْكِرَ الْعُقُوبَةَ وَمَا أَرَى مَا أَنْتَمْ فِيهِ إِلَّا مِنْ شُؤْمِ الذُّنُوبِ﴾.

مراجع: سراج الملوك/ الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ حسن السلوك الحافظ دولة الملوك/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ وفيات الأعيان/ العقد الفريد/ الأغاني

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وأبو البختري [113]

قال أبو العيناء محمد بن القاسم:[1] حدثني ابن أبي البختري[2] عن أبيه قال: كنَّا مع الرشيد في سفر له إلى الروم وقد تقدَّمت حمولة الثلج فاستسقى، فبعث الخيل في طلب الثلج فجعلت الخيل تحصف الجبل وقد اشتدَّ عطشه. فقال: اسقني من ماء الرحل فلمَّا أقرَّه في فيه مجَّه. فقال له أبو البختري: يا أمير المؤمنين، قد كنت ألتمس موضعًا لوَعْظك فلا أجد وقد أمكنني الآن أفتأذن؟ قال: نعم. قال فقلت: يا أمير المؤمنين، لو شربت الحار والقار، ولبست الليِّن والخشن، وأكلت الطيب والخبيث، فإنك لا تدري ما يكون من تصرُّف الدهر. فانتفخ في ثوبه حتى ظننته سينحاز عنه ثم انحمص وعاد لونه وقال: يا أبا البختري، إنا نلبس هذه النعمة ما أعطتنا فإذا وأعوذ بالله فارقتنا رجعنا إلى عود غير خوار.

---

(2) أبو البختري وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، القرشي الأسدي المدني، حدث عن عبيد الله بن عمر العمري وهشام بن عروة بن الزبير وجعفر بن محمد الصادق وغيرهم، وروى عنه رجاء بن سهل الصاغاني وأبو القاسم بن سعيد بن المسيب وغيرهما. وكان متروك الحديث مشهورا بوضعه، انتقل من المدينة إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد، فولاه القضاء بعسكر المهدي في شرقي بغداد، ثم عزله وولاه القضاء بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بكار بن عبد الله الزبيري، وجعل إليه ولاية حربها مع القضاء، ثم عزله فقدم بغداد وأقام بها إلى أن توفي سنة 200 هـ ببغداد، في خلافة المأمون. وأبو البختري: مأخوذ من البختة التي هي الخيلاء، وهو يتصحف على كثير من الناس بالبحتري وهو الشاعر.

(1) أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد البصري، العلامة، الأخباري، أبو العيناء، محمد بن القاسم بن خلاد البصري، الضرير النديم. ولد بالأهواز سنة 191 هـ ونشأ بالبصرة.ومات سنة 283 هـ، وقد جاوز التسعين. قلما روى من المسندات، ولكنه كان ذا ملح ونوادر وقوة ذكاء. قال له الوزير أبو الصقر: ما أخرك عنا؟ قال: سرق حماري. قال: وكيف سرق؟ قال: لم آك مع اللص فأخبرك. قال: فهلا جئت على غيره؟ قال: أخرني عن السرى قلة يساري، وكرهت ذلة العواري، ونزق المكاري.

عن عبد الله بن عمر، قال:﴿وَجَدَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حُلَّةً مِنْ إِسْتَبْرَقٍ تُبَاعُ بِالسُّوقِ، فَأَخَذَهَا، فَأَتَى بِهَا رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، ابْتَعْ هَذِهِ فَتَجَمَّلْ بِهَا لِلْعِيدِ، وَلِلْوَفْدِ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا هَذِهِ لِبَاسُ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ، قَالَ: فَلَبِثَ عُمَرُ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجُبَّةِ دِيبَاجٍ، فَأَقْبَلَ بِهَا عُمَرُ حَتَّى أَتَى بِهَا رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، قُلْتَ: إِنَّمَا هَذِهِ لِبَاسُ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ أَوْ إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ، ثُمَّ أَرْسَلْتَ إِلَيَّ بِهَذِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَبِيعُهَا وَتُصِيبُ بِهَا حَاجَتَكَ﴾ وعن أبي عثمان، قال: ﴿كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ وَنَحْنُ بِأَذْرَبِيجَانَ: يَا عُتْبَةُ بْنَ فَرْقَدٍ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَدِّكَ، وَلَا مِنْ كَدِّ أَبِيكَ، وَلَا مِنْ كَدِّ أُمِّكَ، فَأَشْبِعِ الْمُسْلِمِينَ فِي رِحَالِهِمْ مِمَّا تَشْبَعُ مِنْهُ فِي رَحْلِكَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ، وَزِيَّ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَلُبُوسَ الْحَرِيرِ، فَإِنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ لُبُوسِ الْحَرِيرِ، قَالَ: إِلَّا هَكَذَا، وَرَفَعَ لَنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِصْبَعَيْهِ الْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةَ وَضَمَّهُمَا، قَالَ زُهَيْرٌ: قَالَ عَاصِمٌ: هَذَا فِي الْكِتَابِ، قَالَ: وَرَفَعَ زُهَيْرٌ إِصْبَعَيْهِ﴾ وعن علي بن أبي طالب، قال:﴿نَهَانِي رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ التَّخَتُّمِ بِالذَّهَبِ، وَعَنْ لِبَاسِ الْقَسِّيِّ، وَعَنِ الْقِرَاءَةِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، وَعَنْ لِبَاسِ الْمُعَصْفَرِ﴾ (القسي) كتان مخلوط من حرير، (المعصفر) صبغ أصفر اللون.

مراجع: مسند أحمد/ صحيح مسلم/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وأبو وهب[114]

عن عبد الله بن مهران قال: حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياماً ثم ضرب بالرحيل، فخرج الناس، وخرج بهلول[1](أبو وهب) فيمن خرج بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به؛ إذ أقلت هوادج هارون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هارون نادى بأعلى صوته: يا أمير المؤمنين. فكشف هارون السجاف بيده عن وجهه. فقال: لبيك يا بهلول. فقال: يا أمير المؤمنين؛ حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منصرفاً من عرفة * على ناقة له صهباء؛ لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك، وتواضعك في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك. فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الأرض. ثم قال: يا بهلول زدنا رحمك الله. قال: نعم يا أمير المؤمنين، رجل آتاه الله مالاً وجمالاً فأنفق من ماله وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار. قال: أحسنت يا بهلول، ودفع له جائزة. فقال: أردد الجائزة إلى من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها. قال: يا بهلول فإن كان عليك دين قضيناه. قال: يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم أن قضاء الدين بالدين لا يجوز. قال: يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك أو يقيمك. فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال: يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك وينساني. فأسبل هارون السجاف ومضى.

في رواية الفضل بن الربيع، قال: حججت مع هارون الرشيد أمير المؤمنين، فمررنا بالكوفة في طلب المحامل فإذا بهلول المجنون قاعد يهذي، فقلت له: اسكت، فقد أقبل أمير المؤمنين فسكت. فلما حاذى الهودج قال: يا أمير المؤمنين، حدثني أيمن بن نابل ثنا قدامة بن عبد الله العامري قال: رأيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمنى على جمل وتحته رجل رث، فلم يكن ثم طرد ولا ضرب ولا إليك إليك. فقلت: يا أمير المؤمنين إنه بهلول المجنون. قال: قد عرفت به، وبلغني كلامه قل: يا بهلول. قال: يا أمير المؤمنين، هب أنك قد ملكت الأرض طرا ودان لك البلاد فكان ماذا؟ أليس غدا مصيرك جوف قبر ويحثو الترب هذا ثم هذا؟. قال: أجدت يا بهلول أفغيره. قال: نعم يا أمير المؤمنين، من رزقه الله عز وجل جمالا ومالا فعف في جماله وواسى في ماله كتب في ديوان الأبرار. قال: فظن أنه يريد شيئا قال: فإنا قد أمرنا أن يقضى دينك. قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، لا تقض دينا بدين، اردد الحق إلى أهله، واقض دين نفسك من نفسك، فإن نفسك هذه نفس واحدة، وإن هلكت والله ما أنح عليها. قال: فإنا قد أمرنا أن يجرى عليك جراية. قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، لا يعطيك وينساني، أجرى علي الذي أجرى عليك، لا حاجة لي في جرايتك ومضى.

قال نعيم الخشاب كتب بهلول إلى الواثق: أما بعد فإن المراء قد لعب بدينك والأهواء قد أحاطت بك ومقالات أهل البدع قد سلخت عنك عقلك وابن أبي داود المشئوم قد بدل عليك كلام ربك، اقرأ: فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى، إلى قوله: فاعبدني، أيكون هذا الكلام مخلوقا، فرماك الله بحجارة من سجيل مسومة عند ربك وما هو من الظالمين ببعيد ثم كتب عنوانه من الخائف الذليل إلى المخالف لكلام ربه تعالى.

قال محمد بن أبي إسماعيل ابن أبي فديك: رأيت بهلولا في بعض المقابر وقد أدلى رجليه في قبر وهو يلعب بالتراب، فقلت: ما تصنع ها هنا؟ قال: أجالس أقواما لا يؤذوني وإن غبت لا يغتابوني، فقلت: قد علا السعر مرة، فهل تدعو الله فيكشف عن الناس؟ فقال والله ما أبالي، ولو كان حبة بدينار، لله علينا أن نعبده كما أمرنا، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا، ثم صفق يده وأنشأ يقول: يا من تمتع بالدنيا وزينتها ... ولا تنام عن اللذات عيناه ... شغلت نفسك فيما لست تدركه ... تقول لله ماذا حين تلقاه. وعن الحسن بن الحسين، قال: سمعت أبي يقول: مر بهلول في السوق وهو يأكل، فاستقبله بعض أصحابنا، فقال له: يا بهلول، تأكل في السوق؟! فقال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ﴾ وأنا لحقني الجوع في السوق، وفي كفي رغيف، فكرهت أن أمطل نفسي. قال الأصمعي: رأيت بهلولا قائما ومعه خبيص، فقلت له: أيش معك؟ قال: خبيص، فقلت: أطعمني، قال: هو ليس لي، قلت: لمن هو؟ قال: هو لحمدونة ابنة الرشيد بعثته لي آكله لها.

وحدث سفيان بن عيينة ، قال: قلت لبهلول المجنون: يا بهلول عظني، فقال: الملوك، هذه قصورهم، وهذه قبورهم.

عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك[2]قال: كان عندنا رجل يكنى أبا نصر[3]من جهينة ذاهب العقل في غير ما الناس فيه لا يتكلم حتى يكلم وكان يجلس مع أهل الصفة[4] في آخر مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وكان إذا سئل عن شيء أجاب فيه جوابا حسنا معجبا. فأتيته يوما وهو في آخر المسجد مع أهل الصفة منكسا رأسه واضعا جبهته بين ركبتيه فجلست إلى جنبه فحركته فانتبه فزعا فأعطيته شيئا كان معي فأخذه وقال قد صادف منا حاجة فقلت له يا أبا نصر مال الشرف قال حمل ما ناب العشيرة أدناها وأقصاها والقبول من محسنها والتجاوز عن مسيئها. قلت له فما المروءة قال إطعام الطعام وإفشاء السلام وتوقي الأدفاس. قلت له فما السخاء قال جهد مقل قلت له فما البخل قال أف وحول وجهه عني فقلت تجيبني قال قد أجبتك. وعن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك قال: قدم علينا هارون فأتى له المسجد فوقف على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى منبره وفي موقف جبريل عليه السلام واعتنق اسطوانة التوبة ثم قال قفوا بي على أصحاب الصفة فلما أتاهم حرك أبو نصر وقيل هذا أمير المؤمنين فرفع رأسه وقال أيها الرجل انه ليس بين عبدا الله وأمة نبيه صلى الله عليه وسلم ورعيتك وبين الله خلق غيرك وإن الله سائلك عنهم فاعد للمسألة.

حكى ابن كثير أن أبو النصر الجهني، كان مقيما بالمدينة النبوية بالصفة من المسجد في الحائط الشمالي منه، وكان يطيل السكوت، فإذا سئل أجاب بجواب حسن، ويتكلم بكلمات مفيدة تؤثر عنه، وتكتب، وكان يخرج يوم الجمعة قبل الصلاة فيقف على مجامع الناس فيقول:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان] و﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة] ثم ينتقل من جماعة إلى جماعة حتى يدخل المسجد فيصلي فيه الجمعة، ثم لا يخرج حتى يصلي العشاء الآخرة. وقد وعظ مرة هارون الرشيد بكلام حسن فقال: اعلم أن الله سائلك عن أمة نبيه، فأعد لذلك جوابا، وقد قال عمر بن الخطاب لو ماتت سخلة بالعراق ضياعا لخشيت أن يسألني الله عز وجل عنها. فقال: إني لست كعمر، وإن دهري ليس كدهره. فقال: ما هذا بمغن عنك شيئا. فأمر له بثلاثمائة دينار، فقال: أنا رجل من أهل الصفة، فمر بها فلتقسم عليهم وأنا واحد منهم.

* قوله (منصرفا من عرفة) وإنما قالوا (يرمي الجمرة) وهو الصواب. عن قدامة بن عبد الله، قال:﴿رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ يَرْمِي الْجَمْرَةَ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ صَهْبَاءَ، لَا ضَرْبَ، وَلَا طَرْدَ، وَلَا إِلَيْكَ إِلَيْكَ﴾. (مطل الغني ظلم) قال القاضي وغيره المطل منع قضاء ما استحق اداؤه فمطل الغني ظلم وحرام ومطل غير الغني ليس بظلم ولا حرام..

---

(1) بهلول بن عمرو، أبو وهيب الصيرفي المجنون، من أهل الكوفة؛ حدث عن أيمن بن نابل وعمرو بن دينار وعاصم بن أبي النجود، وكان من عقلاء المجانين، وله كلام مليح ونوادر وأشعار، واستقدمه الرشيد أو غيره من الخلفاء ليسمع كلامه. توفي في حدود سنة 190 هـ.

(3) أبو النصر الجهني المصاب، رجل مجنون يكنى أبا نصر من جهينة. من عقلاء المجانين بالمدينة.توفي سنة 194 هـ.

(2) أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك المدني، توفي سنة 200 هـ.

(4) أهل الصفة أو أصحاب الصفة وهم جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا ينزلون في مكان خلف الحجرات في المسجد النبوي وعرف المكان باسمهم وكانوا متفرغين للعبادة وللمجاورة وهم فقراء المهاجرين الذين ليس لهم مأوى.

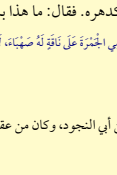

عن ابن عمر، عن عمر بن الخطاب، قال:﴿يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ تَوَاضَعَ لِي هَكَذَا، وَجَعَلَ يَزِيدُ بَاطِنَ كَفِّهِ إِلَى الْأَرْضِ، وَأَدْنَاهَا إِلَى الْأَرْضِ، رَفَعْتُهُ هَكَذَا، وَجَعَلَ بَاطِنَ كَفِّهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَرَفَعَهَا نَحْوَ السَّمَاءِ﴾ وعن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال سمعت عمر بن الخطاب يقول:﴿إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَوَاضَعَ لله رَفَعَهُ اللهُ حِكْمَةٌ وَقَالَ لَهُ انْتَعَشَ نَعْشَكَ اللهُ فَهُوَ فِي نَفْسِهِ صَغِيرٌ وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ عَظِيمٌ وَإِذَا تَكَبَّرَ وَعَدَا طَوْرَهُ وَهَصَهُ اللهُ إِلَى الْأَرْضِ وَقَالَ أَخْسَأْ أَخْسَأَكَ اللهُ فَهُوَ فِي نَفْسِهِ عَظِيمٌ وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ حَقِيرٌ حَتَّى يَكُونُ عِنْدَهُمْ أَحْقَرُ مِنْ الْخِنْزِيرِ﴾ قال ابن الأنباري قال اللغويون (اخسأ) تفسيره أبعد و(وهصه) معناه كسره وهكذا رواه الإمام أبو عبيد في كتاب الغريب ، وعمر بن الخطاب يقول ذلك حديث في الزهد في الدنيا والصبر على ضيق العيش. وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا فِي رَأْسُهُ حِكْمَةٌ بَعْدَ مُلْكٍ فَإِذَا تَوَاضع قِيلَ لِلْمَلَكِ أَرْفَعْ حِكْمَتِهِ وَإِذَا تكبر قِيلَ لِلْمَلِكِ ضَعْ حَكَمَتَهُ﴾ وعن ابن عمر قال:﴿مَرَرْتُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي إِزَارِي اسْتِرْخَاءٌ. فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ! ارْفَعْ إِزَارَكَ، فَرَفَعْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: زِدْ ، فَزِدْتُ فَمَا زِلْتُ أَتَحَرَّاهَا بَعْدُ. فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ﴾ وعنه ﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِزَارِي يَسْتَرْخِي، إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَهُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خُيَلَاءَ﴾ وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿كُلُوا، وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا، مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ وَلَا مَخِيلَةٌ﴾ (كلوا، واشربوا) أي مقدار حاجتكم (وتصدقوا) أي بما زاد عليكم (والبسوا) أي كذلك (ما لم يخالطه) أي ما لم يدخل فيه (إسراف ولا مخيلة) وهو قيد للأخير بقرينة نفي المخيلة، ويمكن أن يتعلق به الأوامر كلها مع تكلف، والله أعلم. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ﴾ وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (ثوب شهرة) أي ثوب تكبر وتفاخر وتجبر، أو ما يتخذه المتزهد ليشهر نفسه بالزهد، أو ما يشعر به المتسيد من علامة السيادة كالثوب الأخضر، أو ما يلبسه المتفقهة من لبس الفقهاء، والحال أنه من جملة السفهاء (ألبسه الله ثوب مذلة) ضد المعزة (يوم القيامة) أي جزاء وفاقا؛ فإن المعالجة بالأضداد، ومفهومه أن من اختار ثوب مذلة وتواضع لله في الدنيا ألبسه الله ثوب معزة في العقبى، قال القاضي: الشهرة ظهور الشيء في شيئه بحيث يشهر به صاحبه، والمراد بثوب شهرة ما لا يحل لبسه، وإلا لما رتب الوعيد عليه، أو ما يقصد بلبسه التفاخر والتكبر على الفقراء والإذلال بهم وكسر قلوبهم، أو ما يتخذه المساخر ليجعل به نفسه ضحكة بين الناس، أو ما يراثي به من الأعمال، فكني بالثوب عن العمل وهو شائع قال الطيبي: والوجه الثاني أظهر لقوله: ألبسه الله ثوب مذلة وفي النهاية: أي أشمله بالذل كما يشمل الثوب البدن.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ مسند أحمد/ مسند الفاروق لابن كثير/ السنن الكبر للنسائي/ إحياء علوم الدين/ مسند المقلين من الأمراء والسلاطين/ فوات الوفيات/ صفة الصفوة/ مصنف ابن أبي شيبة/ صحيح ابن خزيمة/ سنن ابن ماجه/ سنن الدارمي

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وأبي يوسف القاضي [115]

عندما طلب هارون الرشيد من أبي يوسف القاضي[1] وضع كتاب الخراج لم يفت القاضي أن يقدم النصيحة للخليفة في مقدمة الكتاب فقال: يا أمير المؤمنين: إن الله، وله الحمد، قد قلّدك أمرا عظيما: ثوابه أعظم الثواب، وعقابه أشد العقاب؛ قلدك أمر هذه الأمة فأصبحت وأمسيت وأنت تبني لخلق كثير قد استرعاكهم الله وائتمنك عليهم وابتلاك بهم وولاك أمرهم، وليس يلبث البنيان إذا أسس على غير التقوى أن يأتيه الله من القواعد فيهدمه على من بناه، وأعان عليه؛ فلا تضيّعن ما قلدك الله من أمر هذه الأمة والرعية، فإن القوة في العمل يؤذن الله. لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد فانك إذا فعلت ذلك أضعت. إن الأجل دون الأمل، فبادر الأجل بالعمل، فانه لا عمل بعد الأجل. إن الرعاة مؤدون إلى ربهم ما يؤدي الراعي إلى ربه. فأتم الحق فيما ولاك الله وقلدك ولو ساعة من نهار؛ فانّ أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راع سعدت رعيّته، ولا تزغ فتزيغ رعيّتك، وإيّاك والأمر بالهوى والأخذ بالغضب. وإذا نظرت إلى أمرين أحدهما للآخرة والآخر للدنيا، فاختر أمر الآخرة على الدنيا، فإن الآخرة تبقى والدنيا تفنى. وكن من خشية الله على حذر، واجعل الناس عندك في أمر الله سواء: القريب والبعيد، ولا تخف في الله لومة لائم. واحذر فان الحذر في بالقلب وليس باللسان، واتق الله فإنما التقوى بالتوقي، ومن يتقي الله يتقه. واعمل لأجل مفضوض، وسبيل مسلوك، وطريق مأخوذ، وعمل محفوظ، ومنهل مورود؛ فإن ذلك المورد الحق والموقف الأعظم الذي تطير فيه القلوب وتنقطع فيه الحجج لعزة ملك قهرهم جبروته، والخلق له داخرون بين يديه، ينتظرون قضاءه ويخافون عقوبته وكأن ذلك قد كان. فكفى بالحسرة والندامة يومئذ في ذلك الموقف العظيم لمن علم ولم يعمل، يوم تزل فيه الأقدام وتتغير فيه الألوان، ويطاول فيه القيام، ويشتد فيه الحساب. يقول الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج] وقال: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات] وقال: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان] وقال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ [الأحقاف] وقال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات] فيا لها من عثرة لا تقال، ويا لها من ندامة لا تنفع. إنما هو اختلاف الليل والنهار، يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، و يأتيان بكل موعود، ويجزي الله كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب؛ فالله الله فإن البقاء قليل والخطب خطير والدنيا هالكة وهالك من فيها، والآخرة هي دار القرار. فلا تلق الله غدا وأنت سالك سبيل المعتدين فإن ديان يوم الدين إنما يدين العباد بأعمالهم ولا يدين بمنازلهم. وقد حذرت الله فاحذر، فإنك لم تخلق عبثا، ولن تترك سدى. وإن الله سائلك عما أنت فيه وعما عملت به، فانظر ما الجواب. واعلم أنه لن تزول غدا قدما عبد بين يدي الله تبارك وتعالى إلا عن بعد المسألة فقد قال صلى الله عليه وسلم:﴿لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ علمِهِ مَا عَمِلَ فِيهِ، وَعَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ﴾ فاعدد يا أمير المؤمنين للمسألة جوابها فإن ما عملت فأثبت فهو عليك غدا يقرأ، فاذكر كشف قناعك فيما بينك وبين الله في مجمع الأشهاد . إني أوصيك يا أمير المؤمنين بحفظ ما استحفظك الله ورعاية ما استرعاك الله، وألا تنظر في ذلك إلا إليه وله؛ فانك إن لا تفعل تتوعّر عليك سهولة الهدى، وتعمى في عينيك وتتخفى رسومه ويضيق عليك رحبه وتنكر منه ما تعرف وتعرف منه ما تنكر؛ فخاصم نفسك خصومة من يريد الفلج لها لا عليها؛ فان الراعي المضيّع يضمن ما هلك على يديه مما لو شاء رده عن مواطن الهلكة بإذن الله. وأورده أماكن الحياة والنجاة؛ فان ترك ذلك أضاعه وان تشاغل بغيره كانت الهلكة عليه أسرع وبه أضر. وإذا أصلح كان أسعد من هنالك بذلك ووفاه الله أضعاف ما وفى له. فاحذر أن تضيع رعيّتك فيستوفي ربها حقها منك ويضيّعك، بما أضعت، أجرك وإنما يدعم البنيان قبل أن ينهدم. وإنما لك من عملك ما عملت فيمن ولاك الله أمره وعليك ما ضيعت منه؛ فلا تنس القيام بأمر من ولاك أمره فلست تنسى. ولا تغفل عنهم وعما يصلحهم فليس يغفل عنك. ولا يضيع حظك من هذه الدنيا. وأوصيك في هذه الليالي والأيام بكثرة تحريك لسانك في نفسك بذكر الله تسبيحا وتهليلا وتمجيدا والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة وإمام الهدى. وإن الله بمنه ورحمته جعل ولاة الأمر خلفاء في أرضه، وجعل لهم نورا يضيء للرعية ما أظلم عليهم من الأمور فيما بينهم ويبين ما اشتبه من الحقوق عليهم. وإضاءة نور ولاة الأمر إقامة الحدود ورد الحقوق إلى أهلها بالتثبت والأمر البين وإحياء السنن التي سنها القوم الصالحون أعظم موقعا، فإن إحياء السنن من الخير الذي يحيا ولا يموت. وجور الراعي هلاك للرعية، واستعانته بغير أهل الشقة والخير هلاك للعامة. فاستتم ما آتاك الله يا أمير المؤمنين من النعم بحسن محاورتها، والتمس الزيادة فيها بالشكر عليها؛ فإن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم] . وليس شيء أحب إلى الله من الإصلاح، ولا أبغض إليه من الفساد والعمل بالمعاصي كفر النعم، وقل من كفر من قوم قط النعمة ثم لم يفزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزهم وسلط الله عليهم عدوهم. وإني أسأل الله يا أمير المؤمنين الذي من عليك بمعرفته فيما أولاك أن لا يكلك في شيء من أمرك إلى نفسك، وأن يتولى منك ما تولى من أوليائه وأحبائه؛ فإنه ولي ذلك والمرغوب إليه فيه. وقد كتبت لك ما أمرت به وشرحته لك وبينته، فتفقهه وتدبره وردد قراءته حتى تحفظه، فإني قد اجتهدت لك في ذلك ولم آلك والمسلمين نصحا، ابتغاء وجه الله وثوابه وخوف عقابه. وإني لأرجو –إن عملت بما فيه من البيان– أن يوفر الله لك خراجك من غير ظلم مسلم ولا معاهد، ويصلح لك رعيتك فإن صلاحهم بإقامة الحدود عليهم ورفع الظلم عنهم والتظالم فيما اشتبه من الحقوق عليهم. وكتبت لك أحاديث حسنة، فيها ترغيب وتحضيض ما سألت عنه، مما تريد العمل به إن شاء الله. فوفقك الله لما يرضيه عنك، وأصلح بك، وعلى يديك.

➔ أبو يوسف القاضي [صاحب أبي حنيفة] هو الإمام المجتهد المحدث قاضي القضاة أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي الأنصاري، ولد سنة 113 هـ وتوفي سنة 182 هـ. حدث عن هشام بن عروة، وأبي حنيفة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعطاء بن السائب، وأبي إسحاق الشيباني، والأعمش، وحجاج بن أرطاة. وحدث عنه يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وعلي بن الجعد، وأسد بن الفرات، وابن سماعة، وهلال الرأي، وعمرو الناقد، ومعلى بن منصور، ومحمد بن الحسن، وعدة.

قال ابن أبي الزناد: عن هشام بن عروة قال: استعمل ابن عامر[1] عمرو بن أصبغ على الأهواز، فلما عزله قال له: ما جئت به؟ قال له ما معي إلا مائة درهم وأثواب. قال: كيف ذلك؟ قال: أرسلتني إلى بلد أهله رجلان: رجل مسلم له ما لي وعليه ما علي، ورجل له ذمة الله ورسوله، فو الله ما دريت أين أضع يدي. قال: فأعطاه عشرين ألفا. وقال جعفر بن يحيى: الخراج عمود الملك، وما استغزر بمثل العدل، ولا استنزر بمثل الظلم.

قال الفضيل بن عياض: لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام، لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد. قال الله تعالى:﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة] يعني لولا أن الله تعالى أقام الخليفة العادل في الأرض يدفع القوي عن الضعيف وينصف المظلوم من الظالم، لأهلك القوي الضعيف وتواثب الخلق بعضهم إلى بعض، فلا ينتظم لهم حال ولا يستقر لهم قرار فتفقد الأرض ومن عليها، ثم امتن الله تعالى على الخلق بإقامة الخليفة فقال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة] يعني في إقامة الخليفة في الأرض فيأمن الناس به، فيكون فضله على الظالم كف يده وفضله على المظلوم أمانة وكف يد الظالم عنه. يقول ابن تيمية:﴿إِنَّ اللَّهَ يُقِيمُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُشْرِكَةً وَيُهْلِكُ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُؤْمِنَةً – وفي رواية–: إِنَّ اللَّهَ يُقِيمُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً وَلَا يُقِيمُ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً﴾ وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام. عن علي مرفوعا:﴿احْذَرُوا الْبَغْيَ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عُقُوبَةٍ هِيَ أَحْضَرُ مِنْ عُقُوبَةِ الْبَغْيِ﴾ وعن أبي بكرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَا تَبْغِ وَلَا تَكُنْ بَاغِيًا. فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس] وفي مسند الإمام أحمد، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَإِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشَدَّهُ عَذَابًا: إِمَامٌ جَائِرٌ﴾ وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ﴾.

عن أنس﴿أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّم ضَرَبَ مَثَلَ الإِنْسَانِ وَالأَجَلِ وَالأَمَلِ فَقَالَ: مَثَلُ الأَجَلِ إِلَى جَانِبِهِ وَالأَمَلِ أَمَامَهُ فَبَيْنَا هُوَ يَأْمُلُ أَمَامَهُ إِذْ أَتَاهُ أَجَلُهُ فَاخْتَطَفَهُ﴾ وعن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿أَنَّهُ خَطَّ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ وَسَطَ الخَطِّ المُرَبَّعِ، وَخُطُوطًا إِلَى جَانِبِ الخَطِّ الَّذِي وَسَطَ الخَطِّ المُرَبَّعِ، وَخَطًّا خَارِجًا مِنَ الخَطِّ المُرَبَّعِ، فَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هَذَا الإِنْسَانُ الخَطُّ الأَوْسَطُ، وَهَذِهِ الخُطُوطُ إِلَى جَنْبِهِ الأَعْرَاضُ تَنْهَشُهُ – أَوْ تَنْهَشُهُ – مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا، أَصَابَهُ هَذَا، وَالخَطُّ المُرَبَّعُ الأَجَلُ المُحِيطُ، وَالخَطُّ الخَارِجُ الأَمَلُ﴾ وقال الثوري:﴿لَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا بِلُبْسِ العَبَاءِ وَلَا بِأَكْلِ الخَشِنِ، إِنَّمَا الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قِصَرُ الأَمَلِ﴾ وعن أبي ثمامة، قال:﴿قَالَ الحَوَارِيُّونَ: يَا عِيسَى مَا الإِخْلاَصُ للهِ؟ قَالَ: أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ العَمَلَ لَا يُحِبُّ أَنْ يَحْمَدَهُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَالمُنَاصِحُ للهِ الَّذِي يَبْدَأُ بِحَقِّ اللهِ قَبْلَ حَقِّ النَّاسِ فَيُؤْثِرُ حَقَّ اللهِ عَلَى حَقِّ النَّاسِ وَإِذَا عُرِضَ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا لِلدُّنْيَا وَالآخَرُ لِلآخِرَةِ بَدَأَ بِأَمْرِ الآخِرَةِ قَبْلَ أَمْرِ الدُّنْيَا﴾ وعن ثوبان، قال:﴿لَمَّا نَزَلَ فِي الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ مَا نَزَلَ، قَالُوا: فَأَيَّ الْمَالِ نَتَّخِذُ؟ قَالَ عُمَرُ: فَأَنَا أَعْلَمُ لَكُمْ ذَلِكَ. فَأَوْضَعَ عَلَى بَعِيرِهِ، فَأَدْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا فِي أَثَرِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَّ الْمَالِ نَتَّخِذُ؟ فَقَالَ: لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ﴾.

➔ أبو عبد الرحمن عبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس القرشي العبشمي، فاتح خراسان وغيرها، ولاه سيدنا عثمان البصرة، وولاه معاوية البصرة ثلاث سنين. ولد سنة 4 هـ. ومات قبل معاوية بعام، سنة 59هـ.

مراجع: سراج الملوك/ مسند أحمد/ الخراج لأبي يوسف/ حياة التابعين/ سنن ابن ماجه/ تفسير المنار/ العقد الفريد/ موقف العلماء والمفكرين من الشيعة الإثني عشرية/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وشعيب بن حرب [116]

قال شعيب بن حرب :[1] بينما أنا في طريق مكة إذ رأيت هارون الرشيد. فقلت في نفسي: قد وجب عليك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فخوفتني نفسي ، وقالت: إنه الآن يضرب عنقك. فقلت: لا بد من ذلك. فناديته: فقلت: يا هارون، قد أتعبت الأمة، والبهائم. فقال: خذوه. فأدخلت عليه، وفي يده لت من حديد يلعب به، وهو جالس على كرسي، فقال: ممن الرجل؟ فقلت: رجل من المسلمين. فقال: ثكلتك أمك، ممن أنت؟ فقلت: من الأبناء. فقال: ما حملك على أن دعوتني باسمي؟ قال: فخطر ببالي شيء لم يخطر ببالي قبل ذلك، فقلت: أنا أدعو الله باسمه، يا الله، يا رحمن أفلا أدعوك باسمك؟ ! وهذا الله سبحانه قد دعا أحب خلقه إليه باسمه: محمدا، وكنى أبغض الخلق إليه، فقال﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد] فقال الرشيد: أخرجوه أخرجوه. فأخرجت.

قام رجل إلى هارون الرشيد وهو يخطب بمكة، فقال: كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون. فأمر به فضرب مائة سوط، فكان يئن الليل كله ويقول: الموت! الموت. فأخبر هارون أنه رجل صالح، فأرسل إليه فاستحله، فأحله.

حج هارون الرشيد، فبلغه عن عابد بمكة مجاب الدعوة معتزل في جبال تهامة فأتاه هارون الرشيد فسأله عن حاله ثم قال له: أوصني ومرني بما شئت، فواد لا عصيتك! فسكت عنه ولم يرد عليه جوابا؛ فخرج عنه هارون، فقال له أصحابه ما منعك إذا سألك أن تأمره بما شئت وحلف ألا يعصيك أن تأمره بتقوى الله والإحسان إلى رعيته؟ فخط لهم في الرمل: إني أعظمت الله أن يكون يأمره فيعصيه، وآمره أنا فيطيعني.

قال داود بن علي الكاتب: لما افتتح هارون الرشيد هرقلة* وأباحها ثلاثة أيام، وكان بطريقها الخارج عليه فسيل الرومي[2]؛فنظر إليه الرشيد مقبلا على جدار فيه كتاب باليونانية وهو يطيل النظر فيه. فدعا به وقال له: لم تركت النظر إلى الانتهاب والغنيمة وأقبلت على هذا الجدار تنظر فيه؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قرأت في هذا الجدار كتابا هو أحب إلي من هرقلة وما فيها. قال له الرشيد: ما هو؟ قال: بسم الله الملك الحق المبين. ابن آدم، غافص الفرصة عند إمكانها، وكل الأمور إلى وليها. ولا تحمل على قلبك هم يوم ولم يأت بعد؛ إن يكن من أجلك يأتك الله برزقك فيه؛ ولا تجعل سعيك في طلب المال أسوة المغرورين، فرب جامع لبعل حليلته، واعلم أن تقتير المرء على نفسه هو توفير منه على غيره، فالسعيد من اتعظ بهذه الكلمات ولم يضيعها. قال له الرشيد: أعدها علي يا فسيل. فأعادها عليه حتى حفظها. وقال الحسن: ابن آدم، أنت أسير في الدنيا، رضيت من لذتها بما ينقضي، ومن نعيمها بما يمضي، ومن ملكها بما ينفد، فلا تجمع الأوزار لنفسك، ولأهلك الأموال، فإذا مت حملت الأوزار إلى قبرك وتركت أموالك لأهلك.

كان الغزو في بلاد الروم لا ينقطع، ويقوده الرشيد بنفسه أحيانًا، وفي عام 187 هـ. نقض الروم بعد أن ولوا عليهم نقفور[3]،الذي كتب إلى الرشيد: من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب. إذا قرأت كتابي هذا، فاردد إلى ما حمل إليك من الأموال، وافتد نفسك، وإلا فالسيف بيننا وبينك. فغضب الرشيد غضبًا شديدًا. وكتب إليه: من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قرأت كتابك يا ابن الكافرة. والجواب ما تراه دون ما تسمعه وسار إليه على جيش كبير. حتى دخل العاصمة (هرقلة) وانتصر عليهم، وأسر ابنة ملكهم، وغنم الكثير. وفرض عليهم الجزية. ونقض أهل قبرص فأخضعهم.

* مدينة ببلاد الروم (تقع شمالي غربي طرسوس) سميت بهرقلة بنت الروم، وكان الرشيد غزاها بنفسه، سنة 191هـ ثم افتتحها عنوة بعد حصار وحرب شديد ورمى بالنار والنفط حتى غلب أهلها. وكانت المدينة كرسي ملك القياصرة، بناها هرقل أحد القياصرة.

---

(1) شعيب بن حرب المدائني، ويكنى أبا صالح. وهو من أبناء خراسان، نزل المدائن واعتزل بها ثم خرج إلى مكة فنزلها إلى أن مات بها .سمع شعبة وسفيان الثوري وزهير بن معاوية وغيرهم، روى عنه موسى بن داود الضبي ويحيى بن أيوب المقابري وأحمد بن حنبل وغيرهم. وكان أحد المذكورين بالعبادة والصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. توفي بمكة سنة 197 هـ. وقيل سنة 199 هـ.

(2) فسيل الرومي.؟ بسيل الرومي الترجمان من حاشية الرشيد. قال كنت مع هارون الرشيد حين فتحت هرقلة – وذكر خبرا.

(3) نقفور الأول، إمبراطور بيزنطية توفي سنة 196 هـ وعمره 50 أو51 سنة

كان شعيب بن حرب يقول: من أراد الدنيا فليتهيأ للذل. قال ابن إسماعيل: ذهبنا إلى المدائن، إلى شعيب بن حرب، وكان قاعدا على شط دجلة، وكان قد بنى كوخا، وخبز له معلق في شريط، ومطهرة يأخذ كل ليلة رغيفا يبله في المطهرة ويأكله، فقال بيده هكذا، وإنما كان جلدا وعظما. قال: فقال: أترى ههنا بعد لحما، والله لأعملن في ذوبانه حتى أدخل القبر وأنا عظام تقعقع أريد السمن للدود والحيات؟ قال: فبلغ أحمد بن حنبل قوله فقال: شعيب بن حرب حمل على نفسه الورع. قال أحمد بن الفضل: رأيت شعيب بن حرب بمكة وعليه جبة صوف رقيقة نظيفة، وعليه إزار خفيف إلى الصفرة، وعمامة، وهو حاف وقد صفر لحيته على لون، ووجهه مصفر، وفي كمه دريهمات تكون مقدار ثلاثين درهما، وقال: ما أصبحت أملك شيئا من الدنيا أستطيعه إلا هذه، ورأيته يكى حتى رأيت دموعه تسيل على لحيته.قال إبراهيم بن عبد الملك: جاء رجل إلى شعيب بن حرب وهو بمكة فقال: ما جاء بك؟ قال جئت أؤنسك. قال: جئت تؤنسني وأنا أعالج الوحدة منذ أربعين سنة. قال عبد الله بن أيوب المخزومي: قال شعيب بن الحرب: من طلب الرياسة ناطحته الكباش، ومن رضي أن يكون ذنبا أبى الله إلا أن يجعله رأسا.

قال الله تعالى:﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات] وقال الله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران] وقال الله تعالى :﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة] عن تميم الداري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّمَا الدِّينُ النَّصِيحَةُ إِنَّمَا الدِّينُ النَّصِيحَةُ إِنَّمَا الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ﴾ قال الإمام أبو سليمان الخطابي النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له ومعنى الحديث عماد الدين وقوامه النصيحة كقوله الحج عرفة أي عماده ومعظمه عرفة (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) أما النصيحة لله تعالى فمعناها منصرف إلى الإيمان به ونفي الشريك عنه وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصح نفسه فالله سبحانه وتعالى غنى عن نصح الناصح وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابه وأما النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتصديقه على الرسالة والإيمان بجميع ما جاء به وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به والمراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمور فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم. قال السندي: قوله (إن الدين النصيحة) المراد بالنصيحة إما الخلوص في المعاملة عن الغش، وحينئذ يظهر شمول النصيحة لله تعالى وغيره، فالنصيحة لله تعالى أن يعامل الله معاملة خالصة حسنة لائقة بجنابه العلي، وعلى هذا القياس. وإما إرادة الخير للمنصوح، لكن لا بمعنى النافع، حتى يقال: كيف يستقيم من العبد إرادة الخير للرب تعالى، بل بمعنى اللائق، فيريه من نفسه وغيره لله تعالى ما يليق به تعالى، كالتسبيح والتقديس والتحميد. وعلى هذا القياس. عن جرير، قال:﴿بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ – فَلَقَّنَنِي – فِيمَا اسْتَطَعْتُ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ﴾ قال الغزالي: إن السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته، وهو إما معزول أو واجب العزل، وهو على التحقيق ليس بسلطان. مع التأكيد والتنبيه على أن واجب الأمة نصح الإمام وإرشاده قبل أن تفكر في الخروج عليه، فقد قال صلى الله عليه وسلم : الدين النصيحة.

والنصوص الدالة على أهمية المناصحة ومكانتها السامية، وما لها من شأن في الإسلام كثيرة. وذلك لما للنصيحة من أثر فعال في تلافي الأخطاء والسير على نهج قويم، وتجنب المزالق والمخاطر، والابتعاد عن مواطن الهلكة والزيغ والضلال.

والنصيحة حق للمسلم على المسلم، وواجب له على أخيه، وتتأكد نحو ولاة الأمور لما ينجم عن سلوكهم المستقيم من نفع عام، وما ينشأ عن اعوجاجهم من أثر سيئ على الناس وما يعكسه من نتائج وخيمة. لذا عبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن الدين بأنه النصيحة، وفي حديث آخر النص على مناصحة ولاة الأمور.

عن أبي سعيد، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة بعد العصر إلى مغيربان الشمس، حفظها منا من حفظها، ونسيها من نسي فحمد الله – قال عفان، وقال حماد: وأكثر حفظي أنه قال: بما هو كائن إلى يوم القيامة – فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ﴿أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، أَلَا فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، أَلَا إِنَّ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى، مِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا وَيَحْيَا مُؤْمِنًا وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِرًا وَيَحْيَا كَافِرًا وَيَمُوتُ كَافِرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا وَيَحْيَا مُؤْمِنًا وَيَمُوتُ كَافِرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِرًا وَيَحْيَا كَافِرًا وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا، أَلَا إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ تُوقَدُ فِي جَوْفِ ابْنِ آدَمَ، أَلَا تَرَوْنَ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ، فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَلْيَلْزَقْ بِالْأَرْضِ، أَلَا إِنَّ خَيْرَ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ بَطِيءَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الرِّضَا، وَشَرَّ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ سَرِيعَ الْغَضَبِ بَطِيءَ الرِّضَا، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ بَطِيءَ الْغَضَبِ بَطِيءَ الْفَيْءِ وَسَرِيعَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الْفَيْءِ فَإِنَّهَا بِهَا، أَلَا إِنَّ خَيْرَ التُّجَّارِ مَنْ كَانَ حَسَنَ الْقَضَاءِ حَسَنَ الطَّلَبِ، وَشَرَّ التُّجَّارِ مَنْ كَانَ سَيِّئَ الْقَضَاءِ سَيِّئَ الطَّلَبِ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ حَسَنَ الْقَضَاءِ حَسَنَ الطَّلَبِ، فَإِنَّهَا بِهَا أَلَا إِنَّ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ، أَلَا وَأَكْبَرُ الْغَدْرِ غَدْرُ أَمِيرِ عَامَّةٍ، أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مَهَابَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ، أَلَا إِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ﴾، فلما كان عند مغيربان الشمس قال:﴿أَلَا إِنَّ مِثْلَ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا مِثْلُ مَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِيمَا مَضَى مِنْهُ﴾ وفي رواية عن أبي سعيد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا رَآهُ﴾ قال أبو سعيد: حملني ذلك على أن ركبت إلى فلان فملأت أذنيه ثم رجعت. وعن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِذَا رَأَيْتُمْ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ أَنْتَ ظَالِمٌ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ﴾ وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا: يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُ وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ سَخَطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عليه النَّاسَ﴾ وعن معاذ بن جبل قال: إنكم لن تروا من الدنيا إلا بلاء، وفتنة، ولا يزيد الأمر إلا شدة، ولا الأئمة إلا علطا، وما يأتيكم أمر يهولكم إلا حقره ما بعده.

مراجع: صحيح مسلم/ مسند أحمد/ البداية والنهاية/ وفيات الأعيان/ صفة الصفوة/ العقد الفريد/ موجز التاريخ الإسلامي منذ آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر/ العقد الفريد/ إكمال الكمال

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وعبد الله بن إدريس وحفص بن غياث ووكيع ابن الجراح [117]

قال حماد بن المؤمل أبو جعفر الضرير الكلبي: حدثني شيخ على باب بعض المحدثين، قال: سألت وكيعا [1] عن مقدمه هو وابن إدريس [2] وحفص على هارون الرشيد؟ فقال لي: ما سألني عن هذا أحد قبلك، قدمنا على هارون أنا وعبد الله بن إدريس، وحفص بن غياث، فأقعدنا بين السريرين، فكان أول ما دعا به أنا، فقال لي هارون: يا وكيع، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: إن أهل بلدك طلبوا مني قاضيا وسموك لي فيمن سموا، وقد رأيت أن أشركك في أماناتي، وصالح ما أدخل فيه من أمر هذه الأمة، فخذ عهدك وامض، فقلت: يا أمير المؤمنين أنا شيخ كبير، وإحدى عيني ذاهبة، والأخرى ضعيفة، فقال هارون: اللهم غفرا خذ عهدك أيها الرجل وامض، فقلت: يا أمير المؤمنين والله لئن كنت صادقا إنه لينبغي أن تقبل مني، ولئن كنت كاذبا فما ينبغي أن تولي القضاء كذابا، فقال: اخرج، فخرجت ودخل ابن إدريس، وكان هارون قد وسم له من ابن إدريس وسم، يعني خشونة جانبه فدخل فسمعنا صوت ركبتيه على الأرض حين برك، وما سمعناه يسلم إلا سلاما خفيا، فقال له هارون: أتدري لم دعوتك؟ قال: لا. قال: إن أهل بلدك طلبوا مني قاضيا وأنهم سموك لي فيمن سموا، وقد رأيت أن أشركك في أماتني، وأدخلك في صالح ما أدخل فيه من أمر هذه الأمة، فخذ عهدك وامض. فقال له ابن إدريس: ليس أصلح للقضاء، فنكت هارون بإصبعه، وقال له وددت أني لم أكن رأيتك، قال ابن إدريس وأنا وددت أني لم أكن رأيتك، فخرج ثم دخل حفص بن غياث، فقال له كما قال لنا، فقبل عهده وخرج. فأتانا خادم معه ثلاثة أكياس، في كل كيس خمسة آلاف، فقال لي إن أمير المؤمنين يقرئكم السلام، ويقول لكم: قد لزمتكم في شخوصكم مئونة فاستعينوا بهذه في سفركم. قال وكيع: فقلت له اقرئ أمير المؤمنين السلام وقل له: وقعت مني بحيث يحب أمير المؤمنين وأنا عنها مستغن، وفي رعية أمير المؤمنين من هو أحوج إليها مني فأن رأى أمير المؤمنين أن يصرفها إلى من أحب، وأما ابن إدريس فصاح به: مر من هاهنا: وقبلها حفص، وخرجت الرقعة إلى ابن إدريس من بيننا، عافانا الله وإياك، سألناك أن تدخل في أعمالنا فلم تفعل ووصلناك من أموالنا فلم تقبل، فإذا جاءك ابني المأمون فحدثه إن شاء الله. فقال للرسول: إذا جاءنا مع الجماعة حدثناه إن شاء الله. ثم مضينا فلما صرنا إلى الياسرية حضرت الصلاة، فنزلنا نتوضأ للصلاة، قال وكيع: فنظرت إلى شرطي محموم نائم في الشمس عليه سواده، فطرحت كسائي عليه، وقلت: يدفأ إلى أن أتوضأ، فجاء ابن إدريس فاستلبه. ثم قال لي: رحمته لا رحمك الله، في الدنيا أحد يرحم مثل ذا؟ ثم التفت إلى حفص، فقال له: يا حفص قد علمت حين دخلت إلى سوق أسد فخضبت لحيتك، ودخلت الحمام أنك ستلي القضاء، لا والله لا كلمتك حتى تموت.قال: فما كلمه حتى مات.

في رواية عن رجل، عن وكيع: أن عبد الله بن إدريس امتنع من القضاء، وقال للرشيد: لا أصلح. فقال الرشيد: وددت أني لم أكن رأيتك. فقال: وأنا وددت أني لم أكن رأيتك، فخرج، ثم ولى حفص بن غياث، وبعث الرشيد بخمسة آلاف إلى ابن إدريس، فقال للرسول – وصاح به –: مر من هنا. فبعث إليه الرشيد: لم تل لنا، ولم تقبل صلتنا، فإذا جاءك ابني المأمون، فحدثه. فقال: إن جاء مع الجماعة حدثناه، وحلف ألا يكلم حفص بن غياث حتى يموت.

قال يعقوب بن شيبة: حدثنا عبيد بن نعيم، حدثنا الحسن بن الربيع البوراني، قال: قرئ كتاب الخليفة إلى ابن إدريس وأنا حاضر: من عبد الله هارون أمير المؤمنين، إلى عبد الله بن إدريس. قال: فشهق ابن إدريس شهقة، وسقط بعد الظهر، فقمنا إلى العصر وهو على حاله، وانتبه قبيل المغرب، وقد صببنا عليه الماء، فلا شيء. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، صار يعرفني حتى يكتب إلي، أي ذنب بلغ بي هذا؟!.

حدث الحسن بن عيسى [3] مولى عبد الله بن المبارك [4]،قال: حبس الفضل بن يحيى [5] – وهو والي خراسان – خالد بن صبيح [6]،حين أراده على قضاء خراسان، فامتنع، وكان أعلم أهل خراسان بقول أبي يوسف، وأحفظهم له، فحبسه الفضل في السجن. قال الحسن: فكنت جالسا مع ابن المبارك إذ دخل علينا أبو يحيى أكثم بن محمد، فقال له ابن المبارك: من أين جئت يا أبا يحيى؟ قال: من السجن، دخلت على خالد بن صبيح، قال: فكيف رأيته؟ قال: رأيت رجلا لو قرض بالمقاريض ما قبل القضاء، وذلك أني سمعته يقول: هبني أعلم الناس بهذا الكلام، كيف لي باختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وما يدريني ما لحق منه، حتى آخذ مال هذا، وأدفعه إلى هذا، ولا أدري أحق أم لا، فتهلل وجه ابن المبارك وسره ما سمع، وقال: جزاك الله أبا الهيثم خيرا. وحدث الحسن قال: قيل لابن المبارك: أنه قد سمي للوالي قوم يستشيرهم في قاض ينصبه بمرو، وذكروا النضر بن محمد، وخالد بن صبيح، وابن المبارك، وناسا من مشايخ أهل مرو، فغضب ابن المبارك وقال: تراهم طمعوا في أن أشير عليهم بأحد، لو ذكروا لي الفضيل بن عياض ما أشرت به.

عن أشعث بن شعبة المصيصي قال: قدم هارون الرشيد الرقة فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك، وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج الخشب، فلما رأت الناس قالت: ما هذا قالوا: عالم أهل خراسان قدم الرقة يقال له عبد الله بن المبارك، فقالت: هذا والله الملك، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان.

---

(2) عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي ، الإمام، الحافظ، المقرئ، القدوة، شيخ الإسلام، أبو محمد، الأودي، الكوفي. ولد سنة 120 هـ. وقيل: بل كان مولده سنة 115 هـ. وحدث عن أبيه، وخلق كثير. وتلا على نافع، وكان من أئمة الدين. حدث عنه مالك – وهو من مشايخه – وابن المبارك، ويحيى بن آدم، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وخلق كثير. وكان هارون الرشيد أقدمه بغداد ليوليه قضاء الكوفة فامتنع من ذلك، وعاد إلى الكوفة، فأقام بها إلى حين وفاته. مات بالكوفة، في ذي الحجة، سنة 192 هـ وعن حسين العنقزي، قال: لما نزل بابن إدريس الموت، بكت بنته. فقال: لا تبكي يا بنية، فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة. قال يعقوب بن شيبة: كان عابدا، فاضلا، كان يسلك في كثير من فتياه ومذاهبه مسالك أهل المدينة، يخالف الكوفيين، وكان بينه وبين مالك صداقة. ثم قال: وقد قيل: إن جميع ما يرويه مالك في الموطأ، فيقول بلغني عن علي -رضي الله عنه- أنه سمعه من ابن إدريس. قال أبو حاتم: هو حجة، إمام من أئمة المسلمين.وقيل: لم يكن بالكوفة أحد أعبد لله من ابن إدريس.

(1) وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي الرؤاسي ، ابن فرس بن جحمة بن سفيان بن الحارث بن عمرو بن عبيد بن رؤاس، الإمام، الحافظ، محدث العراق، أبو سفيان الرؤاسي، الكوفي، ولد سنة 129 هـ وقيل: سنة 128 هـ، واشتغل في الصغر. وسمع من خلق كثير. وكان من بحور العلم، وأئمة الحفظ. حدث عنه سفيان الثوري – أحد شيوخه – وعبد الله بن المبارك، والفضل بن موسى السيناني – وهما أكبر منه – ويحيى بن آدم، وعبد الرحمن بن مهدي، والحميدي، ومسدد، وعلي، وأحمد، وابن معين، وإسحاق، وأمم سواهم. حج وكيع سنة 196 هـ، ومات بفيد. وقيل: سنة 197 هـ، يوم عاشوراء، وقيل سنة 198 هـ.

(6) خالد بن يزيد بن صالح بن صبيح ابن الخشخاش بن معاوية بن سفيان المري، أبو هاشم الدمشقي، قاضي البلقاء، والد عرك بن خالد المقرئ الذي يروي الحروف، عن يونس بن ميسرة بن حلبس. وروى عن خلق كثير. مات بعد 160 هـ.

(4) أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، مولى بني حنظلة، كان قد جمع بين العلم والزهد، تفقه على سفيان الثوري ومالك بن أنس رضي الله عنهما، وروى عنه الموطأ، وكان كثير الانقطاع حبا للخلوة شديدة التورع، وكذلك كان أبوه. كان عبد الله قد غزا، فلما انصرف من الغزو وصل إلى هيت فتوفي بها في رمضان سنة 181 هـ أو 182 هـ، ومولده بمرو سنة 118 هـ.

(5) أبو العباس الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك بن جامماش بن بشتاسف البرمكي وزير هارون الرشيد.وكان ابنه الفضل من رجال الكمال، ولي إمرة خراسان، وعمل الوزارة، وكان فيها – قيل – أسخى من أخوه جعفر البرمكي، ولكنه يضرب بكبره وتيهه المثل، وكان أخا للرشيد من الرضاعة وعمل الوزارة مدة لهارون، ثم حوطها منه إلى جعفر، واستعمل على المشرق كله هذا، واستعمل جعفرا على المغرب كله. ولد الفضل البرمكي سنة 176 هـ وتوفي بالسجن سنة 193 هـ.

(3) الحسن بن عيسى بن ماسرجس أبو علي النيسابوري، مولى ابن المبارك، قدم بغداد حاجا، وحدث بها، كان ثقة، أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي. مات في المنصرف من مكة بالثعلبية سنة 239 هـ.

عن إسحاق بن إبراهيم، عن الكسائي [1]،قال: قال لي هارون الرشيد: من أقرأ الناس؟ فقلت: عبد الله بن إدريس. قال: ثم من؟ قلت: ثم حسين الجعفي [2].قال: ثم من؟ قلت: رجل آخر. قال يحيى بن معين: سمعت ابن إدريس يقول: عندي قوصرة ملكاية، وراوية من حوض الربابين، ودبة زيت، ما أحد أغنى مني. قال محمد بن عبد الله بن عمار: كان ابن إدريس إذا لحن أحد في كلامه، لم يحدثه. قال ابن عمار الموصلي: كان ابن إدريس من عباد الله الصالحين، من الزهاد، وكان ابنه أعبد منه، ولم أر بالكوفة أحدا أفضل من عبد الله بن إدريس، وعبدة بن سليمان. قال الفضل بن محمد الشعراني: سمعت يحيى بن آكثم يقول: صحبت وكيعا في الحضر والسفر، وكان يصوم الدهر، ويختم القرآن كل ليلة. قلت: هذه عبادة يخضع لها، ولكنها من مثل إمام من الأئمة الأثرية مفضولة، فقد صح نهيه عليه الصلاة والسلام عن صوم الدهر، وصح أنه نهى أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث، والدين يسر، ومتابعة السنة أولى، فرضي الله عن وكيع، وأين مثل وكيع؟!. قال يحيى بن أيوب، حدثني بعض أصحاب وكيع الذين كانوا يلزمونه:أن وكيعا كان لا ينام حتى يقرأ جزءه من كل ليلة ثلث القرآن، ثم يقوم في آخر الليل، فيقرأ المفصل، ثم يجلس، فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر. قال محمد بن عامر المصيصي: سألت أحمد: وكيع أحب إليك أو يحيى بن سعيد [3] ؟ فقال: وكيع. قلت: كيف فضلته على يحيى، ويحيى ومكانه من العلم والحفظ والإتقان ما قد علمت؟ قال: وكيع كان صديقا لحفص بن غياث، فلما ولي القضاء، هجره، وإن يحيى كان صديقا لمعاذ بن معاذ، فلما ولي القضاء، لم يهجره يحيى.

---

(1) أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز، الأسدي بالولاء الكوفي المعروف بالكسائي؛ أحد القراء السبعة، كان إماما في النحو واللغة والقراءات، ولم تكن له في الشعر يد، حتى قيل: ليس في علماء العربية أجهل من الكسائي بالشعر؛ وكان يؤدب الأمين بن هارون الرشيد ويعلمه الأدب. ولد قرب الكوفة سنة 119 هـ توفي سنة 189 هـ بالري وكان قد خرج إليها صحبة هارون الرشيد. وفي ذلك اليوم توفي الإمام محمد بن الحسن الشيباني (صاحب الإمام أبي حنيفة) بالري أيضا.ويقال إن الرشيد كان يقول: دفنت الفقه والعربية بالري.

(2) حسين بن علي الجعفي، هو أبو عبد الله الحسين بن علي الجعفي بن الوليد الكوفي. توفي يسنة 203 هـ. كان سفيان الثوري إذا رآه عانقه وقال: هذا راهب جعفي. وكان سفيان بن عيينة يعظمه.وقال أحمد بن حنبل: ما رأيت بالكوفة أفضل من حسين الجعفي كان يشبه بالراهب.

(3) يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو بن سهل بن ثعلبة بن الحارث بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار أبو سعيد الأنصاري المديني، كان يتولى القضاء بالمدينة فأقدمه المنصور العراق، وولاه القضاء بالهاشمية، توفي سنة 144 هـ أو بعدها.

مراجع: سير أعلام النبلاء/ تاريخ بغداد/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ وفيات الأعيان/ صفة الصفوة

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وحفص بن غياث [118]

قال يحيى بن الليث: باع رجل من أهل خراسان جمالا بثلاثين ألف درهم من مرزبان المجوسي، وكيل أم جعفر (زبيدة !)، فمطله بثمنها، وحبسه، فطال ذلك على الرجل، فأتى بعض أصحاب حفص بن غياث[1]،فشاوره. فقال: اذهب إليه، فقل له: أعطني ألف درهم، وأحيل عليك بالمال الباقي، وأخرج إلى خراسان، فإذا فعل هذا فالقني حتى أشير عليك. ففعل الرجل، وأعطاه مرزبان ألف درهم. قال: فأخبره. فقال: عد إليه، فقل: إذا ركبت غدا، فطريقك على القاضي، تحضر، وأوكل رجلا يقبض المال، وأخرج، فإذا جلس إلى القاضي فادع عليه بمالك، فإذا أقر، حبسه حفص، وأخذت مالك. فرجع إلى مرزبان، وسأله، فقال: انتظرني بباب القاضي. فلما ركب من الغد، وثب إليه الرجل، فقال: إن رأيت أن تنزل إلى القاضي حتى أوكل بقبض المال، وأخرج. فنزل مرزبان، فتقدما إلى حفص بن غياث. فقال الرجل: أصلح الله القاضي، لي على هذا الرجل تسعة وعشرون ألف درهم. فقال حفص: ما تقول يا مجوسي؟ قال: صدق، أصلح الله القاضي. قال: ما تقول يا رجل، فقد أقر لك؟ قال: يعطيني مالي. فقال: ما تقول؟ قال: هذا المال على السيدة. قال: أنت أحمق تقر ثم تقول: هو على السيدة! ما تقول يا رجل؟ قال: أصلح الله القاضي، إن أعطاني مالي، وإلا حبسته. قال: ما تقول يا مجوسي؟ قال: المال على السيدة. قال القاضي: خذوا بيده إلى الحبس. فلما حبس، بلغ الخبر أم جعفر، فغضبت، وبعثت إلى السندي: وجه إلى مرزبان - وكانت القضاة تحبس الغرماء في الحبس - فعجل السندي، فأخرجه، وبلغ حفصا الخبر، فقال: أحبس أنا؛ ويخرج السندي!! لا جلست أو يرد مرزبان الحبس. فجاء السندي إلى أم جعفر، فقال: الله الله في، إنه حفص بن غياث، وأخاف من أمير المؤمنين أن يقول لي: بأمر من أخرجت؟ رديه إلى الحبس، وأنا أكلم حفصا في أمره. فأجابته، فرجع مرزبان إلى الحبس، فقالت أم جعفر لهارون: قاضيك هذا أحمق، حبس وكيلي، واستخف به، فمره لا ينظر في الحكم، وتولي أمره إلى أبي يوسف، فأمر لها بالكتاب، وبلغ حفصا الخبر. فقال للرجل: أحضرني شهودا حتى أسجل لك على المجوسي بالمال، فجلس حفص، فسجل على المجوسي بالمال، وورد كتاب هارون مع خادم له، فقال: هذا كتاب أمير المؤمنين. قال: مكانك، نحن في شيء حتى نفرغ منه. فقال: كتاب أمير المؤمنين. قال: انظر ما يقال لك. فلما فرغ حفص من السجل، أخذ الكتاب من الخادم، فقرأه، فقال: اقرأ على أمير المؤمنين السلام، وأخبره أن كتابه ورد، وقد أنفذت الحكم. فقال الخادم: قد -والله- عرفت ما صنعت؛ أبيت أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى تفرغ مما تريد، والله لأخبرنه بما فعلت. قال له: قل له ما أحببت. فجاء الخادم فأخبر هارون، فضحك، وقال للحاجب: مر لحفص بثلاثين ألف درهم، فركب يحيى بن خالد، فاستقبل حفصا منصرفا من مجلس القضاء. فقال: أيها القاضي، قد سررت أمير المؤمنين اليوم، وأمر لك بمال، فما كان السبب في هذا؟ قال: تمم الله سرور أمير المؤمنين، وأحسن حفظه وكلاءته، ما زدت على ما أفعل كل يوم. قال: على ذلك؟ قال: ما أعلم إلا أن يكون سجلت على مرزبان المجوسي بما وجب عليه. قال: فمن هذا سر أمير المؤمنين. فقال حفص: الحمد لله كثيرا. فقالت أم جعفر لهارون: لا أنا ولا أنت إلا أن تعزل حفصا، فأبى عليها، ثم ألحت عليه فعزله عن الشرقية، وولاه قضاء الكوفة، فمكث عليها ثلاث عشرة سنة.

قال حميد بن الربيع: لما جيء بعبد الله بن إدريس وحفص بن غياث ووكيع ابن الجراح إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ليوليهم القضاء دخلوا عليه، فأما ابن إدريس فقال: السلام عليكم، وطرح نفسه كأنه مغلوج، فقال هارون: خذوا بيد الشيخ، لا فضل في هذا؛ وأما وكيع فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أتصرف بها منذ سنة، ووضع إصبعه على عينه، وعنى إصبعه، فأعفاه؛ وأما حفص بن غياث فقال: لولا غلبة الدين والعيال ما وليت. قال أبو بكر بن أبي شيبة: سمعت حفص بن غياث يقول: والله ما وليت القضاء حتى حلت لي الميتة.

قال: بعض البصريين: لما أعفى الرشيد عمر بن عثمان التيمي[2]عن القضاء، كتب إلى محمد بن سليمان[3] بن علي باختيار رجل للقضاء، فسمى له عبد الوهاب بن عبد الحميد[4]،ومعاذ بن معاذ[5]،ومحمد بن عبد الله الأنصاري[6]،فقال: ومن معاذ بن معاذ؟ فقيل: ابن عم سوار، وعبيد الله، فقال: هذا فأرسل إليه، فقال: إني أريد توليتك القضاة، فقال: لا أحسنه، قال: لا بد لك من ولايته، قال: إني والله ما أحسنه، وما يحل لك أن توليني صادقا كنت، أو كاذبا، قال: أسألك بقرابتك من رسول الله إما أعفيتني، قال: قد سأل سوار أبا أيوب بن سليمان ابن علي بمثل ما سألتني، فأعفاه ثم ظهر منه على مثل ما ظهر عليه فولاه، فولى.

حدث بعض أهل البصرة قال: كان عمر بن عثمان يسترسل معهم ولا يتكبر عليهم فقال له بعض من ينتصح له: إن القاضي ينبغي له أن يمسك نفسه ويتكبر على أهل عمله فقال له عمر بن عثمان: إنكم إذا وليتم القضاء وضعتموه ها هنا وأشار إلى رأسه ونحن إذا ولينا وضعناه ها هنا وأشار تحت قدمه. قال: وخاصم بعض القرشيين عمر بن عثمان بالمدينة عند بعض ولد محمد بن إبراهيم[7] وهو خليفة أبيه بالمدينة فأسرع إليه القرشي فقال له عمر: على رسلك مالك سريع الإيقاد وشيك الضرمة وإني والله مكافئك دون أن تبلغ غاية التعدي وأبلغ غاية الإعذار.

---

(1) حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي ابن مالك بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن جشم بن وهيبل بن سعد بن مالك بن النخع. أبو عمر النخعي الكوفي، ولي القضاء ببغداد وحدث بها ثم عزل وولي قضاء الكوفة. كان مولده سنة 117 هـ. قال هارون بن حاتم: وفلج حفص حين مات ابن إدريس، فمكث في البيت إلى أن مات: سنة 194 هـ في العشر من ذي الحجة، وصلى عليه الفضل بن العباس أمير الكوفة يومئذ. وقيل: مات سنة 195 هـ. وقيل: سنة 196 هـ والصحيح الأول. ولم يخلف درهما، وخلف عليه تسع مائة درهم دينا. وسمع من عاصم الأحول، وسليمان التيمي، ويحيى بن سعيد، وهشام بن عروة، ويزيد بن أبي عبيد، والعلاء بن المسيب، والأعمش، ومحمد بن زيد بن المهاجر، وابن جريج، وأبي إسحاق الشيباني، وأبي مالك الأشجعي، وحبيب بن أبي عمرة، وبريد بن عبد الله بن أبي بردة، وعبيد الله بن عمر، وليث بن أبي سليم، وهشام بن حسان، والعلاء بن خالد، وجده طلق، وخلق سواهم. وعنه يحيى بن سعيد القطان رفيقه، وابن مهدي، وابن عمه طلق بن غنام، وابنه عمر بن حفص، ويحيى بن يحيى، وأحمد، وإسحاق، ويحيى، وعلي، وابنا أبي شيبة، وأحمد الدورقي، وسفيان بن وكيع، وسلم بن جنادة، وسهل بن زنجلة، وصدقة بن الفضل، وأبو سعيد الأشج، وعلي بن خشرم، وعمرو الناقد، وابن نمير، وهارون بن إسحاق، وهناد، وأبو كريب، وأبو هشام الرفاعي، وأمم سواهم.

(5) معاذ بن معاذ بن حسان بن نصر بن حسان العنبري أبو المثنى قاضي البصرة يروى عن حميد الطويل والبصريين روى عنه أهل العراق وكان مولده سنة 119 هـ. ومات سنة 196 هـ. أو 196 هـ.

(3) محمد بن سليمان بن علي هو أمير البصرة، وابن عم المنصور، والذي ثبت دولتهم بعمله وبلائه يوم باخمرا، وكان قتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن على يده، وولي أيضا إمرة فارس، وكان بطلا شجاعا ممدحا، وكان الرشيد يجله، ويبالغ في إكرامه، وقد ولي أيضا الكوفة، قيل: إن الرشيد استول على تركته، واصطفاها، فكانت بنحو خمسين ألف ألف درهم. كان مولده بالخميمة من الشام سنة 122 هـ. ومات في جمادى الآخرة سنة 173 هـ واصطفى الرشيد عامة ما خلف.

(4) عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفي، لعله عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت عبد الله بن الحكيم، أبو محمد البصري. وكان ثقة وفيه ضعف. ولد عبد الوهاب سنة 108 هـ. وتوفي بالبصرة سنة 194 هـ في خلافة محمد بن هارون.

(2) عمر بن عثمان بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر أبو حفص التيمي المدني. وأم عمرو بن عثمان: أم رومان بنت طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وعثمان بن عمر ولاه أبو جعفر المنصور قضاء عسكره، وولى الرشيد عمر بن عثمان ابنه قضاء البصرة، وكان من وجوه قريش وبلغائها وفصحائها وعلمائها وأهل الحكم منها ولاه الرشيد قضاء البصرة فخرج حاجا ثم لم يرجع إلى القضاء وأقام بالمدينة فأعفاه أمير المؤمنين من القضاء وتركه بالمدينة مقيما فلم يزل بها حتى مات.

(6) محمد بن عبد الله الأنصاري البصري، ولي القضاء بالبصرة بعد معاذ بن معاذ. يروي عن سليمان التيمي وحميد الطويل. روى عنه أبو الربيع الزهراني. مات بالعراق سنة 215 هـ في رجب.

(7) محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي. ولي دمشق لابن عمه المهدي، ثم للرشيد، وولي مكة والموسم، وكان كبير الشأن، يذكر للخلافة. حدث عن: جعفر الصادق، وعن المنصور. روى عنه: ابنه؛ موسى، وحفيده؛ عبد الصمد، وغيرهما. وما علمت أحدا تجاسر على تضعيف هؤلاء الأمراء لمكان الدولة. ولد في حدود 122 هـ. وتوفي ببغداد، سنة 185 هـ.

القضاء فيه خطر عظيم ووزر كبير لمن لم يؤد الحق فيه، ولذلك كان السلف، رحمة الله عليهم، يمتنعون منه أشد الامتناع، ويخشون على أنفسهم خطره. قال إبراهيم بن مهدي: سمعت حفص بن غياث، وهو قاض بالشرقية يقول لرجل يسأل عن مسائل القضاء: لعلك تريد أن تكون قاضيا، لأن يدخل الرجل أصبعه في عينه، فيقتلعها، فيرمي بها، خير له من أن يكون قاضيا. قال عمر بن حفص: سمعت أبي يقول: مررت بطاق اللحامين، فإذا بعليان جالس، فسمعته يقول: من أراد سرور الدنيا وحزن الآخرة، فليتمن ما هذا فيه، فوالله لقد تمنيت أني كنت مت قبل أن ألي القضاء. وقال بشر الحافي: قال حفص بن غياث: لو رأيت أني أسر بما أنا فيه، لهلكت. وقال غنام بن حفص: مرض أبي خمسة عشر يوماً، فدفع إلي مائة درهم وقال: امض بها إلى العامل وقل له هذه رزق خمسة عشر يوماً لم أحكم فيها بين المسلمين لاحظ لي فيها. وكان أبو يوسف لما ولي حفص القضاء قال لأصحابه: تعالوا نكتب نوادر حفص، فلما وردت أحكامه وقضاياه على أبي يوسف قال له أصحابه: أين النوادر التي زعمت بكتبها قال: ويحكم إن حفصاً أراد الله فوفقه. قال سعيد بن سعيد الحارثي، عن طلق بن غنام قال: خرج حفص يريد الصلاة، وأنا خلفه في الزقاق، فقامت امرأة حسناء، فقالت: أصلح الله القاضي، زوجني، فإن إخوتي يضرون بي، فالتفت إلي، وقال: يا طلق! اذهب، فزوجها إن كان الذي يخطبها كفؤا، فإن كان يشرب النبيذ حتى يسكر، فلا تزوجه، وإن كان رافضيا، فلا تزوجه. فقلت: لم قلت هذا؟ قال: إن كان رافضيا فإن الثلاث عنده واحدة، وإن كان يشرب النبيذ حتى يسكر، فهو يطلق ولا يدري.

عن أيوب السختياني، عن أبي قلابة، قال: إذا حدثت الرجل بالسنة فقال: دعنا من هذا وهات كتاب الله، فاعلم أنه ضال. قلت: وإذا رأيت المتكلم يقول: دعنا من الكتاب والسنة وهات ما دل عليه العقل، فاعلم أنه أبو جهل، وإذا رأيت العارف يقول: دعنا من الكتاب والسنة والعقل وهات الذوق والوجد، فاعلم أنه شر من إبليس، وأنه ذو اتحاد وتلبيس. وقال أبي قلابة: لا تجالسوا أهل الأهواء، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون. وقال أبو قلابة لأيوب: يا أيوب، إذا أحدث الله لك علما فأحدث له عبادة، ولا يكن همك أن تحدث به الناس. قال أيوب: مرض أبو قلابة، فعاده عمر بن عبد العزيز وقال: تشدد أبا قلابة، لا يشمت بنا المنافقون. قال حماد بن زيد: مرض أبو قلابة بالشام، فأوصى بكتبه لأيوب وقال: إن كان حيا وإلا فأحرقوها، فأرسل أيوب فجيء بها عدل راحلة.

مراجع: سير أعلام النبلاء/ تاريخ بغداد/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ المغني لابن قدامة/ مصنف ابن أبي شيبة/ أخبار القضاة/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ موطأ مالك/ المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري/ الطبقات الكبرى

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وعافية بن يزيد الأودي الكوفي [119]

أخبر عبد الرحمن بن عبد الله، عن عمه عبد الملك بن قريب الأصمعي[1]،أنه قال: كنت عند الرشيد يوما، فرفع إليه في قاض كان قد استقضاه، يقال له: عافية[2] فكبر عليه، فأمر بإحضاره، فأحضر، وكان في المجلس جمع كثير، فجعل أمير المؤمنين يخاطبه، ويوقفه على ما رفع إليه، وطال المجلس، ثم إن أمير المؤمنين عطس فشمته من كان بالحضرة ممن قرب منه سواه، فإنه لم يشمته، فقال له الرشيد: ما بالك لم تشمتني كما فعل القوم؟ فقال له: عافية، لأنك يا أمير المؤمنين لم تحمد الله، فلذلك لم أشمتك، هذا النبي صلى الله عليه وسلم عطس عنده رجلان، فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر، فقال: يا رسول الله مالك شمت ذلك ولم تشمتني؟ قال: لأن هذا حمد الله فشمتناه، وأنت فلم تحمده فلم أشمتك*، فقال له الرشيد: ارجع إلى عملك، أنت لم تسامح في عطسة تسامح في غيرها؟ وصرفه منصرفا جميلا، وزبر القوم الذين كانوا رفعوا عليه.

حكى إسماعيل بن إسحاق القاضي، عن أشياخه قال: كان عافية القاضي يتقلد للمهدي القضاء بأحد جانبي مدينة السلام مكان ابن علاثة[3]،وكان عافية عالما زاهدا، فصار إلى المهدي في وقت الظهر في يوم من الأيام وهو خال، فاستأذن عليه فأدخله، فإذا معه قمطره، فاستعفاه من القضاء، واستأذنه في تسليم القمطر إلى من يأمر بذلك، فظن أن بعض الأولياء قد غض منه، أو أضعف يده في الحكم، فقال له في ذلك، فقال: ما جرى من هذا شيء، قال: فما سبب استعفائك؟ فقال: كان يتقدم إلي خصمان موسران وجيهان منذ شهرين في قضية معضلة مشكلة، وكل يدعي بينة وشهودا، ويدلي بحجج تحتاج إلى تأمل وتثبت، فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا، أو يعن لي وجه فصل ما بينهما، قال: فوقف أحدهما من خبري على أني أحب الرطب السكر، فعمد في وقتنا وهو أول أوقات الرطب إلى أن جمع رطبا سكرا، لا يتهيأ في وقتنا جمع مثله إلا لأمير المؤمنين، وما رأيت أحسن منه، ورشا بوابي جملة دراهم على أن يدخل الطبق إلي، ولا يبالي أن يرد، فلما أدخل إلي أنكرت ذلك وطردت بوابي، وأمرت برد الطبق فرد، فلما كان اليوم تقدم إلي مع خصمه فما تساويا في قلبي، ولا في عيني، وهذا يا أمير المؤمنين، ولم أقبل، فكيف يكون حالي لو قبلت، ولا آمن أن يقع علي حيلة في ديني فأهلك، وقد فسد الناس فأقلني أقالك الله وأعفني، فأعفاه.

عن علي بن الجعد، قال: رأيت محمد بن عبد الله بن علاثة، وعافية بن يزيد الأودي، وقد شرك المهدي بينهما في القضاء، يقضيان جميعا في المسجد الجامع في الرصافة هذا في أدناه، وهذا في أقصاه، وكان عافية أكثرهما دخولا على المهدي. قال إسحاق بن إبراهيم: كان أصحاب أبي حنيفة الذين يذاكرونه: أبو يوسف، وزفر، وداود الطائي، وأسد بن عمرو، وعافية الأودي، والقاسم بن معن، وعلي بن مسهر، ومندل وحبان ابنا علي، وكانوا يخوضون في المسألة، فإن لم يحضر عافية، قال أبو حنيفة: لا ترفعوا المسألة حتى يحضر عافية، فإذا حضر عافية، فإن وافقهم، قال أبو حنيفة: أثبتوها، وإن لم يوافقهم، قال أبو حنيفة: لا تثبتوها.

حدث إبراهيم سعيد، قال: أحضر المأمون موسى بن سليمان[4]،ومعلى الرازي[5]،فبدأ بأبي سليمان لسنه وشهرته بالورع، فعرض عليه القضاء، فقال: يا أمير المؤمنين، احفظ حقوق الله في القضاء، ولا تول على أمانتك مثلي، فإني والله غير مأمون الغضب، ولا أرضى نفسي لله أن أحكم في عباده، قال: صدقت، وقد أعفيناك، فدعا له بخير، وأقبل على معلى، فقال له مثل ذلك، فقال لا أصلح، قال: ولم؟ قال: لأني رجل أداين، فأبيت مطلوبا وطالبا، قال: نأمر بقضاء دينك ونتقاضى ديونك، فمن أعطاك قبلناه، ومن لم يعطك عوضناك مالك عليه، قال: ففي شكوك في الحكم، وفي ذلك تلف أموال الناس، قال: يحضر مجلسك أهل الدين إخوانك، فما شككت فيه سألتهم عنه، وما صح عندك أمضيته، قال: أنا أرتاد رجلا أوصي إليه من أربعين سنة ما أجد من أوصي إليه، فمن أين أجد من يعينني على قضاء حقوق الله الواجبة عليك حتى أأتمنه على ذلك؟ فأعفاه.

حدث أبو الفضل الربعي، قال: حدثني أبي، قال: استقضى بعض أمراء المدينة عثمان بن طلحة[6]،فامتنع عليه من ذلك، فأشرف عليه بضرب السياط، فلما رأى ذلك، قضى بين الناس حتى استوجب رزق عشرة أشهر، قال: وقدم المهدي المدينة حاجا، فدخل عليه عثمان بن طلحة، فسأله أن يعزله عن القضاء، فقال: ليس إلى ذلك سبيل، قال له عثمان: يا أمير المؤمنين، والله لو علمت أن ملك الروم يجيرني، ولا يمنعني من الصلاة، لاستجرت به. قال له المهدي: وإنك لعلى ما قلت؟ قال: والله إني لعلى ما قلت، قال: فإني قد عزلتك، فاقبض ما لك عندنا من الرزق، قال: والله ما لي عنه غنى، ولكنه كان لي نظراء وأشباه يكرهون من هذا العمل ما أكره، ثم أكرهوا عليه، فدخلوا فيه، فلما عزلوا، كرهوا العزل، فلم أجد معناهم في كراهتهم العزل إلا هذا الرزق، فلذلك كرهت أخذه.

قال الطحاوي: سمعت سليمان بن شعيب: سمعت علي بن معبد[7] يقول: أدخلت على المأمون فقال: يا علي بلغنا عنك أحوال جميلة، وقد رأيت أن أوليك قضاء مصر. فقلت: يا أمير المؤمنين إني أضعف عن ذلك. قال: فاستعف بأخيك، فقد قيل لي إن له فضلا وعلما. أما استعنت أنا بأخي هذا؟ فالتفت، فإذا المعتصم قائم في دارتي. فلم أجبه، فتبينت الغيظ في وجهه، فقلت: لي حرمة. قال: وما ذاك؟ قلت: بسماعي العلم مع أمير المؤمنين عند محمد بن الحسن. قال: ومن أين كنت أنت تصل إلى محمد؟ فقلت: بأبي معبد بن شداد. فقال: أبوك معبد؟ قلت: نعم. قال: إنه كان من طاعتنا على غاية، فلم لا تكون مثله؟ ثم خرجت من عنده.

عن يحيى بن عثمان، قال: أقامت مصر بلا قاض سنة خمس عشرة وست عشرة ومائتين، فلما قدم المأمون مصر في أول سنة سبع عشرة ومائتين طلب قاضيا يقضي بين الناس، فصلى وأمر يحيى بن أكثم[8] بالجلوس في المسجد للقضاء، فجلس يحيى بن أكثم يوم السبت لإحدى عشرة خلت من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين، فقضى بين الناس، وتشاغل المأمون بحربه، وذكر له غير واحد من أهلها، فلم يتم، فخرج ولم يول عليها أحدا غير أنه طلب علي بن معبد بن شداد العبدي، فامتنع عليه.

حدث أحمد بن محمد بن سلامة، قال: سمعت يونس، يقول: سمعت علي بن معبد، يقول: انصرفت من عند المأمون وقد أبيت عليه الدخول فيما عرضه علي من تولي القضاء بمصر، وفرشت حصيرا وقعدت على بابي، وقلت: أقرب ممن عسى أن يأتيني يعزيني على ما نالني، فبينا أنا كذلك، إذ مر رجلان، فسمعت أحدهما، يقول لصاحبه: والله ما صح له إلى الآن شيء وقد فتح بابه وفرش حصيره. فقلت لمن كان عندي: حدث حادث انصرفوا. فانصرفوا ودخلت، ورددت الباب وقعدت من ورائه، وقلت: أقرب على من عسى أن يجيء من إخواني، فمر رجلان، فسمعت أحدهما، يقول لصاحبه: والله ما صح له من الإخوان شيء، فقد أغلق بابه، فكيف لو صح له شيء. فقلت: يا نفس، ألا كنت لا تسلمين بفتح بابك ولا تسلمين بغلقه، فهل بينهما واسطة.

*عن أنس بن مالك قال:﴿عَطَسَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ، فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الْآخَرَ، فَقَالَ الَّذِي لَمْ يُشَمِّتْهُ:عَطَسَ فُلَانٌ فَشَمَّتَّهُ، وَعَطَسْتُ أَنَا فَلَمْ تُشَمِّتْنِي، قَالَ: إِنَّ هَذَا حَمِدَ اللهَ، وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ اللهَ﴾

---

(2) عافية بن يزيد بن قيس بن عافية بن شداد بن ثمامة بن سلمة بن كعب بن أود بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الأودي ولاه أمير المؤمنين المهدي القضاء ببغداد، في الجانب الشرقي. وحدث عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليل، وسليمان الأعمش، ومحمد بن عمرو، ومجالد بن سعيد. روى عنه موسى بن داود الضبي، وأسد بن موسى المصري. وقلما روى، لأنه مات كهلا. قال الخطيب: كان عالما، زاهدا، حكم مدة على سداد وصون، ثم استعفى من القضاء، فأعفي. قيل توفي: سنة 180 هـ.

(6) عثمان بن طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو بن كعب التيمي من أهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولي قضاء المدينة، وكان محمود السيرة، جميل الذكر، وورد بغداد في خلافة المهدي، ولاه المهدي قضاء المدينة، فلم يأخذ على القضاء رزقا، وحمدت سيرته، ثم استعفى، وكان من أشراف قريش.وقد روي عنه الحديث، عن محمد بن المنكدر وغيره..قيل: توفي سنة 161 هـ.

(4) موسى بن سليمان أبو سليمان الجوزجاني، أصله من جوزجان في أفغانستان، سمع: عبد الله بن المبارك، وعمرو بن جميع، وأبا يوسف محمد بن الحسن صاحبي أبي حنيفة، وكان فقيها بصيرا بالرأي، يذهب مذهب أهل السنة في القرآن، وسكن بغداد، وحدث بها، فروى عنه عبد الله بن الحسن الهاشمي، وأحمد بن محمد بن عيسى البرقي، وبشر بن موسى الأسدي. وتوفي بعد الثمانين.

(5) معلى بن منصور، أبو يعلى الرازي سكن بغداد، وحدث بها عن مالك بن أنس، وليث بن سعد، وأبي عوانة، وشريك، والهيثم بن حميد، وابن لهيعة، وموسى بن أعين، ويحيى بن حمزة، وأبي يوسف القاضي، ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة، وأبي بكر بن عياش، وهشيم. روى عنه علي ابن المديني، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأبو خيثمة، وأبو يحيى صاعقة، وأحمد بن منصور الرمادي، وسليمان بن توبة، وعباس الدوري، والحسن بن مكرم، ومحمد بن إسرائيل الجوهري، ومحمد بن سعد العوفي، ومحمد بن شاذان الجوهري، وغيرهم. مات سنة 211 هـ أو 212 هـ.

(7) علي بن معبد بن شداد العبدي الرقي. الحافظ، نزيل مصر. يروى عن أبي الأحوص سلام بن سليم، والليث بن سعد، وعبيد الله بن عمرو الرقي، وإسماعيل بن جعفر، وابن المبارك، وابن وهب، وخلق من الشام والجزيرة ومصر والعراق والحجاز. ويروى عنه إسحاق الكوسج، ودحيم، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، وعبد الملك بن حبيب الفقيه، وأبو حاتم الرازي، ومقدام بن داود الرعيني، ويحيى بن عثمان بن صالح، وأبو يزيد يوسف القراطيسي، وخلق. توفي بمصر سنة 218 هـ

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي، الأصمعي البصري، صاحب اللغة. قيل: اسم أبيه عاصم، ولقبه قريب. كان إمام زمانه في علم اللسان. ولد سنة 121 هـ.وتوفي بالبصرة سنة 216 هـ.

(3) محمد بن عبد الله بن علاثة القاضي، وعلاثة هو ابن علقمة بن مالك العقيلي الجزري، أبو اليسير، توفي سنة 161هـ.

(8) يحيى بن أكثم بن محمد التميمي كان إمام وفقيه وقاضي وكان شديد القرب من الملك العباسي المأمون.

لما ورد في الولايات من التغليظ كان جماعة من السلف يهربون منها كما يروى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدي بن أرطأة نائبه على العراق أن اجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الجرشي فول قضاء البصرة أنفذهما فقال له إياس سل عني وعنه فقيهي المصر الحسن البصري ومحمد بن سيرين وكان القاسم يأتيهما وإياس لا يأتيهما فعلم القاسم أنهما يشيران به فقال لا تسئل عنه ولا عني فوالله الذي لا إله إلا هو إن إياس بن معاوية أفقه وأعلم بالقضاء مني فإن كنت كاذبا فما يحل لك أن توليني وأنا كاذب وإن كنت صادقا فينبغي أن تقبل قولي فقال إياس إنك جئت برجل أوقفته على شفير جهنم فنجى نفسه بيمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف فقال عدي أما إذا قد فهمتها فأنت لها.

مراجع: تاريخ بغداد/ سير أعلام النبلاء/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ شرح سنن ابن أبي داود للعباد/ كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي/ حسن السلوك الحافظ دولة الملوك

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وعمر بن حبيب العدوي [120]

حدث يزيد بن مرة الذارع، قال: حدثنا عمر بن حبيب [1]،قال: حضرت مجلس هارون الرشيد، فجرت مسألة، فتنازعها الحضور، وعلت أصواتهم، فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة [2]،عن النبي صلى الله عليه وسلم فدفع بعضهم الحديث، وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم: لا يحمل هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أبا هريرة متهم فيما يرويه، وصرحوا بتكذيبه، ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم، ونصر قولهم، فقلت أنا: الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو هريرة صحيح النقل، صدوق فيما يرويه عن نبي الله، وغيره، فنظر إلي الرشيد نظر مغضب، فقمت من المجلس، فانصرفت إلى منزلي، فلم ألبث حتى قيل صاحب البريد بالباب، فدخل علي، فقال لي: أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول، وتحنط، وتكفن، فقلت: اللهم إنك تعلم أني دفعت عن صاحب نبيك، وأجللت نبيك صلى الله عليه وسلم أن يطعن على أصحابه، فسلمني منه، فأدخلت على الرشيد، وهو جالس على كرسي من ذهب، حاسر عن ذراعيه، بيده السيف، وبين يديه النطع، فلما بصر بي، قال لي: يا عمر بن حبيب ما تلقاني أحد من الرد والدفع لقولي بمثل ما تلقيتني به! فقلت يا أمير المؤمنين إن الذي قلته، وجادلت عليه، فيه إزراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما جاء به، إذا كان أصحابه كذابين، فالشريعة باطلة، والفرائض، والأحكام في الصيام والصلاة والطلاق والنكاح والحدود كله مردود، وغير مقبول، فرجع إلى نفسه، ثم قال لي: أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله، أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله! وأمر لي بعشرة آلاف درهم.

حدث الحسين بن شداد، قال: كان عمر بن حبيب على قضاء الرصافة لهارون الرشيد، فاستعدى إليه رجل على عبد الصمد بن علي [3]،فأعداه عليه، فأبى عبد الصمد أن يحضر مجلس الحكم، فختم عمر بن حبيب قمطره، وقعد في بيته، فرفع ذلك إلى هارون الرشيد، فأرسل إليه، فقال ما منعك أن تجلس للقضاء؟ فقال: أعدى علي رجل، فلم يحضر مجلسي، قال: ومن هو؟ قال: عبد الصمد بن علي، فقال هارون: والله لا يأتي مجلسك إلا حافيا، قال وكان عبد الصمد شيخا كبيرا، قال: فبسط له اللبود من باب قصره إلى مسجد الرصافة، فجعل يمشي، ويقول: أتعبني أمير المؤمنين، أتعبني أمير المؤمنين! فلما صار إلى مجلس عمر بن حبيب أراد أن يساويه في المجلس، فصاح به عمر، وقال اجلس مع خصمك، قال: فتوجه الحكم على عبد الصمد، فحكم عليه، وسجل به، فقال عبد الصمد: لقد حكمت علي بحكم لا يجاوز أصل أذنك، فقال عمر: أما إني قد طوقتك بطوق لا يفكه عنك الحدادون، قم! كذا ذكر في هذا الخبر أنه كان على قضاء الرصافة، والمحفوظ أنه كان على قضاء الشرقية، والله أعلم.

حدث أبو العباس الكديمي، قال: حدثنا عمر بن حبيب العدوي القاضي، قال: وفدت مع وفد من أهل البصرة حتى دخلنا على أمير المؤمنين المأمون، فجلسنا، وكنت أصغرهم سنا، نطلب قاضيا يولى علينا بالبصرة فينا نحن كذلك، إذ جيء برجل، مقيد بالحديد، مغلولة يده إلى عنقه، فحلت يده من عنقه، ثم جيء بنطع، فوضع في وسطه، ومدت عنقه، وقام السياف شاهر السيف، واستأذن أمير المؤمنين في ضرب عنقه، فأذن له، فرأيت أمرا فظيعا، فقلت في نفسي: والله لأتكلمن فلعله أن ينجو، فقمت، فقلت: يا أمير المؤمنين اسمع مقالتي، فقال لي قل، فقلت إن أباك حدثني عن جدك، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُنَادِي مُنَادٍ مِنْ بُطْنَانِ الْعَرْشِ: لِيَقُمْ مَنْ عَلَى اللهِ أَجْرُهُ، فَلا يَقُومُ إِلا مَنْ عَفَا عَنْ ذَنْبِ أَخِيهِ﴾، فاعف عنه عفا الله عنك يا أمير المؤمنين، فقال لي: آلله إن أبي حدثك، عن جدي، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: آلله إن أباك حدثني، عن جدك، عن ابن عباس، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم فقال: صدقت، إن أبي حدثني، عن جدي، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا، يا غلام أطلق سبيله، فأطلق سبيله، وأمر أن أولى القضاء، ثم قال لي: عمن كتبت؟ قلت: أقدم من كتبت عنه داود بن أبي هند [4]، فقال: تحدث، فقلت: لا، قال: بلى، فحدث فإن نفسي ما طلبت مني شيئا إلا وقد نالته ما خلا هذا الحديث، فإني كنت أحب أن أقعد على كرسي، ويقال لي من حدثك؟ فأقول حدثني فلان، قال فقلت: يا أمير المؤمنين، فلم لا تحدث؟ قال: لا يصلح الملك والخلافة مع الحديث للناس.

---

(1) عمر بن حبيب العدوي من بني عدي بن عبد مناة من أهل البصرة. حدث عن داود بن أبي هند وخالد الحذاء وسليمان التيمي وهشام بن عروة وعمران بن حدير وعبد الملك بن جريج وشعبة، روى عنه محمد بن عبيد الله ابن المنادي وزكريا بن الحارث بن ميمون وعبد الرحمن بن محمد الحارثي وأبو قلابة الرقاشي، وأبو العباس الكديمي وغيرهم. وكان قدم بغداد، وولي بها قضاء الشرقية، وولي قضاء البصرة وذكر ابن المنادي أنه سمع منه ببغداد. مات عمر بن حبيب العدوي قاضي الشرقية من بغداد في سنة 207 هـ وكانت وفاته بعد رجوعه إلى البصرة.

(2) أبي هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أكثر الصحابة حديثا على الإطلاق. ولد سنة 21 ق. هـ تولى ولاية البحرين في خلافة عمر، كما تولى إمارة المدينة.ثم لزم المدينة يعلم الناس الحديث النبوي، ويفتيهم، حتى وفاته سنة 59 هـ

(3) عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو محمد الهاشمي، العباسي، عم السفاح والمنصور. ولد بالبلقاء، سنة نيف ومائة.وكان عظيم الخلقة، وقد خرج عند موت السفاح مع أخيه عبد الله على المنصور، وحاربها أبو مسلم الخراساني، وتقلبت به الأيام، وعاش إلى زمن الرشيد، وكان يجله ويحترمه.ولي إمرة دمشق، وإمرة البصرة، وغير ذلك. مات عبد الصمد بالبصرة، سنة 185 هـ وعمره ثمانون سنة.

(4) داود بن أبي هند أبو محمد بن دينار بن عذافر البصري. من الموالي، أصله من راسان. من الأئمة والأعلام، ويقال اسم أبيه طهمان، ويقال ولاؤه لبني قشير، ويقال كنيته أبو بكر. توفي سنة 139 هـ منصرف الناس من الحج أو سنة 140 هـ بطريق مكة. روى له مسلم والأربعة.

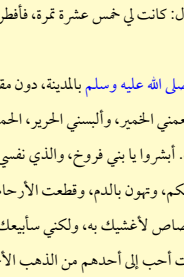

عن أبي كثير قال حدثني أبو هريرة قال ما خلق الله عز وجل مؤمنا يسمع بي ولا يراني إلا أحبني قلت وما علمت بذلك يا أبا هريرة قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوما، فأسمعتني في رسول الله ما أكره، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله؛ إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي فدعوتها اليوم، فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿اللهُمَّ؛ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ﴾ قال: فخرجت مستبشرا بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما صرت إلى الباب، إذا هو مجاف فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، ثم لبست درعها، وعجلت من خمارها، وقالت: يا أبا هريرة؛ أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا أبكي من الفرح، فقلت يا رسول الله؛ أبشر فقد استجاب الله لك، وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله، وقال: خيرا ، فقلت: يا رسول الله؛ ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿اللهُمَّ؛ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا -يعني أبا هريرة - وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمَا الْمُؤْمِنِينَ﴾، فما خلق الله مؤمنا يسمع بي ولا يراني إلا أحبني.

عن الأعرج، قال: قال أبو هريرة: إنكم تقولون: أكثر أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم والله الموعد، إنكم تقولون: ما بال المهاجرين لا يحدثون عن رسول الله بهذه الأحاديث؟ وما بال الأنصار لا يحدثون بهذه الأحاديث؟ وإن أصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم في الأسواق، وإن أصحابي من الأنصار كانت تشغلهم أرضوهم والقيام عليها، وإني كنت امرأ مسكينا، وكنت أكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحضر إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، وإن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا يوما فقال: ﴿مَنْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ حَتَّى أَفْرُغَ مِنْ حَدِيثِي، ثُمَّ يَقْبِضُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي أَبَدًا﴾ فبسطت ثوبي، - أو قال: نمرتي - ثم قبضته إلي، فوالله ما نسيت شيئا سمعته منه، وايم الله، لولا آية في كتاب الله ما حدثتكم بشيء أبدا، ثم تلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ [البقرة] الآية كلها. وعن عكرمة، قال: قال أبو هريرة: إني لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم اثني عشر ألف مرة، وذلك على قدر ديني - أو قدر دينه. وعن فرقد السبخي، قال: كان أبو هريرة يطوف بالبيت وهو يقول: ويل لي من بطني، إذا أشبعته كظني، وإن أجعته سبني. وعن سعيد بن المسيب، قال: رأيت أبا هريرة يطوف بالسوق ثم يأتي أهله فيقول: هل عندكم من شيء. فإن قالوا: لا، قال: فإني صائم. وعن أبي هريرة، أنه كان وأصحابه، إذا صاموا قعدوا في المسجد وقالوا: نطهر صيامنا. وعن أبي هريرة، قال: كانت لي خمس عشرة تمرة، فأفطرت على خمس، وتسحرت بخمس، وبقيت خمسا لفطري. وعن عباس بن فروخ، قال: سمعت أبا عثمان النهدي، يقول: تضيفت أبا هريرة سبع ليال، فكان هو وخادمه وامرأته يعتقبون الليل أثلاثا.

قال عبد المؤمن بن عبد الله السدوسي: سمعت أبا يزيد المديني، يقول: قام أبو هريرة على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، دون مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعتبة، فقال: الحمد لله الذي أهدى أبا هريرة للإسلام، الحمد لله الذي علم أبا هريرة القرآن، الحمد لله الذي من على أبي هريرة بمحمد صلى الله عليه وسلم، الحمد لله الذي أطعمني الخمير، وألبسني الحرير، الحمد لله الذي زوجني بنت غزوان بعدما كنت أجيرا لها بطعام بطني، فأرحلتني فأرحلتها كما أرحلتني ثم قال: ويل للعرب من شر قد اقترب، وويل لهم من إمارة الصبيان، يحكمون فيها بالهوى، ويقتلون بالغضب. أبشروا يا بني فروخ، والذي نفسي بيده لو أن الدين معلق بالثريا لناله منكم أقوام. وعن عطاء، قال: قال أبو هريرة: إذا رأيتم ستا، فإن كانت نفس أحدكم في يده فليرسلها، فلذلك أتمنى الموت أخاف أن تدركني: إذا أمرت السفهاء، وبيع الحكم، وتهون بالدم، وقطعت الأرحام، وقطعت الجلاوزة، ونشأ نشء يتخذون القرآن مزامير.

عن أبي المتوكل، أن أبا هريرة، كانت له زنجية قد غمتهم بعملها، فرفع عليها السوط يوما فقال: لولا القصاص لأغشيك به، ولكني سأبيعك ممن يوفيني ثمنك، اذهبي فأنت لله. وعن أبي سلمة، أن أبا هريرة مرض فدخلت عليه أعوده فقلت: اللهم اشف أبا هريرة، فقال: اللهم لا ترجعها، قال: يا سلمة، يوشك أن يأتي على الناس زمان يكون الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر. وعن سالم بن بشير بن جحل، أن أبا هريرة، بكى في مرضه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكني أبكي على بعد سفري وقلة زادي، وأني أصبحت في صعود مهبط على جنة ونار، لا أدري أيهما يؤخذ بي.

مراجع: تاريخ بغداد/ كنز العمال/ صفة الصفوة/ مسند أحمد/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ تاريخ الإسلام للذهبي

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) والإمام الشافعي [121]

حدث ابن عبد البر المالكي في ترجمة الشافعي قال: حمل الشافعي[1] من الحجاز مع قوم من العلوية* تسعة وهو العاشر إلى بغداد، وكان الرشيد بالرقة*، فحملوا من بغداد إلى الرقة، وأدخلوا عليه ومعه قاضيه محمد بن الحسن الشيباني[2]،وكان صديقا للشافعي، وأحد الذين جالسوه في العلم وأخذوا عنه، فلما بلغه أن الشافعي في القوم الذين أخذوا من قريش واتهموا بالطعن على هارون الرشيد اغتم لذلك غما شديدا، وراعى وقت دخولهم على الرشيد، فلما دخلوا عليه سألهم وأمر بضرب أعناقهم، فضربت أعناقهم، إلى أن بقي حدث علوي من أهل المدينة.- قال الشافعي: وأنا- فقال للعلوي: أنت الخارج علينا والزاعم أني لا أصلح للخلافة؟ فقال: أعوذ بالله أن أدعي ذلك وأقوله، فأمر بضرب عنقه، فقال له العلوي: إن كان لا بد من قتلي فأنظرني إلى أن أكتب إلى أمي فهي عجوز لم تعلم خبري، فأمر بقتله فقتل. ثم قدمت ومحمد بن الحسن جالس معه، فقال لي مثل ما قال للفتى، فقلت: يا أمير المؤمنين لست بطالبي ولا علوي، وإنما أدخلت في القوم بغيا، وإنما أنا رجل من بني عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي، ولي مع ذلك حظ من العلم، والفقه، والقاضي يعرف ذلك، أنا محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف، فقال لي: أنت محمد بن إدريس؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، فقال لي: ما ذكرك لي محمد بن الحسن، ثم عطف على محمد بن الحسن فقال: يا محمد ما يقول هذا؟ هو كما يقوله؟ قال: بل، وله محل من العلم كبير، وليس الذي رفع عنه من شأنه. قال: فخذه إليك حتى أنظر في أمره، فأخذني محمد رحمه الله وكان سبب خلاصي لما أراد الله عز وجل، هذا لفظ ابن عبد البر بعينه.

حدث أحمد بن خالد الكرماني، قال: سمعت المقدمي بالبصرة، يقول: قال الشافعي: لم يزل محمد بن الحسن عندي عظيما جليلا، أنفقت على كتبه ستين دينارا حتى جمعني وإياه مجلس عند الرشيد، فابتدأ محمد بن الحسن، فقال: يا أمير المؤمنين إن أهل المدينة خالفوا كتاب الله نصا، وأحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين. فأخذني ما قدم وما حدث، فقلت: ألا أراك قد قصدت لأهل بيت النبوة ومن نزل القرآن فيهم وأحكمت الأحكام فيهم، وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم، عمدت تهجوهم أرأيتك أنت بأي شيء قضيت، بشهادة امرأة واحدة قابلة حتى تورث ابن خليفة ملك الدنيا ومالا عظيما؟ قال: بعلي بن أبي طالب. قلت: إنما رواه عن علي رجل مجهول يقال له عبد الله بن نجي، ورواه جابر الجعفي[3] وكان يؤمن بالرجعة، سمعت سفيان بن عيينة[4] يقول: دخلت على جابر الجعفي فسألني عن شيء من أمر الكهنة، ونحن معنا قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضاء علي بن أبي طالب.أنه قضى به بين أهل العراق. وقلت له: ما تقول في القسامة؟ قال: استفهام. قلت: يا سبحان الله، تزعم أن رسول رب العالمين حكم في أمته بالاستفهام، يستفهم ولا يحكم به؟ قال: فسمعها هارون. فقال: ما هذا؟ علي بالسيف والنطع، فلما جيء بهما، قلت: يا أمير المؤمنين والله ما هذا عقده في القسامة وإنه ليقول فيها بخلاف هذا، ولكن المتناظران إذا تناظر أحب أحدهما أن يدخل على صاحبه حجة يكبته بها.قال: فسرى عن هارون. قال: فلما خرجنا من عنده قال لي: كنت قد أشطت بدمي، قال: قلت: فقد خلصك الله الآن.

قال معمر بن شبيب: سمعت المأمون يقول لمحمد بن إدريس الشافعي: يا محمد لأي علة خلق الله الذباب؟ قال: فأطرق ثم قال: مذلة للملوك يا أمير المؤمنين، قال: فضحك المأمون، وقال: يا محمد رأيت الذباب قد سقط على خدي؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين ولقد سألتني وما عندي جواب، فلما رأيت الذباب قد سقط بموضع لا يناله أحد انفتق في ذهني الجواب. فقال: لله درك يا محمد.

حدث عمي نوح بن ميمون[5]،قال: قال: دعاني محمد بن الحسن إلى أن أقول القرآن مخلوق، فأبيت عليه فقال لي: زهدت في نصفك، فقلت له: بل زهدت في كلك. وحدث محمد بن إسماعيل أبو إسماعيل، قال: سمعت أحمد بن حنبل، وذكر ابتداء محمد بن الحسن، فقال: كان يذهب مذهب جهم.

* الرقة مدينة شمال سوريا. والرافقة: مدينة جانب الرقة بناها أبو جعفر المنصور، وأنها المهدي، ونزلها الرشيد.

---

(1) محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله الشافعي الإمام زين الفقهاء وتاج العلماء. ولد في سنة 150 هـ، بغزة من بلاد الشام، وقيل باليمن، ونشأ بمكة، وكتب العلم بها، وبمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وقدم بغداد مرتين، وحدث بها، وخرج إلى مصر فنزلها إلى حين وفاته في آخر يوم من رجب سنة 204 هـ. وكان سمع من مالك بن أنس، وإبراهيم بن سعد، وسفيان بن عيينة، وداود بن عبد الرحمن، وعبد العزيز بن محمد الدراوردي، ومسلم بن خالد الزنجي، وإبراهيم بن أبي يحيى، وعبد الرحمن بن أبي بكر المليكي، وعبد الله بن المؤمل المخزومي، وإبراهيم بن عبد العزيز بن أبي محذورة، وعمه محمد بن علي بن شافع، وعبد الله بن الحارث المخزومي، ومحمد بن إسماعيل بن أبي فديك، وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، ومحمد بن عثمان بن صفوان الجمحي، وسعيد بن سالم القداح، ويحيى بن سليم الطائفي، وحاتم بن إسماعيل، وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، وإسماعيل بن جعفر، ومطرف بن مازن، وهشام بن يوسف، ويحيى بن حسان التنيسي، ومحمد بن الحسن الشيباني، وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، وإسماعيل ابن علية، وغير هؤلاء.حدث عنه سليمان بن داود الهاشمي، وأحمد بن حنبل، وأبو ثور إبراهيم بن خالد، والحسين بن علي الكرابيسي، والحسن بن محمد الصباح الزعفراني، وأبو يحيى محمد بن سعيد العطار، وغيرهم.

(2) محمد بن الحسن بن فرقد أبو عبد الله الشيباني مولاهم صاحب أبي حنيفة وإمام أهل الرأي، يكنى أبا عبد الله مولى بني شيبان. أصله دمشقي من أهل قرية تسمى حرستا. قدم أبوه العراق فولد محمد بواسط سنة 132 هـ ونشأ بالكوفة، وسمع العلم بها من أبي حنيفة، ومسعر بن كدام، وسفيان الثوري، وعمر بن ذر، ومالك بن مغول. وكتب أيضا عن مالك بن أنس وأبي عمرو الأوزاعي، وزمعة بن صالح، وبكير بن عامر، وأبي يوسف القاضي. وسكن بغداد وحدث بها. فروى عنه: محمد بن إدريس الشافعي، وأبو سليمان الجوزجاني، وهشام بن عبيد الله الرازي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وإسماعيل بن توبة، وعلي بن مسلم الطوسي، وغيرهم وخرج إلى الرقة وهارون أمير المؤمنين بها، فولاه قضاء الرقة ثم عزله، فقدم بغداد فلما خرج هارون إلى الري الخرجة الأولى أمره فخرج معه فمات بالري سنة 189 هـ وهو ابن 58 سنة.

(5) نوح بن ميمون بن عبد الحميد بن أبي الرجال العجلي، أبو سعيد البغدادي، ويقال: المروزي المعروف بالمضروب، سمي بذلك لضربة كانت في وجهه، ضربه اللصوص، وهو والد محمد بن نوح بن ميمون. روى عن بكير بن معروف ، وسفيان الثوري، وعبد الله بن عمر العمري، وعبد الله بن المبارك، وعقبة بن أبي الصهباء، ومالك بن أنس، ونجيح أبي معشر المدني، وأبي عصمة نوح بن أبي مريم. روى عنه أحمد بن حنبل، وابن أخيه أبو النضر إسماعيل بن عبد الله بن ميمون المروزي الفقيه، وابنه سعيد بن نوح بن ميمون، وعبد الله بن أبي زياد القطواني، ومحمد بن عبد الرحيم البزاز، ومحمد بن عبد الملك الدقيقي، ومحمد بن عبيد الهمداني، ومحمد بن غالب تمتام، ومحمد بن منصور الطوسي، ويحيى بن سهيل السلمي البخاري. مات سنة 218 هـ.

(4) سفيان بن عيينة، أبو محمد بن سفيان بن عيينه بن أبي عمران ميمون الهلالي، مولى امرأة من بني هلال بن عامر رهط ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل مولى بني هاشم، وقيل مولى الضحاك بن مزاحم، وقيل مولى مسعر بن كدام؛ وأصله من الكوفة، وقيل ولد بالكوفة ونقله أبوه إلى مكة، كان إماما عالما ثبتا حجة زاهدا ورعا مجمعا على صحة حديثه وروايته، وحج سبعين حجة. روى عن وعنه خلق كثير. ولد سفيان بالكوفة سنة 107 هـ. وتوفي سنة 198 هـ بمكة ودفن بالحجون.

(3) جابر بن يزيد الجعفي كوفي، أبو زيد، ويقال: أبو عبد الله. وقد احتمله الناس وروواعنه، وعامة ما قذفوه به أنه كان يؤمن بالرجعة، وقد حدث عنه الثوري مقدار خمسين حديثا، ولم يتخلف أحد من الرواية عنه، ولم أر له أحاديث جاوزت المقدار في الإنكار، وهو مع هذا كله إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق.

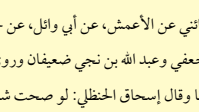

جاء في السنن الصغرى للبيهقي، لما رواه محمد بن عبد الملك الواسطي، عن أبي عبد الرحمن المدائني عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة: أن النبي صلى الله عليه وسلم: أجاز شهادة قابلة. قال الدارقطني: أبو عبد الرحمن المدائني رجل مجهول، والذي رواه فيه عن علي إنما رواه جابر الجعفي عن عبد الله بن نجي، عن علي وجابر الجعفي وعبد الله بن نجي ضعيفان وروي عن سويد بن عبد العزيز، عن غيلان بن جامع، عن عطاء بن أبي مروان، عن أبيه، عن علي، وسويد، ضعيف قال الشافعي: لو ثبت عن علي، صرنا إليه إن شاء الله، ولكن لا يثبت عندكم، ولا عندنا وقال إسحاق الحنظلي: لو صحت شهادة القابلة عن علي لقلنا به، ولكن في إسناده خلل. وجاء في مصنف ابن أبي شيبة، حدثنا أبو بكر قال: حدثنا عيسى بن يونس، عن الأوزاعي، عن الزهري، قال:﴿مَضَتِ السُّنَّةُ أَنْ تَجُوزَ شَهَادَةُ النِّسَاءِ فِيمَا لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ غَيْرُهُنَّ مِنْ وِلَادَاتِ النِّسَاءِ وَعُيُوبِهِنَّ، وَتَجُوزُ شَهَادَةُ الْقَابِلَةِ وَحْدَهَا فِي الِاسْتِهْلَالِ، وَامْرَأَتَانِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ﴾.

- الرجعة : من المعتقدات الأساسية في المذهب الشيعي. ومفاده أن الأئمة الاثني عشر سيعودون إلى الدنيا في آخر الزمان، الواحد بعد الآخر؛ لكي يحكموا الدنيا تعويضا لهم عن حرمانهم من حقهم في الحكم الذي حرموا إياه إبان حياتهم، ويكون أول إمام يرجع إلى الدنيا هو الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري الذي يمهد الأمر لآبائه وأجداده؛ فيتولون الحكم من بعده واحدا بعد الآخر حسب التسلسل الزمني لهم، فيحكم الواحد منهم فترة من الزمن، ثم يموت مرة أخرى ليتولى بعده الحكم من يليه في الترتيب، وهكذا حتى الإمام الحادي عشر الحسن العسكري، وتقوم القيامة بعد ذلك.
- القسامة: هي أن يوجد قتيل بين قوم فيتهمون بقتله فيتبرءون من قتله ويقولون: نحن ما قتلناه. فعند ذلك تكون القسامة، وهي أن يطلب من المدعين أن يحلف منهم خمسون، فإن حلفوا وحصل منهم الحلف جميعا فإنه يقضى على أولئك ويدفع إلى المدعين الشخص المدعى عليه بعينه فيؤخذ بالقتيل، وإن لم يحلف المدعون خمسون يمينا، فإن المدعى عليهم هم الذين يحلفون وتبرأ ساحتهم بذلك. فالقسامة سميت قسامة لأن فيها هذا النوع من القسم الذي هو خمسون يمينا من المدعين أو المدعى عليهم، والبدء في الحلف إنما هو بالمدعين؛ لأن عندهم اللوث الذي هو القرينة أو البينة الناقصة، فإن لم يحلفوا حلف المدعى عليهم وسلموا.
- الجهمية: قال الكرماني: الجهمية فرقة من المبتدعة ينتسبون إلى جهم بن صفوان مقدم الطائفة القائلة إن لا قدرة للعبد أصلا وهم الجبرية (بفتح الجيم وسكون الموحدة) وجهم بن صفوان مات مقتولا في زمن هشام بن عبد الملك.
- العلوية: المنتسبون إلى علي بن أبي طالب، يقال لهم العلويون، والنصيرية، وهي طائفة من الشيعة الجعفرية الإثني عشرية، تتميز بالدعوة السرية اقرب إلى الباطنية.
- الباطنية: قال ابن تيمية: الباطنية الذين جعلوا لكل ظاهر من الكتاب باطنا، ولكل تنزيل تأويلا، قال الشهرستاني: الباطنية القديمة كانت تخلط كلامها ببعض كلام الفلاسفة. أما الباطنية على زمانه فقد جعلهم والإسماعيلية الغلاة فرقة واحدة.

مراجع: تاريخ بغداد/ من أعلام السلف/ شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ مصنف ابن أبي شيبة/ موقف العلماء والمفكرين من الشيعة الإثني عشرية/ شرح الأربعين النووية/ تاج العروس/ تحفة الأحوذي/ الوافي بالوفيات

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وشيبان الراعي[122]

قال زيد بن العباس: لما حج هارون الرشيد قيل له: يا أمير المؤمنين قد حج شيبان[1] العام. قال: اطلبوه لي، فطلبوه فأتوه به فقال له: يا شيبان عظني؟ قال: يا أمير المؤمنين أنا رجل ألكن لا أفصح بالعربية فجئني بمن يفهم كلامي حتى أكلمه، فأتي برجل يفهم كلامه فقال له بالنبطية: قل له: يا أمير المؤمنين إن الذي يخوفك قبل أن تبلغ المأمن أنصح لك من الذي يؤمنك قبل أن تبلغ الخوف. فقال: قل له: أي شيء تفسير هذا؟ قال: قل له: الذي يقول لك: يا هذا اتق الله عز وجل فإنك رجل من هذه الأمة، استرعاك الله عليها وقلدك أمورها وأنت مسئول عنها فاعدل في الرعية واقسم بالسوية، وانفر في السرية، واتق الله في نفسك، هذا الذي يخوفك فإذا بلغت المأمن أمنت، هو أنصح لك ممن يقول: أنتم أهل بيت مغفور لكم، وأنتم قرابة نبيكم وفي شفاعته، فلا يزال يؤمنك حتى إذا بلغت الخوف عطبت. قال: فبكى هارون حتى رحمه من حوله. ثم قال: زدني. قال: حسبك. ثم خرج.

➔ شيبان أبو محمد الراعي، من عباد أهل مرو، توفي في حدود سنة 170 هـ. روى عنه أهل بلده وكان من الأمارين بالمعروف وسكة شيبان بمرو تعرف به وهو صاحب حكايات غريبة مروية وكان بن المبارك لا يميل إليه لميله إلى مذهب الرأي.

كان عمر بن الخطاب يقول: رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي. قال ميمون بن مهران:[1] قال لي عمر بن عبد العزيز: قل لي في وجهي ما أكرهه، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكرهه. وقال مالك: النصيحة لله في أرضه هي التي بعث الله بها أنبياءه، ومن أمر الإسلام القصد والنصيحة لعباد الله في أمورهم، والنفوس مستثقلة للنصح نافرة عن أهله مائلة إلى ما وافق هواها. وفي منثور الحكم: ودك من نصحك وقلاك من مشى في هواك. وكان يقال: أخوك من احتمل ثقل نصيحتك. وقال ابن وهب: إنما يحسن الاختيار لغيره من يحسن الاختيار لنفسه، ولا خير لك فيمن لا خير له في نفسه. وقالت العلماء: لن ينصحك امرؤ لا ينصح نفسه. وقال بعضهم: رأيي ورأيك في المعرفة أمثل لنفسك من رأيك لأنه خلو من هواك. وقال أبو الدرداء: إن شئتم لأنصحن لكم: إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده ويعلمون في الأرض نصحا. وقال أبو الدرداء: العلم يعلمه البر والفاجر والحكمة ينطق بها البر والفاجر، والنصيحة لله لا تثبت إلا في قلوب المتنخبين الذين صحت عقولهم وصدقت نياتهم. وعن الشعبي قال: مر رجل من مراد على أويس القرني فقال: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحمد الله عز وجل. قال: كيف الزمان عليك؟ قال: كيف الزمان على رجل إن أصبح ظن أنه لا يمسي، وإن أمسى ظن أنه لا يصبح؟ فمبشر بالجنة أو مبشر بالنار. يا أخا مراد إن الموت وذكره لم يترك لمؤمن فرحا، وإن علمه بحقوق الله لم يترك له فضة ولا ذهبا، وإن قيامه لله بالحق لم يترك له صديقا.

عن تميم الداري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الدِّينُ النَّصِيحَةُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، - أَوْ لِلْمُؤْمِنِينَ -، وَعَامَّتِهِمْ﴾ (الدين النصيحة) فمن لم ينصح لله وللأئمة وللعامة، كان ناقص الدين. وقوله تعالى:﴿إِذَا نَصَحُوا للهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة] (نصحوا) نصح له تحرى ما ينبغي له وما يصلح وأراد له الخير وأخلص في تدبير أمره. ونصح العبد لله تعالى وقف عند ما أمر وما نهى وفعل ما يجب واجتنب ما يسخط. ونصح لرسوله صلى الله عليه وسلم صدق بنبوته والتزم ما جاء به وتخلق بأخلاقه بقدر طاقته. روى معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ أَبَدًا: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ للهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ﴾ (لا يغل) بضم الياء وكسر الغين، أي لا يكون معها في قلبه غش ودغل ونفاق. وروى (لا يغل) بفتح الياء، أي لا يدخله حقد يزيله عن الحق. وعن جرير بن عبد الله قال:﴿بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَلَقَّنَنِي، فِيمَا اسْتَطَعْتُ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ﴾ وعن أنس: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ﴾ وروي أن رجلا لطم إبراهيم بن أدهم فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي إنك تثيبني وتعاقبه فلا تثبني ولا تعاقبه. عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُسْلِمُ عَبْدٌ حَتَّى يُسْلِمَ قَلْبُهُ، وَلِسَانُهُ، وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ﴾ (أخلاقكم) أي أعمالكم، وأحوالكم (ولا يعطي الدين) أي الأخلاق الحسنة، والآداب المستحسنة (ولا يؤمن) أي عبد إيمانا تاما (حتى يأمن جاره) أي خصوصا أو مثلا (بوائقه) أي شروره.

➔ ميمون بن مهران مولى بني أسد كان مملوكا لامرأة بالكوفة فأعتقته وبها نشأ وكنيته أبو أيوب سكن الجزيرة بعد وقعة الجماجم يروي عن بن عمر روى عنه الأعمش وابنه عمرو بن ميمون كان مولده سنة 40 هـ وهي سنة المجاعة ومات بالرقة سنة 118 هـ وقيل سنة 117 هـ
مراجع: صفة الصفوة / حلية الأولياء/ تاريخ الإسلام / الثقات لابن حبان/ سراج الملوك/ شرح السنة للبغوي

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) والليث بن سعد [123]

عن عبد الله بن صالح قال: سمعت الليث بن سعد [1] يقول: لما قدمت على هارون الرشيد قال لي: يا ليث ما صلاح بلدكم؟ قلت: يا أمير المؤمنين صلاح بلدنا بإجراء النيل وإصلاح أميرها، ومن رأس العين يأتي الكرم فإذا صفا رأس العين صفت السواقي، فقال: صدقت يا أبا الحارث! وهذا كقول عمر بن عبد العزيز: السوق يؤتى إليها ما ينفق فيها. فالأمير إذا كان من أهل الخير ومن أهل العلم والصلاح كان الناس متسابقين على الخير والصلاح والعبادة والطاعة، وإن كان الأمير عكس ذلك، فإن الناس يتسابقون على عكس ذلك. قال الحكماء: الناس تبع لإمامهم في الخير والشر. لما أتي عمر بن الخطاب بتاج كسرى وسواريه. قال: إن الذي أدّى هذا لأمين. قال له رجل: يا أمير المؤمنين، أنت أمين الله، يؤدون إليك ما أدّيت إلى الله تعالى، فإن رتعت رتعوا. قيل اطلع مروان بن الحكم على ضيعة له بالغوطة، فأنكر منها شيئا، فقال لوكيله: ويحك! إني لأظنك تخونني. قال: أتظن ذلك ولا تستيقنه. قال: وتفعله؟ قال: نعم والله، إني لأخونك، وإنك لتخون أمير المؤمنين، وإن أمير المؤمنين* ليخون الله؛ فلعن الله شر الثلاثة.

عن جعفر بن يحيى بن خالد [2] قال: ما رأينا في القراء أحدا مثل عيسى بن يونس [3]،أرسلنا إليه فأتانا بالرقة فاعتل قبل أن يرجع. فقلت: يا أبا عمرو قد أمر لك بعشرة آلاف فقال: هي، فقلت: هي خمسون ألفا. قال: لا حاجة لي فيها. فقلت: لم؟ أما والله لأهنئنكها هي والله مائة ألف. قال: لا والله لا يتحدث أهل العلم أني أكلت للسنة ثمنا، ألا كان هذا قبل أن ترسلوا إلي؟ فأما على الحديث فلا والله ولا شربة ماء ولا هليلجة*.قال أبو بكر المروزي: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، وذكر ورع عيسى بن يونس، قال: قدم فأمر له بمائة ألف، أو قال: بمال، فلم يقبل، وتدري ابن كم كان عيسى؟ أراد أنه كان حدث السن. قال أحمد بن داود الحداني: رأيت فرجا خادم أمير المؤمنين جاء إلى عيسى وهو قاعد بدرب الحدث على بابه، فكلمه، فما رفع به رأسا، ولا نظر إليه، فانصرف ذليلا.

قال محمد بن المنكدر: [4] حج الرشيد فدخل الكوفة فركب الأمين والمأمون إلى عيسى بن يونس فحدثهما، فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم. فأبى أن يقبلها فظن أنه استقلها. فأمر له بعشرين ألفا. فقال عيسى: لا والله ولا إهليلجة ولا شربة ماء على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ملأت لي هذا المسجد ذهبا إلى السقف.

* (الاهليلج) بكسر الالف وفتح اللام، وقد تكسر، والواحدة بهاء: شجر ينبت في الهند وكابل والصين ثمره على هيئة حب الصنوبر الكبار. (أمير المؤمنين) يقصد: يزيد بن معاوية ؟؟

---

(1) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث، المصري، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور، من السابعة، يكنى أبا الحارث، مولى لقيس. ولد سنة 93 هـ واستقل بالفتوى والكرم بمصر. أسند الليث عن خلق كثير من التابعين كعطاء، ونافع، وأبي الزبير، والزهري. وقيل إنه أدرك نيفا وخمسين تابعيا. وتوفي يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من شعبان من سنة 175 هـ ودفن بعد الجمعة.

(3) عيسى بن يونس بن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله الهمداني، الإمام، القدوة، الحافظ، الحجة، أبو عمرو، وأبو محمد الهمداني، السبيعي، الكوفي، المرابط بثغر الحدث، أخو الحافظ إسرائيل.، من الثامنة، قيل مات في نصف شعبان سنة 87 هـ وقيل: سنة 91 هـ. وقال المروذي: عن أحمد: ثبت، وكنا نخبر أنه سنة في الغزو، وسنة في الحج، وقد قدم بغداد في شيء من أمر الحصون، فأمر له بمال، فأبى أن يقبله.

(2) أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جامامش بن بشتاسف البرمكي، وزير هارون الرشيد، وكان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حتى علمه وفقهه، قتل في أول يوم من صفر سنة 187 هـ وصلب على الجسر ببغداد.

(4) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي، أبو عبد الله، ويقال: أبو بكر المدني، أخو أبي بكر بن المنكدر، وعمر بن المنكدر. أسند محمد بن المنكدر عن ابن عمر وأبي قتادة وجابر وأبي هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وأميمة بنت رقيقة. وروى عن كبار التابعين كالحسن وعروة وسعيد بن خير والزهري وأبي حازم ويحيى بن سعيد وأيوب ويونس بن عبيد، في خلق يطول ذكرهم. وعن ابن زيد قال: أتى صفوان بن سليم إلى محمد بن المنكدر وهو في الموت فقال: يا أبا عبد الله كأني أراك قد شق عليك الموت؟ قال: فما زال يهون عليه الأمر وينجلي عن محمد حتى لكأن في وجهه المصابيح. ثم قال له محمد: لو ترى ما أنا فيه لقرت عينك. ثم قضى رحمه الله.توفي بالمدينة سنة 130 هـ أو 131 هـ

قال الماوردي: قيل لبعض الحكماء من أولى بك منك وأصدق في نصيحتك من نفسك لك. قال من صدقني إن نزعت ونبهني إن غفلت. فإن أغفل هذا الفرق والتمييز واستسهل الاغترار والتجويز داهن نفسه ونافق عقله واستفسد أهل الوفاء والصدق وصار مأكلة النفاق والملق فأعقبه أذى ومضرة وتورط به في شبهة وحيرة واكتسب به هجنة ومعرة. وقد قيل المنافق نصف حسده بلا عقل. والسلطان أولى من حذر ذلك وتوقاه لأن حضرته لكثرة الراغبين فيها كالسوق التي يجلب إليها ما ينفق فيها وكل داخل عليه إنما يريد التقرب إليه بقوله وفعله إما طالبا للمنزلة وإما اجتذابا للمنفعة وإما حذرا من المخالفة فإذا لم يزجرهم عقل ولم يكفهم دين مرحوا في نفاقهم فخانوا وشانوا. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ، أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ، فَإِنَّهُ لَا يُقَرِّبُ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يُبَاعِدُ مِنْ رِزْقٍ، أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ أَوْ يُذَكِّرَ بِعَظِيمٍ﴾ فإذا اتسق لهم النفاق ورأوه من أرفق الأرزاق عدلوا عن زواجر العقل والمناصحة إلى مساعدة الملك على رأيه لأنهم قد علموا منه إيثار الموافقة على الهوى وحب المدح والإطراء فجعلوا ذلك أربح بضائعهم لديه وألطف وسائلهم إليه وهو سهل التكلف لا يجد المتوسل المتقرب به مسا فيتصور ذمه حمدا وقد اكتسب به ذما ويتوهم قبيحه حسنا وقد أورثه قباحة وشينا ثم لا يجد ناصحا سليبا ولا مراقبا رحيبا لأن النصح عنده بائر مرذول والخداع إليه نافق مقبول فإن روقبت هفواته بالإغضا وسوعد عليها بالرضا طاح في إغوائه ومرح في غلوائه فطمس بهجة محاسنه وأوهى جلالة قدره..

وهذا مما يجب أن يتوقاه الملك ويحذره ليكفي مخادعة الهوى ويميزه عن مداهنة النفس. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا جَعَلَ لَهُ وَاعِظًا مِنْ نَفْسِهِ وَزَاجِرًا مِنْ قَلْبِهِ يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ﴾ قال بعض الحكماء: من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ.

مراجع: صفة الصفوة/ من أعلام السلف/ سير أعلام النبلاء/ الطبقات الكبرى/ تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك/ حلية الأولياء/ العقد الفريد

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) والشيخ [124]

روى عن حبان بن عبد الله قال: تنزه هارون الرشيد بالدوين* ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان بن أبي جعفر[1] فقال له هارون قد كانت لك جارية تغني فتحسن فجئنا بها قال فجاءت فغنت فلم يحمد غناءها فقال لها ما شأنك فقالت ليس هذا عودي فقال للخادم جئنا بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال الطريق يا شيخ فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فأخذه من الخادم فضرب به الأرض فأخذه الخادم وذهب به إلى صاحب الربع فقال احتفظ بهذا فإنه طلبة أمير المؤمنين فقال له صاحب الربع ليس ببغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبة أمير المؤمنين فقال له اسمع ما أقول لك ثم دخل على هارون فقال إني مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع رأسه فرأى العود فأخذه فضرب به الأرض فكسره فاستشاط هارون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبي جعفر ما هذا الغضب يا أمير المؤمنين ابعث إلى صاحب الربع يضرب عنقه ويرم به في الدجلة فقال لا ولكن نبعث إليه وناظره أولا فجاء الرسول فقال أجب أمير المؤمنين فقال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر فقيل لهارون قد جاء الشيخ فقال للندماء أي شيء ترون نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ أو نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا له نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر أصلح فقاموا إلى مجلس ليس فيه منكر ثم أمر بالشيخ فأدخل وفي كمه الكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم أخرج هذا من كمك وادخل على أمير المؤمنين فقال من هذا عشائي الليلة قال نحن نعشيك قال لا حاجة لي في عشائكم فقال هارون للخادم أي شيء تريد منه قال في كمه نوى قلت له اطرحه وادخل على أمير المؤمنين فقال دعه لا يطرحه قال فدخل وسلم وجلس فقال له هارون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال وأي شيء صنعت وجعل هارون يستحي أن يقول كسرت عودي فلما أكثر عليه قال إني سمعت أباك وأجدادك يقرءون هذه الآية على المنبر﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل] وأنا رأيت منكرا فغيرته فقال فغيره فوالله ما قال إلا هذا فلما خرج أعطى الخليفة رجلا بدرة* وقال اتبع الشيخ فإن رأيته يقول قلت لأمير المؤمنين وقال لي فلا تعطه شيئا وإن رأيته لا يكلم أحدا فأعطه البدرة، فلما خرج من القصر إذا هو بنواة في الأرض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم أحدا فقال له يقول لك أمير المؤمنين خذه هذه البدرة فقال قل لأمير المؤمنين يردها من حيث أخذها. ويروى أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على النواة التي يعالج قلعها من الأرض وهو يقول: أرى الدنيا لمن هي في يديه...هموما كلما كثرت لديه...تهين المكرمين لها بصغر...وتكرم كل من هانت عليه...إذا استغنيت عن شيء فدعه...وخذ ما أنت محتاج إليه.

كان سديف[2] مولى بني هاشم في أيام بني أمية يقول في دعائه: اللهم قد صار فيئنا دولة بعد القسمة وإمارتنا غلبة بعد المشورة، وعهدنا ميراثاً بعد الاختيار للامة، واشتريت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة، وحكم في أبشار المسلمين أهل الذمة، وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة. اللهم قد استحصد زرع الباطل وبلغ نهيته واستجمع طريده، فأتح له من الحق يدا حاصدة تبدد شمله وتفرق أمره، ليظهر الحق في أحسن صورة وأتم نور.

* (الدوين) هذه النسبة إلى دوين بضم أوله وكسر ثانيه بليدة في طرف أذربيجان مما يلي بلاد الكرج. (البدرة) كيس فيه ألف أو عشرة آلاف.

---

(2) سديف بن إسماعيل بن ميمون، مولى لامرأة من خزاعة وكان لها زوج من اللهبيين وادعى سديف بذلك ولاء بني هاشم، وزعم المدائني أنه مولى بني العباس وشاعرهم. شهد العصر الأموي والعباسي الأول، اشتهر بتعصبه لبني هاشم وبهجائه بني أمية. توفي سنة 146 هـ

(1) سليمان بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، أبو أيوب الهاشمي. كان أمير دمشق من قبل الرشيد ووليها أيضا من قبل الأمين مرتين. توفي سليمان بن أبي جعفر سنة 199 هـ وهو ابن 50 سنة

عن أبي حصين ﴿أَنَّ رَجُلًا كَسَرَ طُنْبُورًا لِرَجُلٍ، فَرَفَعَهُ إِلَى شُرَيْحٍ، فَلَمْ يُضَمِّنْهُ﴾ (طنبورا) آلة من آلات اللهو ولعله ما يسمى الآن العود. قال يزيد بن الوليد الناقص: يا بني أمية، إياكم والغناء، فإنه ينقص الحياء، ويزيد في الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل السكر، فإن كنتم لا بد فاعلين، فجنبوه النساء إن الغناء داعية الزنى. وعن أبو عامر، وأبو مالك الأشعريان عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ﴾ (الحر) الفرج وأصله الحرح والمعنى أنهم يستحلون الزنا. وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَحِلُّ بَيْعُ المُغَنِّيَاتِ وَلَا شِرَاؤُهُنَّ وَلَا تِجَارَةٌ فِيهِنَّ، وَأَكْلُ أَثْمَانِهِنَّ حَرَامٌ﴾ وفي رواية بكر بن مضر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَا تَبِيعُوا المُغَنِّيَاتِ، وَلَا تَشْتَرُوهُنَّ، وَلَا تُعَلِّمُوهُنَّ، وَلَا خَيْرَ فِي تِجَارَةٍ فِيهِنَّ، وَثَمَنُهُنَّ حَرَامٌ﴾.

عن أم المؤمنين عائشة، قالت:﴿دَخَلَ عَلَيَّ أَبُو بَكْرٍ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي الْأَنْصَارِ، تُغَنِّيَانِ بِمَا تَقَاوَلَتْ بِهِ الْأَنْصَارُ، يَوْمَ بُعَاثَ، قَالَتْ: وَلَيْسَتَا بِمُغَنِّيَتَيْنِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَبِمَزْمُورِ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وَذَلِكَ فِي يَوْمِ عِيدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَهَذَا عِيدُنَا﴾ (وليستا بمغنيتين) ليس الغناء عادة لها وحرفة ولا هما معروفتان بذلك ولا تغنيان بتمطيط وتكسر وتهييج وحركات مثيرة وبغناء فيه تعريض بالفواحش أو تصريح بها أو ذكر الهوى والمفاتن مما يحرك الساكن ويبعث الكامن في النفس فهذا وأمثاله من الغناء لا يختلف في تحريمه لأنه مطية الزنا وأحبولة الشيطان. وعنها، قالت:﴿زُفَّتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ؟ فَإِنَّ الْأَنْصَارَ يُعْجِبُهُمُ اللَّهْوُ﴾ (زفت) أي نقلت إلى بيته أو أهديت إلى زوجها (لهو) مباح كضرب دف وغناء وقراءة شعر ليس فيه وصف للمفاتن وما يثير كوامن النفس (فإن الأنصار يعجبهم اللهو) وهذا رخصة عند العرس كذا قيل، والأظهر ما قال الطيبي: فيه معنى التخصيص كما في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ﴿أَلَا أَرْسَلْتُمْ مَعَهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَيْنَاكُمْ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة:﴿أَنَّ أَبَا بَكْرٍ، دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ فِي أَيَّامِ مِنًى، تُغَنِّيَانِ وَتَضْرِبَانِ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسَجًّى بِثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ، وَقَالَ: دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ﴾ وعنها قالت:﴿رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَهُمْ يَلْعَبُونَ وَأَنَا جَارِيَةٌ، فَاقْدِرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْعَرِبَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ﴾ (في أيام منى) هي أيام عيد الأضحى أضيف إلى المكان بحسب الزمان قال النووي يعني الثلاثة بعد اليوم النحر وهي أيام التشريق (مسجى بثوبه) أي مغطى به (فاقدروا قدر الجارية العربة الحديثة السن) قال النووي معناه أنها تحب اللهو والتفرج والنظر إلى اللعب حبا بليغا وتحرص على إدامته ما أمكنها ولا تمل ذلك إلا بعد زمن طويل وقولها فاقدروا هو بضم الدال وكسرها لغتان حكاهما الجوهري وغيره وهو من التقدير أي قدروا رغبتها في ذلك إلى أن تنتهي أي قيسوا قياس أمرها في حداثتها وحرصها على اللهو ومع ذلك كانت هي التي تمل وتنصرف عن النظر إليه والنبي صلى الله عليه وسلم لا يمسه شيء من الضجر والإعياء رفقا بها وقولها العربة معناها المشتهية للعب المحبة له. عن أبي هريرة، قال:﴿بَيْنَمَا الْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِرَابِهِمْ، إِذْ دَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَأَهْوَى إِلَى الْحَصْبَاءِ يَحْصِبُهُمْ بِهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعْهُمْ يَا عُمَرُ﴾ (فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها) أهوى أي مد يده نحوها وأماله إليها ليأخذها والحصباء هي الحصا الصغار ويحصبهم أي يرميهم بها.

مراجع: احياء علوم الدين/ شعب الإيمان/ مختصر تاريخ دمشق

◆ المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر (حاجب الخليفة! والحاكم الفعلي في عهد ثالث ملوك الدولة الأموية في الأندلس) والفقهاء، محمد بن إبراهيم بن حيويه [125]

لما احتاج المنصور بن أبي عامر[1] ملك الأندلس (حاجب هشام المؤيد بالله)[2] أن يأخذ أرضاً محبسة ويعاوض عنها خيراً منها، استحضر بعض الفقهاء، فأفتوا بأنه لا يجوز، فغضب وأرسل إليهم رجلاً من الوزراء مشهوراً بالحدة والعجلة فقال لهم: يقول لكم أمير المؤمنين يا مشيخة السوء، يا مستحلي أموال الناس، يا آكلي أموال اليتامى ظلماً، يا شهود الزور وآخذي الرشا وملقني الخصوم، وملقحي الشرور وملبسي الأمور، وملتمسي الروايات لدى اتباع الشهوات، تباً لكم ولآرائكم ! فهو أعزه الله واقف على فسوقكم قدياً وخونكم لأماناتكم مغضٍ عنه صابرٍ عليه، ثم احتاج إلى دقة نظركم في حاجة مرة واحدة في دهره، فلم تشفعوا إرادته، ما كان هذا ظنه بكم، والله ليعارضنكم وليكشفن ستوركم، ولبناصحن الإسلام فيكم! وأفحش عليهم بنحوه فأجابه شيخ ضعيف الهمة فقال: نتوب إلى الله مما قاله أمير المؤمنين ونسأله الإقالة. فرد عليه محمد بن إبراهيم بن حيويه[3] وكان جلداً صارماً فقال للمتكلم: مم نتوب يا شيخ السوء؟ نحن براء من متابك! ثم أقبل على الوزير فقال: يا وزير بئس المبلغ أنت! وكل ما نسبته إلينا عن أمير المؤمنين فهو صفتكم معاشر خدمته، فأنتم الذين تأكلون أموال اليتامى بالباطل وتستحلون ظلمهم بالإخافة، وتنتجون معايشكم بالرشا والمصانعة، وتبغون في الأرض بغير الحق، وأما نحن فليست هذه صفاتنا ولا كرامة، ولا يقولها لنا إلا متهم بالديانة، فنحن أعلام الهدى وسرج الظلمة، بنا يتحصن الإسلام ويفرق بين الحلال والحرام وتنفذ الأحكام، وبنا تقام الفرائض وتثبت الحقوق وتحقن الدماء وتستحل الفروج، فهلا إذ عتب علينا أمير المؤمنين بشيء لا ذنب فيه لنا، وقال بالغيظ ما قاله، تأنيت بإبلاغنا رسالته بأهون من إفحاشك، وعرضت لنا بإنكاره، ففهمناه منك وأجبناك عنه بما يصلح الجواب له، وكنت تزين على السلطان ولا تفشي سره، ولا تحيينا بما استقبلتنا به، فنحن نعلم أن أمير المؤمنين لا يتمادى على هذا الرأي فينا، ولا يعتقد هذا المعتقد في صفاتنا، وإنه سيراجع بصيرته في إيثارنا وتعزيزنا، ولو كان عنده على هذه الحالة التي وصفتها عنا، والعياذ بالله تعالى من ذلك، لبطل عليه كل ما صنعه وعقده من أول خلافته إلى هذا الوقت، فلا يثبت له كتاب من حرب ولا سلم ولا شراء ولا بيع، ولا صدقة ولا حبس ولا هبة ولا عتق، ولا غير ذلك إلا بشهادتنا، هذا ما عندنا والسلام. ثم قاموا منصرفين فلم يكادوا يبلغوا باب القصر إلا والرسل تناديهم، فدخلوا القصر فتلقاهم الوزراء بالإعظام ورفعوا منازلهم واعتذروا إليهم مما كان من صاحبهم، وقالوا لهم: إن أمير المؤمنين يعتذر إليكم من فرط موجدته، ويستجير بالله من الشيطان الرجيم ونزعته التي حملته على الجفاء عليكم، ويعلمكم أنه نادم على ما كان منه إليكم، وهو مستبصر في تعظيمكم وقضاء حقوقكم، وقد أمر لكل واحد منكم بما ترون من صلته وكسوته علامة لرضاه عنكم، فدعوا له وقبضوا ما أمر لهم به وانصرفوا غالبين لم يمسهم سوء.

➔ (3) محمد بن إبراهيم بن عيسى. أبو بكر الكناني القرطبي، الشهير بابن حيوه (ابن حيونه)، الفقيه المتوفى فجأة سنة 328هـ. سمع: محمد بن وضاح، وإبراهيم بن باز، وقاسم بن محمد. وكان حافظا للفقه، مشاورا، عظيم الوجاهة. ذكره أحمد وغيره.

➔ (1) أبو عامر محمد بن أبي عامر، المشهور بلقب الحاجب المنصور كان حاجب الخلافة والحاكم الفعلي للدولة الأموية في الأندلس في عهد الملك هشام المؤيد بالله. ولد سنة327 هـ وتوفي سنة 392 هـ بعد وفاة الحكم المستنصر بالله، استبد الحاجب المنصور العامري بالملك والسلطة في الفترة 366 – 399 هـ لضعف بني أمية، وأصبح وصيًا عن هشام المؤيد بالله الصبي الذي كان اسميًا خليفة للأندلس وكان المنصور في غاية الذكاء والشهامة والشجاعة. فأسس دولة داخل دولة وأخضع الثورات والفتن. ومضى في فتوحاته ضد المسيحيين. وكان يتولى الغزو بنفسه، ولم يهزم قط في الخمسين غزوة التي غزاها طوال حكمه ووصل إلى أقصى الركن الشمالي الغربي من أسبانيا فهابه ملوك أوروبا كلهم. توفي الحاجب المنصور سنة 392 هـ في مدينة سالم. فتولى بعده ابنه عبد الملك وكان ككفاءة أبيه، ثم تولى أخوه عبد الرحمن وكان ضعيفًا وقتل سنة 399 هـ وبدا انتهت سيطرة الدولة العامرية، ثم عادت السلطة إلى بني أمية وكانوا ضعفاء متناحرين فسقطوا عام 422 هـ وتفككت إلى إمارات ملوك الطوائف.

➔ (2) أبو الوليد هشام المؤيد بالله، أحد ملوك الدولة الأموية بالأندلس، ولد سنة 354 هـ وتوفي سنة 403 هـ بايعوه صبيا سنة366 هـ وعمره 12 سنة ولم يشذ عن بيعته أحد، وأضحت السلطة بيدى الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي وصاحب الشرطة والموارث (القضاء) المنصور محمد بن أبي عامر، الملقب الحاجب المنصور، وشخصية ثالثة ذكية طموحة تشاركهما من وراء ستار هي أمه صبح البشكنسية أو النفارية، نسبة إلى بلاد البشكنس أو إقليم نبرة، وقد اشتركت فى الوصاية على ابنها الصبى وأصبحت لها سلطة شرعية فى تدبير شئون الحكم. وطوال فترة حكمه التى امتدت 33 سنة لم يكن الأمر فى يديه ولكن تركزت السلطة فى يد حاجبه المنصور بن أبى عامر وابنه عبد الملك بن المنصور، وانتهى الأمر بالخليفة أن عزل عن الملك سنة 399هـ

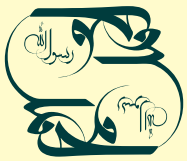

عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ؛ فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ﴾ (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه) أي ذهب بطائفة من ماله وفصلها عنه. وعن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ ظَلَمَ مِنَ الأَرْضِ شِبْرًا طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ – وفي رواية– : مَنْ سَرَقَ مِنَ الأَرْضِ شِبْرًا طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ –وفي رواية–: مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طَوَّقَهُ اللهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ﴾ (من اقتطع) أي أخذ والمراد الأخذ بغير حق (شبرا) أي قدره من الأرض (طوقه) أي جعله طوقا في عنقه. وعن محمد بن إبراهيم:﴿أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ، حَدَّثَهُ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ خُصُومَةٌ فِي أَرْضٍ، وَأَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا أَبَا سَلَمَةَ اجْتَنِبِ الْأَرْضَ، فَإِنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ﴾ (قيد) أي قدر شبر من الأرض يقال قيد وقاد وقيس وقاس بمعنى واحد. عن سالم عن أبيه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ﴾ (خسف به) غارت به الأرض وجعل ذلك في عنقه كالطوق. عن أبي مالك الأشجعي، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿أَعْظَمُ الْغُلُولِ عِنْدَ اللهِ ذِرَاعٌ مِنَ الْأَرْضِ، تَجِدُونَ الرَّجُلَيْنِ جَارَيْنِ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي الدَّارِ، فَيَقْتَطِعُ أَحَدُهُمَا مِنْ حَظِّ صَاحِبِهِ ذِرَاعًا، فَإِذَا اقْتَطَعَهُ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

مراجع: صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ البداية والنهاية/ مسند أحمد/ سراج الملوك/ موجز التاريخ الإسلامي منذ آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ تاريخ علماء الأندلس

◆ أبو العباس عبد الله المأمون (سابع ملوك الدولة العباسية) ويحيى بن يحيى النيسابوري[126]

كان يحيى بن يحيى[1] يحضر مجلس مالك فانكسر قلمه فناوله المأمون[2] قلما من ذهب أو مقلمة ذهب. فامتنع عن قبوله، فقال له المأمون: ما اسمك؟ قال: يحيى بن يحيى النيسابوري. فقال: تعرفني؟ قال: نعم، أنت المأمون ابن أمير المؤمنين. قال: فكتب المأمون على ظهر جزئه ناولت يحيى بن يحيى النيسابوري قلما في مجلس مالك فلم يقبله. فلما أفضت الخلافة إليه بعث إلى عامله بنيسابور وأمره أن يولي يحيى بن يحيى القضاء فبعث إليه يستدعيه فقال بعض الناس: إنه يمتنع من الحضور وليته أذن للرسول، فأنفذ إليه كتاب المأمون فقرئ عليه فامتنع من القضاء فرد إليه ثانيا وقال: إن أمير المؤمنين يأمرك بشيء وأنت من رعيته وتأبى عليه؟ فقال: قل لأمير المؤمنين ناولتني قلما وأنا شاب فلم أقبله فتجبروني الآن على القضاء وأنا شيخ؟ فرفع الخبر إلى المأمون. قال: قد علمت امتناعه ولكن ول القضاء رجلا تختاره. فبعث إليه العامل في ذلك فاختار رجلا فولي القضاء، ودخل على يحيى وعليه سواد فضم يحيى فراشا كان جالسا عليه كراهية أن يجمعه وإياه. فقال: أيها الشيخ ألم تخترني؟ قال: إنما قلت: اختاروه، وما قلت لك: تقلد القضاء.

روى أن قاضياً قدم إلى بلد، فجاء رجل له عقل ودين فقال له: أيها القاضي أبلغك قول النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ جُعِلَ قَاضِيًا بَيْنَ النَّاسِ، فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ﴾ قال: نعم. قال: فبلغك أن أمور المسلمين ضائعة في بلدنا فجئت تحيزها؟ قال: لا. قال: أفأكرهك السلطان على ذلك؟ قال: لا. قال: فاشهد أني لا أطأ لك مجلساً ولا أؤدي عندك شهادة أبداً.

---

(1) يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمي، شيخ الإسلام، وعالم خراسان، أبو زكريا التميمي، المنقري، النيسابوري، الحافظ. ولد سنة 142 هـ. كتب: ببلده، وبالحجاز، والعراق، والشام، ومصر. لقي صغارا من التابعين، منهم: كثير بن سليم – وأخذ عنه –.وعن: عبد الله بن جعفر المخرمي، ويزيد بن المقدام، وزهير بن معاوية، ومالك، وشريك القاضي، وسعير بن الخمس، وأبي عقيل يحيى بن المتوكل، وسليمان بن بلال، والليث بن سعد، وعبد الرحمن بن أبي الموال، وعطاف بن خالد، وإبراهيم بن سعد، وابن أبي الزناد، والمنكدر بن محمد، وداود بن عبد الرحمن العطار، ومسلم بن خالد، ومعاوية بن عبد الكريم، وخلف بن خليفة، ويزيد بن زريع، وعبثر بن القاسم، وأمم سواهم. وعنه: البخاري، ومسلم، وحميد بن زنجوية، ومحمد بن نصر المروزي، وأحمد بن سيار، وعثمان بن سعيد الدارمي، ومحمد بن رافع القشيري، ومحمد بن يحيى الذهلي، وابنه؛ يحيى حيكان، وزكريا بن داود الخفاف، ومحمد بن عمرو الجرشي، وجعفر بن محمد بن الترك، ومحمد بن عبد السلام بن بشار، وإبراهيم بن علي الذهلي، وداود بن الحسين البيهقي، وعلي بن الحسين الصفار، وخلائق.وتوفي في يوم الأربعاء سلخ صفر أو أول ربيع الأول، سنة 226 هـ.على الصحيح.قال خشنام بن سعيد: سمعت أحمد بن حنبل يقول: كان يحيى بن يحيى عندي إماما، ولو كانت عندي نفقة، لرحلت إليه.

(2) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه. فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل.أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ. وتوفي المأمون سنة 218 هـ

روى من طريق فرات بن مسلم قال اشتهى عمر بن عبد العزيز التفاح فلم يجد في بيته شيئا يشتري به فركبنا معه فتلقاه غلمان الدير بأطباق تفاح فتناول واحدة فشمها ثم رد الأطباق فقلت له في ذلك فقال لا حاجة لي فيه. فقلت ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر يقبلون الهدية. فقال إنها لأولئك هدية وهي للعمال بعدهم رشوة. وفي رواية عن ميمون بن مهران قال: أهدي إلى عمر بن عبد العزيز تفاح وفاكهة، فردها وقال: لا أعلمن أنكم قد بعثتم الى أحد من أهل عملي بشيء، قيل له: ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية، قال: بلى، ولكنها لنا ولمن بعدنا رشوة. وقوله رشوة، بضم الراء وكسرها ويجوز الفتح، وهي ما يؤخذ بغير عوض ويعاب أخذه. قال بن العربي: الرشوة كل مال دفع ليتباع به من ذي جاه عونا على ما لايجوز والمرتشي قابضه (قابلها) والراشي دافعه (باذلها) والرائش الذي يوسط بينهما. روى ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَعَنَ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ﴾ وعن معاذ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿خُذُوا الْعَطَاءَ مَا دَامَ عَطَاءً، فَإِذَا صَارَ رِشْوَةً عَلَى الدِّينِ فَلَا تَأْخُذُوهُ، وَلَسْتُمْ بِتَارِكِيهِ يَمْنَعُكُمُ الْفَقْرُ وَالْحَاجَةُ، أَلَا إِنَّ رَحَى الْإِسْلَامِ دَائِرَةٌ فَدُورُوا مَعَ الْكِتَابِ حَيْثُ دَارَ، أَلَا إِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّلْطَانَ سَيَفْتَرِقَانِ فَلَا تُفَارِقُوا الْكِتَابَ، أَلَا إِنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يَقْضُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَقْضُونَ لَكُمْ، إِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ قَتَلُوكُمْ، وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ أَضَلُّوكُمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ نَصْنَعُ؟. قَالَ:كَمَا صَنَعَ أَصْحَابُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، نُشِرُوا بِالْمَنَاشِيرِ، وَحُمِلُوا عَلَى الْخَشَبِ، مَوْتٌ فِي طَاعَةِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ﴾.

عن خالد بن معدان، قال: وفد المقدام بن معدي كرب، وعمرو بن الأسود، ورجل من الأسد له صحبة إلى معاوية. فقال معاوية للمقدام: توفي الحسن. فاسترجع، فقال: أتراها مصيبة؟ قال: ولم لا؟ وقد وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره، وقال: هذا مني، وحسين من علي. فقال للأسدي: ما تقول أنت؟ قال: جمرة أطفئت. فقال المقدام: أنشدك الله! هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن لبس الذهب والحرير، وعن جلود السباع والركوب عليها؟ قال: نعم. قال: فوالله لقد رأيت هذا كله في بيتك. فقال معاوية: عرفت أني لا أنجو منك.

قال الله تعالى:﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران] قال عمر:﴿اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ نَفْرَحَ بِمَا زَيَّنْتَهُ لَنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ أُنْفِقَهُ فِي حَقِّهِ﴾ (زين للناس) حسن ورغب لنفوسهم في هذه الدنيا (الشهوات) أنواع الملذات والمتع (القناطير المقنطرة) كناية عن المقادير الكبيرة المكدسة (المسومة) المعلمة (الأنعام) الإبل والبقر والغنم (الحرث) الأراضي المتخذة للزراعة (متاع) ما ينتفع به في الدنيا لأمد قليل. (قال عمر) أي عند سماع الآية (بما زينته لنا) مما ذكر في الآية (حقه) طرقه المشروعة. عن أبي موسى، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَلَّ لِإِنَاثِ أُمَّتِي الْحَرِيرَ وَالذَّهَبَ، وَحَرَّمَهُ عَلَى ذُكُورِهَا﴾ قال سليمان بن حبيب: سمعت أبا أمامة، يقول: ﴿لَقَدْ فَتَحَ الْفُتُوحَ قَوْمٌ، مَا كَانَتْ حِلْيَةُ سُيُوفِهِمُ الذَّهَبَ وَلَا الْفِضَّةَ، إِنَّمَا كَانَتْ حِلْيَتُهُمُ الْعَلَابِيَّ وَالْآنُكَ وَالْحَدِيدَ﴾ (قوم) المراد الصحابة رضي الله عنهم ومن كان معهم في الفتوح. (حلية سيوفهم) ما تزين به (العلابي) الجلود غير المدبوغة (الآنك) الرصاص ولم يكن الصحابة يزينون سلاحهم بالذهب وغيره لاستغنائهم بهيبة الإيمان عن هيبة المظاهر. وعن أبي فروة، أنه سمع عبد الله بن عكيم، قال: كنا مع حذيفة بالمدائن، فاستسقى حذيفة، فجاءه دهقان بشراب في إناء من فضة فرماه به، وقال: إني أخبركم أني قد أمرته أن لا يسقيني فيه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:﴿لَا تَشْرَبُوا فِي إِنَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا تَلْبَسُوا الدِّيبَاجَ وَالْحَرِيرَ، فَإِنَّهُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وعن عبد الله بن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتما من ذهب في يد رجل، فنزعه فطرحه، وقال:﴿يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ، فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُذْ خَاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: لَا وَاللهِ، لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ وعن أبا صالح ذكوان، أخبره أنه سمع أبا هريرة، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :﴿مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ﴾ وعن معاوية بن سويد بن مقرن، قال: دخلت على البراء بن عازب، فسمعته يقول:﴿أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ، أَوِ الْمُقْسِمِ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَنَهَانَا عَنْ خَوَاتِيمَ – أَوْ عَنْ تَخَتُّمٍ – بِالذَّهَبِ، وَعَنْ شُرْبٍ بِالْفِضَّةِ، وَعَنِ الْمَيَاثِرِ، وَعَنِ الْقَسِّيِّ، وَعَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ وَالْإِسْتَبْرَقِ وَالدِّيبَاجِ﴾ وعن أم سلمة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الْفِضَّةِ، إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ﴾.

مراجع: سير أعلام النبلاء/ صفة الصفوة/ فتح الباري/ الأحكام السلطانية للماوردي/ عارضة الأحوذي لابن العربي/ صحيح مسلم/ سنن أبي داود

◆ أبو العباس عبد الله المأمون (سابع ملوك الدولة العباسية) ويزيد بن هارون[127]

حدث ابن أكثم[1]،قال: قال لنا المأمون: لولا يزيد بن هارون[2]لأظهرت أن القرآن مخلوق فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين، ومن يزيد حتى يتقى؟،قال ويحك، إني أخاف أن يرد علي، فيختلف الناس وتكون فتنة، وأنا أكره الفتنة، فقال له الرجل: فأنا أخبر لك ذلك منه، فقال له: نعم، قال: فخرج إلى واسط، فجاء إلى يزيد بن هارون، فدخل عليه المسجد، وجلس إليه فقال له: يا أبا خالد إن أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك إني أريد أن أظهر أن القرآن مخلوق فقال: كذبت على أمير المؤمنين، أمير المؤمنين لا يحمل الناس على ما لا يعرفون، فإن كنت صادقا فعد غدا إلى المجلس، فإذا اجتمع الناس فقل، قال: فلما كان الغد اجتمع الناس فقام، فقال: يا أبا خالد، رضي الله عنك، إن أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك: إني أريد أن أظهر أن القرآن مخلوق، فما عندك في ذلك؟ قال: كذبت في ذلك على أمير المؤمنين، أمير المؤمنين لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه وما لم يقل به أحد، قال: فقدم فقال: يا أمير المؤمنين، كنت أنت أعلم، قال: وكان من القصة كيت وكيت، فقال له: ويحك، لعب بك. وقوله: (أنا أخبر لك ذلك منه) يقصد به أرى إن كان الإمام يزيد بن هارون سيستعمل قدرته على التأثير على الرأي العام ضد السلطة فيما لو أظهرت هذا القول، أم سوف يكون إنكاره لها رأيا شخصيا بيننا وبينه فقط أو سوف يؤثر السكوت، أو نحو ذلك مما سيكون تأثيره محدودا.وفي هذه القصة أن الإمام يزيد بن هارون أراد أن يبلغ السلطة أنه سيستفيد من تأثيره على الرأي العام لتحجيمها ومنعها من استغلال موقعها لفرض آرائها الفكرية الخاطئة، ولهذا دعا رسول الخليفة أمام الناس ليشهدهم على موقفه، ويكون في ذلك إشارة واضحة للسلطة لتكف عما تخطط له، ولم يكتف رحمه الله بذكر ذلك فيما بينه وبين مندوب السلطة خاصة، وهو يدل على قيام العلماء في ذلك الزمان برسالتهم ووعيهم الوسائل الكفيلة بتحقيق أهدافها.

حدث أبو معمر القطيعي[3]،قال: لما أحضرنا إلى دار السلطان أيام المحنة، وكان أحمد بن حنبل قد أحضر، فلما رأى الناس يجيبون، وكان رجلا لينا، فانتفخت أوداجه، واحمرت عيناه، وذهب ذلك اللين. فقلت: إنه قد غضب لله، فقلت: أبشر، حدثنا ابن فضيل، عن الوليد بن عبد الله بن جميع، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، قال:﴿كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ إِذَا أُرِيدَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ دِينِهِ رَأَيْتَ حَالِيقَ عَيْنَيْهِ فِي رَأْسِهِ تَدُورُ كَأَنَّهُ مَجْنُونٌ﴾ وحدث الحسين بن محمد الخفاف: سمعت ابن أبي أسامة يقول:حكي لنا أن أحمد قيل له أيام المحنة: يا أبا عبد الله[4]،أولا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل؟ قال: كلا، إن ظهور الباطل على الحق أن تنتقل القلوب من الهدى إلى الضلالة، وقلوبنا بعد لازمة للحق.

قال عبيد بن شريك: كان أبو معمر القطيعي من شدة إدلاله بالسنة يقول: لو تكلمت بغلتي لقالت: إنها سنية. قال: فأخذ في المحنة فأجاب، فلما خرج قال: كفرنا وخرجنا. حدث عبد الله بن أحمد بن حنبل[5]،قال: سمعت أبا معمر، يعني الهذلي، يقول: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ومن شك في أنه غير مخلوق فهو جهمي، لا بل شر من جهمي. وحدث عبد الله بن أحمد، قال: سمعت أبا معمر الهذلي يقول: من زعم أن الله لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر ولا يغضب ولا يرضى – وذكر أشياء من هذه الصفات – فهو كافر بالله، إن رأيتموه على بئر واقفا فألقوه فيها، بهذا أدين الله عزوجل لانهم كفار.

---

(2) يزيد بن هارون بن زاذان السلمي مولاهم، يكنى أبا خالد، مولى لبني سليم، وقيل أصله من بخارى. ثقة متقن، عابد من التاسعة، أسند يزيد بن هارون عن يحيى بن سعيد الأنصاري، وسليمان التميمي، وعاصم الأحول، وحميد الطويل، وداود بن أبي هند، وعبد الله بن عون، وحسين المعلم في خلق كثير. وكان مولده سنة 118 هـ. وتوفي في سنة 206 هـ.

(3) إسماعيل بن إبراهيم بن معمر بن الحسن أبو معمر الهذلي وقيل مولى بني تميم، من ساكني قطيعة الربيع، كان ينزل درب أبي خلف، وهو هروي الأصل، سمع من إبراهيم بن سعد، وإسماعيل بن عياش، وهشيم بن بشير، وعبد الله بن المبارك، وسفيان بن عيينة، وخلف بن خليفة، وجرير بن عبد الحميد، ومروان بن معاوية، وعبد السلام بن حرب، وحفص بن غياث، ويحيى بن يمان. روى عنه محمد بن يحيى الذهلي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج، وأبو يحيى صاعقة، وعباس بن محمد الدوري، وإبراهيم الحربي، وجعفر بن محمد بن كزال، ومحمد بن عبدوس بن كامل السراج، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وعبد الله بن صالح البخاري. مات أبو معمر الهذلي يوم الاثنين للنصف من جمادى الأولى سنة 236 هـ.

(4) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن ادريس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة الشيباني الذهلي من ربيعة أصله مروزي سكن بغداد كنيته أبو عبد الله كان حافظا متقنا فقيها لازما للورع الخفي مواظبا على العبادة الدائمة أغاث الله به أمة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنه ثبت في المحنة وبذل نفسه لله حتى ضرب بالسياط للقتل فعصمه الله من الكفر وجعله علما يقتدى به وملجأ يلتجأ إليه. ولد في ربيع الاول سنة164 هـ وتوفي في سنة 241 هـ. روى عن محمد بن جعفر غندر وعن هشيم بن بشير وعن معتمر بن سليمان ويحيى بن سعيد القطان وعبد الله بن كثير ومحمد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الرزاق وأبي داود الطيالسي سليمان بن داود ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة واسماعيل بن علية وسفيان بن عيينة ويعقوب بن ابراهيم.

(5) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، الإمام، الحافظ، الناقد، محدث بغداد، أبو عبد الرحمن ابن شيخ العصر أبي عبد الله الذهلي الشيباني، المروزي، ثم البغدادي. ولد سنة 213 هـ فكان أصغر من أخيه صالح بن أحمد قاضي الأصبهانيين. روى عن أبيه شيئا كثيرا، من جملته (المسند) كله، و (الزهد)، وعن يحيى بن عبدويه صاحب شعبة، وامتنع من الأخذ عن علي بن الجعد لوقفه في مسألة القرآن، وروى عن خلق كثير. وحدث عنه خلق كثير. مات: سنة 290 هـ وصلى عليه ابن أخيه زهير بن صالح، ودفن في مقابر باب التبن، وقيل: إن عبد الله أمرهم أن يدفنوه هناك، وقال: بلغني أن هناك قبر نبي، ولأن أكون في جوار نبي أحب إلي أن أكون في جوار أبي. ولعبد الله كتاب: الرد على الجهمية، في مجلد، وله كتاب: الجمل.

(1) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي، قاضي القضاة، الفقيه، العلامة، أبو محمد التميمي، المروزي، ثم البغدادي. ولد في حدود سنة 158 هـ في خلافة المهدي. وسمع من: عبد العزيز بن أبي حازم، وابن المبارك، وعبد العزيز الدراوردي، وجرير بن عبد الحميد، وسفيان بن عيينة، والفضل السيناني، وعبد الله بن إدريس، وعدة. وله رحلة ومعرفة. حدث عنه: الترمذي، وأبو حاتم، والبخاري خارج (صحيحه)، وإسماعيل القاضي، وإبراهيم بن محمد بن متويه، وأبو العباس السراج، وعبد الله بن محمود المروزي، وآخرون. وكان من أئمة الاجتهاد، وله تصانيف، منها كتاب (التنبيه). ولاه المأمون قضاء بغداد،وكانت الوزراء لا تبرم شيئا حتى تراجع يحيى. مات بالربذة (قرية من قرى المدينة)، منصرفه من الحج، سنة 242 هـ. قال الفضل الشعراني: سمعت يحيى بن أكثم يقول: القرآن كلام الله، فمن قال: مخلوق، يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه. قال الصولي: سمعت إسماعيل القاضي يعظم شأن يحيى بن أكثم، وذكر له يوم قيامه في وجه المأمون لما أباح متعة النساء، فما زال به حتى رده إلى الحق، ونص له الحديث في تحريمها، فقيل لإسماعيل: فما كان يقال؟ قال: معاذ الله أن تزول عدالة مثله بكذب باغ أو حاسد. ثم قال: وكانت كتبه في الفقه أجل كتب، تركها الناس لطولها.

قال ابن الجوزي: تأملت الدخل الذي دخل في ديننا من ناحيتي العلم والعمل، فرأيته من طريقين قد تقدما هذا الدين وأنس الناس بهما. فأما أصل الدخل في العلم والاعتقاد فمن الفلسفة. وهو أن خلقاً من العلماء في ديننا لم يقنعوا بما قنع به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانعكاف على الكتاب والسنة، فأوغلوا في النظر في مذاهب أهل الفلسفة وخاضوا في الكلام الذي حملهم على مذاهب رديئة أفسدوا بها العقائد. وأما أصل الدخل في باب العمل فمن الرهبانية. فإن خلقاً من المتزهدين أخذوا عن الرهبان طريق التقشف، ولم ينظروا في سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وسمعوا ذم الدنيا وما فهموا المقصود، فاجتمع لهم الإعراض عن علم شرعنا مع سوء الفهم للمقصود، فحدثت منهم بدع قبيحة.

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي، فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ﴾ وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿حِينَ أَتَاهُ عُمَرُ فَقَالَ: إِنَّا نَسْمَعُ أَحَادِيثَ مِنْ يَهُودَ تُعْجِبُنَا، أَفَتَرَى أَنْ نَكْتُبَ بَعْضَهَا؟ فَقَالَ: أَمُتَهَوِّكُونَ أَنْتُمْ كَمَا تَهَوَّكَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟! لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي﴾ (أمتهوكون) أمتحيرون في دينكم حتى تأخذوا العلم من غير كتابكم ونبيكم (كما تهوكت) كتحيرهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا أهواء أحبارهم ورهبانهم. عن شيبة بن مساور قال: خطب عمر بن عبد العزيز، فقال:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ نَبِيًّا، وَلَمْ يُنْزِلْ بَعْدَ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا، فَمَا أَحَلَّ اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ فَهُوَ حَلَالٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا حَرَّمَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَلَا وَإِنِّي لَسْتُ بِقَاضٍ، وَلَكِنِّي مُنَفِّذٌ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ، وَلَكِنِّي مُتَّبِعٌ، وَلَسْتُ بِخَيْرٍ مِنْكُمْ، وَغَيْرَ أَنِّي أَثْقَلُكُمْ حِمْلًا، أَلَا وَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ أَنْ يُطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، أَلَا هَلْ أَسْمَعْتُ﴾ وعن الفضيل بن عياض قال: ﴿مَنْ أَعَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ﴾ وعن المنذر بن جرير، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ﴿مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ﴾ (من أحدث) أي جدد وابتدع أو أظهر واخترع في أمرنا هذا. قال المناوي في أمرنا، أي شأننا، أي دين الإسلام ما ليس منه، أي رأيا ليس له في الكتاب أو السنة عاضد ظاهر أو خفي ملفوظ أو مستنبط، فهو رد، أي مردود على فاعله لبطلانه من إطلاق المصدر على اسم المفعول. عن عرباض بن سارية، قال:﴿صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصُّبْحَ، ثُمَّ وَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْأَعْيُنُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا، قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي: عُضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ﴾ وعن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ﴾ (الأئمة) الأمراء والعلماء، وإمام الضلالة: الذي يدعو إلى ضلالة. نسأل الله تعالى السلامة والعافية وحسن الخاتمة.

مراجع: سير أعلام النبلاء/ صفة الصفوة/ صيد الخاطر/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ تاريخ بغداد/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال

◆ إسحاق بن إبراهيم (عامل، أبو العباس عبد الله المأمون، سابع ملوك الدولة العباسية) والإمام عفان بن مسلم [128]

قال حنبل بن إسحاق (ابن عم الإمام أحمد) حضرت أبا عبد الله [1] وابن معين [2] عند عفان [3] بعدما دعاه إسحاق بن إبراهيم [4] للمحنة، وكان أول من امتحن من الناس عفان، فسأله يحي من الغد بعد أن أمتحن وأبو عبد الله حاضر ونحن معه. فقال: أخبرنا بما قال لك إسحاق؟ قال: يا أبا زكريا لم أسود وجهك ولا وجوه أصحابك، إني لم أجب. فقال له: فكيف كان؟ قال: دعاني وقرأ علي الكتاب الذي كتب به المأمون من الجزيرة، فإذا فيه: امتحن عفان، وادعه إلى أن يقول: القرآن كذا وكذا، فإن قال ذلك فأقره على أمره، وإن لم يجبك إلى ما كتبتُ به إليك فاقطع عنه الذي يجرى عليه. وكان المأمون يجري على عفان كل شهر خمس مائة درهم وقيل ألف درهم. فلما قرأ عليّ الكتاب. قال لي إسحاق: ما تقول؟ فقرأت عليه: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] حتى ختمتها. فقلت: أمخلوق هذا؟ فقال: يا شيخ إن أمير المؤمنين يقول: إنك إن لم تجبه إلى الذي يدعوك إليه يقطع عنك ما يجري عليك. فقلت: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات] فسكت عني وانصرفت، فسُرَّ بذلك أبو عبد الله ويحيي، قال القاسم أبن أبي صالح يروي عن إبراهيم بن ديزيل [5] يقول: كنت آخذا بلجام حماره، فلما حضر، عرض عليه القول، فامتنع أن يجيب، فقيل له: يُحبس عطاؤك. قال: وكان يُعطَى في كل شهر ألف درهم، فقال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فلما رجع إلى داره عذله نساؤه ومن في داره ، قال: وكان في داره نحو أربعين إنسانا، فدق عليه داق الباب، فدخل عليه رجل شبهته بسَمَّان أو زَيَّات، ومعه كيس فيه ألف درهم، فقال: يا أبا عثمان ثبّتَكَ الله كما ثَبَّتَ الدِّين، وهذا في كل شهر.

---

(3) عفان بن مسلم بن عبد الله الباهلي، أبو عثمان الصفار، البصري، مولى عزرة بن ثابت الأنصاري. ثقة ثبت ، جمع بين العلم والتقى، ولد سنة134 هـ وتوفي ببغداد في سنة 220 هـ وقيل تسع عشرة، وله خمس وثمانون سنة. أسند عفان عن جماعة من الأئمة كشعبة والحمادين. قال ابن المديني: كان إذا شك في حرف من الحديث تركه، وربما وهم، وقال ابن معين: أنكرناه في صفر سنة تسع عشرة، ومات بعدها بيسير، من كبار العاشرة.

(2) يحيى بن معين هو الإمام الحافظ شيخ المحدثين أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام المري، ولد سنة 158 هـ وتوفي ليلة الجمعة سنة 233 هـ

(1) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن ادريس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة الشيباني الذهلي من ربيعة أصله مروزي سكن بغداد كنيته أبو عبد الله كان حافظا متقنا فقيها لازما للورع الخفي مواظبا على العبادة الدائمة أغاث الله به أمة محمد صل الله عليه وسلم وذلك أنه ثبت في المحنة وبذل نفسه لله حتى ضرب بالسياط للقتل فعصمه الله من الكفر وجعله علما يقتدى به وملجأ يلتجأ إليه. ولد في ربيع الاول سنة164 هـ وتوفي في سنة 241 هـ. روى عن محمد بن جعفر غندر وعن هشيم بن بشير وعن معتمر بن سليمان ويحيى بن سعيد القطان وعبد الله بن كثير ومحمد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الرزاق وأبي داود الطيالسي سليمان بن داود ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة واسماعيل بن علية وسفيان بن عيينة ويعقوب بن ابراهيم.

(4) إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي، الأمير ابن عم طاهر بن الحسين الأمير .وكان يعرف بصاحب الجسر . ولي إمرة بغداد مدة طويلة، أكثر من 30 سنة، وعلى يده امتحن العلماء بأمر المأمون وأكرهوا على القول بخلق القرآن. وكان خيرا صائما سائسا حازما وافر العقل، جودا ممدحا، له مشاركة في العلم. توفي سنة 235 هـ. وولي بعده ابنه محمد.

(5) الحافظ سيفنة: إبراهيم بن ديزيل الكسائي الهمذاني الحافظ الملقب بداية عفان للزومه إياه ويعرف بسيفنة بالسين والياء آخر الحروف ساكنة والفاء والنون المشددة وبعدها هاء وهو اسم طائر بمصر لا يقع على شجرة إلا أكل ورقها ولا يفارقها وكذلك كان إبراهيم لا يقدم على شيخ ويفارقه إلا بعد أن يكتب جميع حديثه سمع بالحجاز والشام ومصر والعراق والجبال وروى عنه جماعة من الكبار قال إذا كان كتابي بيدي وأحمد بن حنبل عن يميني وابن معين عن يساري لا أبالي يعني بضبطه وجودة كتبه وتوفي سنة 281 هـ.

أيها الإخوة المؤمنين، نعم يا ليت القلوب الحائرة فقهت ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات] ويا ليتهم إذا سمعوها فقهوها ولم يعلقوا قلوبهم إلا برب السماء، فلم يسودوا وجههم ويجبوا أصحاب السلطان إلى ضلالتهم وما يردونهم عليه من الباطل، ويا ليت أتباع الحق من الصابرين إذا رأوا ثبت أهل الحق والصلاح على حقهم وقفوا معهم وثبتهم ليحسوا بالقوة بإخوانهم حيث يتعاون الكل على البر والتقوى فيثبتوا الدين وأهل الدين. يقول الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود] عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم :﴿لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ فَرَّ مِنْ رِزْقِهِ لَأَدْرَكَهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ﴾ وعنه قال:﴿أَرْسَلَنِي أَهْلِي إِلَى رَسُولِ اللهِ أَسْأَلُهُ طَعَامًا فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنِ اسْتَعَفَّ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ عَبْدٌ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الصَّبْرِ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَسْأَلْهُ شَيْئًا، وَلَقَدْ أَصْبَحْتُ وَمَا فِي عَشِيرَتِي رَجُلٌ أَيْسَرُ مِنِّي﴾.

قال الشيخ الامام أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخى الشافعى فى كتابه الذى سماه الفصول فى الاصول سمعت الامام أبا منصور محمد بن أحمد يقول سمعت الامام أبا بكر عبد الله بن أحمد يقول سمعت الشيخ أبا حامد الاسفرائينى [1] يقول مذهبى ومذهب الشافعى وفقهاء الامصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال أنه مخلوق فهو كافر والقرآن حمله جبريل عليه السلام مسموعا من الله والنبى صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى نتلوه نحن مقروء بألسنتنا وفيما بين الدفتين وما فى صدورنا مسموعا ومكتوبا ومحفوظا ومقروءا وكل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق ومن قال إنه مخلوق فهو كافر عليه لعائن الله والملائكة والناس أجمعين قال ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر] أي غير مخلوق. وحدث أحمد بن إسحاق: سمعت عبد الرحمن بن مهدي [2] ،وذكروا عنده الجهمية، وأنهم يقولون: القرآن مخلوق، فقال: إنهم يريدون أن ينفوا عن الله الكلام، وأن يكون القرآن كلام الله، وأن الله تعالى كلم موسى، وقد ذكره الله تعالى، فقال: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء] وعن جعفر بن محمد، عن أبيه أنه سأله: إن قوما يقولون: القرآن مخلوق؟ فقال: ليس بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله. حدث سعيد بن عمرو البرذعي، قال: سمعت أبا زرعة، يقول: كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر التمار، ولاعن أبي معمر، ولا يحيى بن معين، ولا أحد ممن امتحن فأجاب، وقال عبيد بن شريك: كان أبو معمر القطيعي من شدة إدلاله بالسنة يقول: لو تكلمت بغلتي، لقالت: إنها سنية، قال: فأخذ في المحنة فأجاب، فلما خرج، قال: كفرنا وخرجنا. وحدث عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سمعت أبا معمر، يعني الهذلي، يقول: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ومن شك في أنه غير مخلوق فهو جهمي، لا بل شر من جهمي. وحدث عبد الله بن أحمد، قال: سمعت أبا معمر الهذلي، يقول: من زعم أن الله لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر ولا يغضب ولا يرضى، وذكر أشياء من هذه الصفات، فهو كافر بالله إن رأيتموه على بئر واقفا فألقوه فيها، بهذا أدين الله لأنهم كفار.

---

(1) أبو حامد الإسفرايني أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفرايني الفقيه الشافعي، ولد سنة 344 هـ وقدم بغداد في سنة 363 هـ ودرس الفقه بها من سنة سبعين إلى أن سنة 406 هـ. ببغداد، ودفن من الغد في داره ثم نقل إلى باب حرب في سنة 410 هـ. ونسبته إلى إسفرايين وهي بلدة بخراسان بنواحي نيسابور، على منتصف الطريق إلى جرجان.

(2) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن العنبري، وقيل: الأسدي. مولاهم، أبو سعيد البصري اللؤلؤي. ولد سنة 135هـ. والإمام أحمد من تلامذته، فهو من الطبقة التي هي فوق طبقة الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه وعلي بن المديني ويحيى بن معين والقاسم بن سلام وغيرهم. روى عن أيمن بن نابل، وجرير بن حازم، وعكرمة بن عمار، وأبي خلدة، وخالد بن دينار، ومهدي بن ميمون، ومالك، وشعبة، والسفيانين، والحمادين، وإسرائيل، وحرب بن شداد، ومحمد بن راشد، ومالك بن مغول، ووهيب، وهشام بن سعد وغيرهم. وروى عنه ابن المبارك -وهو أعلى منه طبقة ومن شيوخه- وابن وهب -وهو عبد الله بن وهب، وكان من قضاة مصر، وكان شيخ ابن فهمة وهو أكبر منه حدثنا موسى، وأحمد، وإسحاق، وعلي، ويحيى بن معين، ويحيى بن يحيى النيسابوري، وأبو ثور، وأبو خيثمة، وأبو عبيد القاسم بن سلام - وكان من تلامذة القطان - وإبراهيم بن محمد، وابن أبي شيبة، وغيرهم. توفي ابن مهدي بالبصرة سنة 198 هـ

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ معجم ابن الأعرابي/ الوافي بالوفيات / من أعلام السلف

◆ أبو العباس عبد الله المأمون (سابع ملوك الدولة العباسية) والإمام أحمد بن حنبل [129]

روي الذهبي في السير أنه قال الأصم، حدثنا عباس الدوري، قال سمعت أبي جعفر الانباري يقول، لم حمل أحمد بن حنبل[1] إلى المأمون أخبرت فعبرت الفرات فإذا هو جالس في الخان فسلمت عليه. فقال، يا أبا جعفر، تعنيت، فقلت يا هذا أنت اليوم رأس، والناس يقتادون بك، فوالله لإن أجبت إلى خلق القرآن ليجبين خلق، وإن أنت لم تجب ليمتنعا خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل، يعني المأمون، إن لم يقتلك فإنك تموت، ولابد من الموت، فتقي الله ولا تجب. فجعل أحمد يبكي، ويقول: ما شاء الله، ثم قال: يا أبي جعفر أعد علي، فأعدت عليه، وهو يقول: ما شاء الله، قال الذهبي: قال محمد أبن إبراهيم البوشنجي: جعلوا يذاكرون أبي عبد الله بالرقة في التقية وما روي فيها. فقال: كيف تصنعون بحديث خباب، ﴿إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ يُنْشَرُ أَحَدُهُمْ بِالْمِنْشَارِ لاَ يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ﴾ فأيسنا منه. وقال: لست أبالي بالحبس؛ ما هو ومتزلي إلا واحد، ولا قتلا بالسيف؛ إنما أخاف فتنة السوط؛ فسمعه بعض أهل الحبس فقال: لا عليك يا أبا عبد الله؛ فما هو إلا سوطان، ثم لا تدري أين يقع الباقي، فكأنه سري عنه. قال صالح أبن أحمد: قال أبي: فلما سرنا إلى أذنة، ورحلنا منها في جوف الليل وفتح لنا بابها إذا رجل قد دخل، فقال: البشرة قد مات الرجل، يعني المأمون. قال أبي: وكنت أدعوا الله أن لا أره. وقد كان الإمام أحمد، يقول وأي بلاء أكبر من الذي أحدث عدو الله وعدو الإسلام من إماتة السنة؟ وكان إذا ذكر المأمون قال: لا مأمون. ولم طلب الإمام أحمد، قال: فجئى الإمام أحمد على ركبتيه ورمق بطرفه إلى السماء وقال: سيدي غر حلمك هذا الفاجر حتى تجرأ على أوليائك بالضرب والقتل، اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته. قال: فجاءهم الصريخ بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل. قيل دخل على المأمون في مرضه الذي مات فيه، فإذا هو قد أمر أن يفرش له جل الدابة ويبسط عليه الرماد، وهو راقد عليه يتضرع ويقول: يا من لا يزول ملكه، ارحم من يزول ملكه.

في رواية، كتب المأمون وهو بالرقة إلى إسحاق بن إبراهيم صاحب الشرطة ببغداد بحمل أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح[2] إليه، بسبب المحنة، فاخرجا من بغداد على بعير متزاملين، ثم أن محمد بن نوح أدركه المرض في طريقة. حدث حنبل بن إسحاق بن حنبل، قال: سمعت أبا عبد الله، يقول: ما رأيت أحدا على حداثة سنة وقله علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح وأني لأرجو أن يكون الله قد ختم له بخير؛ قال لي ذات يوم وأنا معه خلوين: يا أبا عبد الله، الله إنك لست مثلي، أنت رجل يقتدى بك، وقد مد هذا الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك، فاتق الله واثبت لأمر الله. أو نحو هذا من الكلام قال أبو عبد الله: فعجبت من تقويته لي وموعظته إياي. ثم قال أبو عبد الله: انظر بما ختم له، فلم يزل بن نوح كذلك ومرض حتى صار إلى بعض الطريق، فمات. قال أبو عبد الله: فصليت عليه ودفنته. أظنه قال بعانة. قلت: وكانت وفاته في سنة 218 هـ. رحمه الله.

➔ (1) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن ادريس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة الشيباني الذهلي من ربيعة أصله مروزي سكن بغداد كنيته أبو عبد الله كان حافظا متقنا فقيها لازما للورع الخفي مواظبا على العبادة الدائمة أغاث الله به أمة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنه ثبت في المحنة وبذل نفسه لله حتى ضرب بالسياط للقتل فعصمه الله من الكفر وجعله علما يقتدى به وملجأ يلتجأ إليه. ولد في ربيع الاول سنة 164 هـ. وتوفي في سنة 241 هـ. روى عن محمد بن جعفر غندر وعن هشيم بن بشير وعن معتمر بن سليمان ويحيى بن سعيد القطان وعبد الله بن كثير ومحمد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الرزاق وأبي داود الطيالسي سليمان بن داود ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة واسماعيل بن علية وسفيان بن عيينة ويعقوب بن ابراهيم.

عن ابي داود السجستاني قال لم يكن احمد بن حنبل يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس من امر الدنيا فاذا ذكر العلم تكلم. وعن عبد الله بن احمد قال كان ابي اصبر الناس على الوحدة لم يره احد الا في مسجد او حضور جنازة او عيادة مريض وكان يكره المشي في الاسواق. وعنه قال كان ابي يصلي في كل يوم وليلة ثلاث مائة ركعة فلما مرض من تلك الأسواط اضعفته فكان يصلي في كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة وقد كان قرب من الثمانين وكان يقرأ في كل يوم سبعا يختم في سبعة أيام وكانت له ختمة في كل سبع ليال سوى صلاة النهار وكان ساعة يصلي عشاء الاخرة ينام نومة خفيفة ثم يقوم الى الصباح يصلي ويدعو وحج ابي خمس حجات ثلاث حجج ماشيا واثنتين راكبا وانفق في بعض حجاته عشرين درهما. وعنه قال كنت اسمع ابي كثيرا يقول في دبر الصلاة اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك صنه عن المسالة لغيرك. وعن ابي عيسى عبد الرحمن بن زاذان قال صلينا وابو عبد الله أحمد بن حنبل حاضر فسمعته يقول: اللهم من كان على هوى او على راي وهو يظن أنه على الحق وليس هو الحق فرده الى الحق حتى لا يضل من هذه الامة احد اللهم لا تشغل قلوبنا بما تكفلت لنا به ولا تجعلنا في رزقك خولا لغيرك ولا تمنعنا خير ما عندك بشر ما عندنا ولا ترنا حيث نهيتنا ولا تفقدنا من حيث امرتنا اعزنا ولا تذلنا اعزنا بالطاعة ولا تذلنا بالمعصية. وقال عبد الله بن احمد بن حنبل كنت كثيرا اسمع والدي يقول رحم الله ابا الهيثم غفر الله لابي الهيثم عفا الله عن ابي الهيثم فقلت يا ابة من ابو الهيثم؟ فقال لما اخرجت للسياط ومدت يداي للعاقبين اذ انا بشاب يجذب ثوبي من ورائي ويقول لي تعرفني قلت لا قال انا ابو الهيثم العيار اللص الطرار كتوب في ديوان امير المؤمنين اني ضربت ثمانية عشر الف سوط بالتفاريق وصبرت على ذلك على طاعة الشيطان لاجل الدنيا فاصبر أنت في طاعة الرحمن لاجل الدين قال فضربت ثمانية عشر سوطا بدل ما ضرب ثمانية عشر الفا وخرج الخادم فقال عفا عنه أمير المؤمنين. وعن أحمد بن سنان قال بلغني أن أحمد بن حنبل جعل المعتصم في حل في يوم فتح بابك أو في فتح عمورية فقال هو في حل من ضربي. وقال ابراهيم الحربي أحل أحمد بن حنبل من حضر ضربه وكل من شايع فيه والمعتصم وقال لولا أن ابن ابي داود داعية لاحللته. وعن اسحاق قال مات ابو عبد الله وما خلف الا ستة قطع او سبعة وكانت في خرقة كان يمسح بها وجهه قدر دانقين.

➔ (2) محمد بن نوح بن ميمون بن عبد الحميد بن أبي الرجال العجلي المعروف كان أحد المشهورين بالسنة، وحدث شيئا يسيرا. قال لنا البرقاني: بلغني أن محمد بن نوح هذا جار أحمد بن حنبل وأن أحمد بن حنبل، قال لمن سأله عنه: اكتب عنه فإنه ثقة.توفي سنة 218 هـ

أيها الإخوة المؤمنين، محن تأتي فتنقسم الناس وتتمايز أقدارهم، فظلامة يقومون على الفتنة والمحنة، وأتباعهم ضالون يشدون أزرهم على الباطل، وأئمة قدوة يثبتون، وأتباع صالحون يشدون أزرهم ويعضدونهم، وعوام ينتظرون ماذا يفعل القدوة ليقتدوا به أو ينهارون بتقهقره، ومترددون عرفوا الحق وأسروه لضعفهم يبحثون عن الرخص والتقية، فيثبت الثابتون يتأسون ويتزودون من قصص ثبات الأوائل، وقدر الله النافذ، يهلك الظالمون، ويفضون إلى ما قدموا من الضياع الذي لا ينفع معه الندم، ويلقى الثابتون ربهم على ما أعد لهم من النعيم بما صبروا، فنعم عقبة الدار. أيها الإخوة الصابرون، فكم أخبر ربنا في الحديث القدسي ما هي إلا اعمالونا يحصيها علينا، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلن يلوم إلا نفسه. نسأل الله العافية والهدى. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ - وفي رواية:- يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ معنى هذا الحديث في حق من يدخل على السلطان و يرر له قتل الضعفاء من المسلمين أو قتل الناس بأي طريق من الطرق. وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ، لاَ يَرَى بِهَا بَأْسًا، فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا﴾ قال ابن عبد البر: الكلمة التي يهوي بها صاحبها بسببها في النار هي التي يقولها عند السلطان الجائر، وزاد ابن بطال: بالبغي أو بالسعي على المسلم فتكون سببا لهلاكه، وان لم يرد القائل ذلك، لكن ربما أدت إلى ذلك، فيكتب على القائل إثمها. والكلمة التي ترفع الدرجات، ويكتب بها الرضوان: هي التي يدفع بها عن المسلم مظلمة، أو يفرج بها عنه كربة، أو ينصر بها مظلوما.

وعن خباب بن الأرت، قال:﴿شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

قال المروذي:﴿لَمَّا حُبِسَ الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ. قَالَ لَهُ السَّجَّانُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ الحَدِيثُ الَّذِي يُرْوَى فِي الظَّلَمَةِ وَأَعْوَانِهِمْ صَحِيحٌ ؟ قَالَ الإِمَامُ: نَعَمْ. فَقَالَ السَّجَّانُ: فَأَنَا مِنْهُمْ؟ قَالَ الإِمَامُ: أَعْوَانِهِمْ من يَأْخُذُ شَعْرَكَ وَيَغْسِلُ ثَوْبَكَ وَيُصْلِحُ طَعَامَكَ وَيَبِيعُ وَيَشْتَرِي مِنْك. وأَمَّا أَنْتَ فَمِنْ أَنْفُسِهِمْ. (أَيْ الظَّلَمَةِ)﴾ والحديث عن كعب بن عجرة، قال:﴿خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ دَخَلَ، وَنَحْنُ تِسْعَةٌ وَبَيْنَنَا وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ فَقَالَ: إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ يَكْذِبُونَ وَيَظْلِمُونَ، فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ، فَصَدَّقَهُمْ بِكِذْبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَيُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الحَوْضَ﴾ وعن سعيد بن المسيب قال: ﴿لَا تَمْلَأُ أَعْيُنَكُمْ مِنْ أَعْوَانِ الظَّلَمَةِ إِلَّا بِالْإِنْكَارِ مِنْ قُلُوبِكُمْ لِكَيْلَا تَخْبَطَ أَعْمَالُكُمُ الصَّالِحَةُ﴾ وعن ابن عمر:﴿الْجَلَاوِزَةُ، وَالشُّرَطُ، وَأَعْوَانُ الظَّلَمَةِ كِلَابُ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الجلاوزة هم: جند لقتل من وجب عليه القتل بمنزلة السياف. والشرط والسواطون هم رجال الشرطة، والمخابرات الذين يجلدون الناس بغير ذنب ولا جريرة، طاعة للحكام في معصية الله. عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ، أَوْ قَالَ: يَخْرُجُ رِجَالٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، فِي آخِرِ الزَّمَانِ مَعَهُمْ أَسْيَاطٌ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ الْبَقَرِ يَغْدُونَ فِي سَخَطِ اللهِ وَيَرُوحُونَ فِي غَضَبِهِ﴾ يروى أن خياطا قال لسفيان الثوري إني رجل أخيط ثياب السلطان، فهل أنا من أعوان الظلمة؟ فقال له بل أنت من الظلمة أنفسهم، ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الإبرة والخيوط! و شيخ الإسلام ابن تيمية لما أتاه الجلاد إلى سجنه بدمشق وقال له: اغفر لي يا شيخنا فأنا مأمور. قال له ابن تيمية: والله لولاك ما ظلموا!

أجمع أهل العلم على أن من اكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل انه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان. والإمام مالك يقول بعدم وقوع طلاق المكره على نحو التقية محتجاً بذلك بقول الصحابي ابن مسعود: ما من كلام يدرأ عني سوطين من سلطان إلا كنت متكلماً به. قال وهب بن منبه : إن ملكاً كان يفتن الناس ويحملهم على أكل لحم الخنزير، فأتى برجل أفضل أهل زمانه فأعظم الناس مكانه وهالهم أمره، فراوده على أكل لحم الخنزير فرق له صاحب شرطة الملك وقال له: أنا آتيك بجدي تذبحه مما يحل لك أكله، وإذا دعا الملك بلحم الخنزير أتيتك به فتفعل. ثم أتى به الملك فدعا بلحم الخنزير فأتى صاحب الشرطة بلحم ذلك الجدي، فأمر به الملك أن يأكله. فأبى، فجعل صاحب الشرطة يغمزه أن يأكله فأبى أن يأكله. فأمر صاحب الشرطة أن يقتله. فلما ذهب به قال: ما منعك أن تأكله وهو اللحم الذي أنت ذبحته؟ أظننت أني جئتك بغيره؟ قال لا قد علمت أنه هو، ولكنني خفت أن يفتتن الناس بي، فإن أكرهوا على أكل لحم الخنزير قالوا قد أكله فلان، فيستن بي فأكون فتنة لهم. فقتل رحمه الله.

◆ أبو إسحاق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور (ثامن ملوك الدولة العباسية) والإمام أحمد بن حنبل [130]

حدث الإمام أحمد[1] عن محنته، فكان من ما رواه عن قصته مع المعتصم[2] مشاهد سطرها التاريخ بمداد من ذهب، وكان من ما روى رحمه الله: فلما كان اليوم الثالث، أدخلت على المعتصم والقوم حاضرون، فجعلت أدخل من دار إلى دار، وقوم معهم السيوف، وقوم معهم السياط، وغير ذلك من الزي والسلاح، حتى صرت إليه. قال ناظروه، وكلمه. فعادوا بمثل منظرتهم حتى إذا كان في الوقت الذي كان يخلو بي فيه، دعاني، فخل بي وبعبد الرحمان أبن إسحاق، فقال لي، ويحك يا أحمد، أنا والله عليك شفيق، وإني لأشفق عليك مثل شفقتي على هارون أبني، فأجبني، فقلت، يا أمير المؤمنين، اعطوني شيء من كتاب الله وسنة رسوله، فلما ضجر وطال المجلس، قال، عليك لعنة الله لقد كنت طمعت فيك، خذوه خلعوا ثيابه واسحبوه. فأخذت فسحبت، ثم قال، العقابين، والسياط. فجيء بالعقابين والسياط. ثم قال للجلدين، تقدموا، فنظر إلى السياط فقال أأتوا بغيرها، ثم قال، تقدموا، فقال لأحدهم أدنوا، أوجع قطع الله يدك، فتقدم فضربني سوطين ثم تنحى. قال المقريزي ، فلما ضرب أحمد سوط قال باسم الله، فلما ضرب الثاني قال، لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما ضرب الثالث، قال، القرآن كلام الله غير مخلوق، فلما ضرب الرابع، قال، لن يصبنا إلا ما كتب الله لنا. فضربه مئتين وعشرين سوط. وكانت تكة سراويله قد انقطعت، فنزل السروال إلى عانته، فقلت، الساعة ينتهك، فرمى الإمام طرفه إلى السماء وحرك شفتيه، فما كان أسرع من أن بقي السروال ولم ينزل. قال ميمون، فدخلت على أبي عبد الله بعد سبعة أيام، فقلت أيا أبي عبد الله، رأيتك يوم ضربوك قد انحل سراويلك، فرفعت طرفك إلى السماء، ورأيتك تحرك شفتيك، فأي شيء قلت ؟، قال قلت، اللهم إني أسألك باسمك الذي ملئت به العرش إن كنت تعلم أني على صواب فلا تهتك لي سترا. قال الإمام أحمد، ثم قام المعتصم، حتى جاءني وهم محدقون به، فقال، ويحك يا أحمد، تقتل نفسك، ويحك أجبني أطلق عنك بيدي. فجعل بعضهم يقول لي، ويحك إمامك على رأسك قائم، وجعل عجيف ينخس بقائم سيفه، ويقول تريد أن تغلب هؤلاء كلاهم، ثم يقول بعضهم، يا أمير المؤمنين، دمه في عنقي. ثم رجع فجلس، ثم قال لجلاد، شد قطع الله يدك، ثم لم يزل يدعو جلاد بعد جلاد يضربني سوطين ويتنحى، وهو يقول، شد قطع الله يدك، ثم قام إلي ثانية، فجعل يقول، يا أحمد أجبني، فجعل عبد الرحمان أبن إسحاق يقول لي، من صنع بنفسه من أصحابك في هذا الأمر مثلما صنعت، فهذا يحي بن معين، وهذا أبو خيثمة وأبن أبي إسرائيل، وجعل يعدد من أجاب، وجعل المعتصم يقول، ويحك أجبني، فجعلت أقول نحوا من ما كنت أقوله لهم. قال الرواة، فقال المعتصم لواحد منهم، بكم تقتله؟، فقال بخمسة عشر أو عشرين سوط، فقال، شد قطع الله يدك. يقول الإمام أحمد، ثم جعل يقول للجلاد، شد قطع الله يدك، فذهب عقلي وما عقلت إلا وأنا في حجرة مطلق اليد، فقال إنسان ممن حضر، إنا كبينك على وجهك وطرحنا على ظهرك بارية ودسناك، قلت ما شعرت بذلك.

---

(1) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن ادريس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة الشيباني الذهلي من ربيعة أصله مروزي سكن بغداد كنيته أبو عبد الله كان حافظا متقنا فقيها لازما للورع الخفي مواظبا على العبادة الدائمة أغاث الله به أمة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنه ثبت في المحنة وبذل نفسه لله حتى ضرب بالسياط للقتل فعصمه الله من الكفر وجعله علما يقتدى به وملجأ يلتجأ إليه. ولد في ربيع الاول سنة 164 هـ وتوفي في سنة 241 هـ. روى عن محمد بن جعفر غندر وعن هشيم بن بشير وعن معتمر بن سليمان ويحيى بن سعيد القطان وعبد الله بن كثير ومحمد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الرزاق وأبي داود الطيالسي سليمان بن داود ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة واسماعيل بن علية وسفيان بن عيينة ويعقوب بن ابراهيم.

(2) محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب يكنى أبا إسحاق، والمعتصم يقال له: الثاني، ولد بالخلد في سنة 180 هـ، وهو ثامن الملوك، والثامن من ولد العباس، استخلف أبو إسحاق محمد بن هارون سنة 218 هـ ومات بالحاقاني من سر من رأى، سنة 227 هـ

وكان في المعتصم مناقب، منها، أنه كان ثامن ملوك من بني العباس، وثامن أمراء المؤمنين من ولد عبد المطلب، وملك ثماني سنين وثمانية أشهر وفتح ثمانية فتوح بلاد بابك على يد الأفشين وفتح عمورية بنفسه والزط بعجيف وبحر البصرة وقلعة الأجراف وأعراب ديار ربيعة والشاري وفتح مصر وقتل ثمانية أعداء بابك ومازيار وباطس ورئيس الزنادقة والأفشين وعجيفا وقارن وقائد الرافضة.

حدث عبد الواحد بن العباس بن عبد الواحد، قال: سمعت العباس بن الفرج، يقول: كتب ملك الروم إلى المعتصم كتابا يتهدده فيه فأمر بجوابه فلما قرئ عليه الجواب لم يرضه، قال للكاتب: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فقد قرأت كتابك وسمعت خطابك قال: والجواب ما ترى لا ما تسمع، وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار. قلت: غزا المعتصم بلاد الروم في سنة 223 هـ فأتكى في العدو نكاية عظيمة، ونصب على عمورية المجانيق، وأقام عليها حتى فتحها ودخلها، فقتل فيها ثلاثين ألفا، وسبى مثلهم وكان في سبيه ستون بطريقا وطرح النار في عمورية من سائر نواحيها فاحرقها، وجاء ببابها إلى العراق، وهو باق حتى الآن منصوب على أحد الأبواب دار الخلافة، وهو الباب الملاصق مسجد الجامع في القصر.

أيها الإخوة المؤمنون، واستمرت رحلة العذاب، والفتنة، والثبات مع إمامنا الجليل، حتى إذا أيسوا منه، خشوا أن يقتل، وتوالت إليهم أخبار هيجان الناس لثباته، فأرد المعتصم أن لا يهز عرشه، فدع عم الإمام أحمد، ثم قال للناس أتعرفونه ؟ قالوا، نعم، فسأله أمامهم، أليس أسلمنه لكم صحيح البدن، فقال، برأسه، نعم، ولو قال، لا، لوقعت الشرور. وهكذا هذه الناس، حتى استسلم المعتصم، فقال لأبن أبي دؤاد وصحبه عن الإمام، ليس هذا كما وصفتم، كل هذا ونجد الإمام لا يزيد عن ثباته في المحنة على أن يقول، والله لقد أعطيت المجهود من نفسي ولوددت أن أنجوا من هذا الأمر كفافا لا لي ولا علي. أيها الإخوة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف] نسأل الله أن يثبت أئمة الهدى والإصلاح وأن يأخذ بأيدينا على طريق الثابتين ويجمعنا بهم في الدنيا والأخرة مع النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين.

جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿لَا يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ فِي مَوْقِفٍ يُضْرَبُ فِيهِ رَجُلٌ ظُلْمًا فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ﴾ وعنه صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أُمِرَ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ يُضْرَبُ فِي قَبْرِهِ مِائَةَ جَلْدَةٍ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُهُ وَيَدْعُو حَتَّى صَارَتْ جَلْدَةً وَاحِدَةً فَامْتَلَأَ قَبْرُهُ عَلَيْهِ نَارًا، فَلَمَّا ارْتَفَعَ عَنْهُ وَأَفَاقَ قَالَ: عَلَامَ جَلَدْتُمُونِي؟ قِيلَ: إِنَّكَ صَلَّيْتَ بِغَيْرِ طُهُورٍ، وَمَرَرْتَ عَلَى مَظْلُومٍ فَلَمْ تَنْصُرْهُ﴾ فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع قدرته على نصره فكيف حال الظالم؟.

عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ. وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا﴾ (لا تكونوا إمعة) نهي عن التقليد. وعن علي، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِيَّاكَ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى حَقَّهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمْنَعُ ذَا حَقٍّ حَقَّهُ﴾ وعن أوس بن شرحبيل أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ لِيُقَوِّيَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ﴾ (ليقويه) وفي الجامع ليعينه (وهو يعلم أنه ظالم) أي فيه (فقد خرج من الإسلام) أي من حقيقة الإسلام المقتضي أن يسلم المسلمون من لسانه ويده. وعن ابن عمر:﴿الْجَلَاوِزَةُ، وَالشُّرَطُ، وَأَعْوَانُ الظَّلَمَةِ كِلَابُ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الجلاوزة هم: جند لقتل من وجب عليه القتل بمنزلة السياف. والشرط والسواطون هم رجال الشرطة، والمخابرات الذين يجلدون الناس بغير ذنب ولا جريرة، طاعة للحكام في معصية الله. عن أبي هريرة:﴿صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ، عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ، مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ السَّوَّاطُونَ﴾ وعنه قال:﴿قَدْ رَأَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَالَهُ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: يُقَالُ لِرِجَالٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اطْرَحُوا سِيَاطَكُمْ وَادْخُلُوا جَهَنَّمَ﴾ وعنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿يُوشِكُ إِنْ طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ أَنْ تَرَى قَوْمًا فِي أَيْدِيهِمْ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ، يَغْدُونَ فِي غَضَبِ اللَّهِ، وَيَرُوحُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ﴾ – وفي رواية-: وَيَرُوحُونَ فِي لَعْنَةِ اللَّهِ﴾ (يوشك) أي يقرب (إن طالت بك مدة) أي حياة (أن ترى) اسم يوشك أي تبصر (قوما في أيديهم) خبر مقدم مبتدؤه (مثل أذناب البقر) أي سياط كما في رواية، والجملة صفة قوما، وتسمى تلك السياط في ديار العرب بالمقارع جمع مقرعة، وهي جلدة طرفها مشدود عرضه كعرض الأصبع الوسطى يضربون السارقين عراة، وقيل: هم الطوافون على أبواب الظلمة الساعون بين أيديهم كالكلب العقور ويطردون الناس عنها بالضرب (يغدون) أي يصبحون (في غضب الله ويروحون) أي يمسون (في سخط الله) أي الذي هو أشد من غضب الله لتكرار هذا الأمر منه، واستمرار صدور هذا الفعل عنه (وفي رواية: ويروحون في لعنة الله) أي إبعاده عن رحمته فإنهم يقدمون أمر أميرهم على أمر الله ورسوله، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. قال الطيبي: المراد بقوله: (يغدون ويروحون) إما الدوام والاستمرار كما في قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام] يعني هم أبدا في غضب الله وسخطه لا يحلم عليهم ولا يرضى عنهم، وإن أريد بها الوقتان المخصوصان، فالمعنى يصبحون يؤذون الناس ويروعونهم ولا يرحمون عليهم، فغضب الله تعالى عليهم، ويمسون يتفكرون فيما لا يرضي عنهم الله تعالى من الإيذاء والروع. عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ رَوَّعَ مُؤْمِنًا لَمْ يُؤْمَنْ اللهُ رَوْعَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَعَى بِمُؤْمِنٍ أَقَامَهُ اللهُ مَقَامَ ذُلٍّ وَخِزْيٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وعن ابن أبي نجيح عن هشام بن حكم عن خالد بن الوليد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا﴾ وعن حذيفة بن اليمان:﴿يَكُونُ أُمَرَاءُ يُعَذِّبُونَكُمْ وَيُعَذِّبُهُمْ الله﴾ وعن هشام بن عروة عن أبيه،﴿أَنَّ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرَّ بِالشَّامِ عَلَى أُنَاسٍ مِنَ الْأَنْبَاطِ وَقَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ وَصُبَّ عَلَى رُءُوسِهِمُ الزَّيْتُ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قِيلَ: يُعَذَّبُونَ فِي الْخَرَاجِ. قَالَ هِشَامٌ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا﴾.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ المعجم الأوسط/ المستدرك على الصحيحين للحاكم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح

◆ أبو إسحاق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور (ثامن ملوك الدولة العباسية) والشيخ [131]

حدث عمر بن أحمد المعروف بالطيار[1] – بسر من رأى– عن أبيه قال: اجتمع أهل بغداد إلى المعتصم واستأذنوا عليه فأذن لخمسة منهم فتقدم شيخ طويل اللحية فقال له الحاجب: تكلم وأوجز! قال: قل لأمير المؤمنين انتقل عنا فإنا لا نساكنك ولا نرضى بجوارك، فقال المعتصم: وإلا فأيش؟ فقال له الحاجب: وإلا فأيش؟ فقال: نقاتلك، فقال له: قل له: بم تقاتلون؟ قال: بالسبابات في السحر سهام الليل، فبكى المعتصم وقال لي: لا طاقة بسهام الليل، وارتحل من بغداد، فسار إحدى وعشرين فرسخا وابتنى سر من رأى (سامراء) إلى أن مات بها.

حكى الخطيب البغدادي: عن علي بن يحيى المنجم[2]،قال: لما أن استتم المعتصم عدة غلمانه الأتراك بضعة عشر ألفا، وعلق له خمسون ألف مخلاة على فرس وبرذون.وبغل، وذلل العدو بكل النواحي، أتته المنية على غفلة، فقيل: أنه قال في حماه التي مات فيها ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام] قلت: ولكثرة عسكر المعتصم وضيق بغداد عنه، وتأذي الناس به بنى المعتصم سر من رأى، وانتقل إليها، فسكنها بعسكره وسميت العسكر، وذلك في سنة 221 هـ.

---

(1) عمر بن أحمد، المعروف بالطيار. حكى بسر من رأى عن أبيه، روى عنه أبو الطيب أحمد بن محمد بن إسماعيل البغدادي.

(2) علي بن يحيى المنجم، هو علي بن يحيى بن أبي منصور.وأبوه (يحيى) فارسي أسلم على يد المأمون.أحد الأدباء والظرفاء. نديم المتوكل العباسي، خص به وبمن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد، وكان راوية للأشعار والأخبار، شاعرا، ولد سنة 201 هـ وتوفي بسامراء سنة 275 هـ.

قال شحاتة محمد صقر: إن الأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه، لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحا تاما لا آفة به، والساعد ساعدا قويا، والمانع مفقودا، حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير، فإن كان الدعاء في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه، أو كان ثم مانع من الإجابة، لم يحصل التأثير. أو كما قال ابن القيم رحمه الله.

من شروط الدعاء: الشرط الأول: الإخلاص وهو تصفية الدعاء والعمل من كل ما يشوبه، وصرف ذلك كله لله وحده، لا شرك فيه، ولا رياء ولا سمعة، ولا طلبا للعرض الزائل، ولا تصنعا وإنما يرجو العبد ثواب الله ويخشى عقابه، ويطمع في رضاه. وقد أمر الله تعالى بالإخلاص في كتابه الكريم فقال الله تعالى:﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الاعراف] وقال: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر] وعن ابن عباس قال: ﴿كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: يَا غُلَامُ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ﴾ وسؤال الله تعالى: هو دعاؤه والرغبة إليه كما قال الله تعالى:﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء] الشرط الثاني: المتابعة، وهي شرط في جميع العبادات، والعمل الصالح هو ما كان موافقا لشرع الله تعالى ويراد به وجه الله سبحانه؛ فلا بد أن يكون الدعاء والعمل خالصا لله صوابا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فيجب على المسلم أن يكون متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم في كل أعماله، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب] وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران] ولا شك أن العمل الذي لا يكون على شريعة النبي صلى الله عليه وسلم يكون باطلا، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ﴾ الشرط الثالث: الثقة بالله تعالى واليقين بالإجابة: فمن أعظم الشروط لقبول الدعاء الثقة بالله تعالى، وأنه على كل شيء قدير، لأنه تعالى يقول للشيء كن فيكون، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل] ومما يزيد ثقة المسلم بربه تعالى أن يعلم أن جميع خزائن الخيرات والبركات عند الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر] وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي الذي رواه عن ربه تبارك وتعالى: ﴿يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ﴾ وهذا يدل على كمال قدرته سبحانه وتعالى، وكمال ملكه، وأن ملكه وخزائنه لا تنفد ولا تنقص بالعطاء، ولو أعطى الأولين والآخرين: من الجن والإنس جميع ما سألوه في مقام واحد. فالمسلم إذا علم ذلك فعليه أن يدعو الله وهو موقن بالإجابة، لما تقدم، ولحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :﴿ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ﴾ الشرط الرابع: حضور القلب والخشوع والرغبة فيما عند الله من الثواب والرهبة مما عنده من العقاب، فقد أثنى الله تعالى على زكريا وأهل بيته فقال الله تعالى:﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (89) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء] فلا بد للمسلم في دعائه من أن يحضر قلبه، وهذا أعظم شروط قبول الدعاء، وقد أمر الله تعالى بحضور القلب والخشوع في الذكر والدعاء، فقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف] الشرط الخامس: العزم والجزم والجد في الدعاء:المسلم إذا سأل ربه فإنه يجزم ويعزم بالدعاء، ولهذا نهى صلى الله عليه وسلم عن الاستثناء في الدعاء؛ فعن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ﴾ قيل: عزم المسألة الشدة في طلبها، والجزم من غير ضعف في الطلب، ولا تعليق على مشيئة ونحوها، وقيل: هو حسن الظن بالله تعالى في الإجابة.ومعنى الحديث: استحباب الجزم في الطلب، وكراهة التعليق على المشيئة، قال العلماء: سبب كراهته أنه لا يتحقق استعمال المشيئة إلا في حق من يتوجه عليه الإكراه، والله تعالى منزه عن ذلك، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: فإنه لا مستكره له، وقيل: سبب الكراهة أن في هذا اللفظ صورة الاستغناء على المطلوب والمطلوب منه.

من موانع إجابة الدعاء: المانع الأول: التوسع في الحرام: أكلا، وشربا، ولبسا، وتغذية. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ [المؤمنون] وَقَالَ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ [البقرة] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟﴾ وقد قيل في المعنى: إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيبا طاهرا من المفسدات كلها: كالرياء، والعجب، ولا من الأموال إلا ما كان طيبا حلالا، فإن الطيب توصف به الأعمال، والأقوال، والاعتقادات. والمراد بهذا أن الرسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبات والابتعاد عن الخبائث والمحرمات، ثم ذكر في آخر الحديث استبعاد قبول الدعاء مع التوسع في المحرمات: أكلا، وشربا، ولبسا، وتغذية. ففي هذا الحديث أن هذا الرجل الذي قد توسع في أكل الحرام قد أتى بأربعة أسباب من أسباب الإجابة: أحدها: إطالة السفر، والسفر بمجرده يقتضي إجابة الدعاء، كما في حديث أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ﴾ ومتى طال السفر، كان أقرب إلى إجابة الدعاء؛ لأنه مظنة حصول انكسار النفس بطول الغربة عن الأوطان، وتحمل المشاق، والانكسار من أعظم أسباب إجابة الدعاء. المانع الثاني: حصول التبذل في اللباس والهيئة بالشعث والإغبرار، وهو – أيضا – من المقتضيات لإجابة الدعاء، كما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ﴾ ولما خرج النبي صلى الله عليه وسلم للاستسقاء، خرج متبذلا متواضعا متضرعا. المانع الثالث: مد يديه إلى السماء، وهو من آداب الدعاء التي يرجى بسببها إجابته، فعن سلمان الفارسي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ﴾ المانع الرابع: الإلحاح على الله بتكرير ذكر ربوبيته وهو من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء ومع ذلك كله قال صلى الله عليه وسلم: فأنى يستجاب لذلك؟ وهذا استفهام وقع على وجه التعجب والاستبعاد. فعلى العبد المسلم التوبة إلى الله تعالى من جميع المعاصي والذنوب، ورد المظالم إلى أهلها حتى يسلم من هذا المانع العظيم الذي يحول بينه وبين إجابة دعائه. المانع الخامس: الاستعجال وترك الدعاء: من الموانع التي تمنع إجابة الدعاء أن يستعجل الإنسان المسلم ويترك الدعاء، لتأخر الإجابة، فقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا العمل مانعا من موانع الإجابة حتى لا يقطع العبد رجاءه من إجابة دعائه ولو طالت المدة، فإنه سبحانه يحب الملحين في الدعاء. عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي﴾ فالعبد لا يستعجل في عدم إجابة الدعاء، لأن الله قد يؤخر الإجابة لأسباب: إما لعدم القيام بالشروط، أو الوقوع في الموانع، أو لأسباب أخرى تكون في صالح العبد وهو لا يدري، فعلى العبد إذا لم يستجب دعاؤه أن يراجع نفسه ويتوب إلى الله تعالى من جميع المعاصي، ويبشر بالخير العاجل والآجل، والله تعالى يقول:﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف] فما دام العبد يلح في الدعاء ويطمع في الإجابة من غير قطع فهو قريب من الإجابة، ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له. وقد تؤخر الإجابة لمدة طويلة كما أخر سبحانه إجابة يعقوب في رد ابنه يوسف إليه، وهو نبي كريم، وكما أخر إجابة نبيه أيوب عليه الصلاة والسلام في كشف الضر عنه، وقد يعطى السائل خيرا مما يسأل، وقد يصرف عنه من الشر أفضل مما سأل. المانع السادس: ارتكاب المعاصي والمحرمات: قد يكون ارتكاب المحرمات الفعلية مانعا من الإجابة، ولهذا قال بعض السلف: لا تستبطئ الإجابة وقد سددت طريقها بالمعاصي، ولا شك أن الغفلة والوقوع في الشهوات المحرمة من أسباب الحرمان من الخيرات. وقد قال الله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد] المانع السابع: ترك الواجبات التي أوجبها الله: كما أن فعل الطاعات يكون سببا لاستجابة الدعاء فكذلك ترك الواجبات يكون مانعا من موانع استجابة الدعاء، ولهذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى، عن حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ﴾ المانع الثامن: الدعاء بإثم أو قطيعة رحم. المانع التاسع: الحكمة الربانية فيعطى أفضل مما سأل: عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ تَعَالَى بِدَعْوَةٍ إِلاَّ آتَاهُ اللهُ إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: إِذًا نُكْثِرُ قَالَ: اللهُ أَكْثَرُ﴾ فقد يظن الإنسان أنه لم يجب وقد أجيب بأكثر مما سأل أو صرف عنه من المصائب والأمراض أفضل مما سأل أو أخره له إلى يوم القيامة. اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة.

مراجع: تاريخ بغداد وذيوله/ دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ تاريخ بغداد/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ معجم الشعراء العرب

◆ هارون الثاني الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد (تاسع ملوك الدولة العباسية) وأحمد بن نصر الخزاعي المروزي [132]

كان أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي[1] من أهل الحديث، وكان جده من رؤساء نقباء بني العباس، وكان أحمد، وسهل بن سلامة[2] حين كان المأمون بخرسان بايعا الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى أن دخل المأمون بغداد فرفق بسهل حتى لبس السواد، وأخذ الأرزاق، ولزم أحمد بيته، ثم إن أمره تحرك ببغداد في آخر أيام الواثق[3] واجتمع إليه خلق من الناس يأمرون بالمعروف إلى أن ملكوا بغداد، وتعدى رجلان من أصحابه يقال لأحدهما:طالب في الجانب الغربي، ويقال للآخر: أبو هارون في الجانب الشرقي، وكانا موسرين فبذلا مالا، وعزما على الوثوب ببغداد في شعبان سنة 231 هـ فنم عليهم قوم إلى إسحاق بن إبراهيم، فأخذ جماعة فيهم أحمد بن نصر، وأخذ صاحبيه طالبا، وأبا هارون فقيدهما، ووجد في منزل أحدهما أعلاما، وضرب خادما لأحمد بن نصر فأقران هؤلاء كانوا يصيرون إليه ليلا، فيعرفونه ما عملوا، فحملهم إسحاق مقيدين إلى سر من رأى، فجلس لهم الواثق، وقال لأحمد بن نصر: دع ما أخذت له، ما تقول في القرآن؟ قال كلام الله، قال: أفمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله، قال: أفترى ربك في القيامة؟ قال كذا جاءت الرواية. فقال: ويحك يرى كما يرى المحدود المتجسم، ويحويه مكان، ويحصره الناظر؟ أنا أكفر برب هذه صفته، ما تقولون فيه؟ فقال عبد الرحمن بن إسحاق، وكان قاضيا على الجانب الغربي ببغداد، فعزل: هو حلال الدم، وقال جماعة من الفقهاء كما قال، فأظهر ابن أبي دؤاد[4] أنه كاره لقتله، فقال للواثق: يا أمير المؤمنين شيخ مختل لعل به عاهة أو تغير عقل، يؤخر أمره، ويستتاب، فقال الواثق: ما أراه إلا مؤديا لكفره قائما بما يعتقده منه، ودعا الواثق بالصمصامة*،وقال: إذا قمت إليه فلا يقومن أحد معي، فإني أحتسب خطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد ربا لا نعبده، ولا نعرفه الصفة التي وصفه بها، ثم أمر بالنطع، فأجلس عليه وهو مقيد، وأمر بشد رأسه بحبل، وأمرهم أن يمدوه ومشى إليه حتى ضرب عنقه، وكان رأسه يقول لا اله إلا الله، وأمر بحمل رأسه إلى بغداد، فنصب في الجانب الشرقي أياما، وفي الجانب الغربي أياما، وتتبع رؤساء أصحابه فوضعوا في الحبوس قال أبو العباس بن سعيد: لم يصبر في المحنة إلا أربعة كلهم من أهل مرو: أحمد بن حنبل أبو عبد الله، وأحمد بن نصر بن مالك الخزاعي، ومحمد بن نوح بن ميمون[5] المضروب، ونعيم بن حماد[6]،وقد مات في السجن مقيدا. فأما أحمد بن نصر، فضربت عنقه، وهذه نسخة الرقعة المعلقة في إذن أحمد بن نصر بن مالك: بسم الله الرحمن الرحيم هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك دعاه عبد الله الإمام هارون وهو الواثق بالله أمير المؤمنين إلى القول بخلق القرآن، ونفى التشبيه فأبي إلا المعاندة، فجعله الله إلى ناره، وكتب محمد بن عبد الملك، ومات محمد بن نوح في فتنة المأمون، والمعتصم ضرب أحمد بن حنبل، والواثق قتل أحمد بن نصر، وكذلك نعيم بن حماد وكان من أهل مرو،طلب الحديث طلبا كثيرا بالعراق والحجاز، ثم نزل مصر، فلم يزل بها حتى أشخص منها في خلافة أبي إسحاق بن هارون (المعتصم بالله)، فسئل عن القرآن فأبى أن يجيب فيه بشيء مما أرادوه عليه، فحبس بسامرا، فلم يزل محبوسا بها حتى مات في السجن وقد أوصى أن يدفن في قيوده، وقال: إني مخاصم. لما جلس المتوكل دخل عليه الإمام عبد العزيز بن يحيى الكناني[7] فقال: يا أمير المؤمنين، ما رؤي أعجب من أمر الواثق قتل أحمد بن نصر، وكان لسانه يقرأ القرآن إلى أن دفن، قال: فوجد المتوكل من ذلك، وساءه ما سمعه في أخيه، إذ دخل عليه وزيره محمد بن عبد الملك الزيات[8] فقال له: يا ابن عبد الملك في قلبي من قتل أحمد بن نصر، فقال: يا أمير المؤمنين أحرقني الله بالنار إن قتله أمير المؤمنين الواثق إلا كافرا، قال: ودخل عليه هرثمة[9]،فقال يا هرثمة: في قلبي من قتل أحمد بن نصر، فقال: يا أمير المؤمنين قطعني الله إربا إربا إن قتله أمير المؤمنين الواثق إلا كافرا، قال: ودخل عليه أحمد بن أبي دؤاد، وكان رأس البدعة في عصره. فقال: يا أحمد في قلبي من قتل أحمد بن نصر، فقال: يا أمير المؤمنين ضربني الله بالفالج إن قتله أمير المؤمنين الواثق إلا كافرا، قال المتوكل: فأما ابن الزيات فأنا أحرقته بالنار، وأما هرثمة فإنه هرب، وتبدى، واجتاز بقبيلة خزاعة، فعرفه رجل في الحي، فقال: يا معشر خزاعة هذا الذي قتل ابن عمكم أحمد بن نصر فقطعوه إربا إربا، وأما ابن أبي دؤاد فقد سجنه الله في جلده، يعني بالفالج (وهو الشلل)، ضربه الله به قبل موته بأربع سنين ، وصودر ماله ، وصار في الأذلين ، و صدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج]

نقل الخطيب في تاريخه عن عبد العزيز قال: دخلت على أحمد بن أبي دؤاد وهو مفلوج، فقلت: إني لم آتك عائدا، ولكن جئت لأحمد الله على أن سجنك في جلدك. وعن محمد بن القاسم بن خلاد، قال: لما دخل عبد العزيز بن يحيى المكي على المأمون، وكانت خلقته شنعة جدا، فضحك المعتصم، فأقبل عبد العزيز على المأمون، فقال: يا أمير المؤمنين، لم ضحك هذا؟ لم يصطف الله يوسف لجماله، وإنما اصطفاه لدينه وبيانه، وقد قص ذلك في كتابه بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف]لم يقل: لما رأى جماله، فبياني يا أمير المؤمنين أحسن من وجه هذا، فضحك المأمون وأعجبه قوله. وقال للمعتصم: إن وجهي لا يكلمك، وإنما يكلمك لساني.

* (الصمصامة) اسم للسيف القاطع.

---

(1) أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم بن عوف بن وهب بن عميرة بن هاجر بن عمير بن عبد العزى بن قمير بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمر أبو عبد الله الخزاعي. يكنى ابا عبد الله كان من كبار العلماء الامرين بالمعروف وسمع الحديث من مالك بن انس وحماد بن زيد وهشيم وغيرهم. امتحنه الواثق بالقرآن فأبى أن يقول انه مخلوق فقتله في يوم السبت غرة رمضان سنة 231 هـ بسر من راى فصلب جسده هناك وانفذ راسه الى بغداد فنصبه فلم يزل كذلك ست سنين ثم حط وجمع بين رأسه وبدنه ودفن بالجانب الشرقي من بغداد في المقبرة المعروفة بالمالكية في يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شوال سنة 237 هـ حدث أبو بكر المروذي، قال: سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل، وذكر أحمد بن نصر، فقال: رحمه الله ما كان أسخاه لقد جاد بنفسه.

(6) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث سكن مصر، ولم يزل مقيما بها حتى أشخص للمحنة في القرآن إلى سر من رأى في أيام المعتصم، فسئل عن القرآن فأبى أن يجيبهم إلى القول بخلقه، فسجن، فلم يزل في السجن إلى أن مات سنة 228 هـ أو سنة 229 هـ.

(5) محمد بن نوح بن ميمون بن عبد الحميد بن أبي الرجال العجلي المعروف والده بالمضروب بالسنة، وحدث شيئا يسيرا. قال لنا البرقاني: بلغني أن محمد بن نوح هذا جار أحمد بن حنبل وأن أحمد بن حنبل قال لمن سأله عنه: اكتب عنه فإنه ثقة.توفي سنة 218 هـ.

(7) عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون الكناني المكي الفقيه. صاحب كتاب الحيدة. وكان يلقب بالغول لدمامة منظره. عن: سفيان بن عيينة، ومروان بن معاوية الفزازي، وعبد الله بن معاذ الصغاني، ومحمد بن إدريس الإمام الشافعي، وهشام بن سليمان المخزومي. وعنه: أبو العيناء محمد ابن القاسم، والحسين بن الفضل البجلي، وأبو بكر بن يعقوب بن إبراهيم التيمي. وهو قليل الحديث. قال الخطيب: قدم بغداد زمن المأمون، وجرى بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن.

(2) سهل بن سلامة الأنصاري من أهل خراسان، ويكنى: أبا حاتم. قام ببغداد ودعا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبايعه خلق من المطوعة، وقمعوا كثير من أهل الفساد، ثم آل أمرهم إلى الخروج والقتال.

(4) أحمد بن أبي دؤاد بن حريز أبو عبد الله القاضي الإيادي، يقال إن اسم أبي دؤاد الفرج، ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وكان موصوفا بالجود والسخاء، وحسن الخلق ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن. ولدت سنة 160 هـ بالبصرة، ومات في المحرم سنة 240 هـ يوم السبت لسبع بقين منه ودفن في داره ببغداد وصلى عليه ابنه العباس.

(3) هارون الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب يكنى أبا جعفر.ولد سنة 196 هـ أو 200 هـ ويوبع له بعد وفاة أبوه المعتصم سنة 227 هـ ومات بسر من رأى سنة 232 هـ

(8) محمد بن عبد الملك بن أبان بن أبي حزة أبو جعفر المعروف بابن الزيات، استوزره المعتصم بالله، وكذلك الواثق بالله استوزره، وكان ابن الزيات أديبا فاضلا عالما بالنحو واللغة، ولد سنة 173 هـ أدخله المتوكل في تنور وعذبه إلى أن مات سنة 233 هـ

(9) هل هو: والي اليمن هرثمة بن البشير (من موالي المعتصم) ؟

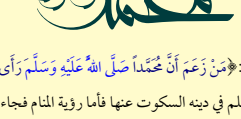

لم يأتنا نص جلي بأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى الله تعالى بعينيه.فعن أم المؤمنين عائشة أنها قالت:﴿مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ الفِرْيَةَ عَلَى اللهِ، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيْلَ مَرَّتَيْنِ فِي صُوْرَتِهِ وَخَلْقِهِ، سَادّاً مَا بَيْنَ الأُفُقِ﴾ وقد قال الله تعالى:﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام] وهذه المسألة مما يسع المرء المسلم في دينه السكوت عنها فأما رؤية المنام فجاءت من وجوه متعددة مستفيضة وأما رؤية الله عيانا في الآخرة فأمر متيقن تواترت به النصوص. جمع أحاديثها الدارقطني والبيهقي وغيرهما. عن أبي هريرة قال: قال أناس:﴿يَا رَسُولَ اللهَ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُوْنَهَا سَحَابٌ. قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهَ، قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُوْنَهُ سَحَابٌ. قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهَ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّوْرَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي الصُّوْرَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ، وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ. قَالَ رَسُولُ اللهَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَبِهِ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهَ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهَا لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمُ المُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ المُخَرْدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مَنِ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ، مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَمَرَ المَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلاَمَةِ آثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنِ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ..﴾ عن جرير قال:﴿كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ قَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلاَةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَافْعَلُوا﴾ وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ أَلْفَيْ سَنَةٍ يَرَى أَقْصَاهُ كَمَا يَرَى أَدْنَاهُ، فِي سُرُورِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَخَدَمِهِ، وَإِنَّ أَفْضَلَهُمْ لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ﴾ وعن عدي بن حاتم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَلاَ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ﴾ عن ابن عمر رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً الَّذِي يَنْظُرُ إِلَى جِنَانِهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرُرِهِ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ سَنَةٍ، وَإِنَّ أَكْرَمَهُمْ عَلَى اللهِ، مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً، ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة] ومنهم من أنكر أن يكون الله يرى بالأبصار في الآخرة وتأولوا قوله:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة] بمعنى انتظارها رحمة الله وثوابه. فالله أعلم.

مراجع: تاريخ بغداد/ صفة الصفوة/ صحيح البخاري/ تفسير الطبري/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام

◆ هارون الثاني الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد (تاسع ملوك الدولة العباسية) وشيخ من أهل أذنة [133]

حدث المهتدي بالله بن الخليفة المسمى بالواثق عن نهاية فتنة خلق القرآن مع أبيه، وكيف كان أمرها، فقال: ما زلت أقول القرآن مخلوق صدراً من أيام الواثق حتى قدم شيخ من أذنة[1](يقال إنه: أبا عبد الرحمن الأذرمي[2]) فادخل مقيداً وهو شيخ جميل حسن الشيبة فرأيت الواثق قد استحي منه ورق له فمازال يدنيه حتى قرب منه وجلس. فقال ناظر أحمد بن أبي دؤاد: قال: يا أمير المؤمنين إنه يضعف عند المناظرة. فغضب، وقال: عبد الله يضعف عند مناظرتك أنت. قال: هون عليك، وأذن لي، وحفظ علي وعليه، ثم قال: يا أحمد أخبرني عن مقالتك هذه، أهي مقالة واجبة داخلة في عقد الدين فلا يكون الدين كاملا حتى تقال؟ قال: نعم. قال: فأخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين بعثه الله، هل ستر شيء من ما أمر به؟ قال: لا. قال: فدع إلى مقالتك هذه؟ فسكت. فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، هذه واحدة. قال الواثق: واحدة. ثم قال: أخبرني عن الله تعالى حين قال:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة] أكن الله هو الصادق في إكمال دينه أو أنت الصادق في نقصانه حتى يقال بمقالتك؟ فسكت أحمد. فقال الشيخ: اثنتان يا أمير المؤمنين. قال الواثق: نعم. فقال: أخبرني عن مقالتك هذه، أعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم جهلها؟ قال: علمها. قال: فدع إليها؟ فسكت. فقال الشيخ: ثالثة.ثم قال: فاتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمسك عنها، ولم يطالب أمته بها؟ قال: نعم. قال: واتسع ذلك لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي؟ قال: نعم. فأعرض الشيخ عنه، وقال: يا أمير المؤمنين، قد قدمت القول بأن أحمد يضعف عند المناظرة، يا أمير المؤمنين، إن لم يتسع لك من الإمساك عن هذه المقالة كما زعم هذا أنه اتسع لنبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فلا وسع الله عليك. قال الواثق: نعم، كذا هو ، اقطعوا قيد الشيخ. فلما قطع القيد ضرب الشيخ بيده إلى القيد حتى يأخذه، فجاذبه الحداد عليه، فقال الواثق: دع الشيخ يأخذه، فأخذه فوضعه في كمه، فقال له الواثق: يا شيخ لم جاذبت الحداد عليه؟ قال: لأني نويت أن أتقدم إلى من أوصي إليه إذا أنا مت أن يجعله بيني وبين كفني لأخاصم به هذا الظالم عند الله يوم القيامة، وأقول: يا رب سل عبدك هذا لم قيدني، وروع أهلي وولدي وإخواني بلا حق أوجب ذلك علي، ثم بكى وبكى الواثق وبكينا، ثم سأله الواثق أن يجالسه، وأمر له بصلة. فقال لا حاجة لي بها. ثم قال المهتدي: فرجعت عن هذه المقالة، وأظن الخليفة الواثق رجع عنها يوم إذ.

عن أحمد بن المعدل الفقيه المالكي أنه قال: كتب ابن أبي دؤاد إلى رجل من أهل المدينة يتوهم أنه عبد الله بن موسى بن جعفر بن محمد:[1]إن بايعت أمير المؤمنين في مقالته؛ استوجبت منه حسن المكافأة، وإن امتنعت لم تأمن مكروهه، فكتب إليه عصمنا الله وإياك من الفتنة، فإنه أن يفعل فأعظم بها نعمة وإلا فهي الهلكة، نحن نرى الكلام في القرآن بدعة يشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له وتكلف المجيب ما ليس عليه، ولا يعلم خالقا إلا الله وما سواه مخلوق والقرآن كلام الله، فانته بنفسك ومخالفتك إلي اسمه الذي سماه الله به، وذر الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون، ولا تسم القرآن باسم من عندك فتكون من الضالين، فلما وقف على جوابه أعرض عنه فلم يذكره.

في رواية عن محمد بن يوسف الشاشي، قال: حدثني إبراهيم بن منه، قال: سمعت طاهر بن خلف، يقول: سمعت محمد بن الواثق الذي يقال له المهتدي بالله، يقول: كان أبي إذا أراد أن يقتل رجلا أحضرنا ذلك المجلس، فأتى بشيخ مخضوب مقيد، فقال أبي: ائذنوا لأبي عبد الله وأصحابه يعني: ابن أبي دؤاد، قال: فأدخل الشيخ في مصلاه، قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال له لا سلم الله عليك، فقال: يا أمير المؤمنين، بئس ما أدبك مؤدبك، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾، والله ما حييتني بها ولا بأحسن منها، فقال ابن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين، الرجل متكلم. فقال له كلمه، فقال: يا شيخ، ما تقول في القرآن، قال الشيخ: لم تنصفني، يعني ولي السؤال، فقال له الشيخ: ما نقول في القرآن؟ فقال: مخلوق، فقال: هذا شيء علمه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والخلفاء الراشدون، أم شيء لم يعلموه، فقال: شيء لم يعلموه، فقال سبحان الله: شيء لم يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا علي، ولا الخلفاء الراشدون، علمته أنت؟ قال: فخجل، فقال: أقلني والمسألة بحالها، قال: نعم، قال: ما تقول في القرآن، فقال: مخلوق، فقال: هذا شيء علمه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والخلفاء الراشدون، أم لم يعلموه؟ فقال: علموه، ولم يدعوا الناس إليه، قال: أفلا وسعك ما وسعهم، قال: ثم قام أبي فدخل مجلس الخلوة واستلقى على قفاه ووضع إحدى رجليه على الأخرى وهو يقول: هذا شيء لم يعلمه النبي، صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا علي، ولا الخلفاء الراشدون، علمته أنت؟ سبحان الله! شيء علمه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والخلفاء الراشدون، ولم يدعوا الناس إليه؟ أفلا وسعك ما وسعهم؟ ثم دعا عمارا الحاجب، فأمر أن يرفع عنه القيود ويعطيه أربع مائة دينار ويأذن له في الرجوع، وسقط من عينه ابن أبي دؤاد.ولم يمتحن بعد ذلك أحدا.

---

(2) شيخ من أذنة:هو أبو عبد الرحمن الأذرمي النصيبي الموصلي؟ قال الحافظ أبو بكر الخطيب كان الواثق بالله أشخص شيخا من أهل أذنه للمحنة وناظر بن أبي دؤاد بحضرته واستعلى عليه الشيخ بحجته فأطلقه الواثق ورده إلى وطنه ويقال إنه كان أبا عبد الرحمن الأذرمي.

(3) عبد الله بن موسى بن جعفر بن محمد بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، رضي الله عنهم.؟!

(1) أذنة مدينة بالشام بينها وبين المصيصة اثنا عشر ميلا بناها هارون الرشيد وأتمها الأمين وبها كانت منازل ولاة الثغور لسعتها، وهي على نهر جيحان، وليس للمسلمين عليه إلا أذنة هذه بين طرسوس والمصيصة، وأهل أذنة أخلاط من موالي الخلفاء وغيرهم، ومن أذنة إلى طرسوس اثنا عشر ميلا، وهي مدينة جليلة عامرة ذات أسواق وصناعات وصادر وواردة، وهي ثغر سيحان، ونهر سيحان في قدره، دون قدر نهر جيحان وعليه قنطرة عجيبة طويلة جدا.(أيضا بالزاب من أرض إفريقية مدينة اسمها أذنة على مقربة من المسيلة).

أيها الإخوة المؤمنون، لقد كان في قصصهم عبرة، فهذا شيخ من أهل الخير والصلاح الثابتين لم تثبت كتب السير اسمه ونسب إلى محلته، كان على يده وما أجر الحق على لسانه بداية نهاية المحنة، ولكن الله عرفه وأثبتها له إلى يوما لا ينفع مال ولا بنون إلا من أت الله بقلب سليم. فيا ليت القلوب النائمة تعي هذه الدروس والعبر. عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي كَمَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً، لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ. وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً. قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي﴾.

والمعتزلة فرقة كلامية نشأت في أواخر العصر الأموي، على يد واصل بن عطاء المخزومي الذي اعتزل الجماعة بعد خلافه مع الحسن البصري. وأحمد بن أبي دؤاد قاضي القضاة للمعتصم والواثق هو الذي كان يمتحن العلماء في أيامه ويدعوهم إلى خلق القرآن. كان يقال أكرم من كان في دولة بني العباس البرامكة، ثم ابن أبي دؤاد، لولا ما وضع به نفسه من محبة المحنة لاجتمعت الألسن عليه، ولم يضف إلي كرمه كرم أحد.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ حياة التابعين/ تاريخ بغداد/ تاريخ الإسلام للذهبي/ الروض المعطار في خبر الأقطار

◆ أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور (عاشر ملوك الدولة العباسية) والإمام أحمد بن حنبل [134]

انقضت أيام المأمون، والمعتصم، والواثق، وأحمد بن حنبل[1]،وأهل الإسلام في محنة، وبلاء من السلاطين، وعلماء سوئهم، وفتنة خلق القرآن. قال حنبل عم الإمام أحمد: ثم ولي المتوكل جعفر[2]،فأظهر الله السنة، وفرج عن الناس، وكان أبي عبد الله يقصد الإمام أحمد يحدثنا، ويحدث أصحابه في أيام المتوكل، ثم إن أحدهم رفع إلى المتوكل، إن أحمد ربص علويا في منزله يريد أن يخرجه ويبايع عليه، قال: ولم يكن عندنا علم، فبينا نحن ذات ليلا نيام في الصيف سمعنا الجلبة، ورأينا ألنيران في دار أبي عبد الله، ثم فتشوا منزل أبي عبد الله، والسرب، والغرف، والسطوح، وفتشوا تابوت الكتب، وفتشوا النساء، والمنازل فلم يروا شيء. فلم كان بعد أياما إذا يعقوب أحد حجاب المتوكل قد جاء، فستأذن على أبي عبد الله، فقرأ على أبي عبد الله أنه قد صح عند أمير المؤمنين براءة ساحتك، وقد وجه إليك هذا المال لكي تستعين به. فآب أن يقبله وقال: ما لي إليه حاجة. فقال: يا أبي عبد الله، اقبل من أمير المؤمنين ما أمرك فإنه خيراً لك عنده فإنك إن رددته خفت أن يظن بك سوء. فحينا إذاً قبلها، فلم خرج قال: يا أبي علي.قلت: لبيك. قال: ارفع هذه الإجانة* وضعها، يعني البدرة*،تحتها. ففعلت، وخرجنا، فلم كان الليل إذا أم ولد أبي عبد الله تدق علينا الحائط. فقالت: مولي يدعو عمه. فأعلمت أبي وخرجنا، فدخلنا على أبي عبد الله وذلك في جوف الليل. فقال: يا عمي ما أخذني النوم. قال: ولم؟ قال: لهذا المال. وجعل يتوجع لأخذه، وأبي يسكنه، ويسهل عليه، وقال: حتى تصبح وترى فيه رأيك، فإن هذا ليل والناس في المنازل. فلم كان من السحر، وجه إلي جماعة، وأنا وصالح وعبد الله حاجزون، وجعلنا نكتب من يذكرنهم من أهل الستر والصلاح في بغداد والكوفة، ففرقها كلها ما بين الخمسين إلى المئة إلى المئتين، فما بقي في الكيس درهم.

روى الرواة أن الخليفة المتوكل طلب أحمد ليكرمه هو وأهله إلى دار إقامته في سامراء المسماة بالعسكر وحمل أحمد وأهله إلى المتوكل، قال حنبل: دخلنا العسكر فإذا نحن بموكب عظيم مقبل فلم حاد بنا قالوا: هذا وصيف. وذا بفارس أقبل فقال: لأبي عبد الله الأمير وصيف يقرئك السلام ويقول لك إن الله قد أمكنك من عدوك، يعني ابن أبي دؤاد ، وأمير المؤمنين يقبل منك، فلا تدع شيء إلا تكلمت به. فما رد عليه أبي عبد الله شيء، ومضينا فنزلنا في دار، فلم يعرف أبي عبد الله، فسأل لمن هذا الدار؟. قالوا: هذه دار أيتام. قال: حولوني واكتروا لي دار. قالوا: هذه دار انزلكها أمير المؤمنين. قال: لا أبيت ها هنا ليلة. فاكترينا له دار، وكانت تأتينا في كل يوم مائدة فيها ألوان الطعام يأمو بها المتوكل. فما ذاق منها أبي عبد الله شيء. وكانت نفقة المائدة في اليوم مئة وعشرين درهم. ثم أجر المتوكل على أهله وولده في كل شهر أربعة آلاف، فبعث إليه أبي عبد الله؛ إنهم في كفاية وليست لهم حاجة، فبعث المتوكل إليه، إنما هذا لولدك فملك ولهذا !. واستمر الإمام أحمد كما يروي الرواة يتألم لفتنة الفرج والظفر والغنى. ويطلب من الخليفة أن يأذن له بالرحيل، حتى أذن له وخرج وقد بلغ به الجهد حافة الهلاك من الصوم والإمساك عن ما جاء من الخليفة، وتصدق بكل ما اعطوه، حتى بالثياب وبأكيس الدراهم وكان يقول إنما يردون أن أحدث ويكون هذا البلاد، يعني عاصمة الخليفة، حبس وإنما كان سبب الذين أقاموا بهذا البلاد لما اعطوا فقبلوا، وأمروا فحدثوا، والله لقد تمنيت الموت في الأمر الذي كان، وإني لأتمن الموت في هذا وذاك. إن هذه فتنة الدنيا، وذاك كان فتنة الدين، ثم جعل يضم أصابعه ويقول لو كانت نفسي في يدي لأرسلتها، ثم يفتح أصابعه. وانكر على أخيه وأولاده ما قبلوا من جوائز أمير المؤمنين، وسد الأبواب بينه وبينهم، وتحاش منزلهم حتى خرج من عاصمة الخليفة، وكان كلما طلب إليه الحضور أو قبول الجوائز قال أنا رجل لم أخلط السلطان، وقد أعفاني أمير المؤمنين من ما أكره وهذا من ما اكره، وبقي كذلك إلى أن توفي رحمه الله في زمن المتوكل، وصلى عليه جموع، ذكرى الرواة أنهم شارفت الألف ألف إنسان (مليون!).

* (الإجانة): الايجانة، بالياء. والاجانة: المركن، وهو شبه لقن يغسل فيه الثياب، والجمع: أجاجين، والانجانة عامية. (البدرة): كيس فيه ألف، أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار.

---

(1) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن ادريس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة الشيباني الذهلي من ربيعة أصله مروزي سكن بغداد كنيته أبو عبد الله كان حافظا متقنا فقيها لازما للورع الخفي مواظبا على العبادة الدائمة أغاث الله به أمة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنه ثبت في المحنة وبذل نفسه لله حتى ضرب بالسياط للقتل فعصمه الله من الكفر وجعله علما يقتدى به وملجأ يلتجأ إليه. ولد في ربيع الاول سنة164 هـ وتوفي في سنة 241 هـ. روى عن محمد بن جعفر غندر وعن هشيم بن بشير وعن معتمر بن سليمان ويحيى بن سعيد القطان وعبد الله بن كثير ومحمد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الرزاق وأبي داود الطيالسي سليمان بن داود ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة واسماعيل بن علية وسفيان بن عيينة ويعقوب بن ابراهيم.

(2) أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، ولد سنة 205 هـ. بويع له بعد موت أخيه هارون الواثق سنة 232 هـ كان المتوكل بايع بولاية العهد لابنه المنتصر، ثم المعتز، ثم المؤيد، ثم إنه أراد تقديم المعتز لمحبته لأمه، فسأل المنتصر أن ينزل عن العهد، فأبى، واتفق أن الترك انحرفوا عن المتوكل لأمور، فاتفق الأتراك مع المنتصر على قتل أبيه، فدخلوا عليه في مجلس لهوه وقتلوه هو ووزيره الفتح بن خاقان وذلك في خامس شوال سنة 247 هـ.قال خليفة بن خياط: استخلف المتوكل، فأظهر السنة، وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة، وبسط السنة، ونصر أهلها.

عن الحسن قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿اللَّهُمَّ، لَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ وَلَا لِفَاسِقٍ عِنْدِي يَدًا وَلَا نِعْمَةً، فَإِنِّي وَجَدْتُ فِيمَا أَوْحَيْتَهُ إِلَيَّ:لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾[المجادلة] قال سفيان: يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان. وعنه إنه كان يقول:﴿تُعَزِّزُوا عَلَى أَبْنَاءِ الدُّنْيَا بِتَرْكِ السَّلَامِ عَلَيْهِمْ﴾ وعن الحسن، قال: سمعت يحيى بن أبي غنية يقول: ﴿كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَسَلَّمَ وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى سُفْيَانَ، فَرَفَعَ سُفْيَانُ بَصَرَهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ صَوَّبَ، وَلَمْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى الرَّجُلِ، فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ مَا فَعَلَ بِهِ سُفْيَانُ لَمْ يَجْلِسْ، وَانْصَرَفَ، فَقَالَ سُفْيَانُ: إِنْ هَذَا كَانَ جَالِسًا، فَبَلَغَنِي أَنَّهُ يُجَالِسُ هَؤُلَاءِ، فَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ بِالطَّرَفَيْنِ، فَإِذَا فَعَلَ أَحَدُهُمْ هَذَا، فَافْعَلُوا بِهِ مِثْلَ هَذَا﴾ قال أبو ذر لسلمة: يا سلمة لا تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب شيئاً من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه. عن مالك بن أنس، قال: أدركت بضعة عشر رجلا من التابعين يقولون لا تأتوهم، ولا تأمروهم، يعني السلطان. سأل جعفر بن برقان ميمون بن مهران عن الصلاة خلف الحكام؟ فقال: أنت لا تصلي له، إنما تصلي لله، قد كنا نصلي خلف الحجاج بن يوسف، وكان حروريا أزرقيا. وكان ميمون يقول: لا تعرف الأمير، ولا تعرف من يعرفه. وعن ميمون بن مهران قال: ثلاث لا تبلون نفسك بهن: لا تدخل على سلطان وإن قلت آمره بطاعة الله، ولا تدخل على امرأة وإن قلت أعلمها كتاب الله، ولا تصغين بسمعك إلى ذي هوى فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك من هواه.

قال رسته : [1]سألت ابن مهدي [2]عن الرجل يتمنى الموت مخافة الفتنة على دينه، قال: ما أرى بذلك بأسا، لكن لا يتمناه من ضر به أو فاقة. يعني: أن الإنسان لو خاف على دينه فله أن يتمنى الموت، ولكن لو أصابه فقر أو مرض لا يتمنى الموت؛ لأنه قد يكون كالمستجير من الرمضاء بالنار، فلا يدري كيف يكون حاله في القبر وفي الآخرة، فأهل الدين لا يتمنون الموت إلا إذا أصابهم ضرر في الدين، كأن يخافوا على أنفسهم من الفتنة، كما في حديث: ﴿وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ﴾، ولكن أهل الدنيا قد يتمنون الموت لضر أصابهم في الدنيا، وقد جاء في الحديث: ﴿لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا الْمَوْتِ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي﴾، وقد تمنى الموت أبو بكر وعمر ومن دونهما.

---

(1) أبو الفرج عبد الرحمن بن عمر بن يزيد بن كثير الزهري، المديني، الأصبهاني. الإمام، المحدث، المتقن، ولقبه: رسته .سمع: يحيى القطان، وعبد الوهاب الثقفي، وعبد الرحمن بن مهدي، وخلقا سواهم. حدث عنه: ابن ماجه في (سننه) ، ومحمد بن يحيى بن منده، وعبد الله بن أحمد بن أسيد، وابن أخيه؛ عبد الله بن محمد بن عمر الزهري، وابن أخيه الآخر؛ محمد بن عبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أحمد الهمداني عبدوس، والحسن بن محمد الداركي، وخلق كثير. وكان عنده عن ابن مهدي ثلاثون ألفا. وروى: إبراهيم بن محمد بن الحارث الأصبهاني، عن أحمد بن حنبل، قال: ما ذهبت يوما إلى ابن مهدي إلا وجدت الأخوين الأزرقين عنده –يعني: عبد الرحمن وعبد الله. توفي رسته سنة 250 هـ. وقيل: سنة 246 هـ

(2) ابن مهدي، اسمه: عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن العنبري، –وقيل: الأسدي –مولاهم، أبو سعيد البصري اللؤلؤي.ولد سنة 135هـ. توفي ابن مهدي بالبصرة سنة 198هـ

مراجع: تفسير ابن كثير/ أخبار الشيوخ وأخلاقهم/ إحياء علوم الدين/حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ تاريخ الإسلام/ فوات الوفيات/ من أعلام السلف

◆ خالد بن أحمد الذهلي، أمير خراسان (زمن أبو العباس أحمد المعتمد على الله، خامس عشر ملوك الدولة العباسية) والإمام البخاري [135]

حدث الرواة : أن أمير خراسان خالد بن أحمد الذهلي نائب الطاهرية[1] ببخارى طلب من الإمام البخاري[2] أن يحضر إليه ليسمع أولاده منه، وكان البخاري شريف النفس فأبى أن يذهب قائلاً: في بيتي يؤتى العلم. فبقي في نفس الأمير من ذلك فاتفق أن جاء كتاب من محمد بن يحيى الذهلي[3] بأن البخاري يقول لفظه بالقرآن مخلوق وكان وقد وقع بين محمد بن يحيى الذهلي وبين البخاري في ذلك كلام وصنف البخاري في ذلك كتاب أفعال العباد، فأراد الأمير أن يعزف الناس عن السماع منه فلم يقبلوا من الأمير، فأمر بنفي البخاري من بلده إلى بلدة يقال لها خرتنك على فرسخين من سمرقند. فنزل عند أقارب له بها وجعل يدعو الله أن يقبضه إليه حين رأى الفتن في الدين ولما جاء في الحديث ﴿وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَتَوَفَّنَا إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونِينَ﴾ وهناك مرض وعلى أثره مات في ليلة عيد الفطر، عن اثنين وسنين سنة. ولكن الله وهو العليم الخبير سبحانه وتعالى ينتقم من الظالمين ويثأر للمظلومين، ولو بعد حين فهو يمهل ولا يهمل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ﴾ وصلت أنباء المحنة إلى بغداد، فقامت بغداد وقعدت وعم الاستياء، لمحنة التقي الورع العدل الثبت. فأسرها الموفق[4] بن المتوكل وهو أخو الخليفة المعتمد[5] في نفسه، متحيناً الفرصة لينتقم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويثأر لإمام المحدثين وأمير الحفاظ أجمعين. تذكر الروايات من ثقات المؤرخين. أنا الإمام دعا على خالد بن أحمد فلم يمض شهر حتى وصل أمير خراسان خالد بن الذهلي إلى بغداد في موسم الحج. وما إن سمع الموفق بقدومه، حتى أصدر أمره باعتقاله فخفوراً.. ثم طرح في السجن حتى يذوق الموت. ليأخذ جزاءه فيه فهات هناك وذلك جزاء الظالمين، ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر] [القلم]

---

(2) محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف. الجعفي بالولاء، البخاري الحافظ الإمام في علم الحديث، صاحب الجامع الصحيح والتاريخ. كنيته أبو عبد الله، كانت ولادته يوم الجمعة بعد الصلاة، لثلاث عشرة، وقيل لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة 194 هـ وقال أبو يعلى الخليلي في كتاب الإرشاد: إن ولادته كانت لاثنتي عشرة ليلة خلت من الشهر المذكور. وتوفي ليلة السبت بعد صلاة العشاء، وكانت ليلة عيد الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر، سنة 256 هـ بخرتنك (قرية من قرى سمرقند)، وكان شيخا نحيف الجسم، لا بالطويل ولا بالقصير. وقد اختلف في اسم جده، فقيل إنه يزذبه. وقيل هو: يزدزبه، والله أعلم، وقال غيره: هذا الجد مجوسيا مات على دينه، وأول من أسلم منهم المغيرة، ووجدته في موضع آخر عوض يزذبه الأحنف ولعل يزذبه كان أحنف الرجل، والله أعلم.
رحل الإمام البخاري في طلب الحديث إلى أكثر محدثي الأمصار، وكتب بخراسان والجبال ومدن العراق والحجاز والشام ومصر، وقدم بغداد، واجتمع إليه أهلها واعترفوا بفضله وشهدوا بتفرده في علم الرواية والدراية، وكان ابن صاعد إذا ذكره يقول: الكبش النطاح، ونقل عنه محمد بن يوسف الفربري أنه قال: ما وضعت في كتابي الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين. وعنه أنه قال: صنفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله عز وجل.

(3) محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب أبو عبد الله النيسابوري الذهلي مولاهم. مات سنة 252 هـ. وقد بلغ 86 سنة.

(1) أمير الدولة الطاهرية ببخارى: خالد بن أحمد بن خالد بن حماد بن عمرو بن مجالد بن مالك وهو الخمخام بن الحارث بن حملة بن أبي الأسود واسمه عبد الله بن حران بن عمرو بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل أبو الهيثم الذهلي الأمير ولي إمارة مرو، وهراة، وغيرهما من بلاد خراسان، ثم ولي إمارة بخارى وسكنها. توفي سنة 270 هـ أراد خالد بن أحمد الذهلي من محمد بن إسماعيل البخاري المصير إلى حضرته، فامتنع من ذلك، فأخرجه من بخارى إلى ناحية سمرقند، قال بعض أهل العلم: إن ما فعله بمحمد بن إسماعيل البخاري كان سبب زوال ملكه. والطاهريون: سلالة عربية من قبيلة خزاعة تولت إمرة ولاية خراسان وشرق تركستان أثناء الخلافة العباسية ما بين 205–259 هـ.

(5) أحمد المعتمد على الله بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن الرشيد ويكنى أبا العباس تولى الملك بعد المهتدى بالله، وكان مولده بسر من رأى، سنة 229 هـ، وتوفي ليلة الإثنين لإحدى عشرة بقين من رجب سنة 279 هـ ودفن بسامراء.

(4) الموفق بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم محمد، الموفق أبو أحمد طلحة – ومنهم من سماه: محمدا – ابن المتوكل على الله جعفر ابن المعتصم محمد بن الرشيد الهاشمي العباسي، أخو الخليفة المعتمد، وولي عهده، ووالد الملك (الخليفة) المعتضد، وأمه أم ولد. ولد سنة 229 هـ. وعقد له أخوه بولاية العهد من بعد ولده جعفر، في سنة 261 هـ فكان الموفق بيده العقد والحل، لا يبرم أمر دونه، وكان محببا إلى الرعية، ولا سيما لما استؤصل الخبيث طاغوت الزنج على يديه، ولذا لقبه الناس، الناصر لدين الله. قال إسماعيل الخطبي: لم يزل أمر الموفق يقوى ويزيد، حتى صار صاحب الجيش، وكلهم تحت يده، ولما غلب على الأمر، حظر على المعتمد، واحتاط عليه وعلى ولده، ووكل بهم، وأجرى الأمور مجاريها. مات سنة 278 هـ. وكان قد غضب على ابنه، وسجنه خوفا منه، فلما احتضر أخرجه، وفوض إليه منصبه

قال الأوزاعي:﴿لَيْسَ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَالِمٍ يَزُورُ عَامِلا﴾ قيل للأعمش:﴿وَلَقَدْ أَحْيَيْتَ الْعَلَمَ لِكَثْرَةِ مَنْ يَأْخُذُهُ عَنْكَ فَقَالَ لا تُعْجِلُوا ثُلُثَ يَمُوتُونَ قَبْلَ الإِدْرَاكِ وَثُلُثَ يَلْزَمُونَ أَبْوَابَ السَّلاطِينِ فَهِمَ شَرَّ الْخَلْقِ وَالثُّلُثُ الْبَاقِي لا يُفْلِحُ مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلِ﴾ ولذلك قال سعيد ابن المسيب: ﴿إِذَا رَأَيْتُمُ الْعَالِمَ يَغْشَى الأُمَرَاءَ فَاحْتَرِزُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ لِصٌ﴾ وقول سفيان:﴿إِذَا رَأَيْتَ الْقَارِئَ يَلُوذُ بِالسُّلْطَانِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لِصٌ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ يَلُوذُ بِالأَغْنِيَاءِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُرَاءٍ﴾ وعنه قال: ﴿فِي جَهَنَّمَ وَادٍ لا يَسْكُنُهُ إِلَّا الْقُرَّاءُ الزَّائِرُونَ لِلْمُلُوكِ﴾ وعن آدم بن أبي إياس قال:﴿شَهِدتُ حَمَّادَ بنَ سَلَمَةَ، وَدَعَوْهُ –يَعْنِي: الدَّوْلَةَ– فَقَالَ: أَخِيلُ لِخِيَةً حَرْاءَ إِلَى هَؤُلاءِ؟ وَاللهِ لا فَعَلْتُ﴾ وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿العلماء أُمَنَاءُ الرُّسُلِ عَلَى عِبَادِ اللهِ تَعَالَى مَا لَمْ يُخَالِطُوا السَّلاطِينَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ خَانُوا الرُّسُلَ فَاحْذَرُوهُمْ وَاعْتَزِلُوهُمْ﴾ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ بَدَا جَفَا، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ، وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا﴾ ذكر هشام بن عباد أنه سمع جعفر بن محمد يقول:﴿الْفُقَهَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ الْفُقَهَاءَ قَدْ رَكَنُوا إِلَى السَّلاطِينِ فَاتَّهِمُوهُمْ﴾ وعن ابن مسعود: يدخل الرجلُ على السلطان، ومَعَه دينُهُ، فيخرج وما مَعَه شيءٌ. وقال وهب: هؤلاء الذين يدخلون على الملوك، لهم أضر على الأمة من المقامرين. وقال محمد ابن مسلمة: الذباب على العذرة، أحسن من قارئ على باب هؤلاء.

اعلم أخي القارىء أن الولاية ليست حكرا على أحد، وليست علامة مميزة لطبقة معينة من الناس، ولا تنال بالوراثة ولا بالأوسمة، بل هي رتبة ربانية تبدأ بالقلب محبة وتعظيما لله عز وجل، وتترجم إلى واقع عملي، فيكسب صاحبها حب الله تعالى وولايته.. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ﴾ (ولية) هو العالم بدين الله تعالى المواظب على طاعته المخلص في عبادته (آذنته بالحرب) أعلمته بالهلاك والنكال (مما افترضت عليه) من الفروض العينية وفروض الكفاية (كنت سمعه. .) أحفظه كما يحفظ العبد جوارحه من التلف والهلاك وأوفقه لما فيه خيره وصلاحه وأعينه في المواقف وأنصره في الشدائد. (استعاذني) استجار بي مما يخاف (ما ترددت) كناية عن اللطف والشفقة وعدم الإسراع بقبض روحه (مساءته) إساءته بفعل. يقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس] فكل من كان مؤمنا تقيا كان لله وليا. عن جعفر بن برقان، قال: سمعت ميمون بن مهران، يقول:﴿لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ أَشَدَّ مِنْ مُحَاسَبَةِ شَرِيكِهِ، حَتَّى يَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ، وَمِنْ أَيْنَ مَلْبَسُهُ، وَمِنْ أَيْنَ مَشْرَبُهُ، أَمِنْ حِلٍّ ذَلِكَ أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟﴾ قال عليه الصلاة والسلام:﴿أعمال البَرِّ كُلُّها إلى جَنْبِ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنْ المُنْكَرِ كنفثة إلى جَنْبِ البَحْرِ وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنْ المُنْكَرِ إلى جَنْبِ الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كنفثة فِي بَحْرٍ وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إلى جَنْبِ مُجَاهَدَةِ النَّفْسُ عَنْ هَوَاهَا فِي اجْتِنَابِ النَّهْيِ كنفثة فِي جَنْبِ بِحَرٍّ لجيّ﴾.
عن شيبة بن مساور قال: خطب عمر بن عبد العزيز، فقال:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ نَبِيًّا، وَلَمْ يُنْزِلْ بَعْدَ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا، فَمَا أَحَلَّ اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ فَهُوَ حَلالٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا حَرَّمَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَلَا وَإِنِّي لَسْتُ بِقَاضٍّ، وَلَكِنِّي مُنَفِّذٌ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ، وَلَكِنِّي مُتَّبِعٌ، وَلَسْتُ بِخَيْرِ مِنْكُمْ، غَيْرَ أَنِّي أَثْقَلُكُمْ حِمْلًا، أَلَا وَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ أَنْ يُطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، أَلَا هَلْ أَسْمَعْتُ﴾ وعن الفضيل بن عياض قال:﴿مَنْ أَعَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ﴾ قال الشيخ صالح الفوزان: من قسم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة؛ فهو غالط ومخطئ ومخالف لقوله صلى الله عليه وسلم:﴿إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ﴾ وقوله: ﴿مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ﴾؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم حكم على البدع كلها بأنها ضلالة. قال الله تعالى:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة] والبدعة حاربها السلف رضوان الله تعالى عليهم وقاوموها وحاربها العلماء المسلمين في الجزائر، الذين شنوا الغارة على قلعة الضلال، وحملوا عليها حملة صادقة شعارهم: لا صوفية في الإسلام، حتى يدكوها دكا وينسفوها نسفا ويذروها خاوية على عروشها. لاعتقادهم بان زوايا التصوف خصوصا تنشر الخرافات على حساب العقيدة الصحيحة للمسلمين، وتهادن الاستدمار الفرنسي ولا تنشئ مواطنا ثوريا. تلك الزوايا المدجنة التي خرجت أمثال الزنادق المدعو "الأمير" تارك الجهاد صديق فرنسا؛ الذي بدأ مجاهدا وإنتهى زنديقا خائنا، والعياذ بالله. عن أم المؤمنين عائشة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ﴾ وعن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿تُبْعَثُ كُلُّ نَفْسٍ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ﴾ وعن الأعمش، ولفظه:﴿يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ﴾ وعن سهل بن سعد الساعدي، قال: ﴿نَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَجُلٍ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنْهُمْ، فَقَالَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا، فَتَبِعَهُ رَجُلٌ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جُرِحَ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَقَالَ بِذُبَابَةِ سَيْفِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ، فِيمَا يَرَى النَّاسُ، عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ، عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا﴾ عن ثابت بن الضحاك، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ اللهم إنا نعوذ بك أن نضل أو نُضل، ونسألك اللهم العفو والعافية وحسن الخاتمة.

مراجع: أخبار الشيوخ وأخلاقهم/ هكذا كان الصالحون/ حلية الأولياء/ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ البداية والنهاية/ ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين/ التاريخ الكبير/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ حياة التابعين/ سنن أبي داود/ تفسير ابن كثير/ صحيح البخاري/ تاريخ بغداد/ سير أعلام النبلاء

◆ أبو العباس أحمد المعتضد بالله (سادس عشر ملوك الدولة العباسية) وإبراهيم بن إسحاق الحربي [136]

حدث أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق السني الحافظ، قال: سمعت أبا عثمان الرازي[1] يقول: جاء رجل من أصحاب المعتضد [2] إلى إبراهيم الحربي[3] بعشرة آلاف درهم من عند المعتضد، يسأله عن أمر أمير المؤمنين تفرقة ذلك، فرده، فانصرف الرسول، ثم عاد، فقال: إن أمير المؤمنين يسألك أن تفرقه في جيرانك، فقال: عافاك الله هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه فلا نشغلها بتفرقته، قل لأمير المؤمنين إن تركتنا وإلا تحولنا من جوارك.

عن أبي القاسم الجبلي[4] قال: اعتل إبراهيم الحربي علة حتى أشرف على الموت فدخلت إليه يوما فقال لي يا أبا القاسم أنا في أمر عظيم مع ابنتي ثم قال لها قومي اخرجي إلى عمك فخرجت فألقت على وجهها خمارها فقال لها إبراهيم هذا عمك كلميه فقالت لي يا عم نحن في أمر عظيم لا في الدنيا ولا في الآخرة الشهر والدهر مالنا طعام إلا كسر يابسة وملح وربما عدمنا الملح وبالأمس قد وجه إليه المعتضد مع بدر بألف دينار فلم يأخذها ووجه إليه فلان وفلان فلم يأخذ منهما شيئا وهو عليل فالتفت الحربي إليها وتبسم وقال يا بنية إنما خفت الفقر قالت نعم قال انظري إلى تلك الزاوية فنظرت فإذا كتب فقال هناك إثنا عشر ألف جزء لغة وغريب كتبته بخطي إذا مت فوجهي كل يوم بجزء فبيعه بدرهم فمن كان عنده اثنا عشر ألف درهم فليس هو فقير.

حكى مفلح بن الأسود، قال: قال المأمون ليحيى بن أكثم:[5] إني أشتهي أن أرى بشر بن الحارث[6] قال: إذا اشتهيت يا أمير المؤمنين، فإلى الليلة ولا يكون معنا بشر. فركبا، فدق يحيى الباب فقال بشر: من هذا؟ قال: من تجب عليك طاعته. قال: وأي شيء تريد؟ قال: أحب لقاك فقال بشر: طائعا أو مكرها قال: ففهم المأمون، فقال ليحيى: اركب فمر على رجل يقيم الصلاة صلاة العشاء الآخرة فدخلا يصليان فإذا الإمام حسن القراءة فلما أصبح المأمون وجه إليه، فجاء به فجعل يناظره في الفقه، وجعل الرجل يخالفه، ويقول: القول في هذه المسألة خلاف هذا فغضب المأمون. فلما كثر خلافه قال: عهدي بك، كأنك تذهب إلى أصحابك فتقول: خطأت أمير المؤمنين. فقال: والله يا أمير المؤمنين إني لأستحي من أصحابي أن يعلموا أني جئتك! فقال المأمون: الحمد لله الذي جعل في رعيتي من يستحي أن يجيئني، ثم سجد لله شكرا. والرجل إبراهيم بن إسحاق الحربي.

قال أبو العباس: قدم طاهر بن عبد الله بن طاهر[7] من خراسان في حياة أبيه يريد الحج: فنزل في دار إسحاق بن إبراهيم[8] فوجه إسحاق إلى العلماء، فأحضرهم ليراهم طاهر، ويقرأ عليهم فحضر أصحاب الحديث والفقه وأحضر ابن الأعرابي[9]، وأبا نصر[10] صاحب الأصمعي ووجه إلى أبي عبيد القاسم بن سلام[11] في الحضور، فأبى أن يحضر وقال: العلم يقصد فغضب إسحاق من قوله ورسالته، وكان عبد الله بن طاهر جرى له في الشهر ألفي درهم فلم يوجه إليه إسحاق، وقطع الرزق عنه، وكتب إلى عبد الله بالخبر فكتب إليه: قد صدق أبو عبيد في قوله، وقد أضعفت الرزق له من أجل فعله فأعطاه فأتته ورد عليه بعد ذلك ما يستحقه.

---

(3) إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير بن عبد الله بن ديسم أبو إسحاق الحربي ولد في سنة 198 هـ سمع أبا نعيم الفضل بن دكين، وعفان بن مسلم، وعبد الله بن صالح العجلي، وموسى بن إسماعيل التبوذكي، وأبا عمر الحوضي، ومسددا، وعبيد الله بن محمد بن عائشة، وعمرو بن مرزوق، وسعيد بن سليمان الواسطي، وعلي بن الجعد، وخلف بن هشام، وعاصم بن علي، ومحمد بن مقاتل المروزي، وأحمد بن يونس، ومحمد بن بكار بن الريان، وقتيبة بن سعيد، ويحيى ابن الحماني، وأحمد بن حنبل، وعثمان بن أبي شيبة، وعبيد الله القواريري، وخلقا من أمثالهم. روى عنه: موسى بن هارون الحافظ، ويحيى بن صاعد، وأبو بكر بن أبي داود، والحسين المحاملي، ومحمد بن مخلد، وأبو بكر ابن الأنباري النحوي، وإبراهيم بن حبيش بن دينار، وعثمان بن عبدويه، وعبيد الله بن أحمد بن بكير، وأبو عمرو ابن السماك، وأحمد بن سليمان النجاد، وأبو عمر الزاهد صاحب ثعلب، وأبو سهل بن زياد، ومحمد بن علي بن علون المقرئ، والقاضي أبو الحسين ابن الأشناني، ومحمد بن عبد الله الشافعي، وعمر بن جعفر بن سلم، وأبو بكر بن مالك القطيعي، وغيرهم. مات إبراهيم الحربي ببغداد يوم الإثنين لتسع بقين من ذي الحجة، ودفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من ذي الحجة سنة 285 هـ، وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضي في شارع باب الأنبار، وكان الجمع كثيرا جدا، وكان يوما في عقب مطر ووحل، ودفن في بيته.

(6) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله أبو نصر المعروف بالحافي مروزي، سكن بغداد، وهو ابن عم علي بن خشرم، وكان ممن فاق أهل عصره في الورع والزهد، سمع إبراهيم بن سعد الزهري وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وحماد بن زيد وشريك بن عبد الله والمعافى بن عمران الموصلي وعبد الله بن المبارك وعلي بن مسهر وعيسى بن يونس وعبد الله بن داود الخريبي وأبا معاوية الضرير وزيد بن أبي الزرقاء. روى عنه نعيم بن الهيصم وابنه محمد بن نعيم وإبراهيم بن هاشم بن مشكان ونصر بن منصور البزاز ومحمد بن المثنى السمسار وسري السقطي وإبراهيم بن هانئ النيسابوري وعمر بن موسى الجلاء وغيرهم. وكان كثير الحديث إلا أنه لم ينصب نفسه للرواية، وكان يكرهها، ودفن كتبه لأجل ذلك، وكل ما سمع منه فإنما هو على سبيل المذاكرة. ولد سنة 150 هـ وتوفي سنة 227 هـ

(11) أبو عبيد القاسم بن سلام، كان أبوه عبدا روميا لرجل من هراة، وولد أبو عبيد ببراة ورحل في طلب العلم، فسمع من إسماعيل بن جعفر، وشريك، وإسماعيل بن عياش، وهشيم، وسفيان بن عيينة، وإسماعيل بن علية، ويزيد بن هارون، في خلق كثير، وكان عالما بالقراءات واللغة والغريب، وصنف الكتب الكثيرة في فنون، وكان ذا فضل ودين وورع وجود. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: عرضت كتاب غريب الحديث لأبي عبيد على أبي فاستحسنه وقال جزاه الله خيرا. قال أبو بكر بن الأنباري: كان أبو عبيد يقسم الليل أثلاثا: فيصلي ثلثه، وينام ثلثه، ويضع الكتب ثلثه. قال عبد الله بن طاهر: كان الناس أربعة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والقاسم بن معن في زمانه وأبو عبيد القاسم بن سلام في زمانه. قال إبراهيم الحربي: أدركت ثلاثة لن يرى مثلهم أبدا تعجز النساء أن يلدن مثلهم، رأيت أبا عبيد القاسم بن سلام، ما مثلته إلا بجبل نفخت فيه روح، ورأيت بشر بن الحارث، ما شبهته إلا برجل عجن من قرنه إلى قدمه عقلا، ورأيت أحمد بن حنبل فرأيت كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف، يقول ما شاء ويمسك عما شاء. أقام أبو عبيد ببغداد مدة طويلة ثم ولي القضاء بطرسوس ثم خرج إلى مكة في سنة 219 هـ وأقام بها، وتوفي بها في سنة 223 هـ وقيل 224 هـ وهو ابن 67 سنة.

(5) يحيى بن أكثم بن محمد التميمي كان إمام وفقيه وقاضي وكان شديد القرب من الملك العباسي المأمون.

(7) عبد الله بن طاهر كان الحاكم على خراسان ثم كان طاهر بن عبد الله بن طاهر وتوفي سنة 248 هـ فعقد المستعين لوالده محمد بن طاهر علي خراسان. والطاهريون سلالة عربية من قبيلة خزاعة تولت إمرة ولاية خراسان وشرق تركستان أثناء الدولة العباسية ما بين 205–259 هـ

(8) إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي، الأمير ابن عم طاهر بن الحسين الأمير. وكان يعرف بصاحب الجسر. ولي إمرة بغداد مدة طويلة، أكثر من 30 سنة، وعلى يده أمتحن العلماء بأمر المأمون وأكرهوا على القول بخلق القرآن. وكان خيرا صائما سائسا حازما وافر العقل، جودا ممدحا، له مشاركة في العلم. توفي سنة 235 هـ. وولي بعده ابنه محمد.

(9) أبو عبد الله بن الأعرابي من أعلام أهل الكوفة. إمام لغة له مصنفات كثيرة، ولد سنة 150 هـ ومات بسامراء سنة 231 هـ وصل عليه أحمد بن أبي دؤاد القاضي، وبلغ من السن على ما يقال: ثمانين سنة.

(10) أحمد بن حاتم أبو نصر الباهلي النحوي صاحب الأصمعي، وقيل إنه كان ابن أخت الأصمعي وكان أبو جعفر ابن باسويه ينكره. روى عن الأصمعي كتب اللغة والأدب، وصنف كتاب الشجر والنبات، وكتاب الإبل، وكتاب الخيل، وما يلحن فيه العامة، وكتاب الزرع والنخل، وكتبا سواها، حكى عن الأصمعي أنه كان يقول: ليس يصدق علي أحد إلا أبو نصر. حدث عنه إبراهيم الحربي، وأبو العباس ثعلب، وكان ثقة. قيل إنه مات في سنة 231 هـ.

(1) سعيد بن العباس. أبو عثمان الرازي الزاهد. حدث عن أبي نعيم، ومكي بن إبراهيم، والحميدي، وجماعة. [الوفاة: 241 = 250 هـ]

(2) أحمد المعتضد بالله بن أبي أحمد الموفق بالله واسمه محمد بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، يكنى أبا العباس، ويقال: أن اسم أبيه طلحة، ولد بسر من رأى سنة 242 هـ، بويع له بعد موت عمه المعتمد على الله، سنة 279 هـ توفي المعتضد سنة 289 هـ.

(4) عبد الواحد بن شعيب، أبو القاسم، الجبلي قاضي جبلة.

عن بشر الحافي قال: ما أقبح أن يطلب العالم، فيقال: هو بباب الأمير. وعن سفيان الثوري قال: ما زال العلم عزيزا، حتى حمل إلى أبواب الملوك فأخذوا عليه أجرا، فنزع الله الحلاوة من قلوبهم ومنعهم العلم به. وعن الفضيل بن عياض، قال: إن آفة القراء العجب، واحذروا أبواب الملوك فإنها تزيل النعم فقيل: كيف؟ قال: الرجل يكون عليه من الله نعمة ليست له إلى خلق حاجة فإذا دخل إلى هؤلاء فرأى ما بسط لهم في الدور والخدم استصغر ما هو فيه من خير ثم تزول النعم. وعن الحسن : إن سركم أن تسلموا ويسلم لكم دينكم، فكفوا أيديكم عن دماء المسلمين، وكفوا بطونكم عن أموالهم، وكفوا ألسنتكم عن أعراضهم ولا تجالسوا أهل البدع، ولا تأتوا الملوك فيلبسوا عليكم دينكم. قال أحمد بن الصلت: جاء رجل إلى بشر بن الحارث، فقال له: يا سيدي! السلطان يطلب الصالحين، فترى لي أن أختبئ؟ فقال له بشر: جز من بين يدي، لا يجوز حمار الشوك فيطرحك علينا. وقال سفيان الثوري: إن فجار القراء اتخذوا سلما إلى الدنيا فقالوا: ندخل على الأمراء نفرج عن مكروب ونكلم في محبوس.

عن أحمد بن عبد الله بن خالد قال سمعت إبراهيم بن إسحاق الحربي يقول أجمع عقلاء كل أمة أنه من لم يجر مع القدر لم يتهن بعيشه كان يكون قميصي أنظف قميص وإزاري أوسخ إزار ما حدثت نفسي أنها يستويان قط وفرد عقبي مقطوع والآخر صحيح أمشي بهما وأدور بغداد كلها هذا الجانب وذاك الجانب لا أحدث نفسي أن أن أصلحها وما شكوت إلى أمي ولا إلى أختي ولا إلى امرأتي ولا إلى بناتي قط همي وجدتها الرجل الذي يدخل غمه على نفسه ولا يغم عياله وكان برأسي شقيقة خمسا وأربعين سنة ما أخبرت بها أحدا قط ولي عشر سنين أبصر بفرد عين ما أخبرت به أحدا وأفنيت من عمري ثلاثين سنة برغيفين إن جاءتني بهما أمي أو أختي أكلت وإلا بقيت جائعا عطشان إلى الليلة الثانية وأفنيت ثلاثين سنة من عمري برغيف في اليوم والليلة إن جاءتني امرأتي أو إحدى بناتي به أكلته وإلا بقيت جائعا عطشان إلى الليلة الأخرى والآن آكل نصف رغيف وأربع عشرة تمرة إن كانت برنيا أو نيفا وعشرين إن كان دقلا ومرضت ابنتي فمضت امرأتي فأقامت عندها شهرا فقام إفطاري في هذا الشهر بدرهم ودانقين ونصف دخلت الحمام واشتريت لهم صابونا بدانقين فقام نفقة شهر رمضان كله بدرهم وأربعة دوانيق ونصف. وقال أبو الحسن العتكي سمعت إبراهيم الحربي يقول لجماعة عنده من تعدون الغريب في زمانكم هذا فقال واحد منهم الغريب من نأى عن وطنه قال آخر الغريب من فارق أصبابه وقال كل واحد منهم شيئا فقال إبراهيم الغريب في زماننا رجل صالح عاش بين قوم صالحين إن أمر بالمعروف آزروه وإن نهى عن المنكر أعانوه وإن احتاج إلى شيء من الدنيا ما نوه ثم ماتوا وتركوه.

مراجع: صفة الصفوة/ تاريخ بغداد/ مسند أحمد/ فتح الباري/ مختصر تفسير ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم/ ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين/ وفيات الأعيان

◆ أبو العباس أحمد المعتضد بالله (سادس عشر ملوك الدولة العباسية) والقاضي أبو خازم [137]

قال ابن حبيب الذارع: [1] كنا ونحن أحداث مع أبي خازم[2] فكنا نقعده (نتعمده) قاضيا ويتقدم القضاء على الخصومات فما مضت الأيام والليالي حتى صار قاضيا وصرنا ذراعه فقال أبو الحسين وبلغ من شدته في الحكم أن المعتضد وجه إليه بطريف المخلدي فقال له إن على الضبعي بيعا كان للمعتضد، ولغيره مالا، وقد بلغني أن غرماءه ثبتوا عندك وقد قسطت لهم من ماله فاجعلنا كأحدهم فقال أبو خازم قل لأمير المؤمنين أطال الله بقاءه ذاكر لما قال لي وقت قلدني أنه قد أخرج الأمر من عنقه وجعله في عنقي ولا يجوز لي أن أحكم في مال رجل لمدع إلا ببينة فرجع إليه طريف فأخبره فقال قل له فلان وفلان يشهدان يعني لرجلين جليلين كانا في ذلك الوقت فقال يشهدان عندي وأسأل عنهما فإن زكيا قبلت شهادتهما وإلا أمضيت ما قد ثبت عندي فامتنع أولئك من الشهادة فزعا ولم يدفع إلى المعتضد شيئا. وذكر الحسين بن علي الصيمري أنه ولي القضاء بالشام، والكوفة، والكرخ من مدينة السلام. قال: وكان عبيد الله بن سليمان خاطبه في بيع ضيعة ليتيم تجاور بعض ضياعه فكتب إليه، إن رأى الوزير أعزه الله أن يجعلني أحد رجلين إما رجلا صين الحكم به، أو صين الحكم عنه والسلام.

قال وكيع القاضي: [3] كنت أتقلد لأبي خازم وقوفا في أيام المعتضد منها وقوف الحسن بن سهل [4] فلما استكثر المعتضد من عمارة قصر الحسني(الحسيني) أدخل إليه بعض وقوف الحسن بن سهل التي كانت في يدي ومجاورة القصر وبلغت السنة آخرها وقد جنيت ماها إلا ما أخذه المعتضد فجئت إلى أبي خازم فعرفته اجتماع مال السنة واستأذنته في قسمته في سبيله وعلى أهل الوقف فقال لي فهل جبيت ما على أمير المؤمنين فقلت له ومن يجسر على مطالبة الخليفة فقال والله لأقسمت الإرتفاع أو تأخذ ما عليه ووالله إن لم يزح العلة لا وليت له عملا ثم قال امض إليه الساعة وطالبه فقلت من يوصلني فقال لي امض إلى صافي الحرمي وقل إنك رسول أنفذك في مهم فإذا وصلت فعرفه ما قلت لك فجئت فقلت لصافي ذلك فأوصلني وكان آخر النهار فلما مثلت بين يدي الخليفة ظن أن أمرا عظيما قد حدث وقال هي قل كأنه متشوف فقلت له إني ألي لعبد الحميد قاضي أمير المؤمنين وقوف الحسن بن سهل وفيها ما قد أدخله أمير المؤمنين إلى قصره ولما جئت بهال هذه السنة امتنع من تفرقته إلى أن أجبي ما على أمير المؤمنين وقد أنفذني الساعة قاصدا بهذا السبب وأمرني أن أقول إني حضرت في مهم لأصل قال فسكت ساعة تفكرا ثم قال أصاب عبد الحميد يا صافي هات الصندوق قال فأحضره صندوقا لطيفا فقال كم يجب لك فقلت الذي جبيت عام أول من ارتفاع هذا العقار أربع مائة دينار قال كيف حذقك بالنقد والوزن قلت أعرفها. قال هاتوا ميزانا فجاءوا بميزان حراني عليه حلية ذهب وأخرج من الصندوق دنانير عينا فوزن لي منها أربع مائة دينار فوزنتها بالميزان وقبضتها وانصرفت إلى أبي خازم بالخبر فقال أضفها إلى ما إجتمع للوقف عندك وفرقه في غد في سبيله ولا تؤخر ذلك ففعلت فكثر شكر الناس لأبي خازم بهذا السبب وإقدامه على الخليفة بمثل ذلك وشكرهم المعتضد في إنصافه.

---

(2) أبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز السكوني، الفقيه، العلامة، قاضي القضاة، أبو خازم، عبد الحميد بن عبد العزيز السكوني البصري، ثم البغدادي الحنفي. حدث عن محمد بن بشار، ومحمد بن المثنى، وشعيب بن أيوب، وطائفة.روى عنه: مكرم بن أحمد، وأبو محمد بن زبر. وكان ثقة، دينا، ورعا، عالما، أحذق الناس بعمل المحاضر والسجلات، بصيرا بالجبر والمقابلة، فارضا، ذكيا، كامل العقل. أخذ عن: هلال الرأي، وبكر العمي، ومحمود الأنصاري، الفقهاء، أصحاب محمد بن شجاع وغيره. وبرع في المذهب حتى فضل على مشايخه، وبه يضرب المثل في العقل. قال محمد بن الفيض: ولي قضاء دمشق أبو خازم، سنة 264 هـ إلى أن قدم المعتضد قبل الخلافة دمشق لحرب ابن طولون، فسار معه أبو خازم إلى العراق.قال الطحاوي: مات ببغداد: في جمادى الأولى، سنة 292 هـ.

(3) محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد أبو بكر الضبي القاضي المعروف بوكيع كان عالما فاضلا عارفا بالسير وأيام الناس وأخبارهم، وله مصنفات كثيرة منها: كتاب الطريق، وكتاب الشريف، وكتاب عدد آي القرآن والاختلاف فيه. بلغني أن أبا بكر بن مجاهد سئل أن يصنف كتابا في العدد، فقال: قد كفانا ذاك وكيع. وكتب آخر سوى ذلك، وكان حسن الأخبار. حدث عن خلق كثير. وكان يسكن بالجانب الشرقي في درب أم حكيم. روى عنه خلق كثير. مات محمد بن خلف سنة 306 هـ وكان يتقلد القضاء على كور الأهواز كلها.

(4) الحسن بن سهل أبو محمد، الوزير الكامل، أبو محمد، حو المأمون، وأخو الوزير ذي الرياستين الفضل بن سهل، من بيت حشمة من المجوس، فأسلم سهل زمن البرامكة، فكان قهرمانا ليحيى البرمكي. ونشأ الفضل مع المأمون، فغلب عليه، وتمكن جدا إلى أن قتل. فاستوزر المأمون بعده أخاه، ولم يزل في توقل إلى أن تزوج المأمون ببنته بوران، سنة 210 هـ، فلا يوصف ما غرم الحسن على عرسها. مات بسرخس سنة 236 هـ. وعاشت بوران: إلى حدود 270 هـ.

(1) ابن حبيب الذارع (في رواية: الذراع/ الزارع؟)

حدث مكرم بن بكر وكان من فضلاء الرجال وعلمائهم، قال: كنت في مجلس أبي خازم القاضي، فتقدم رجل شيخ، ومعه غلام حدث، فادعى الشيخ عليه ألف دينار عينا دينا، فقال له: ما تقول؟ فأقر، فقال للشيخ: ما تشاء؟ قال: حبسه. فقال للغلام: قد سمعت، فهل لك أن تنقده البعض وتسأله إنظارك؟ فقال: لا، فقال الشيخ: إن رأى القاضي أن يحبسه، قال: فتفرس أبو خازم فيهما ساعة، ثم قال: تلازما إلى أن أنظر بينكما في مجلس آخر، قال: فقلت لأبي خازم وكانت بيننا أنسة: لم أخر القاضي حبسه؟ فقال: ويحك إني أعرف في أكثر الأحوال في وجه الخصوم وجه المحق من المبطل، وقد صارت لي بذلك دربة لا تكاد تخطئ، وقد وقع لي أن سماحة هذا بالإقرار هي عن بلية وأمر يبعد من الحق، وليس في تلازمهما بطلان حق، ولعله ينكشف لي من أمرهما ما أكون معه على وثيقة مما أحكم به بينهما، أما رأيت قلة تعاصيهما في المناظرة، وقلة اختلافهما، وسكون طباعهما مع عظم المال، وما جرت عادة الأحداث بفرط التورع حتى يقر مثل هذا طوعا عجلا بمثل هذا المال.قال: فنحن كذلك نتحدث إذ استؤذن على أبي خازم لبعض وجوه الكرخ من مياسير التجار، فأذن له، فدخل فسلم وشبب لكلامه فأحسن، ثم قال: قد بليت بابن لي حدث يتقاين ويتلف كل ما يظفر به من مالي في القيان* عند فلان المقين، فإذا منعته مالي احتال بحيل تضطرني على التزام غرم له، وإن عددت ذلك طال، وأقربه أنه قد نصب المقين اليوم ليطالبه بألف دينار عينا دينا حالا، وبلغني أنه تقدم إلى القاضي ليقر له بها فيحبس، وأقع مع أمه فيما ينغص عيشي إلى أن أزن عنه ذلك للمقين، فإذا قبضه المقين حاسبه به من الجذور، ولما سمعت بذلك بادرت إلى القاضي لأشرح له الأمر فيداويه بما يشكره الله له، فجئت فوجدتها على الباب. قال: فحين سمع أبو خازم ذلك تبسم، وقال لي: كيف رأيت؟ قال: فقلت: لهذا ومثله فضل الله القاضي، وجعلت أدعوا له، فقال: علي بالغلام والشيخ، فدخلا فأرهب أبو خازم الشيخ ووعظ الغلام، قال: فأقر الشيخ بأن الصورة كما بلغ القاضي وأنه لا شيء له عليه، وأخذ الرجل بيد ابنه وانصرفوا.

* (القيان) الإماء المغنيات

عن أنس بن مالك، أن رجلا قال:﴿يَا رَسُولَ الله، إِنَّ لِفُلَانٍ نَخْلَةً وَأَنَا أُقِيمُ حَائِطِي بِهَا، فَمُرْهُ أَنْ يُعْطِيَنِي حَتَّى أُقِيمَ حَائِطِي بِهَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَعْطِهَا إِيَّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ. فَأَبَى وَأَتَاهُ أَبُو الدَّحْدَاحِ، فَقَالَ: بِعْنِي نَخْلَتَكَ بِحَائِطِي، قَالَ: فَفَعَلَ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدِ ابْتَعْتُ النَّخْلَةَ بِحَائِطِي فَاجْعَلْهَا لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَمْ مِنْ عِذْقٍ رَدَاحٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ. مِرَارًا فَأَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ، اخْرُجِي مِنَ الْحَائِطِ فَإِنِّي بِعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَتْ: قَدْ رَبِحْتَ ، أَوْ كَلِمَةٍ نَحْوَهَا﴾ عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:﴿إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ﴾ قال ابن عمر: ﴿أَصَابَ عُمَرُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ هُوَ أَنْفَسُ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُنِي بِهِ؟ قَالَ: إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا، قَالَ: فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ، أَنَّهُ لَا يُبَاعُ أَصْلُهَا، وَلَا يُورَثُ، وَلَا يُوهَبُ، قَالَ: فَتَصَدَّقَ عُمَرُ فِي الْفُقَرَاءِ، وَفِي الْقُرْبَى، وَفِي الرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ الله، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالضَّيْفِ، لَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ يُطْعِمَ صَدِيقًا غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ فِيهِ﴾ قال: فحدثت بهذا الحديث محمدا، فلما بلغت هذا المكان: غير متمول فيه، قال محمد: غير متأثل مالا، قال ابن عون: وأنبأني من قرأ هذا الكتاب أن فيه: غير متأثل مالا (أصاب عمر أرضا) أي أخذها وصارت إليه بالقسم حين فتحت خيبر عنوة وقسمت أرضها (يستأمره) أي يستشيره طالبا في ذلك أمره (هو أنفس عندي منه) أنفس معناه أجود والنفيس الجيد وقد نفس نفاسة (غير متأثل) معناه غير جامع وكل شيء له أصل قديم أو جمع حتى يصير له أصل فهو مؤثل ومنه مجد مؤثل أي قديم وأثلة الشيء أصله. عن عبد الله بن مسعود، قال: لما نزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [البقرة] قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ الله، وَإِنَّ اللهَ لَيُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ قَالَ: أَرِنِي يَدَكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: فَنَاوَلَ يَدَهُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطِي قَالَ: وَحَائِطُهُ فِيهَا سِتَّمِائَةِ نَخْلَةٍ، وَأُمُّ الدَّحْدَاحِ فِيهِ وَعِيَالُهَا قَالَ: فَجَاءَهَا أَبُو الدَّحْدَاحِ فَنَادَاهَا: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ، فَقَالَتْ: لَبَّيْكَ، فَقَالَ: اخْرُجِي فَقَدْ أَقْرَضْتُهُ رَبِّي﴾ عن أبي هريرة، أنه قال:﴿يَا رَسُولَ الله، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: جُهْدُ الْمُقِلِّ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ﴾ وعن الحسن، قال: قال رجل لعثمان بن عفان:﴿ذَهَبْتُمْ يَا أَصْحَابَ الْأَمْوَالِ بِالْخَيْرِ تَتَصَدَّقُونَ، وَتُعْتِقُونَ، وَتُحَجُّونَ، وَتُنْفِقُونَ، فَقَالَ عُثْمَانُ: وَإِنَّكُمْ لَتَغْبِطُونَنَا، قَالَ: إِنَّا لَنَغْبِطُكُمْ، قَالَ: فَوَاللهِ لَيَرْهَمٌ يُنْفِقُهُ أَحَدٌ مِنْ جَهْدِهِ خَيْرٌ مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ غَيْضٍ مِنْ فَيْضٍ﴾ قال البيهقي: ومنها أن يتصدق من كسب يده، ولا يستحقر ما يتصدق به ويضعه في يد السائل. عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ.قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: فَلْيَعْمَلْ بِيَدِهِ فَيَنْفَعْ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقْ﴾ عن سليمان، قال: سمعت أبا وائل، عن أبي مسعود، قال:﴿كُنَّا نَتَحَامَلُ عَلَى ظُهُورِنَا فَيَجِيءُ الرَّجُلُ بِالشَّيْءِ، فَيَتَصَدَّقُ بِهِ فَجَاءَ رَجُلٌ بِنِصْفِ صَاعٍ، وَجَاءَ إِنْسَانٌ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالُوا: إِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا، وَقَالُوا: هَذَا مُرَاءٍ، فَنَزَلَتْ: وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة] عن أبي ذر، قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ﴾.

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ سير أعلام النبلاء/ صحيح مسلم/ شعب الإيمان

◆ أبو العباس أحمد المعتضد بالله (سادس عشر ملوك الدولة العباسية) وابن البغوي، أبو الحسين النوري [138]

عن أحمد بن إبراهيم المقري قال: كان أبو الحسين النوري[1] رجلا قليل الفضول لا يسأل عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج إليه وكان إذا رأى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم إلى مشرعة* تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة إذ رأى زورقا فيه ثلاثون دنا* مكتوب عليها بالقار لطف فقرأه وأنكره لأنه لم يعلم في التجارات ولا في البيوع شيئا يعبر عنه بلطف فقال للملاح إيش في هذه الدنان قال وإيش عليك امض في شغلك فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد تعطشا إلى معرفته فقال أحب أن تخبرني إيش في هذه الدنان قال وإيش عليك أنت والله صوفي فضولي هذا خمر للمعتضد يريد أن يتمم به مجلسه فقال النوري وهذا خمر قال نعم فقال أحب أن تعطيني ذلك المدري فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه أعطه حتى انظر ما يصنع فلما صارت المدري في يده صعد إلى الزورق ولم يزل يكسرها دنا دنا حتى أتى على آخرها إلا دنا واحدا والملاح يستغيث إلى أن ركب صاحب الجسر وهو يومئذ ابن بشر أفلح فقبض على النوري وأشخصه إلى حضرة المعتضد* وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس في أنه سيقتله قال أبو الحسين فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد وبيده عمود يقلبه فلما رآني قال من أنت قلت محتسب قال ومن ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الإمامة ولاني الحسبة يا أمير المؤمنين قال فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلي وقال ما الذي حملك على ما صنعت فقلت شفقة مني عليك إذ بسطت يدي إلى صرف مكروه عنك فقصرت عنه قال فأطرق مفكرا في كلامي ثم رفع رأسه إلي وقال كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان فقلت في تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين إن أذن فقال هات خبرني فقلت يا أمير المؤمنين إني أقبلت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد الإجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فأقدمت عليها بهذه الحال إلى أن صرت إلى هذا الدن فاستشعرت نفسي كبرا على أني أقدمت على مثلك فمنعت ولو أقدمت عليه بالحال الأول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال فقال المعتضد اذهب فقد أطلقنا يدك غير ما أحببت أن تغيره من المنكر. قال أبو الحسين فقلت يا أمير المؤمنين بغض إلى التغيير لأني كنت أغير عن وأنا الآن أغير عن شرطي فقال المعتضد ما حاجتك فقلت يا أمير المؤمنين تأمر بإخراجي سالما فأمر له بذلك وخرج إلى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفا من أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد فأقام بالبصرة إلى أن توفي المعتضد ثم رجع إلى بغداد.

* (الدنان) جمع دن وهو ما يسمى بالحابية وهو فارسي معرب. (المشرعة) المواضع التي ينحدر إلى الماء منها.

➔ أبو الحسين، أحمد بن محمد الخراساني النوري البغوي الزاهد. واسمه أحمد بن محمد بغدادي المولد والمنشأ خراساني الأصل من قرية بين هراة ومرو الروذ يقال لها بغشور ولذلك كان يعرف بابن البغوي. اسند النوري عن سري السقطي حديثا واحدا. وتوفي قبل الجنيد في سنة 295 هـ قال أبو أحمد المغازلي ما رأيت أحداً قط أعبد من النوري فقيل ولا جنيد؟ قال ولا جنيد وكان له قنينة تسع خمسة أرطال ماء يشربها في خمسة أيام وقت إفطاره.قال عبد الكريم ثم حدثني أبو جعفر الفرغاني قال مكث أبو الحسين النوري عشرين سنة يأخذ من بيته رغيفين ويخرج ليمضي الى السوق فيتصدق بالرغيفين ويدخل المسجد فلا يزال يركع حتى يجيء وقت سوقه فاذا جاء الوقت مضى الى السوق فيظن أنه قد تغدى في بيته ومن في بيته عندهم أنه أخذ معه غداءه وهو صائم.

عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بالمدينة قال:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُعَرِّضُ بِالْخَمْرِ، وَلَعَلَّ اللهَ سَيُنْزِلُ فِيهَا أَمْرًا، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلْيَبِعْهُ وَلْيَنْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: فَمَا لَبِثْنَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْخَمْرَ، فَمَنْ أَدْرَكَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ وَعِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلَا يَشْرَبْ، وَلَا يَبِعْ، قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ النَّاسُ بِمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْهَا فِي طَرِيقِ الْمَدِينَةِ فَسَفَكُوهَا﴾ عن أم المؤمنين عائشة، قالت:﴿لَمَّا أُنْزِلَتِ الْآيَاتُ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي الرِّبَا، قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَحَرَّمَ التِّجَارَةَ فِي الْخَمْرِ﴾ عن أنس قال:﴿جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي اشْتَرَيْتُ لِأَيْتَامٍ فِي حِجْرِي خَمْرًا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَهْرِقِ الْخَمْرَ وَكَسِّرِ الدِّنَانَ. فَأَعَادَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ عن علقمة بن وائل عن أبيه:﴿أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: سُوَيْدُ بْنُ طَارِقٍ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَمْرِ فَنَهَاهُ عَنْهَا فَقَالَ: إِنَّمَا أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهَا دَاءٌ وَلَيْسَتْ بِدَوَاءٍ﴾ وعن أنس﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنِ الْخَمْرِ أَيُتَّخَذُ خَلًّا؟ قَالَ: لَا﴾ وعن يزيد بن أبي حبيب، عن خالد بن كثير الهمداني، أنه حدثه أن السري بن إسماعيل الكوفي، حدثه أن الشعبي، حدثه أنه، سمع النعمان بن بشير، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ مِنَ الْحِنْطَةِ خَمْرًا، وَمِنَ الشَّعِيرِ خَمْرًا، وَمِنَ الزَّبِيبِ خَمْرًا، وَمِنَ التَّمْرِ خَمْرًا، وَمِنَ الْعَسَلِ خَمْرًا، وَأَنَا أَنْهَى عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ﴾.

عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَشُرْبَ الْخَمْرِ وَالطَّعْنَ فِي الْأَنْسَابِ، أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ لُعِنَ سَارِبُهَا وَعَاصِرُهَا وَسَاقِيهَا وَبَائِعُهَا وَآكِلُ ثَمَنِهَا، فَقَامَ إِلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتُ رَجُلًا كَانَتْ هَذِهِ تِجَارَتِي، فَاعْتَقَبْتُ مِنْ بَيْعِ الْخَمْرِ مَالًا فَهَلْ يَنْفَعُنِي ذَلِكَ الْمَالُ إِنْ عَمِلْتُ فِيهِ بِطَاعَةِ اللهِ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ أَنْفَقْتَهُ فِي حَجٍّ أَوْ جِهَادٍ أَوْ صَدَقَةٍ لَمْ يَعْدِلْ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى تَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة] فالخبيث: الحرام.

عن نافع بن كيسان عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:﴿سَتَشْرَبُ مِنْ بَعْدِي أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، يَكُونُ عَوْنَهُمْ عَلَى شُرْبِهَا أُمَرَاؤُهُمْ﴾ عن أم المؤمنين عائشة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ أَوَّلَ مَا يُكْفَأُ الْإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ كَفْءُ الْخَمْرِ قِيلَ وَكَيْفَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا فَيَسْتَحِلُّونَهَا﴾ وعن أبو هريرة، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُحَدِّثُهُمْ هَؤُلَاءِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، ثُمَّ يَقُولُ وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُلْحِقُ مَعَهُنَّ: وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ (لا يزني الزاني وهو مؤمن الخ) هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان (نهبة) النهبة هي ما ينهبه (ذات شرف) معناه ذات قدر عظيم وقيل ذات استشراف يستشرف الناس لها ناظرين إليها رافعين أبصارهم.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ فَاقْتُلُوهُ﴾ قال وكيع، في حديثه: قال عبد الله: ائتوني برجل قد شرب الخمر في الرابعة، فلكم علي أن أقتله. عن أنس بن مالك قال:﴿أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ بِنَعْلَيْنِ أَرْبَعِينَ، ثُمَّ أُتِيَ أَبُو بَكْرٍ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَصَنَعَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ أُتِيَ عُمَرُ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَاسْتَشَارَ النَّاسَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: أَخَفَّ الْحُدُودِ ثَمَانِينَ، فَضَرَبَهُ عُمَرُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ ثَمَانِينَ﴾.

مراجع: إحياء علوم الدين/ صحيح مسلم/ أسباب النزول للواحدي/ سنن الدراقطني

◆ الأفضل أبو القاسم شاهنشاه بن بدر الدين الجمالي، (كان وزير الملوك الفاطميين المستنصر بالله، والمستعلي بالله، والآمر بأحكام الله) والإمام الطرطوشي [139]

قال أبو بكر الطرطوشي[1] في كتابه سراج الملوك: فلما دخلت على ملك مصر وهو الأفضل بن أمير الجيوش[2] (وزير الفاطميين[3])،فقلت: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردَّ السلام على نحو ما سلَّمت ردًّا جميلاً، وأكرم إكرامًا جزيلاً، وأمرني بدخول مجلسه وأمرني بالجلوس فيه، فقلت: أيها الملك، أن الله سبحانه وتعالى قد أحلك محلاً عاليًا شامخًا، وأنزلك منزلاً شريفًا باذخًا، وملَّكك طائفة من ملكه وأشركك في حكمه ولم يرضَ أن يكون فوق أمرك، فلا ترضَ أن يكون أحدٌ أوْلَى بالشكر منك، وإن الله تعالى قد ألزم الورى (الخلق) طاعتك فلا يكونن أحدٌ أطوع لله منك، وإن الله تعالى أمر عباده بالشكر وليس الشكر باللسان ولكنه بالفعال والإحسان قال الله تعالى:﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ] واعلم أن هذا المُلْك الذي أصبحت فيه إنما صار إليك بموت مَن كان قبلك، وهو خارج عن يدك مثل ما صار إليك، فاتقِ الله فيما خوَّلك من هذه الأمة؛ فإن الله سائلك عن النقير والقطمير والفتيل؛ قال الله تعالى:﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر] وقال الله تعالى:﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء] واعلم أيها الملك أن الله تعالى قد آتى ملك الدنيا بحذافيرها سليمانَ بن داود عليهما السلام فسخَّر له الإنس والجن والشياطين والوحش والبهائم، وسخَّر له الريح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب، ثم رفع عنه حساب ذلك أجمع فقال له:﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص] فوالله ما عدَّها نعمة كما عددتموها، ولا حسبها كرامة كما حسبتموها، بل خاف أن تكون استدراجًا من الله تعالى ومكرًا به فقال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل] فافتح الباب، وسهِّل الحجاب، وانصر المظلوم، أعانك الله على ما قلَّدك، وجعلك كهفًا للملهوف وأمانًا للخائف. ثم أتممت المجلس بأن قلت: قد دوَّخت البلاد شرقًا وغربًا فما اخترت مملكة تزوَّجت فيها وولد لي غير هذه المملكة، ثم أنشدت شعرًا: والناس أكيس من أن يحمدوا رجلا ... حتى يروا عنده آثار إحسان.

---

(1) أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي (نسبة إلى طرطوشة في الأندلس) الفقيه المالكي الزاهد، المعروف بابن أبي رندقة؛ وكانت ولادة الطرشوشي سنة451 هـ تقريبا. وتوفي ثلث الليل الأخير من ليلة السبت لأربع بقين من جمادى الأولى سنة 520 هـ بثغر الإسكندرية، وصل عليه ولده محمد، ودفن في مقبرة وعلة قريبا من البرج الجديد قبلي الباب الأخضر.صحب الطرشوشي أبا الوليد الباجي بمدينة سرقسطة، وأخذ عنه مسائل الخلاف وسمع منه، وأجاز له، وقرأ الفرائض والحساب بوطنه، وقرأ الأدب على أبي محمد ابن حزم بمدينة إشبيلية، ورحل إلى المشرق سنة 476 هـ وحج ودخل بغداد والبصرة، وتفقه على أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي المعروف بالمستظهري الفقيه الشافعي وعلى أبي أحمد الجرجاني، وسكن الشام مدة ودرس بها. وكان إماما عالما كامل زاهدا ورعا دينا متواضعا متقشفا متقللا من الدنيا راضيا منها باليسير، وكان يقول: إذا عرض لك أمران دنيا وأمر آخرى فبادر بأمر الآخرى يحصل لك أمر الدنيا والآخرى.

(2) الأفضل أبو القاسم شاهنشاه بن بدر الدين الجمالي كان وزير الملوك الفاطميين المستنصر بالله، والمستعلي بالله، والآمر بأحكام الله، ولد سنة 458 هـ، وقتله الملك الآمر بأحكام الله، الذي خلف المستعلي بالله سنة 515 هـ

(3) أبو القاسم المستعلي بالله الفاطمي أحمد بن معد بن الظاهر بن علي بن منصور، ولد في القاهرة سنة 466 هـ وبويع له بعد موت أبيه المستنصر سنة 487 هـ.وكان القائم بخلافته وزيره أمير الجيوش الأفضل بن شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي. والمستعلى هذا هو التاسع من ملوك بني عبيد في مصر والمغرب والإمام التاسع عشر عند الإسماعيلية المستعلية. مات المستعلي سنة 495 هـ. وتخلف بعده ابنه الآمر بأحكام الله منصور. وفي أيام المستعلي انقطعت دولته من الشام، واستولى عليها الأتراك واستولت الفرنج على سواحل الشام، وأخذت بيت المقدس. وأخذ أمر الفاطميين في اضمحلال، وتلاشت دولتهم، وغلبت الوزراء عليهم. ولم يبق لهم من يومئذ من الملك إلا مجرد الأسم فقط. وكثرت الباطنية الملاحدة الذين هم الإسماعيلية، ففتكوا بعدد كثير من الكبار والعلماء.

(3) المستنصر بالله الفاطمي: أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله علي بن الحاكم أبي علي منصور بن العزيز بن المعز، العبيدي المصري. ولي الأمر بعد أبيه، وله سبع سنين، وذلك سنة 427 هـ فامتدت أيامه 60 سنة وأربعة أشهر. مات سنة 487 هـ وقد قارب 70.

(3) الآمر بأحكام الله الفاطمي: أبو علي منصور بن المستعلي أحمد بن المستنصر معد بن الظاهر بن الحاكم، العبيدي المصري الرافضي الظلوم.ولي هو صغير فلما كبر قتل الأفضل أمير الجيوش، ولد سنة 490 هـ وقتل سنة 524هـ فبايعوا ابن عم له، وهو الحافظ لدين الله.

عن شيخ من قريش قال: قال عمر بن عبد العزيز: يا معشر المستترين اعلموا أن عند الله مسألة فاضحة، قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر] وعن أم المؤمنين عائشة قالت: جاء رجل فقعد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إن لي مملوكين يكذبونني، ويخونونني ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَّبُوكَ، وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافًا لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ فَضْلًا لَكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ، اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ﴾ فتنحى الرجل، وجعل يهتف ويبكي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَمَا تَقْرَأُ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء] فقال الرجل: يا رسول الله! ما أجد لي ولهؤلاء شيئا خيرا من مفارقتهم، أشهدك أنهم كلهم أحرار. روي عن عطاء بن يسار قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر:﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ [سبأ]. ثُمَّ قَالَ: ثَلَاثٌ مَنْ أُوتِيَهُنَّ فَقَدْ أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ آلُ دَاوُدَ: الْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ وَخَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ﴾

عن كعب قال: كنت عند عمر فقال لي:﴿يَا كَعْبُ خَوِّفْنَا، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَيْسَ فِيكُمْ كِتَابُ اللهِ تَعَالَى، وَحِكْمَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ خَوِّفْنَا يَا كَعْبُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ لَوْ وَافَيْتَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِعَمَلِ سَبْعِينَ نَبِيًّا لَازْدَرَيْتَ عَمَلَكَ مِمَّا تَرَى. قَالَ: فَأَطْرَقَ عُمَرُ مَلِيًّا ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: زِدْنَا يَا كَعْبُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ فُتِحَ مِنْ جَهَنَّمَ قَدْرُ مِنْخَرٍ ثَوْرٍ بِالْمَشْرِقِ وَرَجُلٌ بِالْمَغْرِبِ لَغَلَى دِمَاغُهُ حَتَّى يَسِيلَ مِنْ حَرِّهَا. فَأَطْرَقَ عُمَرُ مَلِيًّا ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: زِدْنَا يَا كَعْبُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ جَهَنَّمَ لَتُزْفَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ زَفْرَةً مَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إِلَّا خَرَّ جَاثِيًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، حَتَّى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلِيلَهُ لَيَخِرُّ جَاثِيًا وَيَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي، لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي. قَالَ: فَأَطْرَقَ عُمَرُ مَلِيًّا، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوَلَسْتُمْ تَجِدُونَ هَذَا فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى؟ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: كَيْفَ؟ قُلْتُ: يَقُولُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [النحل] قَالَ: فَسَكَتَ عُمَرُ﴾.

مراجع: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ سراج الملوك/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح

◆ أبو عبد الله محمد المقتفي لأمر الله بن المستظهر (الحادي والثلاثون من ملوك الدولة العباسية) والشيخ عبد القادر الكيلاني[140]

خص الشيخ عبد القادر[1] الحاكمين بانتقاداته وحذر الناس من الانصياع لهم بما يخالف الشريعة يقول في أحد مجالسه: صارت الملوك لكثير من الخلق آلهة. قد صارت الدنيا والغنى والعافية والحول والقوة آلهة، ويحكم جعلتم الفرع أصلاً، المرزوق رازقاً، والمملوك مالكاً، الفقير غنياً، العاجز قويا الميت حياً، .. إذا عَظمت جبابرة الدنيا وفراعينها وملوكها وأغنياءها ونسيت الله عز وجل ولم تعظّه، فحكمك حكم من عبد الأصنام، تصّير مَنْ عِظّمت صنمك، وانتقد الولاة والموظفين الذين يجتهدون في تنفيذ أوامر السلاطين دون تحرز : يقول في إحدى مواعظه : يا غلام : .. أخدم الحق عز وجل ولا تشتغل عنه بخدمة هؤلاء السلاطين الذين لا يضرون ولا ينفعون أيش يعطونك ؟ يعطونك مالم يقّم لك ؟ أو يقدرون يقسمون لك شيئاً لم يقسمه الحق عز وجل ؟ لا شيء مستأنف من عندهم، إن قلت أن عطاءهم مستأنف من عندهم كفرت. ولم تتوقف انتقادات عبد القادر للحكام عند المواعظ العامة، وإنما تناولت المواقف الخاصة التي تبرز فيها انحرافات أو مظالم، ففي عام 541 هـ ولي الخليفة المقتفي لأمر الله[2] (الملك العباسي الحادي والثلاثون) يحي بن سعيد[3] المعروف بابن المرجم القضاء. فمضى الأخير في ظلم الرعايا ومصادرة الأموال وأخذ الرشاوي، فكتبت ضده المنشورات وألصقت في المساجد والشوارع دون أن يستطيع أحد أن يجهر بمعارضته. ويذكر سبط ابن الجوزي أن الشيخ عبد القادر اغتنم وجود الخليفة في المسجد وخاطبه من على المنبر قائلاً: وليت على المسلمين أظلم الظالمين وما جوابك غداً عند رب العالمين، فعزل الخليفة القاضي المذكور ولقد تكررت هذه المواقف مع الوزراء والرؤساء والحجاب، وتذكر المصدر التاريخية أن هؤلاء كانوا يستمعون لملاحظات عبد القادر لاعتقادهم بصلاحه وصدق أغراضه وكراماته!!.

وفي رواية: لما ولي المستنجد بالله (الملك العباسي الثاني والثلاثين)،أزال المكوس والضرائب، وقبض على ابن المرخم وسجنه مديدة، ثم أخرج من السجن ميتاً.وقد أخذ منه مالا كثيرا وأخذ كتبه فأحرق منها ما كان من علوم الفلاسفة.

---

(1) عبد القادرالجيلاني (الكيلاني، الجيلي، الجليل) ابن أبي صالح أبو محمد الجيلي، ولد سنة 470 هـ، ودخل بغداد فسمع الحديث وتفقه على أبي سعيد المخرمي الحنبلي، وقد كان بنى مدرسة ففوضها إلى الشيخ عبد القادر، فكان يتكلم على الناس بها، وكان له سمت حسن، وصمت غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان فيه تزهد كثير، ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات، ويذكرون عنه أقوالا وأفعالا ومكاشفات أكثرها مغالاة وزندقة، وقد كان صالحا ورعا، وقد صنف كتاب الغنية وفتوح الغيب، وذكر فيها أحاديث ضعيفة وموضوعة. توفي وله 90 سنة.

(2) محمد المقتفي لأمر الله أبو عبد الله بن المستظهر بالله أحمد بن المقتدي بالله جعفر بن المعتضد الهاشمي، العباسي، ولد سنة 489 هـ، وبويع له بعد خلع منصور الراشد بالله بيومين سنة 530 هـ وتوفي سنة 555 هـ.

(3) أبو الوفاء يحيى بن سعيد بن يحيى المظفر المعروف بابن المرخم ولاه المقتفي القضاء سنة 541 ثم عزله المستنجد عن القضاء لما ولي الخلافة سنة 555 هـ وكان ظالماً يأخذ الرشا.(في بعض النسخ اسمه : ابن المزخم ؟، ابن المرجم؟ ، ابن المزاحم؟)

أيها الإخوة، لقد مضى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولم يعرف عنهم أي سلوك يتميزون به غير اتباع الكتاب والسنة والتشرف بنسبتهم إلى ذلك، غير ملتفتين إلى التنطع في سلوكهم أو مخترعين طرائق ورهبانية مبتدعة. إلى أن أحدث أناس في الدين بدعة التصوف، منحرفين عن المنهج السليم، وراحوا يتخبطون في دوائر وهمية وفرق عديدة وأحزاب متناحرة كل حزب بما لديهم فرحون. وقد أخذ كل فريق منهم يعبر عن التصوف حسب ما يراه، ويطول سرد تلك المفاهيم والتعبيرات والأقوال التي صدرت عن أقطاب هؤلاء؛ كالجريري، والجنيد، وعمرو بن عثمان المكي، ومحمد بن علي القصاب، ومعروف الكرخي، والسهروردي، والشبلي، والشاذلي، والتجاني، والبسطامي، وابن عربي، وابن الفارض وغيرهم. قال حسان بن عطية: ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة. وقال عبد الله بن الديلمي: إن أول ذهاب الدين ترك السنة يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة. وروى شهاب، عن عمر بن عبد العزيز قال: سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه بعده سننا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستعمال لطاعة الله، ليس على أحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في رأي من خالفها، فمن اقتدى بها سبق هدي، ومن استبصر بها أبصر، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا. قال أبو عبد الله: سمعت شقيق بن إبراهيم يقول: خرجت من ثلثمائة ألف درهم وكنت مرابياً ولبست الصوف عشرين سنة وأنا لا أعلم، حتى لقيت عبد العزيز بن أبي رواد، فقال لي: يا شقيق ليس الشأن في أكل الشعير، ولا لباس الصوف والشعر، الشأن في المعرفة، وأن تعبد الله لا تشرك به. فقلت: فسر لي هذا؟ قال: يكون جميع ما تعمله لله خالصاً. ثم تلا: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف] قالت العلماء: من أقبح المنكرات وأكبر البدعات وأعظم المحدثات ما اعتاده أهل البدع من ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله. هؤلاء عبدة غير الله ما قدروا الله حق قدره، ولم يعلم هؤلاء السفهاء أن الشيخ لا يقدر على جلب نفع لأحد ولا دفع ضر عنه مقدار ذرة، فلم يستغيثون به ولم يطلبون الحوائج منه! أليس الله بكاف عبده! اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك أو نعظم أحدا من خلقك كعظمتك، ومنهم الذين يدعون الأنبياء والأولياء عند الحوائج والمصائب باعتقاد أن أرواحهم حاضرة تسمع النداء وتعلم الحوائج، وذلك شرك قبيح وجهل صريح، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [الأحقاف] يقول الفضيل: من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه. وقال مكحول الدمشقي: من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجاء فهو مرجىء ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد.

- يقول مؤسس علم الاجتماع، ابن خلدون رحمه الله: ومن هؤلاء المتصوفة: ابن عربي وابن سبعين وابن برجان وأتباعهم ممن سلك سبيلهم ودان بنحلتهم، ولهم تواليف كثيرة يتداولونها، مشحونة من صريح الكفر، ومستهجن البدع، وتأويل الظواهر لذلك على أبعد الحدود وأقبحها، مما يستغرب الناظر فيها نسبتها إلى الملة أو عدها في الشريعة، وليس ثناء أحد على هؤلاء حجة ولو بلغ المثني عسى ما يبلغ من الفضل لأن الكتاب والسنة أبلغ فضلاً أو شهادة من كل أحد، وأما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة وما يوجد من نسخها في أيدي الناس مثل الفصوص والفتوحات المكية لابن عربي، فالحكم في هذه الكتب وأمثالها، إذهاب أعيانها إذا وجدت بالتحريق بالنار والغسل بالماء حتى ينمحي أثر الكتاب.
- يقول الشيخ عبد الرحمان الوكيل رحمه الله: ويزعمون أن الصوفية جاهدت حتى نشرت الإسلام في بقاع كثيرة، ولقد علمت ما دين الصوفية؟ فما نشروا إلا أساطير حمقاء، وخرافات بلهاء، وبدعا بلقاء وشوهاء، ما نشروا إلا وثنية تؤله الحجر وتعبد الرمم ! ما نشروا دينهم إلا في حماية الغاصب المستعمر، وطوع هوى الغاصب المستعمر، فعدوّ الإسلام يوقن تماما: أن البدع هي الوسيلة التي تصل إلى الهدف دائما؛ لكي يقضوا بها على الإسلام وأهله فعلها قديما ويفعلها حديثا، واقرؤوا تاريخكم إن كنتم تمترون أروني صوفيا واحدا قاتل في سبيل الله؟ أروني صوفيا واحدا جالد الاستعمار أو كافحه أو دعا إلى ذلك؟ إن كل من نسب إليهم مكافحة الاستعمار – وهم قلة- لم يكافحوه إلا حين تخلى هو عنهم، فلم يطعمهم السحت في يديه و لم يبح لهم جميع الفتات من تحت قدميه و إلا حين قهرت فيهم عزّة الوطنية ذل الصوفية فقاتلوا حمية لا لدين.
- يقول د. عبد الوهاب المسيري رحمه الله: مما له دلالته أن العالم الغربي الذي يحارب الإسلام، يشجع الحركات الصوفية. ومن أكثر الكتب انتشارًا الآن في الغرب مؤلفات محيي الدين ابن عربي، وأشعار جلال الدين الرومي، وقد أوصت لجنة الكونغرس الخاصة بالحريات الدينية بأن تقوم الدول العربية بتشجيع الحركات الصوفية؛ فالزهد في الدنيا والانصراف عنها وعن عالم السياسة يضعف ولا شك صلابة مقاومة الاستعمارالغربي.
- يقول ابن تيمية رحمه الله: وأما الجهاد فالغالب عليهم أنهم أبعد من غيرهم، حتى نجد في عوام المؤمنين من الحب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحب والتعظيم لأمر الله والغضب والغيرة لمحارم الله ما لا يوجد فيهم. حتى أن كثيراً منهم يعدون ذلك (أي الجهاد) نقصاً في طريق الله وعيباً. وربما يظنون أن الذكر والتفكر والفناء والبقاء هو الأصل والأهم.

ومن الواضح أن أعداء الإسلام حينما ينظرون إلى الصوفية بعين الرضا والارتياح، فإنما ذلك لأجل هذه المواقف المتخاذلة التي وقفها أقطاب التصوف منهم، ولقد اتفقت دعوة الصوفية إلى ترك الجهاد مع كل الأفكار الخارجة عن منهج الله عز وجل؛ إذ ما من طائفة من تلك الطوائف إلا وكانت الدعوة إلى ترك الجهاد من أولويات اهتماماتها.يقول صلى الله عليه وسلم:﴿الْجِهَادُ مَاضٍ مُذْ بَعَثَنِيَ اللهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الدَّجَّالَ، لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ﴾.

أيها الإخوة المؤمنين، لقد تربى المسلمون الأوائل تربية جهادية، فهم مستعدون دائماً لمصاولة الباطل والدفاع عن الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ينفذون في ذلك سنن الله سبحانه وتعالى، فالشر لا بد من دفعه بالخير و إلا فسدت الأرض، وكان علماء السلف يرابطون في الثغور للجهاد، مثل الإمام أحمد بن حنبل والإمام عبد الله بن المبارك، وقصة ما كتبه ابن المبارك للفضيل بن عياض يعاتبه فيها على تفرغه للعبادة في مكة وعدم مشاركته في حماية الحدود الإسلامية هي قصة مشهورة، فما هو موقف الصوفية من هذا الموضوع المهم؟ استرسل الكثير من الصوفية مع القدر الكوني وفهموا هذه المسألة فهماً خاطئاً فظنوا أن الاستسلام لما يقدره الله من عدو أو مرض أو فقر هو من باب الرضى بالقضاء، ولذلك استكانوا للحكام الظلمة وقالوا: هذه إرادة الله وكيف نخالفها، فهم دائماً مع الحاكم سواء كان مؤمناً أم كافراً، ولم يعلموا أن قدر الله الكوني يدفع بالقدر الشرعي، فالمرض يدفع بالدواء، والعدو يدفع بالجهاد.. باستثناء بعض الحركات الإصلاحية في ليبيا والسودان التي تأثر بها المجاهد بوعمامة في الجزائر والشهيد عمر المختار في ليبيا، كانت الزوايا في شمال أفريقيا أهم عامل في نشر الخرافات وتخدير العامة وكنت سبب في ترك المدعو" الأمير" للجهاد ومعاهدته فرنسا ألا يرفع في وجهها سيفاً مادام حياً. فلا عجب أن يهتم اليوم أعداء المسلمين بالتصوف ويروجون له في مؤتمرات ويخصصون له صناديق مالية كصندوق السفراء الأمريكيين في وزارة الخارجية الأمريكية.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ عصر الدولة الزنكية/ موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام/ الاستقامة/ إحياء علوم الدي/ الدولة الزنكية/ وفيات الأعيان

◆ أبو المُطرف عبد الرحمن الناصر لدين الله (ثامن ملوك الدولة الأموية في الأندلس) والمنذر بن سعيد [141]

ذكرت كتب التاريخ أن الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر[1] أقبل على عمارة مدينة الزهراء (مدينة أندلسية) أيما إقبال، وأنفق من أموال الدولة في تشييدها، وزخرفتها ما أنفق، وكان يشرف بنفسه على شؤون البناء، والزخرفة حتى شغله ذاك ذات مرة عن شهود صلاة الجمعة، وكان منذر بن سعيد[2] رحمه الله يتولى خطبة الجمعة والقضاء، ورأى أن يلقي على الخليفة الناصر درسا بليغا يحاسبه فيه على إسرافه إنفاقه في مدينة الزهراء، خروج من تبعت التقصير فيما أوجبه الله على العلماء، فلما كان يوم الجمعة، أعتلى المنبر، والخليفة الناصر حاضر والمسجد غاص بالمصلين، وابتدأ خطبته قارئاً قول الله تعالى:﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء] حتى وصل في سرد الآيات في هذا الصدد إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء] ثم مضى في ذمي الإسراف على البناء بكل كلام جزل وقول شديد ثم تلا قول الله تعالى:﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة] وراح يحذر وينذر ويحاسب حتى ادكر من حضر من الناس وخشعوا، وأخذ الناصر من ذلك بأوفر نصيب، وقد علم أنه المقصود به، فبكى وندم على تفريطه. غير أن الخليفة لم يتحمل صدره لتلك المحاسبة العلنية، لشدة ما سمع. فقال لوده الحكم[3] شاكيا: والله لقد تعمدني منذر بخطبته، وما عنى به غيري. فأسرف عليّ وأفرط في تقريعي. ثم استشاط غيظا عليه متذكّرا كلماته وأراد أن يعاقبه لذلك !. ثم أقسم أن لا يصلي خلفه صلاة جمعة، وجعل يلزم صلاتها خلف أحمد بن مطرف، خطيب قرطبة. ولما رأى ولده الحكم تعلق والده بالزهراء والصلاة في مسجدها العظيم، قال له: فما الذي يمنعك من عزل منذر عن الصلاة به إذ كرهته !؟ ولكن الناصر جزره، قائلا: أمثل منذر بن سعيد في فضله وخيره وعلمه، لا أم لك، يعزل !؟ لإرضاء نفس ناكبة عن الرشد سالكة غير القصد؟، هذا لا يكون. وإني لأستحي من الله ألا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر بن سعيد في ورعه وصدقه ولكن أحرجني فأقسمت، ولا وددت أني أجد سبيلا إلى كفارة يميني بملكي، فليصلي منذر بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله، فما أظن أنا نعترض عنه أبداً. فلما اشتدت الجفوة بين الشيخ منذر بن سعيد والخليفة الناصر، أرد ولده الحكم أن يزيل ما بينهما، فاعتذر له عند الخليفة فقال: يا أمير المؤمنين إنه رجل صالح، وما أراد إلا خيرا، لو رأى ما أنفقت وحسن تلك البنية لعذرك. ويريد بالبنية تلك القبة التي بناها الناصر بالزهراء، واتخذ قراميدها من فضة، وبعضها مغش بالذهب. وجعل سقفها نوعين صفراء فاقعة إلى بيضاء ناصعة يستلب الأبصار شعاعها. فلما قال له ولده ذلك، أمر ففرشت بفرش الديباج، وجلس فيها لأهل دولته، ثم قال لقرابته، ووزراءه: أرأيتم أم سمعتم ملكا كان قبلي صنع مثل ما صنعت؟ فقالوا: لا والله، يا أمير المؤمنين، وإنك الأوحد في شانك. فبينما هم على ذلك، إذ دخل المنذر بن سعيد ناكساً رأسه، فلما أخذ مجلسه قال له ما قال لقرابته، فأقبلت دموع المنذر تنحدر على لحيته. وقال: والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان يبلغ منك هذا المبلغ، ولا أن تمكنه من قيادتك هذا التمكن مع ما آتاك الله وفضلك به على المسلمين حتى ينزلك منازل الكافرين. فاقشعر الخليفة من قوله، وقال له: أنظر ما تقول، كيف انزلني الله منازلهم!؟ فقال: نعم. أليس الله تعالى يقول:﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (33) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (34) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف] فوجم الخليفة، ونكس رأسه مليا، وجعلت دموعه تتحدر على لحيته، ثم أقبل على المنذر. وقال له: جزاك الله عني خير وعن الدين خير، فالذي قلت هو الحق. ثم قام من مجلسه، وأمر بنقض سقف القبة وأعاد قراميدها تراب صنعه على صفة غيرها.

---

(2) المنذر بن سعيد البلوطي، قاضي الجماعة بقرطبة، كان عالما فقيها، وأديا بليغا، وخطيبا مصقعا، متكلما بالحق، متينا بالصدق، له كتب مؤلفة في السنة والقرآن والورع والرد على أهل الاهواء والبدع، وله اليوم المشهور الذي ملا فيه الاسماع، وبهر القلوب بخطبته البليغة التي ارتجلها بين يدي الناصر في ذلك الجمع الحاشد المهيب، الذي أعده لاستقبال رسول ملك الروم، فأعجب به الناصر أيما إعجاب، فقال لابنه: والله لقد أحسن ما شاء، ولئن أخرني الله بعد لارفعن من ذكره، فضع يدك عليه، واستخلصه، وذكرني بشأنه، فما للصنيعة مذهب عنه، ثم ولاه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء. كانت ولادة المنذر بن سعيد سنة 273 هـ. ووفاته سنة 355 هـ.

(2) أبو المُطرف عبد الرحمن الناصر لدين الله، القائم بأمر الله، ولد سنة 277 هـ وتوفي سنة 355 هـ وهو ثامن ملوك الدولة الأموية في الأندلس التي أسسها عبد الرحمن الداخل بعد سقوط دولتهم في المشرق العربي، وأول ملوك قرطبة بعد أن أعلن الخلافة في قرطبة سنة 316 هـ

(3) الحكم المستنصر بالله، صاحب الأندلس أبو العاص ابن الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي.وهو تاسع أمراء الدولة الأموية في الأندلس وثاني ملوك الأندلس بعد أبيه عبد الرحمن الناصر لدين الله الذي أعلن الخلافة في الأندلس سنة 316 هـ. كان حسن السيرة، مكرما للقادمين عليه. جمع من الكتب ما لا يجد ولا يوصف كثرة ونفاسة. وقل ما نجد له كتابا من خزانته إلا وله فيه قراءة أو نظر في أي فن كان. ولد الحكم المستنصر بالله سنة 302هـ وتوفي بقصر قرطبة سنة 366 هـ.وولي الأمر بعده ابنه المؤيد بالله هشام، وسنه يومئذ 9 سنين، وقام بتدبير المملكة الحاجب أبو عامر محمد بن عبد الله بن أبي عامر العامري القحطاني الملقب بالمنصور، فكان هو الكل.

أيها الإخوة المؤمنون، إن هذا الخليفة الذي حاسبه ذلك العالم، كان من مشاهير خلفاء الإسلام، وأبطالهم، وهو الذي وطد أركان الإسلام في الأندلس غازي مجاهد، حتى يأس النصار من القتال في عهده فصالحه على جزية عظيمة، فامتلئت خزائنه، وعم الغنى في عهده، فكان محبا للإنشاء والإعمار، ومع مجده ذلك لم يرض عنه العالم العامل المنذر بن سعيد، فما موقف علماء الإسلام اليوم من هؤلاء الذين عاثوا مفسدين في مال الله، ينفقون في كل وجه حرمه الله، ويدفعون ألوان الجزية لكفار الشرق والغرب من أجل الحفاظ على عروشهم، صباح مساء حتى بدلوا نعم الله كفر، وأحلوا قومهم دار البوار..

قال الله تعالى:﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران]﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل]﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿إِنَّ اللهُ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تُفَرِّقُوا وَأَنْ تُنَاصِحُوا مِنْ وَلَاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ﴾ وعن جرير، قال:﴿بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَلَقَّنَنِي، فِيمَا اسْتَطَعْتُ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ﴾ وعن مقدام بن شريح بن هانئ، قال: سمعت أبي، يحدث، عن أم المؤمنين عائشة، أنه سمعها تقول:﴿كُنْتُ عَلَى بَعِيرٍ صَعْبٍ، فَجَعَلْتُ أَضْرِبُهُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، فَإِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْتَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ﴾ وعن عبد الله بن المبارك قال:﴿كَانَ الرَّجُلُ إِذَا رَأَى مِنْ أَخِيهِ مَا يَكْرَهُ أَمَرَهُ فِي سِرٍّ وَنَهَاهُ فِي سِرٍّ فَيُؤْجَرُ فِي سَتْرَهُ وَيُؤْجَرُ فِي نَهْيِهِ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِذَا رَأَى أَحَدٌ مِنْ أَحَدٌ مَا يَكْرَهُ اِسْتَغْضَبَ أَخَاهُ وَهَتَكَ سَتْرَهُ﴾ النصيحة تصلح مع حاكم يخطئ في شيء مما يسوس به الرعية، لا مع الطواغيت الذين إذا استرحموا لم يرحموا وإذا نصحوا لم ينتصحوا، وعسكر العرب من هؤلاء الذين طغوا وتجبروا وقتلوا وكفروا، وحاربوا الله ورسوله. قال صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ﴾ (لا يرحم) المخلوقات (لا يرحم) من قبل الخالق جل وعلا. قال الله تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة].

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح /بمسند أحمد/ صحيح مسلم/ المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا/ سير أعلام النبلاء

◆ أبو العاصي الحكم بن هشام الأموي، الحكم الربضي (ثالث ملوك الدولة الأموية في الأندلس) والفرج بن كنانة [142]

كان الأمير الحكم بن هشام[1] قد استخلص الفرج بن كنانة[2] وولاّه قضاء الجماعة بقرطبة. وكان هو القاضي بها أيام الهرج المعروف بوقيعة الربض، ومما جرى له حينئذ أن بعض أصحاب الحكَم الذين أرسلهم على الناس تعلقوا بجار الفرج بن كنانة، اتهموه بالحركة في الصبح وتسوَّروا عليه، وصاح نساؤه فسمع القاضي الصراخ فقال: ما هذا؟ فقيل: جارك فلان تعلَّق به الحرس فأخرجوه ليقتل. فبادر الخروج وكفَّ القوم عن جاره وقال لهم: إن جاري هذا بريء الساحة سليم الناحية وليس فيه شيءٌ مما تظنون. فقال له رئيس الحرس المرسل معهم: ليس هذا من شأنك، فعليك بالنظر في أحباسك وحكومتك ودعْ ما لا يعنيك. فغضب الفرج عند ذلك ومشى إلى الأمير الحكَم فاستأذن عليه، فلمَّا دخل قال له بعد السلام: أيها الأمير، إن قريشًا حاربَت رسول الله صلى الله عليه وسلم وناصبته العداوة في الله تعالى ثم إنه صفح عنهم لما أظفره الله تعالى بهم وأحسن إليهم، وأنت أحق الناس بالاقتداء به؛ لقرابتك منه ومكانك من خلافته في عباد الله. ثم حكى له قصة جاره، وما عرض له في الدفاع عنه، فأمر بتخلية سبيله وبعقاب الناظر الذي عارض القاضي وعفا عند ذلك عن بقية أهل قرطبة، وبسط الأمان بجماعتهم وردهم إلى أوطانهم، وكان هذا القاضي فارسًا شجاعًا يقود الخيل ويتصرَّف للسلطان في الولايات، وكان له قدر جليل في الناس. وقد غزا مع عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث[3] ،معقودا له على جند شذونه بلده، إلى جليقية* وقدمه عبد الكريم إلى جمع النصرانية؛ فعضهم؛ وقتل فيهم قتلا ذريعا. وبقي قاضيا وصاحب صلاة زمانا. ثم استعفى. وأخرجه الأمير إلى الثغر الأقصى؛ فقام مقام صدور الغزاة. وكان له قدر جليل في الناس.

*(جليقية) منطقة تقع في شمال غرب إسبانيا.

---

(1) أبو القاسم فرج بن كنانة بن نزار بن غسان بن مالك بن كنانة الكناني، من أهل شذونة، كان من أهل العلم والعبادة، رحل إلى المشرق طلبا للعلم، وسمع من عبد الرحمن بن القاسم وغيره. وبعد عودته ولاه الأمير الحكم الربضي قضاء الجماعة بقرطبة وذلك سنة 198هـ فمكث في منصبه إلى أن استعفى منه سنة 200هـ، وكان له الأثر العظيم في الأمان الذي بذله الأمير الحكم الربضي لأهل الربض، وقد كان الفرج فارسا شجاعا، ولذا فقد قاد الجيوش في أعمالها العسكرية في الثغور، كما تولى الحكم في سرقسطة فأصلح الله به أحوال أهلها.

(3) عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، المتوفي سنة 209 هـ الذي تولى الحجابة معظم إمارة الحكم بن هشام وثلاث سنوات من إمارة ابنه عبد الرحمن الأوسط فقد قال عنه ابن القوطية: لم يختلف مختلف من شيوخ الأندلس أنه لم يخدم بني أمية بالأندلس أكرم منه عناية وأكثر طاعة ... إلا أنه كان يقبل الهدية والمكافأة على قضاء الحاجة. ووصفه الرازي بأنه: أكمل من حمل هذا الاسم وأجمعهم لكل حسنة. ويرى ليفي بروفينسال أنه: أعظم رجال دولة الحكم على الإطلاق، فقد كان يجمع خصالا لم تكن تتوفر للكثيرين من رجال الدولة في عصره، فقد كان عسكريا ممتازا، وسياسيا محنكا، وكاتبا أديبا عالما.

(2) الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، ملك الأندلس؛ ولي الأمر بعد والده، ولقب نفسه بالمرتضى، ويلقب بالربضي لايقاعه بأهل الربض، ولد سنة 154 هـ ونشأ بقرطبة. توفى سنة 206 هـ. وقام بعده ولده أبو المطرف عبد الرحمن.

عن أبي فراس، قال: خَطَبَ عمر ابن الخطاب، فقال:﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي وَاللهِ مَا أُرْسِلُ عُمَّالِي إِلَيْكُمْ لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَكُمْ، وَلا لِيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ، وَلَكِنِّي أُرْسِلُهُمْ إِلَيْكُمْ لِيُعَلِّمُوكُمْ دِينَكُمْ وَسُنَّتَكُمْ، فَمَنْ فُعِلَ بِهِ شَيْءٌ سِوَى ذَلِكَ فَلْيَرْفَعْهُ إِلَيَّ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِذًا لَأُقِصَّنَّهُ مِنْهُ، فَوَثَبَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى رَعِيَّةٍ، فَأَدَّبَ بَعْضَ رَعِيَّتِهِ، أَئِنَّكَ لَمُقْتَصُّهُ مِنْهُ؟ قَالَ: إِي وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ، إِذًا لَأُقِصَّنَّهُ مِنْهُ، أَنَّى لا أُقِصَّنَّهُ مِنْهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقِصُّ مِنْ نَفْسِهِ؟ أَلا لا تَضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ فَتُذِلُّوهُمْ، وَلا تُجَمِّرُوهُمْ فَتَفْتِنُوهُمْ، وَلا تَمْنَعُوهُمْ حُقُوقَهُمْ فَتُكَفِّرُوهُمْ، وَلا تُنْزِلُوهُمُ الْغِيَاضَ فَتُضَيِّعُوهُمْ﴾.

قال ابن الأثير:[1] ذكر وقعة الربض بقرطبة، سنة 198 هـ ،وسببها أن الحكم بن هشام الأموي، صاحبها، كان كثير التشاغل باللهو والصيد والشرب، وغير ذلك مما يجانسه، وكان قد قتل جماعة من أعيان قرطبة، فكرهه أهلها، وصاروا يتعرضون لجنده بالأذى والسب، إلى أن بلغ الأمر بالغوغاء أنهم كانوا ينادون عند انقضاء الأذان: الصلاة يا محمور الصلاة ، وشافهه بعضهم بالقول، وصفقوا عليه بالأكف، فشرع في تحصين قرطبة وعمارة أسوارها، وحفر خنادقها، وارتبط الخيل على بابه، واستكثر المماليك، ورتب جعا لا يفارقون باب قصره بالسلاح، فزاد ذلك في حقد أهل قرطبة، وتيقنوا أنه يفعل ذلك للانتقام منهم. ثم وضع عليهم عشر الأطعمة كل سنة، من غير حرص، فكرهوا ذلك، ثم عمد إلى عشرة من رؤساء سفهائهم، فقتلهم وصلبهم، فهاج لذلك أهل الربض، وانضاف إلى ذلك أن مملوكا له سلم سيفا إلى صيقل ليصقله، فمطله، فأخذ المملوك السيف، فلم يزل يضرب الصيقل به إلى أن قتله، وذلك في رمضان من هذه السنة. فكان أول من شهر السلاح أهل الربض، واجتمع أهل الأرباض جميعهم بالسلاح، واجتمع الجند والأمويون والعبيد بالقصر، وفرق الحكم الخيل والأسلحة، وجعل أصحابه كتائب، ووقع القتال بين الطائفتين فغلبهم أهل الربض، وأحاطوا بقصره، فنزل الحكم من أعلى القصر، ولبس سلاحه، وركب وحرض الناس، فقاتلوا بين يديه قتالا شديدا. ثم أمر ابن عمه عبيد الله، فثلم في السور ثلمة، وخرج منها ومعه قطعة من الجيش، وأتى أهل الربض من وراء ظهورهم، ولم يعلموا بهم، فأضرموا النار في الربض، وانهزم أهله، وقتلوا مقتلة عظيمة، وأخرجوا من وجدوا في المنازل والدور، فأسروهم، فانتقى من الأسرى ثلاثمائة من وجوههم، فقتلهم، وصلبهم منكسين، وأقام النهب والقتل والحريق والخراب في أرباض قرطبة ثلاثة أيام. ثم استشار الحكم عبد الكريم بن عبد الواحد بن عبد المغيث، ولم يكن عنده من يوازيه في قربه، فأشار عليه بالصفح عنهم والعفو، وأشار غيره بالقتل، فقبل قوله، وأمر فنودي بالأمان على أنه من بقي من أهل الربض بعد ثلاثة أيام قتلناه وصلبناه، فخرج من بقي بعد ذلك منهم مستخفيا، وتحاملوا على الصعب والذلول خارجين من حضرة قرطبة بنسائهم وأولادهم، وما خف من أموالهم، وقعد لهم الجند والفسقة بالمراصد ينهبون، ومن امتنع عليهم قتلوه. فلما انقضت الأيام الثلاثة أمر الحكم بكف الأيدي عن حرم الناس، وجمعهن إلى مكان، وأمر بهدم الربض القبلي. وكان بزيع مولى أمية ابن الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام محبوسا في حبس الدم بقرطبة، في رجليه قيد ثقيل، فلما رأى أهل قرطبة قد غلبوا الجند، سأل الحرس أن يفرجوا له، فأخذوا عليه العهود إن سلم أن يعود إليهم، وأطلقوه، فخرج فقاتل قتالا شديدا لم يكن في الجيش مثله، فلما انهزم أهل الربض عاد إلى السجن، فانتهى خبره إلى الحكم، فأطلقه وأحسن إليه، (وقد ذكر بعضهم هذه الوقعة سنة 202 هـ).

أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب عز الدين، ولد بجزيرة ابني عمر سنة 555 هـ .وتوفي بالموصل سنة 630 هـ. من مؤلفاته: الكامل في التاريخ، وكتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة.

مراجع: السنن الكبرى للبيهقي/ مسند أحمد / المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا/ نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس/ قضاة قرطبة/ تاريخ ابن خلدون/ الكامل في التاريخ/ وفيات الأعيان

◆ أبو المطرف عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الأموي، صقر قريش، عبد الرحمن الداخل (أول ملوك الدولة الأموية في الأندلس) ونصر بن طريف اليحصبي [143]

دخل حبيب القرشي على الأمير عبد الرحمن بن معاوية [1] فشكى إليه القاضي، وذكر أنه يريد أن يسجِّل عليه في ضيعة قسيم فيها، وادَّعى عليه الاغتصاب لها ولاذَ بالأمير من إسراع القاضي إلى الحكْم عليه من غير تثبُّت، فأرسل الأمير إليه وكلمه في حبيب ونهاه عن العجلة عليه، فخرج ابن ظريف (ابن طريف) [2] من يومه، وعمل بضدِّ ما أراد الأمير وأنفذ الحكم، وبلغ الخبر حبيبًا فدخل إلى الأمير ممتلئًا غيظًا، فذكر له ما عمله القاضي ووصفه بالاستخفاف بأمره والنقْض له وأغراه؛ فغضب الأمير على القاضي واستحضره. فقال له: مَن أمرك على أن تنفذ حكمًا وقد أمرتك بتأخيره والأناة به؟ فقال له: قدمني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنما بعثه الله بالحق ليقضي به على القريب والبعيد والشريف والدنيء، وأنت أيها الأمير ما الذي حملك على أن تتحامل لبعض رعيتك على بعض، وأنت تجد مندوحة (سعة) بأن ترضي من مالك مَن تُغْنَى به وتمدُّ الحق لأجله؟ فقال له: جزاك الله يا ابن ظريف خيرًا. وخرج القاضي فدعا بالقوم الذي صارت الضيعة إليهم بالاستحقاق، وكلَّمهم فوجدهم راضين ببيعها إن أجزل لهم الثمن، فعقد فيها البيع معهم وصارت إلى حبيب، فكان بعد ذلك يقول: جزى الله ابن ظريف عنَّا خيرًا، كانت بيدي ضيعة حرام فجعلها حلالاً. وكان هذا القاضي من زهده وورعه إذا شُغِل عن القضاء يومًا واحدًا لم يأخذ لذلك اليوم أجرًا.

➔ (2) نصر بن طريف اليحصبي مولى عبد الرحمن بن معاوية وطريف معتق لمعاوية والد عبد الرحمن يكنى أبا الفتح كذا قال فيه أبو عبد الملك بن عبد البر وقال ابن حارث هو عبد الرحمن بن طريف قدمه عبد الرحمن بن معاوية للقضاء بقرطبة لما خبر منه من العلم والفهم فكان يستقضيه عاما ومعاوية بن صالح عاما وكان ابن طريف ورعا إذا شغل عن القضاء يوما لم يأخذ لذلك اليوم أجرا وتوفي في أول ولاية الأمير هشام ، ذكره ابن الفرضي في باب عبد الرحمن مختصرا.

➔ (1) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي. الأمير الأموي المرواني الداخل إلى الأندلس. المعروف بلقب صقر قريش وعبد الرحمن الداخل، وعبد الرحمن الأول. ولد بدمشق سنة 113 هـ وتوفي بقرطبة سنة 172 هـ وهو أول من تملك الأندلس، وذلك أنه هرب وانفلت من بني العباس عند استيلائهم، وأبعد إلى المغرب، فروى جابر بن عبد الله الأندلسي أن عبد الرحمن بن معاوية لما سار هاربا من مصر صار إلى أرض برقة، فأقام بها خمس سنين، ثم رحل منها يريد الأندلس، فدخل بدر مولاه يتجسس عن الأخبار، فقال للمضرية: لو وجدتم رجلا من أهل الخلافة أكنتم تبايعونه؟ قالوا: وكيف لنا بذلك؟ فقال بدر: هذا عبد الرحمن بن معاوية فاتتوه فبايعوه، فولي عليهم 33 سنة، ثم ولي ابنه من بعده. وكان يوسف الفهري آخر ولاة الأندلس إلى أن دخل عبد الرحمن بن معاوية سنة 139 هـ

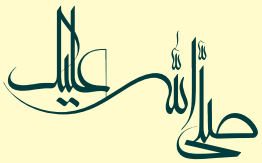

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿النَّاسُ كَالْإِبِلِ الْمِائَةِ لَا تَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً﴾ هذا الحديث قد يتأول على أن الناس في أحكام الدين سواء لا فضل فيها لشريف على مشروف ولا لرفيع منهم على وضيع كالإبل المائة لا تكون فيها راحلة وهي الذلول التي ترحل وتركب وجاءت فاعلة بمعنى مفعولة. عن أبي رواحة يزيد بن أيهم قال:﴿كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى النَّاسِ: اجْعَلُوا النَّاسَ عِنْدَكُمْ فِي الْحَقِّ سَوَاءً قَرِيبُهُمْ كَبَعِيدِهِمْ وَبَعِيدُهُمْ كَقَرِيبِهِمْ وَإِيَّاكُمْ وَالرِّشَا وَالْحُكْمَ بِالْهَوَى وَأَنْ تَأْخُذُوا النَّاسَ عِنْدَ الْغَضَبِ فَقُومُوا بِالْحَقِّ وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ وعن الشعبي، قال:﴿خَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى السُّوقِ فَإِذَا هُوَ بِنَصْرَانِيٍّ يَبِيعُ دِرْعًا، قَالَ: فَعَرَفَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الدِّرْعَ فَقَالَ: هَذِهِ دِرْعِي، بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَاضِي الْمُسْلِمِينَ، قَالَ: وَكَانَ قَاضِيَ الْمُسْلِمِينَ شُرَيْحٌ، كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اسْتَقْضَاهُ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَى شُرَيْحٌ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَامَ مِنْ مَجْلِسِ الْقَضَاءِ، وَأَجْلَسَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي مَجْلِسِهِ وَجَلَسَ شُرَيْحٌ قُدَّامَهُ إِلَى جَنْبِ النَّصْرَانِيِّ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَمَا يَا شُرَيْحُ لَوْ كَانَ خَصْمِي مُسْلِمًا لَقَعَدْتُ مَعَهُ مَجْلِسَ الْخَصْمِ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا تُصَافِحُوهُمْ، وَلَا تَبْدَؤُوهُمْ بِالسَّلَامِ، وَلَا تَعُودُوا مَرْضَاهُمْ وَلَا تُصَلُّوا عَلَيْهِمْ، وَأَلْجِئُوهُمْ إِلَى مَضَايِقِ الطُّرُقِ، وَصَغِّرُوهُمْ كَمَا صَغَّرَهُمُ اللهُ اقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ يَا شُرَيْحُ، فَقَالَ شُرَيْحٌ: تَقُولُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هَذِهِ دِرْعِي ذَهَبَتْ مِنِّي مُنْذُ زَمَانٍ، قَالَ: فَقَالَ شُرَيْحٌ: مَا تَقُولُ يَا نَصْرَانِيُّ؟ قَالَ: فَقَالَ النَّصْرَانِيُّ: مَا أُكَذِّبُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، الدِّرْعُ هِيَ دِرْعِي قَالَ: فَقَالَ شُرَيْحٌ: مَا أَرَى أَنْ تُخْرَجَ مِنْ يَدِهِ، فَهَلْ مِنْ بَيِّنَةٍ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: صَدَقَ شُرَيْحٌ، قَالَ: فَقَالَ النَّصْرَانِيُّ: أَمَّا أَنَا، أَشْهَدُ أَنَّ هَذِهِ أَحْكَامُ الْأَنْبِيَاءِ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَجِيءُ إِلَى قَاضِيهِ، وَقَاضِيهِ يَقْضِي عَلَيْهِ هِيَ وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دِرْعُكَ، اتَّبَعْتُكَ مِنَ الْجَيْشِ وَقَدْ زَالَتْ عَنْ جَمَلِكَ الْأَوْرَقِ، فَأَخَذْتُهَا، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، قَالَ: فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَمَّا إِذَا أَسْلَمْتَ فَهِيَ لَكَ، وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ عَتِيقٍ﴾ قال: فقال الشعبي: لقد رأيته يقاتل المشركين هذا لفظ حديث أبي زكريا، وفي رواية ابن عبدان قال: يا شريح، لولا أن خصمي نصراني لجثيت بين يديك، وقال في آخره: قال: فوهبها علي رضي الله عنه له، وفرض له ألفين، وأصيب معه يوم صفين.

مراجع: السنن الكبرى للبيهقي/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ التكملة لكتاب الصلة

◆ السلطان جلال الدولة أبو طاهر فيروزجرد بن بهاء الدولة (الدولة البويهية في زمن الخامس والسادس والعشرون من ملوك الدولة العباسية) وعلي بن حبيب [144]

كان أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب[1] البصري الماوردي صريحًا لا يحابي، ولما سأل جلال الدولة ابن بويه[2] الخليفة أن يزيد في ألقابه لقب شاهنشاه؛ أي: ملك الملوك اختلف فقهاء بغداد في جواز التلقُّب بهذا اللقب، فأفتى فريق منهم بجوازه كالقاضي أبي الطيب الطبري[3]،وأفتى الماوردي بأنه لا يجوز وقطع ما كان بينه وبين جلال الدولة من علائق المودة والصداقة فطلبه جلال الدولة وخاطبه بقوله: أنا أتحقق أنك لو حابيت أحدًا لحابيتني لما بيني وبينك وما حملك إلا الدين، فزاد بذلك محلك عندي.

---

(1) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، المعروف بالماوردي، الفقيه الشافعي؛ كان من وجوه الفقهاء الشافعية ومن كبارهم، أخذ الفقه عن أبي القاسم الصيمري بالبصرة، ثم عن الشيخ أبي حامد الإسفرايني ببغداد، وكان حافظاً للمذهب وله فيه كتاب الحاوي الذي لم يطالعه أحد إلا وشهد له بالتبحّر والمعرفة التامة بالمذهب. وفوّض إليه القضاء ببلدان كثيرة، واستوطن بغداد في درب الزّعفراني وروى عنه الخطيب أبو بكر صاحب تاريخ بغداد وقال: كان ثقة. توفي يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول سنة 450 هـ ودفن من الغد في مقبرة باب حرب ببغداد، وعمره 86 سنة. وله من التصانيف غير الحاوي، وقيل: إنه لم يظهر شيئاً من تصانيفه في حياته، وإنما جمع كلها في موضع، فلما دنت وفاته قال لشخص يثق إليه: الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي، وإنما لم أظهرها لأني لم أجد نية خالصة لله تعالى لم يشبها كدر، فإن عاينت الموت ووقعت في النزع فاجعل يدك في يدي، فإن قبضت عليها وعصرتها فاعلم أنه لم يقبل مني شيء منها، فاعمد إلى الكتب وألقها في دجلة ليلاً، وإن بسطت يدي ولم أقبض على يدك فاعلم أنها قبلت وأني قد ظفرت بما كنت أرجوه من النية الخالصة. قال ذلك الشخص: فلما قارب الموت وضعت يدي في يده فبسطها ولم يقبض على يدي، فعلمت أنها علامة القبول، فأظهرت كتبه بعده.

(2) فيروزجرد، الملك جلال الدولة، أبو طاهر ابن الملك بهاء الدولة أبي نصر ابن الملك عضد الدولة أبي شجاع ابن الملك ركن الدولة ابن بويه الديلمي.صاحب بغداد من البويهيين، ملكها 17 سنة، تولى الملك سنة 416 هـ توفي سنة 435 هـ. وقام بعده ابنه الملك العزيز أبو منصور.

(3) أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري القاضي الفقيه الشافعي؛ كان ثقة، يقول الشعر على طريقة الفقهاء.ولد بآمل سنة 348 هـ استوطن بغداد وولي القضاء بربع الكرخ بعد موت أبي عبد الله الصيمري، ولم يزل على القضاء إلى حين وفاته سنة 450 هـ، ببغداد، ودفن في مقبرة باب حرب وصلي عليه في جامع المنصور. قيل عاش 102 سنة، لم يختل عقله ولا تغير فهمه، يفتي ويستدرك على الفقهاء الخطأ ويقضي ببغداد ويحضر المواكب في دار الخلافة إلى أن مات.

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ اللهَّ تَعَالِي يَقُولُ: أَنَا اللهُّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا مَالِكُ الْمُلُوكِ، وَمَلِكُ الْمُلُوكِ، قُلُوبُ الْمُلُوكِ فِي يَدِي، وَإِنَّ الْعِبَادَ إِذَا أَطَاعُونِي؛ حَوَّلْتُ قُلُوبَ مُلُوكِهِمْ عَلَيْهِمْ بِالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ، وَإِنَّ الْعِبَادَ إِذَا عَصَوْنِي حَوَّلْتُ قُلُوبَهُمْ بِالسُّخْطَةِ وَالنِّقْمَةِ فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ فَلَا تَشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِالدُّعَاءِ عَلَى الْمُلُوكِ وَلَكِنِ اشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِالذِّكْرِ وَالتَّضَرُّعِ كَيْ أَكْفِيَكُمْ مُلُوكَكُمْ﴾ وعن سليمان بن محمد عن عمر بن نافع، عن أبيه، قال: قال عبد الله بن عمر: رأيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم قائما على هذا المنبر، يعني: منبر رسول الله، وهو يحكي ربه تعالى، فقال: ﴿إِنَّ اللهَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، جَمَعَ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي قَبْضَتِهِ، ثُمَّ قَالَ هَكَذَا وَشَدَّ قَبْضَتَهُ ثُمَّ بَسَطَهَا، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا اللهُّ، أَنَا الرَّحْمَنُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْقُدُّوسُ، أَنَا السَّلَامُ، أَنَا الْمُهَيْمِنُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الَّذِي بَدَأْتُ الدُّنْيَا وَلَمْ تَكُ شَيْئًا، أَنَا الَّذِي أُعِيدُهَا، أَيْنَ الْمُلُوكُ؟ أَيْنَ الْجَبَابِرَةُ﴾ حدث سعيد بن المسيب، أن أبا هريرة، كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَقْبِضُ اللهُّ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟﴾ وعن أبي هريرة: ﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ لِلْآخَرِ: يَا شَاهَانْ شَاهْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهُّ مَلِكُ الْمُلُوكِ﴾ وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ، رَجُلٍ كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللهُ﴾ ولقد أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على من خاطبه بقوله﴿مَا شَاءَ اللهُّ وَشِئْتَ. فَقَالَ: أَجَعَلْتَنِي للهِّ نِدًّا؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللهُّ وَحْدَهُ﴾ روي أن أبا بكر الصديق قال في بعض خطبه:﴿إن المَلِك إِذَا مَلَكَ زهدَهُ اللهَّ فِي مِلكِهِ وَرَغَبه فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَأَشْرَب قَلْبَهُ الإِشْفَاق فَهُوَ يَحْسُدُ عَلَى القَلِيلِ وَيسْخط عَلَى الكَثِيرِ جَدَّلَ الظَّاهِر حَزِين البَاطِنُ فَإِذَا وَجَبَتْ نَفْسُهُ وَنَضَبَ عُمْرُهُ وَضَحَا ظِلُّهِ حَاسَبَهُ اللهُ فَأَشَد حِسَابه وَأَقَلَّ عَفْوَه﴾ وعن يحيى بن أبي كثير، أن أبا بكر الصديق، كان يقول في خطبته: أين الوضاء الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا، النجاء النجاء.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ سراج الملوك/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ وفيات الأعيان/ تاريخ بغداد

◆ السلطان جلال الدولة ملك شاه (سلاجقة العراق زمن السابع والعشرون من ملوك الدولة العباسية) وأبو الوفاء ابن عقيل [145]

كان أبو الوفاء علي بن عقيل [1] الحنبلي البغدادي أحد العلماء الأعلام، وكان من الصادعين بالحق الناصحين للملوك والأمراء والعامة، لا يتردَّد إذا رأى منكرًا أن يغيره، ويبادر بتنبيه الملوك والأمراء إلى الإصلاح والنهج السليم، وله في هذا المجال أشياء كثيرة، وله هَيبة وكلمة مسموعة ونصحه مقبول. فقد كتب إلى السلطان جلال الدولة [2](ملك شاه) وكانت الباطنية أفسدوا عقيدته، وبيَّن له فساد أقوالهم وبطلان مذهبهم، واستحسن السلطان قوله ولعن أولئك المفسدين. وكتب مرَّة إلى أبي شجاع [3] وزير الخليفة المقتدي [4] يوضح له مضار الوسواس وتجاوز الحد، مورِدًا الأدلة الجلية، ناصحًا له عمَّا هو فيه من ذلك. وكتب مرة إلى قاضي القضاة أبي الحسن بن الدامغاني [5] رسائل تتضمَّن توبيخه على تقصيرٍ وقع منه في حقه، وكتب إلى الوزير عميد الدولة ابن جهير لما بنى سور بغداد وأظهر العوام في الاشتغال ببنائه المنكرات: لولا اعتقاد صحة البعث، وأن لنا دارًا أكون فيها على حال أحمدها لما نصبت نفسي إلى مالك عصري، وعلى الله أعتمد في جميع ما أورده بعد أن أشهده أني محب متعصِّب، لكن إذا تقابل دين محمد ودولة بني جهير فوالله ما أردت هذه بهذه، ولو كنت كذلك كنت كافرًا، فقلت: إن هذا الحرق الذي جرى بالشريعة لمناصبة واضعها، فما بالنا نعقد الختمات ورواية الأحاديث فإذا نزلت بنا الحوادث تقدمنا بجميع الختمات والدعاء عقيبها، ثم بعد ذلك طبول وصواني، ومخانيث وخيال، وكشف عورات الرجال مع حضور النساء وإسقاطًا لحكم الله تعالى. وما عندي يا شرف الدين أن تقوم بسخطة من سخطات الله تعالى ترى بأي وجه تلقى محمدًا صلَّى الله عليه وسلَّم؟ بل لو رأيته في المنام مقطبًا كان ذلك يزعجك في يقظتك، وأي حرمة تبقى لوجوهنا وأيدينا وألسنتنا عند الله إذا وضعنا الجباه ساجدة له ؟ ثم كيف تطالب الأجناد بتقبيل عتبة ولثم ترابها، وتقيم الحد في دهليز الحريم صباحًا ومساء على قدح نبيذ مختلَف فيه، ثم تمرح العوام في المسكر المجمع على تحريمه، هذا مضافًا إلى الزنا الظاهر بباب بدر، ولبس الحرير على جميع المتعلقين والأصحاب، يا شرف الدين اتقِ سخط الله فإن سخطه لا يقاومه سماء ولا أرض، وإن فسدت حالي بما قلت فلعل الله يلطف بي ويكفيني هوائج الطباع، ثم لا تلمنا على ملازمة البيوت والاختفاء عن العوام؛ لأنهم إن سألونا لم نقل إلا ما يقتضي الإعظام لهذه القبائح والإنكار لها والنياحة على الشريعة، أترى لو جاءت معتبة من الله سبحانه في منام أو على لسان نبي لو كان للوحي نزول أو ألقي إلى روع مسلم بإلهام هل كانت إلا إليك؟ فاتقِ الله تقوى مَن علم بمقدار سخطه فقد قال الله تعالى:﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف] وقد ملأتكم في عيونكم مدائح الشعراء ومداجاة المتموِّلين بدولتكم الأغنياء الأغبياء الذين خسروا الله فيكم، فحسَّنوا لكم طرائقكم، والعاقل مَن عرف نفسه ولا يغرُّه مدح مَن لا يخبرها.

---

(1) أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي، الظفري، الحنبلي، الفقيه البغدادي. كان مولده سنة 431 هـ . ومات سنة 513 هـ . سمع أبا بكر بن بشران، وأبا الفتح بن شيطا، وأبا محمد الجوهري، والحسن بن غالب المقرئ، والقاضي أبا يعلى بن الفراء، وتفقه عليه. وأخذ علم العقليات عن شيخي الاعتزال: أبي علي بن الوليد، وأبي القاسم بن التبان صاحبي أبي الحسين البصري، فانحرف عن السنة.

(2) السلطان جلال الدولة ملك شاه، أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، الملقب جلال الدولة. ولد سنة 447 هـ تولى الملك سنة 465 هـ وتوفي سنة 485 هـ.

(4) أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله المقتدي بأمر الله الملك العباسي السابع والعشرون. ولد بعد وفاة أبيه بستة أشهر سنة 448 هـ. وبويع له عند موت جده القائم بأمر الله، وتوفى سنة 487 هـ.

(3) محمد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم، الوزير ظهير الدين أبو شجاع الروذراوري وزر للمقتدي بالله بعد عزل عميد الدولة منصور بن جهير سنة ست وسبعين، وصرف سنة أربع وثمانين، وأعيد ابن جهير، حج وجاور بالمدينة إلى أن مات بها كهلا. سنة 488 هـ وكان دينا عالما.

(5) أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسن الدامغاني الحنفي، ولد في بغداد سنة 446 هـ، وولي القضاء بعد أبي بكر الشامي إلى أن توفي. وشهد عند والده وسنه 17 سنة فولاه يومئذ قضاء باب الطاق ولم يسمع أن قاضيا ولي في هذه السن وناب في الوزارة أيام المستظهر والمسترشد وقام بأخذ البيعة وعقدها للمسترشد ولا يعلم قاض ولي لأربعة من الملوك العباسيين غيره وغير شريح. توفي سنة 513 هـ ودفن في مقبرة الخيزران في بغداد.

يقول أبو بكر الطرطوشي: وكما أنه ليس فوق رتبة السلطان العادل رتبة كذلك ليس فوق رتبة السلطان الشرير رتبة لشره لأن شره يعم وكما أن بالسلطان العادل تصلح البلاد والعباد كذلك بالسلطان الجائر تفسد البلاد والعباد وتقترف المعاصي والآثام وكذلك السلطان إذا عدل انتشر العدل في الرعية فأقاموا الوزن بالقسط وتعاطوا الحق فيما بينهم ولزموا قوانين العدل فمات الباطل وذهبت رسوم الجور فأرسلت السماء غيثها وأخرجت الأرض بركاتها ونمت تجاراتهم وزكت زروعهم وتناسلت أنعامهم ودرت أرزاقهم ورخصت أسعارهم فواسى البخيل وأفضل الكريم وقضيت الحقوق وأعبرت المواعين وتهادوا فضول الأطعمة والتحف فهان كل الحطام لكثرته وذل بعد عزته فتماسكت على الناس مروءاتهم وحفظت عليهم أديانهم وبهذا يتبين لك أن الوالي مأجور على ما يتعاطاه من إقامة العدل وعلى ما يتعاطاه الناس بسببه.

وإذا جار السلطان انتشر الجور في البلاد وعم العباد فرقت أديانهم واضمحلت مروءاتهم وقست قلوبهم وفشت فيهم المعاصي وذهبت أماناتهم فضعفت النفوس وقنطت القلوب فضعفوا عن إقامة الحق فتعاطوا الباطل وبخسوا الكيل والميزان وروجوا البهرج فرفعت منهم البركة وأمسكت السماء غيثها ولم تخرج الأرض زرعها ونباتها فقل في أيديهم الحطام فقنطوا وأمسكوا الفضل الموجود وتناجزوا على المفقود فمنعوا الزكوات المفروضة وبخلوا بالمواساة المسنونة وقبضوا أيديهم عن المكارم وفشت فيه الأيمان الكاذبة والختل في البيع والشراء والمكر والحيل في القضاء والاقتضاء فيظل أحدهم عاريا من محاسن دينه متجردا من جلباب مروءته ومن عاش كذلك فبطن الأرض خير له من ظهرها.قال عمر بن عبد العزيز:﴿تهلك العَامَّة بذنب الخَاصَّة وَلَا تهلك الخَاصَّة بِعَمَل العَامَّة والخَاصَّة هم الوُلَاة وَفِي هَذَا المَعْنى قَالَ الله تَعَالَى: وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال]

قال ابن تيمية: الباطنية هم الذين جعلوا لكل ظاهر من الكتاب باطنا، ولكل تنزيل تأويلا، ويذكر الشهرستاني (الملل والنحل 172 / 1) أن الباطنية القديمة كانت تخلط كلامها ببعض كلام الفلاسفة. أما الباطنية على زمانه فقد جعلهم هم والإسماعيلية الغلاة فرقة واحدة، وذكر أنهم يسمون في العراق بالباطنية والقرامطة والمزدكية، وفي خراسان بالتعليمية والملحدة، وأضاف محمد بن الحسن الديلمي في كتابه قواعد عقائد آل محمد (القاهرة سنة 1950) ص 34، الألقاب التالية: السبعية، والخرمية، والبابكية، والمحمرة، والمباركية، والإباحية، والزنادقة، والخرمدينية، ونقل ابن طاهر البغدادي (الفرق بين الفرق، ص 196) عن أصحاب المقالات قولهم بأن الذين أسسوا دعوة الباطنية جماعة منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقداح، ومحمد بن الحسين الملقب بدندان.

عن أبي عثمان، قال: كنا مع عتبة بن فرقد، فجاءنا كتاب عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ إِلَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ مِنْهُ شَيْءٌ فِي الْآخِرَةِ، إِلَّا هَكَذَا﴾ وعن أبي عون، قال: سمعت أبا صالح، يحدث عن علي، قال:﴿أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُلَّةُ سِيَرَاءَ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَيَّ فَلَبِسْتُهَا، فَعَرَفْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ بِهَا إِلَيْكَ لِتَلْبَسَهَا، إِنَّمَا بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ لِتُشَقِّقَهَا خُمُرًا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ وعن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ﴾ وعن أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله، يقول:﴿لَبِسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا قَبَاءً مِنْ دِيبَاجٍ أُهْدِيَ لَهُ، ثُمَّ أَوْشَكَ أَنْ نَزَعَهُ، فَأَرْسَلَ بِهِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقِيلَ لَهُ: قَدْ أَوْشَكَ مَا نَزَعْتَهُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: بَهَانِي عَنْهُ جِبْرِيلُ، فَجَاءَهُ عُمَرُ يَبْكِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَرِهْتَ أَمْرًا، وَأَعْطَيْتَنِيهِ فَمَا لِي؟ قَالَ: إِنِّي لَمْ أُعْطِكَهُ لِتَلْبَسَهُ، إِنَّمَا أَعْطَيْتُكَهُ تَبِيعُهُ، فَبَاعَهُ بِأَلْفَيْ دِرْهَمٍ﴾ (أوشك أن نزعه) الوشك والوشاكة السرعة يقال وشك الأمر وشكا ووشاكة إذا أسرع والإيشاك المشي بسرعة ومنه أوشك الأمر أن يكون كذا فعلى هذا معنى أوشك أن نزعه أي أسرع إلى نزعه.(قد أوشك ما نزعته) أي قد أسرع نزعك إياه. وحدث قتادة، أن أنس بن مالك، أنبأهم﴿أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَخَّصَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَالزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ فِي الْقُمُصِ الْحَرِيرِ فِي السَّفَرِ مِنْ حِكَّةٍ كَانَتْ بِهِمَا» أَوْ وَجَعٍ كَانَ بِهِمَا﴾.

مراجع: سراج الملوك/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ منهاج السنة النبوية/ الوافي بالوفيات/ حسن السلوك الحافظ دولة الملوك/ صحيح مسلم

◆ أبو محمد الحسن بن يوسف، المستضيء بأمر الله (الثالث والثلاثون من ملوك الدولة العباسية) وأبو الفرج ابن الجوزي [146]

كان أبو الفرج ابن الجوزي [1] صريحًا يصدع بكلمة الحق، وكانت له مجالس الوعظ الشهيرة التي يلتقي فيها حشدٌ من الناس يترقبونها بفارغ الصبر، ويحضرها الملوك والأمراء والوزراء والعلماء والأعيان والعامة وقد أعطي فيها من الحكمة والبلاغة وسرعة البديهة وقوة الحجة ما لا يستطاع وصفه. التفت مرة وهو في مجلس وعظه إلى ناحية الخليفة المستضيء [2] فقال: يا أمير المؤمنين، إن تكلمت خفت منك، وإن سكتُّ خفت عليك، وإن قول القائل لك: اتقِ الله، خيرٌ لك من قوله لكم: إنكم أهل بيت مغفور لكم. كان عمر يقول: ﴿إِذَا بَلَغَنِي عَنْ عَامِلٍ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَلَمْ أُغَيِّرْهُ، فَأَنَا الظَّالِمُ﴾ وكان يوسف لا يشبع في زمن القحط حتى لا ينسى الجائع، وكان عمر يضرب بطنه عام الرمادة ويقول: ﴿قَرْقِرْ أَوْ لَا تُقَرْقِرْ، وَاللهِ لَا ذَاقَ عمر سَمْنًا وَلَا سَمِينًا حَتَّى يُخْصِبَ النَّاسُ﴾ فبكى المستضيء وتصدَّق بمال كثير، وأطلق المحابيس وكسا خلقًا من الفقراء.

---

(1) أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وبقية النسب معروف، القرشي التيمي البكري البغدادي الفقيه الحنبلي الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ؛ كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ. صنف في فنون عديدة. وله محاسن كثيرة يطول شرحها. كانت ولادته بطريق التقريب سنة ثمان، وقيل 510 هـ. وتوفي ليلة الجمعة ثاني عشر شهر رمضان سنة 597 هـ ببغداد ودفن بباب حرب، وتوفي والده في سنة 514 ه.

(2) المستضيء بأمر الله أبو محمد الحسن ابن المستنجد بالله، أبو محمد الحسن ابن المستنجد بالله يوسف ابن المقتفي محمد ابن المستظهر أحمد ابن المقتدي الهاشمي، العباسي. ولد سنة 536 هـ. بويع له سنة 566 هـ توفي سنة 575 هـ

قال سفيان الثوري: ﴿لَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا بِلُبْسِ الْعَبَاءِ وَلَا بِأَكْلِ الْخَشِنِ، إِنَّمَا الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قِصَرُ الْأَمَلِ﴾ عن مصعب بن سعد قال: قالت حفصة لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين اكتسيت ثوبا هو ألين من ثوبك وأكلت طعاما هو أطيب من طعامك فقد وسع الله من الرزق وأكثر من الخير فقال اني سأخاصمك إلى نفسك أما تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى من شدة العيش وكذلك أبو بكر فما زال يذكرها حتى أبكاها فقال لها أما والله لأشاركنها في مثل عيشها الشديد لعلي أدرك عيشها الرخي. عن عبد الله بن مسعود قال: ﴿دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي غُرْفَةٍ لَهُ كَأَنَّهَا بَيْتُ حَمَّامٍ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى حَصِيرٍ وَقَدْ أَثَّرَ بِجَنْبِهِ قَالَ: فَبَكَيْتُ فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ يَا عَبْدَ الله؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله كِسْرَى وَقَيْصَرُ يَطْئُونَ عَلَى الْخَزِّ وَالْحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ وَأَنْتَ نَائِمٌ عَلَى الْحَصِيرِ وَقَدْ أَثَّرَ بِجَنْبِكَ قَالَ: فَلَا تَبْكِ يَا عَبْدَ الله فَإِنَّ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إِلَّا مَثَلُ رَاكِبٍ قَالَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ سَارِ وَتَرَكَهَا﴾ وعن ابن عمر قال: ﴿أَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي أَوْ بِبَعْضِ جَسَدِي فَقَالَ لِي: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا غَرِيبًا أَوْ عَابِرَ سَبِيلٍ وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ﴾ (كن) أي عش وحيدا وعن الخلق بعيدا (في الدنيا كأنك غريب) أي فيما بينهم لعدم مؤانستك بهم وقلة مجالستك معهم. قال النووي رحمه الله أي: لا تركن إليها ولا تتخذها وطنا ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق الغريب في غير وطنه انتهى. وذلك لأن الدنيا دار مرور وجسر عبور، فينبغي للمؤمن أن يشتغل بالعبادة والطاعة، وأن ينتظر المسافرة عنها ساعة فساعة متهيئا لأسباب الارتحال برد المظالم والاستحلال، مشتاقا إلى الوطن الحقيقي، قانعا في سفره ببلغة وسترة، مستقبلا للبليات الكثيرة في سفره، غير مشتغل بما لا يعنيه من الأمل الطويل والحرص الكثير (أو عابر سبيل) أي مسافر لطريق، وأو للتنويع أو بمعنى بل للترقي، والمعنى بل كن كأنك مار على طريق قاطع لها بالسير ولو بلا رفيق، وهذا أبلغ من الغربة لأنه قد يسكن الغريب في غير وطنه، ويقيم في منزل مدة زمنه، فلله در طائفة رفضوا الدنيا وتوجهوا إلى العقبى شوقا إلى لقاء المولى، واعتزلوا بالكلية عن الناس، فإن الاستئناس بالناس علامة الإفلاس، وتجردوا عما عليهم من الأثقال والإلباس، بل صاروا حفاة عراة حاسري الرأس وهم العقلاء الأكياس الخارج فضلهم عن حد الحدود ومقياس القياس(وعد نفسك) أي اجعلها معدودة (في أهل القبور) أو عدها كائنة أو ساكنة فيهم، وفي بعض النسخ المصححة: من أهل القبور. أي من جملتهم وواحدة من جماعتهم، ففيه إشارة إلى ما قيل: موتوا قبل أن تموتوا، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا. وعن أم الدرداء قالت: ﴿قُلْتُ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ: أَلَا تَبْتَغِي لِأَضْيَافِكَ مَا يَبْتَغِي الرِّجَالُ لِأَضْيَافِهِمْ؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَئُودًا لَا يُجَاوِزُهَا الْمُثْقِلُونَ فَأُحِبُّ أَنْ أَتَخَفَّفَ لِتِلْكَ الْعَقَبَةِ﴾ قال الحارث بن سالم سمعت أنسا يقول: ﴿قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي ذَرٍّ: إِنَّ بَيْنَ أَيْدِينَا عَقَبَةً كَئُودًا لَا يُجَاوِزُهَا إِلَّا الْمُخِفُّونَ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَكَ قُوتُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَأَنْتَ مِنَ الْمُخِفِّينَ﴾ قال أبو الدرداء أو أبو ذر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِهَيْئَةِ مَا تَرَكْتُهُ فِيهَا﴾ عن ابن عباس عن عمر في هذا الحديث قال: ﴿قُلْتُ: ادْعُ اللهَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَى أُمَّتِكَ فَقَدْ وَسَّعَ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومِ وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللهَ. فَاسْتَوَى جَالِسًا وَقَالَ: فِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

عن إسحاق بن منصور السلولي، قال: دخلت أنا وصاحب، لي على داود الطائي، وهو على التراب فقلت لصاحبي: هذا رجل زاهد فقال داود: ﴿إِنَّمَا الزَّاهِدُ مَنْ قَدَرَ فَتَرَكَ﴾ وعن حماد بن أبي حنيفة قال: قالت مولاة لداود الطائي: يا داود لو طبخت لك دسما؟ قال: فافعلي قال: فطبخت له شحما ثم جاءته به فقال لها: ما فعل أيتام بني فلان؟ قالت: على حالهم قال: اذهبي به إليهم فقالت له: فديتك إنما تأكل هذا الخبز بالماء بالمطهرة قال: إذا أكلته كان في الحش وإذا أكله هؤلاء الأيتام كان عند الله مذخورا. وعن عمرو بن علي، قال: سمعت ابن أبي عدي يقول: صام داود أربعين سنة لا يعلم به أهله وكان خزازا يحمل معه غداءه من عندهم فيتصدق به في الطريق ويرجع عشاء فيفطر معهم. وقال أبو محمد بن علي الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال أمله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب واعلم يا أخي أن كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤم واعلم أن أهل الدنيا جميعا من أهل القبور إنما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون. وقال القعقاع بن حكيم قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو أتاني ما أحببت تأخير شيء عن شيء. وقال الثوري رأيت شيخا في مسجد الكوفة يقول أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة لو أنتظر الموت أن ينزل بي ولو أتاني ما أمرته بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على أحد شيء ولا لأحد عندي شيء. وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار. وروى أن معروفا الكرخي أقام الصلاة قال محمد بن أبي توبة فقال لي تقدم فقلت إني إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها فقال معروف وأنت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع من خير العمل. وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته إن الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفناء وكتب على أهلها الظعن عنها فكم من عامر موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما بحضرتكم من النقلة وتزودوا فإن خير الزاد التقوى إنما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب بينا ابن آدم في الدنيا ينافس وهو قدير العين إذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر إنها تسر قليلا وتحزن طويلا. وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول في خطبته أين الوضاء الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا ثم النجا النجا.

مراجع: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ البداية والنهاية/ وفيات الأعيان/ شعب الإيمان/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ مختصر تاريخ دمشق

◆ أحمد الناصر لدين الله أبو العباس بن المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله (الرابع والثلاثون من ملوك الدولة العباسية) وعبد المغيث بن زهير [147]

روى الذهبي[1] في السير، قال: حكى ابن تيمية شيخنا عن عبد المغيث بن زهير بن علوي[2] الإمام المحدث الزاهد قال: قيل إن الخليفة الناصر[3] لما بلغه نبي عبد المغيث عن سب يزيد. تنكر وقصده وسأله عن ذلك. فتباله عنه، أي تصرف وأكنه لم يعرف أنه الخليفة وقال: يا هذا إنما قصدت كف الألسنة عن لعن الخلفاء وإلا فلو فتحنا هذا لكان خليفة الوقت أحق باللعن؛ لأنه يفعل كذا، ويفعل كذا، وجعل يعدد خطاياه، قال: يا شيخ، ادعُ لي، وقام.

---

(2) عبد المغيث بن زهير بن زهير بن علوي الحربي، الإمام، المحدث، الزاهد، ولد سنة 500 هـ. وتوفي في المحرم، سنة 583 هـ. سمع أبا القاسم بن الحصين، وأبا العز بن كادش، وهبة الله بن الطبر، وأبا غالب ابن البناء، وقاضي المارستان، وعددا كثيرا. وروى الكثير، حدث عنه الشيخ الموفق، والحافظ عبد الغني، وحمد بن صديق، والبهاء عبد الرحمان، والحافظ محمد ابن الدبيثي، وطائفة. وقد ألف (جزءا) في فضائل يزيد، أتى فيه بعجائب وأوابد، لو لم يؤلفه لكان خيرا، وعمله ردا على ابن الجوزي، ووقع بينهما عداوة. ولعبد المغيث غلطات تدل على قلة علمه؛ قال مرة: مسلم بن يسار صحابي، وصحح حديث الاستلقاء، وهو منكر، فقيل له في ذلك، فقال: إذا رددناه، كان فيه إزراء على من رواه! وقد حفر له قبرا بقرب الإمام أحمد، وكان قد قدم دمشق تاجرا بمال لسعد الخير، فحدث بها، وذكره ابن عساكر في (تاريخه).

(3) أحمد الناصر لدين الله أبو العباس بن المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله بن المقتدي، ولد سنة 553 هـ، بويع له بعد موت أبيه المستضيء بأمر الله سنة 575 هـ، توفي سنة 622 هـ.

(1) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. المولود في دمشق سنة 673 هـ والمتوفى سنة 748 هـ. أشهر مؤلفاته: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، و سير أعلام النبلاء.

أيها الإخوة المؤمنون، كان أولئك أمناء الله في أرضه، وحجته على من جار وظلم، لم يكونوا لتأخذهم في الله لومة لائم، إنكار علني وأمر بمعروف ونهي عن منكر أمام عيون الخلائق، ولكن خوالف من المنسوبين لأهل العلم والفقه اليوم يزعمون أن هذا الإنكار ليس من الدين وليس من السنة، بل يدافع واحدهم عن نفسه بعدم الإنكار العلني وعم إخبار الناس بأنه ينكر أو لا ينكر بأعجب الحجج، قال أرح الله الراحه من أمثاله، وما يدركم أننا ننكر أو لا ننكر، هل نخبركم أننا ننكر موضوع كذا، وأنتم تعرفون أن ولي الأمر ربما لا ينتهي عنه فيصير حجة للعامة كي يخرجوا عليه ويقع الشر، هل هذا ما تريدون؟ فسبحان الله كيف آتي هذا الأدمي هذه الحجة !. كان أولئك يقولون للسلطان في وجهه أنه أحق من يزيد باللعن، وكانت أحكم الشريعة قائمة، وجيوش المسلمين تقارع الغزاة، وتدفع عن حريم المسلمين المظالم والمنكرات، واليوم سادتنا أحكام الكفر واحتلت ديارنا، وعمت المظالم والمنكرات والباطل، ويخشى أئمة الفقه، ورؤوس الدين، وقرءا آخر الزمان أن يعرف الناس أن السلطان نهي عن منكر فلم يجب فتوغر صدورهم عليه فيقع الشر. فلله درك يا زمان الأعاجيب، كيف لا، وفضيلته أوصله هذا الفقه لأن يقول هب أن الحاكم كفر، فهل هذا يوجب أن نوغر عليه صدور العامة !، هذا ليس من الدين، فسبحان الله الذي له في خلقه شؤون..

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم رئيسا لها بعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1940م، من أبرز قادة الحركة الإصلاحية السلفية في العالم العربي، عضو المجامع العلمية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد، عالم بالأدب والتاريخ واللغة العربية وعلوم الدين. عاش الإبراهيمي حتى استقلت الجزائر، وأمّ المصلين في مسجد كتشاوة الذي كان قد حُوّل إلى كنيسة، ولكنه لم يكن راضياً عن الاتجاه الذي بدأت تنحه إليه الدولة بعد الاستقلال؛ فأصدر عام 1964 بياناً ذكر فيه: إن الأسس النظرية التي يقيمون عليها أعمالهم يجب أن تنبعث من صميم جذورنا العربية الإسلامية لا من مذاهب أجنبية. وقال: نحن نرفض أن يكون أمامنا في الحكم والسياسة غير إمامنا في صف الصلاة. وطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية، فألزموه (أي عصابة بومدين) بالاقامة الجبرية حتى وفاته سنة 1965م. في عهد الرئيس أحمد بن بلة (الواجهة المدنية: لحكم عصابة العسكر التي خلف الستار حتى اليوم).

قال الله تعالى:﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر] روى أن عليًا لما بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام أرسل إليهما أن كفّا عما يبلغني عنكما، فأتيا فقالا: يا أمير المؤمنين، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟. قال: بلى وربّ الكعبة المسدّنة، قالا: فلم تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعّانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأبعدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحقَّ من جهله ويرعوي عن الغيّ من لجج به. وأما ما قيل من أن عليًا كان يلعن في قنوته معاوية وأصحابه، وأن معاوية إذا قنت لعن عليًا وابن عباس والحسن والحسين، فهو غير صحيح، لأنّ الصحابة رضوان الله عليهم كانوا أكثر حرصًا من غيرهم على التقيد بأوامر الشارع الذي نهى عن سباب المسلم ولعنه. فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:﴿وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِطَعَّانٍ، وَلَا بِلَعَّانٍ، وَلَا الْفَاحِشِ الْبَذِيءِ﴾ وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنِ اتَّقَاهُ النَّاسُ يَعْنِي لِفُحْشِهِ﴾ وعن حذيفة أنه قال:﴿مَا تَلَاعَنَ قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ كما أن الرواية التي جاء فيها لعن أمير المؤمنين في قنوته لمعاوية وأصحابه ولعن معاوية لأمير المؤمنين وابن عباس والحسن والحسين لا تثبت من ناحية السند حيث فيها أبو مخنف لوط بن يحيى الرافضي المحترق الذي لا يوثق في رواياته، كما أن في أصح كتب الشيعة عندهم جاء النهي عن سب الصحابة، فقد أنكر علي على من سب معاوية ومن معه فقال: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم. فهذا السب والتكفير لم يكن من هدى علي باعتراف أصح كتاب في نظر الشيعة. والكثير من العلماء يقولون: لا يلعن المعين؛ لأنه لا يدرى ما هي نهايته، وأي شيء ينتهي إليه، ولهذا كان بعض العلماء يتحرزون من اللعن، حتى من لعن الكفار، إذا كانوا على قيد الحياة، أو كانوا لا يعرفون النهاية التي كانوا عليها. قال صالح بن أحمد بن حنبل﴿قُلْت لِأَبِي: إنَّ قَوْمًا يَقُولُونَ: إنَّهُمْ يُحِبُّونَ يَزِيدَ. قَالَ: يَا بُنَيَّ وَهَلْ يُحِبُّ يَزِيدَ أَحَدٌ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؟ قُلْت: يَا أَبَتِ فَلِمَاذَا لَا تلعنه؟ قَالَ: يَا بُنَيَّ وَمَتَى رَأَيْت أَبَاك يَلْعَنُ أَحَدًا؟﴾ وعن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ شَتَمَ الْأَنْبِيَاءَ قُتِلَ، وَمَنْ شَتَمَ أَصْحَابِي جُلِدَ﴾ وعن حسين بن زياد، قال: سمعت فضيلا يقول:﴿مَا عَلَى الرَّجُلِ إِذَا كَانَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ هَوًى وَلَا يَشْتِمُ السَّلَفَ وَلَا يُخَالِطُ السُّلْطَانَ﴾ كأنه إذا سلم من هذه الثلاث فغيرها هين، وذلك إذا لم يكن صاحب هوى -يعني: بدعة-، ولا يشتم السلف، ولا يخالط السلطان. عن زيد بن أسلم، قال:﴿كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ، يُرْسِلُ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ، فَتَبِيتُ عِنْدَ نِسَائِهِ، وَيَسْأَلُهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَقَامَ لَيْلَةً فَدَعَا خَادِمَهُ، فَأَبْطَأَتْ عَلَيْهِ فَلَعَنَهَا فَقَالَتْ: لَا تَلْعَنْ فَإِنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ حَدَّثَنِي أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُهَدَاءَ، وَلَا شُفَعَاءَ﴾ (اللعانين) الذين يكثرون اللعن وأما من يقل اللعن كأن يلعن الشيطان فلا يضر والله أعلم.

مراجع: الحركة الإسلامية للإصلاح/ أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب/ شرح سنن أبي داود/ الدولة الأمويّة عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار/ المعجم الأوسط/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ السنن الكبرى للبيهقي/ شعب الإيمان/ سير أعلام النبلاء

- أمراء العبيديين، معد المعز لدين الله، أبو تميم بن المنصور إسماعيل بن القائم بن المهدي العبيدي (رابع ملوك الدولة الفاطمية) والإمام ابن النابلسي [148]

روي أبو الفرج الجوزي[1] عن الإمام القدوة الشهيد أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل الرملي المعروف بابن النابلسي[2]، أن جوهر القائد[3] لأبي تميم[4] صاحب مصر أقام أبا بكر النابلسي الذي كان يرى قتال المغاربة -يعني: بني عبيد- وقد هرب من الرملة إلى دمشق، وكان ينزل الأكواخ. بعد أن استطاع حاكم دمشق أبو محمود الكتامي[5] أن يتغلب على القرامطة[6] أعداء الفاطميين[7]، قبض على الإمام النابلسي وأسره، وحبسه في رمضان، وجعله في قفص خشب. ولما وصل قائد جيوش المعز إلى دمشق، سلّمه إليه حاكمها. فحمله إلى مصر. فقال له القائد الفاطمي: بلغنا أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم وجب أن يرمي في الروم سهما وفي المغاربة تسعة! قال: ما قلت هذا! ففرح القائد الفاطمي، وظن أن الإمام سيرجع عن قوله. ثم سأله بعد برهة، فكيف قلت؟ قال: بل قلت إذا كان معه عشرة أسهم وجب أن يرميكم بتسعة وأن يرمي العاشر فيكم أيضا. فسأله المعز بدهشة: ولم ذلك؟! قال: لأنكم غيرتم الملة وقتلتم الصالحين وأدعيتم نوراً إلهيا. فشهره ثم ضربه ثم أمر جزارا يهودياً، بعد رفض الجزارين المسلمين، فسلخه. قال معمر بن أحمد بن زياد الصوفي: أخبرني الثقة أن أبا بكر سلخ من مفرق رأسيه حتى بلغ الوجه فكان يذكر الله ويصر حتى بلغ الصدر فرحمه السالخ فوكزه بالسكين موضع قلبه فقضى عليه، وأخبرني الثقة أنه كان إماما في الحديث والفقه صائما للدهر كبير الصولة عند العامة والخاصة ولم سلخ كان يسمع من جسده قراءة القرآن. قال أبو ذر الحافظ: سجنه بنو عبيد (المغاربة) وصلبوه على السنة، سمعته الدار قطني يذكره ويبكي ويقول: كان وهو يسلخ يردد الآية الكريمة: ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾ [الإسراء]

---

(1) محمد بن أحمد بن سهل بن نصر، أبو بكر الرملي الشهيد المعروف بابن النابلسي، الإمام الشهيد. حدث عن سعيد بن هاشم الطبراني، ومحمد بن الحسن بن قتيبة، ومحمد بن أحمد بن شيبان الرملي. روى عنه تمام الرازي، وعبد الوهاب الميداني، وعلي بن عمر الحلبي، والدارقطني، وغيرهم. وأخبر الثقة أنه كان إماما في الحديث والفقه، صائم الدهر، كبير الصولة عند العامة والخاصة، ولما سلخ كان يسمع من جسده قراءة القرآن، قتل النابلسي سنة 363 هـ.

(3) جوهر الصقلي، القائد أبو الحسن جوهر بن عبد الله، المعروف بالكاتب، الرومي؛ كان من موالي المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي صاحب إفريقية، وجهزه إلى الديار المصرية ليأخذها في سنة 358 هـ بعد موت كافور الإخشيدي فأنهى بذلك حكم الإخشيديين، وجوهر الرومي مؤسس مدينة القاهرة وباني الجامع الأزهر وهو من أقام سلطان الفاطميين في الشرق، ثم انتقل الخليفة الفاطمي المعز لدين الله إلى القاهرة سنة 362 هـ واتخذ القاهرة عاصمة لبلاده.توفي بجوهر الصقلي، (قائد المعز الفاطمي) سنة 381 هـ ودفن في الجامع الأزهر.

(4) معد المعز لدين الله، أبو تميم بن المنصور إسماعيل بن القائم بن المهدي العبيدي. صاحب المغرب، والذي بنيت له القاهرة المعزية، ولد بالمهدية سنة 301 هـ وكان ولي عهد أبيه، فاستقل بالأمر في آخر سنة 341 هـ، توفي سنة 365 هـ وهو أول من تملك ديار مصر من بني عبيد الرافضة المدعين أنهم علويون.

(6) القرامطة نسبة للدولة القرمطية المنشقة عن الدولة الفاطمية. كانت دولتهم في شرق الجزيرة العربية. واشتهروا بثورتهم ضد الدولة العباسية. وفرقة القرامطة فرقة باطنية ثورية انشقت عن حركتها الأم الإسماعيلية وأصبحت فرعا من فروعها وسموا بالقرامطة نسبة إلى زعيمها وداعيتها الأول حمدان قرمط الذي يقول عنه الغزالي: كان حمدان أحد دعاة الباطنية في الابتداء حيث استجاب له في دعوته رجال فسموا قرامطة وقرمطية ودار بينهما محاورة دعوية استجاب فيها حمدان لجميع ما دعاه إليه هذا الباطني ومنها أخذه العهد والميثاق على حمدان بالبيعة للإمام الإسماعيلي والتزام سر الإمام وسر هذا الداعية ومن ثم انتدب حمدان للدعوة وصار أصلا من أصولها.

(7) الدولة الفاطمية العبيدية (الباطنية، الرافضية) الوحيدة التي اتخذت من المذهب الشيعي الإسماعيلي مذهبا رسميا. ينتسب خلفاؤها إلى السيدة فاطمة الزهراء، أسست في المغرب. حكم أربعة ملوك فاطميين بلاد المغرب في الفترة من سنة 297هـ إلى سنة 365هـ وكان المعز لدين الله الفاطمي هو آخر هؤلاء الملوك، حيث انتقل بالخلافة إلى القاهرة التي اتخذها عاصمة جديدة للفاطميين، بعد أن تم له فتح مصر على يد قائده جوهر الصقلي في سنة 358هـ. حتى سقطت الدولة الفاطمية بمصر سنة 567 هـ على يد محمود نور الدين، وعادت مصر ولاية عباسية، وأقام بها صلاح الدين الأيوبي، أحد قواد محمود نور الدين دولة عظيمة.

(5) إبراهيم بن جعفر أبو محمود الكتامي أحد قواد المعز صاحب مصر توفي سنة 370 هـ

(1) ابن الجوزي، هو عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حامدي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي، أبو الفرج، ولد ببغداد تقريبا سنة 508 هـ وقيل 510 هـ وتوفي سنة 597 هـ. من مصنفاته : صفة الصفوة، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.

عن سعيد بن زيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ﴾ من هذا الحدث العظيم الذي حصل للإمام النابلسي، نستفيد الكثير من الدروس والعبر، فمنها:

- أولا : الشجاعة في الاحتساب: من خلال التأمل في قصة الإمام النابلسي نجد أنه لا يخاف في الله لومة لائم، وهذا هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله، فعن أم المؤمنين عائشة:﴿مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾ وقد جاء الشرع المطهر بالتشجيع على الشجاعة في الاحتساب فقال تبارك وتعالى:﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج] وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلِ الْحَقَّ وَلَوْ كَانَ مُرًّا﴾ وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ﴾ وعن عبادة بن الصامت قال: ﴿بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي عُسْرِنَا، وَيُسْرِنَا، وَمَنْشَطِنَا، وَمَكْرَهِنَا، وَالْأَثَرَةِ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَنَقُومَ بِالْحَقِّ حَيْثُ كَانَ، وَلَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مَهَابَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ، أَلَا إِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ﴾ وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الرجل الذي يعظ ولي الأمر وينصحه له أجر عظيم وجزاء وفير من رب العالمين، فعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ، فَنَهَاهُ وَأَمَرَهُ، فَقَتَلَهُ﴾.
- ثانيا : الثبات على الحق: أهل الحق هم أعظم الناس صبراً على أقوالهم ومعتقداتهم، والثبات على الحق سيمة أهل الحق منذ بزوغ فجر الإسلام، ألا ترى إلى أبي سفيان بن حرب حين سأله هرقل ملك الروم عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: هل يرتد أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه؟ فقال: لا، قال هرقل: وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب. قال الإمام ابن تيمية: أما أهل السنة والحديث فما يعلم أحداً من علمائهم ولا صالح عامتهم رجع قط عن قوله واعتقاده، بل هم أعظم الناس صبراً على ذلك، وإن امتحنوا بأنواع المحن، وفتنوا بأنواع الفتن. وهذا حال الأنبياء وأتباعهم من المتقدمين كأهل الأخدود ونحوهم، وكسلف هذه الأمة والصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة، حتى كان مالك يقول: لا تغبطوا أحداً لم يصبه في هذا الأمر بلاء. يقول: وإن الله لا بد أن يبتلي المؤمن، فإن صبر رفع درجته كما قال الله تعالى:﴿الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت] وقال الله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة] وقال الله تعالى:﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر]. ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾ [الإسراء] كلمة قالها الإمام في اللحظات الأخيرة، تدل على مدى إيمانه بقضاء الله وقدره، وهو يعلم معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس:﴿يَا غُلَامُ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ﴾.
- ثالثا : حقد الباطنية على أهل الإسلام : هذه القصة تظهر لنا مدى خبث العبيديين، وكيفية تعاملهم مع العلم وأهله، وتبين أيضاً شدة حقدهم وبغضهم لمخالفيهم من أهل السنة، وأنهم لا يتورعون عن تعذيبهم وعن التنكيل بهم بأشد أنواع التنكيل، بل وقتلهم، وما هؤلاء العلمين إلا نزر يسير من ضحايا هؤلاء العبيديين.

أيها الإخوة المؤمنون، لله درى الثابتين تقبلهم الله في الصالحين وجزاهم الله خيرا، فكم قدم ثباتهم للماضين في قافلة النور، السائرة إلى الله من قدوة وكم قدمت قصصهم من عبر وعزيمة للصابر، فكم تعطين مثل هذه القصة من العزم والعزيمة حتى يستصغر المرء نفسه وما قدم وما ابتلي في سبيل الله، ولكنها النماذج المضيئة وحجة الله على خلقه فماذا بعد هذا العذاب وماذا بعد هذا الثبات وإنما هو فضل الله يأتيه من يشاء والعاقبة للمتقين.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ الوافي بالوفيات/ الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي

◆ أمراء العبيديين، الحاكم بأمر الله المنصور (سادس ملوك الدولة الفاطمية) والإمام محمد بن الحبلي [149]

روى الذهبي في سيره، فقال أن محمد بن الحَبْلِي [1]،قاضي مدينة برقة، أتاه أمير برقة، فقال: غداً العيد. قال: حتى نرى الهلال، ولا أُفَطِّر الناس وأثقلد إثمهم. فقال: بهذا جاء كتاب المنصور العبيدي [2](حفيد عبيد الله المهدي) وكان هذا من رأي العبيدية به، يفطِّرون بالحساب ولا يعتبرون رؤية الهلال. فلما يُرَ الهلال، فأصبح الأمير بالطبول، والبنود، وأهبة العيد. فقال القاضي: لا أخرج ولا أصلي. فأمر الأمير رجل خطب، وكتب بها جرى إلى المنصور. فطلب القاضي إليه. فأحضر. فقال له: تنصل وأعفو عنك.فامتنع. فأمر فعلق في الشمس إلى أن مات، وكان يستغيث العطش فلم يُسْق، ثم صلبوه على خشبة، فلعنة الله على الظالمين.

---

(1) الحبلي محمد بن الحبلي الإمام، الشهيد، قاضي مدينة برقة.المتوفي في القرن 4 هجري.

(2) إسماعيل بن محمد بن عبيد الله الملقب بالمنصور بنصر الله تولى حكم الدولة الفاطمية بعد وفاة ابيه القائم بأمر الله سنة 334 هـ وهو مؤسس مدينة المنصورية قرب القيروان وكانت عاصمة للدولة ما بين 335 و365 هـ. توفي المنصور العبيدي سنة 341 هـ

أيها المؤمنون، لأمر لو عرض اليوم على الناس لقالوا، أمر هين، والمسألة خلاف صمد لها ذلك الإمام الجليل حتى قتل صابرا محتسبا، ورغم أن فرصة النجاة لحت له بالتنصل فقط، لم يريد الأمراء الباطنيين من تنصله إلا أن لا يكون لعامة المسلمين نموذج في الثبات، لا في قليل ولا في كثير. واليوم تطلب الفتوى في عظائم الأمور ممن يسمون زوراً وبهتاً رؤوس في الدين، وأئمة في الزهد، والفقه، والفتوى، والقضاء، والدعوة، والإرشاد، ورؤوس في مزاعم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيجبون، لقد أفتوا باحتلال بلاد المسلمين، وجاست بفتواهم جيوش النصار في عقر دار المؤمنين، وطلب منهم إفتاء الاستسلام لليهود ومؤمرات التطبيع، فأفتوا، وطلب منهم نصرة الشيوعية في اليمن، فأفتوا، وطلب منهم تسويغ أحكام الكفر وشيوع الربا والمنكرات، فانتحلوا الأعذار، ودافعوا عن باطل الظالمين، كل هذا ولا ضرب ولا جوع ولا فتنة سيف، وإنما تلويح بالحرمان من الدنيا وفوات رضى السلطان، يقول سعيد بن المسيب:﴿إِنَّ الدُّنْيَا تَذْلَةٌ وَهِيَ إِلَى كُلِّ تَذْلٍ أَمْيَلُ وَأَتَذَلُ مِنْهَا مَنْ أَخَذَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا وَطَلَبَهَا بِغَيْرِ وَجْهِهَا وَوَضَعَهَا فِي غَيْرِ سَبِيلِهَا﴾ فلا حول ولا قوة إلا بالله. واليوم بلغ السيل الزبى، وطال الباطل مداه، فها هم فقهاء السلاطين وديدان القراء يفتون لظلمهم بقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس، وبسجن أئمة الإصلاح والصلاح، لا لشيء إلا لأنهم قالوا ربنا الله، فرحمة الله على الثابتين الماضين على خطي ورثة الأنبياء والأولين، وغداً ينادى للحشر والنشر، فينظر كلا حوله، فما يرى إلا ما قدم ، يندم ساعتها أقوام، حيث لا ينفع الندم.

في عام 1966 حكمت محكمة الطواغيت في مصر، ظلما وعدوانا وزورا وبهتانا على المفكر الإسلامي الكبير سيد قطب، وقد لفقت عليه دولة المخابرات يومذاك اتهامات وأراجيف حملتها وسائل الإعلام بأسلوب وغد خسيس لإثارة الدهماء من الناس على الحركة الإسلامية وعلى أبنائها ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف] وفي يوم تنفيذ الإعدام، وبعد أن وضع على كرسي المشنقة عرضوا عليه أن يعتذر عن دعوته لتطبيق الشريعة ويتم إصدار عفو عنه، فقال: لن أعتذر عن العمل مع الله. ثم قال:إن إصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة ليرفض أن يكتب حرفا واحدا يقر به حكم طاغية. فقالوا له إن لم تعتذر فاطلب الرحمة من الرئيس. فقال:لماذا أسترحم؟ إن كنت محكوما بحق فأنا أرتضي حكم الحق، وإن كنت محكوما بباطل، فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل. رحم الله سيد قطب. سأل الشهيد: لماذا كنت صريحا في المحكمة التي تمتلك رقبتك؟ قال: لأن التورية لا تجوز في العقيدة، وليس للقائد أن يأخذ بالرخص. قيل لما سمع الحكم عليه بالإعدام قال:الحمد لله. لقد عملت خمسة عشر عاما لنيل الشهادة.

عن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ﴿يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ﴾ (إلا كما ينقص المخيط) قال العلماء هذا تقريب إلى الإفهام ومعناه لا ينقص شيئا أصلا. عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ، وَلَا التَّفَحُّشَ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الشُّحُّ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ، فَقَطَعُوا أَرْحَامَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ، فَفَجَرُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ، فَبَخِلُوا، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَنْ يَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ، وَيَدِكَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ، قَالَ: أَنْ تَهْجُرَ مَا كَرِهَ رَبُّكَ، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:الْهِجْرَةُ هِجْرَتَانِ، هِجْرَةُ الْحَاضِرِ، وَهِجْرَةُ الْبَادِي، أَمَّا الْبَادِي، فَيُجِيبُ إِذَا دُعِيَ، وَيُطِيعُ إِذَا أُمِرَ، وَأَمَّا الْحَاضِرُ، فَهُوَ أَعْظَمُهُمَا بَلِيَّةً، وَأَعْظَمُهُمَا أَجْرًا﴾ (البادي) أي إذا سكن البدو مع حضوره الجهاد ومع الطاعة لله فهو مهاجر، ومن سكن المدينة لله فهو أكمل.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ مسند أحمد/ سير أعلام النبلاء

◆ أمراء مصر الفاطميين، ابن العباس وزير الملك العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله (الرابع عشر والأخير من ملوك الدولة الفاطمية) وابن الحطيئة [150]

روي عن الإمام القدوة شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد المغربي[1]،المقرئ، المعروف بالعلم، والتقوى، والشدة في دين الله. أورد الذهبي في سيرته عن شجاع المدلجي[2] قال: كان شيخنا ابن الحطيئة شديد في دين الله، فض غليظ على أعداء الله، لقد كان يحضر مجلسه داعي الدعاة أبو القاسم المصري التنوخي[3] قاضي الخليفة العاضد[4]،مع عظم سلطانه ونفوذ أمره، فما كان يحتشمه ولا يكرمه، ويقول: أحمق الناس في مسألة كذا وكذا الروافض، خالفوا الكتاب والسنة وكفروا بالله. وكنت عنده يوما في مسجده بشرف مصر وقد خضره بعض وزراء المصريين أظنه ابن عباس، فاستسقى في مجلسه، فأتاه بعض غلمانه بإناء فضة، فلما رآه ابن الحطيئة، وضع يده على فؤاده وصرخ صرخة ملأت المسجد: وا حَرَّها على كبدي، أتشرب في مجلس يقرأ فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آنية الفضة ؟! لا والله، لا تفعل. وطرد الغلام، فخرج وطلب، الشيخ كوزا، فجيء بكوز قد تثلم، فشرب، واستحيي من الشيخ، فرأيته والله كما قال الله: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ [إبراهيم] وذكر أن الناس بقوا بمصر ثلاثة أشهر بلا قاض في سنة ثلاث وثلاثين، فوقع اختيار الدولة على الشيخ أبي العباس، فاشترط عليهم شروطا صعبة، منها أنه لا يقضي بمذهبهم، يعني الرفض، فلم يجيبوا إلا أن يقضي على مذهب الإمامية. فقال والله لا أقضي لهم. وروي عنه رحمه الله، أنه كان متقشف مقلاً في الطعام حتى بلغ الغاية، وكان يقول: لو أكل الناس من الضار ما أكل من النافع ما اعتلوا. وكان لا يقبل لأحد قط هدية وأتى رجل إلى شيخنا ابن الحطيئة بمتزر، وحلف بالطلاق ثلاثا لا بد أن يقبله، فوبخه على ذلك، وقال: علقه على ذاك الوتد. فلم يزل على الوتد حتى أكله العُثُّ، وتساقط، وكان رحمه الله ينسخ بالأجرة. وله على الجزية في الشهر ثلاثة دنانير. ولقد عرض عليه غير واحد من الأمراء أن يزيد جامكيته* فما قبل.

* (جامكية) أجر المملوك أو منحته الشهرية، كانت تعطى من غلة الوقف.

---

(1) أبي العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن هشام اللخمي المعروف بابن الحطيئة، ولد بمدينة فاس وانتقل إلى الديار المصرية، واستوطن خارجها في جامع راشدة. وكان من مشاهير الصلحاء وأعيانهم، وكان رأسا في القراءات السبع، ونسخ بخطه كثيرا من كتب، وكان جيد الخط، حسن الضبط، والكتب التي توجد بخطه مرغوب فيها. وقد كتب صحيح مسلم كله بقلم واحد. وكان يقول: إذا ذكر عمر بن الخطاب: طويت سعادة المسلمين في أكفان عمر رضي الله عنه. توفي في أواخر المحرم سنة 560 هـ بمصر، ودفن في القرافة الصغرى.

(2) شجاع بن محمد بن سيدهم بن عمرو بن حديد بن عسكر، الإمام أبو الحسن المدلجي، المصري، المالكي، المقرئ. ولد سنة 528 هـ وقرأ القراءات على: أبي العباس أحمد بن الحطيئة، وسمع منه، ومن عبد الله بن رفاعة، وعبد المنعم بن موهوب الواعظ، وأبي طاهر السلفي، ولقي من الفقهاء: أبا القاسم عبد الرحمن بن الحسين الجباب، وأبا حفص عمر بن محمد الذهبي، وقرأ العربية على: أبي بكر بن السراج، وصحب أبا محمد بن بري، وتصدر بجامع مصر، وأقرأ وحدث وانتفع به جماعة، وآخر من قرأ عليه. وتوفي أبو الحسن علي بن شجاع الضرير سنة 591 هـ

(3) علي بن المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم، أبو القاسم التنوخي؛ ولد سنة 365 هـ، وتوفي سنة 447 هـ؛ وكان شيعيا معتزليا، وكان ساكنا وقورا، وكان يدخله من نيابة القضاء ودار الضرب وغيرهما كل شهر مائتا دينار فيمر الشهر وليس معه شيء، كان ينفق على أصحاب الحديث، وكان الخطيب والصولي وغيرهما يبيتون عنده، وكان ثقة في الحديث متحفظا في الشهادة، محتاطا صدوقا، وتقلد قضاء عدة نواح منه المدائن وأعمالها وأذربيجان والبردان وقرميسين. والده القاضي أبو علي المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم ابن تميم التنوخي.ولد سنة 327 هـ بالبصرة. وتوفي سنة 384 هـ ببغداد. (في كتاب سير أعلام النبلاء: هو أبو القاسم هبة الله بن كامل المصري التنوخي، قاضي الخليفة العاضد، متوفى سنة 569 ؟)

(4) العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله، ولد سنة 546 هـ وبويع سنة 555 هـ. وتوفي سنة 567 هـ. وكان آخر ملوك الدولة الفاطمية.والمعروف أنهم بنو عبيد. وكان والد عبيد من نسل القداح المجوسي الملحد.وقد صنف القاضي أبو بكر بن الباقلاني كتاب فافتتحه ببطلان انتسابهم إلى الإمام علي.قيل هلك العاضد بذرب مفرط. وقيل: مات غما لما سمع بقطع خطبته وإقامة الدعوة للمستضيء العباسي في أول جمعة من المحرم. وقيل:سقي. وقيل: مص خاتما له مسموما.وتسلم صلاح الدين القصر بما حوى من النفائس والأموال، وقبض أيضا على أولاد العاضد وآله، فسجنهم في بيت من القصر، وقمع غلمانهم وأنصارهم، وعفى آثارهم. وهكذا بعد سقوط مصر في أيدي الزنكيين زالت الدولة الفاطمية التي استمرت262 سنة على يد الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب.ومهّد ذلك الطريق أمام مؤسس الدولة الأيوبية لمحاربة الصليبيين وفتح القدس بعد أن توحّدت مصر والشام في دولة واحدة. بعد وفاة نور الدين زنكي سنة 569 هـ. واستخلف ولده الملك الصالح إسماعيل. وكان صبي. وهزيمة الزنكيون على يد صلاح الدين. وقد أسند الخليفة العباسي في بغداد إليه السلطة على مصر والمغرب الأدنى والنوبة والحجاز و تهامة وفلسطين وسوريا الوسطى، وخلع عليه لقب سلطان مصر والشام.

أيها الإخوة، هكذا كان الملوك، والجبابرة ينكسرون لثبات أهل الحق، وأئمة الهدى، فأولئك العبديين كانوا من غلاة الروافض الذين كفرهم أهل السنة في عصرهم، وكانوا قتلة ظلامة سفكوا من الدماء بلا حساب ولا عتاب، ما شاء الله لهم، ومع ذلك، لم يكن ذلك ليثني أئمة الهدى الذين حفظ الله بهم الدين، وباد أولئك الفراعنة. واليوم يقارن المرء بين ما كان في تاريخ هذه الأمة وما يصبها اليوم، فليت المنكر أنعقد على شريهم في آنية الفضة، فقد استعلت الأنظمة الوضعية الكافرة، وناطحة أبراج بنوك الربا مآذن الحرم وعمت المنكرات، والفواحش العظام كافة مناحي الحياة، ودخل الكفار عقر دار المؤمنين، وصار كبار الأمراء، والملوك رؤوس لنهب، وسلب، والظلم، وأمثلة تحتذى في الزنا، والخمر، والمخدرات، والفجور، وأغلقت أبواب السجون على أئمة الهدى والصلاح ودعاة الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيا فرج الله اقترب، ويا رحمة الله أغيثي هذه الأمة المستضعفة. عن أم سلمة، قالت: قال سول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ شَرِبَ فِي إِنَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ فِضَّةٍ، فَإِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارًا مِنْ جَهَنَّمَ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ أَوَّلَ مَا يُكْفَأُ الْإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ كَفْءُ الْخَمْرِ قِيلَ وَكَيْفَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا فَيَسْتَحِلُّونَهَا﴾ وعن نافع بن كيسان عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:﴿سَتَشْرَبُ مِنْ بَعْدِي أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، يَكُونُ عَوْنَهُمْ عَلَى شُرْبِهَا أُمَرَاؤُهُمْ﴾.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿سَلُونِي، فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: لَا تُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ:أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَخْشَى اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا رَأَيْتَ الْمَرْأَةَ تَلِدُ رَبَّهَا، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الْأَرْضِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ رِعَاءَ الْبُهْمِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ مِنَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ ، ثُمَّ قَرَأَ: إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [لقمان] قَالَ: ثُمَّ قَامَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رُدُّوهُ عَلَيَّ، فَالْتُمِسَ، فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا جِبْرِيلُ، أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا﴾ فقوله عليه السلام: (الصم البكم) المراد بهم الجهلة السفلة الرعاع كما قال الله تعالى:﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة] أي لما لم ينتفعوا بجوارحهم هذه فكأنهم عدموها. هذا كما في الحديث:﴿لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَحْظَى النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ ابْنُ لُكَعَ﴾ وقال: ﴿لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَسُودَ كُلَّ قَبِيلَةٍ رُذَالُهَا﴾ وقال:﴿إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ﴾ وفي الأمثال: زوال الدول باصطناع السفل. قال الشافعي: أظلم الناس لنفسه اللئيم، إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه، واستخف بالأشراف وتكبر على ذوي الفضل.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ سير أعلام النبلاء/ صحيح مسلم/ معرفة الصحابة لأبي نعيم/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ طبقات القراء السبعة/ البداية والنهاية

◆ الملك العادل سيف الدين أبو بكر أحمد بن أبي الشكر أيوب بن شاذي بن مروان، الملك العادل أبو بكر (من ملوك الدولة الأيوبية) والشيخ عبد الله اليونيني [151]

حدث الزاهد خليل بن عبد الغني بن مقلد [1] قال: كنت بحلقة الحنابلة إلى جانب الشيخ عبد الله اليونيني [2]،فقام ومعه خادمه توبة[3] إلى الكلاسة ليتوضأ، وإذا برجل متختل يفرق ذهبا، فلما وصل إلي أعطاني خمسة دنانير، وقال: أين سيدي الشيخ؟ قلت: يتوضأ. فجعل تحت سجادته ذهبا، وقال: إذا جاء قل له: مملوكك أبو بكر التكريتي يسلم عليك، ويشتهي تدعو له. فجاء الشيخ وأنا ألعب بالذهب في عبي، ثم ذكرت له قول الرجل، فقال توبة: من ذا يا سيدي؟ قال: صاحب دمشق؛ وإذا به قد رجع ووقف قدام الشيخ، والشيخ يصلي فلما سلم أخذ السواك ودفع به الذهب وقال: يا أبا بكر [4] كيف أدعو لك والخمور دائرة في دمشق؟ وتغزل امرأة وقية تبيعها فيؤخذ منها قرطيس؟ فلما راح أبطل ذلك،وكان الملك العادل قال المعمر محمد بن أبي الفضل:[5] كنت عند الشيخ وقد جاء إليه المعظم [6]،فلما جلس عنده، قال: يا سيدي ادع لي. قال: يا عيسى لا تكن نحس(نحسا) مثل أبيك. فقال: يا سيدي وأبي كان نحس ؟ قال: نعم؛ أظهر الزغل (العملة المغشوشة)، وأفسد على الناس المعاملة، وما كان محتاج. ذكر سبط الجوزي [7]،أن الشيخ اليونيني كان شجاع، وكان رغم تعففه وزهده يقول لتلميذه: في وفيك نزلت﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [التوبة]

حدث سبط ابن الجوزي: إن الملك العادل سيف الدين أحمد كتب لبعض خواصه كتابا يوصيه في حكومة بينه وبين آخر فجاء إلى قاضي القضاة جمال الدين بن الحرستاني [8] ودفع إليه الكتاب فقال: إيش فيه!. قال: وصية بي. قال: أحضر خصمك فأحضره، والكتاب بيده لم يفتحه، وادعى على الرجل، فظهر الحق لغريمه، فقضى عليه ثم فتح الكتاب وقرأه، ورمى الكتاب إلى حامله وقال: كتاب الله قد قضى وحكم على هذا الكتاب، فمضى الرجل إلى العادل وبكى بين يديه وأخبره بما قال، فقال العادل: صدق كتاب الله أولى من كتابي. وكان يقول للعادل: أنا ما أحكم إلا بالشرع وإلا فما سألتك القضاء، فإن شئت، وإلا فأبصر غيري. وفي معناه قول الشاعر:﴿إِنَّ الْمُلْوكَ لِتَحْكُمَ عَلَى الوَرَى وَعَلَى الْمُلُوكِ لِتَحْكُمِ العُلَمَاءِ﴾ قال سبط الجوزي: اتفق أهل دمشق على أنه ما فاته صلاة بجامع دمشق في الجماعة إلا إذا كان مريضا ينزل من الجويرة في سلم طويل فيصلي ويعود إلى داره ومصلاه بيده وكان مقتصدا في ثيابه ومعيشته ولم يدع أحدا من غلمان القضاة يمشي معه.

---

(2) عبد الله بن عثمان بن جعفر اليونيني، الزاهد، العابد، أسد الشام، من قرية بيعلبك يقال لها يونين، كان شيخا، طويلا، مهيبا، شجاعا، حاد الحال، كان يحمل القوس والسلاح، ويلبس قبعا من جلد ماعز بصوفه، وكان أمارا بالمعروف، لا يهاب الملوك، دائم الذكر. توفي في ذي الحجة، سنة 617 هـ، وهو صائم، وقد جاوز 80 سنة. ولأصحابه فيه غلو زائد. قال سبط الجوزي : كان الشيخ شجاعا، ما يبالي بالرجال قلوا أو كثروا، وكان قوسه ثمانين رطلا، وما فاته غزاة. وكان لا يقوم لأحد تعظيما لله ولا يدخر شيئا، وكان الملك الأمجد إذا دخل عليه جلس بين يديه فيقول له: يا أمجد فعلت كذا وكذا ويأمره بما يأمره، وينهاه عما ينهاه عنه، وهو يمتثل جميع ما يقوله له، وما ذاك إلا لصدقه في زهده وورعه وطريقه، وكان لا يدخر منه شيئا لغد، وإذا اشتد جوعه أخذ من ورق اللوز ففركه واستفه ويشرب فوقه الماء البارد.

(8) جمال الدين بن الحرستاني هو عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل أبو القاسم الأنصاري بن الحرستاني، قاضي القضاة بدمشق، ولد سنة 520 هـ وكان أبوه من أهل حرستا، فنزل داخل باب توما، وأم بمسجد الزينبي، عندما عزل العادل القاضي ابن الزكي الطاهر بن محيي الدين محمد بن علي القرشي، ألزم القاضي جمال الدين بن الحرستاني هذا بولاية القضاء، وله ثنتان وتسعون سنة، وأعطاه تدريس العزيزية.كان من أعدل القضاة وأقومهم بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم. كانت وفاته بدمشق سنة 614 هـ وله 95 سنة، ودفن بسفح قاسيون.

(4) الملك العادل سيف الدين أبو بكر أحمد بن أبي الشكر أيوب بن شاذي بن مروان، الملك العادل أبو بكر. شقيق الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي وأحد ملوك الدولة الأيوبية بدمشق. ولد سنة 538 هـ وتوفي سنة615 هـ.

(6) الملك المعظم شرف الدين عيسى بن سيف الدين أحمد. من سلاطين الأيوبيين بدمشق وهو ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق، ولد سنة 576 هـ بالقاهرة، وتوفي بدمشق سنة 624 هـ.، ودفن بقلعتها ثم نقل إلى جبل الصالحية سنة 627 هـ

(1) خليل بن عبد الغني بن خليل بن مقلد، الشيخ، صفي الدين ابن الصائغ، الأنصاري، الدمشقي، الرجل الصالح، ابن عم قاضي القضاة.وكان دينا، كثير العبادة، لا أعلم له رواية. توفي في رجب سنة682 هـ ودفن بقاسيون.

(3) توبة بن أبي البركات التكريتي الزاهد، صحب الشيخ عبد الله اليونيني ولازمه، وتوفي في شوال سنة 622 هـ

(7) سبط ابن الجوزي يوسف بن قزغلي بن عبد الله، الإمام، الواعظ، المؤرخ شمس الدين، أبو المظفر، التركي البغدادي العوني الحنفي. سبط الإمام جمال الدين أبي الفرج، نزيل دمشق.ولد سنة 583 هـ وتوفي سنة 654 هـ.من مؤلفاته: مرآة الزمان، تذكرة الخواص.

(5) المعمر محمد بن أبي الفضل.؟

أيها الإخوة المؤمنون، لله دره هذا الإمام المجاهد، لو رأى قراء زماننا الذين لا يغرفوا أقدامهم إلا بغبار سجاد السلاطين، لله دره، لو رأى ديدان القراء وقد انتفخت بطونهم وتملست أوداجهم من أكل السحت وجوائز الأمراء، لله دره، لو رأى وسمع خطباء الحرم المكي، وأئمة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يدعون للملوك والأمراء المبدلين لشرع الله، بالمجد والسلامة ودوام الحكم. ويدعون على من أرد بهم من الصالحين سوء، أن يرد الله كيدهم في نحرهم، لله دره، لو رأى شيكات خدام الحرمين الشريفين ودنانيرهم، ودولارات أسيادهم تندس تحت سجاجيد ديدان القراء وفي جيوب عباءتهم وخياشيم وجههم. قال لملك الأيوبيين كيف أدعوا لك، والخمور فاشية، الله الله يا إمام، ماذا بقي من الكفر والظلم والفجور والخمور لم يفشه أمرائنا في قصورهم وبيوت كبرائهم حتى يتبعهم كثير من ضلال العامة. نعم كان ذلك صدعهم بالحق، لأنه تبارك وتعالى قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت] لقد جاهد أولئك الأئمة فهانت في أعيونهم مقادير الرجال وهيلمان الطغاة ولكن هؤلاء الذين لم يشهدوا إلا غزوات الولائم ونزلات الخطب الرنانة وسياحات الترفيه، لم يكن لهم أن يصيروا إلا كما هم، وكل إناء بما فيه ينضح.

كتب أبو حازم الأعرج إلى صديق عالم لما خالط السلاطين. رسالة مطولة، فكان فيما كتب إليه: جعلوك قطبا تدور رحى باطلهم عليك، وجسرا يعبرون بك إلى بلائهم، وسلما إلى ضلالتهم، وداعيا إلى غيهم، سالكا سبيلهم، يدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم، فلم تبلغ أخص وزرائهم، ولا أقوى أعوانهم لهم، إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم، واختلاف الخاصة والعامة إليهم، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما أقل ما أعطوك في كثير ما أخذوا منك فانظر لنفسك، فإنه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسئول... إنك لست في دار مقام، قد أوذنت بالرحيل، ما بقاء المرء بعد أقرانه؟ طوبى لمن كان مع الدنيا في وجل، يا بؤس من يموت وتبقى ذنوبه من بعده، إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك، ليس أحد أهلا أن تردفه على ظهرك، ذهبت اللذة، وبقيت التبعة، ما أشقى من سعد بكسبه غيره، احذر فقد أتيت، وتخلص فقد أدهيت، إنك تعامل من لا يجهل، والذي يحفظ عليك لا يغفل، تجهز فقد دنا منك سفر، وداو دينك فقد دخله سقم شديد، ولا تحسبن أني أردت توبيخك أو تعييرك وتعنيفك، ولكني أردت أن تنعش ما فات من رأيك، وترد عليك ما عزب عنك من حلمك، وذكرت قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات]

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ سير أعلام النبلاء/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام

◆ الملك إسماعيل بن نور الدين محمود بن عماد الدين بن آق سنقر (من ملوك الأيوبية في دمشق) والعز بن عبد السلام [152]

كان الملك الصالح إسماعيل بن العادل [1] سلطان دمشق بعد وفاة الملك الأشرف [2]،قد نشأ بينه وبين ابن أخيه الصالح نجم الدين أيوب [3] خلاف، فتحالف إسماعيل مع الفرنج الصَّليبيِّين ليساعدوه على نجم الدّين، وسلَّم إليهم لقاء ذلك قلعة صفد وبلادها وقلعة الشقف وبلادها، ومناصفة سيدا وطبرية وأعمالها، وجبل عاملة وسائر بلاد الساحل، وأذن للفرنج في شراء السلاح من دمشق، فضجَّ المسلِمون لذلك وأنكروا على إسماعيل، وأفتَى العزُّ بن عبد السلام [4] بتحريم بيع السلاح للفرنج، وقال: يحرُم عليكم مبايعتهم لأنَّكم تتحقَّقون أنَّهم يشترونه ليُقاتلوا به إخوانكم المسلمين. وشدَّد العزّ الإنكار على إسماعيل هذه التصرُّفات الحمقاء، وانتقده مِن على منبر جامع دمشق يوم الجمعة، وأبطل الدُّعاء له واستبدله بدعاء منه: ﴿اللَّهُمَّ أَبْرِمْ لِهَذِهِ الأُمَّةِ أَمْرَ رُشْدٍ تُعَزُّ فِيهِ أَوْلِياؤُكَ وَتُذَلُّ فِيهِ أَعْدَاؤُكَ وَيُعْمَلُ فِيهِ بِطَاعَتِكَ وَيُنْهَى فِيهِ عَنْ مَعْصِيَتِكَ﴾ والناس يضجون بالدعاء. وكان الملك الصَّالح إسماعيل غائبًا عن دمشق فأُخْبِر عن ذلك، فورد كتابُه بعزل ابن عبد السلام عن الخطابة واعتقاله هو والشَّيخ ابن الحاجب [5] المالكي؛ لأنَّه رفع صوتَه في الإنكار عليه مع عزّ الدين فاعتقلا. ثمَّ لَمَّا قدِم إسماعيل إلى دمشْق أفرج عنهما، وألزم ابن عبد السلام بملازمة داره وأن لا يفتي ولا يجتمع بأحد البتة، فاستأذنه في صلاة الجُمُعة وأن يعبر إليه طبيب أو مزين (حلاق) إذا احتاج إليهما، وأن يعبر إلى الحمام فأذن له، في ذلك، ثم عزم العزم على مغادرة دمشق واستأذنه إسماعيل فأذن له، فاختار مصر وخرج إليها سنة 638 هـ ومعه ابن الحاجب المالكي ومرَّ بالقدس فقضى بها فترة قصيرة. ووصل إلى القاهرة سنة 639 ولكنَّه قبل أن يصِلها وبينما كان في القدس جاء الملك إسماعيل والملك المنصور صاحب حِمْص وملوك الفرنج بعساكِرِهم وجيوشِهم إلى بيت المقدس يقصدون الدِّيار المصريَّة، فسيَّر إسماعيل بعض خواصِّه إلى الشَّيخ بمنديله وقال له: تدفع منديلي إلى الشَّيخ وتتلطَّف به غاية التلطُّف وتستنزله وتعِدُه بالعودة إلى مناصبه على أحسن حال، فإن وافقك فتدخل به عليَّ، وإن خالفَك فاعتقلْه في خيمة إلى جانب خيمتي. فلمَّا اجتمع الرَّسول بالشيخ شرع في مسايستِه وملاينته ثمَّ قال له: بينك وبين أن تعود إلى مناصبك ما كنت عليه وزيادة أن تنكسِر للسُّلْطان وتقبّل يده لا غير. فقال الشَّيخ: والله يا مسكين ما أرْضاه أن يقبِّل يدي فضلاً عن أن أقبل يده، يا قوم أنتم في وادٍ وأنا في وادٍ، والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به. فقال: قد رسم لي أن توافق على ما يطلب منك وإلاَّ اعتقلتُك. فقال الشيخ: افعلوا ما بدالكم. فأخذه واعتقله في خيمةٍ إلى جانب خيمة السلطان. وكان الشيخ يقرأ القرآن والسلطان يسمعه، فقال يومًا لملوك الفرنج: تسمعون هذا الشَّيخ الذي يقرأ القرآن؟ فقالوا: نعم. قال: هذا أكبر قسوس للمسلمين قد حبستُه لإنكاره عليَّ تسليمي لكم حصون المسلمين، وعزلته عن الخطابة بدمشق ومن مناصبه، ثمَّ أخرجتُه فجاء إلى القدس، وقد جدَّدت حبسه واعتقاله لأجلكم. فقالت له ملوك الفرنج: لو كان هذا قسيسنا لغسلنا رجليه وشربنا مرقته. ولم يستطع العزّ الخلاص من حبس إسماعيل إلى أن هُزِم إسماعيل ومَن معه من حلفائه الصليبيين، وهربوا، وأنتصر نجم الدين أيوب، فحمل الشيخ العز بن عبد السلام إلى مصر معززا مكرما، وتولى فيها منصب قاضي القضاة.

➔ (4) عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المهذب، المشهور بالعز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين السلمي الدمشقي الشافعي، سلطان العلماء وبائع الملوك وشيخ الإسلام، له مصنفات حسان، ولد سنة 577 هـ أو 578 هـ، سمع كثيرا وتفقه على الشيخ فخر الدين بن عساكر وغيره وبرع في المذهب وجمع علوما كثيرة، وأفاد الطلبة ودرس بعدة مدارس بدمشق، وولي خطابتها ثم نفاه صاحبها إلى مصر بسبب أنه شنع عليه لتسليمه صفد والشقيف للصليبيين لقاء مساعدته على صاحب مصر، فدرس بمصر وخطب وحكم، وانتهت إليه رئاسة الشافعية، توفي سنة 660 هـ وقد نيف على الثمانين، ودفن من الغد بسفح المقطم، وحضر جنازته السلطان الظاهر وخلق كثير، وكان يعرف بسلطان العلماء لأنه كان مهابا من قبل السلاطين وكان يقول الحق أمامهم ولا يخافهم ويفتي بلا مداهنة بما يراه.

➔ (5) عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس ، أبو عمرو، الدويني الأسنائي، المعروف بابن الحاجب، الفقيه المالكي والأصولي النحوي، ولد بإسنا من صعيد مصر سنة 570هـ . وكان والده حاجبا للأمير عز الدين موسك الصلاحي وكان كرديا واشتغل ولده عثمان هذا بالقاهرة في صغره بالقرآن ثم بالفقه على مذهب الإمام مالك ثم باللغة العربية والقراءات ثم انتقل إلى دمشق ودرس بجامعها وكان الغالب عليه علم العربية ثم نزح عن دمشق هو والشيخ عز الدين ابن عبد السلام في دولة الصالح إسماعيل عندما أنكرا عليه – ودخلا مصر، وتصدر بالمدرسة الفاضلية، ولازمه الطلبة، وانتقل إلى الإسكندرية فلم تطل مدته هناك وتوفي بها سنة 646 هـ

➔ (3) الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، لقب بأبي الفتوح، ولد بالقاهرة سنة603 هـ وتوفى بالمنصورة سنة 647 هـ. كان سابع ملوك بني أيوب بمصر، أنشأ المماليك البحرية، ودخل في صراعات مع الملوك الأيوبيين في الشام. هو حفيد السلطان الملك العادل أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي. وكان والده الملك الكامل قد استقل بمصر سنة 615 هـ، بعد وفاة والده الملك العادل الذي كان قد قسم مملكته بين أولاده قبل وفاته وأعطى مصر للملك الكامل.

➔ (1) الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك العادل بن أيوب، / الصالح إسماعيل بن العادل نور الدين محمود بن عماد الدين بن آق سنقر في الشام.ولد سنة 558 هـ استلم حكم الشام ومصر بعد وفاة والده سنة 569 هـ. اعترف صلاح الدين الأيوبي به كحاكم للشام ومصر ودخل سنة 569 هـ إلى دمشق ليعلن نفسه وصيا على العرش. ليهرب إسماعيل إلى حلب سنة 571 هـ ويعلن صلاح الدين نفسه سلطانا على الشام ومصر. توفي إسماعيل في حلب سنة 576 هـ وتذكر بعض المصادر أنه مات مسموما.

➔ (2) الملك الأشرف أبو الفتح مظفر الدين وقيل شرف الدين موسى بن الملك العادل محمد بن أيوب، من ملوك الأيوبيين ولد في القاهرة وقيل في الكرك سنة 578 هـ. توفي في دمشق سنة 635 هـ

أيها الإخوة المؤمنين، كأننا بالتاريخ يعيد نفسه، وتتكرر العبر والأحداث وتتبدل الأسماء والشخوص، فها هم الملوك والأمراء الخونة ينزلون الصليبيين في عقر دار الإسلام، وها هم جنودهم ومجندتهم يروحون مدججين بالأسلحة في طول بلاد الحرمين وعرضها، برا و بحرا وجوا، وها هم العلماء الصالحون قد أنكروا وأعلنوا، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، فأودعوا السجون والمعتقلات والإقامات الجبرية، ومنعوا من الإفتاء والتدريس والخطابة. وها هم علماء السلاطين وحاشيتهم يترددون عليهم ليحضوا منهم بانكساره وخذلان يرضى به الفراعنة عنهم، فمنهم من ينكس فيحض برضى آل سعود، و يشتريه بخذلان الإسلام وأهله وإخوانه الدعاة، ومنهم من لا يزال صامدا نسأل الله لهم الثبات والنصر والفرج. لسان حالهم يقول لأولئك العملاء والمخذولين، يا ناس أنتم في واد ونحن في واد، والله لا نرضى أن يقبل أبن سعود أرجلنا لنرض عنه فضلا عن أن نقبل يده. فثبتكم الله يا دعاة الإصلاح، أيها المجاهدون، ولنا في ثباتكم خير خلف على خطى العز بن عبد السلام رحمه الله وخير السلف.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ الوفيات والأحداث

◆ أمراء مماليك، الكامل محمد بن الملك العادل بن أيوب (من ملوك الدولة الأيوبية في مصر) وابن عين الدولة [153]

كان بمصر مغنية تدعى عجيبة، أولع بها الملك الكامل بن أيوب[1]، ويذكر أن الكامل كان مع تصميمه بالنسبة إلى أبناء جنسه يحضرها إليه ليلاً ، وتغنيه بالجنك* على الدف في مجلس ابن شيخ الشيوخ[2] وغيره، وأولع محمد الكامل بها جدا ثم اتفقت قضية شهد فيها الكامل عند القاضي ابن عين الدولة وهو في دست ملكه، فقال ابن عين الدولة عبد الله بن الصفراوي الملقب بعين الدولة:[3] السلطان يأمر ولا يشهد، فأعاد عليه السلطان الشهادة فأعاد القاضي القول، فلما زاد الأمر ، وفهم السلطان أنه لا يقبل شهادته، قال : أنا أشهد، تقبلني أم لا ؟ فقال القاضي: لا ، ما أقبلك وعجيبة تطلع إليك كل ليلة، وتنزل ثاني كل يوم بكرة، وهي تتمايل سكرى على أيدي الجواري ، وينزل ابن الشيخ من عندك، أعيا ما ينزل، فقال له السلطان: يا كبواج* !وهي كلمة شتم بالفارسية، فقال القاضي: ما في الشرع يا كبواج! اشهدوا عليّ أني قد عزلت نفسي، ونهض، فقام ابن الشيخ إلى الملك الكامل، فقال له: المصلحة إعادته، لئلا يقال لأي شيء عزل القاضي نفسه، وتطير الأخبار إلى بغداد، ويشيع أمر عجيبة، ، فقال له: صدقت، ونهض الكامل إلى القاضي وترضاه، وعاد إلى القضاء.

هذه الحكاية سماها بعض الناس: (عجيبة عجيبة) وفيها بحث فقهي يراجع في طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي. يستفاد من القصة أن القاضي استعمل أثر الرأي العام لتحجيم السلطة ومنعها من التدخل في القضاء والتعسف في استعمال موقعها لإضاعة حقوق العباد، ويمكن أن يستفاد من هذه القصة استعمال وسيلة الإضراب عن العمل للضغط على السلطة بغية إلزامها بالحق وعدم التدخل للتأثير على القضاء ضد الشريعة .

* الجنك من آلات الطرب، فارسي معرب." بغداد دار الخلافة! العباسية. (كبواج) في رواية: كبواج /ـ كنواخ.

---

(3) شرف الدين محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي القاسم بن صدقة ابن الصفراوي الاسكندراني ثم المصري الشافعي، عرف بابن عين الدولة. مولده بالثغر سنة 551 هـ. وقدم القاهرة سنة 573 هـ فناب عن ابن درباس، وقد ولي قضاء الثغر من أقاربه ثمانية، ثم استقل بقضاء القاهرة سنة 613 هـ ثم ولي قضاء الاقليم سنة 617 هـ. وله فقه وفضائل ونظم ونثر مع العفة والنزاهة. مات سنة 639 هـ.

(1) الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، لقب بـ أبي المعالي، ولد سنة 572 هـ تنازل عن بيت المقدس للصليبيين.ولاه أبوه الديار المصرية سنة 615 هـ ولم يزل الملك الكامل ينوب عن أبيه بالديار المصرية إلى أن توفي أبوه وذلك قريب من عشرين سنة واستقل بالملك بعده عشرين سنة. وتوفي في دمشق سنة 635 هـ.

(2) فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ قائد عسكري، وأحد الأمراء في عهد الملك الكامل.مات بالشميساطية سنة 629 هـ.

روى ابن جرير[1] عن أبي الصهباء البكري[2]، أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو يسأل عن هذه الآية:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [لقمان] فقال عبد الله بن مسعود: الغناء، والله الذي لا إله إلا هو، يردها ثلاث مرات، وقال: رجل يشتري جارية تغنيه ليلا أو نهارا. وقال الحسن البصري: نزلت هذه الآية في الغناء والمزامير، وقيل: أراد بقوله (يشتري لهو الحديث) اشتراء المغنيات من الجواري، قال الضحاك: (لهو الحديث) يعني الشرك، وبه قال ابن أسلم، واختار ابن جرير أنه كل كلام يصد عن آيات الله واتباع سبيله، وقوله (ليضل عن سبيل الله) أي إنما يصنع هذا للتخالف للإسلام وأهله، وقوله تعالى (ويتخذها هزوا) قال مجاهد: ويتخذ سبيل الله هزوا يستهزئ بها، وقال قتادة: يعني ويتخذ آيات الله هزوا، وقول مجاهد أولى. وقوله (أولئك لهم عذاب مهين) أي كما استهانوا بآيات الله وسبيله، أهينوا يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر، ثم قال الله تعالى:﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان] أي هذا المقبل على اللهو واللعب والطرب، إذا تليت عليه الآيات القرآنية، ولى عنها وأعرض وأدبر، وتصامم وما به من صمم: كأنه ما سمعها لأنه يتأذى بسماعها، إذ لاانتفاع له بها ولا أرب له فيها (فبشره بعذاب أليم) أي يوم القيامة يؤلمه كما تألم بسماع كتاب الله وآياته. قال الشافعي: إذا جمع الرجل النَّاس لِسماع جاريته، فهو سفيه مَرْدود الشَّهادة، وهو بذلك دَيُّوث. وعن أبي عامر الأشعري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ﴾ (الحر) الفرج وأصله الحرح والمعنى أنهم يستحلون الزنا. وعن عبد الله بن دينار قال: مر ابن عمر بجارية صغيرة تغني، فقال: لو ترك الشيطان أحدا لترك هذه. قال أحمد: الغناء ينبت النفاق في القلب. وذهب آخرون إلى تحريمه. قال أحمد: في من مات وخلف ولدا يتيما، وجارية مغنية، فاحتاج الصبي إلى بيعها، تباع ساذجة. قيل له: إنها تساوي مغنية ثلاثين ألفا، وتساوي ساذجة عشرين دينارا. قال: لا تباع إلا على أنها ساذجة. وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَحِلُّ بَيْعُ الْمُغَنِّيَاتِ وَلَا شِرَاؤُهُنَّ وَلَا تِجَارَةٌ فِيهِنَّ، وَأَكْلُ أَثْمَانِهِنَّ حَرَامٌ﴾ وفيهن أنزل الله تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ [لقمان] كما احتجوا على تحريمه بما روي عن ابن الحنفية في قوله تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج] قال: الغناء. وعن أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ اللهَ بَدَأَ هَذَا الْأَمْرَ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً، وَكَانَتْ خِلَافَةً وَرَحْمَةً، وَكَائِنًا مُلْكًا عَضُوضًا، وَكَائِنًا عُتُوًّا وَجَبْرِيَّةً وَفَسَادًا فِي الْأُمَّةِ، يَسْتَحِلُّونَ الْفُرُوجَ وَالْخُمُورَ وَالْحَرِيرَ وَيُنْصَرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَيُرْزَقُونَ أَبَدًا حَتَّى يَلْقَوُا اللهَ﴾ وعن أبي هريرة قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَكُونُ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ خُلَفَاءُ يَعْمَلُونَ بِكِتَابِ اللهِ ، وَيَعْدِلُونَ فِي عِبَادِ اللهِ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ بَعْدِ الْخُلَفَاءِ مُلُوكٌ يَأْخُذُونَ بِالظَّأْرِ، وَيَقْتُلُونَ الرِّجَالَ، وَيَصْطَفُونَ الْأَمْوَالَ، فَمُغَيِّرٌ بِيَدِهِ، وَمُغَيِّرٌ بِلِسَانِهِ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ شَيْءٌ﴾.

---

(1) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، الطبري.محدث ومفسر ومؤرخ، كان شافعي المذهب ثم أصبح مجتهدا مستقلا، ولد في طبرستان في مدينة آمل 224 هـ وتوفي ببغداد سنة 310 هـ.من مؤلفاته: جامع البيان في تأويل القرآن بالقرآن و تاريخ الأمم والملوك.

(2) صهيب أبو الصهباء البكري البصري، ويقال: المدني، مولى ابن عباس. روى عن مولاه عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب. روى عنه سعيد بن جبير، وطاووس بن كيسان، ويحيى بن الجزار، وأبو معاوية البجلي، وأبو نضرة العبدي.وتوفي قبل 80 هـ.

مراجع: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة/ طبقات الشافعية/ تفسير ابن كثير/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ البداية والنهاية/ الوافي بالوفيات/مجلة المنار/ سير أعلام النبلاء

◆ أمراء مماليك، الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب (من ملوك الدولة الأيوبية في مصر) والعز بن عبد السلام (١) [154]

ذكرت كتب التاريخ والتراجم أن الشيخ العز بن عبد السلام[1] بعد أن أمتحن في إنكاره على سلطان الشام، وخيانته وتسليمه لحصون المسلمين للنصارى، وما كان من أمره وخروجه إلى مصر، وتوليه القضاء فيها، وقيامه به، وبالدعوة إلى الله خير قيام، أنه كان له في مصر، رحمه الله محنة أخرى، فقد عظمة في مصر أيام نجم الدين[2] سطوة المماليك الأتراك حتى أصبحوا أمراء في الدولة أيام نجم الدين إلى أن آل إليهم حكم مصر فيما بعد، وكان سلطان العلماء العز بن عبد السلام، لا يرى أنهم أحرار، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، فبلغهم ذلك، وعظم الخطب، وأحتدم الأمر، والشيخ مصمم على رأيه، لا يصحح لهم بيع ولا شراء ولا نكاحا، وتعطلت مصالحهم بذلك وكان من جملتهم نائب السلطنة فاستشاط غضبا فاجتمعوا وأرسلوا إليه يسألونه ماذا يريد؟ فقال الشيخ رحمه الله: نعقد لكم مجلسا وينادى عليكم لبيت مال المسلمين، ويحصل عتقكم بطريق شرعي. فرفعوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليه فلم يرجع. وبدر من السلطان كلام غليظ على الشيخ. فغضب العز بن عبد السلام، وأخذ حوائجه على حمار، وحمل أهله على حمير أخرى، ومشى قاصداً الشام. فلم يكد يغادر البلاد حتى لحق به عامة المسلمين من رجال ونساء وصبيان، ولا سيما من العلماء والصلحاء، والتجار، وأنحائهم. فبلغ السلطان الخبر، وجاءه النذير أن أدرك ملكك سيروح إذا راح الشيخ، فركب السلطان بنفسه ولحقه وسترضاه، وطيب قلبه، فرجع وتفقوا معه على أن ينادى على الأمراء، فأرسل إليه نائب السلطنة بالملاطفة فلم يفد فيه، فانزعج نائب السلطان المملوكي، وقال: ينادى علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض، والله لأضربنه بسيفي هذا ، فركب بنفسه في جماعة وجاء إلى بيت الشيخ والسيف مسلول في يده فطرق الباب فخرج ولد الشيخ أظنه عبد اللطيف فرأى نائب السلطنة فيما هو فيه، فعاد إلى أبيه، وشرح له ما رأى، فما اكترث لذلك، ولا تغير. وقال له: يا ولدي إن أبوكم أقل من أن يقتل في سبيل الله. ثم خرج إلى الأمير المملوكي، فكأنه قضاء الله قد نزل على نائب السلطنة، فلما وقع بصره عليه، يست يدى النائب وسقط السيف منها، وأرعدت مفاصله، فبكى ونزل يستسمح الشيخ ويسأله الدعاء له. وقال: يا سيدي خيراً، أي شيء تعمل؟ قال: أنادي عليكم وأبيعكم. قال: ففيم تصرف ثمننا؟ قال: في مصالح المسلمين. قال: من يقبضه؟ قال: أنا. فتم للشيخ ما أراد. وناديَ على الأمراء المماليك، وبيعوا واحداً واحداً، وغالى في ثمنهم، وقبضه، وصرفه في وجوه الخير، ولم يسمع في تاريخ الإسلام من فعل فعله رحمه الله.

---

(1) عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المهذب، المشهور بالعز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين السلمي الدمشقي الشافعي، سلطان العلماء وبائع الملوك وشيخ الإسلام، له مصنفات حسان، ولد سنة 577 هـ أو 578 هـ سمع كثيرا وتفقه على الشيخ فخر الدين بن عساكر وغيره وبرع في المذهب وجمع علوما كثيرة، وأفاد الطلبة ودرس بعدة مدارس بدمشق، وولي خطابتها ثم نفاه صاحبها إلى مصر بسبب أنه شنع عليه لتسليمه صفد والشقيف للصليبيين لقاء مساعدته على صاحب مصر، فدرس بمصر وخطب وحكم، وانتهت إليه رئاسة الشافعية، توفي سنة 660 هـ وقد ناف على الثمانين، ودفن من الغد بسفح المقطم، وحضر جنازته السلطان الظاهر وخلق كثير، وكان يعرف بسلطان العلماء لأنه كان مهابا من قبل السلاطين وكان يقول الحق أمامهم ولا يخافهم ويفتي بلا مداهنة بما يراه

(2) الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، لقب بأبي الفتوح، ولد بالقاهرة سنة603 هـ وتوفى بالمنصورة سنة 647 هـ. كان سابع ملوك بني أيوب بمصر، أنشأ المماليك البحرية، ودخل في صراعات مع الملوك الأيوبيين في الشام. هو حفيد السلطان الملك العادل أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي. وكان والده الملك الكامل قد استقل بمصر سنة 615 هـ، بعد وفاة والده الملك العادل الذي كان قد قسم مملكته بين أولاده قبل وفاته وأعطى مصر للملك الكامل.

أيها الإخوة المؤمنون، هذا هو العز بن عبد السلام القائل رحمه الله:﴿من أَثَارَ اللهُ عَلَى نَفْسِهُ أَثَارَهُ الله﴾ والمخاطرة بالنفوس مشروعة في إعزاز الدين، فقد ثبته الله، ونصره وأعزه، و إن كان من لفتة مأثرة في هذه القصة المليئة بالعبر، فهو خروج عامة الناس، وعلمائهم، ورجالهم، ونسائهم، وصبيانهم وراء الشيخ ينصرنه، فما بال المسلمين في بلادنا وقد أنتزع علماؤهم من بين أظهرهم، ورموا في الزنازين يصنع بهم ما يصنع بالمجرمين وقطع الطرق، وهم من هم في الفضل والرفعة والسمو، حفظهم الله، ما بال الدعاة والعلماء والأئمة وطلبة العلم، وقد مرت السنون على مشايخهم وإخوانهم، وهم في غياهب الظلام تحت الظلم والقهر، وأولئك في أزواجهم، وأولادهم معافين سالمين يأكلون، ويشربون. لله الأمر من قبل ومن بعد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي

◆ الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب (من ملوك الدولة الأيوبية في مصر) والعز بن عبد السلام (٢) [155]

روى السبكي[1] قال: سمعت الشيخ الإمام[2] يقول: سمعت شيخنا الباجي[3] يقول: طلع شيخُنا عزّ الدين[4] مرَّة إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة، فشاهد العسْكر مصطفِّين بين يديه ومجلس المملكة، وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصريَّة، وأخذت الأمراء تقبِّل الأرض بين يدي السُّلطان، فالتفتَ الشيخ إلى السلطان وناداه: يا أيوب، ما حجَّتك عند الله إذا قال لك: ألَمْ أبوئ لك ملك مصر ثمَّ تبيع الخمور؟! فتجاهل أيوب حقيقة السؤال تجاهل العارف وتنمر المريب قائلا: هل جرى هذا؟ فقال الشيخ: نعم، الخانة الفلانيَّة تباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات وأنت تتقلَّب في نعمة هذه المملكة. ويُناديه كذلك بأعلى صوتِه والعساكر واقفون، فقال: يا سيّدي هذا أنا ما عملتُه، هذا من زمان أبي. فقال الشيخ: أنت من الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ [الزخرف] ويتسلل الرعب إلى نفس السلطان؛ فيرسم بإبطال بتلك الخانة وبدأ الناس يتساءلون عن سر هذه الجرأة، سأله* تلميذُه الراوي مستفسرًا عن سبب هذه المؤاخذة والانتقاد أمام الملأ في مثل هذا اليوم العظيم؟ فأجابه: يا بني، رأيتُه في تلك العظمة فأردت أن أهينَه لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه. قال الباجي: أما خِفْتَه؟ قال: والله يا بني، استحضرتُ هَيبة الله تعالى فصار السُّلْطان قدَّامي كالقطّ.

* في بعض المجاميع أن الذي سأله هذا السؤال تلميذه الشيخ أبو عبد الله محمد بن النعمان، فلعل علاء الدين الباجي وابن النعمان سألاه. وفي رواية أخرى الذي سأله: أبو الحسن البادي.

---

(4) عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المهذب، المشهور بالعز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين السلمي الدمشقي الشافعي، سلطان العلماء وبائع الملوك وشيخ الإسلام، له مصنفات حسان، ولد سنة 577 هـ أو 578 هـ، سمع كثيرا وتفقه على الشيخ فخر الدين بن عساكر وغيره وبرع في المذهب وجمع علوما كثيرة، وأفاد الطلبة ودرس بعدة مدارس بدمشق، وولي خطابتها ثم نفاه صاحبها إلى مصر بسبب أنه شنع عليه لتسليمه صفد والشقيف للصليبيين لقاء مساعدته على صاحب مصر، فدرس بمصر وخطب وحكم، وانتهت إليه رئاسة الشافعية، توفي سنة 660 هـ وقد نيف على الثمانين، ودفن من الغد بسفح المقطم، وحضر جنازته السلطان الظاهر وخلق كثير، وكان يعرف بسلطان العلماء لأنه كان مهابا من قبل السلاطين وكان يقول الحق أمامهم ولا يخافهم ويفتي بلا مداهنة بما يراه.

(2) أبو الحسن تقي الدين السبكي علي بن عبد الكافي بن علي، مفسر وفقيه وأصولي أشعري شافعي، كنيته أبو الحسن مع أنه لم يسم أحدا من أبنائه بالحسن، كان يلقب بشيخ الإسلام، ولد بسبك من أعمال المنوفية سنة 683 هـ، توفي بجزيرة الفيل على شاطئ النيل سنة 756 هـ.

(3) علاء الدين الباجي علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب، كان إماما في الأصلين والمنطق فاضلا فيما سواهما، وكان أنظر أهل زمانه لا يكاد ينقطع في المباحث. ولد سنة 631 هـ، وتفقه على الشيخ عز الدين بن عبد السلام، واستوطن القاهرة، وصنف مختصرات في علوم متعددة، وأخذ عنه التقي السبكي. مات سنة 714 هـ.

(1) أبو نصر تاج الدين عبد الوهّاب بن علي بن عبد الكافي السبكي. فقيه شافعي. ابن العلامة قاضي القضاة السبكي. ولد بالقاهرة سنة 728 هـ وتوفي سنة 771 هـ من مصنفاته: كتاب طبقات الشافعية الكبرى وجمع الجوامع.

قال عمر الوراق:[1] رأيت العتابي[2] يأكل خبزا على الطريق بباب الشام فقلت له: ويحك أما تستحي؟ فقال: أرأيت لو كنا في دار فيها بقر أكنت تحتشم أن تأكل وهو يراك؟ فقلت: لا، فقال: فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر، ثم قام فوعظ وقص ودعا حتى كثر الزحام عليه، فقال لهم: روي لنا من غير وجه أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفه* لم يدخل النار، قال: فما بقي أحد منهم إلا أخرج لسانه نحو أرنبة أنفه ويقدره هل يبلغها أم لا، فلما تفرقوا قال العتابي: ألم أعلمك أنهم بقر؟.

قالت العلماء: المقلد مخطئ في التقليد، ولو أصاب الحق، لأن من اعتقد الحق بغير حجة ولا دليل، مثل من اعتقد الباطل بغير حجة ولا دليل، وإذا دخل في الحق بالتقليد، خرج منه بالتقليد، قال أحمد بن حنبل: لاتقلدني ولا تقلد مالكا ولا الثوري ولا الأوزاعي وخذ من حيث أخذوا وقال: من قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال. وقال أبو يوسف: لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا. وقال مالك بن أنس: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم . وقال السيوطي: ما زال السلف والخلف يأمرون بالاجتهاد ويحضون عليه وينهون عن التقليد ويذمونه ويكرهونه. عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ. وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا﴾ (لا تكونوا إمعة) ذمي عن التقليد. وفرض العامي سؤال العلماء ؛ لقول الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء] عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُم شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلّوا بَعْدَهُما: كِتَابَ اللهِ وسُنَّتِي، ولَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ﴾.عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ﴾ (سنن) الطريق والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر.

عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ هَذَا الأَمْرَ بَدَأَ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا عَضُوضًا، يَشْرَبُونَ الخُمُورَ، وَيَلْبَسُونَ الحَرِيرَ، وَيَسْتَحِلُّونَ الفُرُوجَ، وَيُنْصَرُونَ وَيُرْزَقُونَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ﴾ وعن معاذ بن جبل قال:﴿يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ لَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِكَ، وَلَا يَأْخُذُونَ بِأَمْرِكَ، فَمَا تَأْمُرُ فِي أَمْرِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا طَاعَةَ لِمَنْ لَمْ يُطِعِ اللهَ﴾ وعن أنس قال:﴿لَأُحَدِّثَنَّكُمْ بِحَدِيثٍ لَا يُحَدِّثُكُمُوهُ أَحَدٌ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، وَتَقِلَّ الرِّجَالُ، وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ فِي الْخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ﴾ وعن معاوية بن أبي سفيان، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِذَا شَرِبَ الْخَمْرَ، فَاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إِذَا شَرِبَ فَاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إِذَا شَرِبَ الثَّالِثَةَ فَاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إِذَا شَرِبَ الرَّابِعَةَ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ﴾ وعن أبي هريرة، يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَزْنِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللهُ لَهُمْ صَلَاةً، وَلَا تَقْرَبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ: السَّكْرَانُ حَتَّى يُفِيقَ مِنْ سُكْرِهِ، وَالْجُنُبُ حَتَّى يَغْتَسِلَ وَيُصَلِّيَ، وَالْمُتَخَلِّقُ بِالزَّعْفَرَانِ حَتَّى يُغْسَلَ عَنْهُ﴾.

*(الأرنبة): مقدم الأنف وأعلاه.

---

(2) كلثوم بن عمرو العتابي الشاعر؛ أصله من الشام من أرض قنسرين، صحب البرامكة وصحب طاهر بن الحسين، وهو أديب مصنف له من الكتب كتاب المنطق وكتاب الآداب وكتاب فنون الحكم وكتاب الخيل وكتاب الألفاظ. وتوفي في حدود 220 هـ.

(1) عمر الوراق/ عثمان الوراق/ علان الوراق ؟؟؟.. علان الشعوبي الوراق اصله من الفرس. وكان علامة بالأنساب والمثالب والمنافرات منقطعا إلى البرامكة ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة.

مراجع: مسند أحمد /طبقات الشافعية الكبرى للسبكي/ الحور العين/ المستدرك على الصحيحين/ الفتن لنعيم بن حماد/ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة/ فوات الوفيات/ الوافي بالوفيات

◆ معين الدين، وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب (من ملوك الدولة الأيوبية في مصر) والعز بن عبد السلام [156]

في أثناء توليه منصب رئيس القضاة في مصر بعد حوالي سنة من تقلده هذا المنصب، أبطل شهادة الوزير معين الدين بن شيخ الشيوخ[1] وزير الملك الصَّالح نجم الدين[2]، وذلك على أثر بناء بعض غلمانه طبل خانة* على سطح أحد المساجد تضرب فيها الطبول، وتنفخ فيها الأبواق والمزامير، وتدق فيها الصنج من النحاس لاستدعاء الجند، فالناس تحت في صلاة، وهؤلاء فوقهم يزمرون ويطبلون، فما كان من العزّ[3] إلا أن أخذ أبناءه وبعض مريديه، وبيدهم المعاول والفؤوس وذهبوا جميعا وكسروا الطبل خانه. وأسقط شهادة الوزير، ثمَّ عزَل نفسَه من القضاء، وقبل السُّلْطان الاستِقالة على مضض فقد عظم عليه ذلك. وبعث السُّلْطان رسولاً من قِبَلِه إلى الخليفة المستعصم[4] ببغداد، وسُئِل هذا الرَّسول: هل سمع الرِّسالة من الخليفة نفسه؟ فقال: بل من الوزير (أستاذ الدار) فكان جواب الخلفية الصَّاعق: إنَّ المذكور أسقطه ابن عبد السلام فنحن لا نقبل روايته، فاضطرَّ الرَّسول إلى العودة إلى السلطان وإبلاغه بالأمر ثم رجوعه بعد تصْحيح الرِّسالة.

*(طبل خانة) يشبه نادي الموسيقى

➔ (3) عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المهذب، المشهور بالعز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين السلمي الدمشقي الشافعي، سلطان العلماء وبائع الملوك وشيخ الإسلام، له مصنفات حسان، ولد سنة 577 هـ أو 578 هـ، سمع كثيرا وتفقه على الشيخ فخر الدين بن عساكر وغيره وبرع في المذهب وجمع علوما كثيرة، وأفاد الطلبة ودرس بعدة مدارس بدمشق، وولي خطابتها ثم نفاه صاحبها إلى مصر بسبب أنه شنع عليه لتسليمه صفد والشقيف للصليبيين لقاء مساعدته على صاحب مصر، فدرس بمصر وخطب وحكم، وانتهت إليه رئاسة الشافعية، توفي سنة 660 هـ وقد نيف على الثمانين، ودفن من الغد بسفح المقطم، وحضر جنازته السلطان الظاهر وخلق كثير، وكان يعرف بسلطان العلماء لأنه كان مهابا من قبل السلاطين وكان يقول الحق أمامهم ولا يخافهم ويفتي بلا مداهنة بما يراه.

➔ (2) الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، لقب بأبي الفتوح، ولد بالقاهرة سنة 603 هـ وتوفي بالمنصورة سنة 647 هـ. كان سابع ملوك بني أيوب بمصر، أنشأ المماليك البحرية، ودخل في صراعات مع الملوك الأيوبيين في الشام. هو حفيد السلطان الملك العادل أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي. وكان والده الملك الكامل قد استقل بمصر سنة 615 هـ، بعد وفاة والده الملك العادل الذي كان قد قسم مملكته بين أولاده قبل وفاته وأعطى مصر للملك الكامل.

➔ (1) معين الدين الحسن بن شيخ الشيوخ، وهو صدر الدين محمد بن عمر الجويني وزير الصالح نجم الدين أيوب.

➔ (4) عبد الله المستعصم بالله الملك العباسي السابع والثلاثون (آخر ملك عباسي في بغداد)

روى ابن مسعود، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الغناء ينبت النفاق في القلب. والصحيح أنه من قول ابن مسعود. وعلى كل حال، من اتخذ الغناء صناعة، يؤتى له، ويأتي له، أو اتخذ غلاما أو جارية مغنين، يجمع عليها الناس، فلا شهادة له؛ لأن هذا عند من لم يجرمه سفه ودناءة وسقوط مروءة، ومن حرمه فهو مع سفهه عاص مصر متظاهر بفسوقه. وبهذا قال الشافعي، وأصحاب الرأي. وإن كان لا ينسب نفسه إلى الغناء، وإنما يترنم لنفسه، ولا يغني للناس، أو كان غلامه وجاريته إنما يغنيان له، انبنى هذا على الخلاف فيه. فمن أباحه أو كرهه، لم ترد شهادته، ومن حرمه، قال: إن داوم عليه، ردت شهادته، كسائر الصغائر، وإن لم يداوم عليه، لم ترد شهادته. وإن فعله من يعتقد حله، فقياس المذهب أنه لا ترد شهادته بما لا يشتهر به منه، كسائر المختلف فيه من الفروع. ومن كان يغشى بيوت الغناء، أو يغشاه المغنون للسماع متظاهرا بذلك، وكثر منه، ردت شهادته، في قولهم جميعا؛ لأنه سفه ودناءة. وإن كان معتبرا به، فهو كالمغني لنفسه، على ما ذكر من التفصيل فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما اتخاذ التصفيق والغناء والضرب بالدفوف والنفخ بالشبابات والاجتماع على ذلك دينا وطريقا إلى الله وقربة؛ فهذا ليس من دين الإسلام، وليس مما شرعه لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ولا أحد من خلفائه، ولا استحسن ذلك أحد من أئمة المسلمين، بل ولم يكن أحد من أهل الدين يفعل ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا على عهد أصحابه، ولا تابعيهم بإحسان، ولا تابعي التابعين، بل لم يكن أحد من أهل الدين لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن ولا العراق ولا بخراسان ولا المغرب ولا مصر يجتمع على مثل هذا السماع، وإنما ابتدع في الإسلام بعد القرون الثلاثة. ولهذا قال الشافعي لما رأى ذلك: خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة، يسمونه التغبير؛ يصدون به الناس عن القرآن. وسئل عنه أحمد فقال: أكرهه وهو محدث. قيل: أتجلس معهم؟ قال: لا. وكذلك كرهه سائر أئمة الدين، وأكابر الشيوخ الصالحين لم يحضروه. ويقول شيخ الإسلام: وما ذكره الإمام الشافعي أنه من إحداث الزنادقة من كلام إمام خبير بأصول الإسلام؛ فإن هذا السماع لم يرغب فيه ويدعو إليه في الأصل إلا من هو متهم بالزندقة، كـ ابن الراوندي والفارابي وابن سينا وأمثالهم. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن كان له خبرة بحقائق الدين وأحوال القلوب ومعارفها وأذواقها، عرف أن سماع المكاء والتصدية (الصفير والصفيق!) لا يجلب للقلب منفعة ولا مصلحة إلا وفي ضمن ذلك من الضرر والمفسدة ما هو أعظم منه؛ فهو للروح كالخمر للجسد. يعني: أن الموسيقى والمعازف خمر للروح، وما من شيء يقرب إلى الجنة إلا وقد حدث به، ولا من شيء يبعد عن النار إلا وقد حدث به، ولو كان هذا السماع لمصلحة شرعها الله ورسوله لحدث به؛ فإن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة]، وإذا وجد السامع به منفعة لقلبه ولم يجد شاهد ذلك من كتاب الله ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لم يلتفت إليه، كما أن الفقيه إذا رأى قياسا لا يشهد له الكتاب والسنة لم يلتفت إليه.

مراجع: سراج الملوك/ صحيح البخاري/ السنن الكبرى للبيهقي/ السنن الكبرى للنسائي/ صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ تفسير القرآن الكريم – المقدم/ مقرر السيرة للصف الثالث الإعدادي بقطر

◆ الملك المظفر سيف الدين قطز محمود بن ممدود بن خوارزم شاه (من دولة المماليك البحرية) والعز بن عبد السلام [157]

كانت مواقف العزّ[1] الجريئة في الحقّ الصَّريحة في العدل كثيرة جدًا، فحين دمَّر التَّتار[2] بغداد واكتسحوا معظم بلدان الشَّام وأرادوا المسير إلى مصر، كان على عرْش مصر المنصور علي بن المعز أيبك، وهو صغير السنّ، ووصيّه الأمير قطز[3]،وقد بلغ العزُّ من العمر عتيًّا؛ إذْ قارب الثَّمانين، وكان يدرس في المدرسة الصَّالحية، وينشر العلم في بيته وفي المسجد، وله المكانة المرموقة كعالم كبير لمشورته أثرٌ ولرأيه صدى. كان الخطر يتهدَّد مصر كما يتهدَّد بقيَّة بلاد الشام وبلادًا إسلاميَّة أخرى، ولا بدَّ من العمل الحازم لموقْف هذا الزَّحف الشرير، وأرسل الملك النَّاصر[4] صاحب حلب والشَّام كمال الدين ابن العديم[5] في سنة 657 هـ إلى مصر يطلب منهم النَّجدة على قتال التتار. فجمع قطز القضاة والفقهاء والأعيان لمشاورتهم واتِّخاذ الخطوات اللازمة لمواجهة التَّتار، فحضروا في دار السَّلطنة بقلعة الجبل، وحضر الشَّيخ عز الدين ابن عبد السلام والقاضي بدر الدين السخاوي قاضي الديار المصريَّة وغيرهما من كبار العلماء. وجلس الملك المنصور على عرْشه، وتكلَّم متكلِّم فاستعرض الوضع واحتِياج النَّاس إلى مواجهة قويَّة للتتار، وإلى سلطان حازم ومال يغذُّون به بيت المال، وهذا يكون بشيءٍ من مساعدة مال الرَّعية لإقامة الجند وتجهيزهم للسَّفر، وانتهى المتحدِّث الرَّسمي فسكت الحضور. ثمَّ تحدَّث العزّ بن عبد السلام فكان في رأيه السَّداد وفي وقوله النصح والجرأة، فلم يرْض أن يرهق الشَّعب بالضَّرائب بينما بعض الأمراء والأعيان وبيت السّلطان يتمكَّنون من البذْل بسخاء، فقال: إذا طرق العدوّ بلاد الإسلام وجَب على العالم قتالُهم، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعيَّة ما تستعينون به على جهادكم، بشرط أن لا يبقى في بيت المال شيءٌ من السلاح والسروج الذهبيَّة والفضِّيَّة والكبابيش المزْكشة، وإسقاط السيوف والفضَّة وغير ذلك، وتبيعوا ما لكم من الحوائص الذهبيَّة والآلات النفيسة، ويقتصر كلّ الجند على سلاحِه ومرْكوبه ويتساووا هم والعامَّة، وأمَّا أخذ الأموال من العامَّة مع بقايا في أيْدي الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا. وانفضَّ المجلس على ما قاله سُلْطان العلماء، وحظِي توجيهُه بالقبول والرّضا. ولم يطُل الأمد حتَّى خاض المسلِمون معركة هائلةً في عين جالوت، وانكسر التَّتار شرَّ كسرة وانهزموا مدْحورين، فكانت معركة تاريخيَّة رفعتْ رأس المسلمين عاليًا، وردَّ الله التَّتار على أعقابِهم خائبين، لقد كان العزّ بن عبد السَّلام من القلائل الَّذين يعلو بهم شأن الأمَّة ويسمق مجدها، وكان له الصَّوت المجلجل بالحقّ لا يخنع لذي سلطان ولا يحابي ذا وجاهة.

روى السُّبْكي قول بيبرس بعد وفاة العزّ حينما مرَّت جنازة الشَّيخ تحت القلعة، وشاهد كثرة الخلق الذين معه: اليوم استقرَّ أمري في الملك؛ لأنَّ هذا الشَّيخ لو كان يقول للناس: اخرجوا عليْه، لانتزعوا الملك مني.

---

(1) عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المهذب، المشهور بالعز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين السلمي الدمشقي الشافعي، سلطان العلماء وبائع الملوك وشيخ الإسلام، له مصنفات حسان، ولد سنة 577 هـ أو 578 هـ سمع كثيرا وتفقه على الشيخ فخر الدين بن عساكر وغيره وبرع في المذهب وجمع علوما كثيرة، وأفاد الطلبة ودرس بعدة مدارس بدمشق، وولي خطابتها ثم نفاه صاحبها إلى مصر بسبب أنه شنع عليه لتسليمه صفد والشقيف للصليبيين لقاء مساعدته على صاحب مصر، فدرس بمصر وخطب وحكم، وانتهت إليه رئاسة الشافعية، توفي سنة 660 هـ وقد نيف على الثمانين، ودفن من الغد بسفح المقطم، وحضر جنازته السلطان الظاهر وخلق كثير، وكان يعرف بسلطان العلماء لأنه كان مهابا من قبل السلاطين وكان يقول الحق أمامهم ولا يخافهم ويفتي بلا مداهنة بما يراه.

(3) الملك المظفر سيف الدين قطز محمود بن ممدود بن خوارزم شاه، السلطان المملوكي، كان مملوكا للمعز أيبك التركماني، قاتل التتار وهزمهم في معركة عين جالوت ودخل دمشق في موكب عظيم، قتل على يد أتابك وعسكره سنة 658 هـ. وقيل على يد القائد المملوكي بيبرس. كان قطز أتابكا* للمنصور نور الدين علي بن أيبك، ورأى هولاكو قائد المغول قد سيطر على بغداد، وقتل خليفة المسلمين المستعصم بالله العباسي، واستولت التتار على ميافارقين (في ديار بكر) وأخذوها من يد الكامل ناصر الدين محمد، وأخذوا حلب ودمشق من يد السلطان الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي. ووصلت غارات التتار إلى غزة، فأحس قطز أن ظروف البلاد تتطلب منه أن يقوم بدور فعال في إنقاذها من خطر الغزو في هذه المرحلة الخطيرة، فعزل نور الدين علي بن أيبك الذي كان صغيرا لا يدرك عاقبة الأمور، وتولى السلطنة، وقام بتنظيم الجيش وإعداده، وخرج للملاقاة التتار في أواخر شهر شعبان سنة 658 هـ، وتمكن في رمضان من العام نفسه من إلحاق هزيمة نكراء بهم في عين جالوت (تقع بين بيسان ونابلس بفلسطين)، وقتل من جيش التتار ما يقرب من نصفه، وأجبر الباقي على الفرار، ثم دخل بعد ذلك دمشق، ثم عاد إلى مصر. وفي القصير (بمحافظة الشرقية)، وفي طريق عودة قطز إلى مصر أمر جنوده بالرحيل تجاه الصالحية، وبقي مع بعض خواصه وأمرائه للراحة، فاتفق عدد من المماليك بزعامة بيبرس على قتله، وتم لهم ما أرادوا في ذي القعدة سنة 658هـ بعد أن قام قطز بدحر التتار وهزيمتهم، وتشتيت جيشهم، وحفظ العالم الإسلامي من شرهم الذي لم يسلم منه أحد في طريقهم. * (أتابكا) يعني القائد أو الحاكم العسكري. لقب تركي أطلقة السلاجقة على بعض رجال البلاط والوزراء والقادة.

(2) التتار من أشد قبائل الجنس الأصفر وحشية، تعيش في صراع دائم ، كانت خاضعة في أغلب الأوقات لحكام الصين الشمالية من أفراد أسرة كين، وهذه القبائل ليس أفرادها جلود الكلاب وغيرها، كما أكلوا من لحومها. وكانوا من ألد أعداء المغول، فلما أصبح جنكيزخان قائدا للمغول تمكن من القضاء على التتار، ولم ينج منهم إلا عدد قليل، وعلى إثر ذلك أطلق اسم التتار على جنكيزخان وأتباعه من المغول تيمنا بما فعلوا، ولم يمض وقت طويل حتى أطلق عليهم اسم المغول، فعرفوا بالاسمين معا. وقد اجتاحت الشرق الاسلامي في القرنين 12 و13م

(5) عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم. مؤرخ، محدث، له شعر حسن، وترسل عن الملوك. ولد بحلب سنة 588 وقيل 586 هـ وتوفي بالقاهرة سنة 660 هـ وقيل 666 هـ من كتبه: بغية الطلب في تاريخ حلب. كتاب كبير جدا

(4) يوسف الناصر بن محمد العزيز ابن الظاهر غازي ابن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب. هو آخر ملوك بني أيوب. ولد بقلعة حلب سنة 627 هـ. وولي الملك فيها بعد وفاة والده سنة 634 هـ وعمره نحو سبع سنين. وتوفي سنة 659 هـ

أيها الإخوة المؤمنون، لقد كانت العسكرية فيما مضى تستلهم قوتها من العقيدة الدينية، أما اليوم فالعقيدة العسكرية لا دخل لها بالدين فهي عقيدة علمانية مصطنعة مبدأها الطاعة العمياء للأوامر دون تردد أو اعتراض. والاسلام يعلمنا الطاعة المبصرة لا الطاعة العمياء، وهذا سر هزائم العسكر المتكررة وعداءهم للعقيدة وفسادهم. قال الله تعالى:﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ [الفجر] (طغوا) أي تمردوا وعتوا وتجاوزوا القدر في الظلم والعدوان (فأكثروا فيها الفساد) أي الجور والظلم لأن الطغيان والبغي يولد معه الفساد والظلم. عن أبي عبد الرحمن، عن علي، قال: ﴿بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَمَّا جَمَعْتُمْ حَطَبًا، وَأَوْقَدْتُمْ نَارًا، ثُمَّ دَخَلْتُمْ فِيهَا فَجَمَعُوا حَطَبًا، فَأَوْقَدُوا نَارًا، فَلَمَّا هَمُّوا بِالدُّخُولِ، فَقَامَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا تَبِعْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرَارًا مِنَ النَّارِ أَفَنَدْخُلُهَا؟ فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ خَمَدَتِ النَّارُ، وَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ﴾ (عزمت) آمركم وأؤكد أمري لكم وأجد فيه (ما خرجوا) لأن الدخول فيها معصية فإذا استحلوها كفروا واستحقوا الخلود فيها (الطاعة) للأمر واجبة (المعروف) هو ما لا يتنافى مع الشرع. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ أَرَادَكُمْ عَلَى مَعْصِيَةِ اللهَ فَلا تُطِيعُوهُ﴾. عن طارق بن شهاب، قال:﴿لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ الشَّامَ عَرَضَتْ لَهُ مَخَاضَةٌ، فَنَزَلَ عَنْ بَعِيرِهِ وَنَزَعَ خُفَّيْهِ فَأَمْسَكَهُمَا، وَخَاضَ الْمَاءَ وَمَعَهُ بَعِيرُهُ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: لَقَدْ صَنَعْتَ الْيَوْمَ صَنِيعًا عَظِيمًا عِنْدَ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَصَكَّ فِي صَدْرِهِ وَقَالَ: أَوْهِ لَوْ غَيْرُكَ يَقُولُ هَذَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، إِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَذَلَّ النَّاسِ فَأَعَزَّكُمُ اللهُ بِرَسُولِهِ، فَمَهْمَا تَطْلُبُوا الْعِزَّ بِغَيْرِهِ يُذِلُّكُمُ اللهُ﴾ وعن الخليفة أبو بكر قال:﴿لَا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللهُ بِالذُّلِّ﴾ يا عسكر العرب، لو كان الولاء للأرض ما ترك النبي صلى الله عليه وسلم مكة، ولو كان للقبيلة ما قاتل قريشا، ولو كان للعائلة ما تبرأ من أبو لهب، ولكنها العقيدة أغلى من الدم والتراب! عن أبي موسي قال: ﴿جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ يقول علي بن أبي طالب: إن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله خاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماءة، وضرب على قلبه بالأسداد، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النصف ... فو الله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا. و عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ﴾ وعن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَلْسِنَتِكُمْ﴾ قوله (بأموالكم) أي بالتجهيز (وأنفسكم) أي بالمباشرة (وألسنتكم) أي بدعوتهم إلى الله تعالى.

عن ثوبان. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا﴾و في فتح قبرص، ما جيء بالأسرى جعل أبو الدرداء الأنصاري يبكي، فقال له جبير بن نفير:أتبكي وهذا يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟. فقال: ويحك، إن هذه كانت أمة قاهرة لهم ملك، فلما ضيعوا أمر الله صيرهم إلى ما ترى، سلط الله عليهم السبي، وإذا سلط على قوم السبي فليس لله فيهم حاجة. ما أهون العباد على الله تعالى إذا تركوا أمره؟!.

عن عبد الله بن عمر قال: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:﴿يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسُ خِصَالٍ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ هذه المهلكات الخمس، هي فينا شاخصة، تكاد تراها حيث وقع بصرك.

مراجع: نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام/ الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي

◆ محمود غازان بن أرغون، ملك التتار (سابع سلاطين الإيلخانية في إيران) وابن تيمية [158]

ذكرت كتب التاريخ أن غازان[1] ملك التتار، زحف بجيشه من إيران نحو مدينة حلب، في أواخر سنة 698 هـ، شمال بلاد الشام فاعترضه الناصر قلاوون[2] بجيشه في وادي سلمية، في 27 ربيع الأول، من سنة 699 هـ فانهزم قلاوون وفر قواده، ودب الهلع في مدينة دمشق، التي هجرها أعيانها، ولحقوا بقلاوون وأمرائه، حتى لم يبقى في دمشق حاكم ولا أمير. فصمد فيها شيخ الإسلام ابن تيمية[3] ،واجتمع إليه من بقي من أعيان البلاد وعامة الناس، واتفق معهم أن يخرج على رأس وفد من الشام لمقابلة غازان، فقابله في بلدة البنك. وقد روى ابن كثير رحمه الله، وقائع ذلك اللقاء كما سمعه من أحد أعضاء ذلك الوفد، وهو الشيخ أبو عبد الله البالسي[4] الذي حدث فقال: إن شيخ الإسلام ابن تيمية قال لغازان، وترجمانه يترجم كلام الشيخ: أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض، وإمام، وشيخ مؤذن على ما بلغنا، فغزوتنا وبلغت بلادنا على ماذا ؟، وأبوك وجدك كانا كافرين، وما غزوا بلاد الإسلام بعد أن عاهدونا! وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت. وجرى مع ابن تيمية وغازان أمور قام بها ابن تيمية كلها لله. ثم قرب غازان طعام إلى الوفد، فأكلوا إلا ابن تيمية. فقيل له: ألا تأكل! فقال: كيف أكل من طعامكم وكله من ما نهبتموه من أغنام الناس! وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس؟ وغازان مصغي لما يقول، شاخصا إليه لا يعرض عنه، وإن غازان من شدة ما أوقع في قلبه من الهيبة، سأل: من هذا الشيخ؟ وقال: ما معناه: إني لم أرى مثله، ولا أثبت قلبا منه، ولا أوقع من حديثه في قلبي، ولا رأيتني أعظم انقيادا لأحد منه. فأخبر بحاله، وما هو عليه من العلم والعمل. ثم طلب منه غازان الدعاء. فقام الشيخ يدعو فقال: اللهم إن كان عبدك هذا إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لك، فأنصره، وأيده، وإن كان قام رياء وسمعة، وطلبا للدنيا، ولتكون كلمته هي العليا، وليذل الإسلام، وأهله، فاخذله، وزلزله، ودمره، واقطع دابره. وغازان يؤمن على دعائه، ويرفع يده. قال البالسي: فجعلنا نجمع ثيابنا خوف من أن تتلوث بدم ابن تيمية إذا أمر بقتله. فخرج من بين يديْه مكرمًا معزَّزًا، قد صنع الله له بما طوى عليه نيَّته الصَّالحة مِن بذْل نفسِه في طلب حقْن دماء المسلمين، فبلَّغه ما أراده، وكان ذلك أيضًا سببًا لتخْليص غالب أسارى المسلمين من أيديهم وردِّهم على أهلِهم وحفظ حريمهم، وهذا من أعظم الشَّجاعة والثَّبات وقوَّة الجأش.

حدث الشيخ أبو عبد الله البالسي، فلما خرجنا من عنده، قال له قاضي القضاة، نجم الدين، وغيره: كدت أن تهلكنا، وتهلك نفسك، والله لا نصحبك من هنا. فقال: وإني والله لا أصحبكم. قال البالسي: فانطلقوا عصبة، وتأخر هو في خاصة نفسه، ومعه جماعة من أصحابه، فتسامعت به الخواتين والأمراء أصحاب غازان، فأتوا يتبركون بدعائه، وهو سائر إلى دمشق، ووالله ما وصل دمشق إلا في نحو ثلاث مئة فارس في ركابه، وكنت أنا في جملة من كان معه، وأما أولئك الذين أبوا أن يصحبه فخرج عليهم جماعة من التتار فسلبوهم ثيابهم، وما معهم.

وحين وُشِي بالشيخ رضي الله عنه إلى السلْطان المعظَّم الملك الناصر لدين الله، وأحضره بين يديه، قال مِن جملة كلامه: إنَّني أُخبرت أنَّك قد أطاعك الناس وأنَّ في نفسك أخْذ المُلْك. فلم يكترِثْ به بل قال له بنفس مطمئنَّة وقلب ثابت، وصوت عال سمعَه كثيرٌ ممَّن حضر: أنا أفعل ذلك؟ والله إنَّ مُلْكَك وملك المغول لا يُساوي عندي فلسين. فتبسَّم السلْطان لذلك وأجابَه في مقابلته بما أوْقع الله في قلبه من الهيْبة العظيمة: إنَّك والله لصادق، وإن الَّذي وشى بك إليَّ كاذب. واستقرَّ له في قلبِه من المحبَّة الدينيَّة ما لوْلاه لكان قد فتك به منذ دهر طويل، من كثرة ما يلقى إليْه في حقِّه من الأقاويل الزُّور والبهتان.

---

(3) تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم محمد بن الخضر بن محمد ابن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني ثم الدمشقي. كان مولده يوم الاثنين عاشر ربيع الأول بحران سنة 661 هـ وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير، فسمع الحديث وقرأ بنفسه الكثير وطلب الحديث وكتب الطبقات والأثبات ولازم السماع بنفسه مدة سنين، ثم اشتغل بالعلوم، وكان ذكيا كثير المحفوظ فصار إماما في التفسير وما يتعلق به عارفا بالفقه، فيقال إنه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلها الذي كانوا في زمانه وغيره، وأما الحديث فكان حامل رايته حافظا له مميزا بين صحيحه وسقيمه، عارفا برجاله متضلعا من ذلك، وأثنى عليه وعلى علومه وفضائله جماعة من علماء عصره، وأما أسماء مصنفاته وسيرته وما جرى بينه وبين الفقهاء والدولة وحبسه مرات وأحواله لا يحتمل ذكر جميعها هذا الموضع، وكان جريئا قويا لا يخاف في الله لومة لائم حث الناس والامراء على جهاد التتار بل ذهب بنفسه لمقابلة ملكهم حين جاء ليدخل دمشق وقال له أنت تدعي أنك مسلم فلم جئت تغزو بلاد الإسلام وغير ذلك من المواقف المشرفة مثل وقت استفتاه السلطان محمد بن قلاوون في قتل الفقهاء والقضاة الذين كانوا ضده يوم خلع نفسه وكانوا مع بيبرس وكان منهم من آذى الشيخ نفسه، فلم يفت له الشيخ بأذيتهم بل بين له حرمة وقدر العلماء وقال أنه لا ينتصر لنفسه وكل من آذاه فهو في حل وهذا من تمام فضله وحسن خلقه، وله الأثر الكبير في مناظرة أهل البدع والعقائد الفاسدة بما أحيا الله على يديه مما اندرس بين الناس منها فكان بحق مجددا للدين. توفي في ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة 728هـ، بقلعة دمشق التي كان محبوسا بها وكان يوم جنازته يوما مشهودا لم يعهد مثله بدمشق.

(1) السلطان محمود غازان بن أرغون، ملك التتار، ولد سنة 670 هـ، تولى غازان عرش المغول عقب مقتل بايدو سنة 694هـ وبعد أن اعتنق الإسلام تبعه جميع الأمراء والجنود المغول، وأسلم بإسلامه أكثر من مائة ألف شخص منهم فى فترة وجيزة، ولقب غازان نفسه باسم السلطان محمود غازان، وأعلن الإسلام دينا رسميا للدولة، قام غازان بثلاث حملات على بلاد الشام، كانت الأولى فى سنة 699هـ، وانتصر فيها على قواد الناصر محمد بن قلاوون بالقرب من منطقة مرج المروج شرقى حمص، وقد انتشر المغول بعد انتصارهم فى الأماكن المجاورة، وخربوا البلاد جريا على عادتهم القديمة، وكأنهم لم يعتنقوا الدين الإسلامى، ثم عين غازان واليا من قبله على البلاد التى استولى عليها، وعاد بعد ذلك إلى إيران. وفى سنة 700هـ عاود المغول الكرة على بلاد الشام، واستولوا على مناطق جديدة بها، إلا أنهم لم يتمكنوا من التقدم والاستمرار؛ إذ هطلت عليهم الأمطار بغزارة، واشتدت البرودة، وكثر الوحل، وهلك كثير منهم، ووجد غازان نفسه مضطرا إلى العودة إلى إيران، ولكنه عاد بعد ذلك بعامين فى سنة 702هـ بحملته الثالثة على سوريا، وتحرك إلى مدينة عانة على شاطئ الفرات، وبرفقته وزيره المؤرخ رشيد الدين ثم عاد أدراجه إلى عاصمته تبريز تاركا جيشه بالشام ليواصل مهمته، ولكن النتيجة جاءت على غير ما كان يتوقع، إذ هزم جيشه هزيمة منكرة على يد السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى موقعة مرج الصفر بالقرب من دمشق سنة 702هـ فاعتلت صحته، وغلبه المرض، وتآمر عليه الأمراء، وكثرت من حوله الدسائس، ومات سنة 703هـ وهو لا يزال فى ريعان شبابه.

(2) الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون، كان تاسع سلاطين الدولة المملوكية البحرية. وكان لقبه أبو المعالي وأبو الفتح. ولد سنة 684 هـ وتوفى سنة 741 هـ

(4) محمد بن أحمد بن عمر الشيخ المحدث الصالح الخير أبو عبد الله البالسي الصالحي القطان ولد سنة 670 هـ

أيها الإخوة المؤمنون، كان هذا هو منهج وثابت ابن تيمية، الذي ينسب نفسه اليوم إليه وإلى مذهبه،وطريقته كثير ممن فضح الله حالهم، وكشفهم على حقيقتهم من دعاة أتباع عقائد ومذهب السلف. هذا هو حال من اتبع منهج السلف، ليس هذا فحسب، بل إن ابن تيمية، كما تروي كتب التاريخ لم اقترب التتار من دمشق لم يكن من الخوالف بل أرسل إلى أمير مصر يستنصره، ويهدده بأنه إن لم ينجد الشام، ويحمها، بحثوا لها عن أمير يقوم بحالها. ثم خرج مع من ثبتهم من جند أهل الشام وقد لبس لباس الحرب، فلما كان فجر اليوم الذي جرت فيه المعركة، تقدم بعد أن اصطف الناس للقتال من أحد القادة وقال له: أوقفني موقف الموت، فأشر القائد إلى غبار قد انعقد من حيث أقبل التتار، وقال له: ذلك موقف الموت. فاتجه إليه يتبعه أخوه رحمه الله ونغمس فيهم ولم يروه إلا والشمس تغيب عائدا من المعركة، وقد حصر الله التتار في الوادي، وفتح على المسلمين. نعم أيها الإخوة، هذا هو نهج من كان لهم في رسول الله أسوة حسنة، في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبمثل هذا النهج يكون الاتباع والانتساب إلى عقيدة السلف.

قال الشيخ تقي الدين لما سئل عن قتال التتار، مع تمسكهم بالشهادتين، ولما زعموا من اتباع أصل الإسلام: كل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة من هؤلاء القوم وغيرهم فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين، وملتزمين بعض شرائعه، كما قاتل أبو بكر الصديق والصحابة رضوان الله عليهم مانعي الزكاة. وعلى ذلك اتفق الفقهاء بعدهم. عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة قال:﴿لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ - قَالَ أَبُو الْيَمَانِ: لَأُقَتِّلَنَّ - مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا. قَالَ عُمَرُ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ الدرر السنية في الأجوبة النجدية/ سنن النسائي/ البداية والنهاية/ الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي/ معجم المحدثين

◆ الدروز الإسماعيلية (أهل بدعة/ ديانة مركبة) وابن تيمية [159]

في سنة 699 هـ حثَّ الشَّيخ تقي الدين ابن تيمية [1] المسلِمين على قتال الدروز الإسماعيلية[2]؛ لفساد عقائدهم وتواطُئِهم مع التَّتار ونَهبهم للمسلمين وقطعِهم الطريق. ففي العشرين من شوَّال من السنة المشار إليها ركب نائب السلطنة جمال الدين أقوش الأفرم[3] في جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان، وخرج الشَّيخ تقي الدين ومعه خلقٌ كثير من المتطوِّعة لقتال أولئك الضلاَّل، وكانوا ذوي عقيدة فاسدة وعداوة للمسلمين، وكانوا يعتدون على عساكر المسلمين بعد أن كسرهم التَّتار، فيأخذون أسلحتهم ونَهبوهم وأخذوا خيولهم، وقتلوا منهم كثيرًا، فلمَّا وصل نائبُ السَّلطنة وشيخ الإسلام ومَن معَهم من العساكر المسلمين إلى بلادِهم جاء رؤساؤُهم إلى الشَّيخ تقي الدّين ابن تيمية فاستتابَهم، وبيَّن الكثير من الصَّواب فالتزموا بردِّ ما أخذوه من أموال الجَيْش، وقرَّر عليهم أموالاً كثيرة يَحملونَها إلى بيت مال المسلمين، وأقطعت أراضيهم وضياعهم. ولم يكونوا من قبلُ يدخلون في الطَّاعة ولا يلتزمون أحكام الملَّة، ولا يَدينون بدين الحقّ، ولا يحرِّمون ما حرَّم الله.

---

(1) تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم محمد بن الخضر بن محمد ابن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني الدمشقي.ولد سنة 661 هـ وتوفي سنة 728هـ بقلعة دمشق التي كان محبوسا بها

(3) الأمير جمال الدين آقوش النجيبي الصالحي النجمي، نائب السلطنة بدمشق، زمن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلائي البُندقداري الصالحي النجمي، من دولة المماليك البحرية.

(2) الدروز من فرق الباطنية الإسماعيلية التي جاهرت بالغلو في شخصية الحاكم فانشقت عن المذهب الإسماعيلي. وعموما الدروز أهل بدعة وضلال وعقيدة فاسدة ؛ وهي ديانة مركبة، تستند إلى تعاليم أفلاطون، وأرسطو، وسقراط، وأخناتون، وحمزة بن علي بن أحمد والحاكم بأمر الله. واليوم يدعي بعض الدروز أنهم مسلمون، في حين أن بعضهم يدعي أنه على دين يختلف تماما عن الإسلام.

عن عبد الله بن مسعود قال:﴿خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا. ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللهِ، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَقَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، وَقَرَأَ: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام]
عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي كَمَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنَّ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً، لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي﴾ وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ﴾
وعن بلال بن الحارث المزني، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي، فَإِنَّ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ أُجُورِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنِ ابْتَدَعَ بِدْعَةً ضَلَالَةً لَا (يَرْضَاهَا) اللهُ وَرَسُولُهُ، كَانَ عَلَيْهِ (مِنَ الْإِثْمِ) مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ (أَوْزَارِهِمْ) شَيْئًا﴾ وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ اللهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي أَوْ قَالَ: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيَدُ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ فِي النَّارِ﴾ وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿اتَّبِعُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ، فَإِنَّهُ مَنْ شَذَّ شَذَّ فِي النَّارِ﴾ وعن أبي هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي، فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ﴾ وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿حِينَ أَتَاهُ عُمَرُ فَقَالَ: إِنَّا نَسْمَعُ أَحَادِيثَ مِنْ يَهُودَ تُعْجِبُنَا، أَفَتَرَى أَنْ نَكْتُبَ بَعْضَهَا؟ فَقَالَ: أَمُتَهَوِّكُونَ أَنْتُمْ كَمَا تَهَوَّكَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟! لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي﴾ (أحاديث) حكايات ومواعظ (أمتهوكون) أمتحيرون في دينكم حتى تأخذوا العلم من غير كتابكم ونبيكم (كما تهوكت) كتحيرهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا أهواء أحبارهم ورهبانهم.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ البداية والنهاية

◆ الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي النجمي (دولة المماليك البحرية) والإمام محي الدين النووي (١) [160]

لم خرج الظاهر بيبرس[1] المملوكي إلى قتل التتار بالشام، أخذ فتاوى العلماء بجواز أخذ مال من الرعية يستنصر به على قتال التتار، فكتب له فقهاء الشام بذلك، وأجازوه، فقال: هل بقي من أحد؟ فقيل له: نعم. بقي الشيخ محي الدين النووي[2]. فطلبه، فحضر إليه، فقال له: أكتب خطك مع الفقهاء، فامتنع الإمام النووي عن ذلك، فقال له بيبرس: ما سبب امتناعك؟ فقال النووي: أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير البندقدار[3] وليس لك مال، ثم من الله عليك، وجعلك ملكا. وسمعت أن عندك آلف مملوك، كل مملوك له حياصة من ذهب، وعندك متا جارية، لكل جارية حق من الحلي، فإذا أنفقت ذلك كله، أفتيتك بأخذ المال من الرعية. فغضب الظاهر من كلامه وقال: أخرج من بلدي، يعني دمشق. فقال السمع والطاعة، وخرج إلى نوى، فقال الفقهاء: إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا، وممن يقتدي به، فاعده إلى دمشق. فأمر برجوعه، فامتنع النووي عن العودة، وقال: لا أدخلها والظاهر فيها. فمات الظاهر بعد شهر. ودخلها النووي، وأَبَرَّ الله قسمه رحمه الله.

---

(2) يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام النووي الدمشقي، أبو زكريا، الإمام الحافظ المؤرخ الفقيه، صاحب مصنفات عدة. ولد في نوى من أرض حوران في الجنوب الغربي من سورية، وذلك في العشر الأوسط من شهر الله المحرم سنة 631 هـ، لما بلغ التاسعة عشرة من عمره قدم به والده إلى دمشق لطلب العلم، فسكن المدرسة الرواحية، وأخذ العلم عن جمهرة غفيرة من العلماء الكبار في الشام آنذاك، منهم الرضي بن البرهان، وشيخ الشيوخ عبد العزيز بن محمد الأنصاري، وزين الدين عبد الدائم، وعماد الدين بن عبد الكريم الحرستاني، وزين الدين أبي البقاء خالد بن يوسف المقدسي النابلسي، والشيخ المحقق إبراهيم بن عيسى المرادي الأندلسي، والقاضي التفليسي، وتخرج به جماعة من العلماء، منهم الخطيب صدر الدين سليمان الجعفري، وشهاب الدين الأربدي، وشهاب الدين بن جعوان، وغيرهم. وتولى مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق حسبة لوجه الله. فكان ذلك الإنتاج العظيم في عمره القصير الذي لم يتجاوز 45 عاما، ولكنه كان مليئا بالخير والبركة. وسافر آخر عمره إلى بلدته نوى، وزار بيت المقدس، والخليل، ثم رجع إلى نوى، فمرض عند أبويه، وتوفي ليلة الأربعاء لست بقين من شهر رجب سنة 676 هـ، ودفن ببلده.

(3) علاء الدين أيدكين البندقداري الصالحي، المعروف بـ البندقدار، أستاذ الملك الظاهر بيبرس. وكان علاء الدين من مماليك السلطان الصالح نجم الدين أيوب على حماة، الذي أخذ منه مملوكه بيبرس فأضافه إليه، فتقدم عنده على أستاذه وغيره، توفي البندقدار بالقاهرة.

(1) الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي النجمي، أبي الفتوح، ولد نحو سنة 620 هـ لقبه الملك الصالح أيوب في دمشق بركن الدين، وبعد وصوله للحكم لقب نفسه بالملك الظاهر. بايعوه الأمراء المماليك سلطان على مصر والشام بعد معركة عين جالوت واغتيال السلطان سيف الدين قطز سنة 658 هـ

انتقل عرش السلطنة بعد قطز إلى ركن الدين بيبرس، الذى يعد المؤسس الفعلى لدولة المماليك وأعظم سلاطينها؛ إذ اجتمعت فيه صفات العدل والفروسية والإقدام. عقد بيبرس العزم على أن تكون مصر والشام من أعظم البلاد آنذاك، ووهب حياته للجهاد، وجعل هدفه رفع شأن الأمة الإسلامية، وإليه يرجع الفضل فى انتقال الخلافة العباسية إلى القاهرة بعد سقوطها فى بغداد، وأصبحت مصر دار الخلافة الإسلامية؛ إذ استقدم بيبرس أحمد بن الخليفة الظاهر العباسى، وبايعه بالخلافة فى حضرة الأمراء والعلماء ورجال الدولة. وفى سنة 659 هـ عقد الخليفة اجتماعا منح فيه بيبرس تفويضا منه لتسيير أمور البلاد، فكان ذلك تقوية له ضد خصومه ومنافسيه، كما كان إقرارا بمشروعية النظام المملوكى، وبحقه فى تولى شئون البلاد. عادت إلى العالم الإسلامى هيبته بإحياء الخلافة الإسلامية، وأضحت القاهرة مقر الخلافة، ومركز السلطة الإسلامية المركزية، ومقصد المسلمين من كل حدب وصوب، وظلت على ذلك حتى انتقلت منها الخلافة إلى استانبول بعد قرابة ثلاثة قرون.

قام بيبرس بدوره على خير وجه فى محاربة المغول والصليبيين تقليدا للقائد البطل صلاح الدين، وأصدر عدة قوانين لتطبيق الشريعة الإسلامية، وإصلاح الأوضاع الاجتماعية فى مصر، وأمر فى سنة 664 هـ بمنع بيع الخمور، وإغلاق الحانات، ونفى المفسدين. وكان بيبرس قائدا شجاعا، ضربت ببطولته وشهامته الأمثال، فقد خاض معارك ومواقع عديدة، سجل فيها بطولات رائعة، وأبلى بلاء حسنا فى مطاردة الصليبيين وتشتيتهم وإجلائهم عن الشرق الأدنى، واستعاد فى سنة 666 هـ قيسارية، و أرسوف، و صفد، وشقيف، و يافا، و طرابلس، وأنطاكية، فأضعف ذلك الصليبيين، وأنهكهم، وزاد من قوة المسلمين، وحرص على أن يؤكد صورة الحاكم العادل الذى يجلس بنفسه للمظالم، ويعطف على الفقراء. وفى سنة 676 هـ توفى الظاهر بيبرس إثر عودته من واقعة قيسارية بالقرب من دمشق، وقد دفن بها بعد حياة حافلة بالبطولة والشجاعة، سطر خلالها صفحات مجيدة مازال التاريخ يحفظها له وسيظل.

أيها الإخوة المؤمنون، هذا والظاهر بيبرس من ملوك المسلمين الذين حملوا راية الجهاد على الصليبيين والتتار سبع وعشرين عام، لا يسترح من غزوة إلا أتبعها أخرى، والمال الذي طلبه لم يكن للبذخ ولا للفسوق ولا للعصيان، بل كان لتجهيز جيش المسلمين لجهاد التتار، لم يكن لإعطاء الإقطاعات للأمراء الذين غصبوا أموال الناس قهرا، ولم يكن لتبرع لدور رعاية الحيوانات في بلاد أوروبا، ولم يكن لتقديم الهداية والنفائس لملوك ورؤساء وأمراء الكفار في أعيادهم ومناسبتهم، ولم يكن لتقديم الأموال لطواغيت في مختلف بلاد العالم بأمر من أمريكا ودول الكفر الكبرى. كان للجهاد وتمويل جيش المسلمين ومع ذلك كان من النووي رحمه الله ما سمعنا. قال له، كنت مملوك فقيرا فصار لديك مئات المماليك والذهب والجواهر والجواري وما لديهن، أنفق ذلك ثم أفتيتك بأخذ أموال الناس. فأين علمائنا وأين الهيئات والكبار وأين القضاة وأين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأين الدعاة والعلماء وقادة الحركات الإسلامية من ما يدور في بلادنا وما يهتك من دين المسلمين وما يسلب من أموالهم وما يقتل من أولادهم وما يسجن من صلحائهم. اللهم إليك نشكو ضعف قوتنا وما ألم بنا وأنت المستعان ووعدك الحق ولا حول ولا قوة إلا بالله.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي

◆ الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي النجمي (دولة المماليك البحرية) والإمام محي الدين النووي (٢) [161]

كان الإمام محيي الدين[1] يُكثِر المكاتبات إلى الملك الظاهر بيبرس[2] ينصحه ويعظه، قال الشيخ علاء الدين بن العطار: كتب الشيخ محيي الدين ورقةً إلى الظاهر بيبرس تتضمَّن العدل في الرعية وإزالة المكوس، وكتب فيها معه جماعة ووضعها في ورقة كتبها إلى الأمير بدر الدين بيليك الخزندار (الخازندار)[3] بإيصال ورقة العلماء إلى السلطان، وصورتها: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله يحيى النووي. سلام الله تعالى ورحمته وبركاته على المولى المحسن ملك الأمراء بدر الدين، أدام الله الكريم له الخيرات، وتولاَّه بالحسنات، وبلَّغه من أقصى الآخرة والأولى كلَّ آماله، وبارك له في جميع أحواله، آمين. وينهي إلى العلوم الشريفة أن أهل الشام في هذه السنة في ضيق عيش وضعف حال؛ بسبب قلة الأمطار، وغلاء الأسعار، وقلة الغلات والنبات وهلاك المواشي، وغير ذلك، وأنتم تعلمون أنه تجب الشفقة على الرعية ونصيحته في مصلحته ومصلحتهم فإن الدين النصيحة، وقد كتب خدَمة الشرع الناصحون للسلطان المحبوبون له كتابًا يذكِّره النظر في أحوال رعيته والرفق بهم، وليس فيه ضرر، بل هو نصيحة محضة وشفقة وذكرى لأولي الألباب، والمسؤول من الأمير، أيده الله تعالى، تقديمه إلى السلطان أدام الله له الخيرات، ويتكلم عنده من الإشارة بالرفق بالرعية بما يجده مدَّخرًا له عند الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران] وهذا الكتاب أرسله العلماء أمانة ونصيحة للسلطان، أعز الله أنصاره، ويجب عليكم إيصاله للسلطان، أعز الله أنصاره، وأنتم مسؤولون عن هذه الأمانة ولا عذر لكم في التأخُّر عنها، ولا حجة لكم في التقصير عنها عند الله تعالى وتسألون عنها يوم القيامة: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشعراء] ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس] وأنتم بحمد لله تحبون الخير وتحرصون عليه وتسارعون إليه، وهذا من أهم الخيرات وأفضل الطاعات، وقد أُهِّلتم له وساقه الله إليكم وهو فضل من الله، ونحن خائفون أن يزداد الأمر شدة إن لم يحصل النظر في الرفق بهم؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف] وقال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة] والجماعة الكاتبون منتظرون ثمرة هذا، فإذا فعلتم فأجركم على الله ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل]، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فلما وصلت الورقتان إليه أُوقِف عليهما السلطان، فردَّ جوابها ردًّا عنيفًا مؤلِّمًا، فتكدرت خواطر الجماعة الكاتبين، فكتب رضي الله عنه جوابًا لذلك الجواب وهذه صورته: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم. من عبد الله يحيى النووي ينهي أن خدَمة الشرع كانوا كتبوا ما بلغ السلطان، أعز الله أنصاره، فجاء الجواب بالإنكار والتوبيخ والتهديد، وفهمنا منه أن الجهاد ذكر في الجواب على خلاف حكم الشرع، وقد أوجب الله أيضًا الكلام عند الحكام عند الحاجة إليه؛ فقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران] فوجب علينا حينئذ بيانه وحرم علينا السكوت، وقال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة] وذكر في الجواب أن الجهاد ليس مختصًّا بالأجناد وهذا أمر لم ندَّعه، ولكن الجهاد فرض كفاية، فإذا أقرَّ السلطان له أجنادًا مخصوصين وله أخباز معلومة من بيت المال كما هو الواقع، تفرغ باقي الرعية لمصالحهم ومصالح السلطان والأجناد وغيرهم من الزراعة والصنائع وغيرها مما يحتاج الناس كلهم إليه، فجهاد الأجناد مقابَل بالأخباز المقرَّرة لهم، ولا يحل أن يؤخذ من الرعية شيء ما دام في بيت المال شيء من نقد أو متاع أو أرض أو ضياع تُبَاع أو غير ذلك. وهؤلاء علماء المسلمين في بلاد السلطان، أعز الله أنصاره، متفقون على هذا، وبيت المال بحمد الله معمور زاده الله عمارة وسعة وخيرًا وبركة في حياة السلطان المقرونة بكمال السعادة والتوفيق والتسديد، والظهور على أعداء الدين وما النصر إلا من عند الله. وإنما يستعان في الجهاد وغيره بالافتقار إلى الله تعالى، واتِّباع آثار النبي صلى الله عليه وسلم، وما لزمه من أحكام الشرع، وجميع ما كتبناه أولاً وثانيًا هو النصيحة التي نعتقدها ونَدين الله بها، ونسأل الله الدوام عليها حتى نلقاه. والسلطان يعلم أنها نصيحة له وللرعية وليس فيها ما يلام عليه، ولم نكتب هذا للسلطان إلا لعلمنا أنه يحب متابعة الشرع ومتابعة أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في الرفق بالرعية والشفقة عليهم، وإكرامه لآثار النبي صلى الله عليه وسلم، وكل ناصح للسلطان موافق على هذا الذي كتبناه. وأما ما ذكر في الجواب من كوننا لم ننكر على الكفار كيف كانوا في البلاد، فكيف يقاس ملوك الإسلام وأهل الإيمان والقرآن بطغاة الكفار وهم لا يعتقدون شيئًا من ديننا؟! وأما تهديد الرعية بسبب نصيحتنا وتهديد طائفة العلماء، فليس هو الأمر المرجو من عدل السلطان وحلمه، وأي حيلة لضعفاء المسلمين الناصحين نصيحة للسلطان ولا علم لهم به، وكيف يؤاخذون به لو كان فيه ما يلام عليه؟! وأما أنا في نفسي فلا يضرُّني التهديد ولا أكثر منه، ولا يمنعني ذلك من نصيحة السلطان؛ فإني أعتقد أن هذا واجب عليَّ وعلى غيري، وما ترتب على الواجب فهو خير وزيادة عند الله تعالى وإنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار، وأفوِّض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد. وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن نقول الحق حيث كنَّا وأن لا نخاف في الله لومة لائم، ونحن نحب السلطان في كل الأحوال، ونقول ما ينفعه في آخرته ودنياه، ويكون سببًا لدوام الخيرات له، ويبقى ذكره على مرِّ الأيام، ويخلد به في الجنة، ويجد نفسه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا. وأما ما ذكر من تمهيد السلطان البلاد وإدامته الجهاد وفتوح الحصون وقهْر الأعداء فهذا بحمد الله من الأمور الشائعة التي اشترك في العلم بها الخاصة والعامة، وطارت في أقطار الأرض فلله الحمد، وثواب ذلك مدخَر للسلطان إلى أن تجد كلُّ نفس ما عملت من خير محضرًا، لا حجة لنا عند الله تعالى إذا تركنا هذه النصيحة الواجبة علينا وعليكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(1) يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام النووي الدمشقي، أبو زكريا، الإمام الحافظ المؤرخ الفقيه، صاحب مصنفات عدة. ولد في نوى من أرض حوران في الجنوب الغربي من سورية سنة 631 هـ، وتوفي سنة 676 هـ ودفن ببلده.

(2) الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي النجمي، أبي الفتوح، ولد نحو سنة 620 هـ بايعوه الأمراء المماليك سلطان على مصر والشام بعد معركة عين جالوت واغتيال السلطان سيف الدين قطز سنة 658 هـ

(3) الأمير بدر الدين بيليك بن عبد الله الخزندار (الخازندار) نائب الديار المصرية للملك الظاهر. توفي سنة 676 هـ

عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا: إِمَامٌ عَادِلٌ وَإِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشَدَّهُمْ عَذَابًا -وفي رواية-: وَأَبْعَدَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ جَائِرٌ﴾ وعن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللهِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِمَامٌ عَادِلٌ رَفِيقٌ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِمَامٌ جَائِرٌ خَرِقٌ﴾ وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَفْضَلُ الْجِهَادِ مَنْ قَالَ كَلِمَةَ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ﴾ كتب بعض العمال إلى عمر بن عبد العزيز: ﴿أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَدِينَتَنَا قَدْ خَرِبَتْ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْطَعَ لَهَا مَالًا يَرُمُّهَا بِهِ فَعَلَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: أَمَّا بَعْدُ، قَدْ فَهِمْتُ كِتَابَكَ، وَمَا ذَكَرْتَ أَنَّ مَدِينَتَكُمْ قَدْ خَرِبَتْ، فَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَذَا فَحَصِّنْهَا بِالْعَدْلِ، وَنَقِّ طُرُقَهَا مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّهُ مَرَمَّتُهَا وَالسَّلَامُ﴾ وكتب إليه صاحب العراق يخبره عن سوء طاعة أهلها، فوقع له: ارض لهم ما ترضى لنفسك، وخذ بجرائمهم بعد ذلك. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله عبد الله بن عون على فلسطين: ﴿أَنِ ارْكَبْ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَكْسُ فَاهْدِمْهُ، ثُمَّ احْمِلْهُ إِلَى الْبَحْرِ فَانْسِفْهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ صَاحِبُ مَكْسٍ﴾ (صاحب مكس) في النهاية هو الضريبة التي يأخذها الماكس؛ وهو العشار (يعني) أي يريد بصاحب المكس (الذي يعشر الناس) في شرح السنة أراد بصاحب المكس الذي يأخذ من التجار إذا مروا مكسا باسم العشر، فأما الساعي الذي يأخذ الصدقة ومن يأخذ من أهل الذمة، العشر الذي صولحوا عليه؛ فهو محتسب ما لم يتعد فيأثم بالتعدي والظلم. وعرض أمير مصر مسلمة بن مخلد على رويفع بن ثابت أن يوليه العشور فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ صَاحِبَ الْمَكْسِ فِي النَّارِ﴾ (العشور) جمع عُشر وهو واحدٌ من عشرة والمقصود: أخذ عُشر الأموال (المكس) هو الضريبة التي تؤخذ من الناس على بيوعهم، وصاحب المكس هو الذي يتولى هذه المهمة (في النار) يعني العاشر الذي يأخذ المكس من قبل السلطان يكون يوم القيامة في نار جهنم أي مخلدا فيها إن استحله لأنه كافر وإلا فيعذب فيها مع عصاة المؤمنين ما شاء الله ثم يخرج ويدخل الجنة وقد يُعفى عنه ابتداء. وعن الحسين بن زياد قال: سمعت منيعا يقول: مر تاجر بعشار فجسوا عليه سفينته فجاء إلى مالك بن دينار فذكر ذلك له، قال: فقام مالك فمشى إلى العشار فلما رأوه قالوا: يا أبا يحيى ألا تبعث إلينا حاجتك؟ قال: حاجتي أن تخلوا سفينة هذا الرجل. قالوا: قد فعلنا. قال: وكان عندهم كوز يجعلون فيه ما يأخذون من الناس من الدراهم قالوا: ادع الله لنا يا أبا يحيى. قال: قولوا للكوز يدعو لكم، كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم؟ أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف؟.

مراجع: الجامع الصحيح للسنن والمسانيد/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ العقد الفريد

◆ نور الدين سليم جهانكير (إمبراطور المغول بالهند) وأحمد السرهندي الفاروقي [162]

تولى حكم الهند سنة963 هـ جلال الدين أكبر[1]،وما أن تربع على كرسيه حتى أعلن الحرب على الإسلام، ففسخ نبوءة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأعلن إمامته العظمى، ومن خالف أمره، كان جزاءه السجن المؤبد، أو القتل، وحرم ذبح البقر والتاريخ الهجري، كما حرم تسمية أعوان حكمه بأسماء النبي صلى الله عليه وسلم، وأباح ذلك لعبيده، تحقيراً للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم. وحلل الخمر والقمار والخنزير والزواج من الوثنين، ثم لم يكتف بهذا الكفر الصريح، بل شرع ديانة جديدة، وابتكر طقوساً تعبد وآمراً بها. في هذا الواقع الأليم، الذي يعج بالكفر، عاش الشيخ أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي[2] رحمه الله تعالى. ورأى تلك الحالة وعرضت له أسنى المناصب في هذه الدولة، فرفضها، وما كان لمثله أن يشارك في تثبيت هذه الدولة الكافرة، وإنما دعوته دعوة دولة الإسلام، ولقد تم له ما أراد بحمد الله، بعد محنة واضطهاد ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم] أخذ الشيخ رحمه الله تعالى يجمع الناس على ما عزم عليه، فاستجاب له خلق كثير، وفي تلك الأثناء، هلك هذا الطاغية الملحد سنة 1014 هـ وانتهت فكرة الإمامة العظمى المزعومة، وخلفه ابنه جهانكير[3] فانتبه الشيخ للأمر، واتخذ من إصلاح الحاكم الجديد، نقطة ابتداء، فبصلاح الحاكم وصلاح العلماء تصلح البلاد، وبصلح الناس، فأخذ يتصل ويكاتب أمراء الجيش والدوائر الحكومية، ممن آنس فيهم رشداً، ينبههم ويلفت أنظارهم إلى ما أتت به الفتنة الكبرية، وما جرته من وبال على المسلمين. وما إن سمع رجال حاشية الملك جهان كير، بتلك الرسائل، حتى أخذتهم العزة بالإثم، فأغروا صدر الملك عليه وأشاروا عليه كائدين أن يطلبه إلى البلاط، واستدعي الشيخ إلى قصره وبلاطه فاستجاب الشيخ، ولكنه رحمه الله كما قال الكائدون، عندما دخل قصره، نبهه إلى السجود، فامتنع، ودخل مسلماً بتحية الإسلام، فاستشاط غيظاً وغضباً وقام هائجاً. وسأل منكراً ما هذا؟ وأمر باعتقاله في الحل. وأخذ مخفوراً، وطرح في السجن. لبث الشيخ في السجن بضع سنين يشتغل بالعبادة ويدعو المسجونين معه إلى الإسلام. فأسلم على يده مئات المسجونين وظهرت عليهم الصفات الخلقية الكريمة. فتنبه لذلك مدير السجن، وكتب إلى الملك رسالة خاصة يخبره فيها أن المحبوس الشيخ السرهندي ليس من شانه أن يحبس، فإن رأي الملك أطلقنا سراحه، فندم الملك على ما ظهر منه من بوادر الشدة في شأن الشيخ، وأمر بإحضاره إلى مقر المملكة، ولما بلغه خبر دنوه من العاصمة، بعث الأمير(خوم) ولي عهد المملكة لاستقباله والترحيب به. كل ذلك فعل لأنه تحرى أخبار الشيخ بنفسه ودرس حياته، فوجد به العالم العامل والشيخ الصادق. عاد الشيخ منصوراً، فقد أدى واجبه في السجن، وها هو يؤدي واجبه الشرعي عند الملك. دخل الشيخ عليه، وأعاد التحية بالسلام، فرد الملك التحية وتلقاه بالترحاب والاعتذار. كان يوم هذه المقابلة في ليلة رمضان المبارك، وأبى الملك إلا أن يضيف الشيخ عنده في هذا الشهر الكريم. ورجاه أن يسمعه ما يدور في خاطره، وأن يحدثه عما يريد، وأن يخبره بحقيقة دعوته، فاستجاب الشيخ مستبشراً بذلك. قضى الشيخ شهر رمضان في ضيافة الملك، محدثاً إياه عن الإسلام وعدله، شارحاً له واقع الخلفاء، والصالحين الذين تولوا حكم المسلمين. وقد وهبه الله صدقاً في اللهجة وحسناً في التعبير، والملك ينصت له، فبدأ الصلاة خلفه، وأقام صلاة التراويح، وأخذت أصداء آيات القرآن الكريم تجلجل في رحاب القصر، حتى استطاع الشيخ بفضل الله وتوفيقه أن يغير قلب الملك وفكره. فأحب الإسلام واعتقد به، وأعلن ذلك للأمة بمرسوم أصدره يحمل الأوامر التالية: تحريم السجود للملك، والإذن بذبح البقر، وتعيين القضاة ورجال الحسبة، وإعادة بناء المساجد، وإبطال القوانين المعارضة للشريعة وهكذا أخذ الولد الصالح المؤمن ينقض ما أبرمه الوالد الكافر، ولقد صدق من قال:﴿إن الْمُلْوكُ لِتَحْكُمَ عَلَى الْوَرَى وَعَلَى الْمُلُوكِ لِتحْكَمَ الْعُلَمَاء﴾ استأذن الشيخ الملك الصالح، بالرجوع إلى بلده فإذن له معززاً مكرماً، فعاد الشيخ إلى سرهند، مستمراً على النصح والإرشاد، يعلم أتباعه ومريديه، وليحملوا رسالته، وليواصلوا من ارتقاء سلم الكمال بالدولة نحو الإسلام، بعد أن تركها الشيخ في وضع حسن، أمن المسلمون فيها على دينهم وزال عنهم ما أصابهم من هم وغم، ومحن واضطهاد. وقد حمل الشيخ أمانة الإسلام، في حمل دعوته وتحكيم شرعه في أعناق خلفائه وأولاده الذين تولوا الأمر بعده. مات الشيخ وعمره عمر نبيه صلى الله عليه وسلم، راضياً مرضياً إن شاء الله.﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت]

---

(2) أحمد السرهندي الفاروقي، الملقب بمجدد الألف الثاني. ولد سنة 971 هـ في بلدة سرهند. وتوفي سنة 1034 هـ الشيخ أحمد السرهندي : كان له فضل عظيم في رد الناس عن الكفر إلى الإسلام ، بعد أن أضلهم السلطان أكبر الذي كفر آخر أيام حكمه.

(3) نور الدين سليم جهانكير بن جلال الدين أكبر، حكم دولة المغول بالهند، ولد سنة 977 هـ تولى حكم سنة 1014 هـ. توفي سنة 1037 هـ كان سليم العقيدة فلم يسر في طريق والده المنحرف، وفي عهده نمت سلطة الأوروبيين في الهند، يتنافسون تجاريا بالهند.

(1) جلال الدين محمد أبو الفتح أكبر، سلطان الهند المغولية.أصبح الإمبراطور بعد والده همايون. تولى الحكم سنة 963 هـ. وقد قابل ثورات متعددة وخاض حروبا كثيرة حالفه الظفر فيها، فاتسعت إمبراطوريته فأصبحت الهند كلها تحت سلطانه وضم البنغال وأفغانستان والسند وكشمير، وكان هذا الإمبراطور منحرفا عن العقيدة محاربا للإسلام، وقد ابتكر دين جديد سماه الدين الإلهي يعتمد على المجوسية وعلى أديان الهند. ولد في حدود سنة 954 هـ وتوفي سنة 1014 هـ

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿صِنْفَانِ مِنْ النَّاسِ إِذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ، وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَ النَّاسُ، قِيلَ: مَنْ هُمْ؟ قَالَ: الْمُلُوكُ، وَالْعُلَمَاءُ﴾ قالت الحكماء: الملك كالبحر تستمد منه الأنهار فإذا كان عذبا عذبت وإذا كان مالحا ملحت. ومن أمثالهم في هذا قولهم: إذا صلحت العين صلحت سواقيها. وكما جاء في المثل: الناس على دين الملك. وقال ابن المقفع: الملوك ثلاثة: ملك دين وملك حزم وملك هوى، فأما ملك الدين فإنه إذا أقام لأهل المملكة دينهم كانوا راضين وكان الساخط فيهم بمنزلة الراضي، وأما ملك الحزم فيقوم به الأمر ولا يسلم من الطعن والسخط ولن يضر طعن الذليل مع حزم القوي، وأما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر.

عن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالأَمِيرِ خَيْراً جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ﴾وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ تَعَالَى﴾ وعن جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار يقول: كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة، وكفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا ويقع بالصالحين.

في عام 1961م ظهر بورقيبة رئيس تونس وهو يفطر في نهار رمضان ودعا الشعب إلى الإفطار..وحتى يلبس هذا الأمر لباسه الشرعي، طلب من مفتي تونس آنذاك، فضيلة العلامة ابن عاشور أن يفتي بجواز الإفطار بدعوى زيادة الإنتاج. فلما تدخل ابن عاشور على التلفاز، والناس تنتظر ما يقوله، تلا الشيخ قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة] ثم قال: صدق الله وكذب بورقيبة، وأفتى بحرمة الإفطار، وأن من يفعل ذلك، فقد أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، وأبطل دعوى أن الصيام ينقص الإنتاج. فخرست الألسن، وما استطاعت الحكومة التونسية الملحدة إلا أن تنسحب من الميدان، وأعلى الله فريضة الصيام في تونس، على يد الشيخ الطاهر بن عاشور.

وقد بدأ بورقيبة حربه ضد الإسلام مبكرا وتحديدا في سنة 1957م بإغلاق الكتاتيب، وسمح بتعدد الخليلات ومنع تعدد الزوجات، وفي سنة 1960م أصدر قانون يمنع استخدام التاريخ الهجري، وفي سنة 1961م تم تأميم أكثر من 200 مسجد، لتتحول إلى مساكن ، وحول مسجد في مدينة بنزرت إلى مرقص، وآخر إلى خمارة، وآخر إلى متحف روماني. ومنع الصوم في رمضان، سنة 1962م وعزل المفتي الفاضل بن عاشور الذي عارض النزق البورقيبي. وقام بنفسه باحتساء كوب من الماء في شهر رمضان أمام شاشة التلفزيون، ونظمت حملات لإجبار الموظفين والعمال وقوات الجيش وجميع أطياف الشعب التونسي على الإفطار في رمضان. وفي ندوة أقيمت في القصر الرئاسي سنة 1974م قال أنه لا يؤمن بالمعجزات، القرآن الذي تعلمونه للشباب مليء بالخرافات، ولم يكن ذلك بعيدا عن دوائر القرار في باريس، التي انتدبته لهذه المهمة، بعد أن فشلت مساعيها المباشرة في تكفير شعب تونس وتحويله إلى النصرانية.

أيها الإخوة، لا شك أن فرنسا (العجوز!) نجحت في صناعة طبقة متحكمة من التونسة الملاحدة الحاقدين على الاسلام، يشكلون اليوم نسبة كبيرة من أذناب وذناب الدولة العميقة والثورة المضادة. هؤلاء التونسة المنهزمون نفسيا، الشواذ فكريا لا زال شغلهم الشاغل الحرب على الاسلام. يقول ابن خلدون رحمه الله: المغلوب مولع بتقليد الغالب، هؤلاء التونسة المعاقون ذهنيا اتخذوا فرنسا كعبة والإسلام عدو، واستباحوا كل شيء ولم يكتفوا بل فرضوا على الشعب (الجاهل المتعلم) فكرهم الشاذ، فصار فسادهم قانون للدولة وصارت عمالتهم لفرنسا دين للدولة ولأحفادهم. عن ابن عمر قال: ﴿مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ﴾ أي من شبه نفسه بالكفار مثلا في اللباس وغيره. وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِمَآخِذِ الْأُمَمِ وَالْقُرُونِ قَبْلَهَا، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمَا فَعَلَتْ فَارِسُ وَالرُّومُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَهَلِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ؟﴾ وعنه رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِذَا خَفِيَتِ الْخَطِيئَةُ لَمْ تَضُرَّ إِلَّا صَاحِبَهَا، وَإِذَا ظَهَرَتْ فَلَمْ تُغَيَّرْ، ضَرَّتِ الْعَامَّةَ﴾ كان عمر بن عبد العزيز، رحمه الله يقال:﴿إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِذَنْبِ الْخَاصَّةِ، وَلَكِنْ إِذَا عُمِلَ الْمُنْكَرُ جِهَارًا، اسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَةَ كُلُّهُمْ﴾ وهذا هو الحاصل الآن فالامة تدفع ثمن شذوذ هؤلاء العلمانيين المتطرفين، (الطابور الخامس) في تونس وغيرها.

مراجع: صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ الموطأ/ موجز التاريخ الإسلامي منذ آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر/ مجلة الراصد

◆ إبراهيم باشا بن محمد علي (والي مصر، من طرف الدولة العثمانية) وسعيد الحلبي [163]

دخل جبار الشام إبراهيم باشا[1] بن محمد علي حاكم مصر المسجد الأموي في وقت كان فيه عالم الشام الشيخ سعيد الحلبي[2] يلقي درسا في المصلين. ومر إبراهيم باشا من جانب الشيخ، وكان مادا رجله فلم يحركها، ولم يبدل جلسته، فاستاء إبراهيم باشا، واغتاظ غيظاً شديداً، وخرج من المسجد، وقد أضمر في نفسه شراً بالشيخ. وما أن وصل قصره حتى حف به المنافقون من كل جانب، يزينون له الفتك بالشيخ الذي تحدى جبروته وسلطانه، وما زالوا يؤلبونه حتى أمر بإحضار الشيخ مكبلا بالسلاسل. وما كاد الجند يتحركون لجلب الشيخ حتى عاد إبراهيم باشا فغير رأيه، فقد كان يعلم أن أي إساءة للشيخ ستفتح له أبواباً من المشاكل لا قبل له بإغلاقها. وهداه تفكيره إلى طريقة أخرى ينتقم بها من الشيخ، طريقة الإغراء بالمال، فإذا قبله الشيخ فكأنه يضرب عصفورين بحجر واحد، يضمن ولاءه، ويسقط هيبته في نفوس المسلمين، فلا يبقى له تأثير عليهم. وأسرع إبراهيم باشا فأرسل إلى الشيخ ألف ليرة ذهبية، وهو مبلغ يسيل له اللعاب في تلك الأيام، وطلب من وزيره أن يعطي المال للشيخ على مرأى ومسمع من تلامذته ومريديه. وانطلق الوزير بالمال إلى المسجد، واقترب من الشيخ وهو يلقي درسه، فألقى السلام، وقال للشيخ بصوت عال سمعه كل من حول الشيخ: هذه ألف ليرة ذهبية يرى مولانا الباشا أن تستعين بها على أمرك. ونظر الشيخ نظرة إشفاق نحو الوزير، وقال له بهدوء وسكينة: يا بني، عد بنقود سيدك وردها إليه، وقل له: إن الذي يمد رجله، لا يمد يده.

---

(2) سعيد الحلبي: فقيه الشام وعلامته أبو عثمان سعيد بن حسن بن أحمد الشامي الحنفي الشهير بالحلبي الدمشقي، ولد بحلب سنة 1188هـ وقدم دمشق سنة 1227هـ. مات سعيد الحلبي المذكور بدمشق عام 1254هـ ودفن بالذهبية.

(1) إبراهيم باشا بن محمد علي باشا بن إبراهيم آغا، ولد في نصرتلي، تركيا سنة 1204 هـ وتوفي في القاهرة سنة 1265 هـ كان والي مصر، وقائد الجيش العثماني الذي قضى على دويلة آل سعود الاولى. وأسر أميرهم عبد الله بن سعود وأرسله لأبيه محمد علي في مصر، فأرسله إلى الأستانة، فطافوا به ثم قتلوه. والله أعلم

أيها الإخوة المؤمنون، هكذا كان الأئمة القدوة، وهذه جرأتهم في الحق. يقول الأوزاعي: إن أشد الشدة القيام لله بحقه، وإن أكرم الكرم عند الله التقوى، وإنه من طلب العزة بطاعة الله رفعه الله واعزه، ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه.

قال الغزالي : الزهد ترك طلب المفقود من الدنيا وتفريق المجموع منها وترك إرادتها واختيارها قالوا : وأصعب الكل ترك الإرادة بالقلب. إذ كم تارك لها بظاهره محب لها بباطنه فهو في مكافحة ومقاساة من نفسه شديدة فالشأن كله في عدم الإرادة القلبية ولهذا لما سئل أحمد عمن معه ألف دينار ألا يكون زاهدا ؟ قال : نعم بشرط أن لا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت وقال بعضهم: الزاهد من لا يغلب الحلال شكره والحرام صبره. قال ابن القيم : وهذا أحسن الحدود فالزهد فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليد منها وقد جهل قوم فظنوا أن الزهد تجنب الحلال فاعتزلوا الناس فضيعوا الحقوق وقطعوا الأرحام وجفوا الأنام واكفهروا في وجوه الأغنياء وفي قلوبهم شهوة الغنى أمثال الجبال ولم يعلموا أن الزهد إنما هو بالقلب وأن أصله موت الشهوة القلبية فلما اعتزلوها بالجوارح ظنوا أنهم استكملوا الزهد فأداهم ذلك إلى الطعن في كثير من الأئمة. يقول أبو سليمان الداراني إن قوما طلبوا الغنى فحسبوا أنه في جمع المال ألا وإنما الغنى في القناعة وطلبوا الراحة في الكثرة وإنما الراحة في القلة وطلبوا الكرامة من الخلق ألا وهي في التقوى وطلبوا النعمة في اللباس الرقيق اللين وفي طعام طيب والنعمة في الإسلام والستر والعافية.

مراجع: فهرس الفهارس والإثبات/ مجمع الزوائد/ فيض القدير

◆ الماسونيَّة / مصطفى كمال أتاتورك، (أول رؤساء تركيا العلمانية) وسعيد النورسي [164]

سعيد النورسي [1] أعجوبة الثَّورة الإسلاميَّة في تركيا كان المجدّد الذي أكرم الله به المسلمين في تركيا إبان حكم كمال أتاتورك [2]،فقد كان رمز الحزْب الإسلاميَّة لحنكته، وكان المحْور الذي استقطب حوله ملايين الشَّباب المسلمين، ولقد مات كمال أتاتورك وأتباع بديع الزمان يكثرون ويزيدون. كان هذا المجاهد شجاعا، كرّس حياته لخدمة القُرآن وتأسيس مدرسة الزَّهراء، وحينما ظهرت في 1908م حريَّة محمد رشاد وجمعية الاتّحاد والترقي، التي كانت تتقنَّع بالدين ظاهرًا وتخفي رجس الماسونيَّة واليهوديَّة باطنًا، بادرَ بديع الزَّمان فألَّف جمعيَّة باسم: الاتّحاد المحمَّدي، سرعان ما انضمَّ إليه آلاف النَّاس. لقد أثار عمل بديع الزمان هذا مخاوفَ الماسونيين الَّذين كانوا من وراء الحركة الاتّحادية، فأرسلوا رئيس محفلِهم الثَّري اليهودي الكبير (قرصو) لمقابلتِه، ولكنَّه ما لبِث أن خرج مِن عنده قائلاً لرفاقه: لقد كاد هذا الرَّجُل العجيب أن يزجّني في الإسلام بحديثِه. وقرصو هذا كان أوّل صهيوني ماسوني عمِل على قلْب الخلافة العثْمانيَّة وخلع السلطان عبد الحميد واستِلاب فلسطين، والمذكور من أولئك اليهود المعروفين باسم الدونمة. ولم يَجد الاتحاديون بدًّا من إلقاء القبض على بديع الزمان في حادثة 3 آذار 1909 الَّتي أُعدم فيها 15 مسلمًا، وكان الغرض من ذلك تخويفه ولكنَّه كان أقوى منهم، وقال للمحكمة: وكانت جريمتي الأولى أنّني تصدَّيت للرَّدّ على دعاة الماسونية والإلحاد من أصحاب الصحف. وكان موقف بديع الزمان أشدَّ ما يكون صلابة مع كمال أتاتورك، فقد استطاع أن يؤثّر على نوَّابه وجعلهم يصلّون. وقال لأتاتورك : إنَّ أعظم حقيقةٍ تتجلَّى بعد الإسلام إنَّما هي الصَّلاة، إن الذي لا يصلي خائن.وقد ألَّف بديع الزَّمان مجموعةً من الرَّسائل تتألَّف من 135 رسالة، تتناول جَميعُها الجواب على مختلف المشكِلات الرُّوحيَّة والنفسيَّة والعقليَّة، وهي تنطلِق من محْور القرآن وتفسيره، وكان يلقي أفْكارَه على تلاميذه الذين سرعان ما يطبعونها بحماس ثمَّ يوزِّعونَها، وقد أخذ كلّ فردٍ على نفسه كتابة ما يُمكنه من النسخ عن كلّ رسالة تظهر، فإذا وزِّعها على القرَّاء كان على كلّ هؤلاء أيضًا أن يقوم بنفس الوظيفة، وهكذا تتكاثر هذه الرَّسائل في الأيدي عن طريق التوالُد المطرد. وشعرَ أتاتورك بالزلزال يسوي في كيان حكومته، وأذهله ما تفعله هذه الرسائل فعقد اجتماعًا سريًّا دعا إليه كبار رجال الماسونيَّة، الذين سامهوا مساهمة فعالة في تقويض الخلافة الإسلامية وبناء الحكومة العلمانية (اللا دينية) على أنقاضِها، وانتهى الاجتماع باتفاقهم على إحالة بديع الزَّمان مرَّة أخرى للمحاكمة. وسرعان ما تألَّفت لجنة من هؤلاء الماسونيَّة أنفسهم للتَّحْقيق في رسائل بديع الزمان وبرَّأت المحكمة ساحته. وقد انتشر بيانه الَّذي ألقاه في المحكمة انتشار البرق، وقد جاء فيه: بأيّ وجه تستطيعون إيقاف حركة النّور وإنَّما هي عبارة عن خدمة حقائق القرآن، والقُرآن حقيقة مرتبطة بعرْش الله العظيم. وأخيرًا ضيَّق الحاكمون الخناق على سعيد النورسي وزجّوا به في زنزانة لا تتَّسع لأكثر من فراش صغير على أرض رطبة عفنة باردة. أمَّا طعامه فلم يكن أكثرَ من قدر ماء وكسرة خبز يابسة مرَّتين في اليوم. ومع ذلك فقد دسَّت له السُّلطات في إحدى الوجبات سمًّا ناقعًا للتخلّص منه، ولكن أعاجيب لطف الله خيب آمالهم في ذلك. وفي ليلة القدر 27 رمضان 1379هـ انتقلت هذه الروح الطيبة إلى ربها تشكو ظلم وغدر الماسون العثمانيين.

---

(1) سعيد النورسي، المعروف ببديع الزمان، ونور الدين النورسي، ولد سنة 1295 هـ من أبوين كرديين في قرية نورس القريبة من بحيرة وان في مقاطعة هزان بإقليم بتلس شرقي الأناضول، تلقى تعليمه الأولي في بلدته، ولما شب ظهرت عليه علامات الذكاء والنجابة حتى لقب ببديع الزمان وسعيدي مشهور. في الثامنة عشر من عمره ألم بالعلوم الدينية وبجانب كبير من العلوم العقلية، وعرف الرماية والمصارعة وركوب الخيل، فضلا عن حفظه القرآن الكريم، آخذا نفسه بالزهد والتقشف. عمل مدرسا لمدة خمسة عشر عاما في مدينة وان وهناك بدأ دعوته الإرشادية التربوية. انتقل إلى استانبول لتأسيس الجامعة الزهراء لتكون على شاكلة الجامع الأزهر بمصر، وصادف أن كان هناك الشيخ بخيت شيخ الجامع الأزهر الذي أبدى إعجابه الشديد ببديع الزمان. وعين عضوا في أعلى مجلس علمي في الدولة العثمانية وهو دار الحكمة الإسلامية. عندما دخل الحلفاء استانبول محتلين كان في مقدمة المجاهدين ضدهم. في عام 1327 هـ بعد الإطاحة بالسلطان عبد الحميد بتآمر من جمعية الاتحاد والترقي التي رفعت شعار الوحدة ـ الحرية ـ الإصلاحية. لتخفي وراءه دسائسها ومؤامراتها على الإسلام والمسلمين، ألف بديع الزمان جمعية الاتحاد المحمدي واستخدموا نفس شعارات الاتحاديين ولكن بالمفهوم الإسلامي كشفا لخدعهم التي يتسترون خلفها وتجلية لحقيقتهم الماسونية. في الحرب العالمية الأولى التحق بالجيش التركي ضابطا فيه، وفي الأمسيات كان يلقي على تلاميذه وعساكره علوما في القرآن. قبض عليه الروس ونفوه إلى سيبيريا، لكنه استطاع أن يهرب ويعود إلى استانبول عن طريق ألمانيا فبلغاريا فتركيا.

لقد كان العلمانيون الذين حكموا تركيا بعد زوال الخلافة يخشون من دعوته ويعارضونها أشد المعارضة فما كان منهم إلا أن استغرقوا حياته بالسجن والتعذيب والانتقال من سجن إلى منفى، ومن منفى إلى محاكمة. أصدرت المحاكم ضده أحكاما بالإعدام عدة مرات لكنهم كانوا يعدلون عن تنفيذ هذا الحكم خوفا من ثورة أتباعه وأنصاره. عاش آخر عمره في إسبارطة منعزلا عن الناس، وقبل ثلاثة أيام من وفاته اتجه إلى أورفه دون إذن رسمي حيث عاش يومين فقط فكانت وفاته في اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان سنة 1379هـ

(2) مصطفى كمال أتاتورك، زعيم تركي ولد سنة 1299 هـ. كان ضابطا في الجيش العثماني. اشترك في جمعية تركيا الفتاة، وبرز اسمه سنة 1334 هـ عندما استطاع رد هجوم الحلفاء على الدردنيل. وفي سنة 1338 هـ أسس الحزب الوطني التركي الذي حل محل جماعة الاتحاد والترقي، ومن أشهر أعماله انتصاراته الكبيرة على اليونان وطردهم من الأناضول سنة 1340 هـ وكان وثيق العلاقة بالغرب، عقد معهم معاهدة لوزان سنة 1342 هـ. وبمقتضاها بسطت تركيا سلطانها من جديد على جميع آسيا الصغرى والقسطنطينية وتراقيا الشرقية. في سنة 1342 هـ ألغى الخلافة الإسلامية وحول تركيا إلى جمهورية علمانية، وأصبح رئيسا لها رياسة ديكتاتورية وتجدد انتخابه عدة مرات ولم ينقذ الناس منه إلا موته سنة 1357 هـ.

يقول شيخ الإسلام: إن مصطفى كمال كان عميق الصلة بطائفة (الدونمة) اليهودية، بل هو منها، كما يؤكد: أن أعضاء جماعة الاتحاديين والكماليين، أتباع مصطفى كمال، تابعون جميعا للمحفل الماسوني، ومنذ أن آلت السلطة إليه أبعد تركيا عن الإسلام تماما فألغى الخلافة الإسلامية نهائيا في تركيا، وقطع كل صلة لها مع الإسلام والدول الإسلامية، واستبدل الدستور العثماني بدستور مدني، الدستور السويسري، فدفع تركيا بذلك دفعا إلى العلمانية. أي فصل الدين عن الدنيا. وتتبع ذلك في كل مظاهر الحياة في تركيا. لذا نلاحظ أن من أبرز اتجاهات تركيا الحديثة اتجاهها نحو الغرب، وتقليل علاقاتها مع الشرق الإسلامي. ظل مصطفى كمال يشغل منصب رئيس الجمهورية حتى هلك سنة 1357 هـ. ولقد انتهى هذا اليهودي العلماني، ولم يخلف للأتراك إلا الفقر والضياع.

أيها الإخوة، لو نظرنا إلى الدولة الإسلامية العثمانية لوجدنا أن الفتوحات الكبرى توقفت بعد أن تغيرت العقيدة العسكرية للجيش العثماني من الجهاد إلى النظرية العسكرية الحديثة التي أتت بها فرنسا للدولة العثمانية، عندها بدأت المشاكل الداخلية الكبرى في دولة الخلافة: حيث الولاء لم يعد للدين أو للخليفة، وإنما ولاء الجنود لقادتهم العسكريين مباشرة ، فاستغل القادة العسكريون هذه العقيدة لينقضوا على الخلافة فيما بعد على يد الماسوني العلماني المتطرف كمال أتاتورك.

قبل انحطاط دولة الخلافة، كان العثمانيون يأخذون الجزية من روسيا وأمريكا وغيرهما. واليوم طغاة العرب الأقزام الخونة (صنيعة فرنسا وبريطانيا) يدفعون ألوان الجزية إلى أمريكا ثمنا للحفاظ على عروشهم. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

اعلم أخي القارىء أن العسكر في البلاد العربية أبدا أبدا لا يمكن إصلاحه أو الإصلاح به وقد قالوا: مثل من يصحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حائطاً مائلاً، فاعتمد عليه ليقيمه فخر الحائط عليه فأهلكه، هذا مع السلطان فما بالك بعسكر ثبت بدليل الشرعي والعقل أنه كافر مجرم! فاسد مفسد. قال الله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس] أي لا يصلح عمل من سعى بالفساد. أي لا يجعل عملهم ينفعهم؛ لأن معنى إصلاح العمل تقويمه على ما ينفع بدلا بما يضر وقد قيل: القلب إذا علق حب الدنيا لم ينجع فيه المواعظ. هذا العسكر الخسيس الذي لا يُسأل عما يفعل (والعياذ بالله!) كان يفترض أن وظيفته تنفيذية استشارية ومحدودة؛ ليست سياسية ولا علاقة له إطلاقا بإدارة الدولة وحياة الناس.

اللهم ايت على طغاة العرب؛ اللهم امحق عسكرهم الذي طغى وتجبر وبغى وظلم وقتل وحارب الله ورسوله، وأفسد البلاد والعباد، فأنت أعلم بما ساموا به عبادك، آمين.

مراجع: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ متولي عطية الزهراني/ موجز التاريخ الإسلامي منذ آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر

إن هي إلا أسماء.. وغثاء كغثاء السيل..

ويلا لامة مقسمة لأجزاء وكل جزء بحسب نفسه أمة!

الاستقلال الزائف في ظل حكام صناعة غربية

خارطة عملاء وخدام الغرب من العصب العسكرية والملكية المجرمة الخائنة ! منظومة الاحتلال بالوكالة

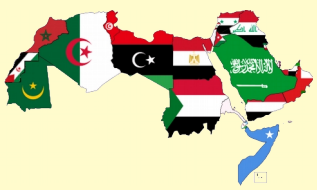

صنيعة مؤمرات الغرب: معاهدة دارين، اتفاقية سايكس بيكو، وعد بلفور، معاهدة لوزان؛ تقسيم الدولة العثمانية...

الصهاينة في فلسطين امتداد للحروب الصليبية (مملكة بيت المقدس) .. وحكام العرب امتداد للاستدمار الغربي الغائب الحاضر.. والطغاة نتيجة حتمية لجهل وفسق الشعوب

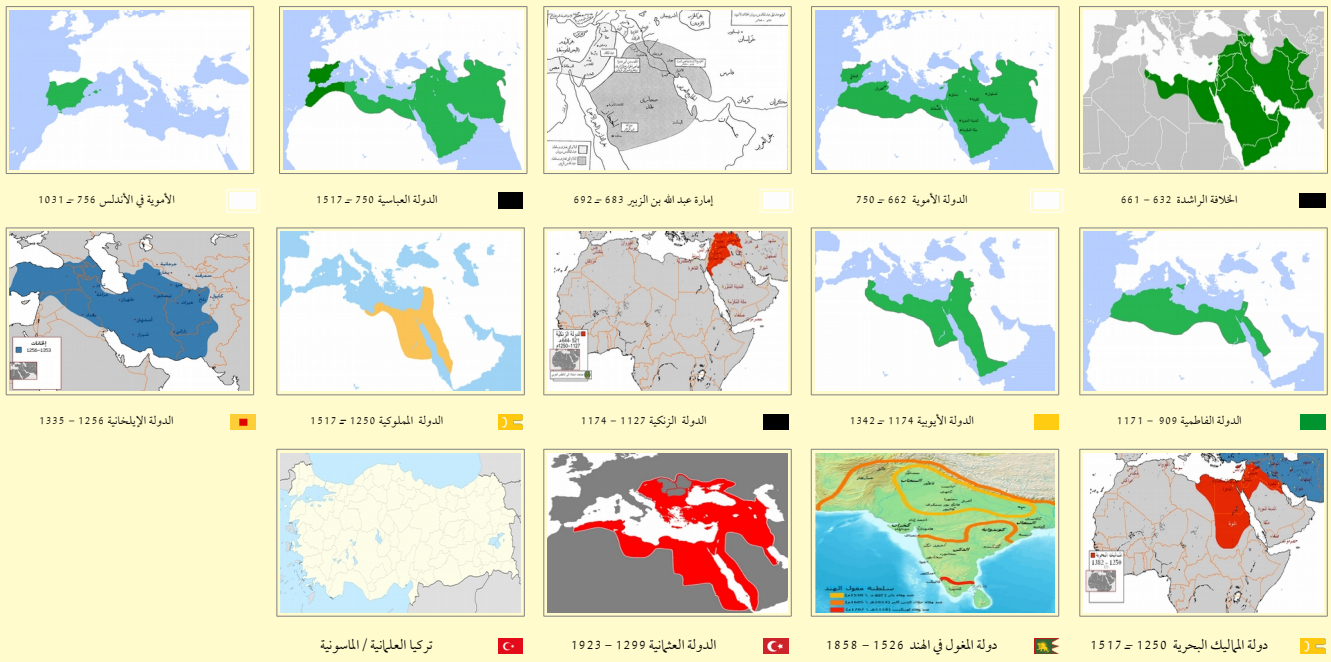

مصدر الروايات أعلاه و السند الكامل لكل حديث :

- المعجم الأوسط
- المحرر الوجيز لابن عطية
- أخبار القضاة
- قضاة قرطبة
- الحديث والمحدثون
- صفة الصفوة
- تفسير الطبري
- مجمع الفتاوى
- مسند أحمد
- سير أعلام النبلاء
- سراج الملوك
- لسان العرب
- صحيح البخاري
- تفسير الخازن
- صحيح مسلم
- شرح النووي على مسلم
- رجال صحيح مسلم
- أخبار الشيوخ وأخلاقهم
- الأحكام السلطانية للفراء
- عصر الدولة الزنكية
- الموسوعة الفقهية
- صفوة التفاسير
- كنز العمال
- تفسير الثعالبي
- تحفة الأحوذي
- الرسائل السياسية
- تفسير القرطبي
- سنن أبي داود
- شرح سنن أبي داود
- البداية والنهاية
- مسند الفردوس
- المغني لابن قدامة
- صحيح ابن حبان
- تاريخ الطبري
- تاريخ ابن خلدون
- تاريخ عصر الخلفاء الراشدين
- التاريخ الكبير للبخاري
- الكامل في التاريخ
- أخبار أبي حنيفة وأصحابه
- الأدب المفرد
- مصنف ابن أبي شيبة
- السير للفزاري
- سيرة ابن هشام
- سنن الدارمي
- الوافي بالوفيات
- وفيات الأعيان
- الحور العين
- حياة التابعين
- حياة الصحابة
- فضائل الصحابة
- تاريخ الخلفاء
- تاريخ الإسلام
- البحر المحيط في التفسير
- سنن ابن ماجه
- شرح سنن ابن ماجه
- مجمع الزوائد
- أسد الغابة
- الاستقامة
- العقد الفريد
- فتح الباري
- طبقات المفسرين
- الطبقات الكبرى لابن سعد
- عثمان بن عفان ذو النورين
- الثقات لابن حبان
- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي
- رجال ومناهج في الفقه الإسلامي
- هل يعتبر القراءة بمصرع من سبقهم؟
- مواقف الصحابة
- الأولياء لابن أبي الدنيا
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء
- التفسير المظهري
- نصائح العلماء للسلاطين والأمراء
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الدين
- طباع الاستبداد ومصارع الاستعباد
- السنن الكبرى للبيهقي
- السنن الكبرى للنسائي
- سنن الدارقطني
- الخراج لأبي يوسف
- أسباب النزول للواحدي
- منهاج السنة النبوية
- النهاية في الفتن والملاحم
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام
- حسن السلوك الحافظ دولة الملوك
- مسند الفاروق لابن كثير
- المستدرك على الصحيحين للحاكم
- هكذا كان الصالحون
- نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال
- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال
- الفصل في الملل والأهواء والنحل
- الجامع للأعلام والمؤلفات
- نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس
- الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي
- فهرس الفهارس والإثبات
- وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح (أكثر من 30 رواية)
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها
- دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ
- الجامع الصحيح للسنن والمسانيد
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد
- مسند عمر بن الخطاب ليعقوب بن شيبة
- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار
- سلطة وإلى الأمر في المال العام (خالد بن محمد الماجد)
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم
- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا
- حقوق الإنسان في الإسلام لحمل الليل
- المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري
- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية
- محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
- السلوك في طبقات العلماء والملوك
- التبر المسبوك في نصيحة الملوك
- النصيحة للراعي والرعية للبيزيني
- نصائح العلماء للسلاطين والأمراء
- الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء
- ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين
- أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
- الخليفة الراشد والمصلح الكبير عمر بن عبد العزيز ومعالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة
- معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين وكاتب وحي النبي الأمين كشف شبهات وردّ مفتريات
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة
- الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار
- موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام
- مسند المقلين من الأمراء والسلاطين
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم
- معرفة الصحابة لأبي نعيم
- إحياء علوم الدين
- الوفيات والأحداث
- شرح السنة للبغوي
- حدائق الأزاهر
- الولاء والبراء في الإسلام
- تذكرة الحفاظ
- المسودة لابن تيمية
- شعب الإيمان
- صيد الخاطر
- تاج العروس
- مشاهير علماء الأمصار
- مصنف عبد الرزاق
- تفسير ابن كثير
- شرح تفسير ابن كثير
- مختصر تفسير ابن كثير
- تاريخ بغداد
- تاريخ بغداد وذيوله
- مجموع الفتاوى لابن تيمية
- تفسير القرآن الكريم – المقدم
- تحفة الأحوذي
- مستدرك الحاكم
- متولي عطية الزهراني
- تاريخ مدينة دمشق
- معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن
- تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام
- مواقف الصحابة (رضي الله عنهم) في الدعوة إلى الله تعالى
- مواقف التابعين وأتباعهم في الدعوة إلى الله تعالى
- خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنه
- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير
- فقه تغيير المنكر [محمود توفيق محمد سعد]
- مورد الطاقة في من ولي السلطنة والخلافة
- معجم ابن الأعرابي

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر] عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ، وَعِمَادُ الدِّينِ، وَنُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وعن ابن عمر، قال: قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات: ﴿اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوارثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا﴾ وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ﴾ وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءً فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ﴾ وعن سلمان الفارسي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ﴾ وعن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ﴾ وعن أبي أمامة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَاسْتَقْبِلُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ﴾ وعن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَإِنَّ صَنَائِعَ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ، وَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ، وَتَقِي الْفَقْرَ. وَأَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ دَاءً، أَدْنَاهَا الْهَمُّ﴾ لاحول ولا قوة إلا بالله.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمت

شهود على جرائم مافيا العسكر في الجزائر

مطبوعات تكشف طبيعة النظام العسكري المافياوي الوحشي الدموي في الجزائر، والسياسة السوداء لمافيا العسكر المتصارعة المتوارثة منذ العام 1954

معظم هذه الكتب موجود على الشبكة وعلى المدونة (حقوق نشرها لا تزال محفوظة)

ISBN 978-1-67801-571-8

Copyright nasiruddin ali (Standard Copyright License)
Publisher nasiruddin
Published March 15, 2020